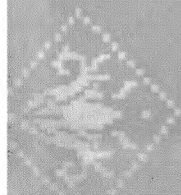


L4-1



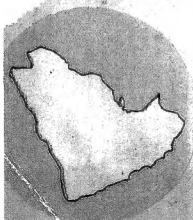


الدائرة

مجلة ربع سنوية تصدر عن دائرة الملك عبد العزيز
العدد الثالث / السنة الخامسة ربيع ثان ١٤٠٠ هـ / مارس ١٩٨٠

من محتويات العدد

- أشرف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهّاب في غرب إفريقيا .
- الفكر العباسي ومنهجية البحث عند علماء المغرب .
- حركة إحياء التراث بعد توحيد الحجاز .
- رحلات العرب إلى جزيرة العرب .
- تاريخ الميرح عند العرب .



الدائرة

مجلة ربع سنوية تصدر عن دائرة الملك عبد العزيز
تفنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية
والعالم العربي والاسلامي معاله صلة بالجزيرة العربية

رئيس التحرير
محمد حسين زيدان

هيئة التحرير
عبد الله بن حميس
الدكتور منصور الحازي
عبد الله بن إدريس
عبد الله المساجد

سكرتيرة المجلة
عبد الرحمن عبد العزيز الشراء

العدد الثالث / السنة الخامسة
ربيع ثان ١٤٠٠ هـ / مارس ١٩٨٠

طبعة ٢٨٦٨٦
٢٨٦٨٦

الترخيص
المملكة العربية السعودية

من محتويات العدد

صفحة

	فتاحية لعدد
٤	لرئيس التحرير
	الشيخ عبدالله بن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
٥	لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف
	حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة
٩	للدكتور أحمد الصيب
	المنطق الزراعية في المملكة العربية السعودية
١٧	للشيخ عبدالله بن خميس
	رحلات العرب في جزيرة العرب
٢٨	للدكتور منصور الحازمي
	الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب
٥٤	للاستاذ عبد العزيز بن عبدالله
	المتنبى طيب نفساني بالسليقة
٨١	للدكتور يوسف الحميدان
	أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب افريقيا
٨٨	للاستاذ عبد الفتاح الغنيمي
	الجمعيات والندوات الثقافية
١٠٤	للاستاذ الغزالي حرب
	دراسة في جغرافية المملكة
١١٠	للدكتور عبد الرحمن الشريق

● قيمة المقيّد في الداخل ريالان والاشتراك السنوي خمسة عشر ريالاً وفي البلاد العربية ما يعادل خمسين قرشاً سعودياً للعدد أو ما يعادل خمسة عشر ريالاً للسنة - في جمهورية مصر العربية خمسة وعشرون قرشاً - في خارج البلاد العربية دولار للعدد الواحد وستة دولارات للسنة -

- تحقيق بعض الوثائق النبوية
 ١٢٤ للدكتور عبد الباقي قصة
 ديوى .. عربيا
 ١٣١ للدكتور عبد الستار الحلوجي
 الحروف العربية وعلاقتها بالحساب
 ١٣٩ للدكتور سيد حسب الله
 تاريخ المسرح عند العرب
 ١٥١ للاستاذ مصطفى كمال منصور
 كتاب ذكريات
 ١٦٣ عرض الاستاذ عبد العزيز الرفاعي
 كتاب الطب الاسلامى
 ١٧٠ عرض الاستاذ محمد كمال جمعه
 باب الادب والتراث
 ١٩٢ للاستاذ محمد أبو الفتوح الحياط
 رسائل علمية : التقليد - تاريخه - احكامه - أثره
 ٢٠٨ « الدكتور عبدالله محمد العجلان »
 فهارس المخطوطات العربية
 ٢١٨ للدكتور عباس طاشكندى
 البليوجرافيا : دليل الرسائل العلمية فى المملكة العربية السعودية
 ٢٤٦ اعداد الاستاذ كمال محمد على
 خلاصة الابحاث بالانجليزية
 ٢٨٣

ترسل الاشتراكات باسم أمين عام الدارة اما المقالات والبحوث فترسل باسم رئيس التحرير
 الرياض ص.ب ٢٩٤٥ ترتيب المواضيع داخل العدد يوضع لأسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب
 آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة



افتتاحية العدد

لرئيس التحرير

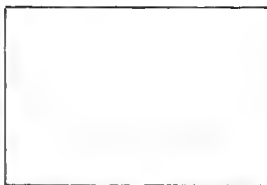
ولم يكن إنتكاسا تأخير المجلة ، وإنما هي أسباب من نواحي عدة لا داعي للاعتذار منها أو الألم . فالمسئولية لتكون بين يدي القارئ في وقتها قد حددتها القارئ نفسه .. يريدنا أن تكون بين يديه ، لهذا توالت على المجلة الأسئلة والاستفسارات وكلها تعبر عن حرص واهتمام ... تسألنا عن التأخير كأنما القارئ بهذه المواقبة يرسل سؤالاً تلو سؤال ، قد وضع نفسه مسئولاً عنها .. أكثر من جهاز المجلة ، وتلك فرصة نأخذها حظوة للمجلة لدى قارئها — فلو انصرف القارئ عن السؤال .. بلقاء هذا الانصراف قوة من الأسباب التي أخرتها ، ولكن جاء بالقوة التي أظهرتها . وأحسبني بهذا كله في موقف الاعتذار (ومن نوقش الحساب عذب) .

أرجو من القارئ الكريم ألا يكون قارئاً فحسب لأنني أدعوه أن يكون الكاتب والناقد والموجه — فالتلاحم بين المجلة والقارئ يوجب علينا جميعاً أن نكون على هذا المستوى .

وأسأل الله التوفيق

محمد حسين زيدان

م
عبد الرحمن
الشيخ
عبد اللطيف



ابن شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

هو الإمام العلامة الأوحد ، الثقة الثبت ، النقي الورع
المجاهد المحتسب ، ذو الهمة العالية والشجاعة المتناهية ،
الذي خلف والده شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب في
مؤازرة الإمام^(١) عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وخلفه في
بث العلم والقيام بدعوة التوحيد ونشرها ، والدفاع عنها بالقلم
واللسان ، والحجة والبيان ، عالم نجد بعد أبيه ومفتيا ، من
له الفتاوى السديدة والأجوبة العديدة ، والردود العظيمة ،
من ضربت إليه أكباد الأبل من سائر بلدان نجد وتوالت عليه
الأسئلة من جميع قرى نجد ومدنها الشيخ عبد الله ابن شيخ
الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

ولد هذا العالم الكبير في الدرعية سنة ١١٦٥ هـ ، ونشأ بها في كنف والده نشأة دينية صالحة ، وقرأ القرآن حتى حفظه ، ثم شرع في القراءة على والده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيره من علماء الدرعية فتفقه في المذاهب الإسلامية ومهر في علمي الفروع والأصول ، وكان مع هذا عالماً بارزاً في علم التفسير والعقائد وأصول الدين ، عارفاً بالحديث ومعاينه ، وبالفقه وأصوله وعلم النحو واللغة .

وله اليد الطولى في جميع العلوم والفنون ، كرس جهده وأوقف حياته على تحصيل العلم وتعليمه ونشره تدريجاً وتآلفاً ، فأخذ عنه العلم خلق كثير ، من فطاحلة علماء نجد وجهابذتهم ، نذكر منهم في هذه الترجمة الموجزة أبناء الثلاثة : الشيخ سليمان والشيخ عبد الرحمن والشيخ علي وابن أخيه الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن سلطان والشيخ عثمان بن عبد الجبار بن شبانة ، والقاضي عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم الوهبي التيمي والشيخ أحمد الوهبي نزيل الاحساء والشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر والشيخ سعيد بن حجي . والشيخ جمعان بن ناصر ومسفر بن عبد الرحمن بن جعيلان نزيل قرية العرين في سير بوادي أبها ، والشيخ إبراهيم بن سيف ، ومحمد بن الشيخ عبدالله بن أحمد بن عبد القادر الاحسائي وخلق لا يحصون كثرة .

قال الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر عندما ذكر أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأربعة المترجم له وإخوانه : (وقد رأيت هؤلاء الأربعة العلماء الأجلاء مجالس ومحافل في التدريس في بلد الدرعية وعندهم طلبة علم من أهل الدرعية ومن أهل الآفاق من أهل صنعاة وزيد واليمن وعُمان وغيرهم من نواحي نجد والأقطار ما يفيض لمن حكاها إلى التكذيب ول هؤلاء الأربعة من المعرفة ما فاقوا به أقرانهم ولكل واحد منهم قريب بيته مدرسة فيها طلبة علم يأخذون عنهم كل وقت ونفقتهم جارية لهم من بيت المال) . فأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاموا بتدريس العلم ونشره أم قيام .

والشيخ عبدالله — كان إلى جانب قيامه بتعليم العلم وبثه ونشر مذهب السلف ودعوة التوحيد الإسلامية مرجع قضاة المملكة السعودية في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وابنه الإمام سعود وابنه الإمام عبدالله ، فكان في ذلك الوقت بمثابة رئيس قضاة ومفتى . وقد ألف مؤلفات كثيرة : منها جواب^(١) أهل السنة النبوية رد به — رحمه الله على من اعترض على دعوة التوحيد السلفية ، وألف مختصر السيرة النبوية في مجلد ضخيم ، والكلمات النافعة في المكفريات الواقعة ، طبع مرتاً ، وآخرها بالمطبعة السلفية بمصر ، وألف منسكاً صغيراً للحج ، وكتب رسائل وفتاوى كثيرة ، لو أفردت على حدة وجمعت لبلغت مجلداً ضخماً كبيراً ، ولكنها طبعت مفرقة في جميع الرسائل والمسائل التجديدية التي طبعت سابقاً بمصر وأخيراً بمطبعة أم القرى ، وكلا الطبعتين المذكورتين على نفقة الملك المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود رحمه الله تعالى .

وكانت له دروس خاصة يحضرها الإمام سعود بن عبد العزيز وابنه الإمام عبدالله بن سعود في الدرعية ، وقد صحب الأمير^(٢) سعود ابن الإمام عبد العزيز ابن الإمام محمد بن سعود ،

ابن محمد بن مقرن في دخوله مكة المكرمة المرة الأولى في حياة والده الإمام عبد العزيز — رحمه الله — وذلك في يوم السبت ثامن شهر محرم الحرام ١٢١٨ سنة ألف ومائتين وخماني عشرة من الهجرة وكتب حال دخوله مكة المكرمة رسالة إجابة لمن سأله عما يعتقدهونه ويدينون الله به . وقد رأيت له — رحمه الله تعالى — تصديقاً على وقف كاتن بمكة المكرمة للشيخ عبد الكبير زيني متوكل قال في تصديقه عليه ما نصه :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين . أما بعد فقد نظرت في هذا الوقف فرأيت وفقاً صحيحاً لازماً لا يجوز تغييره ولا تبديله لاشتائه على شروط الوقف الصحيحة قاله عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

(الختم)

ثم ختمه بخطمه غير أنه مع الأسف لم يؤرخه اكتفاء بتاريخ ورقة الوقف المصدق عليها . وقد أخذت لهذا التصديق صورة فوتوغرافية وأثبتها هنا .

ورأيت في القسم الثاني من كتاب ونحفة المستفيد بتاريخ الاحياء في القديم والجديد» لمحمد بن عبدالله بن عبد القادر ص ٩٦ بالحرف الواحد ما نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم صدر الأمر من الأمير سعود بن عبد العزيز نشر الله في الآفاق صيته وعزه وعدله ، وأظهر في الرعايا معروفه وإحسانه وفضله ، بإقامة الشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد آل عبد القادر مدرساً ومعلماً للناس ما خلق الله لأجله الخليفة ، ونصب الدلائل على أنه الواجب المقدم والالزام المحتم في الحقيقة ، وهو توحيد الله جلّ جلاله في أسمائه وذاته وصفاته وحلقه وأمره ونهيه وما يتبع ذلك من تفسير كتاب الله وقراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه في ذلك تقوى الله سرّاً وعلانية ومراعاة ما تجب مراعاته وبذل الوسع في بث هذا الخير الذي خص الله به من شاء من عباده فشرّفوا به وظهروا على أهل الضلال والإلحاد وملكوا ببركته أقاصي البلاد . جرى في اليوم الحادي والعشرين من شهر رجب الحرام عام واحد وعشرين ومائتين وألف وعلى التوقيع هذه العبارة : ليعلم الواقف عليه أن الأمير سعود بن عبد العزيز قرر ما في هذه السجلة بمحض مني ونختمها بيده قال ذلك عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب .

وكان — رحمه الله — مع هذا شجاعاً مقداماً ، وقف في باب البحري المعروف بالدرعية ، وشهر سيفه وقاتل الأبطال قاتلاً كلمته الخالدة : بطن الأرض على عجز ، خير

من ظهرها على ذل ، حتى نجى المساكر وزحزحهم عن مواقفهم ، وذلك في آخر حرب الباشا للدرعية ، وقد سلم الله الشيخ ونقله إبراهيم بن محمد علي باشا إلى مصر بعدما استولى على الدرعية وذلك سنة ١٢٣٣ هـ ونقل معه ابنه عبد الرحمن وبقي بمصر محدود الإقامة حتى توفي بمصر سنة ١٢٤٢ هـ .^(١)

وقد أنجب ثلاثة أبناء علماء هم : الشيخ سليمان الذي قتل إبراهيم باشا في الدرعية شهيداً ، وعليّ قتل فيما بعد على يد بعض عساكر البابا بتجند وعيد الرحمن^(٢) ، نقل معه إلى مصر

صغيراً وتعلم بها ودرّس برواق الحنابلة . وتوفي بها سنة ١٢٧٣ هـ وخلف بها ثلاثة أبناء هم أحمد الأجزعي . وعبدالله كاتب في قلعة الوجه بالحجاز ، ثم رجع إلى مصر - ومحمد وقد ظهر محمد إلى نجد وسنكتب ترجمة للشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبدالله المذكور ، ونذكر فيها أبنائه وأحفاده إن شاء الله تعالى . رحم الله الشيخ عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأبنائه الأعلام وجميع المسلمين إنه مميّج محبوب وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(١) بعد مضي سبع وعشرين سنة من ولاية الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود توفي المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ فخلفه في مؤازرة الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود . ولي القيام بدعوة التوحيد ونشرها المترجم له ابنه الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(١) أصله من وادي الدواسر ونزح منها إلى عسير ونزل قرية (العرين) بفتح العين وكسر الراء . توفي بها .

حركة
إحياء
التراث
بعد توحيد
الجزيرة
الحلقة الخامسة
«كتاب التاريخ - تمة»

يقام الدكتور أحمد محمد الضبيب
عميد شؤون المكتبات بجامعة الرياض

أما الكتاب الثاني من كتب الفاسي فهو كتابه الموسوعي الضخم «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» في ثمانية أجزاء . وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٧٩ هـ . ونراى عليه ثلاثة محققين فبدأه محمد حامد الفقي ولكن الأجل وإفاه وهو يعمل في هذا الجزء . فأكماله ابنه محمد الطيب . وليس في هذا الجزء في الحقيقة جهد علمي كبير . ثم عهد إلى فؤاد السيد بتحقيق الجزء الثاني وما بعده فأخرج الجزء الثاني سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م . وقدم له بمقدمة وإفية تحدث فيها عن تطلعه منذ خمسة عشر عاما إلى تحقيق هذا الكتاب وحديثه مع الشيخ سلمان الضنيع مدير مكتبة الحرم المكي حوله . ثم مواتاة الفرصة للشيخ محمد حامد الفقي بالحصول على صورة المجلد الأول من الكتاب من نسخة العلامة ابن فهد . وهو محفوظ بمكتبة الشيخ محمد نصيف بجدة . ثم ترشح الشيخ سلمان الضنيع له بإكاله بعد وفاة الفقي ثم ذكر منهجه في التحقيق معتمدا على أصول خطية ثلاثة هي :

أ — نسخة العلامة ابن فهد (ف) .

ب — نسخة مكتبة قوله بدار الكتب المصرية رقم ٦ تاريخ (ق) .

ج — نسخة الخزانة التيمورية .

أما في الأجزاء الأخرى فقد أضاف نسخا خطية أخرى منها :

نسخة مكتبة الأزهر رقم ٧٠٩ تاريخ (ز) وتحتوى الربع الثاني من الكتاب .

ونسخة كميردج رقم ٦٨٢ (ك) .

وتختلف النسخ باختلاف الجزء المحقق ، فتارة تنقص نسخ أو تزيد أخرى أو يقتصر على بعضها دون البعض الآخر وقد صدر كل جزء بذكر المخطوطات التي اعتمد عليها فيه .

أما منهجه في التحقيق فقد ذكره في المقدمة فأشار الى أنه لم يثبت أصلا من النسخ التي بين يديه بل جعلها في مرتبة واحدة من حيث القيمة والأصالة ، فأثبت ما صح لديه في المتن من القراءات السليمة ، وأشار الى الاختلافات والتعليقات . مع الاستمانة بمصادر المؤلف الوثيقة ومؤلفات من نقل عنهم . وقد تولى ضبط الأعلام والأماكن والأنساب بالشكل أو العبارة . وعلق على النص دون توسع ، واستفاد من حواشي ابن فهد على نسخته ، كما عارض نصوص المؤلف التي نقلها عنه المتأخرون من بعده وأشار الى الاختلاف بين الأصل والنص المنقول عنه . واستمر فؤاد السيد في تحقيق الكتاب حتى أنهى الجزء السابع فانتقل الى رحمة الله وبقي الجزء الثامن والأخير ، فعهد به الى تلميذه محمود الطنجي فحقق الجزء الثامن وهو كتاب «اسم أسماء النساء والكنى» على النسق الذي كان يعمل عليه فؤاد السيد .

إن كتاب «العقد الثمين» أهم كتب التراجم التي عرفت بمشاهير قطان مكة المكرمة من

العلماء والأدباء والعطاء وغيرهم وهو موسوعة علمية كبرى تلقي الضوء على تاريخ الحياة الثقافية لهذا البلد الأمين . وهو من أحسن الكتب التي حققت وأنفقت عليها بلادنا وظهرت بالمظهر العلمي الحديث .

ومع ذلك فإن هذا الكتاب الجليل على الرغم مما بذل فيه من جهد علمي متقن فإن كنوزه لا تزال مغلقة أمام الباحث إذ أنه لم يزود بفهارس دقيقة تكشف مادته الغزيرة . لها أكثر الأعلام الذين ذكروا فيه من غير المترجمين ، وما أكثر الأماكن والمواضع والكتب والمؤلفات . ولو ألحق بفهارس تشملها جميعاً لجعل مهمة الباحث سهلة متممة بدلاً من أن يضطر إلى قراءته بأجزائه الثمانية حتى يحصل على ما يريد من معلومات .

أما تواريخ المدينة المنورة فقد مر بنا ما طبع منها في المطبعة الميرية في مكة . وفي العهد السعودي نشرت كثير من هذه التواريخ وأعيد نشر بعضها ، وأكثر طبعاتها طبعت تجارية لا نكاد نرى فيها التحقيق العلمي الحديث . ومن أبرز هذه الكتب التاريخية كتب السهمودي مؤرخ المدينة فقد تكرر طبعها . وقد طبع «وفاء الوفاء» طبعتين كان آخرها طبعة محمد سلطان النخكافي صاحب المكتبة العلمية في المدينة المنورة . وقد عهد بها إلى محمد محي الدين عبد الحميد لتحقيقها وصدرت عن مطبعة السعادة سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٥م) ، والحق الجزء الرابع منها ببنيدة عن التوسعة السعودية للمسجد النبوي . استقاها الناشر محمد سلطان النخكافي من مدير مكتب مشروع التوسعة محمد صالح القزاز . وتحقيقات الشيخ عبد الحميد رحمه الله في غير بعض كتب النحوفها نظر كبير ومن ذلك كتاب التاريخ هذا ... ومن الغنى عن الذكر أن لا تكون هذه الطبعة قد صدرت عن أصل صحيح فأكثر تحقيقات محمد محي الدين عبد الحميد مأخوذة عن طبعات قديمة .. وقد بين خطته في مقدمة هذا الكتاب فقال : «فت بضبط غرائبه ، وتفصيل عباراته بوضع علامات الترقيم المحدثه ووضع عناوين موجزة على هامش النسخة» . وهذا منهج في التحقيق قاصر يعرفه كل من عانى تحقيق كتب التراث . وبذلك لم يخرج الكتاب في الواقع عن مجال النشر التجاري .

وفي نحدت حمد الحاسر عن طبعتي «وفاء الوفاء» واحداً من هذه الطبعة فقال : «وقد طبع الكتاب في أربعة أجزاء طبعتين كثيرتي الأخطاء غير محققين مع وجود نسخ خطية منه جيدة» . وقال في موضع آخر :^(١)

«ولقد كان السهمودي رحمه الله خدم طية الطيبة بتاريخها وتخدم كتاب الفيروز آبادي بما أضافه إليه ، إلا أن مما يحزن حقاً أن مطبوعتي «وفاء الوفاء» كثيرتا التحريف والتصحيح بدرجة سيئة جداً مما يجعل على القول بأنه لا يصح الاعتماد عليها ، وقد رجعت إلى نسخة من مخطوطات القرن العاشر من الكتاب فاستعنت بها»^(٢)

والى جانب ذلك ذكر حمد الحاسر أن مطبوعة «وفاء الوفاء» قد وقع فيها اضطراب وخلل «وخاصة فيما نقله السهمودي من كلام المهجري عن الأحباء»^(٣)

وقد نشر أسعد طرابزوني جملة من تواريخ المدينة منها «عمدة الأخبار في مدينة المختار» لأحمد بن عبد الحميد العباسي «من رجال القرن العاشر الهجري» عن نسخة في مكتبة آل هاشم بالمدينة بخط ناسخه السيد جعفر هاشم، وصحح الكتاب محمد الطيب الأنصاري. ويقول حمد الجاسر عن هذا الكتاب انه «لا يعدو أن يكون تلخيصا لكتاب» خلاصة الوفاء. «وقد طبع طبع كثيرة التحريف والأخطاء»^(٥).

كما نشر أسعد طرابزوني أجزاء من «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢) وهو من أهم كتب تاريخ المدينة ويبحث في تراجم علمائها وأعيانها. وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧ م عن مطبعة السنة المحمدية في القاهرة. وقام بتصحيحه محمد حامد الفقي ونشر على نفقة حسن الشربلي، ويقول حمد الجاسر: «ان ما يؤسف الباحث أن كتاب التحفة لم يعرف منه حتى الآن نسخة دامة وإنما وصل إلينا من نسخة ناقصة مع أن الكتاب كان معروفا إلى عهد ليس بالبعيد فقد نقل عنه الموسوي في «نزعة الجليل» في ترجمة محمد بن الحنفية ونقل عنه غيره وهذه النسخة الناقصة كانت في المدينة كما يفهم من كتابات في طرحتها حوت أسماء علماء مدنيين»^(٦).

وقد صدرت منه ثلاثة أجزاء كاملة اطلعنا عليها ويقول حمد الجاسر انه صدر من الجزء الرابع الى «عياش بن سليمان» وهي الترجمة الـ ٣٣٥٦ في ١٩٢ صفحة. ويعقب على ذلك بقوله: «ويظهر أن الباقي من الكتاب يقارب الثلاثين إذ أن أكثر التراجم هم المحدثون وليس في المخطوطة منهم سوى اليسير»^(٧).

وقد قدم الجزء الأول بمقدمة لمحمد حامد الفقي وصف فيها النسخة المخطوطة وقال: «انها نسخة عادية مكتوبة بخط عادي... وذكر أن تاريخ الفراغ من نسخها سنة ٩٥٢ هـ. والمخطوطة من مخطوطات استانبول وعنها فيلم مصور بمعهد المخطوطات، ثم أعقب بقوله: «وبعد فهذا جهد المقل مع أنني تبعت فيه ما لم أتعب في غيره مما حققت وصححت من قبل»^(٨)، ثم أتبت هذه المقدمة بمقدمة أخرى للدكتور طه حسين تحدث فيها عن الكتاب ثم شكر للمحقق والناشر والمنفق على النشر. وعلى الرغم مما ذكره حامد الفقي رحمه الله من اجتياحه في تحقيقه فقد أشار حمد الجاسر الى أن «المطبوع من التحفة كثير الخطأ لأن المخطوطة سيئة الكتابة»^(٩).

ومن مطبوعات أسعد طرابزوني في تاريخ المدينة «كتاب التعريف بما آتت الهجرة من معالم دار الهجرة» للامام جمال الدين محمد بن احمد المطري (ت ٦٩٠)، وقد صدر سنة ١٣٧٢ هـ كتب على طرة الكتاب «قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ محمد بن عبد الحسن الخيال» قاضي المستعجلة بالمدينة المنورة، وفي مقدمة الكتاب نشر الناشر تقريرا للكتاب بقلم الشيخ الخيال ذكر فيه أنه اطلع على الكتاب ووجده من أحسن ما جمع في أخبار المدينة، خصوصا وقد أشار الى تغيير شيء من البدع المحدثه، و«بطلانه يظهر أن البناء على التهور محدث بعد القرون المفضلة. وقد نهينا على شيء من المواضع التي يلزم التبيين عليها

ولم نستوعب ذلك لكثرة الشواغل . فليس في الكتاب تحقيق وإنما نظر عابر واصلاح لبعض المواطن وتنبه على عقيدة السلف في بعض الأمور . ومن التجاوز أن يسمى ذلك تحقيقا ، وغير ذلك لا نجد مقدمة في توثيق النسخة ولا حديثا عن الكتاب بل لا نجد موازنة بين ما قاله هذا المؤلف ولا حديثا عن مصادره ولا شيئا مما يمكن أن يعزى الى التحقيق . وبالجملة فهي طبعة تحتاج الى اعادة طبع وتحقيق جيد . ويمكن أن يقال مثل ذلك بل أكثر من ذلك في نشر السيد أسعد الطرايزوني لكتاب « الأوائل » لأبي هلال العسكري وهي نشرة مشوهة كثيرة الهنات مغرقة في التوجيه المغلوط والقراءة الحاططة . ويطول بنا الحديث كثيرا عن هذه الطبعة لو استقصينا ههنا .

ومن كتب تاريخ المدينة المحقة كتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » للعلامة زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي ، وقد نشره محمد سلطان الفنكاني صاحب المكتبة العلمية وصححه وحققه محمد عبد الجواد الأصمعي ، وقد استوفت هذه الطبعة جميع شكليات التحقيق العلمي من حيث الحديث عن المخطوطات وإبراز صورها ، ووضع الفهارس للاعلام والأسم والقبائل والبطون وأسماء البلاد والجبال والأودية والآبار والقوافي والموضوعات حتى استغرقت الفهارس خمسين صفحة من مجموع ٢٧٣ صفحة . وقد ألحق بالكتاب ملحق عن التوسعة السعودية للمسجد النبوي الشريف بقلم الناشر .

وقد أشار حمد الجاسر في رسائل في تاريخ المدينة الى أن أبا بكر ابن الحسين بن عمر المراغي القاهري المدني (٧٢٧—٨١٦) لخص كتابي التجار والمطري وذيل عليها بكتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » . وقال : ان الكتاب طبع طبعة كثيرة الأخطاء^(١) .

ونشر حمد الجاسر مجموعة من ست رسائل في تاريخ المدينة هي :

- ١ — وصف المدينة المنورة لعلي بن موسى عن مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ١٦٤٤/٣١٦٩٠ تاريخ .
- ٢ — التحفة اللطيفة في عارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة لمؤلفها الجلالي محمد بن خضر الرومي الحنفي (ت ٩٤٨ هـ) وهي مخطوطة دير الاسكوريال .
- ٣ — الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ، للامام نور الدين علي السهودي (ت ٩١١ هـ) عن مخطوطتين احدهما في الاسكوريال ، ونسخة من مكتبة الحرم المكي عنوانها « ذروة الوفا بأخبار دار المصطفى ، رقم ١٢٢١ من كتب الشيخ عبد الستار الدهلوي . وقد اطلع عليها الناشر بعد الطبع ، وأجرى مقابلة بينها وبين ما لديه ووضع مستدركا للأخطاء .
- ٤ — كاتبة أمير المدينة ، لمجهول ، ولا يستبعد الناشر أن يكون مدون الخبر هو السهودي ، وهي رسالة ملحقة بنسخة الاسكوريال من مخطوطة « الوفا » بما يجب لحضرة المصطفى .
- ٥ — أول بناء سور للمدينة ، نبذة لمجهول يرجح الناشر أن يكون مؤلفها هو مؤلف « التحفة اللطيفة » . وهي ضمن المجموع المختوى على « الوفا » في الاسكوريال .
- ٦ — وضع الأهلة على القبة والمناثر (في الحرم المدني) ، نبذة قصيرة متصلة بالرسالة السابقة .

ولا يستبعد الناشر أن تكون ملخصة من التحفة اللطيفة .

قدم المحقق لهذه الرسائل بمقدمة ضافية تحدث فيها عن كل رسالة على حدة ذاكرا مؤلفها وعظوماتها وقد خص السيد السهمودي بترجمة واسعة وتحدث عن كتاب «الوفاء» بإسهاب . ثم أورد التوضيح مشيرا الى بعض المواضع بتعليقات مختصرة ثم أتبعها جميعا بفهارس مختبرات المقدمة ولكل رسالة على حدة . وفهرس للأعلام وآخر للمواضع ، وثالث للجاءات . ورابع للكتب .

أما تاريخ شرقي الجزيرة العربية وسطها فأهم مصادره مصدران : تاريخ حسين بن غنام أو «كتاب روضة الأفكار والأفهام لموتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام» وتاريخ الشيخ عثمان بن بشر المسمى «عنوان المجد في تاريخ نجد» وعلى الرغم من أن هذين المصدرين هما أوسع المصادر في تاريخ نجد وخاصة في وصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتاريخ السمودية . وعلى كثرة طبعاتها فاننا لا نجد للأسف بين ايدينا طبعة محققة موثقة من هذين الكتابين ، وكل ما نراه هو طبعات تجارية أو شبهات بالتجارية . ومن تلك الطبعات طبعة تاريخ ابن غنام التي صدرت بعنوان «تاريخ نجد» للشيخ الامام حسين بن غنام . حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد ، وقد قام (المحرر أو المحقق) بكتابة تاريخ ابن غنام بأسلوب غير أسلوبه . وتصرف فيه ليحارى ذوق العصر وحتى لا يكون حسيرا على القارئين وطلاب العلم لأن أسلوبه مجافى لأذواقهم وما ألفوه من أساليب الكتابة^(١) ، وتعبج أن يقول هذا الكلام استاذ من أساتذة الجامعة الذين عرفوا بالتحقيق والتحصيل وأن يميز نفسه التغير والتبديل في كتاب ليس من تأليفه وأن يحيل كتاب ابن غنام عن طريقته التقليدية البسيطة التي تميز عن محصوله العلمي والثقافي ويسته التجدية فيجرى فيه قلمه بتجريده من السجع والعبارات المكررة والحشو ، ويعد صياغة بعض جملة ، ويغير تقسيم الكتاب ، وبذلك يحيل الكتاب عن وضعه الأصلي الى كتاب آخر لابن غنام فيه الأرواح وليس الأشباح .

ومثل هذا العمل ليس تحقيقا وإنما تغيير وتبديل وهو ليس تحريرا ولكنه تحريف وإذا كان المراد من تحريره وتنقيحه وتغييره وتبديله هو بحارة روح العصر فلماذا لا يؤلف كتابا جديدا يحوى المعلومات وينسب لمؤلفه لا للمؤلف القديم . ثم ان المكتبات ملأى بالكتب التي تتحدث عن تاريخ المملكة بأسلوب حديث فلماذا لا يكتب بها بدلا من تغيير كتاب ابن غنام .

لقد نظرت في هذه الطبعة فلم أجد مبررا لوجودها ، إذ لو طبقنا هذه النظرة على كل كتب التراث لاحتجنا الى تغيير كتب كثيرة وتحريفها وتبديلها من أجل أن تساير روح العصر التي نعيشها .

ان تاريخ ابن غنام لا يزال بحاجة الى خدمة جديدة تعتمد الأصول وتقارن بين الحوادث وتجعله متاحا للقارئ بالفهرسة العلمية المتقنة ، والشروح الوافية والتعليقات المفيدة .

أما كتاب ابن بشر فقد سبق أن ذكرنا أنه طبع مختصرا في العراق سنة ١٣٢٨ هـ ، وكانت أول طبعة تامة له هي طبعة مكة سنة ١٣٢٩ هـ في المطبعة السلفية وهي طبعة من مجلدتين

اشترك في نفقتهما محمد حسين نصيف وصاحب المطبعة السلفية . وليس في هذه الطبعة أي ذكر للأصول التي اعتمد عليها الناشر ولا مقابلة عليها . وفي مقدمتها صفحة بمعاني بعض الكلمات العامية النجدية ، وأخرى في ضبط أسماء بعض المدن الواردة في الكتاب وقد ضبطت باللغة الفصحى وليس بالعربية المعاصرة المحلية فبدت غريبة مفصحة . وطبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات آخرها فيما أعلم طبعة وزارة المعارف وهي طبعة عادية تمتاز بخذف سوابق الكتاب (أي حوادث السنين التي سبقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ووضعها مستقلة في آخر الكتاب ... وليس في الكتاب جهد تحقيقي علمي فهو أيضا لا زال بحاجة الى العناية به .

ومن تواريخ نجد المختصرة تاريخ حمد بن لعبون الوائلي . وقد طبع في مطبعة أم القرى سنة ١٣٥٧ هـ ، وقد أشار حمد الجاسر الى أن هذه الطبعة طبعة ناقصة .

ونشر حمد الجاسر بعض النصوص التاريخية الحديثة نسبيا منها : « نبذة تاريخية عن نجد » . أملاها الأمير ضاري بن فهد الرشيد (ت سنة ١٣٣١ هـ) وكتبها وديع البستاني ، والحق بها مقتطفات من رسالة « القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد » ، لسليمان بن صالح الدخيل (ت ١٣٦٤ هـ) وذلك سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

كما نشر كتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان ق ٧٠٠ هـ الى ١٣٤٠ هـ ، تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى (ت ١٣٤٣ هـ) .

ومن الكتب المختصرة المحققة تحقيقا علميا في تاريخ نجد « تاريخ الشيخ أحمد المنقوره وقد حققه عبد العزيز الخويطر وطبعه سنة ١٣٩٠ هـ في الرياض وهو تاريخ مختصر جدا .

لقد استعرضنا أهم كتب التاريخ التي طبعت في المملكة (١٢) ورأينا أن كثيرا منها قد صدرت عن طبعات عادية وبعضها رديئة معرفة غير محققة ولا مراجعة على نسخ خطية الى جانب أن الوصول الى المعلومات التي فيها عسير صعب بسبب افتقارها الى الفهارس العلمية الصحيحة ، ولا نكاد نستثني من هذه المطبوعات سوى تحقيق رشدي ملخص لكتاب الأزرقى وقليل من الكتب . أما الكتب الأخرى في أخبار مكة والمدينة وعلمائها والمقيمين فيها فان أكثرها طبع طبعات تحتاج الى جهود اضافية لجعلها تصل الى مرحلة التحقيق العلمي .

ان العناية بكتب التاريخ هذه وتحقيق أصولها وخدمتها خدمة علمية من مهام الجامعات السعودية التي تملك المقدرة العلمية والمال الكافي من أجل اخراج تراث المملكة وتاريخها على أسس علمية . واننا نلجؤ أن يتاح لطلاب الدراسات العليا في الجامعات أن ينهضوا بتحقيق هذه النصوص المهمة من تواريخ الجزيرة العربية .

د . أحمد محمد الضبيب

استاذ بكلية الآداب — جامعة الرياض

- (١) بصرى نكتب . حركة احياء التراث قبل توحيد الجزيرة . الدارة . ع ١ م ١ . ربيع الأول ١٣٩٥ هـ / مارس ١٩٧٥ م ص ص ٤٤ — ٦٢ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب العقيدة والتشريع) . الدارة . ع ٤ م ٣ . صفر ١٣٩٨ هـ / يناير ١٩٧٨ م ص ص ٨ — ٢١ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب التفسير) . الدارة . ع ٣ م ٤ . شوال ١٣٩٨ هـ / سبتمبر ١٩٧٨ م ص ص ٨ — ١٤ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» . الدارة . العدد السابق لهذا العدد .
- (٢) الفيروزآبادي . المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) . تحقيق حمد الجاسر . دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر سنة ١٣٨٩ هـ ص . ك .
- (٣) نفس المصدر ص . ق .
- (٤) حمد الجاسر . رسائل من تاريخ المدينة . الرياض . دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر . ١٣٩٢ هـ ص ٣٨ .
- (٥) الفيروزآبادي . المغانم المطابة في معالم طابة . تحقيق حمد الجاسر . الرياض . دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر . ١٣٨٩ هـ . ص . ك .
- (٦) حمد الجاسر . رسائل في تاريخ المدينة . ص ٣٧ .
- (٧) نفس الموضوع .
- (٨) مقدمة الكتاب .
- (٩) رسائل في تاريخ المدينة . ص ٣٨ .
- (١٠) حمد الجاسر . رسائل في تاريخ المدينة . ص ٤١ .
- (١١) ص ٦ .
- (١٢) لقد أوردنا جميع الكتاب في قسم «البيبلوجرافيا» من هذه الدراسة .

المناطى الجزيرة

في

المملكة العربية السعودية

بمقام :
الشيخ / عبد الله بن محمد بن خميس

تشكل طبيعة الجزيرة العربية ميولاً تدريجياً من الغرب الى الشرق ، فيها عدا منحدرات جبال (السروات) الغربية .. فان مجاري سيوطها تشكل أودية كبيرة تتجمع فيها هذه السيول ، فتعبر منطقة (تهامة) وماساتها شمالاً ، حتى تصب في البحر الأحمر .. وهذه تشكل شقيقة من رقعة المملكة العربية السعودية مستطيلة من الشمال الى الجنوب ، أي من الحدود (الأردنية) شمالاً الى الحدود (اليمنية) جنوباً ، بما يزيد طوله عن ألفي ميل ، وبما يشكل معدلاً عرضه خمسون ميلاً .. وهذه المنطقة تعتبر أخصب المناطق الزراعية ، وأوسعها رقعة ، وأكثرها ماء ، وأصلحها زراعة .. وسوف نعود للحديث عنها ضمن بحثنا هذا .

وتأخذ سلاسل جبلية ورملية في الامتداد من الشمال الى الجنوب يستوعب بعضها عرض المملكة العربية السعودية . ويتعرض بعضها بما يقل طوله ويكثر بحسب امتداده ، فتكون هذه السلاسل الجبلية والرملية بمثابة حواجز طبيعية تتلقف سيول سلسلة الجبال التي فوقها ، حسب تكوين طبيعة الجزيرة .. وكل سلسلة تطلق منها عشرات الأودية مشرقة ، فتجد السلسلة التي تحتمل تتلقفها لتتجزئ سيولها . وهكذا .. ويكون من أحضان هذه السلاسل الجبلية أو الرملية مستقرات مياه تكبر وتضجر ، وتقل وتكثر بحسب ما يفرغ بها من الأودية ، وما تتلقفه من وفرة السيول لتشكّل في باطن الأرض غزونا مائيا ، وعلى سطحها تربة خصبة تغمرها مياه السيول ، وتحمل اليها حميلا من التربة الخصبة ، وتبها مناخا زراعيا صالحا بقدر ما يتكاثر فيها من السيول .. وهذه الظاهرة تشكل بالنسبة للمملكة العربية السعودية ثلثيا تقريبا ، أي من سلسلة جبال (السروات) غربا الى رمل (الدهناء) شرقا ، ومن الحدود (الأردنية) وبعض الحدود (العراقية) شمالا الى الحدود (البحرينية) جنوبا .. أما ما تحت (الدهناء) شرقا الى (الخليج العربي) ، وعلى طول الامتداد الذي أسلفنا من الشمال الى الجنوب ، أي ما يشمل : (الصفاء) و(الصلب) و(الحثائف) و(الفروق) و(الغوار) و(الجوف) — جوف الخط — وجبل أرض المنطقة الشرقية .. فتختلف طبيعة أرضه عما فوقها ، فتكوينها يشكل رياضاً وخبارى وجواء ومنخفضات ومرتفعات و(جندليات) و(خقوشا) و(خبوتا) .. كلها تتلقف ما يسيل حولها من سيول ، ولا تقوم فيها أودية ذات بال مهاكرا الغيث وسخت السماء بمائها — باذن الله — فهو يبقى غزونا على سطحها فترة ، ثم يتلقفه جوفها أبدا الدهر .

ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أن هذه المنطقة أي المنطقة الشرقية تضم غزونا من الماء الجوفي عظيماً ، ولا شك أنه بسبب تكوين أرضها ، وحفظها لما تتلقفه من ماء السماء ، سواء ما ينزل عليها مباشرة ، أو ما يتحدّر نحوها مما تضمه السلاسل التي فوقها .

ولذا .. فإن هذه المنطقة بما فيها من : رياض ، وجواء ، ومناطق شاسعة واسعة ، وبما فيها من وفرة الماء المعزون ، وبما عرف عنها من الخصب والنفاء وطيب المرحى وصلاحية المناخ ، وخصوصا غربيا .. فاني أرشحها لمستقبل زراعي لم تعرف منه بعد قليلا ولا كثيرا .

ولنعد للحديث عن سلاسل جبال (العالية) ، ووسط المملكة ، وسلاسل راملا :

١ — من أكبر هذه السلاسل وأطولها ، وأهمها ، وأكثرها سكانا ، وأجودها مناخاً ، وأخصبها .. سلسلة جبال (السروات) ؛ هذه تبدأ بالنسبة لمملكتنا من حدودنا مع (البحرين) جنوباً ، الى حدودنا مع (الأردن) شمالاً .. أي بما تريد مسافته عن آلي ميل في عرض يتراوح بين أربعين الى خمسين ميلا .. ومعظم هذه السلسلة أخضر مغطى بأشجار الزيتون ، والقرض ، والطلح ، والسمر ، والسلم ، والمرخ ، والصنوبر .. الى جانب الأشجار البستانية الكثيرة المنتشرة في تضاعيف هذه السلسلة الجبلية العظيمة .

وتضم من المناطق : منطقة (نجران) ، ومنطقة (عسير) ، ومنطقة (الباحة) ، ومنطقة (مكة المكرمة) بما فيها منطقة (الطائف) ، ومنطقة (المدينة المنورة) ، ومنطقة

(تبوك) ..

وينحدر منها مشرقاً أودية كثيرة ، من أهمها وأكبرها ما يلي :

أ — وادي (نجران) : وهو من أكبر الأودية وأعظمها ، وينتظم جل منطقة (نجران) وينتهي بمقائض ومرايخ ومنخرقات واسعة ، كلها لا ترال يوراً .

ومنطقة (نجران) تعتبر من المناطق الزراعية الهامة سعة ، وخصوبة ، وكثرة ماء .

ويقام الآن فوق مدينة (نجران) من هذا الوادي سد ضخيم جداً ، يختزن كميات من المياه هائلة ، بما يؤمل أن يجعل من هذه المنطقة منطقة زراعية نموذجية مهمة جداً .

ب — وادي (تليلث) : وهذا الوادي يضم مجموعة من الأودية كثيرة ، تنحدر من (سراة عبيدة) وما حولها شمالاً وجنوباً ، وينتظم جل بلاد (قحطان) من : بلاد ، وقرى ، ومزارع .. ويذهب مشرقاً حتى يفضى الى بلاد (تليلث) — البلد المسمى به هذا الوادي — فيجتازها ، ويذهب مشرقاً بميل قليل نحو الشمال ، ويتعرض في مسيله الى رمال ومرايخ وخطائل وعفاج .. فتوقفه ، إلا ما كان من مرة مضى على تاريخها نحو من خمسين سنة ، فانه قد أخذ يجراه الطبيعي القديم ، فاجتاح ما كان أمامه من منطقة وادي (الدواس) ، ثم أخذ يجراه الى منطقة (السليل) ، ثم أخذ يجراه الى حصن (الربع الخالي) .

واذن .. فهذا الوادي يقبل من قمة جبال (السروات) ، فينتظم بلاد (قحطان) ، ماراً بـ (تليلث) ، فوادي (الدواس) ، فـ (السليل) ، فـ (الربع الخالي) .. ولكثرة ما يسيل هذا الوادي صيفاً وشتاءً وريبعاً وغريفاً فان جوفه يشمل محزوناً من الماء منذ أن يصحر الى أن يصل جانب (الربع الخالي) ، أثبتت الدراسات والواقع العصري أنها ثروة مالية هائلة .

واذن .. فنستطيع أن نقول أن حوض هذا الوادي يضم ثلاث مناطق زراعية لا يستهان بها ، هي : منطقة (تليلث) ، ومنطقة وادي (الدواس) ، ومنطقة (السليل) .. وكلها لا يشكل المزروع منها الآن نسبة تذكر ، وتنتظر مستقبلًا زراعيًا يستغل ما بها من خيرات ويتوأم واقعها بالخصب الرحب .

ج — وادي (بيشة) : يتكون هذا الوادي — أول ما يتكون — من قمة (السراة) في (عسير) وما جاورها شمالاً ، وتقابل روافده فتجتمع تحت وادي (ابن هشبل) تحت (خميس مشيط) ، ويذهب متجهاً نحو الشمال الشرقي ، وتمده بعدئذ أودية أخرى : كـ (تبالة) و (ترج) وغيرها ، حتى يفضى الى (بيشة) فينتظمها كلها ، ومنها يفضى الى مستقره منطقة (رغوة) ، خميلة ممتدة أشبه ما

تكون بـ (الروضة) ، يحجزها من الشرق امتداد جبال (هضبة آل زايد) ؛ كجبل (جسخوخ) وما حوله ، كما يحجزها رمال متراكمة تقع بينها وبين منطقة وادي (الدواسر) ، ويستقر سيل هذا الوادي هنالك في منطقة ممتدة رجة ، يجعل هذا الوادي إليها حميله ، منذ مئات السنين لم تمتد إليها يد مزارع بعد . وهو يمر بـ (بيشة) مروراً عابراً ، وفالديتها منه) — غير ما يستقر من مائه في الأرض — قليلة .

وتعتبر منطقة (بيشة) من المناطق الزراعية الهامة ، غير أنها لم تستغل بعد إلا استغلالاً بدائياً ضعيفاً .

د — وادي (بيشة) من الناحية الشمالية من أودية جبال (السروات) المنحدرة شرقاً ، وادياً (رنية) و (تربة) .. واديان متوازيان كبيران ، ينحدران من قمة جبال (السروات) ، ويقبلان مشرقين فيفضيان الى سهل منبسطة ، يقطعان بعده (حرة الشلاوي) و (البقوم) ، ويشق الجنوبي منها جبل (الكور) مستظلاً (رنية) ، ويتنظم الشمالي بلاد (تربة) ومنها بلاد (الخربة) ، لم ينتهيان معاً في سهب ممتدة من الشمال الى الجنوب كأنها ساقية يحجزها من الشرق رمال (نفوذ سبيع) ، وتستقران هنالك على سمت منطقة (رغوة) مستودع مياه وادي (بيشة) .

ولا تزال مستقرات وادي (رنية) و (تربة) قفراً ، لم تمتد إليها يد لاس .

هـ — أودية منطقة الطائف : ومن أهمها (ثمالة) و (لية) و (وج) .. وكلها تنظم مزارع منطقة (الطائف) ، وتفضى الى منطقة (ركبة) ، فتبتلعها سهولها وسهولها .

و — بعد أودية (الطائف) شمالاً .. وادي (الحقيق) (عشيرة) ، وأودية (حرة بني سليم) وما حولها ، وتستقر في أحضان جبال (عالية نجد) ورمالها .

ز — وادي (الرملة) : أكبر واد ينحدر من جبال (السروات) ، وتمده أودية كثيرة منها ، وتتجمع فيه هذه الروافد غرب (القصيم) ، فيستظم منطقة (القصيم) ، وتقف رمال (الصريف) وما حولها حاجزاً أمامه فيستقر هنالك .. وكان قبل يشق هذه الرمال ، ويعددها رمل (للظهور) و (الثويرات) ف (الدهناء) ، ويأخذ مع (الاجردى) فوادي (الباطن) ، ويفرغ في (الخليج العربي) تحت (البصرة) .. أما الآن فقد قهرته الرمال ، ولا يعلم إلا الله متى يقتحمها ويعود الى مجراه القديم .

وتتبع منطقة (القصيم) في حوض هذا الوادي ، وحوله ، وتشكل منطقة زراعية هامة هي من أبرز مناطق المملكة الزراعية حيوية ونشاطاً .. وهذا يرجع — ولا شك — الى الكثافة السكانية في منطقة (القصيم) من ناحية ، والروح الزراعية الموجودة لدى أهلها من ناحية أخرى . والدسامة المادية لدى أهل المنطقة من ناحية ثالثة .. ومع ذلك فالزراعة في (القصيم) لا تزال تقتصر الى مزيد من عناية ورعاية .

ح — منطقنا (تهامه) و (تبوك) : تعدهما جبال (السروات) بروافد تنحدر عليها مشرقاً ، وتقضى الى مستقرات ومنحرفات غنية جداً بالمياه الجوفية .. ففي (تبوك) اذا اخترقت طبقة من الأرض معينة اندفعت المياه تبارة عذبة ، وتشكل المنطقة امتداداً رطباً ، كله صالح للزراعة والاستغلال .

ولقد صرفنا النظر هنا عن منطقة (المدينة المنورة) الزراعية ، لأن أوديتها تذهب مغربة ضمن المنطقة الغربية لجبال (السروات) ، وإلا فهي منطقة زراعية جيدة .

ما تقدم هي الأودية التي تسيل من جبال (السروات) مشرقاً ، وتقضى الى المناطق الزراعية آفة الذكر ؛ أي منطقة (نجران) ، ومنطقة (تليث) ، ومنطقة (وادي الدواسر) ، ومنطقة (السليل) ، ومنطقة (بيشة) و (رنية) و (تربة) و (الخرمة) ، ومنطقة (الطائف) ، ومنطقة (القصيم) ، ومنطقة (تهامه) و (تبوك) ... أما ما يسيل من سلسلة جبال (السروات) مغرباً ، فهي أودية عظيمة وكثيرة وخصبة وشجرة متينة ، وتدفع الى سهول (تهامة) الزراعية الغنية ، المدعوة لدى علماء الجغرافيا المحدثين بـ (سلة الخبز) .. ولنقسم هذا الساحل التهامي الى قسمين بالنسبة لبلادنا : فـ (تهامة) الجنوبية تبدأ من حدودنا مع (اليمن) جنوباً الى مدينة (جدة) شمالاً ، و (تهامة) الشمالية تبدأ من (جدة) جنوباً وتنتهي بحدودنا مع (الأردن) شمالاً .

ويصل على (تهامة) الجنوبية من أودية (السروات) أودية كثيرة كما قلنا ، من أهمها : وادي (بيش) ، ووادي (صبيا) ، ووادي (ريم) ، ووادي (تعشر) ، ووادي (عتود) ، ووادي (بيض) ، ووادي (لية) ، ووادي (القنفذة) ، ووادي (الليث) ، ووادي (مر الظهران) بروافده العظيمة ، ومن أهمها نخلتان (البحانية) و (الشامية) .

فـ (تهامة) الجنوبية هذه تعتبر هي المنطقة الزراعية الأولى بالنسبة لمناطق المملكة الزراعية ، فالى جانب سعة رقعتها ، وخصبها ، وجودة زراعتها ، وكثير انتاجها .. فهي أيضاً مصب لمعشرات الأودية التي تنحدر عليها من جبال (السروات) صيفاً وشتاءً وريبعاً وخريفاً .. ولكنها الآن تكاد تكون معطلة ،

فحشرت الأودية هذه تمر (تهامة) مرا سريعاً ، وتذهب الى البحر ما عدا وادي (جيزان) ، الذي أقيم عليه سد خزن هذا العام من السيول ما يقرب من سبعين مليون من الأمتار ، ولكن بطء السير في مشروع استغلاله الذي يجو حبوا جعله لم يحقق بعد ، ما أريد له ومنه .

أما بقية الأودية فشأنها ما ذكرنا .. وبالجملة فهذه المنطقة الزراعية ، التي اعتبرها الأولى في مناطقنا الزراعية لا تزال كلها غامرة .. وعسى أن يأذن الله لها بالحياة .

أما المنطقة الزراعية الثانية من (تهامة) ، فهي ما بين (جدة) جنوباً الى حدود (الأردن) شمالاً ، ويبلغ طولها ما يقرب من ألف وخمسمائة كيل ، في معدل عرض خمسين كيلاً .. ويلغ فيها أيضاً عشرات الأودية ، التي تنحدر من جبال (السروات) مغربة .. ومن أهمها : وادي (خليص) ، ووادي (رايخ) ، ووادي (بدر) ، ووادي (الصفراء) ، ووادي (الحمض) ، وأودية (ضبا) و(الوجه) ، وجبال (شار) و(اللز) ، وغربي (تبوك) .

هذه المنطقة غنية بأوديتها ، غنية بمياهها ، غنية بتربتها الجيدة ، واسعة جداً .. غير أنها لم تعرف الزراعة بعد ، إلا ما هنالك في منطقة (المدينة المنورة) وبدايات في ديار (بني سليم) على قلة وضعف .

أما ظهر جبال (السروات) فتقع فوقه مناطق زراعية ذات بال .. كمنطقة (عسير) الزراعية ، ومنطقة (غامد) و(زهران) الزراعية .

هذه هي سلسلة جبال (السروات) والحديث الموجز عنها .

٢ — سلسلة جبلي طيء (أجا) و(سلى) : هذه السلسلة أيضاً معترضة من الشمال الى الجنوب ، ولقد زحفت رمال (عالج) فالتحمت أو كادت بالجابب الغربي الشمالى من جبل (أجا) ، وظلت الأودية التي تقبل من (العالية) يعترضها الجانب الغربي الجنوبي من جبل (أجا) ، ويعترضها أيضاً جبل (سلى) وما حوله من جبال .. وينطلق من هذه السلسلة أيضاً أودية مشرقة تتلقفها سلسلة (رمل المظهر) ، هي : وادي (الحميمة) ، ووادي (حائل) ، ووادي (العش) ، ووادي (الحويض) ، ووادي (الترمس) .. وكل هذه تستقر في مرايخ ورياض ومغاطض في حوض (رمل المظهر) شمالي (القصيم) وشرق (حائل) .

٣ — سلسلة جبل (طريق — الهامة —) : أطول سلسلة جبلية في قلب جزيرة العرب بعد جبال (السروات) ، تبدأ من (الربع المخالي) جنوباً وتنتهي برمال (الثويرات) خلف منطقة (الزلفي) شمالاً ، أي بما تبلغ مسافته ما يزيد على ألف كيل طولاً ، في عرض يتراوح بين خمسة وعشرين الى ثلاثين كيلاً .

وحسب تكوين الجزيرة العربية — كما قلنا — فإن هذا الجبل ينحدر منه مشرقاً ما يزيد على أربعين وادياً ، كلها تمر وتنتهي بمناطق زراعية هامة ، ومن أهم هذه المناطق :

أ — منطقة (الأفلاج) : وهي منطقة زراعية هامة ، تحييء في الدرجة الثانية بعد منطقة (تهامة) الجنوبية .. وفيها بحيرات ساجية ، وعيون جارية ، ولها ماض تاريخي عظيم تحدث عنه كتب التاريخ والجغرافيا ، وأفاضت فيها له من أثر وخطر في قلب جزيرة العرب ، وما به من مدن وحصون وقلاع وتجارة وزراعة ومقامات كريمة .. هذه المنطقة تحدها (الدهناء) من الشرق ، ومنطقة (الخرج) و(الفرع) من الشمال ، و(الربع الخالي) من الجنوب ، و(جبل طويق) — جبل الإمامة — من الغرب .. ويدفع فيها من أودية (طويق) الكبيرة الشهيرة سبعة أودية ، هي من الشمال إلى الجنوب : (النيل) ، و(شطاب) ، و(الحصن) ، و(الهدار) ، و(العجيلية) ، و(الضبيعية) ، و(حجام) .

وكل هذه الأودية منذ تبدأ من قمة (طويق) حتى تنفرغ في مصباتها وهي تمر بقرى ومزارع جلها غامر ، وتمر بمساحات زراعية واسعة لكنها بور .

وتمتد هذه الأودية السبعة رياض واسعة ومستقرات مياه ونخائل ، كلها مما هو في الدرجة الأولى من أرض الزراعة ، هي : منطقة (المقرن) ، ومنطقة (البياض) ، ومنطقة (هريس) سهوب مترامية الأطراف ، تبلغ مسافتها من منطقة (الخرج) شمالاً إلى منطقة (الربع الخالي) جنوباً حوالي خمسمائة كيل ، ومن منطقة (الدهناء) شرقاً إلى قمة جبل (طويق) ما يقرب من مائتين وخمسين كيلاً ، ولا يبلغ المعمور زراعياً من هذه المنطقة أكثر من واحد بالمائة .. أما بحيراتها فلا يدرك لها قعر .. وأما مياهها الجوفية فلا اعتقد أن بجزيرة العرب ما يضاهيها كثرة واتساعاً .. وأما جوها فهو معتدل شتاء ، ويميل إلى الحرارة صيفاً .. وتمتاز هذه المنطقة بمجودة المراعي ونمو الماشية بشكل ملحوظ .. وأما ثمرها فقد تحدث عنه المؤرخون مادحين بما لا يتسع المجال لإبراده هنا .

ب — منطقة (الخرج) : تلي منطقة (الأفلاج) من الناحية الشمالية ، وهي من المناطق الزراعية المشهورة في جزيرة العرب بما تحدث عنه التاريخ وبما كانت تمون به الحجاز منذ العصر الجاهلي ، وكانت (الإمامة) تهدد الحجاز بقطع الميرة من (الخرج) إذا اختلفت معها .

هذه المنطقة من مناطق (المعارض) الزراعية ، يبعد قلبها عن (الرياض) أربعة وعشرين كيلاً نحو الجنوب الشرقي ، وتحدها شمالاً منطقة (الرياض) ومنطقة (الرمة) و(الفر) ، ومن الغرب جبل (طويق) ، ومن الجنوب منطقة

(الأفلاج) وبها عين راکدة لا يدرک لما قعر ، وهي من أكثر المناطق الزراعية الجنوبية حركة ونمو ، فيها نخيل كثيرة وبساتين وبث وحرث .

ويصب فيها من الأودية الكبيرة عشرة أودية ، سبعة تتحدّر إليها من جبل (طويق) وهي : وادي (حنيفة) يجمع روافده ، ووادي (نساح) ، ووادي (العین) ، ووادي (ماوان) ، ووادي (أبيلان) ، ووادي (الفرع) (نعام) و(برک) ، ووادي (العقیمی) وفيه يصب وادي (برک) .

أما الثلاثة الأخرى : فوادي (الثلياء) ويصب فيها من قبل جبل (الدام) ، ووادي (الحنية) ويصب فيها من قبل جبل (خزير) ، ووادي (الزاني) ويصب فيها من قبل (العمة) الجنوبية .

وبها من الرياض . روضة (التوضيحية) وروضة (البجادية) وروضة (السهباء) .

ج — منطقة (الرياض) : تلي منطقة (الخروج) من الشمال ، وهي حيث تتجمع عدة أودية وتصب في وادي (حنيفة) ، وتشكل منطقة زراعية جلها عامر بالنخيل والبساتين والمزارع .. ويصب بها من الأودية روافد وادي (حنيفة) الغربية الشمالية ، وتتجمع سيول هذه الأودية — أول ما تتجمع — في سد بني فوق (الدرعية) ، وبعد أن تفيض يتلقفها سد بني فوق (الرياض) ، وبعد أن تفيض يتلقفها سد بني فوق (الحائل) .. إلى جانب سدود فرعية ، أحدها بوادي (الحريقة) ، والثاني بوادي (غبراء) ، والثالث بوادي (صفار) ، والرابع بوادي (لبن) ، والخامس بوادي (نمار) .. وهي من أصغر المناطق الزراعية ، إلا أنها عامرة نوعاً ما

د — منطقة (الشعيب) و(المحمل) : هذه المنطقة داخل جبل (طويق) ، شمالي منطقة (الرياض) ، في لحزوم من الأرض ، تمتد فيه عدة أودية تسيل مشرقة ، وهي : وادي (خريملاء) — قرآن قديماً — ، ووادي (حليقة) — كترة قديماً — ، ووادي (صليبخ) — وتر قديماً — ، ووادي (المخسر) ، ووادي (دقلة) ، ووادي (الحسي) ، ووادي (الصفرات) ، ووادي (البير) ، ووادي (العتك) الأعلى ، ووادي (عيزان) .. فيها عدا الخمسة الأخيرة من هذه الأودية فإنها إذا خرجت من الجبل تذهب مشرقة وتصب في رياض (الخنس) ، رياض رحبة خصبة جميلة ، وقد أقيمت مرتعاً ومنتزهاً لأهل المناطق التي تليها ، مع ما يليها من الرياض كروضة (ملهم) ، وروضة (أبي عويشرة) .

أما خمسة الأودية الأخيرة .. فتنصب في متسع من الأرض به رياض وقریان وسهوب ، تسمى (المتيبة) ، لا تزال قفراً من الزراعة .

ومنطقة (المحمل) و(الشعيب) من أقل المناطق الزراعية شأناً .

هـ — منطقة (سدير) : تقع شمال منطقة (الشعيب) و(المحمل) ، وجعلها يقع داخل جبل (طويق) ، وهي واقعة بينه وبين سلسلة جبلية أخرى ، هي سلسلة جبل (بجزل) .. أو نستطيع أن نقول : أن سلسلة (بجزل) تتوسط منطقة (سدير) ، وهذه المنطقة واسعة ، ويصب فيها من الأودية الكبيرة التي تنحدر من (طويق) : وادي (الفقى) ، ووادي (المياه) ، ووادي (جوى) ، ووادي (المشقر) .. وتلحق بها وادي (مرخ) زراعياً .

هذه الأودية بعد أن تنتظم مدن وقرى (سدير) يصب الأولان منها في سهل (الملتبة) ، والثالث والرابع مجتمعان ويخترقان جبل (بجزل) ، ويصبان في (البطن) ، والأخير يصب في روضة (السيلة) .

أما الأودية التي تنحدر من سلسلة جبل (بجزل) مشرقة .. فكثيرة ، منها : (الأمغر) ، و(بقر) ، و(جرب) ، و(السحيمي) ، و(الارطاوية) ، و(الاصوف) ، و(منخفض ممتد من الشمال الى الجنوب ، كله رياض ومستقرات مياه وأرض خصبة جميلة زراعية من الدرجة الأولى ، يدعى (البطن) — تصغير بطن — وهو لم تمتد اليه بعد يد حارث ، يبلغ طوله ما يقرب من مائة وخمسين كيلا ، ومتوسط عرضه ما بين الخمسة والعشرين الى الثلاثين كيلا ، لكنه من المناطق الزراعية الممتازة .

هذه هي الأودية والمناطق الزراعية الواقعة بوجه سلسلة جبل (طويق) الشرقية .
أما ما هو واقع في وجهه الغربي .. فبطن ممتد على نحو ما وصفناه من (بطين) بجزل رياض وقرى ومستقرات مياه وأرض صالحة خصبة جيدة على طول امتداد جبل (طويق) ، يسمى الشمالي من هذا البطن بـ (قرقرى) قديماً ، ويبلغ طوله نحو من ثلاثمائة كيل في عرض عشرين الى خمسة عشر كيلا .. وأما الجنوبي منه فيدعى (الساقية) وهو يشبه القسم الشمالي ، إلا أنه أقل منه قيمة زراعية ، ويبلغ طوله حوالي سبعائة كيل ، ويسيل على هذا البطن شالية وجنوبية شعاب جبل (طويق) الغربية ، وبعض الشعاب التي تأتيه من الغرب .

٤ — سلسلة رمل (الزغام) (عريق البلدان) : هذا رمل يقبل من رمال (الثويرات) شمالاً ، ويذهب مجبناً حتى يقف عند نهاية منطقة (الوشم) من الجنوب ، وتقع منطقة (الوشم) الزراعية غربه بينه وبين (صفراء الوشم) ، وتقبل أودية (صفراء الوشم) مشرقة ، فتنتظم بلدان (الوشم) وقراه ، ثم تستقر في حوض هذا الرمل من الغرب ، فتشكل رياضاً وقرىانا وسهوباً ومرايح صالحة للزراعة جداً ، طيبة للمرعى وفيرة النبات .

وأشهر أودية هذه الصفراء هي : (المنحني) ، (الريمية) ، (العنبري) ، (المسمى) ، (الأواعر ، وادي (أثيفية) ، (الرعن) ، (كافت) (التخيل) ، (أبو

خشبية) .

٥ — وشباهه منطقة (الوشم) الزراعية منطقة (الس) الزراعية .. فهي واقعة بين (نفود (الس) شرقاً ، وبين (صفراء (الس) غرباً ، ويحدها (القصيم) شمالاً ، وطريق (الحجاز) جنوباً .. وهي منطقة واسعة ، وكثيرة الرياض والقريان ومستقرات المياه ، وأوديتها تأتينا من (صفراء (الس) مشرقاً ، ومن (التسري) و (القرنة) جنوباً بميل الى الغرب .

ومنطقة (الس) الزراعية منطقة مهمة ، ولها مستقبل زراعي جيد ، وبها الآن حركة زراعية .

ويقع خلف (صفراء (الس) من الغرب حوض تستقر فيه سيول وادي (الرشا) — التسري قديماً — وما حولها من الأودية ، هذا الحوض يقال له : (الخرم) و (خريمان) ، وفوقه منطقة (عتر) أمكنة زراعية جيدة .

٦ — منطقة (العرض) : هذه المنطقة قاعدتها (القروعية) ، وبها أودية كثيرة ورياض وسهول زراعية ، لكن جلها لا يزال غامراً .

٧ — منطقة (الفرع) الزراعية : (الحولة) ، و (الحريق) ، و (نعام) ، و (الحولة) .

تقع في ثلاثة أودية عظيمة من جبل (طويق) ، هي : وادي (نعام) ، ووادي (بريك) ، ووادي (برك) .. منطقة زراعية ، أهلها أشداء ، وهم نشاط زراعي ملحوظ .

٨ — منطقة (الجوف) الزراعية : شمالي المملكة ، في منخرق وادي (السرхан) ، مياهها تبارة ، وأرضها طيبة ، وإنتاجها وفير ، وزراعتها نشطة ، ومستقبلها جيد .

٩ — سلسلة جبل (العرمة) : سلسلة جبلية طويلة تمتد من الشمال من محاذاة رمال (النويرات) و (السيارات) ، وتأتي بجنبه حتى محاذاة أسفل (الخرج) عند (التوضيحية) ، أي بما تقدر مساحته بخمسمائة كيل .

وتتحد من هذه السلسلة أودية كثيرة ، وتستقر في حفن (الدناء) في رياض هي من أبدع وأمنع ما ضمته جزيرة العرب من رياض ذات شأن كبير .

ومن أهم أودية (العرمة) التي تدفع في هذه الرياض : وادي (العصل) ، ووادي (الشوكي) ، ووادي (الطيري) ، ووادي (الطوقي) ، ووادي (الثمامة) ، ووادي (المسعودي) ، ووادي (أثيلان) ، ووادي (الجاني) ، ووادي (سعد) ، ووادي (الحلال) ، ووادي (عشيران) .. والخ .

ولا تزال منطقة (العرمة) الزراعية الجيدة معطلة من الزراعة كلياً ، لم تمتد بعد إليها يد مزارع .

• • •

هذه هي مناطق المملكة الزراعية أعطينا عنها المامات موجزة ، وهي تحتاج الى دراسة جغرافية طبيعية شاملة مستوعبة نطلعنا على حقيقة بلادنا ، ونوقف وزارة زراعتنا على هذه الحقيقة التي لا تزال مجهولة أو مجهول أكثرها بالنسبة لها .. فكل ذلك نحتاج الى دراسة فنية عميقة بالنسبة لتربتها ، وبالنسبة لمناخها ، وبالنسبة لمياهها ، وبالنسبة لتنوعية مزارعها ، وبالنسبة لطرقها وصلتها بمناطق التصريف والتسويق .

والله الهادي الى سبيل الرشاد ،

عبدالله بن خميس

مؤلف
(البلاد العربية السعودية ١٩٠-١٩٧٢م)

بقلم: الدكتور منصور إبراهيم الخازمي

تمهيد :

لا تزال الرحلة ، حتى في عصرنا هذا — عصر الطائرات والصواريخ — مصدر متعة وعلم وثقافة ، وإن فقدت ذلك البريق الذي كان يحوطها في الماضي ، وانفردت الى عنصر الخيال والمغامرة ، حينما كان العالم متباعدا مجهولا ، ووسيلة الانتقال بدائية محدودة . ولكن الانسان رحال بطبيعته ، ترواق أبدا الى المعرفة واكتشاف المجهول . فإن لم تيسر له اسباب الرحلة ، أنصت الى الذين أوتوا الحظ في المشاهدة والتجوال . وليس من رأي كمن سمع .

وتراث الأمم حافل بالرحلات ، أبقى الزمن على بعضها ، فوصلتنا مدونة نقرأها ونلتذ بها ، ونرى فيها صورا صادقة لحياة الانسان القديم ، وصفحات من جهاده وأخلاقه ومعتقداته . هكذا رأينا العالم القديم من خلال ما دونه هيرودوت ، في تاريخه الشهير ، عن مشاهداته في مصر وقبرص وفينيقيا وآشور وإيران ، وما سجله بلوتارك ويوليوس قيصر وتاسيت وبطليموس ، من وصف الأصقاع والمواقع وأخبار الأمم والشعوب .

أما العرب فقد بزوا الأمم التي سبقتهم فيما خلفوه من آثار في ميدان الرحلات . ساعدتهم على ذلك اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وازدهار في التجارة والزراعة ، وتقدم في الحياة العلمية والثقافية ؛ هذا الى جانب عامل مهم آخر وهو العامل الديني ، الذي يقضي بشد الرجال الى الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة البقاع المقدسة . والمكتبة العربية تزخر بعشرات الرحلات المطبوعة والمخطوطة التي تؤكد اهتمام العرب الأوائل بهذا اللون الطريف من الكتابة ، وتدل على حيوية ونشاط فائقين^(١) .

ومع أهمية الرحلة وخطورتها وغناها في التراث العربي والإسلامي ، فإنها لم تحظ بالاهتمام الكافي من جانب النقاد والباحثين المحدثين . وقد نبه الى ذلك مرارا الأستاذ حمد الجاسر في مجلته : « العرب » ؛ ووجه الأنظار ، بما كان ينشره من نصوص ودراسات ، الى أهمية الرحلة في الكشف عن حلقات تكاد تكون مفقودة مبهمة في تاريخ الجزيرة العربية^(٢) .

وللدكتور شوقي ضيف كتيب عن الرحلات ، لخص فيه أهميات الرحلات العربية ، مثل ابن جبير وابن بطوطة والمقدسي . وقد صنع صنيعه الأستاذ جورج غريب في كتابه : « أدب الرحلة » ؛ غير أنه أقر أمين الريحاني بالجزء الأعظم من الصفحات . وكذلك فعل الدكتور

حسني محمود حسين في كتيبه : «أدب الرحلة عند العرب» ، الذي نشر في سلسلة المكتبة الثقافية المصرية ، فقد اكتفى بالحديث عن ابن جبير وابن بطوطة ، وأضاف اليها ابن خلدون ورفاعة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق^(٢) .

ولا شك أن هذه الجهود قيمتها ، ولكنها لا تكفي ، ومعظمها لا يتجاوز منهجها التعريف أو التلخيص والعرض ، ولا تتكافأ مع ذلك الانتاج الضخم الذي خلفته العقلية العربية طوال القرون الماضية . ولعل أعظم كتاب اطلعت عليه في هذا الميدان هو كتاب المستشرق الروسي المعروف كراتشكوفسكي : «تاريخ الأدب الجغرافي» . إذ أنفق في جمع مادته وتأليفه سنوات طويلة . ويتبع فيه الرحلات العربية منذ بدايتها حتى القرن الثامن عشر الميلادي . ويتميز منهجه بالدقة العلمية ، سواء في إحاطته بمادة موضوعه ، أو في طريقة عرضه لها ومناقشتها وتحليلها . على أن كراتشكوفسكي لا يعني بكلمة «أدب» ، التي جاءت في عنوان كتابه ، المصطلح التقدي لهذه الكلمة ، بل يعني بها مدلولها العام . ويتسع هذا المدلول لتراث الأمة في جميع جوانبه الإبداعية وغيرها . ويدل هنا على كل ما أنتجته العقلية العربية والإسلامية في أدب الرحلات الجغرافية بصورة خاصة .

والرحلة ميدان واسع يتنافس فيه التاريخ والأدب ، وربما فنون وعلوم كثيرة أخرى لا تدخل تحت حصر . ولكنها في بعض أشكالها فن أدبي خالص ، أو أقرب إلى الفن الأدبي .

وكنيت أبحاث عن تحديد لأدب الرحلة ، بمعناه الضيق ، فلم أجده ، فيما اطلعت عليه ، ما يشفي الغلة . ولعل العرب ، وقد خلفوا لنا هذا التراث العظيم من كتب الرحلات ، لم يفكروا في إلحاقها بدائرة الأدب الخالص ، ومن ثم لم يعنوا بوضع القواعد لها ، كما فعلوا في فنون القول الأخرى ، من شعر وخطب ورسائل . وهم كذلك قد أهملوا فن القصة على الرغم من اعترافهم بفن المقامة ، وعلى كثرة ما خلقوه من تراث قصصي .

وربما كان للقدماء العذر في اغضائهم عن الرحلة ، وعدم اعترافهم بها كفن أدبي — فالرحلة ، كما ذكرت ، مزيج من فنون شتى ، وتختلف باختلاف كتابها وأغراضهم منها . فرحلة ابن جبير ، على سبيل المثال ، كتبت في شكل مذكرات يومية ، تروي ما شاهده المؤلف في طريقه إلى الأراضي المقدسة ، لأداء فريضة الحج ، وعودته منها^(٣) . بينما اهتم ابن الجحاور ، في كتابه : «تاريخ المستبصر» ، بما رآه في جنوبي الجزيرة العربية والحجاز الأوسط من المظاهر الشعبية المختلفة ، بالإضافة إلى اهتمامه بوصف المقاطعات والطرق والمسافات^(٤) . أما ابن بطوطة فقد تأثر تأثراً كبيراً بالمعتقدات السائدة في المغرب ، فكان يهتم اهتماماً ملحوظاً بأخبار الأرباء والدرابوش وما يحكى عنهم من خوارق وكرامات^(٥) . وغلب الطابع الأدبي على رحلة ابن معصوم الموسومة بـ : «صلوات الغرب وسلوة الارب» ، إذ انجذبت إلى السيرة الذاتية ، مع الاستطراد أحياناً إلى بعض الموضوعات الأدبية ، وقد كتبها في وصف رحلة أسرته من المدينة المنورة إلى الهند^(٦) .

تلك نماذج قليلة لاختلاف الرحلات ، وتباين متاهجها واتجاهاتها وأشكالها . لهذا فقد

قسمها بعض الباحثين حسب موضوعاتها . فعددت للرحلات خمسة عشر نوعاً ، هي :

(١) الرحلات الحجازية ، (٢) الرحلات السياحية ، (٣) الرحلات الرسمية ، (٤) الرحلات الدراسية ، (٥) الرحلات الأثرية ، (٦) الرحلات الاكتشافية ، (٧) الرحلات الزيارية ، (٨) الرحلات السياسية ، (٩) الرحلات المقامية ، (١٠) الرحلات الفهرسية ، (١١) الرحلات العلمية ، (١٢) الرحلات الدليلية ، (١٣) الرحلات الخيالية ، (١٤) الرحلات السفارية ، (١٥) الرحلات العامة ^(٨) .

ورغم ما في هذا التقسيم من فائدة وراحة للباحث ، إلا أنه لا يخلو من اعتساف وقصور عند التطبيق . فقد تتجمع في الرحلة الواحدة أنواع عدة . فرحلة ابن بطوطة ، مثلاً ، حجازية ، سياحية ، اكتشافية ، سفارية ، زيارية ، علمية — وهكذا ^(٩) .

وهناك رأى آخر في تصنيف الرحلات العربية ، لعل أكثر دقة وشمولاً وطواعية عند التطبيق . وهو الرأى الذي يعتمد على صلة الرحلة بكايتها . فهي إما «ذاتية» تهتم بكل ما يقع للمؤلف من حوادث وأحوال أثرت في نفسه وفكره وجدانه ، وإما «موضوعية» تركز على تسجيل الأشياء مجردة عن الذات . ومن النوع الثاني ما كتبه الجغرافيون العرب في علم المسالك والممالك ، فقد تناولوا بقياس المسافات والطرق ووصف البلدان من النواحي الزراعية والاقتصادية والسياسية والعمرانية وغير ذلك . فالرحلة «الموضوعية» بهذا المفهوم ، أقرب إلى التقرير العلمي ، الذي يهتم صاحبه بالدقة العلمية وإيراد التفاصيل ، دون العناية بالأسلوب الأدبي ، أو التعبير عن الذات ^(١٠) .

ومع وجاهة هذا الرأى ، وقربه إلى النظرة النقدية في تفسير النصوص ، فإنه لا يخلو من ثغرات . ذلك لأنه غالباً ما يمتزج العنصران : الذاتي والموضوعي في الرحلة الواحدة . بل إن كثيراً من الرحلات العربية قد تبدأ كترجمة ذاتية لحياة الرحالة نفسه ، ثم لا تلبث أن تتحول إلى معجم يترجم فيه المؤلف لشيئوخه والعلماء الذين التقى بهم ، أو إلى مختارات أدبية ، قد تفيد الباحث في معرفة الذوق العام لذلك العصر ^(١١) .

ومن ناحية أخرى ، فقد لاحظنا أن لاتجاه الرحالة وثقافته وظروف عصره شأنها مهما في توجيه الرحلة ، وصبغها باللون الذي ينسجم مع التزعة الذاتية والظروف الموضوعية العامة . ونضرب مثلاً على ذلك باهتمام العلماء بالجزيرة العربية أثناء عصر التنوير ، فقد كانوا في حاجة إلى جمع اللغة ووضع قواعدها ورواية التراث الأدبي من أفواه القبائل — فلما استقرت أصول اللغة وجمع التراث ، لم يعودوا في حاجة إلى شد الرحال وتكيد المشاق . وكذلك نرى عناية الرحالة المتأخرين بمشائخ الطرق الصوفية والأولياء والدرويش والصالحين ، وذلك لغلبة الجمود على الفكر الإسلامي في العصور المتأخرة ، ونفشي الجهل وأعمال الدجل والشعوذة بين طبقات الأمة ^(١٢) . وقد رأينا أن من الرحلات من أملت عليه اهتماماته أو دراساته الخاصة النهائية بجانب معين دون الجانب الآخر . فالمقدمي قد اهتم اهتماماً شديداً بالسكان وأحوالهم ^(١٣) ، وناصر خسرو كان معنياً بإبراز مواقفه وانطباعاته ^(١٤) ، كما اهتم الغزنوي بالمواضع في الجزيرة العربية وماله علاقة بالقرآن والسيرة النبوية ^(١٥) . الخ ...

ومثل هذا التنوع أو التلوين في كتابة الرحلة ، لا يزال مشاهدا حتى اليوم في الرحلات الحديثة التي قام بها أصحابها الى البلاد العربية السعودية منذ مطلع هذا القرن حتى الوقت الحاضر . فتم من قام برحلة من أجل أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة ، فهو لذلك معنى بوصف الطريق ومواضع المياه وإجراءات السفر وذكر المناسك والآثار الإسلامية التي شاهدها . ومنهم من قام برحلة لأغراض قومية سياسية ، وأشهرهم أمين الريحاني في كتابه : «ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية» . ولم يكن الريحاني بطبيعة الحال مهتما بوصف طريق أو مشاهدته أثر ، بل كان مشغولا في الدرجة الأولى بالشخصيات التي كان يقابلها ويتحدث إليها ، ولأسبا الشخصيات السياسية . ومن الرحالة أدباء وصحفيون ساقطهم الصدفة أو المناسبة — فهم لذلك يصيدون الأخبار ويجمعونها ويكتبون ، فيها يشبه التقرير الصحفي ، عن مظاهر النهضة التي وصلت إليها بلادنا في العهد السعودي الزاهر .

ولكن الرحالة مها كانت مشاربهم وأهوائهم ، فانهم لا يستطيعون إغفال جانب الفضول في أنفسهم ، ومن ثم نراهم ، على تعدد أغراضهم واتجاهاتهم ، يكتبون القليل أو الكثير عن العادات والتقاليد التي شاهدها واسترعت انتباههم . وقد تكون هذه العادات والتقاليد سلوكا معينا أو طريقة في المأكل أو الملبس أو المشرب . وقد كتب بعضهم عن لغة أهل المدن ولسنة بعض القبائل . كما أورد بعضهم نصوصا للأغاني الشعبية والبدوية التي سمعها ، الى غير ذلك من المظاهر الطريفة التي يراها الرحالة جديرة بالتسجيل .

وعلى هذا النمط تميز الرحلة ، فنا مختلطا لا يجمع شتاته سوى صاحب الرحلة . وللكتاب الحرية أن يكتب ما يشاء ، وبالطريقة التي يريدها . ومن هنا فان الرحلة أقرب الى الحقيقة الى المذكرات التي يدون فيها كاتبها ، وبشكل عفوي ، ما حدث له أو سمعه أو شاهده في فترة معينة من حياته^(١٦) . والرحلة فترة محددة في حياة انسان ، وهي غالبا ما تبدأ بتاريخ وتنتهي بتاريخ ، وقد تستمر اياما أو شهورا أو سنوات . غير أن بعض هذه الرحلات قد تنحرف عن الطريقة العفوية الى طريقة البحث العلمي ، الذي نلمس من ورائه الجهد وشرح الجليل . هكذا نرى رحلة محمد حسين هيكل : «في منزل الوحي» التي بلغت مئات الصفحات ، بينما لم يمكث صاحبها سوى بضعة أسابيع . ومن الواضح أن المؤلف قد أعد مواد كتابه قبل قدومه الى الحجاز بفترة طويلة وأمثال هذه الرحلات قد تشجع نهم القارئ المتطلع الى العلم والمعرفة ، ولكنها لا تشجع احساسه الفني ، اذ هي غالبا ما تفقد روح المفاجأة والعفوية ، وتتلشى فيها الجوانب الانسانية للكاتب الى حد كبير .

وقليلة هي الرحلات التي يطلق فيها الكاتب نفسه على سجيته دون تصنع أو إعداد . ومن أبرز ما قرأت من هذا النوع رحلة الأديب ابراهيم عبد القادر المازني التي قام بها الى الحجاز سنة ١٩٣٠ م . ففي هذه الرحلة الكثير من شخصية المازني ، في عفوها ، وانطلاقتها ، وسخرتها ، وتمردا . وهو لا يكاد يستتر على شيء ، ولا يكتب كما يكتب الصحفي أو المؤرخ ، بل يرسوم بقلمه ويتفنن في صوره ، دون أن يتكلف ذلك ، بل هي فيه سليقة الشاعر وطبيعة الأديب . وكثيرا ما يعتمد الى الأسلوب القصصي ، ويستخدم الحوار استخداما بارعا ، فاذا أنت أمام

لوحات فنية رائعة ، او امام شريط متحرك نابض بالحياة . وواضح ان المازني في رحلته هذه لم يقصد الى تقديم معلومات تاريخية أو آثارية أو اجتماعية ، كما فعل ابراهيم رفعت في «مرآة الحرمين» ، أو البتوني في «الرحلة الحجازية» ، بل قصد الى امتاع القارئ وتسلية ، وهذا هو الهدف الذي يتوخاه القصصي أو الأدبي بصورة عامة .

ويتبين مما قدما أن للرحلة وجوها مختلفة تجذب دارس الأدب أو الجغرافي أو المؤرخ أو الباحث الاجتماعي ، أو غير هؤلاء . وكلّ ينظر الى الرحلة من زاويته الخاصة . لهذا ، فقد حاولت عند جمعي لمادة البحث ، أن التقط من بين الركام المتداخل في الرحلة ما يهم دارس الأدب في المقام الأول . وكنت أطمع في العثور على شيء مما كتب الرحالة عن أدبنا في المهود الثلاثة : التركي والهاشمي والسعودي . ولكن قلة ما عثرت عليه في هذا الموضوع جعلني أنصرف الى ما كتبه عن الحياة الثقافية بصورة عامة . على أن ما سجلوه من مظاهر الحياة الاجتماعية ، بشئ صورها وألوانها ، يستحق التنويه ، لأنه يعبر عن التطور التاريخي الذي مرت به بلادنا خلال فترة تزيد على السبعين عاما .

الرحلات الحديثة : بواعثها وأنواعها

صلات العرب بالجزيرة العربية قديمة منذ فجر الإسلام . بل إنها تمتد الى العصر الجاهلي حينما اندفعت أفواج من أبناء الجزيرة العربية لتعيش خارج حدود وطنها الأم — في الشام والعراق ، ولكن العرب بعد الفتح الإسلامي تغلغلوا في أعماق الأمصار البعيدة ، ولم يكتفوا بالعيش على حدود البادية . لقد حملوا الآن رسالة جديدة جعلتهم السادة بعد أن كانوا قانعين بالتبعية لفارس والروم .

أعطى الإسلام للجزيرة العربية أهمية خاصة ، جعلتها مطمح الأنظار في شتى العصور ، فهي مهد الإسلام من ناحية ، ومنبع اللغة التي نزل بها القرآن من جهة أخرى . وطبيعي أن يحتل الحجاز ، حيث الأماكن المقدسة ، المكانة الأولى في نفوس المسلمين ، وأن يكون الحجاج أهم باعث يدفعهم الى الرحلة . وعلى الرغم مما لقيته الجزيرة العربية من إهمال بعد انتقال مركز الخلافة عنها ، فقد ظلت للبقاع المقدسة مكانتها الدينية ، واحتلت مكة المكرمة مركزا ممتازا لا يصفها الدينية فحسب بل لدورها الثقافي كذلك إذ كانت وما زالت نقطة التقاء ومركز تجمع لجميع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية . ولهذا كانت من أقوى مراكز نشر الثقافة بين تلك الأقطار ، وكانت صلة وصل بين علماء الأقطار الإسلامية ، في شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها في مختلف العصور الماضية^(١٧)

فالحج إذن هو العامل الرئيسي في توجه الكثير من قوافل الرحالة المسلمين الى الحجاز طوال القرون الغابرة : ابن حبير وابن بطوطة وابن الجاوي والعياشي وغيرهم . وقد لاحظ الأستاذ

حمد الجاسر تفوق علماء المغرب العربي على علماء المشرق في هذا الميدان ، كما لاحظ عمق الصلات الثقافية التي تربط المغاربة والاندلسيين بالأراضي المقدسة . وهو يعدد الكثير من العلماء المغاربة الذين رحلوا الى الحجاز لنشر العلم وتلقاه ، ^(١٨) كما يشير الى ما سجله الشيخ عبد الحلي الكتاني من رحلات المغاربة فقد بلغت ستة واربعين كتابا ، ويقول ان هناك العشرات من هذه الرحلات لا تزال مخطوطة تحفل بها مكتبات المغرب العامة منها والخاصة .

وهذه الرحلات لا تزال مخطوطة تحفل بها مكتبات المغرب العامة منها والخاصة ^(١٩)

واذا كان الحج، وربما كذلك الرغبة في طلب العلم ، قد ساعدا على الاحتفاظ بتاريخ المدينتين المقدستين طوال العهود الماضية ، فقد فقدت بقية انحاء الجزيرة العربية مغريات الرحلة فظلت مجهولة لا يلفت إليها حتى عهد قريب . بل ان الطوائف ، على صلاته التاريخية بيده الدعوة وانتشار الإسلام ، وقرىه من مكة المكرمة ، قد أهمل الكثير من تاريخه . ذلك لأن الرحالة الذين قدموا لغرض الحج والزيارة لم يكن يهمهم في الغالب سوى المدينتين المقدستين وما يمت إليها من وصف الطريق وما إليه . فإن تحدثوا عما سوى ذلك فهم إنما يتحدثون في معظم الأحيان عن سماع لا عن خبرة ومعاينة ^(٢٠) . ويمكن القول انه كلما أوغلنا في داخل الجزيرة العربية ازداد جهلنا بتاريخها ، ومن ثم ضعفت الصلة بين تلك المناطق والعالم الخارجي .

ولقد ظل الحال على هذا المتوال حتى اوائل هذا القرن . وليس غرضنا هنا تتبع جميع الرحلات العربية الحديثة الى الجزيرة العربية بشكل عام ، بل أردنا ، كما حددنا في عنوان البحث ، الانتصار على المناطق التي تضمها حاليا الدولة السعودية . وليس الهدف من التحديد سوى التسهيل على الباحث الامام بجوانب الموضوع ، الذي يستيع كثيرا لوفاضت أطرافه على جميع سواحل الجزيرة العربية . والمملكة بعد ذلك تضم معظم أجزاء الجزيرة العربية وأهم وأقدس بقاع فيها . وكثير من رحلات العرب المحدثين الى هذه البقاع ان هي الا استمرار لرحلات أسلافهم في العصور القديمة ، ومن ثم فهي ترضي الباحث المتطلع الى تحسس الصلات التاريخية العميقة وفحص الروابط المتأصلة في النفس العربية والمقارنة بين القديم والحديث .

وغني عن القول ان المملكة العربية السعودية ، بمحدودها الحالية ، لم تكن قد وجدت في مطلع هذا القرن ، وهو التاريخ الذي حددناه لبداية البحث . بل ان اسمها الرسمي لم يعلن الا في سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ^(٢١) ، حينما أراد الملك عبد العزيز آل سعود ، رحمه الله ، أن يمر عن تلك الوحدة السياسية التي صنعها بمجهوده لأول مرة في تاريخ الجزيرة العربية ولم يها الأطراف الضعيفة المتناثرة المتحاربة .

كانت تلك الأطراف إمارات صغيرة ، صنعتها السياسة ولم تصنعها الحدود الدينية أو اللغوية أو الطبقية أو الاجتماعية ، وهي مستقلة أسما وخاضعة فعلا للقوى الأجنبية : الحجاز ونجد والاحساء والمنطقة الشمالية تحت سيطرة الأتراك ، وتهيأة الادارسة متضامنة مع السياسة

البريطانية . وبعد الحرب العالمية الأولى ظلت بريطانيا تحرك الأحداث في الحجاز وتهمة ، وكان عبد العزيز في هذه الأثناء قد تمكن من استعادة الرياض وضم للمنطقة الشرقية والشالية والجنوبية الى سلطته . ولم يكن توحيد هذه الامارات بالعمل السهل فقد استغرق جهدا مضنيا وكفاحا متواصلا امتد طوال الربع الأول من هذا القرن ، أو من تاريخ فتح الملك عبد العزيز للرياض سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م ، حتى الاستيلاء على الحجاز سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ — ١٩٢٥ م . بل ان الجهاد في سبيل توطيد دعائم تلك الوحدة واستقرارها قد امتد الى ما بعد ذلك ، أي الى حين اعلان الاسم الجديد : المملكة العربية السعودية ، في ٢١ جمادي الأولى عام ١٣٥١ هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢ م^(٢٢) . فالرحلات التي انجحت الى احدى هذه الامارات قبل توحيدها ، لم تكن بطبيعة الحال معبرة عنها أو مصورة لواقعها السياسي والاجتماعي والثقافي بعد انضمامها الى الوحدة . فالحجاز ، على سبيل المثال ، في رحلة البتوني سنة ١٩٠٩ م في عهد الأتراك ، يختلف عنه في رحلة هيكل سنة ١٩٣٦ م في أوائل العهد السعودي . ولا نقصد اختلافا في الطبيعة أو التاريخ أو الآثار ، أو تغيرا مفاجئا في معاش الناس وأخلاقهم وعاداتهم ، ولكننا نقصد اختلافا في طبيعة الحكم الجديد الذي أدخل كثيرا من الإصلاحات الجهورية على البلاد مما جعلها تستقبل عهدا جديدا لم تعرفه من قبل . ومن أهم هذه الإصلاحات ، كما سنرى فيما بعد ، تحقيق الأمن والنهوض بالتعليم . لقد شغل البتوني بمشكلة الأمن ، كما شغل الكتروني غيره من رحالة العصور الغابرة . ولكن هذه القضية لم تعد تشغل هيكل بعد أن تحقق الأمن وزالت المخاوف في العهد السعودي الجديد . وهذا يدل على ضرورة التمييز بين العهود السياسية المتباينة عند دراستنا للرحلات العربية الى المملكة . على ألا يمنع هذا التحديد السياسي الى التكلف أو التمسك ، إذ لا بد من التمييز بين ما يقبل التغير فجأة كقضية الأمن وبين ما يحتاج الى تغييره أو تطويره الى عامل الزمن ، كأمور التربية والتعليم والقضايا الاجتماعية الأخرى .

ورحلات العرب في هذا القرن الى الحجاز قد صورت ثلاثة عهود سياسية مختلفة : العهد التركي الذي انتهى بالثورة العربية سنة ١٩١٦ ، والعهد الهاشمي من سنة ١٩١٦ الى تاريخ استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز سنة ١٩٢٤ م ، والعهد السعودي الذي يتتبع في الحجاز منذ ذلك التاريخ حتى الوقت الحاضر . أما العهد الأول فقد مثله في هذا البحث رحلتان : (٢٣) رحلة ابراهيم رفعت باشا للسماة : و امرأة الحرمين — أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، وهي رحلات أربع قام بها الكاتب في مواسم الحج في الأعوام : ١٩٠١ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٨^(٢٤) . أما الرحلة الثانية فهي رحلة محمد ليب البتوني التي قام بها الى الحجاز مرافقا للخديوي عباس حلمي في أواخر عام ١٩٠٩ م ، في حجة سنة ١٣٢٧ هـ . وكانت رحلات ابراهيم رفعت في أواخر إمارة الشريف عون الرقيق ثم إمارة الشريف علي باشا ، بينما صادفت رحلة البتوني بداية إمارة الشريف حسين باشا ابن علي سنة ١٣٢٧ هـ .

أما العهد الهاشمي فقد مثله ثلاث رحلات : رحلة الامام محمد وشيد رضا التي قام بها

الى الحجاز في اوائل ثورة الحسين على الأتراك سنة ١٩١٦^(٢٥) ، ورحلة خير الدين الزركلي : «ما رأيت وما سمعت» سنة ١٩٢٠ م ؛ ورحلة أمين الريحاني : «ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية» سنة ١٩٢٢ ، والرحلتان الأخيرتان وقعتا ، كما نرى في أواخر العهد الهاشمي وقبل استيلاء السعوديين على الحجاز بسنوات قليلة . ورحلة الريحاني لم تقتصر على الحجاز بل شملت معظم أنحاء الجزيرة العربية : نجد وعسير واليمن والحج والنواحي التسع المحمية والبحرين ، وكذلك العراق .

وفي أثناء العهد السعودي الحالي كثرت الرحلات وتنوعت ، ويكفي أن نذكر منها في هذا المقام : رحلة ابراهيم عبد القادر المازني : «رحلة الى الحجاز» ، سنة ١٩٣٠ م ؛ ورحلة الأمير شكيك ارسلان : «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف» ، حوالي سنة ١٩٣٠ م ؛ ورحلة محمد حسين هيكل : «في منزل الوحي» ، سنة ١٩٣٦ م ؛ ورحلات عبد الوهاب عزام التي قام بها الى الحجاز وبعض مناطق المملكة الأخرى في أوقات متفرقة ابتداء من سنة ١٩٣٧ م ؛ ورحلة أحمد حسين : «مشاهداتي في جزيرة العرب» ، سنة ١٩٤٨ م ؛ ورحلة الدكتور بنت الشاطيء : «أرض المعجزات — ورحلة الدكتور محمد بديع شريف : «في مهبط الوحي» ، سنة ١٩٦٣ م^(٢٦) . وما تجدر الإشارة اليه ، ان معظم هذه الرحلات التي ذكرنا في المهود السياسية الثلاثة ، قد توجهت الى الحجاز ، وإلى المدينتين المقدستين بشكل خاص . فهي من هذه الناحية انما تكمل تلك السلسلة الطويلة من رحلات «الحج والزيارة» التي عرفها الأسلاف من المسلمين . وقل من تجاوز منهم حدود الحجاز الى المناطق المجاورة الأخرى ، أو من جمع بين أداء القرية الدينية وأداء الواجب العلمي في الكشف عن الحقيقة أو استكشاف المجهول . ولم يقدم على هذه المغامرة سوى رجل واحد ، لظروفه الخاصة ، هو تلميذ الرحالة الغربيين في هذا الجانب — أمين الريحاني .

أما الذين قاموا بزيارة بعض المناطق في نجد أو الأحساء أثناء العهد السعودي ، مثل أحمد حسين وبنت الشاطيء ، فقد فعلوا ذلك لأغراض صحفية أو سياحية ، فجاءت كتاباتهم مطابقة لأغراضهم .

والحقيقة أن إحصاء الرحالة العرب عن اقتحام مجاهل الجزيرة العربية قبل العهد السعودي ، يمكن رده الى عدة أسباب أهمها اضطراب الأمن من ناحية وانعدام الحافز من ناحية أخرى . ولم تكن حالة الأمن في الحجاز ، في العهدين التركي والهاشمي ، بأفضل منها في المناطق الأخرى ، ولكن توفر الحافز — وهو هنا الحافز الديني — يجعل للمغامرة معنى سامياً ترخص في سبيله الأموال والأرواح . أما ما عدا المدينتين المقدستين فلم يكن هناك من الأسباب ما يدفع الرحالة العربي الى الضرب في القياقي وتحمل المشاق والتعرض للأخطار . وذلك عكس ما نراه عند الرحالة الغربيين الذين جابوا أنحاء الجزيرة العربية منذ القرن السادس عشر ، وتحملوا في سبيل أهدافهم — علمية أو سياسية استعمارية — الكثير من الأذى ، بل وتجرع بعضهم غصص الموت — لقد توفر لديهم الحافز الى خوض المغامرة^(٢٧) .

ولم يستأثر الحجاز بالمركز الديني فحسب ، بل كان قطب الرchy في السياسة العربية منذ اوائل هذا القرن ، ولاسيما بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وعلان الثورة على الأتراك سنة ١٩١٦ . وقد كان يجسد في أذهان الكثيرين من مفكري العرب خارج الجزيرة العربية الفكرتين : الدينية والعربية معا . فحاولت الاستقلال عن الدولة العثمانية في اواخر القرن الماضي كانت مقترنة احيانا بالدعوة الى التقارب من الجزيرة العربية . مهد العروبة وموطن الإسلام . كما أن الحديث عن الخلافة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد قد وجه الأنظار الى الجزيرة العربية ، والى إمكانية تأسيس خلافة عربية تعيد للإسلام مجده وتحفظ للعرب حقوقهم . ولا شك ان عبد الرحمن الكواكبي ، في كتابه «أم القرى» ، كان متأثرا بهذه الفكرة ، فهو يدعو الى جعل مكة المكرمة مركزا لجمعية «أم القرى» التي تضم ممثلين من جميع انحاء العالم الإسلامي . ويرى الكواكبي أيضا أن الجزيرة العربية هي أصلح البلدان الإسلامية لأن تكون مركزا للسياسة الدينية^(٢٨) ، وأن أهلها أكثر الناس ملاءمة للمحافظة على الدين الإسلامي^(٢٩) .

وعندما شبت الثورة العربية سنة ١٩١٦ ، ازدادت آمال العرب ، وظنوا ان حلمهم الطويل في الاستقلال والوحدة قد تحقق ، وازداد تبعا لذلك تعلقهم بالجزيرة العربية والحجاز بصورة خاصة . وقد عبر شعراؤهم وكتابهم عن ذلك بعشرات القصائد والمقالات^(٣٠) . أما أمين الريحاني فقد فضل أن يشد الرحال من أمريكا الى الجزيرة العربية ، بعد أن كان يتابع أخبار العرب ويكتب عنهم وعن تحركاتهم من بعيد :

«رافقت العرب في خروجهم على الترك أثناء الحرب ، رافقتهم في المجلات الانكليزية والجراند العربية ، فكنت أقوم في ما أكتب ببعض الواجب الذي يفرضه الحب والاعجاب . وتوفقت في تلك الايام الى زيارة الأندلس ، فوفقت في الحمراء في الغرفة التي كتب فيها واشنطن ارفين كتابه النفيس ، فسمعت أصواتا تناديني باسم القومية ومن أجل الوطن ، وتدعوني الى مهبط الوحي والنبوة»^(٣١) .

لقد تحققت أمنية الريحاني بزيارة الجزيرة العربية ولقاء حكامها والكتابة عنها وعندهم . كان يهدف ، كما يقول ، الى خدمة القضية العربية عن طريق تعريف حكام الجزيرة بعضهم ببعض ، وإيجاد نوع من الوفاق بينهم^(٣٢) . ولكن الوفاق لم يتم . ورجع الريحاني بخفى حزين .

كان الملك عبد العزيز آل سعود في هذه الأثناء يميل ويخطط بصمت وحكمة . كان يجاهد — بعيدا عن الصخب والأصواء — في سبيل التوحيد وتحقيق تلك الوحدة ، عزيزة المثال ، والتي عجزت الآمال والوعود والمفاوضات عن تحقيقها . لقد استطاع عبد العزيز بما حققه من انتصارات حربية وسياسية واصلاحية أن يوجه أنظار العرب مرة أخرى الى الجزيرة العربية ، بعد أن كادت تنصرف ساخطة عنها إثر فشل الحسين وتقسيم البلدان العربية بين الحلفاء . يقول محمد حسين هيكل إنه لما استقر حكم عبد العزيز في الحجاز «بدأ الحديث عن

هذا الفاتح النجدي لبلاد العرب يتردد في صحف الغرب والشرق . وقد لقيت إذ ذاك غير واحد من الصحفيين المشهود لهم بالاتزان وبنقطة الحكم على الأشياء والأشخاص ، لما كان أشد عجبى حين سمعت من أحدهم «فون فيزل» الألماني المعروف ، مبالغته في الثناء على ابن السعود إلى حد نعته إياه بأنه بسمرق الشرق . هذا وكان فون فيزل قد لقي ابن السعود وتحدث إليه وعرف مرامي سياسته (٣٣) .

لقد أسهم الحكم السعودي ، إذن ، بما وطده من دعائم الأمن وما أدخله من تطوير وسائل الحياة الحديثة ، في اجتذاب العديد من الكتاب والمفكرين والصحفيين إلى زيارة البلاد السعودية والكتابة عنها . وقد كان كرم الملك عبد العزيز ، رحمه الله ، مضرب المثل ، وكانت الدولة تنفق بسخاء على ضيوفها حتى قبل اكتشاف البترول ، وحين كانت مواردها ضئيلة محدودة . ومن ناحية أخرى ، فقد كانت تدرك ، ما للاعلام من أهمية قصوى في كشف الحقائق ، ودحض ما يروجه أعداؤها من أباطيل ، -ولاسيما بعد فتح الحجاز مباشرة وتوتر العلاقات بينها وبين بعض الدول العربية المجاورة . ومن هنا فقد قدم إلى المملكة من العلماء والأدباء والصحفيين خلال هذه الفترة القصيرة من تاريخها ، ما لم تعهد له البلاد مثيلا في عهدها الغابرة .

يتضح من استعراضنا السابق إنه بالإمكان تقسيم الرحلات العربية الحديثة إما حسب العهود التاريخية التي وقعت فيها ، وإما حسب مضامينها والأهداف التي كبت من أجلها . بل إن الباحث لا يعدم مناهج أخرى ، كأن ينظر مثلا ، في قالب الرحلة أو أسلوبها أو تعبيرها عن شخصية كاتبها ، أو تحري الخطأ والصواب في جانبها التاريخي أو غير ذلك . ونحن مع تسليمنا بأهمية هذه التقسيمات والمناهج إلا أننا نفضل الأخذ بالتقسيم الموضوعي مع مراعاة الجوانب الأخرى بقدر الامكان ، مذكرين مبلغ الصعوبة التي يواجهها الباحث إذا ما حاصره الحدود والتقسيب الضيقة . فإذا ما أخذنا هذا في الاعتبار أمكننا أن نميز في نصوص الرحلات العربية الحديثة إلى البلاد السعودية بين مجموعات ثلاث :

المجموعة الأولى : رحلات الحج والزيارة

المجموعة الثانية : الرحلات السياسية .

المجموعة الثالثة : الرحلات الصحفية .

وستناول كل مجموعة من هذه المجموعات بكلمة نبين فيها أهدافها وظروفها التاريخية وخصائصها العامة .

أولا : رحلات الحج والزيارة :

ذكرنا أن الباحث الديني باحث قديم منذ فرض الله الحج على المسلمين وجعل الرحلة في سبيله ركنا من أركان الإسلام : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) . كما أشرنا إلى أن رحلات العرب المحدثين إلى الديار المقدسة ليست إلا

استمرارا للرحلات التي كان يقوم بها أسلافهم . وقد عبرت هذه الرحلات عن أهدافها في اسمائها ، إذ كثيرا ما نرى الكتاب يستوحونها من البقاع المقدسة : «مرآة الحرمين» ، «الرحلة الحجازية» ، «في منزل الوحي» الخ ... وكثيرا ما تشرح المقدمة الظروف التي أحاطت بالرحلة والأغراض الدينية التي من أجلها قام المؤلف بتدوين رحلته أو وضع كتابه . يقول إبراهيم رفعت : «كنت ولوعا بالحج مشغوقا بأداء هذا الفرض ، متضرعا إلى الله أن يوفيني لرؤية بيته الحرام وما اكتشفه من المناسك ، فمن الله عليّ بالإجابة بعد الإجابة وبارك في دعوتي كما بارك لإبراهيم في دعوته الطيبة التي أحيت أمة إلى يوم القيامة وعمرت قطرها الجذب ونشرت فيه المدينة الصادقة والشرعة القائمة ، فعينت في سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) رئيس حرس المحمل (قومندان) فرأيت أن نعمة الله علي لا يني بشكرها إلا تدوين رحلتي من أول خطوة فيها إلى آخر خطوة ، وإخراجها للناس ليتفعلوا بها ويستضيئوا بنورها إذا حجوا إلى البيت الحرام أو قصدوا الجزيرة ، فلم أدع صغيرة ولا كبيرة مما رأيت أو سمعت إلا قديتها ...» (٣٤) . ولقد وفق الله المؤلف إلى الحج ثلاث مرات أخرى بعد حجته الأولى ، كان فيها أميرا للحج المصري . وكتب مينا الأسباب التي جعلته يتكبد النفقات الطائلة في سبيل إخراج هذه الرحلات الأربع ونشرها : «ولقد كان من أكبر البواعث على إخراج هذه الرحلات وتكليف النفقات الباهظة في سبيلها أنها أبين شرح لفرض من فروض الدين وأصدق لسان بصف مهد النبوة ومبعث التشريع وأنها لتكشف لك عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن التي شرفت به حتى كأنك ترى رأي العين» (٣٥) .

أما البنتوني فقد كان مرافقا للخديو عباس الثاني أثناء ادائه فريضة الحج . وكان «مندوبا خصوصيا في خدمة ركا به العالي مدة سفره إلى الأفطار الحجازية» . وبعد عودته أمره الخديو أن يضع شيئا «عن هذه الرحلة المباركة» (٣٦) . ويقول البنتوني : «..... ولما كانت هذه البلاد غير معروفة لئلا كما يجب لذوي البصيرة والعرفان ... رأيت أن أضيف إلى الرحلة الخديوية كلمة عن المشاعر الدينية المقدسة» (٣٧) . ويقول أيضا :

«.... وإني قياما بهذا الواجب الأقدس لم أقصر على الكلام في النقط الدينية ، بل تناولت بحفي ما يهم القارئ من المسائل العمرانية والاجتماعية والجغرافية والتاريخية مما لم يسبقني إليه أحد من الذين كتبوا عن هذه الديار» (٣٨) .

ويتضح من مقدمتي رفعت والبنتوني أنها كانا ينظران إلى كتابة الرحلة من الزاوية الدينية فهي بمثابة التعبير عن الشكر لله عز وجل على تحقيق أمنيتهما في الحج والزياره ، وتوخي المثوبة على عمل الخير وتبصير المسلم بأموره الدينية . لهذا فانه على الرغم مما كتب عن مكة والمدينة منذ فجر الاسلام حتى العصر الحاضر ، فلا يزالان ينظران إلى هذه البقاع على أنها «بماجل» لا بد من إعادة اكتشافها ، ولا بد من تضمين الرحلة قدرا كبيرا من المناسك والشعائر المتعلقة بالحج والزياره . وقد أدى ذلك ، بطبيعة الحال ، إلى تضخم الرحلة وتحولها إلى ما يشبه كتب السير والمراجع الفقهية والتاريخية . ويكفي أن نلقى نظرة خاطفة على كتاب البنتوني لتبين هذا الاتجاه في كتابة الرحلات . فقد بدأه بتمهيد استغرق اربعما وخمسين صفحة تحدث فيه عن

الأمة العربية — العالقي وعاد والمعينين وطسم وجديس وعمود وسبأ وحميز وملوك العدنانية قبل الاسلام . لم تحدث عن الأمويين والعباسيين والتتار والفرس الخ . وأتى بنبذه جغرافية عن الجزيرة العربية وأقسامها وتاريخها الحديث . ولم يكف بما أورده في تمهيده ، بل انه كثيراً ما يقطع تسلسل الحوادث في رحلته ويرجع الى مصادره التاريخية مستطرداً ، كما يورد بعض المناسك والأدعية أو يفرد لها فصولاً مستقلة^(٣٩) .

والى جانب الباحث الديني في رحلتي رفعت والبنتوني ، فهناك الباحث الدنيوي الذي لا ينبغي أن تغفله . فلا نسى ان كلا المؤلفين إنما قدما الى الحجاز بصفتهما الوظيفية — كان رفعت رئيس حرس للمحمل المصري ثم أميراً للحج ، وكان البنتوني منتدباً لمرافقة الخديو مدة اقامته بالحجاز . ومن الطبيعي أن يحرص كل منهما على تنفيذ ما أسند اليه من مهام ، وان يولي الجانب الوطني كل عناية واهتمام . وتشبه وظيفة البنتوني وظيفة الصحفي المرافق لرئيس الدولة والمكلف بتغطية اخبار سيده وتنقلاته . وقد كتبت الرحلة — كما رأينا — بناء على تكليف رسمي من الخديو نفسه^(٤٠) . أما ابراهيم رفعت فقد كان مكلفاً ، بحكم منصبه ، بكتابة التقارير المطولة عن رحلته ورفعها الى جهة الاختصاص في الحكومة المصرية .

ولا شك أن الجانب الرسمي في رحلتي البنتوني ورفعت قد أثر تأثيراً كبيراً لا على آرائها ومواقفها من حياة الناس في الحجاز فحسب — وهو ما ستحدث عنه فيما بعد — بل على قالب الرحلة نفسها من حيث الشكل . فكثيراً ما تطفئ النزعة التقريرية على اسلوب الكاتب ، بل وكثيراً ما تواجه بالتقارير الرسمية المطولة منمعة بين الفقرات والفصول . وقد يكون لهذه التقارير أهمية خاصة بالنسبة للمؤرخ والباحث ، ولكنها ليست كذلك للقارئ العادي ، أو لعلها مبعث ملل وسخط لمن ينشد اللذة الفنية أولم يبعث عن العناصر الجمالية في الرحلة^(٤١) .

وقد تطورت رحلة الحج والزياراة على يدي محمد حسين هيكل تطوراً ملمحوظاً ، فهي لم تعد تعنى بتكديس المعلومات أو النقل من المصادر القديمة والحديثة كيما اتفق ، بل أصبحت تختار منها ما يناسب المقام ، وما يعبر عن الموقف الشخصي للمؤلف نفسه . والحقيقة أن هيكل يختلف كل الاختلاف عن رفعت والبنتوني في نزعة التفكير التأملية وانجماه الأدبي وافادته من الأساليب الغربية في المنهج والصياغة . ولم يكن دافع هيكل لزيارة الأماكن المقدسة اداه مناسك الحج والزياراة فقط ، بل كان معنيا بالكشف عن « حقيقة هذه البلاد واختيار القدر ايها اللوح والرسالة على نحو يقع تفكير هذا العصر ، وكان ما كتبه العلماء الأجانب بعيداً عن تناول الظاهرة الروحية التي تغير لها وجه التاريخ منذ أربعة عشر قرناً ، والتي تستظل عاملاً خالداً الأثر في حياة العالم ما كان للقوة الروحية في توجه العالم أثر وسلطان»^(٤٢) . فزيارة المؤلف ، إذن ، كاتب من أجل غرض معين ، وهو غرض علمي ، يعد استكمالاً لما بحثه في السيرة النبوية عندما كان يعد كتابه فيها عن « حياة محمد »^(٤٣) . لقد أراد هيكل أن يسلك سبيل العلماء التجريبيين الذين لا يطمثون إلا الى ما يكتشفونه بأنفسهم ويخبرونه بجواسهم . فالقراءة لا تغني عن التجربة والمعاينة : « ... شعرت آخر الأمر بأنني سأظل ينقصني جوهر ما أبحث

عنه اذا أنا لم أذهب الى بلاد النبي العربي بنفسي ، ولم أقف حيث وقف في أدق ما مر به أثناء حياته ...» (٤٤) .

كان هيكل دقيقا في رسم خطة البحث لرحلته وتعيد ما يريده منها ، فجاءت هذه الرحلة ، على ضخامتها ، واضحة المعالم ، مترابطة الأجزاء الى حد كبير . وأثار النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة متفرقة في مناطق متعددة من الحجاز ، استطاع المؤلف أن يتتبع معظمها وأن سط بعضها ببعض يرباط دقيق من الصنعة الفنية . وسيله الى هذا الربط بين الحقائق التاريخية طريقة التأمل الذاتي واستحضار صور الماضي حيث تتمثلها أمامنا شريطا يتحرك نشاهده بأعيننا ونفعل بأحداثه ومواقفه ونشارك فيه بمواطفتنا وأفكارنا .

ثانيا : الرحلات السياسية :

لا تكاد تخلو رحلة من جانب سياسي ، ولكن الرحلة العربية الوحيدة التي يغلب عليها الطابع السياسي من أولها الى آخرها هي رحلة أمين الريحاني الشهيرة : «ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية» ، وقد طوف فيها بلدانا عربية كثيرة في الجزيرة العربية ، بادئا بالحجاز في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٢٢ م ، الموافق للثامن من رجب سنة ١٣٤٠ هـ . والمؤلف لا يخفي هدفه من وراء هذه السياحة اذ يؤكد في مقدمته انه إنما قام بوضع كتابه من أجل خدمة القضية العربية ولكي يعرف الحكام العرب بعضهم بعضا ، فليس «في ملوك العرب اليوم ملك ساح في البلاد العربية كلها ، وليس فيهم من يستطيع أن يقول : إني أعرف بلاد العرب وحكامها وسكانها وقبائلها وأحوالها الاقتصادية والزراعية وشؤونها السياسية الداخلية والخارجية مما لدى من تقارير العارفين وأخبار المنزهين عن الأغراض السياسية والتحيزات المذهبية ...» (٤٥) . ويأسف الريحاني لهذا الجهل المطبق بأحوال الجزيرة العربية ، وأن تكون وزارة المستعمرات بالحكومة البريطانية هي الجهة الوحيدة العلمية والمتخصصة في هذا الميدان ، فهي تصدر نشرة بعنوان : «تستقى معلوماتها من تقارير وكلائها السياسيين وما يكتبه الرحالة من العلماء الغربيين ، وتقوم بتصحيح هذه النشرة وإعادة طبعها كل بضع سنوات . ومع ذلك ، فإن هذه النشرة لا تخلو من الأخطاء ، وتوزيعها مقصور على الدوائر الرسمية» (٤٦) .

والريحاني لا ينكر هذه المهمة السياسية التي ندب نفسه أو انتدب للقيام بها . فبالإضافة الى العنوان الرئيسي لرحلته : «ملوك العرب» ، فهو يذكر صراحة أن كتابه يحوي جانباً سياسياً : «وليس في الكتاب ، أدبا كان أو سياسة ، وصفا أو نقدا إلا الحقيقة غير المجردة ...» (٤٧) . وهو يقول بعد زيارته لكل من الحجاز واليمن وعسير : «هاهنا تنتهي مهمتي السياسية في اليمن وعسير . رغبت في خدمة الامام يحيى [بتقريب قضيته من فهم الانكليز ومصلحتهم ، وبتقريب الانكليز من عقلية الامام ، وبتمهيد السيل الى الصلح بينه وبين

الادريسي . فاقترحت أن يعقد مؤتمر يتبادل هو وخصومه فيه الآراء ويتعارفون ويتفقون . فأبى حضرته لأسباب أدركها ولا سبيل الى تداركها . ان الامام طامع بالاستيلاء على اليمن كله ، وهو طامع كذلك ، على ما أظن ، باللقب الذي لا يعترف به للملك حسين . ورغبت في خدمة الملك حسين بعقد مهادنتين تربطان الحجاز واليمن وعسير في البداية ولو بخطط من حرير ، لاعتقادي أن جلالة يمثل فكرة عربية قومية شريفة . فلم يوقع واحدة منها ولا أظنه استحسنها لأسباب أدركها ولا سبيل الى تداركها . ولم يعترف الامام بحسبى ولا السيد الادريسي بأن جلالة الملك حسين هو ملك العرب . ولكنها مدا اليه يد الولا والمؤازرة فرفضها . من هو حجر العثرة اذن في سبيل النهضة العربية ؟^(١٨) .

وعلى الرغم مما يؤكد الريحاني في مقدمته من أنه قد قام بهذه المهمة الشاقة في التوفيق بين ملوك العرب متلوها وخدمة للقضية العربية ، إلا أن الشكوك قد قامت حوله وحول مهمته ، وقد صورها المؤلف نفسه رواية عن الملك عبد العزيز عند أول مقابلة له معه : « ... قالوا لنا انك امريكي جئت تنشر الدين المسيحي في البلاد العربية ، وقالوا انك تمثل بعض الشركات وجئت تبني الامتيازات . وقالوا انك قادم من الحجاز وانك شريف تسمى لتحقيق دعوة الشريف . وقالوا غير ذلك . فقلنا اذا كان في الرجل ما يضر فنحن نعرف كيف ننقيه ، واذا كان فيه ما ينفع فنعرف أيضا كيف ننفع . ونحن أعلم يا حضرة الأستاذ بمهمتك ، بارك الله فيك »^(١٩) . وفي مقابلة أخرى يذكر الريحاني ان الملك عبد العزيز أطلعته على خطاب من الملك حسين وانه طلب رأيه فيه — يقول على لسان الملك عبد العزيز : « ما رأيت يا حضرة الأستاذ ؟ لا تقل لي ان لادخل لك بالسياسة وان سياحتك في بلادنا سياحة علمية فقط . وحتا نفهم . ومريده على لحيته ، وهو يسم بسمته الخلافة ... »^(٢٠) .

والحقيقة أن في مغامرة الريحاني ما يدعو الى الشك والتأمل ، فلقد قدم المؤلف الى الجزيرة العربية في فترة حرجية من تاريخها الحديث ، وبعد أن خيم اليأس على النفوس ، بعد فشل الحسين واختلال بريطانيا بوعودها ، واقتسامها — مع شريكها فرنسا — ما تبقى من تركة الرجل المريض . فهل قام الريحاني بما قام به بايعاز من بريطانيا التي كانت ترغب في إجماد حل للأوضاع القائمة في الجزيرة العربية آنذاك ؟ قد يدعم هذا الرأي عدة أمور ، أولا أن هذا المسلك لم يكن غريبا على السياسة البريطانية ، وقد فعلت مثله في تمهيدها للثورة العربية حين أرسلت «صانعاتها» — كما يقول خير الدين الزركلي — الى أمراء الجزيرة العربية يقاضون هذا ويذاكرون ذلك^(٢١) . والأمر الثاني أنه من غير المقبول أن يقوم الريحاني بمحادثات السياسية مع الزعماء العرب بصفته الشخصية ، إذ أنها محادثات تتجاوز المؤلف في الزيارات العادية والمقابلات الصحفية الاستطلاعية الى حد اقتراح العهود وإبرام الاتفاقيات بين الامارات العربية ، وسرعان ما توطدت علاقات الصداقة بينه وبين وكيل بريطانيا السياسي في الجديدة^(٢٢) ، وكان يرافقه في رحلته لمقابلة الادريسي في جيزان .

ومن ناحية أخرى ، فقد يقال دفاعا عن الريحاني إنه لم يكن الوحيد الذي جذبته الأحداث السياسية في الجزيرة العربية آنذاك ، فقد سبقه الكثيرون من الاخوة العرب الذين

أسهموا في الثورة العربية ، وكانوا شركاء في التخطيط لها وفي إشعالها . ومن أولئك مسلمون ومسيحيون على حد سواء ، قدموا الى الحجاز فرارا من مظالم الاتحاديين ؛ رأوا في الحسين « المنفذ الأكبر » فعاونوه في ميدان السياسة وفي ميدان الحرب . وكان منهم الوزراء والسفراء والقواد والمستشارون والصحفيون والأداديون الخ . ونذكر على سبيل المثال : يوسف ياسين وخير الدين الزركلي وقواد الخطيب وعبد الدين الخطيب ونوري السعيد وكامل القصب وسليم سركيس وقسطنطين بني الخ . فلم يكن الريحاني ، إذن ، بدعا بين هؤلاء ، غير أنه قد وسع دائرة اتصالاته فشملت كافة الزعامات العربية ، وذلك تبعاً لتغير الأحوال السياسية أثناء الفترة التاريخية التي قدم فيها . فبالإضافة الى تنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق ، وإنشاء إمارة شرق الأردن لأخيه عبدالله ، فإن نجم الحسين في الحجاز قد أخذ في الأفول ، وانفص عنه كثير من السياسيين العرب الذين كانوا ملتفين حوله إبان الثورة (٥٣) .

وقد يقال أيضاً ان الريحاني لم يأت في كتابه بما يخالف ما أعلنه من أهداف ومبادئ . فهو عربي المنزع ، ييم في العروبة جنساً ولغة وتاريخاً ، ويكاد يبلغ به هذا الحب حد التعصب . نرى ذلك كله متمثلاً فيما نقله المؤلف في رحلته من أحداث وصور وأفكار ، إذ تكاد العروبة تتحول على يديه معياراً يحكم اليه في الفصل بين الحسن والسيء أو الفضيلة والزيلة (٥٤) . ولم يكن حباً طارئاً ، بل نتيجة تأمل وتفكير طويلين — شعور بالضياع سنوات طويلة في المهجر الأمريكي ، وقراءات واسعة في كتب الرحالة الغربيين الذين ساحوا في أرجاء الجزيرة العربية من أمثال بركهارت ويرزن وداتوي ، وفي كتب المؤرخين الغربيين الذين كتبوا عن الأبعاد الإسلامية من أمثال كرليل وواشنطن أرفنج ؛ وأعجاب لاحد له بالتراث العربي القديم ولا سيما آثار أبي العلاء المعري : « ورحت أفانر بأني من الأمة التي نبغ فيها هذا الشاعر الحر الجسور الحكيم » (٥٥) .

ومهما يكن من أمر ، فإن الريحاني قد استطاع ، رغم العقبات والمشاق ، أن يخترق الحدود لأول مرة بين تلك الامارات العربية الصغيرة المتنافسة ، وأن يحمل فكرته الى الأمراء والملوك العرب . وهو وإن فشل في مساعيه السياسية ، فقد حقق نجاحاً كبيراً في كتابة الرحلة ، وتسجيل تلك الحقيقة الهامة في تاريخ الجزيرة العربية المعاصرة .

والرحلة السياسية ، كما كتبها الريحاني ، نعت فريد ، إذ مزج فيها بين الماضي والحاضر ، بين التاريخ والسياسة ، وطبعها بطابعه الشخصي وفلسفته وأفكاره ، ولونها بخياله الشعري وأسلوبه الأدبي المانتق المتدفق . ولعل أهم جانب فيها رسمه الذكي للشخصيات السياسية ، ومحاولة استبطان نوازعها وأفكارها . وهو يكتب عن الشخصية في مناسبات عدة ، ويحرص على نقل الموقف كما هو ، فلا ينسى ظروف المقابلة وميات الشخصية ، من ناحية الشكل والهيئة والسلوك ، مسجلاً النظرة والحركة والإشارة . ويستخدم العبارات القصيرة الرشيدة الموجهة . وفي كثير من الأحيان يحاول تقريب الحوار من الواقع باستخدام كلمات الشخصية أو « اللازمة » التي ترددها . وهو بارع في التصوير الدرامي ، ولكنه واقعي ، وقد يكتب عن انطباعاته بطريقة صريحة مباشرة .

ان كتاب «ملوك العرب» عمل ابداعي في بنائه وأسلوبه وتأثيره ، وقد استحوذ على اعجاب الكثير من النقاد والباحثين . يقول عنه جورج غريب : «أقل ما نصاب به أمام هذا الكتاب : الذمول . فالريحاني فيه أول فاتح في عهد انغلاق المشرق على نفسها ، وأول مشروع للأبواب في وجه الزمن . وهو بين انتقاله من ملك الى ملك تقوم الدنيا وتقع على جنباته ، لكثرة ما يؤرخ ويصف ويحلل متجاوزا حدود التاريخ والوصف والتحليل الى مناحي الفلسفة والفن والأدب والاجتماع ، فالسرد على ريشته محلول اللجام والفكر مرخي الأعنة ، بلغ انتاجه يعلم صحيح وآراء مقرونة بالبراهين ، ومشاهدات مشفوعة بالتفحص لخفايا الأمور ، وأدب يعلو بالنسق القصصي الى أوج التعبير»^(٥٦) .

ذكرنا أن الطابع السياسي يغلب على رحلة الريحاني ، أما رحلة خير الدين الزركلي : «ما رأيت وما سمعت» فيغلب عليها الطابع العلمي ، ولو أن قدوم كاتبها الى الحجاز كان أشبه باللجوء السياسي . يقول الزركلي إنه قر من دمشق عقب هزيمة السوريين في موقعة ميسلون سنة ١٩٢٠ م . وتوجه الى مصر عن طريق فلسطين ، وقد حكم عليه المحتلون الفرنسيون غيائياً بالاعداء مع مجموعة أخرى من الأحرار السوريين ، منهم كامل القصاب وشكري القوتلي وتوفيق اليازجي . وبعد أن أقام في القاهرة نيافاً وشهرين توجه الى الحجاز بناء على دعوة من الشريف الحسين ، وكان الزركلي قد كتب اليه خطاباً من مصر يعلمه بأحواله ويستفسر عما ينوي الشريف عمله لمقاومة الفرنسيين . ويقول الزركلي إنه سافر الى الحجاز بجواز سفر حجازي يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٠ م الموافق ٦ محرم سنة ١٣٣٩ هـ^(٥٧) ، وقضى في ضيافة الحسين أكثر من ثلاثة أشهر^(٥٨) ، رجع بعدها الى مصر في يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٢١ م ، الموافق ١٣ جمادي الأولى سنة ١٣٣٩ هـ^(٥٩) .

ورغم أن الزركلي إنما قدم الى الحجاز ، كما يبدو من خطابه ، مستنجداً بالشريف لنصرة سوريا والوقوف بجانبها في محنتها ، الا أننا لا نراه يذكر شيئاً عما دار بينه وبين الحسين في هذا الموضوع ، اللهم الا ما جاء في قصيدة ألقاها أمامه في إحدى المناسبات ، يذكر فيها ما تكابده سوريا من ويلات الاحتلال الفرنسي ، ويستحثه على النهوض لنجدة سوريا : يقول فيها :

يا ابن بنت النبي أرققنا العسف ،	فجرد لـه الحسام الرقيقـا
بالذي شاد «ككبكا» و «ثيبا»	وأحاط الهداة «بيتا» عتيقا
بالصفا ، بالحجون ، بالركن ، بالكعبة ،	لب الصرخ واقض الحقوقـا
إن في الشام أمة لا تطيق الضيم ،	تأسى لها العلى أن تطيقـا
أسعوهـا تطلـة ووعودا	وسقوهـا من الخداع رجيـا
أنذرونا بالموت ، ما أعذب الموت	إذا كان للحياة طريقا ^(٦٠)

وفيما عدا هذه القصيدة لا نجد في الرحلة ما يدل على أن الزركلي قد فاتح الحسين أو فاضحه في أمر سوريا ، مع أنه أقام في «دار الحكم» وكان يجتمع بحلته ساعتين كل ليلة طيلة مدة اقامته التي تريد على التسعين يوماً^(٦١) . ومع ذلك ، فإن الزركلي قد أفاد من هذه الإقامة الطويلة بمجوار الحسين ، فكتب عنه وعن أولاده الأربعة — علي وفيصل وعبدالله وزيد —

صفحات مهمة لا يستغني عنها الباحث في تاريخ هذه الفترة ؛ كما ألمّ بتاريخ الثورة العربية وما انتهت اليه من أحداث وتطورات معروفة . أما معظم صفحات الرحلة فقد خصصها المؤلف للحديث عن رحلته من مكة الى الطائف^(١٢) ، وفيها نرى الزركلي العالم المحقق الذي لا يمكن بما يشاهده أو يسمعه بل يرجع الى المصادر القديمة للتثبت والتنصوب والمقارنة . وهو في هذا الجزء رائد ولا شك لمن أتى بعده من الباحثين المهتمين بتاريخ القبائل وتحقيق المواضع .

لقد شغل الزركلي في رحلته بالتاريخ والآثار وتقاليده البدو وآدابهم عن الخوض في السياسة . ولعله كان يائسا من قدرة الحسين على تغيير الأحوال في سوريا ، أو نقض ما اتفقت عليه الدولتان العظميان : بريطانيا وفرنسا . وهو يعبر عن خيبة أمله هذه متمثلا بقول الشاعر :

وارحمنا للغريب في البلد النازح
فأرق أحبابه فما انتفعوا
بألفنا من بعده ولا انتفعنا^(١٣)

بل لعل ظروفه الخاصة قد حالت بينه وبين تحديد موقفه واضحا صريحا كما فعل الرحائي . فالزركلي لم يكن سوى أديب مناضل ، فرجياته وحرته من بطش المستعمر . وهو بعد ذلك من رعايا الدولة الهاشمية أثناء حكمها القصير في سوريا . فعلاقته بالحسن أشبه بعلاقة المواطن بولي أمره . ولا يستبعد أن يكون جلالته قد أمر اليه ببعض الأمور ، وأسند اليه بعض المهام أثناء زيارته تلك . يدلنا على ذلك ما ذكره الزركلي في ترجمته الشخصية في «الأعلام» اذ يقول انه بعد عودته من الحجاز الى مصر تخنّس بالجندية العربية في الحجاز سنة ١٩٢١ ، وان الملك حسين انتدبه لمساعدة ابنه عبدالله أثناء توجهه الى شرقي الأردن . وعند تأسيس الحكومة الهاشمية في عان كان الزركلي من أوائل المعينين فيها مفتشا عاما للمعارف ثم رئيسا لديوان رئاسة الحكومة من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٣ م^(١٤) .

الرحلات الصحفية :

ونقصد بها ذلك النوع من الرحلات القصيرة التي يقوم بها بعض الصحفيين والأدباء العرب الى البلاد بين الحين والآخر ، لتغطية أخبار بعض المناسبات المهمة أو مجرد الاستطلاع . وقد تتم هذه الزيارات بناء على دعوة رسمية من الحكومة ، أو على مبادرة شخصية من الكاتب نفسه . وربما صادفت الزيارة موسم الحج ، فتمكن الكاتب من اداء الفريضة ، وجمع بذلك بين الواجب الديني والعمل الصحفي .

ولعل أول مناسبة مهمة استقطبت اهتمام الصحفيين ، في العهد السعودي ، كانت انعقاد المؤتمر الأول للعالم الإسلامي بمكة المكرمة سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) استجابة لدعوة المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود . لقد شهد ذلك المؤتمر عدد من الصحفيين العرب ، من بينهم السيد محمد علي حسن — صاحب جريدة ومطبعة نهضة الشرق ومندوب جريدة اللواء المصري ، لسان حال الحزب الوطني — الذي قام بالكتابة العامة في المؤتمر ، ولخص أعماله في

كتيب بعنوان : «صحيفة موجزة بأعمال مؤتمر العالم الإسلامي الأول بمكة المكرمة عام ١٣٤٤ هـ .» وضمنه نص الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك عبد العزيز في افتتاح المؤتمر ، وبيان جلالته الموجه إلى المؤتمرين ^(٦٥) . ويغلب الطابع الرسمي على الكتيب . ولا نستطيع أن نسميه : رحلة ، ولكنه كان البداية للرحلات الصحفية التي لن تكن بتغطية الأخبار ، بل ستحاول أن تصور بعض جوانب الحياة العامة في البلاد ، وأن تعبر عن موقف أو رأي معين . ففي سنة ١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٧ م ، نشر السيد محمد شفيق أفندي مصطفى كتابا بعنوان : «في قلب نجد والحجاز» ، وصفه بأنه : «سلسلة مقالات سياسية اجتماعية دينية ، تتضمن حقائق ومشاهدات في قلب شبه الجزيرة العربية ، لم يسبق لرحالة تدوينها قبل الآن» ، وقد نشرت تباعا بجمريدة السياسة ^(٦٦) . ويقول المؤلف إن النهضة الجديدة في العهد السعودي ، وبعد توحيد القطرين العربيين — نجد والحجاز — في حكم واحد ، قد حفزت الكثيرين إلى استطلاع الأحوال والوقوف على الحقائق عن كتب . ويقول إن «سمو الأمر» سعود ، أثناء زيارته لمصر آنذاك ، قد دعا المفكرين المصريين لزيارة بلاده «واستطلاع شؤونها ونشر الحقائق الباردة عنها للناظرين بالصادق من لا يزالون يجهلون عنها كل شيء» ^(٦٧) .

وفي سنة ١٩٣٠ م قام الأديب المعروف إبراهيم عبد القادر المازني برحلة إلى الحجاز ، أسماها : «رحلة إلى الحجاز» ، لم يذكر فيها أسباب الزيارة ، ولكنه أشار إلى الاحتفال بمبايعة عبد العزيز ملكا على الحجاز ^(٦٨) ، كما تحدث عن المأدبة التي أقامها «الأمير فيصل» نائب الملك في قصر الكندرة ، وحضرها المؤلف مع رفاقه من الوفد المصري ، كما حضرها المعتمدون الأجانب في جدة : «وخطب فؤاد بك حمزة في ختام المأدبة المناسبة انقضاء عام على مبايعة ابن السعود ملكا على الحجاز ، فبين ما قامت به الحكومة السعودية من الإصلاح ، وما تفكر فيه من وجوه المختلفة» ^(٦٩) . ويذكر المازني من رفاقه القادمين معه من مصر : أحمد زكي باشا ، شيخ العروبة ، ونبية بك العظيمة ، وخير الدين الزركلي ^(٧٠) . وفي كتاب محمد حسين هيكل : «في منزل الزحبي» ما يلقى بعض الضوء على رحلة المازني ، فقد أشار هيكل إلى أن الحكومة السعودية قد دعت ، في مستهل شتاء ١٩٣٠ م ، الصحافة المصرية لزيارة الحجاز بمناسبة تنصيب الملك عبد العزيز ، وأن الدعوة قد وجهت إليه أصلا كممثل للحرية السياسية ، فاعتذر عنها ، لظروف عمله ، وأتاب عنه صديقه وزميله الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ^(٧١) . ويقول المازني في رحلته إنه قد قام بهذه المهمة الصحفية ، وأنه كان وزملاؤه الصحفيون العرب يبعثون «التلغرافات» من الحجاز إلى مكاتب صحفهم في مصر ^(٧٢)

أما عبد الوهاب عزام فقد زار البلاد السعودية أكثر من مرة ، وكتب عنها في رحلاته «الأولى» ورحلاته «الثانية» — في الأولى قدم إلى الحجاز ضمن أعضاء بعثة جامعة فؤاد لأداء فريضة الحج سنة ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧ م ^(٧٣) ، وفي الثانية قدم كوزير مفوض للحكومة المصرية في جدة سنة ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م . وقد تمكن في المرة الأخيرة من التجول في منطقتي الحجاز ونجد ، وتدوين ملاحظاته عنها — يقول إنه قطع الطريق من جدة إلى المدينة المنورة

تسع مرات بالسيارة غير مرتين بالطائرة^(٧٤) — بينما لم تمكنه زيارته القصيرة الأولى الا من وصف مناسك الحج وصفا سريعا مقتضيا ، وتسجيل انطباعاته عن بعض الآثار الإسلامية التي وقف عليها .

ولا يختلف كتاب الأستاذ علي الطنطاوي : «من نفحات الحرم» عن كتاب عبد الوهاب عزام من حيث كونه سجلا لرحلات متعددة ، قام بها الكاتب في فترات متفرقة الى الأراضي المقدسة ؛ أقدمها وأهمها تلك الرحلة التي قدم فيها لأول مرة لأداء فريضة الحج مع الوفد السوري سنة ١٩٣٥ م ، مفتتحا بها طريق الحج البري للسيارات .

ورحلة بنت الشاطي : «أرض المعجزات — رحلة في جزيرة العرب» سنة ١٩٥١ م . كانت وليدة رغبة متأصلة في نفس الكاتبة لزيارة الأراضي المقدسة ، ولوأن الصدفة قد لعبت فيها دورا كبيرا . تقول : «في مسهل عام ١٩٥١ ، تلاقى جمع من اساتذة جامعة القاهرة وطلابها ، يتحدثون في أمر عطلة نصف العام التي كانت تدنو إذ ذاك ، فاختار فريق أن يذهب الى السودان لتتعرف الى اخواننا أبناء الجنوب ، وآثر آخرون أن يمجوا الى الحجاز معتمرين زائرين . وهي رحلة كانت جديرة بأن تستهوي كل المسلمين منا ، وتجذب اليها دارسي العربية وأدباها والإسلام وتاريخه . لكن قيمة الاشتراك في الرحلة حددت بمبلغ خمسة واربعين جنيا ، فحال هذا الرقم دون أكثر الراغبين ، ولم يبق منهم سوى عشرة » . وتقول المؤلفة إن برنامج الرحلة كان في بادئ الأمر مقتصرا على جدة ومكة والمدينة وأداء العمرة والزياراة والطواف بالمشاهد التاريخية ؛ غير أن «الأمير» فيصل آل سعود قد علم بمشروعهم فشملمهم برعايته ومكنهم من زيارة مناطق أخرى من المملكة لم تحظر على بال ، فوصلوا الى نجد والدنهان وشرقي الجزيرة العربية حتى الأحساء ومنطقة البحرين . وتقول أيضا إنه حين وصلهم الى جدة فوجئوا بإبلاغهم أنهم ضيوف حضرة صاحب الجلالة عاهل الجزيرة طوال إقامتهم^(٧٥) .

ان هذه الرحلات تختلف بطبيعة الحال من حيث تناول الموضوع والفكرة والأسلوب ، تبعاً لاختلاف كتابها وظروفهم وتباين مشارهم وأذواقهم . وقد تقرب من رحلات الحج والزياراة في وصف المناسك والتعبير عن التأملات الروحية ، كما يقترب بعضها من الرحلات العلمية في الاهتمام بالمواضع والقبائل واللهجات الخ . ولكن يجمعها ، مع ذلك ، الطابع الصحفي في الميل الى السرعة والاستطراد . وكثير منها قد نشر متجاً في صحف سيارة تحاطب القارئ العادي وتستجيب لرغباته في حب التنقل والتلوين والاثارة . وقد عبر الأمير شكيب أرسلان عن هذا الطابع الصحفي في رحلته «الارتسامات اللطاف» عندما ذكر أنه كان ينشرها مقالات متفرقة في جريدة «الشورى» مما اضطره الى استطرادات لا حد لها والاستجابة الى ذوق القارئ . يقول : «ومن حيث اني كنت أصدرها [الرحلة] من وقت الى آخر في جريدة سيارة ، كانت هيئتها أقرب الى أسلوب الجرائد منها الى أسلوب الكتب ، لأن الكاتب إذا كتب بين اسبوع وآخر متأثراً بالعوامل المختلفة ، ملاحظاً المتجددات اليومية ، مراعيًا حال قرائه الروحية ، ذهب به الاستطراد كل مذهب ، وشردت به شجون القول فشرقت

وغرب (٧٦) .

وإذا كان أرسلان قد أراد أن يفيد قراءه بمشدد معلومات كثيرة متنوعة - جغرافية وتاريخية واجتماعية ولغوية وأدبية - فإن المازني أراد أن يسليهم وأن يثيرهم بوصف بعض المواقف أو العادات الاجتماعية التي تبدو غريبة في نظره ، فيبالغ في رسمها حتى غدت «كاريكاتيرية» مضحكة . وما أكثر هذه الصور في رحلة المازني . وهي تتسجم مع طبيعته المرحية . وفي ميله الى النقد عن طريق التهويل في الوصف والسخرية .

ومن الرحالة الصحفيين من يقع في الخطأ وهوينشد الاغراب والطرافة ، وخطأه اما نتيجة الجهل أو السذاجة المتناهية أوهما معا ، كقول محمد شفيق مصطفى ، في رحلته : «في قلب نجد والحجاز» ، إن فيصل الدويش هو زعيم قبيلة الارطاوية وان سلطان بن بجاد هو زعيم قبيلة الغطفط (٧٧) . ومن المعروف أن الارطاوية هجرة لقبيلة مطير ، والغطفط هجرة لعتيبة (٧٨) . ويقول في موضع آخر تحت عنوان : «عقائد النجديين في الحياة والخلود» : إن بما يستحق الذكر أن أهل نجد يعتقدون ان النجدي إنما خلق لعبادة الله وطاعة شريعته وان أجله محدود وان هنالك بعثا بعد الحياة الدنيا ، ويقارن بين ما يسميه «عقائد النجديين» وبين عقائد الفراعنة في البحث (٧٩) . وهذا كلام لا يحتاج الى تعليق ، لأنه يدل على غفلة متناهية من الكاتب ، فتلك عقيدة المسلمين جميعهم وليست عقيدة النجديين وحدهم . وهو يكتب عن «النجديين» وكأنه يكتب عن قبائل بدائية من افريقيا أو الشرق الأقصى .

والى جانب الاستطراد والاثارة ، فان الرحلة الصحفية تتميز بطابعها الاعلامي في الكشف عن الحقائق المجهولة ، والاشادة بما وصلت اليه البلاد من نهضة وتطور . وقد كانت بلادنا حتى عهد قريب تنقصها وسائل الاعلام الفعالة النشطة التي تستطيع ان تنقل الصورة الحقيقية للحياة في المملكة خارج الحدود . فلما فقد قام هؤلاء الصحفيون والأدباء ، حسب امكانياتهم ، بهذه المهمة ، وتمكنوا من نقل بعض الجوانب المشرقة التي شاهدهوها الى قرائهم في الوطن العربي . ومن هذه الجوانب التي توقفوا عندها طويلا بجانب الأمن ونهضة التعليم وتطور وسائل الحياة الحديثة في البلاد . وقد عبرت بنت الشاطئ عن دهشتها للتقدم المائل الذي وصلت اليه المملكة سنة ١٩٥١ م ، فالطائرة قد حلت محل الجمل في الربط بين اطراف الجزيرة المتباعدة . والرحلة بين جدة والظهران لم تستغرق سوى اربع ساعات ، وتقف المؤلفة متعجبة لتلك الطفرة ، وقد جلست يجوارها في الطائرة احدى البدويات :

هكذا من الناقة الى الطائرة في وثبة واحدة ؟

هكذا من المودج الى صالون داكوتا ويريستول ؟

هكذا من ماء الأمطار والميول الى شراب الأناناس والكوكاكولا !

يا لها من وثبة عاتية ، لم تمر بمراحل التطور التي مررنا بها ، لما عرفت الدهناء من قبل العربية أو السيارة ، ولا رأت حتى اليوم ، قطارا يجوس خلالها ويمرّق بين كتبائها وهاهنا (٨٠) .

ولكنها «أرض المعجزات» التي تقول عنها بنت الشاطيء أنها قد غيرت بالإسلام قبل أربعة عشر قرناً تاريخ العالم ، وقررت «مصائر دول وشعوب وعروش وتيجان وحضارات وديانات . واليوم يكتب لها أن تدفع سيل الزيت دافقاً كالدم الحار في شرايين الدنيا فتشارك في تقرير المصير لعالم اليوم»^(٨١) .

وفي رحلتها الثانية سنة ١٩٧٢ م ، تدهش بنت الشاطيء لما وصلت اليه الفتاة السعودية من تقدم كبير في مضمار العلم ، وقد عهدها في زيارتها الأولى سنة ١٩٥١ م جاهلة خاملة متخلفة تقبع وراء الأسوار . تقول :

«وتركت الجزيرة ، من عشرين سنة ، وليس فيها مدرسة واحدة لتعليم البنات . المدنية العصرية غزت بيوت نجد والأحساء ، فسمحت للضوء والسيارة والراديو بدخول أجنحة الحرير ولم تسمح بدخول الكتاب . ومضى جيل واحد فحسب ، فتحت فيه ابواب العلم الموصدة في وجوه البنات ، فاجتازن المراحل الى التعليم العالي . وهؤلاء هن في (جامعة الملك عبد العزيز بجدة) ، يوشكن أن يتيمن مرحلة الليسانس . وتحقيقن ما لم يجزؤ عهد العاهل الراحل على الخوض فيه ، فتركه امانة لمعهد ابنه فيصل ، الذي جعل لتعليم البنات في المملكة رياسة خاصة تعوض ما فات ، وتصل ما انقطع من ماضي هذه الأمة ، يوم كانت المرأة تشارك في صنع تاريخها مشاركة ذات بال ، وتفرض وجودها الفعال المؤثر على حياة قومها في الجاهلية والإسلام»^(٨٢) .

الهوامش والمصادر

- (١) انظر : شوقي ضيف ، الرحلات ، ص ٦ — ٨ .
- (٢) يقول الجاحزان الرحلات من أهم النواحي الثقافية العربية ، وهي لا تزال في حاجة الى اهتمام الباحثين ، وقد حاولت مجلة «العرب» الاتجاه في هذا السبيل . مجلة العرب ، ج ٦ ، ص ٤ ، ذوالحجة ٨٩ هـ / فبراير ٧٠ م ، ص ٤٧٣ ، وانظر ايضاً : مجلة العرب ، ج ٥ ، ص ٦ ، ٩ ، ذوالقعدة ٩٤ هـ / يناير ٧٥ م ، ص ٣٢١ — ٣٣٦ .
- (٣) أدب الرحلة عند العرب ، (المهينة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م) .
- (٤) شوقي ضيف : المصدر نفسه ، ص ٧١ .
- (٥) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي — تعريب صلاح الدين عثمان (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣) ، القسم الأول ص ٣٤٩ — ٣٥١ .
- (٦) المصدر السابق ، القسم الأول ، ص ٤٢٨ .
- (٧) المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٧٢٨ .
- (٨) محمد أديب غالب : طرابلس الشام في الرحلات العربية ، مجلة العرب ، ج ٧ ، ص ٧ ، محرم ٩٣ هـ / فبراير ٧٣ م ، ص ٥٥٣ .
- (٩) المصدر السابق ، ص ٥٥٤ .
- (١٠) المصدر السابق ، ص ٥٥٦ .
- (١١) انظر : كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، القسم الثاني ، ص ٧٥٣ . ويمكن ان نضرب مثالا على

- ذلك بكتاب ابن موصوم : سلافة العصر في محاسن أعيان العصر .
- (١٢) أنظر : حمد الجاسر : «في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات الى الحج» ، مجلة العرب ، ج ٥ ، ص ٦ ، ٩ ، القعدة ٩٤ هـ / ٧٥ م ، ص ٣٢١ — ٣٣٦ .
- (١٣) شوقي ضيف ، المصدر نفسه ، ص ١٥ .
- (١٤) كراشكوفسكي ، المصدر نفسه ، القسم الأول ، ص ٢٦٠ .
- (١٥) المصدر السابق ، القسم الأول ، ص ٣١٧ — ٣١٨ .
- (١٦) لقد عبر خير الدين الزركلي أحسن تعبير عن طبيعة فن الرحلة عندما سمى رحلته الى الحجاز ، سنة ١٩٢٠ م : «ما رأيت وما سمعت» ، وهو يقول فيها :
- «... وانما أنا ناقل ما سمعت وما رأيت نقل الحديث لا المؤرخ ، والمصور لا الكاتب ، متحرراً يريد الحقيقة كما هي عارية مجردة . ولو استطلعت لأخذت بيد القارئ أريه ما وقعت عليه عيناى ، وأسمعه ما وخته أذناى . على أن الخير قد يغني عن الاختيار ، وفي الرواية ما قد يغني عن المشاهدة .
- ما رأيت وما سمعت (الطبعة العربية ومكثتها بمصر ، ط ١ ، القاهرة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م) ، ص ١١١ .
- (١٧) حمد الجاسر : «في رحاب الحرمين — من خلال كتب الرحلات الى الحج» ، مجلة العرب ، ج ٥ ، ص ٦ ، ٩ ، ذوالقعدة والحجة ٩٤ هـ / يناير ٧٥ م ، ص ٣٢١ — ٣٢٢ .
- (١٨) المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .
- (١٩) انظر مقالتى : «كتب الرحلات» ، مجلة العرب ، ج ٩ ، ص ٩٢ هـ / ٧٧ م ، ص ٧٤٦ — ٧٥١ . ويقول الأستاذ حمد الجاسر إن الكتابي لم يبين ما يتعلق من هذه الرحلات بالحجاز — انظر : «وجوه في المغرب العربي» ، مجلة العرب ، ج ٩ ، ص ٧ ، ٩٣ هـ / ٧٣ م ، ص ٦٤١ — ٦٤٢ .
- (٢٠) الزركلي : المصدر نفسه ، ص ٤٧ — ٤٨ .
- (٢١) انظر فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية (مطبعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م) ، ص ٧٨ .
- (٢٢) لعله من المفيد أن نورد هنا ثلثا بالحوادث المهمة في تاريخ هذه الوحدة المحمية التي كان بطلها المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود : فتح الرياض : ١٩٠٢ ، ضم الخرج والحمل والشعب والوشم : ١٩٠٢ — ١٩٠٣ ، فتح القصيم : ١٩٠٣ — ١٩٠٦ ، القضاء على الثورات الأهلية : ١٩٠٩ ، فتح الأحساء : ١٩١٣ ، التوسع الى تربة والخزعة : ١٩١٩ ، ضم عسير : ١٩٢١ ، فتح حائل والجبوف : ١٩٢١ ، الاستيلاء على الحجاز ١٩٢٤ — ١٩٢٥ ، بسط الحماية على تبامة : ١٩٢٦ ، القضاء على الفتن السعديونية : ١٩٢٨ — ١٩٣٧ . انظر فؤاد حمزة : المصدر نفسه ، ص ١٩ — ٢٠ .
- (٢٣) وفي اواخر العهد التركي كتب محمد كرد علي رحلته التي اسماها : «الرحلة الأنوربة الى الأصماع الحجازية والشامية» ، وهي في وصف رحلة أنور باشا ، وكيال القائد الأعظم وناظر الحرية في الدولة العثمانية — الى المدينة المنورة وسورية وفلسطين — وتقع في حوالي ثلاثمائة صفحة ، وقد طبعت في بيروت سنة ١٩١٦ .
- (٢٤) مع أن ابراهيم رفعت قد سبق البنتوني في رحلاته الأربع الى الحجاز ، كما رأينا ، إلا أنه لم ينشر ما سجله عن تلك الرحلات الا بعد ظهور كتاب البنتوني بمئة طويلة ، سنة ١٩٢٥ . لذلك نراه يرجع الى البنتوني في بعض المواضع من كتابه .
- (٢٥) نشرت متجسمة في مجلة المنار ، في الجزء من ١٩ ، ٢٠ سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ م وسنة ١٩١٧ — ١٩١٨ ، ثم جمعت في كتاب ، مع رحلاته الأخرى بعنوان : رحلات الإمام محمد رشيد رضا — جمعها وحققها الدكتور يوسف إبيش ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت

(١٩٧١ م).

- (٢٦) التاريخ التي نذكرها هنا لا تمثل تاريخ الطبع . بل تاريخ قيام المؤلف بالرحلة . ولا يعوتنا أن نشير في هذا الموضع الى رحلة الأستاذ علي الطنطاوي التي قام بها الى الحجاز مع الوفد السوري سنة ١٩٣٥ . وقد نشرت سنة ١٩٤٠ م . وطبعت مرة أخرى ضمن مقالات له أخرى في نفس الموضوع في كتاب : «فتحات الحرم» — (مطابع دار الفكر . ط ١ دمشق سنة ١٩٦٠ م) .
- (٢٧) انظر كتاب :

- ويقول المؤلف في هذا الكتاب عن الرحالة الغربيين في اوائل القرن العشرين « إنهم قد أكملوا العمل الذي بدأه الرحالة السائقون . ولكنهم كانوا يتجهون الى الجوانب العلمية . ولم يكونوا رومانتيكيين كأسلافهم . فلا زال أمامهم جزء كبير من الجزيرة العربية لم يحقق علميا من النواحي الجغرافية والجيولوجية وغير ذلك .
- (٢٨) انظر : الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي (المئة المصرية العامة للتأليف والشر . القاهرة ١٩٧٠ م) ، ص ٣٠١ — ٣٠٤ .
- (٢٩) المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .
- (٣٠) انظر أنيس المقدسي : الانجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث (ط ٢ ، بيروت ١٩٦٠ م) ، ص ١٤٦ — ١٥٧ .
- (٣١) انظر كتابه : «ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية» (مطابع صارد ربحاني ، ط ٣ ، بيروت ١٩٥١ م) ، ج ١ ، المقدمة ، ص ١٥ .
- (٣٢) المصدر السابق ، ج ١ ، المقدمة ، ص ١٨ .
- (٣٣) في منزل الرعي (مطبعة دار الكتب المصرية ، ط ١ ، القاهرة ١٩٣٧ م) ، ص ١٤٤ . لقد كان هيكل في ذلك الوقت من المعجبين بالزعماء والمفكرين الغربيين ، ويسمارك (١٨١٥ — ١٨٩٨) من أبطال ألمانيا في القرن التاسع عشر ، الذين استطاعوا أن يحققوا لها الوحدة الألمانية .
- (٣٤) مرآة الحرمين — أوالرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (مطبعة دار الكتب المصرية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٥ م) ، للمقدمة ، ص ٣ .
- (٣٥) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ٣ — ٤ .
- (٣٦) الرحلة الحجازية (مطبعة الجالية ، ط ٢ ، القاهرة ١٣٢٩ هـ) ، المقدمة ، ص ٥ .
- (٣٧) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ٥ .
- (٣٨) المصدر نفسه ، المقدمة ، ص ٦ .
- (٣٩) أنظر ، مثلا ، الصفحات : ٦٩ — ٧٣ ، ٩٤ — ١٠١ ، ١٠١ — ١٣٣ ، وانظر أيضا العناوين الآتية : وكيف جمع أبها المسلم — الأدعية المأثورة من الابتداء في الحج الى النهاية منه . ص ١٧٦ — ١٧٧ ، وعمرات الاحرام ، جدول بمناسك الحج على المذاهب الأربعة ص ١٧٦ — ١٧٩ .
- (٤٠) يقول كراتشكوفسكي ان هذا الضرب من الرحلات ، الذي يؤلف بناء على تكليف أمير كبير أولنيل عطفه ، كان مألوفاً في المصور الماضية . ومن هذه الرحلات رحلة ابن الجيعان : «القول المستطرف في سفر مولانا الأشرف» ، والتي وصف فيها رحلة السلطان قايتباي الى الشام . وكان المؤلف ضمن حاشية السلطان . ويقول كراتشكوفسكي : «وقد استمر هذا الضرب من الرحلات مزدهرا لعدة قرون . بل اننا نلتقي به في القرن العشرين في وصف مشابه ، ولكنه يقوم على اساس مختلف كل المخالفة ، أعني رحلة البتانوني التي رفعها الى خديوم مصر عباس حلمي» . المصدر نفسه ، القسم الثاني ، ص ٤٧٦ .
- (٤١) انظر مثلا الى نماذج من تقارير ابراهيم رفعت ، وهي قليل من كثير : «تذاكر السفر في شركة البواخر

(ج ٢ ، ص ١٦٥) ، وجدول بما لكل عامل في المحصل من الجبال والخيام وغيرها (ج ٢ ، ص ١٦٢) الخ . ولقد كان بإمكان المؤلف أن يفرد قسما خاصا في آخر الكتاب يجمع فيه ما يريد الخاتمة من تقارير ووثائق ومستندات وما الى ذلك .

- (٤٢) في متزل الوحى ، تقديم ، ص ١٠ .
- (٤٣) المصدر السابق ، ص ١٠ .
- (٤٤) المصدر السابق ، ص ١٠ .
- (٤٥) ملوك العرب . المقدمة ، ص ١٨ .
- (٤٦) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ٢٢ — ٢٣ .
- (٤٧) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ١٩ .
- (٤٨) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .
- (٤٩) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢ .
- (٥٠) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣ .
- (٥١) ما رأيت وما سمعت ، ص ١١٤ .
- (٥٢) ملوك العرب ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ، ٢٥٧ وما بعدها .
- (٥٣) انظر حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ القاهرة ١٩٣٥) ، ص ٢٤٠ .
- (٥٤) ستحدث عن ذلك بالتفصيل في القسم الذي ستخصصه للحديث عن الرحلة ومواقفهم .
- (٥٥) ملوك العرب ، المقدمة ، ص ١٢ .
- (٥٦) جورج غرب : أدب الرحلة — تاريخه وأعلامه (دار الثقافة ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٦ م) ، ص ١٠٥ .
- (٥٧) ما رأيت وما سمعت ، انظر ص ٣ — ٢٧ .
- (٥٨) المصدر السابق ، ص ١١١ .
- (٥٩) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .
- (٦٠) المصدر السابق ، ص ١٣٦ .
- (٦١) المصدر السابق ص ١١١ .
- (٦٢) من ص ٢٧ الى ص ١٠٩ ، وانظر حديثه عن البادية — تقاليدها وأدبها ، من ص ١٣٧ الى ص ١٨٦ . في حين أن مجموع صفحات الرحلة لا يتجاوز ١٩٠ صفحة .
- (٦٣) ص ١٠٨ .
- (٦٤) انظر ترجمته في الأعلام ، ج ١٠ (المستدرك) ، ص ٢٥٧ .
- (٦٥) صحيفة موجبة — (مطبعة نفثة الشرق ، الاسكندرية ، سنة ١٣٤٥ هـ) .
- (٦٦) لم طبعت بعد ذلك في مطبعة للثار ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ/١٩٢٧ م .
- (٦٧) في قلب نجد والحجاز ، ص ٧ .
- (٦٨) رحلة الى الحجاز (مطبوعات الجديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٣ م) ، ص ٧ .
- (٦٩) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
- (٧٠) المصدر السابق ، ص ١٠ — ١١ .
- (٧١) في متزل الوحى ، ص ٣٣ — ٣٤ .
- (٧٢) رحلة الى الحجاز ، ص ١٦٤ — ١٦٥ .
- (٧٣) رحلات عبد الوهاب عزام — الرحلات الأولى (مطبعة الرسالة ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٠ م) ، انظر

مقدمة الطبعة الأولى .

(٧٤) رحلات عبد الوهاب عزام — الرحلات الثانية (مطبعة الرسالة ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥١ م) ، ص ٣٦٣ .

(٧٥) أرض المعجزات — رحلة في جزيرة العرب (سلسلة «اقرأ» ، دار المعارف ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٩ م) ، ص ٧ — ٩ .

(٧٦) الارتسامات (مطبعة المنار ، ط ١ ، القاهرة ١٣٥٠ هـ) ، ص ٤ . يقول ارسلان انه عدل بعد ذلك عن نشر مقالاته في جريدة الشورى ، لأن ذلك يأخذ وقتا طويلا ولا ينتهي في أقل من ستين أو ثلاث ، وانصرف الى اكمال التصنيف فورا — فكان ما نشر في «الشورى» نحو الثلث ، وما لم ينشر في الشورى ولا في جريدة غيرها نحو الثلثين . ص ٤ — ٥ .

(٧٧) في قلب نجد والحجاز ، ص ٤١ .

(٧٨) انظر أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث وملحقاته (المطبعة العلمية ليوسف صادر ، ط ١ ، بيروت ١٩٢٨) ص ٤١٢ — ٤١٤ .

(٧٩) في قلب نجد والحجاز ، ص ٤٢ — ٤٣ .

(٨٠) أرض المعجزات ، ص ٦١ — ٦٢ . لقد عرفت الدهناء السيارة قبل رحلة بنت الشاطيء بوقت طويل ، اذ يشير فؤاد حمزة في كتابه : قلب جزيرة العرب (المطبعة السلفية ، ١٩٣٣) انه اجتاز الدهناء في طريقه من الكويت الى الرياض بالسيارة يوم ١٨ يولييه سنة ١٩٣٢ — انظر الهامش ، ص ٣٢ . ولم يكن فؤاد حمزة أول من خاض تلك المغامرة . ومعنى هذا ان السيارات كانت معروفة ومتشرة في البلاد السعودية قبل سنة ١٩٥١ ، خلافا لما تظنه بنت الشاطيء .

(٨١) المصدر السابق ، المقدمة .

(٨٢) أرض المعجزات ولقاء مع التاريخ (دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢ م) ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

عند علماء المغرب

للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله

إن البحث العلمي يشمل كل مجالات الفكر الذي ينطلق من جماع مقومات الحضارة ، فالاجتمع المتوازن هو الذي تساوقت عناصره وتكاملت معطياته فتنحصر فيه النظر في مساندته للواقع وانطلقت التجربة غير مقيدة في مسارها الطبيعي المنبثق من ملابسات فعلية يعد فيها الفكر العمل كما يساند العمل الفكر ولذلك تبلور التوازن بين المقومين في المجتمع العربي في أروع مظاهره فكانت سمة المشاركة تطبع الثقافة في اطار تكوين عام لا يترك مندوحة لبس أو الغموض في التفكير العملي أو العمل الفكري لدى الباحث العربي .

فهذا الباحث قد امتاز إذن بروحه الواقعية فلم يأنف من الاختباس من النص القديم بعد تحجسه على ضوء المعطيات الجديدة التي تتواكب كلها في المجتمع الواحد وهذا هو سر عبقرية الفكر العربي في العصور الأولى للنهضة العربية أي ما يسمى بالقرون الوسطى التي كانت فترة ذهبية في حياة الإنسانية لأن الفكر ظل فطرياً في أبعاده المخبرية يلتزم بواقع الحياة ويعطى لكل الظروف حقها من التحجيص ليضع الخاص في إطاره العام دون أن ينساق في التيارات السطحية التي تحو الفكر الساذج الى التعميم السريع انطلاقاً من نظرات جزئية .

فالمجتمع العربي — مهما تكن أبعاده ومقاساته من القرية الى المدينة الوسطى الى الحاضرة — كان يرتكز منذ الانطلاقة الأولى — على دعائم توفر له ظروف الحياة التي لا يعوقها خصاص ولا يحجزها عائق وقد كان من المقرر — بدائياً — في حضارة العرب أنه « لا تستوطن إلا بلدة فيها سلطان قاهر وطبيب ماهر ونهر جار وقاض عدل وسوق قائم » (زهرة الاش ص ٢٤) . ومنذ ذلك أصبحت المدينة الإسلامية الفاضلة هي التي تساق فيها المحيط الطبيعي الخصب والعدل الاجتماعي الموفور والاقتصاد الاكتفائي السابغ والمنطلق الحر الذي يكفل للفكر المسار الانساني في غير قيد ولا شرط عدا الأقيسة المنطقية الرصينة ؟

ولذلك كانت التجربة أساس الابتكار والابداع عند العرب فتفوقوا في العلوم التجريبية خاصة وقد أكد كوداري في تاريخ المغرب (ص ٤٤٩) أنه اذا كان العرب قد تفوقوا تفوقاً بارزاً على اللاتين في عهد من العهود فان ذلك لا يمكن أن يكون إلا في الحساب والطب والجغرافية والعلوم الطبيعية والصيدلية والكيمياء والفيزيائية (البصريات) اذ جابر بن حيان الكياوي وابن الهيثم الفيزيائي في طبليحة من أقام هذين العلمين على قاعدة تجريبية راسخة ، وقد بنى العرب تجارتهم على أجهزة مخبرية فسبقوا الأوربيين الى وضع الأواني الزجاجية الكبرى التي تحتوي على السوائل الملونة للفرز والتمييز بدقة وضبط وهي اليوم أساس تحليلات وتحجيصات المختبرات العصرية في مختلف العلوم^(١) ، وقد شعر العرب منذ القرن الثاني الهجري بأهمية علم الصيدلة في التجارب الطبية كما اقتنعوا بأن معرفة الكيمياء أساسية في البحوث الصيدلية والطب .

وكان ابن جليل الأندلسي أعظم طبيب طبائعي في عصره حيث عرب مفردات (ديسقوروس) وزاد عليها الأدوية المعروفة عند العرب والتي جهلها (ديسقوروس) فأكمل بذلك هذا الكتاب انطلاقاً من معالجة أنواع الأعشاب المتوافرة في الوطن العربي وخاصة في المغرب والأندلس ، وانما برز أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي فكان أبا للطب العربي بفضل ما حققه من تجارب فله ما يناهز مائتي كتاب ترجمت جميعها الى اللاتينية منها كتاب « تجارب المارستان » وقد وصف فيها أثر تحليلات ميدانية الجدري والحصبة وأدخل الى الطب أجهزة ووسائل عيادية جديدة فكان أول من استعمل الفاتل في العمليات الجراحية وكذلك الأنابيب التي يمر منها الصديد والقيح والافرازات السامة ، كما برز كطبيب اخصائي بفضل تجاربه في حقل بكر هو طب الأطفال « الذي قام فقيه بدراسات وأبحاث ضمنها كتاباً خاصاً .

وقد أكد (رينو)^(٢) أن تاريخ الأندلس امتزج بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين منذ

بعد أن كان طبيب المتحمدين بن عباد الذي استدعاه لمعالجة (الريمية) عندما كان أسيراً في أغات ووالد أبي العلاء أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر هو الذي تولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقاهرة^(١١). وكانت له آراء شاذة امتاز بها في تجاربه منها منعه من الحام اعتقاداً منه بأنه يفسد الأجسام ويفسد تركيب الأمزجة^(١٢). وقد تمحضت تجارب أبي العلاء في المغرب عن تأليفه لكتاب (التذكرة) الذي ترجمه (كولان) وطبعه عام ١٩١١ م بباريس) وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لولده ابن زهر لتعريفه بالأدواء الغالية في مواكش والأدوية المناسبة.

وبعد ما توفي أبو العلاء أمر علي بن يوسف بجمع ملاحظات طبية أخرى أسفرت عنها تجارب زهر بن زهر في المختبر حيث سجلها في تقارير سماها (الجرابات)^(١٣). وقد جمعت بمراكش عام ٥٢٦ هـ وقد ترجم (جان دوكابو) (التذكرة) من العبرانية إلى اللاتينية (نسخة في مكتبة كلية الطب بباريس) ثم نالت التراجمة عام ١٢٨٠ م والمطبوعات (عشر مرات بين ١٤٩٠ و ١٥٥٤ م)، وتوجد الآن نسخة في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعتها إلى ١٥٣١ م وهي تحتوي على كليات ابن رشد.

وهناك رسالة في أمراض الكلى كتبها أبو العلاء لعلي بن يوسف لا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام ١٤٩٧ م كما يوجد مخطوط له حول الخواص بمكتبة بباريس ومنه استقى أبو البيطار خواص لحوم الحيوانات.

ولأبي العلاء مقالة في شرح رسالة يعقوب بن اسحاق الكندي حول تركيب الأدوية. وتوجد نسخة من (جامع أسرار الطب) لأبي العلاء في المكتبة الوطنية بالرباط (تحتوي على ١٨٥ ورقة).

وقد خالف أطباء عصره عندما أدى بحثه المخبري إلى الوصية باستعمال بطيخ فلسطين (أي الدلاح أو الدلاع بالمغرب) في أمراض الكبد والمعالجة بحس النبض والنظر إلى قوارير البول وهو كشف ماهر كان بادرة جريئة لعلماء العصر الحديث.

وأبو مروان عبد الملك بن زهر هو ولد أبي العلاء، وقد ألف كتاب (الاقتصاد)^(١٤) عام ٥١٥ هـ لأبراهيم بن يوسف أخى على المرابطي لخص فيه التجارب الطبية وأوضح الفروق بكيفية عملية بين الجذام والبق كما شرح أبعاد العدوى انطلاقاً من تجارب ميدانية، وقد أفرد لهذه المسألة رسالة لم تصلنا.

وعلى كل فإن روحه العملية وفكره العلمي الجلي جعلاه منه طبيياً ممتازاً فاق (ابن سينا) ولا يعد له في الشرق عدا (الرازي).

ومن خواص منهجية الوضوح والضببط تحليل الحالات الجزئية للتدرج من الخاص إلى العام مع استعراض نماذج من القضايا تلقى الأعضاء على جوانب دقيقة يفتلها الباحثون الذين يكتفون بالنظرات العامة والتعميمات السطحية المرجلة، وقد خالف ابن زهر هذا زملاءه من

أطباء عصره الذين كان يبادر بعضهم فيصف لمن استشاره من المرضى دواء دون تمحيص للحالة القائمة في جميع خواصها وقد حكى قصة واقعية تمت فصولها في بيت أمير مرابطي استدعى ثلثة من الأطباء للاستشارة فتحدث كل واحد عن تجربته في خصوص الداء الذي يشكو منه الأمير مبادراً بوصف الدواء ، وقد أكد ابن زهر تعليقاً على ذلك أن كل هؤلاء الأطباء لم يوفق سوى واحد منهم عجز مع ذلك عن استكناه أصل الداء فهذه السطحية أو السمة الجزئية في منهجية البحث هي التي أدت الى اختلاف النظر والحياذ عن الوجهة الصحيحة في تحديد العلاج النافع وقد كان ابن زهر هذا جريئاً في تجاربه معتمداً بما يصل اليه من نتائج ينطلق في جرأة لا يعبأ بتقليديات عصره فيدعو مثلاً الى استعمال الفصد للشيوخ من سبعين سنة فأقل وللأطفال كذلك حيث فصد ابنه من ثلاث سنوات فأدهش معاصريه ، وكانت هذه التقاليد قد أصبحت مسلمات دون أن تستند في البداية تجربة علمية صحيحة .

وقد صنف أبو مروان عبد الملك بن زهر كتابه (التيسير) بطلب من ابن رشد كتذليل لكتابه الكليات^(١٧) . وقد نهج ابن زهر في كتاب (التيسير) هذا أسلوباً جديداً في الحكمة القياسية مستخدماً التحصيل العقلي للوصول الى احسن النتائج فكان طبيب التحصيل العلمي يحضر الأدوية بنفسه غير مستعمل الخمر في تركيبها على سنن والده أبي العلاء حتى ولو أوصى بذلك (جالينوس) على خلاف (الرازي) وكان منهجه العلمي يقضي باستناد الأعمال اليدوية الى أحواله مثال الفصد والكي وفتح الشرايين في حين كان هو يشرف بنفسه على التحليلات المهادفة الى تقرير نظام الأكل عند المريض ووصف الأدوية وقد توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية الى الكشف عن أمراض جديدة لم تدرس قبله فاهتم بالأمراض الرئوية وأجرى عملية القصبة المؤدية الى الرئة وتمكن من تشرحها في مرض الذئبة ، وقام بتجارب في أمراض الجهاز الهضمي واستعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع كما استعمل الحقن المغذية واكتشف طفيلة الحرب وسماها (صؤابة الحرب) كما بسط طرق العلاج القديمة وأوضح أن الطبيعة — اذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر شأن الجهاز البشري — تكفي وحدها في الغالب لعلاج الأدوية^(١٨) وسر العبقريّة في هذا المنهج هو أن الطبيب أباً مروان كان ينسى نفسه ويستهلك في مريضه فإذا عرضت عليه حالة شائكة حاول أن يعيشها واستمد من ذكرياته وتجاربه ومنطقه ولهذا كان نسيج وحده فانكب اطباء العصور الوسطى على دراسة كتابه (التيسير) الذي ترجم أولاً عن العربية من طرف شخص مجهول^(١٩) . وهكذا استعاض أبو مروان بالمنهج التجريبي والطريقة العقلية عن التقليد في ممارسة فن الطب وأدت تجاربه العملية — علاوة على ذلك — الى تطوير ثلاث شعب حاول توحيدها وهي الصيدلية والجراحة والطب العام .

ومن أغرب بحالي الابتكار ما قام به أبو مروان عبد الملك بن زهر حيث أنبت كرمه عنب سقاها من ماء مسهل واستخرج منها ما سماه (الترياق السبعيني) فصار يعطي منه لعبد المؤمن ابن علي الموحدي لكرهائته شرب المسهلات^(٢٠) . أما الحفيد أبو بكر بن أبي مروان الطبيب الشاعر (المتوفى عام ٥٩٦ هـ) بمراكش فقد ألّف (الترياق الخمسيني) ليعقوب المنصور

أواخر القرن الحادي عشر وبخاصة الثاني عشر الميلادي وهما أبرز عصور اسبانيا المسلمة ثم قال : « وكيف إذن يمكن أن نفضل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين أنجبتهم الأندلس أو الذين تكوّنوا في مدارسها ثم ساروا في أعقاب ملوك المغرب من اشبيلية أو قرطبة إلى فاس ومراكش أو أغاث فللمغرب الحق إذن في أن يتبنى ابن باجة وابن طفيل وابن رشد الخ .

وإذا قارنا بين شقي العروة وجدنا أن الروح التجريبية عند علماء المغرب والأندلس جعلتهم يذوّن أحياناً سلفهم من المشاركة فهذا ابن رشد قد صنف شرحاً لرجز ابن سينا في الطب المعروف عند الأوربيين بـ (كانتيكوم) فامتاز الفرع على الأصل حيث أكد ابن زهر الأوسط أفضليته على كتاب (القانون) الذي هو أعظم مصنفات ابن سينا لأنه جامع لمبادئ العلم .

فالفكر التوليفي هذا هو الذي يعتبر من عوامل النجاح في التجربة العلمية المغربية ، وقد حكم المجتمع الطبي عام ١٥٠٠ م/٩٠٦ بالسبق لابن سينا في خمس محاضرات من أصل عشر ولجالينوس في أربع ولا بقراط في واحدة (كازيطة المستشفيات — عدد مارس ١٩٣٢ محاضرة الأستاذ فوسك .

كل ذلك راجع لروح الأصالة التي بدت في تجارب ابن سينا .

وأكد طبيب تجريبي ظهر في الأندلس في القرن الرابع الهجري هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (التعريف لمن عجز عن التأليف) الذي قال فيه أحد الجراحين الغربيين : « لا شك أن الزهراوي أعظم طبيب في الجراحة العربية وقد اعتمده واستند إلى بحوثه جميع مؤلفي الجراحة في القرون الوسطى وكتابه هو اللبنة الأولى في هذا الفن وهو أول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصاة المثانة واستخرجها بعملية جراحية وعالج الشلل وأول من استعمل خيوط الحرير في العمليات الجراحية والظاهرة الطريفة التي امتاز بها كتاب التعريف هي احتوائه بإزاء النصوص على آلات دقيقة وضعه لمبدأ أساسي منذ البداية يتلخص في أن علم التشريح أساس للجراحة^(٢) فكتابه هو أول تعبير للجراحة كعلم (ص ٤٥٩) .

وتوجد في (خلع ١٤٢٧ د)^(١) بعد المقالة الثامنة من كتاب التعريف مقالة تحتوي على ٢٨ صورة لحدائد الكلي وآلات العمل وهذه المكايي الدقيقة الصنع تختلف حسب العضو المريض من الرأس إلى الأذن والظف والعين داخلاً وباطناً والأضراس والمعدة والمقعدة والكبد والطحال والقدم والساق والتأليل والرحم والمثانة الخ .

ومن جملة الأطباء الذين انطلقوا من التجربة الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن شهيد الذي عرف الأدوية المفردة ورتب قواها ودرجاتها في المختبر وقارن بين العشب الأصلي والدواء المستحضر فقرر عدم استعمال الأدوية ما أمكن العلاج بالأغذية أو ما يقرب منها حتى إذا اضطر إلى الأدوية فضل المفردة على المركبة واختصر التركيب في هذه فصول إلى نتائج غريبة في الإبراء من الأمراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج وأقره^(٣) .

وكان منطلق التجربة العربية المصلحة الجاهلية فقد كان من مهام المختص تحليل الأطباء أن لا يعطوا أحداً دواءً مرّاً ولا يركبوا له سماً ولا يصنعوا السائم عند أحد من العامة ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل والغرض عن المحارم وعدم افشاء الأسرار (أو السر المهني) والتوفر على جميع الآلات^(٧).

وقد أدت التجربة بأفراد الشعب في المجتمع البربري منذ عهود سحيقة الى حقن جرائم الجلدري التي كانوا يستعملونها لتحصين المصاب^(٨).

وقد لاحظ لوكير^(٩) أن المغرب هو أشد أقطار الاسلام عمقاً من الناحية العلمية كما أكد أن علماً تجريبياً هو الطب ازدهر في المغرب الأقصى منذ القرن العاشر الميلادي أي الرابع الهجري^(١٠)، ونقل الكانوتي (في شهرات المغرب) عن كتاب «فن الأسنان بالمغرب الأقصى» أنه كان يفاس في القرن الرابع مدرسة طبية.

ولم يسبق للفكر العلمي أن تحرر في المغرب كما وقع في القرنين الخامس والسادس الهجريين في عهد الموحدين وذلك بفضل العناية التي أولاها الخلفاء للبحث العلمي ولتجارب العلماء يشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وابن رشد وبنو زهر في الطب وابن العوام النبائي والادريس في فنون الهيئة والجغرافية والفلك والفلسفة، وقد أصبحت مصنفاتهم مرجعاً لرجال القرن السابع وما بعده أمثال ابن البيطار (المتوفي عام ٦٤٦ هـ وأستاذه أبي العباس النبطي مما مكن للأندلس والمغرب حمل راية الفلسفة والعلوم في العالم الاسلامي^(١١).

وقد خلف أبو عبيد البكري صاحب المسالك كتاباً حول أعشاب الأندلس وأشجارها فوصف ظواهر غريبة في تاريخ علم الطبيعة كالأعشاب المسهلة وشجر (أركان) الذي وجدته في طريق أغات الى فاس.

وهكذا في العهد الذي كانت الأندلس خاضعة لسلطان مراكش تكونت — كما يقول لوكير (ج ٢ ص ٢٤٠) جماعة من الأطباء التفت حول ملوك المرابطين والموحدين وسار معظمهم في ركاب هؤلاء الملوك الى المغرب حيث قضوا بقية حياتهم في البحث والتصنيف وتدرّس الطب والفلسفة والعلوم فأفاد المغرب كثيراً من نكية الأندلس.

ورغم ما أظهره المنصور في موقفه ضد الفلاسفة فإن هدفه الأساسي كان هو ضمان التوازن بين المعقول والمنقول باعتبار أن هذا التوازن هو أساس نجاح كل تجربة علمية لأن النظر الذي لا يعززه الواقع لا يمكن أن تدعمه قاعدة راسخة، فلذلك ساند علوم الطبيعة في نفس الوقت الذي عمد الى تدوين الأحاديث النبوية وترتيب الجرايات لحفظها وبالرغم عن اعتقال المنصور لابن رشد وأبي جعفر الذهبي فإنه ما لبث أن أعاد الخطوة لهذا الأخير عندما أناط به مهمة السهر على مصالح الأطباء وطلبة الطب في سبيل تنظيم البحث العلمي طبقاً لمنهجية التوازن بين كفتي الفكر والعمل. ويظهر أن أبا العلاء زهر بن زهر هو أول طبيب أندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس، وقد كان طبيباً خاصاً ليوسف بن تاشفين

وكانت أمه وأختها عالميتين بالطب لا سيما في أمراض النساء تمارسان علاجها بمراكش (ابن أبي أصيبعة ص ١٦٧) وقد برهن أبو بكر هذا عن حظ وافر من التوازن الفكري والتواكب بين المعقول والمنقول والتجربة والعقلانية مما حداه الى حفظ صحيح الامام البخاري^(١٩) ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة حيث كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب (المطرب لابی دمية) .

وقد أصبحت التجربة العلمية منطلق الكشف في شتى الميادين حتى كان الأطباء والباحثون يبرزون هذه الظاهرة كبادرة جوهرية في دعم اتجاهاتهم فسمى أبو الحسن سفيان الاندلس (المتوفى عام ٥٣٧ هـ) طيب علي بن يوسف المرابطي — كتابه في الطب — (كتاب التجريبتين) وأضاف الى تقاريره محاضر شيخه أبي بكر محمد بن يحيى ابن الصائغ المعروف بابن باجة (المتوفى بفاس عام ٥٣٣ هـ) . واشترك عالمان في تصنيف كتاب واحد أو القيام بتجربة مشتركة كان نتيجة للروح الواقعية عند علماء العصر الموحدى فهذا أبو الوليد ابن رشد قصد بكتابه الكليات ابن زهر ليلحق به دراسة عن الجزئيات لتكون جملة الكتابين ككتاب كامل في صناعة الطب .

وقد توصل ابن رشد في غيره الى نتائج مذهشة جعلته يقترح في شرحه لابن سينا ما يصنفه الأطباء اليوم وهو تبديل الهواء في الأمراض الرئوية وقد أشار الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمرآكر شتوية ، وابن رشد هو أول من أشار الى الدورة الدموية الكبرى وحللها في كتابه (الكليات) الذي استمد منه (ويليام هارفي) معظم نظرياته في حين اكتشف ابن النفيس العصري الدورة الدموية الرئوية الصغرى قبل الغربيين بثلاثة قرون^(٢٠) .

ويعتبر محمد بن أحمد بن خليل السكوني (٦٤٦ هـ) نموذجاً لرجل مشارك اتقن عدة علوم ففصل في الطب والبيطرة وصنعة ركوب الخيل وتدبير الحروب وتعلم النقاب والزمرى وسمات الخيل ودلائل العاقبة كما جمع بين كتابي أبي مروان بن زهر وابنه أبي بكر في الأغذية وأضاف اليها فصل الخواص والكليات الواقعة في (تيسير) ابن زهر وهو اشبيلي أقام بمراكش متلبساً بعقد الشروط كعدل موثق^(٢١) . ومن المختبرات مستشفى مراكش الذي وسمه عبد الواحد المراكشي (في المعجب ص ١٧٧) بروعة البناء والتخطيط ووفرة السرير والفرش وخزائن الأدوية وتحضيرات العبادلة للأدهان والأكحال والأشربة والأبسة الخاصة بالمرضى مما جعل المؤرخ (ميليبي) يعترف^(٢٢) بأن مصحات أوربا تتجمل منه بل كذلك مستشفيات القرن العشرين .

وهكذا شجع الموحدون اقامة المخابر العلمية في شكل مستشفيات مجهزة بمختلف الآلات والأجهزة والأدوية والاختصاصيين والمساعدين الفنيين وبعض العلوم التجريبية قد اعتبرت أشبه بالعلوم الدينية لأن فيها خدمة للفكر الديني كالفلك والتوقيت والحساب أو خدمة للانسان كاطلب وقد قال الشافعي : « لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب^(٢٣) » فالضلالة في الحديث بجانب الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية كانت شتتة الكثير من أرباب الفكر أيام

الموحدين فهذا أبو جعفر بن هارون الترجاني طبيب يوسف بن تاشفين قد تلمذ لابي بكر المعافري في الحديث ، وكان شيخ ابن رشد في الطب والتعاليم واختصاصيا في صناعة الكحل (أي طب العيون) ^(١٢١) وما يدل على وحدة مناج البحث في مجموعة من العلوم أن بعض الأطباء استخدموا في دراساتهم طريقة الاسناد والتحري في ضبط النصوص والمقارنة والتنظير بين العناصر الخارجية لمقابلة التجربة بنظرية النص وهي منهجية لقنها لهم أساتذتهم في علوم الحديث ، وقد أشار علي بن ميمون في تأليف له الى أنه ما رأى مثل فاس ومثل علمائها في حفظ نصوص كل علم مثل المنطق والتوحيد والبيان والطب وسائر العلوم العقلية ملاحظاً أنها تفوقت في ذلك على تونس والشام والحجاز ومصر ومعززا وجهة نظره بالمشاهدة والعيان ^(١٢٥) . وقد ألف الامام السنوسي شارح البخاري شرحاً على رجز ابن سينا في الطب وشرحاً كبيراً على الخوفية في الحساب والرياضيات ألفه وهو ابن تسع عشرة سنة (نيل الابتهاج ج ص ٣٥٣) . وبهذه المشاركة تبلور الفكر الاسلامي العلمي فشم كل مجالات المعرفة ووازن بين نتائج التجربة العملية من جهة ونتائج الفكر النظري بما ينطوي عليه من عقل ونفس وقلب وروح كمشارك تجمعها «لغيفة ربانية» تشمل أيضاً الوجدان الى جانب الحدس والالهام وبذلك اكتملت نظرة الباحث المسلم الذي انطلق من توازن ذاتيته التي ازدوج فيها الجسم (أو المادة) والروح . وقد وجد الأطباء في الطب النبوي حقلاً خصباً جعل ببادرات سبقت الكشف العلمية من ذلك قوله عليه السلام : «ان هذا الطاعون رجز سلط على من كان قبلكم أو على بني اسرائيل فاذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه واذا كان بأرض فلا تدخلوها» ^(١٢٦) . أما قوله عليه السلام (مسلم ص ٣٠) : «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» فيقابلة قوله عليه السلام «فر من المجذوم فرارك من الأسد» وما ورد في صحيح مسلم (ص ٣١) من أن أبنا هريرة كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله «لا يورد ممرض على مصح» وكان يحدث كليتها ثم صمت عن قوله لا عدوى ولا طيرة الخ . وأقام على أن لا يورد ممرض على مصح وعلق أبو سلمة على ذلك فقال : «لا أدري انسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر» .

وقد كان أبو العباس النبطي أحمد بن محمد بن مفرج الاشبيلي المعروف بأبي الرومية أو ابن العشاب واماماً في الحديث حافظاً نافذاً «قام على الصناعتين لوجود القدر المشترك بينهما» كما يقول ابني الخطيب في (الاحاطة) — وهما الحديث والنبات اذ موادهما الرحلة والتقييد وتصحيح الأصول .

وهنا تنتقل الى علم النبات لتعطي نظرة عن منهجية علمائه فقد درس (النبطي) الأعشاب في محاولات شخصية دون اعتماد على النصوص الكلاسيكية مثل كتب (ديسقوريدوس) و(جالينوس) واقتبس منه تلميذه الأندلسي ابن البيطار ذوقه الخاص وعلمه الواسع وقد رحل الى الشرق عام ٦١٣ هـ بعدما درس أعشاب الأندلس والمغرب ودعاه الملك الأفضل للاستيطان بالقاهرة فأبى وعند وصوله الى مصر لم يكن قد مر على وفاة موسى بن ميمون سوى القليل ، وقد اقتبس ابن ميمون هذا خلال مقامه بفاس الكثير مما نقله الى مصر حيث حاول بلورة الفكرين الشرقي والغربي في أبحاثه .

وقد كان ابن البيطار أعظم نباتي العرب^(٢٧) لا يضافه سوى الغافقي والشريف الإدريسي والنبطي ورشيد الدين الصوري الذين درسوا كلهم الطبيعة ووسعوا دائرة المعلومات البشرية بتجاربهم وأبحاثهم وقد تنقل ابن البيطار في جبال الشام صحبه رسام كان يصور له الأعشاب وهذا مظهر جديد لمنهجية العرب في العلوم الطبيعية استأنسوا بها في «مسالكهم» عندما حددوا أيضا الأبطال والعروض الجغرافية بدقة تحلوا بها ما وصل اليه العلم آنذاك ، وقد خلف لنا ابن البيطار أعظم مجموعة في هذه العلوم وقد رحل الى الشرق عام (١٢١٦ م) ومر ببلاد اليونان والمغرب حيث سجل ملاحظات شتى حول الأعشاب والاسماء البربرية التي اندرجت منذ ذلك في القاموس العربي فكانت تلك وسيلة دقيقة للتعرف بالضبط على نوع وخواص النبات المقصود حتى لا يختل مع غيره وذلك انطلاقاً من الصورة أولاً ثم من الفحوى الناتجة عن مقارنة التعريفات في كل لغة وهذه العبقرة الفذة هي التي حدث الملك الأفضل الى تعيين ابن البيطار المغربي رئيساً لعشابي مصر القاهرة وكذلك الكامل بن العادل (الفتح ج ٢ ص ٦٨٣) ولم يهمل ابن البيطار نتائج تجاربه ركزها في جزائيات بتعاون مع تلميذه ابن أبي أصيبعة علاوة على الرسام المذكور حيث رتبها على حروف المعجم وصفها الى أشجار وجنيات وأعشاب وأزهار اسوة بشيخه النبطي الذي رتب أيضاً كتابه في الحشائش على حروف المعجم وواجه سبلاً من التلاميذ والمعجبين عندما فتح دكاناً لبيع الأعشاب باشيلية حيث توفي عام ٦٣٨ هـ/ (١٢٨) فلذلك حمل علماء النبات في الشرق أسماء متعددة هي العشابون والشجارون والنباتون والحشائشون (التذكرة التيمورية) .

وعنصر آخر في منهجية البحث عند ابن البيطار هو عدم الاكتفاء بتقنياته الخاصة بل حاول دعمها وإكمالها بالتجارب التي أجراها زملاؤه قبله في مختلف الأقطار كالفارابي والزهرراوي والإدريسي وعبدالله بن صالح الكتامي الذي كتب أيضاً عن أعشاب الأندلس والمغرب وخاصة أرباض فاس^(٢٨) ولذلك استوعب كتابه «جامع المفردات» التي وصفه من أوصاف العقاقير فكان أكمل وأوسع ما صنفه العرب في الطب .

و (كتاب الأدوية) للشريف الإدريسي الذي أشار اليه ابن أبي أصيبعة صورة حية للأسلوب التجريبي أيضاً فهو حامل بالملاحظات الشخصية التي اقتبس منها ابن البيطار في مائتي موضع من كتابه في الأعشاب^(٢٩) ، واعتمد عليه وحده في ثلاثين موضعاً^(٣٠) وقد ترك لنا وصفاً دقيقاً عن حشائش المغرب وأعشابه معرفاً إياها أحياناً بأسمائها البربرية فراراً من اللبس وامعاناً في التوثيق والشريف الإدريسي هذا مغربي صميم خلافاً كما ذكره الحسن بن محمد الوزان من أنه ولد في صقلية^(٣١) وما توهمه أيضاً من وفاته عام/١١٢٢ م في حين أنه انتهى من تأليف كتابه (تزهة المشتاق) عام ٥٤٨ هـ/١١٥٤ م .

وقد عرف المغرب في عهد بني مرين أزهر عصوره في تشييد المدارس أي أحياء الطلبة للفرغ للبحث والدرس ، وقد أكد ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن^(٣٢) أن أبا الحسن أنشأ أول مدرسة هي مدرسة الحلفائيين (وهي مدرسة الصفارين الحالية) عام ٦٧٠ هـ بينما أسس أبو سعيد مدرسة العطارين ومدرسة المدينة البيضاء ومدرسة الصهريج ومدرسة الوادي

ومدرسة مصباح ، وقد وإلى أبو الحسن إقامة المدارس في المغرب الثلاثة حيث انبسط الحكم المريني ، والمدينة البيضاء هي فاس الجديد التي أقام فيها المولى محمد بن عبد الرحمن العلوي عام ١٨٤٤ م / مدرسة للمهندسين أدرج فيها كـمعهد للتعليم دراسة العلوم فاستحال بذلك مفهوم المدرسة كـحي جامعي الى مفهومها كـمعهد ومؤسسة تعليمية ، ولعل العامل الجوهري في تبلور المنهجية العلمية الصحيحة بفاس حوالي ٦٢٠ هـ / أي بعد مرور بضع سنوات على ظهور المرينيين (عام ٦١٣ هـ) هو أن حاضرة المغرب الاسماعيلية أصبحت آنذاك مجمعا لعلم القيروان وقرطبة حيث رحل علماء المدينتين متخذين مقرآ لهم هذه المدينة التي أصبحت تسمى (بغداد المغرب) ومعنى ذلك أن معطيات الفكر العلمي التي كـيفت منهجيات الدراسة والبحث منذ القرن الرابع الهجري في افريقية والأندلس قد تجمعت وتبلورت بفاس لتعطي أروع نتاجها لذلك اعتبر (باديا لبيليش) المعروف بعلي بأي العباسي مدينة فاس بمثابة (أثنية افريقيا) التي هي عاصمة الفكر اليوناني كما اعتبر القرويين أول جامعة في الدنيا (رحلة ص ١٢) . كما وصف الدكتور (رينو) مدينة فاس بمهد الحضارة التي تجلب العلماء والطلبة من العالم أجمع «ملاحظاً أيضاً أنها كعاصمة أثنية بالنسبة للإسلام» حيث كانت تدرس جميع العلوم والفنون والآداب (٣٦) . وقد لاحظ (دوكامبو) أن جامعة القرويين كانت ملتقى الأجانب من مختلف الجنسيات والأديان (٣٧) . وقد أشار (كابريرال شارمس) (٣٨) الى «عصر المجد الذي كان المغرب فيه ملتقى جميع العلوم وجميع الفنون التي تنتشر من هنالك في أوروبا معرباً على مدينة فاس التي يرى معظم مسلمي افريقيا أنها أعظم مدينة مقلدة بعد مكة نظراً لأصلها وللدور الذي قامت به في تاريخ الإسلام حيث كانت مركز القوة العربية عندما كان نورها يتألق وحتى عندما أصبحت مراكز عاصمة المغرب السياسية كانت فاس بمعاهدها ومساجدها عاصمة الغرب الاسلامي فكرباً وأدياً بل ان مدارسها كانت طوال مدة مديدة أولى مدارس العالم (ص ٢٩٧) وهنا في هذه المدينة «اتبقت ما يسمى بالحضارة الغربية التي أشع نورها في اسبانيا» فأضاء جوانب أوروبا المتوحشة «(ص ٢٩٨) . ولكن «ملكة العلم والتعليم» كما سماها ابن خلدون وهي طريق النظار لم يعد لها وجود في نظره في المائة الثامنة من الهجرة وهي عصر ابن خلدون وابن الخطيب وهو يقصد التمكن في المشاركة دراية ورواية أي فيها وحفظاً أو تجربة ونظراً بحيث بدأ التوازن يختل في عنصرى منهجية البحث وهما النقل الصحيح انطلاقاً من النص والتحجيص الدقيق لمعطيات الوجود والكون أي التجربة العملية الرصينة التي تتلمس في تودة وعمق وشمولية مدى انطباق الفكر والنظر على الواقع .

ومها يكن فان نكبة أبي الحسن بأفريقية وطريف بالأندلس وتوالى الأزمات الاقتصادية والأوبئة التي جرفت بالعالم أجمع آنذاك وكابد المغاربة من جرائها المرائر فانتشر الفقر والمرض وانتكس العمران وهلك العلماء وكادت تندرس معالم العرفان تتم في آخر القرن الثامن تبدلت — كما يقول الناصري — (٣٨) أحوال المغرب بل وأحوال المشرق ونسخ الكثير من عوائد الناس وما لوفاتهم وإزائهم «وذلك حسب ابن خلدون نظراً لما «نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الخيل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من

ظلالها وظل من حدها وأوى من سلطانها وتداعت الى الثلاثي والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الأرض بانتفاص البشر فخربت الأمطار المصانع ودرست السبل والمعالن وخلت الديار والمنازل وضعت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه « وهذا العصر هو عصر ابن الخطيب الذي قال فيه (رينو) ^(٣٩) » ان دراسة عصر ابن الخطيب مفيدة للطبيب لأنها عصر الطاعون الأسود والأخير الذي هلك فيه حسب المؤرخين ثلث سكان العمورة وأضاف الدكتور (رينو) الى ذلك أن الأطباء المغاربة صنفوا مؤلفات في علل هذا الداء وطرق علاجه وهذا الملحظ يبرز لنا البحوث المغربي متكباً في مكبه أو عيادته بمحصر وينقب غير مشتكين لحواضر الانبياء التي جرفت بزملاته محالوا استكناه أصل هذا الطاعون والكشف عن أسبابه لوصف ما يمكن أن يستأصل شافته أو يحد على الأقل من لأوائه .

وهذه خاصة تعد من ضروريات النجاح في استكمال البحوث والكشوف والواقع أن الفكر العلمي العربي بدأ يحجر لا لعوامل ذاتية بل تحت ضغط ظواهر خارجية عجلت في الشرق أيضاً بعصر الانحطاط العلمي منذ أواخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع على أثر السيول التي حكمت معالم المدينة تحت سياط (جنكيزخان) و(تيمورلنك) الذي واكبه في المغرب غزو البرتغال لجيوب استمر احتلالها لأزيد من ثلاثة قرون بعد أن استولى على سبتة عام ٨١٨ هـ/١٤٧١ م ثم قصر الجاهز ٨٦٢ هـ/١٤٥٧ م ثم طنجة ٨٦٩ هـ/١٤٥٤ م ثم أصيلا عام ٨٧٦ هـ/١٤٧١ م ثم الجديدة والبريجة في جنود ٩٠٧ هـ/١٥٠١ م والعرش عام ٩١٠ هـ/١٥٠٤ م وآسفى عام ٩١٢ هـ/١٥٠٦ م وأزمور عام ٩١٤ هـ/١٥٠٨ م ثم العمورة والمهديّة حوالي ٩٢٠ هـ/١٥١٤ م وقيل ذلك بنحو العقد من السنين كان المستعمر قد بسط نفوذه على أكادير وما اتصل بها من سواحل السوس فلم يبق من الثغور سوى سلا والرباط وهذه هي المرة الأولى التي كابد فيها المغرب غزوا أجنبياً في مثل هذه الأهمية منذ الفتح الاسلامي فطلوت صفحة في شمال المغرب على أثر سقوط سبتة التي ازدهرت فيها الفلسفة والطب وتختلف العلوم ^(٤٠) .

وقد لاحظ لوكليز ^(٤١) أنه امكن في هذه الفترة تسجيل نحو الأربعين عالماً نصفهم من الأندلس لا يوجد بينهم طبيب مشهور لقلة الأصالة وللاقتصار على الجمع والتأليف .

وعندما أعاد الملوك السعديون وحدة البلاد بعد الفوضى التي أقحمتها فيها حروب آخر ملوك بني مرين انبث المغرب فكراً وقد تحدث لبني يروفتصال ^(٤٢) عن نهضة المغرب من الوجهة الأدبية مبيناً أنه من الغريب أن لا نجد مثل هذه النهضة في العلوم الطبية « والواقع أن الفكر العلمي التجريبي تقلص في هذه الآونة وحتى الأطباء الذين برزوا خلال هذه الفترة كانوا من النوع الذي توازنت عناصر تكوينه العام دون اختصاص علمي دقيق من هؤلاء عبد الرحمن سقن القصري الفاسي (٩٥٦ هـ/١٥٤٩ م) كان مشاركاً في الحديث والأدب والتصوف بقريه (القبة ابن سينا) في الطب بجامعة القرويين ^(٤٣) وعبد الوهاب الزقاق (٩٦١ هـ/١٥٥٣ م) الذي شارك في الآداب والأصليين والطب والتفسير والحديث والنحو، وأحمد بن عبد الحميد

المعروف بالمريد المراكشي الذي كان اماماً في جميع الفنون حكيماً ماهراً في الطب (١٠ هـ/١٦٣٨ م^(٤٤)) وهذا لم يمنع ظهور عالم فذ اختص في الطب والنبات هو أبو القاسم الوزير النساني صاحب (شرح حميات ابن عزرون) و(حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار ألفه السلطان المنصور السعدي عام ٩٩٤ هـ/١٥٨٥ م^(٤٥)).

والواقع أن رجز ابن عزرون موسى بن اسحاق هذا الذي شرحه أيضاً أبو الفضل محمد العجلاني^(٤٦) ومحمد بن يحيى اللمتوني إنما هو تكميل لا رجوزة ابن سينا في الطب ولكنه محاولة من الطبيب المغربي لتعريف المغاربة فيه بنظريات الأقدمين وأطباء العرب مع اضافة معلومات تكملية في أنواع الحميات ووسائل علاجها ونفس طابع الأصالة يتجلى في منهجية كتاب (الحدائق) الذي تحدث عنه الدكتور (رينو)^(٤٧) فأشاد بالمنهاج الواضح الذي امتاز به في الوصف النباتي «الذي يتسم غالباً بطابع الأصالة والطرافة لإشارته الى نبات الأعشاب بالقرب من فاس ولتوفره علي معلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلانية بهذه المنطقة مع محاولة لترتيب ثلاثي يدخل عنصراً جديداً في وصف أعشاب المدرسة الصيدلانية الشرقية». كما جلي محمد الأندلسي الصوفي صاحب الطائفة الأندلسية (٩٨٠ هـ/١٥٧٢ م) في الكيمياء والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة^(٤٨).

ولكن العنصر الجديد هو أن العطاء العربي في المغرب بدأ يتقلص حيث تمحورت مناهج البحث بل انقلبت كفة التوازن واندرج في سلك أطباء البلاط السعدي أطباء أجانب مثل :

- ١) كيوم بيرار الطبيب الجراح الفرنسي الذي كانت ثقافته العلمية مع ذلك متواضعة^(٤٩).
- ٢) (كريستوف داكوسطا) الطبيب النباتي الذي ولد بسبته ثم جال في آسيا عام ١٥٧٨ م/٩٨٢ هـ^(٥٠).

- ٣) الطبيب (دويل) قنصل ملك فرنسا (هنري الرابع) الذي عرضه الطبيب (هوير) استاذ اللغة العربية بباريس (ص ٤٩٩).

- ٤) الطبيب (اندراس كاميليلو) الاسباني .

وقد أسس الريان الاسباني في فاس ومكناس وسلا وتطوان مستشفيات لمعالجة النصارى والمغاربة معا^(٥١). واتسمت العلوم التطبيقية كالصيدلة بالمعقم حيث لاحظ الحسن الوزان أن العقاقيريين بفاس أصبحوا غير قادرين على تركيب الأثرية والادهان طبقاً لما يصفه الأطباء فيجتمعون كلهم لاعداد المستحضرات وهذه الظاهرة تتم على الأقل عن أمانة واخلاص للمهنة ، غير أن الرصانة الحضارية ومناعة التقاليد السليمة كان لوازمها الموصولة بالرغم عن فوضى الفكر وهلهلة المنهج وانخفاض المستوى الاجتماعي قلة الوفيات حيث ظل معدل التعمير متراوحاً — كما يقول الحسن الوزان — بين ٦٥ و ٧٠ سنة بل يرتفع في الأطلس الى ما بين ٨٠ و ١٠٠ سنة^(٥٢).

وإذا كان العهد العلوي قد اتسم بنوع من الأزهار في العلوم الثقيلة والعقلية خاصة في رحاب جامعة القرويين فإن الدراسات العلمية أمتست سطحية بل أندرس التعليم الرسمي للطب

والعلوم أواخر القرن الماضي^(٥٣) وإن كان العلماء ظلوا يعتنون بكتب الطب الكلاسيكية إلا أن الروح العلمية التجريبية وحتى التطبيقية الصحيحة تقلصت فأصبح المغرب في الحقل الطبي مثلاً يتأرجح بين ممارسات العجائز والحجامين الذين يقتنون الفصد وجبر الأعضاء المكسرة والطلبة الذين يقضون بضعة أشهر في أوروبا ويحملون معهم أدوية يسيئون استعمالها نظراً لعدم الضبط في وصفات العلاج ولما أبرزه (رينو) (ص ١٢٨) من غموض في المعلومات «حول أسباب الأمراض وخواص الأدوية المفردة» وهذا لم يمنع طبعا من استمرار وجود رواسب لمهارة علمائنا الأقدمين تركزت في بعض التطبيقات التقليدية مما جعل بعض الأطباء الجراحين يتسمون بحذق في اجراء عمليات التشريح الصغرى التي لم تكن تتمخض عن مضاعفات ناجمة عن التعفن أو الإصداق والتقيح بسبب استئناس عامة الناس بتقاليد طبية كتضميد القروح بالزيت الغليان أو الفطران الساخن والحناء والفحم وصنع الصنوبر لاستئصال جراثيم التعفن أو مقاومة التزيف بالصوفان والمساحيق المستخلصة من اليقطين وديق الفول في اللفافات الضاغطة أو محاولة التئام الجروح بخياطة حافتي الجرح في شكل منحرف . ثم جبر العظام المكسرة بعملية الدلك الذي أكد (رينو) أن المغاربة سبقوا فيه كشوفات (لوكاس شامبيونيير) حيث كان الطبيب يصف في كسر العظام حب (ابلان) الغني بمادتي الفوسفات وكاربونات الجير كما يوصي لايقاف داء الفتق بآلات من جلد أو ثوب عموه بالصوف من استخدام الكي دائما في الأمراض الباطنة وكثير من العمليات الجراحية (ص ١٣٤) وقد لاحظ (كودار) في كتابه^(٥٤) أن الكي أعظم دواء للجراحات بالمغرب ، وقد نصح المغاربة حيث أخفق جراحون فرنسيون أشاروا بقطع العضو الجروح في حين انكار المغاربة الى كي العضو بجديدة محاة ، وقد وصف أطباء غربيون بعض المظاهر التطبيقية الرائعة في أساليب العلاج وتخضير الدواء حتى خلال فترة التحجر المنهجي فتحدثوا عن تبنيج المريض أثناء العمليات الجراحية بالسيكران وهو عشب مخدر وكذلك جوز الطيب في عملية الختان وظلت طريقة التطبيق منطلقة كما كانت من التالوث الكلاسيكي أي علم الطبيعة وعلم الصيدلة وعلم الطب وهو تالوث كان للمغرب فضل تنظيمه على أساس علمي وبذلك أمكن مثلا تشخيص الداء ووصف الدواء اعتبارا من هذا التشخيص والاستمداد من علم الأحياء الانتقاء أصلح العشب أو المعدن استجابة لدواعي المرض وقد أخذ الدكتور (رينو) أن الطبيب الجراح الحسن ركب دواء من السيكران والكبريت يكون البخار المتصاعد من طبعه بمثابة مخدر يستمر تأثيره أربعاً وعشرين ساعة (رينو) كما لاحظ الدكتور (مكيزيز)^(٥٥) بالجزائر أن الأطباء المغاربة كانوا يستخدمون وسائل الإعياء والتنويم في معالجة مرضاهم واجراء عمليات جراحية لهم بحيث يتوصلون الى درجات شتى من التنويم لا تختلف عن الأساليب المستعملة عند الأوربيين منها تعليق زجاجة لامة أمام المريض فينام بينا المبخار ترسل روائح العطر والعود^(٥٦) كما حلل (كودار) في تاريخه^(٥٧) عمليات التنويم التي أشار إليها الدكتور (ميكيزيز) وهي وضع زجاجة فوق طاولة مغطاة بخوان أبيض بتلافاً وراءها مصباح فيجلس المريض على مسافة قريبة مصورا نظره نحو الضوء فيشعر بتأثقل وبعد بضع دقائق ينام وتتسارع دقات قلبه ويحرق البخور في الغرفة فيفقد التائم احساسه على أن بعض التخصصات قد امتاز فيها أطباء المغرب الى ما

قبيل الحياية الفرنسية ١٣٣١ هـ/ ١٢١٢ م كالأوجاع وأمراض العيون والحميات كذلك وطب
فن الأسنان الذي أكد (رينو) ممارسته بمهارة كبرى (ص ١٢٢) في المغرب .

ولم تكن عناصر هذه المنهجية تحيد بكثير عما وصلته أوروبا حيث كان أطباؤها يستمدون من
(علم الأحياء) طريقة رصينة لاستخدام بعض الحيوانات في معالجة الأمراض وهو نفس ما
يستعمله الغربيون^(٥٨) وقد صدر في القرن الماضي كتاب لبيد الرزاق بن محمد بن حمادوش
الذي حجج عام ١١٣٠ هـ/ ١٧١٧ م اسمه «كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب» مرتبا
على الحروف ومحتويا على نحو الألف عشبة كما صدر لنفس المؤلف كتاب «تعديل بحسب قوانين
العلاج» وقد أشار ابن حمادوش في (كشف الرموز) إلى خواص بعض أعضاء الحيوانات في
العلاج منها استعمال داء الكلب بمثقال (جرام) من كلية الكلب العقور بمجرد قتله وهي
نظرية أشار إلى جدواها الدكتور (فرانزان) حيث لاحظ^(٥٩) أن مرارة الكلب العقور تحتوي
على مادة مضادة للجراثيم داء الكلب ويستعمل الكحالون (أطباء العيون) أيضا أعضاء حيوانية
خاصة في مرض العين منها خلاصة الكبد والكياس ما فوق الكليتين وقد استخدمها الدكتور
(باطيس) في (نيويورك) ضد التهاب القرنية الملتهمة وكذلك الدكتور (ضور) في مدينة
(ليون) والدكتور (دراي) في (باريس)^(٦٠) على أن هؤلاء الكحالين مهارة في معالجة أنواع
الرمد بأساليب وضعوها فاستطاعوا بها إزالة غشاوة العين المانعة من الإبصار بل نجحوا في
عمليات أصعب من ذلك^(٦١) . وقد صنع أطباء الأسنان أدوات وآلات خاصة لقلع
الأضراس والثنايا المسوسة ذكر (رينو) مجموعة منها (ص ١٣٥) كما مهر الطبيب المغربي في
معالجة قروح الأذن حيث مارس عمليات خطيرة كللت بالنجاح . وقد وصف طبيب مختص
هو الدكتور (بنسيمون)^(٦٢) جدوى منهجية الطب التقليدي بالمغرب في عدة حالات لم يعد
نزاع في جدواها — على حد تعبيره — منها أن المصاب بالحصبة أو الحمرة (بوجمرون) كان
يحمل في غرفة يكسى فراشها وجدرانها وأعطيتها بلون أحمر وهي طريقة في العلاج لا يزال
يستعملها الدكتور (شاطينير) الذي لاحظ أن الفضل يرجع إليها في تخفيف تفجر الحمرة
والحمى وتدارك الاستعصاءات .

وقد تأخر علم البيطرة في القرن الماضي رغم توفر بياطرة في جميع المدن كان لهم معرفة
ببعض الأمراض الحيوانية بل لهم اختصاص في أدواء الأفراس والبغال والحمير والجمال
يستعملون فيها بالأخص الكي والفصد والخصاء وقد لاحظ (رينو) بمزيد من الدهشة استعمال
البيطري المغربي للتلقيح ضد مرض منتشر عند الموز وهو المعروف بالبيور وقد ساق رينو (ص
١٧١) ستة وثلاثين نوعا من الأمراض التي تصاب بها الدواب وكذلك أنواع الماشية مثل البقر
والغنم والمزغ مع الأدوية المركبة لعلاجها من طرف البيطرة المغاربة .

وإذا كان المغرب قد سلم من كثير من الأوبئة التي عرفتها أوروبا في القرن الماضي كالحمى
الوبائية والحمى الحصبية أو قلت فيه الإصابات بالدفترية أو التيفوئيد^(٦٣) فإن ذلك ليس راجعا
إلى علاجات وقائية بقدر ما هو راجع إلى طبيعة المناخ ، وكذلك أسلوب العيش لدى المسلم
المغربي بقطعم النظر عن المستوى الاجتماعي وكان لحسن التربية التقليدية أي منهجية علماء

التربة أثر في المناعة الوقائية حيث كان السل نادراً ولم يظهر الوباء منذ ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٨) كما ظهرت الكوليرا (بوكليت) لآخر مرة عام ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٥ م وكان أول ظهورها عام ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ - فاستعمل الطب المغربي لمكافحة زيت الزيتون المصلح بمجدي (رينو ٨٦) ثم قُشت عام ١٢٧٦ هـ/ ١٨٥٩ م متحدرة من (اسبانيا) وكذلك عام ١٨٦٥ حيث استولت بتايدار صرامة اتخذها المخزن في المنزل الصحي بالصويرة حيث طرد البواخر الواردة من الأقطار المتكوبة بأوريا .

وقد عرف المغرب إبان الحماية جماعات واوبئة رغم وسائل العلاج والوقاية المتطورة وكان المجدي يظهر كل سبع سنوات تقريباً فيلقح بمجن جراثيم بثور ودمايل الفحل أو الناقة أو باستعمال الكبريت والملح مع الاختلاط إلى الراحة في مكان مظلم . وإذا أردت أن تعرف سر ذلك فاقرا كتاباً صفت في نفس السنة مؤرخ هو (مولييراس) اسمه (المغرب المجهول) حيث لمس الكاتب الرحالة من خلال تطوافه بمختلف قبائل شمال المغرب المظاهر الحصارية التي رسمها الإسلام بسبات الروعة والعمق والفعالية ومن ذلك الطهارة التي هي إحدى دعائم الإسلام والتكافل الاجتماعي الذي كاد يجعل من المواطنين ذاتاً واحدة رغم ضعف الوازع الديني في نفوس الكثير منهم مما أدى إلى نوع من التضامن أسفر عن تضال المباحات المؤدية إلى سوء التغذية وانتشار الأمراض فبينما لم يعرف المغرب منذ ١٠٢٣ هـ/ ١٦١٤ م طوال ثلاثة قرون القحط والمجاعة إلا ثماني مرات أي مرة كل خمس وثلاثين سنة تقريباً^(٦٤) لاحظنا تفشي المجاعة في جنوب المغرب إبان الحماية بصورة أودت بحياة أزيد من مليون نسمة .

وكانت المنهجيات العلاجية العلمية تعزز بوسائل وقائية إدارية كوجود لجنة صحية في كافة مدن المغرب تسهر على سلامة الصحة العمومية وطهارة المدينة وتعوين الأسواق وجلب الماء كما كان للمخزن يؤسس المحاجر الصحية للحيلولة دون تسرب الأوبئة من خارج المغرب كما ويحاصر في الدلائل انتقال العدوى فنذ أزيد من ثلاثة قرون أي عام ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨ م وقف الحراس من العبيد على (مشرع سيو) وغيره — عندما ظهر الطاعون بمكناس والقصر الكبير — يوقفون الواردين على فاس ومكناسة كما أمر السلطان بتحريق ما يسوق الخميس^(٦٥) كما كان محظوراً نقل جثث الموتى من خارج المدن إلى داخلها حتى في الأوقات العادية . ورغم تضال الإصابة في المنهجية العلمية ظهر أطباء وعلماء أمثال عبد الوهاب ادراق (١٠٧٦ هـ/ ١٦٦٥ م الذي نظم أرجوزة في حب الفرنج (الزهرى) والمجدي وقد ورد في كتاب (الاقنوم في مبادئ العلوم) لعبد الرحمن بن عبد القادر القاسمي (١٠٩٦ هـ/ ١٦٨٤ م) ٢٨١ فصلاً حلل فيها علوم عصره منها ستة فصول خصصها للطب والتشريح والبيطرة والزردة (أو طب الحيوان) والصيدلة وطرائق العلاج (يوجد مخطوط في خع في مجلدين) وقد ألف أبو زيد هذا علم النبات برسالة سماها (تفسير الأعشاب) .

ولاحد بن محمد بن حمدون ابن الحاج (١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨ م) كتاب (الدرر الطبية المهداة للحضر الحسنية) خصصها لمبادئ الطب والطبائع وضروريات الحياة (الهواء والأغذية والأشربة) والأدوية المفردة والأمراض وطرق علاجها والخواص الطبية .

وقد لاحظ (رينو)^(٦٦) أن ابن الحجاج أعطانا للمرة الأولى في تاريخ المغرب تقسيماً فنياً للأدوية^(٦٧).

وقد أصبح للمغرب منذ ذلك قاموس طبي ما فتى بتصنّف منذ ذلك ، وقد وصف (رينو) الأرجوزة الشقرونية لابن شقرون المكناسي) بأنها اسهام في بلورة المصطلحات التقنية في هذا المجال . ولكن في بداية هذا القرن انبثق نموذج جديد في شخص الطبيب والنباتي والصيدلي عبد السلام العلمي الذي بعثه الحسن الأول لدراسة الطب بالقاهرة فحاول وصل تراث المغرب بتراث المشرق بتحديثنا عن علماء مصر المعاصرين وبتوليف رصيد الفكر العربي من خلال خمسين مصنفاً تمثل خلاصة المنهجية العلمية في شقي العروبة فقد درس عام ١٢٩١ هـ/ ١٨٧٤ م الأسباطالية الكبرى بالقصر العيني الذي أسسه الخديوي محمد علي عام ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م ، فكانت البادرة التي دغدغت فكره لأول وهلة والتي تنم عن اهتمامات الفكر العربي وخاصة المغربي أوائل هذا القرن — هي تأليف كتاب حول « الأسرار المحكمة في حل رموز الكتب المترجمة » لتفسير المصطلحات التقنية في العلوم العصرية الدخيلة في العربية ولكنه اقتصر على جانب من هذا العمل الموسوعي الشامل تبلور في كتابه « ضياء النيراس في حل مفردات الانطاكسي بلغه فاس » (الذي طبع عام ١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ م حيث أضاف مفردات بربرية مرادفة للمصطلحات الطبية العربية .

فهذا الكتاب يشكل مبتين تحليلاته نقطة تحول في منهجية تاريخ العلم عامة والطب خاصة حيث حاول التوفيق بين الشهور والبروج والأدوية وأنواع النباتات المتداولة في المشرق والغرب مصححاً أغلاط سلفه ومنظراً بين المصادر المطبوعة ودرسه في مصر والطرائق المنهجية عند أطباء المغرب وصيادته وما يسميه بالطب الجديد والكيمياء الجديدة بأوروبا وأمريكا ويأتي أحياناً بأساء الدواء بالعربية ومختلف لهجاتها ثم باللاتينية والافرنجية مع تحليل ذلك بالمصطلحات الحديثة كالتصعيد والتقطير وتطبيقاته وتجارب شيوخه بمصر واسهامه الشخصي في هذه التجارب كتصبير الحيوانات لدراساتها وتحضيرات المعمل الكيماوي وعندما عاد الى فاس أقام مصحة على نمط جديد قرب الحرم الادريسي بفاس واصل فيها تجاربه طوال ثمان عشرة سنة (توفي عام ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٥ م) فأنجز كتاب (ضياء النيراس) ووضع (مفتاح الشرح) ورتب تذكرة الانطاكسي على الأمراض بدلاً من الحروف على النمط العصري لتسهيل البحث عن أسلوب علاج مرض مخصوص بخلاف ذلك بنماذج من المنهجية التقنية الحديثة كأسلوب تقطير مخلوط النوشادر بجهاز (ولف) وتقسيات الطب الى أمراض باطنة وتشريح هيكلي وعضلي ومفصلي وتشريح عصبي وتاريخ طبيي وكيمياء طبية واقرباذين (صيدلة) وطب الرمد وأمراض الجلدية وداء الزهري وأمراض النساء والأطفال وعلم الحيوان وكيمياء المعادن الخ .

ولم تكن هذه النواة من المنهجية الحديثة مجرد امتداد لتطبيقات تقليدية فقد وصف لنا الدكتور (رينو) مشهداً من المشاهد الجامعية في ٨ شوال ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢ م حيث اجتمع أربعة من علماء فاس لامتحان طبيب مغربي فانهالت عليه الأسئلة في « الطب روائيه وتركيب

الادوية وتقاسم النشايين ووظائفها وعددها وعدد العظام وكيفية التمييز بين أنواع العصب والعضلات ومعرفة النباتات والأزهار والأعشاب الطبية وخواصها وأسائها وطرق اذابتها والمواقيت المناسبة لوصفها للمرضى وبعد المداولة منحوا الطبيب للمتحن اجازة^(٦٨) ومع ذلك فإن الطابع النظري أسمى ميطرا على التعاليم حيث وصف لنا الدكتور رينو أيضاً (ص ١١٧)

مشهداً في (تالكرون) بسوس حيث تابع خمسون طالباً تعليمهم في الطب بدون تطبيقات حول علاج المرض أو التشريح وكانت الدروس مجرد محفوظات ، ولذلك حاول الحسن الأول ارسال بعثات علمية الى أوربا مع تشجيع المؤسسات العلمية الاوربية بالمغرب كالمستشفى الاسباني بطنجة حيث تابع ستة طلبة مغاربة تمرينات في الفحص والتضيد والتشريح البسيط وقد مارس ثلاثة منهم التطبيب في الجيش واستفاد الناس من تجاربهم^(٦٩) . والواقع ان الفكر العلمي تقلص بالمغرب أول هذا القرن وكان من أسباب ذلك جوارف الاستعمار الأوربي الحديد الذي أقام العراقي في وجه النشء الصاعد فتسرب الدخيل الأجنبي كعنصر توطيئي للاستعمار الفكري الذي تبلور في وجود اثنين وأربعين طبيباً بالمغرب أوائل هذا القرن مع عدة مستشفيات ركزت البعثات البورتسانية في مختلف الحواضر وشلت بادرار المخزن وأمسى المغرب يعيش ليومه وتوقفت البعثات الى الخارج وتجمعت دراسات العلوم بجامعة القرويين وروافدها وانفتح الباب على مصراعيه لغزو افعلت أوربا أسبابها ومهدت بانفاقاتها السرية ضد مصر وليبيا والمغرب العربي الى سريان دائه الفتاك في مجموع دار الاسلام التي ما لبثت أن تفككت أوصالها تحت ضربات انهارت على أثرها الخلافة الاسلامية واسفرت الحرب الأولى عن فيفساء من الدويلات والامارات التي شغلت احتكاكاتنا ومحاذباتنا الهامشة الفكر العربي والاسلامي عن مواصلة النضال في المسار الحضاري الذي كان للعرب فيه الدور المبدع الخلاق .

أما المهندسة والرياضيات فقد كان العرب — حسب سيديو — أساتذة أوربا فيها حيث أدرجوا الخطوط الماسة للدائرة في الحساب واستعاضوا عن الأساليب العتيقة بحلول مبسطة أصبحت أساساً في علم حساب المثلثات الحديث وقد لاحظ شال () أن الفضل يرجع للعرب في تطبيق الجبر على الهندسة وتؤكد ذلك عندما صدرت منذ عام ١٢٥٢ هـ/ ١٨٣٦ م مؤلفات لمحمد بن موسى الخوارزمي تحتوي على بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية بطريق هندسية وقد أبدع العرب في علم المثلثات نظراً لتطبيقاتها في علم الفلك وواصل الأندلس والمغرب كلاهما بلورة هذه المنهجية الرائدة . فظهر أمثال ابن حمزة لغربي الذي استعمل في القرن الرابع طريقتاً جديدة في اللوغريثم كما استخدم الحاج يعش الماتقي علم الهندسة في (الميكانيك) أو (علم الحبل) لصنع مقصورة عبد المؤمن بن علي في جامع القصبة بمراكش وقد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتنخفض لدخوله ، كما صنع على التلمساني موقت القرويين (منجانة) مدرسة ابي عنان المريني بفاس عام ٧٥٨ هـ/ ١٣٥٦ م^(٧٠) واستخدم عبيدالله بن يونس الأندلسي طرائق هندسية لاستخراج المياه من أجل سقي بساتين مراكش^(٧١) وذلك في نطاق ما يسمى اليوم بالهيدرولوجيا كما استعمل أبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة

الهندسة في البناء وهو ما يسمى اليوم بالهندسة المعمارية وذلك عندما « صنع البيلة والخصبة »
بحسب جامع القرويين عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م^(٧٢) وقد تضخم عدد هؤلاء المهندسين المعماريين
في عصر بني مرين حيث خرج السلطان يعقوب عام ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥ م إلى ضفة وادي فاس «
ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء فوقف على المدينة البيضاء (فاس الجديد) حتى حدث وشرع
في حفر أساسها»^(٧٣).

وقد عرف الرياضيون المغاربة علماً خاصاً هو (علم المساحات) ألف فيه أبو العباس بن
البنّا السعدي المراكشي (٧٢١ هـ/ ١٣٢١ م)^(٧٤).

وضرب المنصور الذهبي المثل في هذا العمل الرائد حيث تضلع في المنطق والحساب
والهيئة والهندسة فكان يفلح كل يوم شكلاً من مشاغل كتاب (أقليدس) (درة المجال ص
٥١) علاوة على ضلوعه في الجبر والمقابلة^(٧٥)، وقد عرفت بمراكش في عصر ابن
القاضي^(٧٦) زمرة من الاختصاصيين في التعاليم عرفت بـ (جاعة الفنون) كان شيخها هو
أحمد التليلي كما برع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن العلوي في الهندسة فكان يلقي
دروساً تطبيقية فيها بمراكش ويحل إشكالاتها^(٧٧)، ومن مظاهر التطبيقات الهندسية في الفلك
والمساحات الآلة التي اخترعها محمد بن محمد بن سليمان الروداني (١٠٩٤ هـ/ ١٦٨٢ م) الذي
كان نموذجاً لعالم مغربي شارك في مختلف التعاليم فبرز في (الرياضيات والهيئة والمخروطات
والتوسطات والجسبي وأنواع الحساب والمقابلة والأرقام والمساحة) وكانت الآلة عبارة عن
كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسومها ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم
وتجاويف^(٧٨). وقد أصبحت لعلم الرياضيات في القرن الثاني عشر الهجري تطبيقات في علم
الاقتصاد حيث صدر لمحمد السنائي مربيون الرباطي (١٢٠٧ هـ/ ١٧٩٢ م) مؤلف في (تقدير
قرض النفقات) « وضعه بعمل الرموز والأرقام مرتباً على أطوار حياة المنفق عليهم »^(٧٩).

ولم يتوقف العلماء مع ذلك عن إبداع الجديد في حفل الهندسة والرياضيات حيث وضع
الرياضي الكبير محمد بن علي التركي الرباطي ما سماه بالشكل^(٨٠) الكوري انتظمت فيه « سائر
الزوايا في الخطوط والأشكال »، كما تفتن الحيسوبي الفلكي أحمد بن عبد الله التتاني
الصوريري في مختلف فروع الرياضيات فحل الكثير من الأشكال الهندسية ونقلها إلى الأعمال
الحسابية وكان رئيس الحيسوبيين والمهندسين في الحضرة الحينية (أي فاس عاصمة الحسن
الأول).

أما الفلاحة فقد برز فيها علماء أفذاذ اهتم معظمهم بهذا العلم كرافد للطب والصيدلة
فدرسوا الاعشاب والعقاقير والاعذية الطبيعية وامتاز بعضهم بمنهجية أصيلة في البحث حيث
كان ابن البيطار عبدالله بن صالح الكتامي يتنقل في الجبال صعبة صعبة رسام كان يصور له
الاعشاب وقد خلف لنا أعظم مجموعة في العلوم الطبيعية عند العرب وسجل بالمغرب بعد عام
٦١٣ هـ/ ١٢١٦ م ملاحظات شتى حول الاعشاب ضبطها على حروف المعجم^(٨١) وعززها بما
أفاده من رحلة ابن الرومية (وهو ابن العشاب) للمغرب وخاصة مدينة فاس وكان معلمه هو
عبدالله بن محمد بن صالح الشجار الكتامي صاحب الدكان بمركش (٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م)،

وقد نالت أعشاب المغرب حظها من دراسة المحدث الطبيب النباني الرحالة علي بن عبد الله الأشيبي المعروف بعلام الحرة الذي جال في أقطار المغرب العربي وسجل أعيان الكثير من الحشائش والنباتات قبل رحلته إلى الشرق .

وكانت التجربة والفحوص هي السمة البارزة في (كتاب الفلاحة) لابن العوام الأندلسي وهو كتاب لا يوجد له نظير في الأدب العربي بما يحتوي عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة ثمينة^(٨٦) بل هو أعظم ما أنتجه لا العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة (ص ١١٠) .

ولأحمد بن محمد الغافقي كتاب في الأعشاب يحتوي على ٣٨٠ رسماً ملوناً لنباتات وحيوانات متقنة الرسم^(٨٧) . كما للشريف الإدريسي كتاب في الأدوية أشار إليه ابن أبي أصيبعة مليء بالملاحظات الشخصية اقتبس منه ابن البيطار في مائتي موضع من كتابه واعتمد عليه وحده في ثلاثين موضعاً .

وقد صنف أبو القاسم الوزير الفسافي للسلطان أحمد المنصور السعدي عام ٩٩٤هـ/١٥٨٥م كتابه «حديقة الأزهار» في شرح ماهية العشب والعقار» الذي ذكر الدكتور رينو^(٨٨) أنه يمتاز بمناهجه الواضح جداً في الوجود النباني الذي يتسم غالباً بطابع من الأصالة والطرافة .

وفي علم الجغرافية والفلك عرف المغرب عالماً جغرافياً قام بدور طلابي في وضع أسس علم الجغرافية الحديث وفي مقدمة هؤلاء الشريف الإدريسي الذي رسم أول خريطة للعالم وكان بحق أستاذ أوروبا في الجغرافية وقد طاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية وفرنسا وإنجلترا قبل أن يستدعيه ملك صقلية وهو أول من اكتشف أن النيل ينبع من بحيرات خط الاستواء في حين أن الأوربيين لم يكتشفوا ذلك إلا منذ عهد قريب^(٨٩) .

وقد وضع لروجي الثاني ملك صقلية صورة كرة أرضية فلم يخطئ في تحديد الأهلوا بين الاسكندرية وطنجة إلا في نصف درجة بينما غلط بطليموس قبله بألف عام في ثمان عشرة درجة ولم يعرف العالم طوال هذه الألف سنة عالماً جغرافياً في مثل ضلالة الشريف الإدريسي السبق ، أما أبو علي الحسن بن عمر المراكشي (٦٢٧هـ/١٢٣٠م) فهو أحد أعماد المغرب في القرن السابع : قام بتجارب أصيلة فقام من المحيط الأطلنطي إلى مصر ارتفاع القطب في إحدى وأربعين مدينة واقعة بين سبعمائة مرحلة في الساحل وإلى يرجع التطوير في تخطيط المزاويل الفلكية وقد لاحظ ماسينيون^(٩٠) أن المراكشي جمع مائة وأحدى وثلاثين احداثية فلكية للمدن الإسلامية وضع أربعة وثلاثين منها بنفسه في سبع عشرة مدينة مغربية مر بها ولذلك كانت الخريطة الناتجة عن هذه المقاسات متقدمة بالنسبة لخريطة الشريف الإدريسي حيث استطاع أن يوضح الاتجاه العام لشواطئ الأطلنطيك فكان أول جغرافي يرجع إليه الفضل في تخطيط خريطة المغرب ، وقد ضمن هذه المعلومات كتابه (جامع المبادئ والنهايات في علم المقات) في مجلدين مع رسوم هندسية وجداول^(٩١) وهاتلك جغرافي مغربي ثالث هو الحسن بن محمد الوزان القاسي المعروف بليون الأفريقي

(٩٥٧ هـ/١٥٥٠ م) فقد زار بلاد فارس والتار والاسنة وافريقيا (مصر والصحرا) وعاش بفاس ككاتب في مستشفى المجانين وصنف بالاطالية كتابه (وصف افريقيا) عام ٩٣٤ هـ/١٥٢٧ م ترجمه الى الفرنسية وصدر بالعربية بتحقيق الدكتور جمال زكريا قاسم - كما صنف قاموساً عبرياً لاتينياً ألفه بروما عام ٩٣٠ هـ/١٥٢٤ م (مخطوط بالاسكوريال ٥٩٨) وولى نعمته بفاس هو السلطان محمد البرتغالي .
وقد كان التقسيم الجغرافي للحسن الوزان (كما يقول ماسينيون) ^(٨٨) منبثقاً عن الجغرافية الاحيائية والاقتصادية وذلك للمرة الاولى في تاريخ هذا العلم وهو تقسيم اسمى من التقسيم العربي الى الأقاليم ^(٨٩) .

ومن أبرز ما حققه علماء المغرب من بادرات ذات أهمية دولية قيام ابن رشد بالكشف عن (العالم الجديد) أي امريكا حيث اعترف (كريستوف كولومب) نفسه بأنه لم يشعر بوجود قارة باسطة وراء المحيط إلا بعد أن قرأ كتاب (الكليات) في الطب لابن رشد ^(٩٠) .

وقد امتاز الفكر المغربي في الدراسات الاسلامية بنوع من الانتقادات الأصلية بدعمها في شتى المجالات ابتكاراً وابداعاً .

فقد استظهر المغاربة القرآن بكامله على كل المستويات فأست كتائيب في السهل والجبال والمدن والقرى لتحقيقه بالقراءات السبع . ونظم الشعب بكل طبقاته تلاوته في المساجد في شكل «أحزاب» مرتبة على أيام الشهر مهدوا لها بقواعد رصينة للتجويد مع وضع طريقة فطرية لوقف آية القرآن تجمع بين اعتبارين اثنين هما المفهوم والنفس الطبيعي . وقد شعر رجالا المغرب بأسبقية الشرق في علوم القرآن فقتنوا التفسير الذي لم يكن يتصدى له إلا علماء افذاذ باذن خاص من أمير المؤمنين فأمر المنصور السعدي أولاً باختصار «الكشاف» للزمخشري مع تتبع سقطاته حفاظاً على صفاء العقيدة ثم يجمع تفسير ابن عرفة من تفسيري تلميذه البسيلي والسلوي وضرب ابنه زيدان المثل بالانكباب شخصياً على وضع تفسير اعتمد فيه على ابن عطية والزمخشري مع أبرز مظاهر الشذوذ انطلافاً من روح عملية كيف منهجية علمائنا فاقصروا على شرح وحواشي وابضاحات حللوا فيها ما كان لهم من نظرات خاصة انبثقت عن الشعور بضرورة الحفاظ على وحدة الفكر الاسلامي بتصفية أسس العقيدة والارتكاز على مصادر مزدوج بتبلور أولاً في التأويلات القرآنية المعززة بالحديث الصحيح وثانياً في استقراء واقع فعل الرسول واصحابه وكبار القراء والمحدثين . ولهذا اتسمت منهجية الدراسات الدينية في كلى العصور بالاستناد الى الأصلين الكتاب والسنة مع رفض سائر الاتجاهات الفردية أو الجماعية المحدودة من خلال نظرات الفرق والنحل الانفصالية فكان المنبع الثاني الذي ارتكزت عليه طرائق البحث هو السنة النبوية مستمدة من التوفيق بين أقوال الرسول عليه السلام وافعاله . وكان لعمل أهل المدينة الاثر القوي في تفضيل المذهب المالكي على غيره من المذاهب حيث كان منطلق الاقتباس هو صحيح الامام مسلم أولاً ثم صحيح الامام البخاري ثانياً فنظمت دراسات الحديث بأشراف الملوك منذ عهد الموحدين أي القرن السادس الهجري واستمر في ظل الدولة العلوية الى عهدنا هذا فكان مظهراً لسلفية الفكر للمغربي في رجوعه الى

الإصالة .

وقد تراكبت منهجيات البحث العلمي منذ عهد الموحدين في مجالي النقل والعقل فتبارى العلماء نمشراكة في المجالين حيث برز أمثال ابن رشد وابن زهر واختص في تدريس الحديث والاستنباط من أصوله في مجلس المنصور الموحدي الشيخ ابن القطان الذي استبحر في علوم الحديث وبصر بطرقه وميز بين سقيمه وصحيحه ونقده رجاله فكان أول شخصية مغربية ركزت الدراسات الحديثة على الأساليب والمناهج المتبعة في الشرق مع نوع من الطرافة والاختصاص تبلورا في التركيز على الأمل الصحيح دون غيره والانطلاق بروح جديدة لفهم النص تحليلا من تعقيدات بعض الفهاء . فأدت هذه الروح التحررية إلى إحراق كتب المذهب المالكي منذ عهد يعقوب المنصور بعد تحريرها من الحديث^(٩٠) . وكان جده عبد المؤمن بن علي قد أمر عام ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥ م بتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث في العدوتين معا (المغرب والأندلس) فبرز المغاربة في علم الحديث دراية ورواية حتى تلمذ الحفاظ ابن حجر إمام أهل الحديث شرقا وغربا لمحدثين مغاربة كأبي البركات الكمال المكناسي وقي الدين القاسمي وابن شقرا محمد بن بدر الدين السلاوي بل وصف العلماء محدثا مغربيا أدرس العراقي القاسمي بأنه أحفظ من ابن حجر .

وكانت جامعة القرويين منارا وهاجبا بدد الخلافات المنهجية التي سادت بفاس قبل القرن الرابع الهجري حيث انتشر مذهب الإمامين أبي حنيفة والأوزاعي بل وحتى المذهب الشافعي عن طريق أبي جبهه القاسمي ولكن الفكر الرحدي ما لبث أن تغلب فكان القرن الرابع آخر عهد بالفكرة الخارجية التي سادت في سيطرة الدولة الشاكرية .

وتداخلت العلوم الإسلامية ومنها علوم الآلة الاثنا عشر مع جلة من العلوم العقلية والتجريبية فكان لعلمي الاجتماع والاقتصاد شأنهما في اطار علم الفقه كما كان للفلسفة والمنطق دور في تكييف علم الأصول وعلمي الكلام والتصوف وكانت الرياضيات مدججة في علم القرائن كما اندرج الفلك في علم التوقيت ولنا مثال من القرن الحادي عشر في شخص ابن سليمان محمد بن محمد الروداني القاسمي (١٠٩٤ هـ/ ١٦٨٢ م) الذي كان محدثا فلكيا يحسن غالب الحروف ويتقن علم التوقيت حيث صنف منظومته التي بناها على تجاربه الخاصة وأرصاداته فلم يقلد أحدا من المتقدمين كما عززها بالة صنعها شخصيا بوسائله الخاصة في علم التوقيت والميقاتية (نسخة في خع ٢١٩٧ د/وله أيضا تحفة أولى الابواب في العمل بالاسطرلاب) استخرج فيه تسوية البيوت من زيج الفيك (الف بيلك) (خع ٢١٨٧ د) غوطا بالمانيا الشرقية ١٤١٥ .

وهو محدث ضليع استطاع أن يضع معلمة لكل كتب الحديث مما لم يسبق إليه بفضل فكره الموسوعي حيث جمع في كتابه « جمع القوائد بجامع الاصول وجمع الزوائد » (أحاديث الصحاح والسنة والمساند ومعاجم الطبراني^(٩١) الثلاث للبخ) وهو أيضا فقيه أصولي (له مختصر التحرير في أصول الخنيفة لابن الهمام وشرحه) ومؤرخ ضليع له « صلة الخلف لموصول السلف » وهو فهرست لترتيب أسماء الكتب على حروف الهجاء^(٩٢) .

وقد احتفظت اللغة العربية بأصالتها في المغرب الأقصى بفضل رجالها المجددين الافذاذ .
وقد نشرنا بحثاً معززاً بالوثائق حول فصحي عامة المغرب^(٩٣) وكان علماء اللغة في الشق
الغربي للعروبة دور فعال في بلورة معطيات اللغة مما فسح المجال لفاتين الحكمي
(٣٢٩ هـ/ ١٠٠٨ م) فقام بمناظرة صاعد بن الحسن البغدادي في مجلس المنصور^(٩٤) كما ورد
على صاعد هذا ابن قزّار البربري الذي صحت عن طريقه اللغة العربية .

ومن اللغويين الذين برزوا بابتكاراتهم في هذا الحقل : (١) عيسى بن عبد العزيز بلبخت
المراكشي (٦٠٧ هـ/ ١٢١٠ م) الذي فاق ابن الشلوين امام النحاة بالأندلس .

(٢) ابن عصفور علي بن أبي الحسين الحضرمي (٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠ م) الذي سكن مدينتي
أنفا ومراكش وكان خاتمة النحاة في الوطن العربي (بدأ النحو على وكذا : ختم النحو ابن
عصفور كلبي) .

(٣) محمد بن عمر الغاري (٨٠٢ هـ/ ١٣٩٩ م) الذي تفرد على رأس المائة الثامنة في
النحو^(٩٥) .

(٤) محمد بن الطيب الشرقي الفاسي (١١٧٠ هـ/ ١٧٥٦ م) الذي أكمل قاموس الفيروز
اباذي واعتمد تلميذه الشيخ مرتضى الزبيدي على حاشيته الكبرى على القاموس (وهي في
أربعة مجلدات) وقد تلمذ له علماء المشرق والمغرب .

(٥) ابن مضى أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد قاضي الجماعة بفاس ومراكش
(٥٩٢ هـ/ ١١٩٥ م) الذي أبرز في «كتاب الرد على النحاة»^(٩٦) بنظرية حريشة تقول بعدم
القول بالقياس في هذا العلم (تبعاً لإنكار الموحدين لفكرة القياس كمنهجية في الفقه) والاعتماد
على السماع وهو يهدف الى هدم نظرية العامل والمعمول القائلة بأن كل حركة هي نتيجة وأثر
لعامل لفظي يأتي بعدها وأن اللفظ لا يحدث حركة في اللفظ التالي له وإنما يحدثها المتكلم نفسه
فليس الفعل هو الدافع للفاعل وإنما وردت اللغة هكذا فنحن ننحو كما نحا العرب .

والحقيقة أن ابن جني هو أول من انكر العامل في كتابه (الخصائص) حيث قال : «وأما
في الحقيقة ومحصول الحديث فالحركات من الرفع والنصب والجر والحزم إنما هي للمتكلم نفسه
لا لشيء غيره» ثم قال : «ان ضرب انتهت فلا يمكن أن تكون عاملاً بمجرد النطق بها في زيد
أو عمر والخب .

وأول من أسس تعلم العربية للاجانب بروما في القرن العاشر الهجري الحسن بن محمد
الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي ، كما أن لبرأت دونش اليهودي الفاسي
(٣٤٩ هـ/ ٩٦٠ م) أول من دعا الى وجوب العناية باللغة العربية والاستعانة بها في فهم
«العهد القديم» وقد اخضع يهود المغرب النحو العربي لكتاب سيبويه وقام داود بن ابراهام
الفاسي بوضع قاموس اسمه (اجرون) انطلاقاً من معاجم اللغة العربية .

وقد برزت براعة الفكر الأندلسي المغربي في بادرات رائعة ضمن المعمار الهندسي

والموسيقى (أو الآلة) اللذين امتازا باصالة ما زالت معلمها تثير اعجاب العالم فالفن المعاري بتصميماته وترجيحاته وتجييساته وتسطيراته وترصيعاته وتلويناته وكذلك الآلة الأندلسية بطبوعها ونوباتها وتراثيمها ونلحياتها كل ذلك مظهر لعبقريّة نادرة . وقد تبلورت روح الإبداع في منهية التصنيع حيث كان المغرب منذ عهد الموحدين ييز العالم بانتاج الورق لامداد أوروبا الغربية كما يصنع أنواع الزجاج والسكر المصفي الذي تنافس البلاطان الفرنسي والمغربي على اقتنائه في عهد السعديين وقد صنع المغرب أسطولا وصفه (اندرى جوليان)^(١٧) بأنه أول أسطول في البحر الأبيض المتوسط مما حدا صلاح الدين الأيوبي الى الاستنجاد له . كما أكد أن الموحدين هم أول من نظم الأساليب التجارية طبقا لمقتضيات التجارة الدولية (راجع كتابنا) معطيات الحضارة المغربية) . وقد أشاد المؤرخ والقانوني الفرنسي (جالك كايي) (بالروح الدولية التي كانت تذكى السلطان سيدي محمد بن عبدالله لما كان يديه من اراء سبق بها ما عرفته أوروبا في العصر الحاضر اذ لم ينس في اتفاقاته البند المتعلقة بالسلم والحرب والحصانات الدبلوماسية وبعض مظاهر الحرية المحددة في اطار دقيق برهن عن ادراكه العميق لمقومات القانون الدولي بما يدل على مدى اسهام المغرب في دعم التشريعات التي تعتبر أساسا للعلاقات بين الدول في القرن العشرين (راجع كتاب (كايي) حيث نشر نصوص المعاهدات والاتفاقات المبرمة بين المغرب ودول أوروبا في عهد محمد الثالث . وهذه الروح الخلاقة قد أذكت أيضا ملك المغرب محمد الرابع الذي نوه الفنصل (لوكونظ دووسكواط) عن حصافة فكره والمامه بمعطيات السياسة الأوربية وتعريبه لكتب علمية وانكبايه على دراسة العلوم حيث أسس مدرسة للمهندسين بناس وبلغت مبادرته مبلغا من الإبداع جعل كلا من (فرانسو شارل روه) و(كايي) يؤكدان اختراعه لمدفع (تاريخ المغرب — عهد العزيز بتعبده الله ج ٢ ص ٦٥) .

وقد ظل أقطاب الفكر ينتجعون الشرق لاستئام المعارف وتبادل الاجازات كما كان المشاركة يتوقون الى مبادلة علمائنا وجوه النظر ، وقد عرف الشرق كيف يقدر المغرب في شخص أفناده أمثال ابن سلمان الروداني والمقرئ وابن الطيب الشرقي ويحيى الشاوي والبوسي وأحمد ابن ناصر وأحمد القادري ومحمد (فتحنا) الفاسي ومحمد بن الطيب العلمي المتوفي بالقاهرة وأحمد بن الخياط الذي مكث طويلا في القاهرة أيضا وأحمد الهلالي الذي ترك لنا وصفا شيقا لرحلته العلمية هذه ، لأن أساليب الشرق والغرب كانت تتكامل كما أن عناصرها الحيوية يتم بعضها في هيكل موحد رصين . ولعل ما لاحظته المقرئ — وقبله ابن خلدون — من فروق بين الشرق والغرب في الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية قد ظل على ما كان عليه إذ بينا كان الشرق مطبوعا بالعمق في ملكة العلوم النظرية طفق المغرب يوغل في البحث اللفظي مع تحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب وتصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب واختلاف المقالات مع ما انضاف الى ذلك من تتبع الآثار ، وبينما غلب على تأليف المشاركة الانجاز (عدا البعض كالغزالي والفخر الرازي) مع التخصار في الموضوع سواء في التصنيف أم التدريس اذا بالمغاربة من القيروان الى القرويين يوغلون في الاستطراد . واذا كانت صناعة التأليف قد انتهت في علماء المغرب على صناعة أهل

المشرق في شخص ابن البناء المراكشي فقد عللوا ذلك (ببراءة نسبه من البداوة) غير أن الأمر لم يبلغ الحد الذي زعمه ابن خلدون في المائة الثامنة من انقطاع ملكة التعليم على طريق النظر . لأن التحقيق العلمي ظل طابع الكثير من علماء عهد الشرفاء . هذا مع تحفظات منها نوع من التجمد في المنهج وإيغال في الاستظهار النصوص حيث أدى الحال في بعض نواحي المغرب الى تطرف في الاستظهار تجاوز المتن الى معاجم اللغة ، ولكن هذا الأسلوب الذي كان يحجر الفكر أحياناً عند من لا يستطيع أن ينسق بين واعيته وملكته التصورية قد ضخم — على العكس عند البعض — السليقة العربية .

غير أن العلوم فقدت منذ أوائل القرن الحادي عشر سميتها العلمية فأُست مجرد «حرف» تقنية ضمت اختصاصين في الحساب والمهندسة والمساحات» (١٩٨)

وبالرغم من تقلص شبكة العلوم فإن الروح العلمية ظلت تذكى الخاصة من العلماء الذين كانوا يشعرون بالفروق الدقيقة في الاتجاهات العلمية ، ويتجلى ذلك في تقسيمات أبي علي اليوسى للعلوم : الى فلسفية وعلمية ، وتحديداه لماهية علم الفلسفة الذي يهدف الى «تكميل النفس الناطقة والاطلاع على حقائق الأشياء بقدر الطاقة» وأنه — كما يقول — اما نظري واما عملي ، والأول اما مجرد عن المادة مطلقاً وهو العلم الالهي ، أو في الذهن فقط وهو العلم الرياضي ، أو مقيد بالمادة وهو العلم الطبيعي . والثاني اما متعلق بنفس الشخص من حيث هي ، وسمى سياسة النفس وعلم الأخلاق ، أو بها وبما يحتاج اليه من شهوات قواها وهو علم تدبير المنزل ، أو بما يهم وهو الملكية والسلطنة ..

وبذلك أصبحت التعاليم تنحصر في عمليات تطبيقية صرف تلك فذلكة مختصرة تعطينا صورة مكبرة عن بعض مظاهر منهجية البحث العلمي في المغرب .

المواشم والمصادر

(١) (كتاب الطب والطب والأطباء بالمغرب — عبد العزيز بن عبد الله ص ٥) .

(٢) (الطب القديم بالمغرب — نشرة معهد الدروس العليا المغربية عدد ١ ص ٧٢) .

(٣) (لوكير — الطب عند العرب ج ١ ص ٤٥٥) .

(٤) هي المكتبة العامة بالرباط .

(٥) (الفتح ج ٢ ص ٨٧٤) .

(٦) (كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة لميد الرحمن الشعراوي) (مخطوط) .

(٧) (كودار — وصف المغرب وتاريخه ج ١ ص ٢٣٩) .

(٨) (الطب عند العرب ج ١ ص ٤٠) .

- (٩) الطب والاطباء بالمغرب ص ١٤ — عبد العزيز بن عبد الله .
- (١٠) (لوكليج ج ٢ ص ٧٢) .
- (١١) (نفع الطيب ج ١ ص ٤٤٥) .
- (١٢) عيون الانبياء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٦٤ .
- (١٣) يوجد مخطوط منها في الاسكوريال (رقم ٨٤٤) .
- (١٤) مخطوط يباريس عدد ٢٩٥٩ ونسخة في الاسكوريال حسب (رينو) محررة بالعربية ومكتوبة بحروف عبرانية .
- (١٥) توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية يباريس عدد ٢٩٦٠ تحتوي على كتابي الأغذية والتيسير لابن زهر والتذكرة لأبي العلاء) .
- (١٦) حضارة العرب — كوستاف لويون — ص ٥٣٠ من الطبعة الفرنسية) .
- (١٧) مخطوط بمكتبة (ليد) ثم الى الايطالية عام ١٢٦٠ م .
- (١٨) (ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٦٦) .
- (١٩) (الأنيس المرب ج ٢ ص ١٨٠) .
- (٢٠) نشرة للمعهد المصري ج ٢٦ عام ١٩٣٤ — بحث بقلم ماكس مايرهوف ص ٣٣ ، وقد أشار ابن النفيس الى ذلك في (الكتاب الشامل) الذي احتوى على ٣٠٠ مجلد) ولم يكمل منه سوى ثمانين .
- (٢١) (الاعلام للراكنش ج ٣ ص ١٤٥) .
- (٢٢) في كتابه عن الموحدين عام ١٩٧٣ (ص ١٢٩) .
- (٢٣) آداب الشافعي ومناقبه ص ٣٢١ .
- (٢٤) (ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٧٥) .
- (٢٥) (سلوة الأنفاس ج ١ ص ٧٤) .
- (٢٦) (صحيح مسلم ج ٧ ص ٢٧ طبعة على صحيح) .
- (٢٧) (لوكليج ج ٢ ص ٢٢٥) .
- (٢٨) (الفتح ج ١ ص ٦٣٥) .
- (٢٩) (لوكليج ج ٢ ص ٢٤٨) .
- (٣٠) (لوكليج ج ٢ ص ٨) .
- (٣١) (ص ٦٨ — ٢) .
- (٣٢) (لوكليج ج ٢ ص ٦٥) .
- (٣٣) (مهريس ج ٥ ص ٣٥ عام ١٩٢٥) .
- (٣٤) كما لاحظ المراكشي في المعجب (ص ٢٢٠) .
- (٣٥) (الطب القديم بالمغرب ص ٧٧) .
- (٣٦) المغرب المعاصر مملكة تهاص ١٢ باريس ١٨٨٦ هـ) .
- (٣٧) في كتابه (سفارة المغرب ص ٢٥٤) .
- (٣٨) (الاستقصا ج ٣ ص ٤٧) .
- (٣٩) (في كتابه الطب القديم بالمغرب ص ٤٧) .
- (٤٠) كما يتجلى ذلك في كتابه (بلغة الامنية ومقصد اللبيب يعين كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب) (٤١) (ج ٢ ص ٢٥٨) .
- (٤٢) في كتابه (مؤرخوا الشرقا — ٤٤) (النيل ص ١٥٣) .

- (٤٤) (الاعلام للمراكشي ج ٢ ص ١١٤) .
 (٤٥) (النشر ٢ ص ١٢٥) .
 (٤٦) (نسخة في ختم) .
 (٤٧) (في نشرة معهد الدروس المغربية العليا ج ١٨ ص ١٩٥) .
 (٤٨) (الاعلام للمراكشي ج ٤ ص ٣١٨) .
 (٤٩) (رينو— نشرة معهد الدروس العليا ج ١٨ ص ٢٠٥) .
 (٥٠) (كودار ص ٤٩٥) .
 (٥١) (رينو ص ٢٧) .
 (٥٢) (ماسينيون ص ٧٣) .
 (٥٣) (الطب القديم بالمغرب ص ٧٧) .
 (٥٤) (وصف وتاريخ المغرب ج ١ ص ٢٣٨) .
 (٥٥) (في كتابه (الأخبار الصادر عام ١٨٥٩ م) .
 (٥٦) (رينو ص ١٣١) .
 (٥٧) (ج ١ ص ٢٤٠) .
 (٥٨) (رينو ص ١٥٥) .
 (٥٩) (في بحث له في (الاسبوع الطبي) بتاريخ ١٤ مايه ١٨٩٨) .
 (٦٠) (راجع رينو ص ١٦٠) .
 (٦٢) (في بحث نشره في مجلة المغرب الطبي في عدد شتير عام ١٩٥١) .
 (٦٣) (رينو ص ١٤٠٠) .
 (٦٤) (رينو ص ٧٦) .
 (٦٥) (نشر الثاني ج ٢ ص ٤٤) .
 (٦٦) (الخطاب ص ٨) .
 (٦٧) (الاعلام للمراكشي ج ٢ ص ٢٤٦) .
 (٦٨) (ص ١٢١) .
 (٦٩) (رينو ص ٦٠) .
 (٧٠) (الجزء ٣١) .
 (٧١) (نزعة المشتاق — افريقيا والاندلس ص ٦٧) .
 (٧٢) (الجزء ص ٣٧ و ٥٧) .
 (٧٣) (السلوة ج ٣ ص ١٤٥) .
 (٧٤) (الجزء ص ٧٧) .
 (٥٧) (السلوة ج ٣ ص ٢٢٦) .
 (٧٦) (درة الحجال ص ٩٢) .
 (٧٧) (الاعلام للمراكشي ج ٢ ص ٢١٦) .
 (٧٨) ((نشر الثاني ج ٢ ص ٢٧٣ مع رسالة في وصفها منشورة في الاعلام للمراكشي ج ٤ ص ٣٣٤ نقلا عن خلاصة الاثر) .
 (٧٩) (الاغتياب ج ١ ص ١٣٦) .
 (٨٠) (الاغتياب ج ٢ ص ١٩٢) .
 (٨١) (الفتح ج ٢ ص ٦٨٣) .

- (٨٢) (لوكلير الطب عند العرب ج ٢ ص ١١) .
- (٨٣) (نسخة في دار الآثار العربية بالقاهرة) .
- (٨٤) (نشرة معهد الدراسات المغربية العليا ج ١٨ ص ١٩٥) .
- (٨٥) (حضارة العرب - كوستاف لوبون - الطبعة الفرنسية ص ٥٠٨) .
- (٨٦) (في كتابه (المغرب في السنوات الأولى للقرن السادس عشر ص ٥١) .
- (٨٧) (يوجد هذا المخطوط في عدة مكبات (في وهي غير كاملة وفي مكتبة سليم اغا ٨٦٦/مكتبة ليدن/مكتبة احمد الثالث (الجزء الأول ٣٣٤٣/دار الكتب المصرية ١٢٠٨ (مبقات) نسخة غير كاملة . طبع نصفه المترجم الى الفرنسية من طرف في مجلدين عام ١٨٣٥ بباريس .
- (٨٨) (في كتابه (المغرب في السنوات الأولى للقرن السادس عشر ص ٣٧) .
- (٨٩) (راجع كتاب (ابن رشد ومذهبه) للمؤرخ الفرنسي (رونان)
- (٩٠) (المعجب للمراكشي ص ١٧١) .
- (٩١) (نسخ ٢٥٨٤) طبع مرتين (عام ١٣٤٥ هـ/ ١٩٢٦ م على الحروف بالهند ثم طبع في السنين بالحرمين الشريفين في مجلدين) . (٩٢) (حزاة الاوقات ٦٢٧٥) .
- (٩٣) (راجع كتابنا «نحو تفصيل العامة» .
- (٩٤) (الذيل والتكملة ج ٢ ص ٥٢٦ (طبعة احسان عباس) .
- (٩٥) (نيل الالتياج ص ٢٨١) .
- (٩٦) (نشر كتاب الرد على النحاة حديثاً (ظهر الاسلام أحمد أمين ج ٢ ص ١١٨ وج ٣ ص ٩٦) .
- (٩٧) (في كتابه تاريخ افريقيا الشمالية) .
- (٩٨) (الاعلام للمراكشي ج ١ ص ٤٦) .

١٨١٠٠ع

المثني

طبيب نفسي بالتسليقات

للدكتور: يوسف عبدالله الحميدان

لوحصل وسألك سائل ، عن شاعر من شعراء العرب ... سألك عن أي جانب من جوانب حياته أو شعره .. فما هو ذلك؟! ... بدون شك سيكون الرد متناسياً مع السؤال تماماً ... تشترك فيه كل جوارحك .. ولنضرب لذلك مثلاً .. شاعر النيل حافظ ابراهيم رحمه الله .. لو سألك سائل عن تقويم هذا البيت الذي يتهم فيه (الانجليز والاستعمار الأجنبي) : —

لم يبق شيء من السدينا بأيدينا
الا بقية دمع في مآقينا !!!

فإذا تجب؟! للحقيقة نقول .. إذا كان المسؤول أديباً .. فسوف يجيبك عليه بصفحات وصفحات .. وإذا كان المسؤول شاعراً فسوف يجيبك عليه بكتاب .. أما إذا كان المسؤول طبيباً مثقفاً ثاقب الفهم .. فسوف يجيبك عليه بأكثر من كتاب .

لقد حصل معي هذا الشيء وأنا استعرض كتاباً للأستاذ عبدالله ابن ادريس أمد الله في عمره : حصل معي وأنا أقرأ له فكرة .. يقول فيها (وتطورت الفكرة في ذهني الى شيء أكثر جدية وجدة ... وابلغ عمقاً وتأثيراً .. الى ديانة هذا الشعر على نحو جديد من البحث السيكلوجي .. أي النفسي .. للعوامل الاجتماعية والأحداث والمؤثرات الانسانية التي ساعدت على تطور الشعر في نجد .. كما في البلاد العربية الأخرى ... بل وربط شعر كل شاعر بالنظرية الفرويدية ... أي النفسية (والشعور واللاشعور) .. من حيث استشفاف نفسية الشاعر وعواملها الحياتية من شعره .. ذلك أن سيكلوجية الشاعر .. أي نفسيته ... هي التي تطبع بمؤثراتها وخصائصها ومنازعها ومناصبيها المختلفة) .. انتهى .

الفرق بيني وبين الأستاذ ابن ادريس ... أنه جعل من المصطلحات الحديثة (لعلم النفس) دليلاً على ما يقول ... أما أنا فقد جعلت من قول (التبني) مجرأً استشف به نفسيات الآخرين .. نفسيات الأفراد والمجتمعات التي كان يعيش فيها ... قد أكون مبالغاً بعض الشيء في هذه المقارنة .. لأنني سأكون واضحاً فيما سأقول .. ولسوف أعود الى علماء النفس المعاصرين .. لأرى ماذا يقولون .

انهم بلا شك يقولون اشياء كثيرة .. منها ما هو محدود ... ومنها ما هو غير محدود .. وسوف أوجز انفعالي للناس بهذه الأسطر :

أولاً : — يقال هناك دوافع نفسية داخلية :

أ — للتوازن الحيوي ... تكمن وراء (السلوك الانساني) وتتحكم به ... فإذا لم يستطع الفرد الحي اشباع حاجاته ... يلجأ الى القيام بأنواع مختلفة من النشاط الحيوي .. يرمي به الى استعادة حالة التوازن .

ب — ودوافع نفسية لخصائص السلوك الذي يتميز بالنشاط الحيوي .. (والاستمرار الى أن يشبع هذه الدوافع ... ثم الى (التنوع) عند الكائن الحي .. الذي يشبع تنوعه في السلوك ، وتغيير في اساليب النشاط الحيوي .. الى أن يشبع تلك الدوافع .

ج — وليس هناك من قياس ظاهر للدوافع الخفية الا عن طريق (مظاهر السلوك) .

ثانياً : — وأكثر من هذا .. توجد أصناف للدوافع النفسية .. منها : —

أ — الدوافع الأولية ... أو الطبيعية (الفسيولوجية) كالبحث عن الطعام .. أو الشراب .. أو الأمومة .. أو الجنس .. وتجنب الألم .. الخ .

ب — الدوافع الثانوية أو الاجتماعية (المكتسبة) .. كالحاجة الى الاجتماع .. والى التملك .. والى تقدير الذات .. والى الأمن والاستقرار .. الخ .

ثالثاً : — بل وهناك انفعالات نفسية .. من خصائصها : —

١ — الضعف والاستجابة .

ب — القوة والصد .

ج — السلبية الذاتية .

السيطرة على هذه الانفعالات تتوقف على عدة أمور ... منها ما هو مادي .. ومنها ما هو

معنوي .. كالمعرفة وتفهيم الموقف .. وتكوين العادات ... ومرور الوقت الخ .. فإما أن تهبط وإما أن ترتفع .

ومنها (التغيرات الجسمية) التي تصاحب الانفعالات .. كالغضب والخوف والحب .. الخ .. ومنها (أثر الوراثة) .. والمحيط (البيئة) التي قد تؤدي الى التربية السليمة والسلوك السليم .. أو الى التكيف .. أو الى الانحراف .. الخ .

هذا هو الموجز عن علم النفس الحديث ... أما عن العلم القديم فإني سأستشهد بكلام العرب .. وتفهم مدى قدرتهم على سبر أغوار النفس البشرية .. نقلته من كتاب (الصناعتين) .. كلام جوهري .. وقول جميل .. اسمعه يرن في أذني ... فيؤثر في النفس .. وأعني أن يرن في أذنك .. لعل نفسك تتأثر .. اسمعه وهو ينوص في اعماق النفس العربية .. (فإذا الكلام قد جمع العذوبة والجزالة .. والسهولة .. والرصانة ... مع السلاسة والنصاعة ... واشتمل على الرونق والطلاوة .. وسلم من حيف التأليف .. وبعد عن ساجدة التركيب .. وورد على الفهم الثاقب قِيلَه ولم يردّه ... وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمتح به .. وعلى النفس تقبل اللطيف وتنوع الغليظ .. وتقلعه من الجاسي البشع ... وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما يوافقها ... وينفر عما يضاده ويخالفه ... والعين تألف الحسن ... وتقذى بالتبجح ... والأنف يرتاح للطيب وينفر للنتن ... والشم يند بالحلو ويمج بالمر .. والسمع يتشوق للصواب الرائع .. ويزوي عن الجهير المائل ... واليد تنم باللين الى المألوف .. ويصغي الى الصواب .. ويهرب من الخيال .. ويقبض عن الوخم .. ويتأخر عن الخافي الغليظ .. ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب أو الروية الفاسدة) .. انتهى .

من كل ما فات .. وقفت موقف (الجامع) فقط ... أما التحليل فسوف أتركه للقاريء الكريم ... ولصاحب الفائدة الذي أريد منه أن ينعم النظر فيما أقول ... ومن ثم يميز الطيب من الخبيث .. ومن بعد هذا كله .. يتقرب الى السلام ويتعدى عن السقم .

أنا معجب كل الأعجاب بالشاعر المنبهي .. اعجاباً يستحقه هو .. ولا لوم علي في ذلك .. فهو الذي يقول :

ومما أنسا وحسدي قلت ذا الشعر كله
ولكن لشعري منك من نفسه شعراً

١ — فلقد كان شاعراً جذاباً مؤثراً في قوله ووصفه وتعبيره .

٢ — ولقد كان شاعراً حكيماً بالعقل والمنطق فيما يقول .

٣ — ولقد كان (في رأبي) محلاً نفسانياً اعطيه شهادة (الدكتوراه) بلا تردد .

٤ — انني لم آت بشيء جديد ... فلقد كان محلاً نفسانياً للفرد .. وللمحيط .. ولكل المجتمعات التي عاش بها .. بطبعه وسليقته .

٥ — وأكثر من هذا ... فقد كان محلاً لنفساناً لذاته هو ... وأن بالغ في بعض الأحيان ..
ويسرني أن أسمع منه ما يقول : —

وقد ذقت حلواء البين على الصبـــــــــــــــــا
فلا تحبني قلت مــــــــــــــــا قلت عن جهــــــــــــــــل .
أو
ومــــــــــــــــا التــــــــــــــــيه طبــــــــــــــــي فيهم غير أنني
بغضٌ إلى الجاهــــــــــــــــل المشــــــــــــــــا قــــــــــــــــبل

٦ — للحقيقة أقول ... أنا لا أعتبر المبالغة عيباً فيه ... فقد كان ذا فن في مبالغته .. لا سيما
وهو في أطار الحكمة والعقل والواقع .. فقد كانت تلك المؤثرات تظهرها على شكل
(علاج نفسي) يشهد لصاحبه بالفهم الثاقب ... للأسس والأصول .

٧ — وبالمقارنة ما بين (ما قال) هو ... وبين ما جاء به (علاء النفس) المعاصرون ... نجد ركائز
متعددة يتفق معهم فيها .. وبالأخص :

أ — الدوافع والرغبات .

ب — السلوك والمعاملات .

ج — الماضي ... قد استعمل فراسته الفطرية .. وفهمه الثابت .. في الفحص والعلاج
الاجتماعي .. بينا الحاضر .. عرضها للأسس والقواعد العلمية .

د — الماضي .. قد أدخل الخبرة والتجربة (الواقعية) .. في تعامله مع الفرد والمجتمع ..
بجميع أصنافهم .. بينا الحاضر أدخل التجربة العلمية والتطبيق العملي .
هذا هو عنوان خلوده .. لم يأت على أنه نموذج أو مظهر من مظاهر عصر أو
مجتمع .. أبداً .. وإنما لأنه قد دخل في كل نفس .. وأثر في كل عقل .. وها أنذا
أودعه وهو يعيش في طريقه إلى المستقبل ... المستقبل اللانهائي .. ونحن سوف
نبقى ها هنا ثم نخفي .. وليس لنا من عمل إلا تمجيد الخلود ورواد الخلود ...
نردد معهم أقواله الخالدة : —

١ — لا تعذر المشتاق في اشواقه

حتى يكون حشاك في أحشائه

٢ — قرب كتيب ليس تــــــــــــــــلى جفونــــــــــــــــه

ورب كثير الســــــــــــــــلم مع غير كتيب

٣ — ضروب الناس عشاقٌ ضروريــــــــــــــــا

فأــــــــــــــــلزمهم اشقــــــــــــــــهم حبيــــــــــــــــا

٤ — وشيخ في الشباب وليس شيخــــــــــــــــا

يسمــــــــــــــــى كــــــــــــــــل من بلغ المشيــــــــــــــــا

٥ — اذا لم تكن نفس النيب كــــــــــــــــاصلــــــــــــــــه

فأــــــــــــــــلزمي بغنى كرام المنــــــــــــــــاصب ١٩

- ٦ - وما قُرُبْتُ أشبهاء قوم أبساء
ولا بعدت أشبهاء قوم أقارب
- ٧ - وكل امرئ يولي الجميل محب
وكل ميل مكسان ينبت العز طيب
- ٨ - وأظلم أهل الظلم من بسات حاسدا
لمن بسات من نوائمه يتقلب
- ٩ - وحيد من الخلان في كل بلدة
إذا عظم المطلوب قسل المساعدا
- ١٠ - وكل يرى طرق الشجاعة والندى
ولكن طبع النفس للنفس قائل
- ١١ - فان قليل الحب بالعقل صالح
وأن كثير الحب بالجهل فاسد
- ١٢ - إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
- ١٣ - ووضع الندى في موضع السيف بالعلل
مضر كوضع السيف في موضع النسيب
- ١٤ - فإن الجرح ينفر بعينه حين
إذا كسان البنياء على فساد
- ١٥ - فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
- ١٦ - وفي النسيب من يرضى بميسور عيشه
ومركوبه رجلاه والشوب جليده
- ١٧ - كثير سهاد العين من غير علسة
لورقه فيها يشرفه الفكر
- ١٨ - ومن ينفق الساعات في جمع ماله
غفافة فقر فالذي فعل الفقر
- ١٩ - والغنى في يبيد اللئيم قبيح
قندر قبح الكريم في الأملق
- ٢٠ - قبيد استشفيت من داء بساء
تبين من بكى بمن تبيسا
- ٢١ - وكنت أعيب عذلا في مناح
منها أنسا في السباح له عذول
- ٢٢ - يراد من القلب نسيب انكم
وتأبى الطبع على الناقص

- ٢٤ - وثلك لا يُكَي على قـدَر سَنـه
ولكن على قـدَر المِخْلِـة والأصـيـل
- ٢٥ - ولم أَرِ اعصَى منك للحزن عَـبَـة
وأثبَّتَ عَقْلاً والقلوب بلا عَقْـل
- ٢٦ - ومن كـمـان ذا نفس كنفك حرّ
فقيسه لها مُغْنٍ وفيها لـه مُسـل
- ٢٧ - وما الدهر أهل أن تؤسِّل عنده
حياة وأن يُستَباق فيه إلى النسل
- ٢٨ - فلا تنكّر لها صرعـة
لن فرح النفس مـما يقتـل
- ٢٩ - وقد أراني الشَّبَاب الروح في بـلـدي
وقد أراني المشيْبُ الروح في بـلـدي
- ٣٠ - أقلُّ أنـل أقطعُ أحـمـل عـل سل أعد
زد هـش بش تفضـل أدن سـر صـل
- ٣١ - يهون علينا أن تصاب جسمـنا
وتسلم أعراضُ لـنـسـا
- ٣٢ - أجـد الحزن فيك حـفـظاً وعقلاً
وأراه في الخلق ذعراً وجهلاً
- ٣٣ - ولـذيـذ الحـياة أنـفـس في النـفـس
واشهى من أن يحلّ واحـل
- ٣٤ - آلة العيش صحبة وشباب
فـماـذا وليـسـا عن المـرء ولـى
- ٣٥ - أشد النـم عنـيـدي في سرور
تـيقـن عنـيـه صـاحـبـه انتـقـالا
- ٣٦ - وأشرف فـماـخر نفساً وقومـاً
وأكرم منـم عـمـماً ونـخـالا
- ٣٧ - ومن مـمـل ذا فـم مـر مريض
يحـد مـراً بـمـمـه الماء الزلالا
- ٣٨ - سرورك أن تـمر النـمـاس طراً
تـلـمـهم عـلـيك بـمـمـه الـمـدلالا
- ٣٩ - ما كـمـل من طـلب المعالي نـافـذاً
فـمـمـا ولا كـمـل الرـجـمال فـحـولا
- ٤٠ - جمـع الزمـان فـا لـذيـذ عـالـص

- ٤١ — يريك مخبره أضـعـمـاً فـمـنـظـره
 بين الرجـال وفيـه المـال ولـآل
 ٤٢ — وإذا كـانت النفوس كـباراً
 تعبت من مرادهـا الأجسام
 ٤٣ — فكـان احسن خلق الله كلهم
 وكان احسن مـا في الأحسن الشيم
 ٤٤ — على قـدر أهـل العزم ثـأني العزائم
 وثـأني على قـدر الكرام المكـارم
 ٤٥ — وتعظم في عين الصغير صغـارها
 وتصغر في عين العظيم العظـائم

الدكتور يوسف عبدالله الحميدان

٩٩/٦/٥ هـ

اُشْرَدَ عَوَّة

الشيخ

محمد بن عبد الرحمن
بن عبد الرحمن

في

غريب الألفاظ

في هذا الظلام الدامس والليل الحالك الذي أحاط بالأمة الإسلامية من جميع
سجوانها حيث سادها التشكك والانهيار ، وانتشرت الضلالة والبدع والخرافات

وسادت الشعوذة والمغدر المسلمون في المناهات ، بنزع على الأمة الإسلامية فجر جديد
يتمثل في ظهور دعوة التوحيد والعودة بالإسلام الى نبعه الخالدين لكي يستكمل
التشيد الإسلامي وتنطلق الأمة الإسلامية في ركب الزيادة من جديد .

ذلك لأنه في هذا الجو الذي تكاثفت فيه الظلمات ساد جو من التعصب وأغرق الناس في
الجهل والايما بالخرافات والاعتقاد بالقبور والموتى ومزارات المشايخ والأولياء وسطت على
عقليات الناس بعض السخافات وظهر التخلف على كل شبر من الأرض الإسلامية .

ومن قلب كل هذه الأمور والظلمات ولد محمد بن عبد الوهاب في بلدية العينية شمال غرب
الرياض وفي قلب نجد عام ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م وتعرف أسرته بأنها فرع من آل مشرف وتنتمي
الى قبيلة نعيم وقد اشتهرت أسرته بالعلم والدين فجده عالم فاضل وابوه قاضي العينية وعمه
ابراهيم عالم فقيه وابن عمه عبد الرحمن بن ابراهيم عالم كذلك . وأخوه سليمان رجل من أولى
العلم .

وعني به أبوه صغيراً وحفظه القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم في بلدته ثم سافر لطلب
العلم والمعرفة ودرس بعض الدروس لدى علماء المدينة ثم يم وجهه نحو العراق فجاء البصرة
وقرأ على بعض علمائها ومر على بلاد الشام وفيها درس كتب ابن تيمية ونقل كثيراً منها وفي طريق
عودته الى نجد مر بالأحساء فتتلمذ لأحد فقهاءها ونبغ في الفقه والحديث واللغة ، ثم عاد الى
نجد وشرع يحارب البدع والخرافات وأخذ يدعو الى مذهب التوحيد ولكن المعاصف عصفت
به وتمرد الناس الذين سادهم الجهل المطبق عليه فهجرها الى الدرعية مقر آل سعود فرحبوا به
بعد أن اقتنعوا بفكرته وشرعوا يناصرون دعوته الى الدين . ومن ثم بدأوا يدخلون في دعوته
أفواجا وما روقت من الزمن الا والدعوة تحفّق أعلامها خفاقة عالية في نجد والاحساء وكثير
من مناطق الجزيرة وتتجه نحو الحجاز وتنتشر أنباء هذه الدعوة الى كل مكان .

وتوفى عمي السنة وميطل البدع والساثر على نهج السلف الصالح في الدرعية عام
١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م والحديث عن حركة التوحيد والعدل والايما التي فجرها الإمام الشيخ
محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية حديث طويل ويمتد ومتسع ولا يتسع المجال
للحديث عنها بالتفصيل في ذلك البحث الصغير الضيق .

ولكن هذه الحركة الإسلامية التوحيدية كان لها أثرها الواضح والقوي والفعال والمؤثر في
تصحيح المسار الفكري في العالم الإسلامي وتنقية الدين الإسلامي مما علق به من الشوائب

والخرافات والبدع والخزعبلات واتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة باعتبارهما القواعد الأساسية للدين الإسلامي . والذي يجب أن تسير الأمة الإسلامية على هدى هذين النبعين الخالدين ونبد ما يتنافى معها من بدع وضلالات دخلت على الدين في عصور لاحقة للدعوة الإسلامية وسابقة لدعوة الامام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

أثر دعوة الشيخ :

لقد كان لهذه الدعوة الإسلامية التصحيحية أثرها البعيد المدى والواسع النطاق في العالم الإسلامي حيث تركت دعوة التوحيد والایمان والتي ناصرها رجال الشيخ من الموحدين آثارها الطيبة في جميع أنحاء العالم الإسلامي فقد تركت أثرها في كل الحركات الاصلاحية التي ظهرت على أثرها في شتى أنحاء العالم الإسلامي في المغرب ومصر والعراق وبلغت الشرق الأقصى في القبلين والملايو وأندونيسيا والهند .

ويمكن القول أن حركة التوحيد والعدل كانت تعمل ما وسعها العمل لأجل ايقاظ الشعور الإسلامي من جديد والعمل على وحدة المسلمين وتكثفهم واعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله صل الله عليه وسلم وتوحيد الجهود الإسلامية من أجل طرد الاستعمار من البلاد الإسلامية الى بسط نفوذها عليها وتحرير الأمة الإسلامية من الآثار الأجنبية .

وقد تركت الدعوة السلفية الاصلاحية التوحيدية أثرها في القارة الأفريقية حيث انطلقت على هدى من مبادئها وعلى أسس تعاليمها الحركة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدي في السودان والحركة السنوسية في ليبيا . وكذلك منطقة غرب القارة الأفريقية تركت بصماتها وآثارها قوية في حركة الزعيم الديني الشيخ عثمان بن فوديو الذي اتبع نفس المنهج وسار على نفس الخط التي تحركت عليه حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة والتبليغ وفي الجهاد والانتشار .

غرب أفريقيا

لقد تركت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب أثرها في تلك المنطقة الواسعة من غرب القارة الأفريقية وهي تلك المنطقة التي يحدها من الشرق بحيرة تشاد ومن الغرب ساحل المحيط الأطلسي وقرب الرأس الأخضر وتقع هذه المساحة بين خطي عرض ٩ درجة و ٢٧ درجة شمال خط الاستواء تقريبا على أنها لم تشغل من هذه المساحة سوى أراضي الساغانا التي تلي منطقة الغابات الاستوائية الساحلية وتبلغ مساحة غرب القارة الأفريقية نحو ٢,٤ مليون ميل مربع أي نحو مساحة المملكة المتحدة البريطانية ٢٥ مرة ونحو ٥/٦ مساحة الولايات المتحدة الأميركية وتبلغ المساحة بين طرفي هذا الأقليم الشرقي والغربي نحو المساحة بين موسكو ولندن .

ولقد تأثرت هذه المنطقة الواسعة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شخص الشيخ عثمان دن فوديو الذي قام بحركته المخلصة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وأوائل القرن التاسع عشر لكي يخرج مسلمي منطقة غرب القارة من رقدهم وإيقاظ وعيهم وبعث النشاط الإسلامي فيهم عن طريق دعوته السلمية وحركته التجديدية التي امتدت الى كل منطقة غرب القارة .

ولقد اتسع نطاق دعوته وانتشرت بوجه خاص في امارات الهوسا وهي كانو ، كاتسينا زاريا ، رانو ، جوير ، بيرم ، دارا وأيضا امارات سوكوتو ، زنفارا ، كيبسي ، نوبى ، بوشى ناورى ، جواي .

شعب الفولاني :

لقد اختلف الكثير بشأن هذا الشعب فمنهم من يقول شعب الفلانة ، والعرب هم الذين يطلقون عليهم هذا الاسم . في حين يطلق عليهم سكان امارات الحوصه شعب الفولاني وأما هم الذين عبارة عن بدورحل رعاة فيطلقون على أنفسهم شعب الفوليه . وقد اختلف الباحثون من رجال الانثولوجيا والإكيولوجي والتاريخ بشأن أصل هذا الشعب ولكنهم اتفقوا جميعا على أنه شعب وافد على منطقة غرب القارة الأفريقية فمنهم من يرى في أن هذا الشعب هم عبارة عن جزء من شعب بلاد النوبة في السودان الشرقي ويرى البعض الآخر أنهم من عناصر البربر الذين رحلوا من جنوب بلاد المغرب واستقروا في منطقة أعالي نهر السنغال مؤقتا . وقد خضعوا في بادئ أمرهم للدول التي قامت في منطقة غرب القارة (غانا ، مالي ، سنغالي) وإن كانوا هم يدعون لأنفسهم أصولا عربية وشعبا عربيا شأنهم شأن الكثير من القبائل الأفريقية التي انتسبت الى العرب ، ويقولون أن جددهم الأكبر عقبة بن نافع الفهري أو عقبة بن عامر الذي تزوج من ابنة ملك قبائل التورود وأنجب أربعة أولاد ومن سلالة هؤلاء الأولاد كان شعب الفولاني وهناك من يقول أن الفولانيين من مصر العليا هاجر أوائلهم غربا عبر شمال أفريقيا الى ساحل المحيط الأطلسي . ثم رحلوا الى الجنوب الشرقي وهم يعتبرون أنفسهم من الشعوب البيضاء ولاسيما الطبقة الحاكمة منهم وكانوا يتفوقون على الوطنيين سكان المنطقة بعمق الثقافة الاسلامية وكان لهم مركز خاص بين سكان غرب أفريقيا .

ومها يكن من أمر فانهم منذ القرن الثالث عشر الميلادي بدأت حركة التنقل تأخذ طريقها من السنغال الى الشرق حيث استطاعوا أن يصلوا الى شمال غرب نيجيريا حيث استقروا للرعى والدعوة للإسلام بين القبائل التي سكنت بالقرب منها وقد أقاموا لهم امارات محلية ، وإن كانت جماعات من شعب الفولاني لم تتحرك الى نيجيريا حيث شعب الحوصا ولكن استقرت مع شعب الماندي بالقرب من نهر النيجر وقد اشتغل فريق منهم بالرعي والآخر قام بأعمال التجارة في المدن وقد امتدت هجرتهم شرقا حتى وصلت الى بلاد برنو ، ذلك لأنه في عهد السلطان الحاج عمر بن أدريس الذي حكم برنو تسعة عشر عاما وتسعة أشهر

(١٠٣٦ - ١٠٥٥ هـ - ١٦٢٥ - ١٦٤٥ م) وقد الى برنو في عهده بعض رعايا شعب الفولاني وكان من بينهم بعض المشايخ مثل الشيخ ولديد الذي استوطن كلنبرد شمال برنو واتخذ هذه المدينة لنشر الإسلام. وكان معه الشيخ الوالي ابن الجرمي وقد قاما بهداية الناس وتعليمهم الإسلام الصحيح المخالي من البدع والخرافات وقراءة القرآن وتزاحم الناس لأخذ التعاليم الدينية الإسلامية عنها وقد تاب على أيديها بعض موطني سلطان برنو وكان سلطان البلاد من بين هؤلاء الثائين.

وقد استفاد شعب الفولاني من سقوط سلطنة سنغاي تحت الحكم المراكشي عام ١٥٩١ م اذ ساعد ذلك على تجمعهم وازدياد نشاطهم ووجودهم في المنطقة وهذا هو الذي ساعد عثمان دن فوديو في حركته اذ أخذهم عدته الأساسية في حركته الإصلاحية الكبرى التي اضطلع بها في القرن التاسع عشر للجهاد والعمل على نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة في تلك المنطقة الواسعة ومحاربة كل ما يتنافى مع التعاليم الإسلامية السمحة.

أحوال المنطقة قبل دعوة عثمان دن فوديو

يبدو أن الظروف التي سادت المجتمع الإسلامي ككل قد كانت بشكل أوضح في منطقة غرب القارة ذلك لأن امارات الحوصا التي تعمق الإسلام فيها كانت تجد صعوبة ومشقة في محاولة نشر الإسلام بين القبائل الوثنية فضلا عن انقسامها على نفسها ومحاربة بعضها البعض فقاتلت كانوا التي هي من أغنى الامارات وأوسعها وهي أسبق إمارات الهوسا دخولا في الإسلام مدينة كاتسينا وكذلك تصارعت الامارات الأخرى مع بعضها البعض وهكذا كانت المنطقة مسرحا للصراع السياسي والاقتصادي من أجل بسط النفوذ وذلك بعد أن تخلصت بعض من هذه الامارات من سلطان سنغاي مثل امارة كيبسي وبعضها الآخر لم يعد لبرنو نفوذ عليها الا دفع الجزية مثل دارا وجوير.

كذلك فإن الإسلام لم يكن قد تمكن من نفوس السكان بالمعنى الصحيح بل كانت لا تزال امارات كثيرة أغلب سكانها يعيش على الوثنية ويشكل المسلمون نسبة عددية قليلة بل أن هؤلاء لم يكن نصيبهم من الإسلام الا اسمه فقد ساد بينهم العديد من المفاسد الدينية والديونية وقد كان منهم من زال يكشف عورته ويشرب الخمر ويعمل عمل أهل الجاهلية كاكل الميتة والدم وكان البعض الآخر لا يحافظ على أداء الصلاة ولا يصوم شهر رمضان ولا يؤتي الزكاة. بل ان امارات الهوسا المنقسمة على نفسها والمتصارعة فيما بينها لم تستطع أن تقاوم هذه المفاسد التي كانت منتشرة بين السكان في المنطقة كلها والتي منها برنو وكانم وسنغاي وأن تغالب الوثنية وأن تجنب الدين الإسلامي الشر الذي انتشر بين السكان.

ولقد كانت كل هذه الظروف فرصة مهيأة لظهور شعب الفولاني المسلم الذي اشتهر بالدعوة للإسلام وكان الكثير منهم دعاة مخلصين لله قبل ظهور الشيخ عثمان دن فوديو.

ولقد سمحت امارات الهوسا لقبائل الفولاني المهاجرة من الشرق أو الشمال في شكل هجرات سلمية الاستقرار على تخوم أراضيها الشمالية ويذكر أن عرب الشوا في برنو هم الذين سهلوا للفولاني الاستقرار وهذا يؤيد لحد ما أن أصول الفلاني عربية — ولقد كانت هذه الهجرات السلمية لشعب الفولاني ذات أثر بعيد في تاريخ المنطقة . ذلك لأن تلك الهجرات السلمية قد استطاعت في نهاية الأمر أن تخرج امتزاجا كاملا مع شعب الهوسا بعد خضوع الهوسا للسلطة الدينية الجديدة التي قادها عثمان دن فوديو وأن يقم شعب الفولاني دولته الإسلامية الفتية التي اتخذت من مدينة سوكونو عاصمة لها وأن تضم كل امارات الهوسا وأجزاء من برنو ، وأن تنشئ دولة إسلامية مدت نفوذها على كثير من المناطق والتي عملت على ضرورة العودة الى أصول الدين الإسلامي وعاربة البدع المنتشرة والخرافات السائدة في مثل ذلك المجتمع الإسلامي والتي كانت ظاهرة بصورة واضحة في إمارات الهوسا والتي منها تقديس العديد من الأرواح وعبادة الأشجار التي كان يعتقد أن الروح قد حلت بها وأيضا الاحجار والأنهار وتقديم القرابين وطغيان أولى الأمر من السلاطين والولاة وحلقات الرقص العارية .

ولقد كانت كل تلك الأمور واضحة في سلطنة برنو وكانم والهوسا وسغاي ومن هنا وجدت حركة الشيخ عثمان دن فوديو طريقها للنجاح .

سيرة عثمان دن فوديو :

يتسبب هذا المصلح الديني الى شعب الفولاني وهو ينحدر من أسرة من هذه البطون الفولانية التي اتخذت وطنها الأول في فوتانورد ثم هاجرت حتى دخلت سهول نيجيريا وأقامت في بلاد الحوصا وفي هذه البيئة الدينية التي كانت تحياها أسرته الصغيرة وعائلته التي كان بها الكثير من الدعاة . ولد الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن فودي في قرية طفل بأمازة جوير في مكان يدعى مارنا في عام ١١٦٩ هـ وإن كان البعض يذكر أنه ولد في شهر صفر عام ١١٦٨ هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٧٥٤ م .

وكلمة فودي تعني في لغة الكانوري سكان برنو الرئيس أو شيخ البدو أو العالم وقد اكتسب والد عثمان هذه الصفة الأخيرة حيث كان عالما من علماء الدين الإسلامي في القرية التي ولد بها عثمان وكان بيته بيت علم ودين وفقوى واشتهر بذلك في ولاية جوير ، وقد أسلم أبجده منذ زمن طويل وتفق أبوه في الدين واشتغل بالعلم وكان من أهل الفتيا واشتغل به بيته كله زوجته وبناته وأولاده ، شب عثمان في هذه البيئة المتدينة فأولع بالعبادة والذكر . ونشأ نشأة دينية خالصة ، ثم بدأ يخطو خطواته الأولى في طريق العلم والثقافة .

تلقى علومه الإسلامية والدينية ودروسه الأولى في اللغة العربية على يد والده الشيخ محمد فودي ووجدته رقة وأمه حواء ويلاحظ القارئ هنا أن نساء شعب الفولاني كن يتمتعن بنصيب موفور ويحظ ليس بقليل من نيل العلم وتعلم العلوم الإسلامية ودراسة مبادئ القراءة والكتابة باللغة العربية وحفظ القرآن الكريم .

وارتحل الشيخ عثمان مع أسرته المكونة من والده وأمه وجدته الى بلدة دجيل من اماره جوير وحفظ القرآن الكريم وهو صغير ثم بدأ يتجه للتمكن من العلوم العربية والإسلامية فدرس اللغة العربية وعلومها على يد الشيخ عبد الرحمن بن حمد وسمع الفقه من الشيخ محمد نبوين عبدالله وارتحل الى إمارة زفر عن إمارات الموسا حيث سمع التفسير ودرس الصحيحين هناك .

ولكنه لم يقتنع بما درس وحصل عليه من العلوم ورغب في الاستزادة والتبحر فارتحل شمالا الى بلاد الطوارق جنوب الصحراء الكبرى حيث بلدة أغاديس ذات المكانة الدينية والإسلامية وهناك أخذ العلم عن الشيخ جبريل بن عمر . وعند الشيخ جبريل بن عمر فتحت عيناه على أمور إسلامية جديدة وسمع لأول مرة ضرورة العودة الى التعاليم الإسلامية الصحيحة ونفذ كل ما لا يتفق مع الكتاب والسنة .

ذلك لأن الشيخ جبريل كان قد سبقه لأداء فريضة الحج حيث كان قد قام بأدائها للمرة الثانية في عام ١٢١٠ هـ وكان الشيخ جبريل قد التقى في مكة المكرمة ببعض مشايخ التوحيد أنصار دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ودرس بعض الكتب التي ألفها الشيخ الإمام الصلح وارتوى التلميذ ابن فودي من هذا المنهل الاصلاحى على يد أستاذه جبريل .

وعاد الى بلاد الحوصا وهناك هاله حال المسلمين فهم يخالطون الوثنيين دون تخرج ويقتلدون العامة وأصبح الدين الإسلامي تشويه الكثير من البدع وانتشرت الخرافات وساد الجهل بقواعد الإسلام وتعاليمه بين المسلمين في تلك الجهات .

عثمان بن فودي في مكة المكرمة

لقد كان ما سمعه عثمان عن شيخه جبريل بن عمر عن الدعوة الاصلاحية التي انتشرت في انحاء الجزيرة العربية دافعا قويا له على أن يشد الرجال الى بيت الله الحرام لكي يؤدي الفريضة ولم يتعالم الدعوة التوحيدية وبتطلع على كتب شيخها وبلغني بالعديد من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكانت دعوة التوحيد قد انتشرت في الحجاز منذ عام ١٢١١ حيث جاء الى مكة على رأس الحجيج نفر من كبار علماء آل الشيخ وقام السعوديون في عام ١٢١٤ ، ١٢١٥ هـ بالحج في جموع بالغة الكثافة وكان على رأسهم سعود الكبير بن عبد العزيز وكانت دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب قد آتت ثمارها في الحجاز حيث انضم اليها العديد من قبائل الحجاز وجاء الأمير سعود الكبير الى مكة عام ١٢١٨ هـ حاجا ولكن ما احل عام ١٢١٩ هـ حتى كان أنصار دعوة الشيخ قد سيطروا على مكة المكرمة وظل حكمهم لها حتى عام ١٢٢٨ هـ .

وجاء الشيخ عثمان حاجا الى مكة المكرمة عام ١٢٢٠ هـ . وفي مكة المكرمة خالط عثمان أنصار الشيخ ابن عبد الوهاب ودعاة الدعوة التوحيدية واستمع اليهم وأطلع على العديد من الكتب والشروح التي ألفها الشيخ بنفسه ومنها . رسالة كشف الشبهات «أصول الايمان» معرفة العبد ربه ودينه ودينه «المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية» فضل الإسلام «نصيحة للمسلمين» الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «رسالة في أن التقليد جائز لا واجب» . «كتاب الكبائر» .

وبعد أن اطلع على هذه الكتب والتي استطاع ان يستتج بعضها منها ، ايقظت هذه الأفكار الاصلاحية الجديدة في نفسه الرغبة في أن يجارب البدع في بلاده كما حاربها أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلادهم وفي سائر الجزيرة العربية وأن يعلن ثورة على المفاصل التي يقوم بها أولى الأمر في بلاد المهوسا وفي منطقة غرب أفريقيا كما كانت دعوة الإمام عبي السنة ومبطل البدعة ثورة على المفاصل .

وقويت في نفسه الرغبة في ايقاظ مسلمي غرب القارة الافريقية من خمومهم وقدرتهم وحياتهم التي لا تسير على روح الإسلام وتعاليمه .

وقفل الشيخ عثمان دن فودى عائدا الى بلاده بعد أن مكث فترة تقرب من العام فيما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة .

ويقول محمد بن بلو في كتابه أنصاف المسور . أن الشيخ ولد يد بن جرمي الذي كان يدعو

للإسلام في برنو قد تنبأ بظهور دعوة الشيخ عثمان دن فودى وأنه سوف يتزعّم حركة جهاد مقدس وسوف يكثر أتباعه وسوف يخوض حروبا مقدسة وأن الشيخ ولد يد قد نصّح بأنه اذا ظهر هذا الشيخ فإن المسلمين في غرب افريقيا يجب أن يتبعوه وأن يتأصروه وأن يتلقوا حوله ، لأن دعوة هذا الرجل تكون أصولها في أرض الجزيرة العربية حيث ستنطلق دعوة تميّد للإسلام مجده وتجدد شبابه ويخلص الإسلام من كل شيء شابه .

وهذا ما ذكره ابن الشيخ عثمان دن فودى وقد يكون ذلك نوع من كسب التأييد لدعوة والده لانضمام الانصار حوله .

الشيخ عثمان

عاد الشيخ عثمان الى بلاده وكله حماس للدعوة السلفية وتحليل العقيدة الإسلامية من كل شيء يتنافى مع الكتاب والسنة وأخذ يلقي الدروس والمواظع في كيبسبي وجوبير ثم انتقل الى زمفارا ومن ثم بدأت سمعة الشيخ وشهرته في بلاد المهوسا تتزايد ويكثر أتباعه ولما رأى نفسه من القوة الروحية وترسخ العقيدة الايمانية وكثر أتباعه فانه سار على النهج الذي سار عليه للمصلح ابن عبد الوهاب حيث التجأ الى سلطان زمفارا بدعوة لدعوته واتباعه ليساند الدعوة ولكنه لم يجد لديه قبولا .

وأعلن مبادئه على أتباعه وهذه المبادئ تظهر واضحة وجلية في المؤلفات التي ألفها ونشرها ويبلغ عددها اثني عشر مؤلفاً أو ربما تصل إلى العشرين مؤلفاً .

ومنها كتاب الفرق ، كتاب وثيقة أهل السودان ، كتاب تنبيه الإخوان ، كتاب أحياء السنة واتخاذ البدعة ، وكتاب نور الألباب .

ويقول هنا أن كتاب أحياء السنة واتخاذ البدعة الذي طبع في القاهرة عام ١٩٦٢ م فإن الذي يلقي نظرة فاحصة على ما جاء فيه يجد نفس الخط والأسلوب والمعنى في أقوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهذا يلخص كثيراً من الآراء والأفكار التي قال بها الكثير من الغربيين والمستشرقين المحافظين على الإسلام وعلى الدعوة الإصلاحية للشيخ ابن عبد الوهاب بأنه لا يوجد أدنى صلة أو علاقة بين دعوة عثمان بن فودي ودعوة الشيخ ابن عبد الوهاب .

كذلك ظهر تأثير الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب في مؤلفات أقارب عثمان ومنهم اخوة عبدالله وابنه محمد بللو وكلاهما ألف في العقائد وفصل وشرح وظهر المنهج واضحاً في كتاب تذكرة الشبان الذي ألفه ذيلاً في كتابه للشيخ محمد بللو بن عثمان وبعض خلفائه .

والذي عرف عنه انكاره للصلاة على روح الميت ، تعظيم من مات من الأولياء ، استنكاره المبالغة الزائدة والمفرطة في مدح الرسول وهاجم شرب الخمر وفساد الخلق .

وبدأت دعوة الشيخ ابن فودي على نفس منهج دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب وأنصاره في بادئ الأمر دعوة إلى الدين بالحسنى والموعظة الحسنة ، وكذلك الدعوة للإسلام بين القبائل الوثنية وحض الناس على اعتناق مبادئه السمحة وتعاليمه الخالدة ومن ثم بدأت حلقات الطلاب تتسع ويزداد عدد أتباعه ومؤيديه .

ثم بدأ بعد ذلك الحضيض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتاب على يديه خلق كثير وتزايد عدد أنصاره ومؤيديه ، وبدأ يدعو أمراء بلاد الحوسا جميعاً للدخول في دعوته وبعضهم على إصلاح أحوال الرعية وهاربة البدع والقضاء على الفساد واعتصام قادة المسلمين في غرب أفريقيا واتحادهم وذلك عملاً على نشر رسالة الإسلام بين القبائل الوثنية التي لا زالت تعيش على الفطرة ولم تعرف الإسلام بعد . ولكن أعرض عنه من أعرض وأتبعه من أتبعه وكان الذين أعرضوا عنه هم الأكثرية حيث خافوا على سلطانهم وأملاكهم وسلطتهم في البلاد .

لحمدي دعوة الشيخ عثمان

من خلال دراسة مؤلفات الشيخ عثمان ودراسة تعاليمه ونخطته التي سار عليها في الدعوة الإسلامية يتضح لنا تمام الوضوح أنه كان يدعو من منطلق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأن الذي يتمن في دراسة الدعوتين يجد تطابقاً شبه تام بينهما وهذا لا يدع مجالاً للشك في الأثر القوي للدعوة الإصلاحية التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوة الشيخ عثمان دن فودي ويتضح ذلك من رغبة الشيخ عثمان في دعوته السلفية الملحة في العمل من أجل

اعادة بناء المجتمع الإسلامي على أسس جديدة تعيد للإسلام بساطته الأولى أيام مهد الدعوة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ونقاء الدعوة مما شابهها كما كانت نقية أيام الخلفاء الراشدين كذلك التزام الشيخ عثمان بمبدأ الشورى فانه كان يتشاور مع أصحابه واتباعه في كل الأعمال التي ينوي القيام بها وذلك تمسكا بقوله تعالى : وأمرهم شورى بينهم . « وشاورهم في الأمر » ، وذلك تمسكا بأفعال الرسول الكريم .

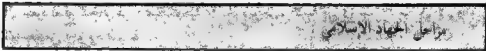
وكذلك الزم خلفاءه من بعده بالعمل على اتباع نظام البيعة الإسلامية وهذا هو نفس ما حدث في عهد الخلفاء الراشدين . بل أنه كان يذكر أصحابه دائما أن العناية الالهية قد اختارته لاصلاح الدين مما أضيف اليه من بدع وتعاليم فاسدة لا يتمشى مع تعاليم وسياحة هذا الدين في عهود لاحقة وأنه يعمل على اعادة حكم الأمة والجماعة كما أنه كان دائما يقول ان أساس دعوته هو رفع كتاب الله فوق كل مكان وانتشار راية التوحيد ، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل بقاع غرب أفريقيا .

ونفى عن نفسه في قوة وصرامة واصرار أن ما يقوم به هو من أجل الله والدين وليس من أجل الطمع في ملك أو سلطان أو أي غرض من أغراض الدنيا الزائلة .

وأنه عندما أراد استخلاف ابنه محمد بللو وأخذ البيعة له من بعده فانه روى أن خطيب المسجد قرأ على الناس وثيقة الشيخ في استخلاف ولده في الإمامة من بعده وذلك عملا على سياسة ولده وان خالف ذلك فلهم الحق في عزله ولذا اتاه الأهل والأنصار من كل الآفاق وابعاهو على الخلافة من بعد والده .

وكان عثمان يأكل من كسب يده ويأبى أن يقتات من أموال المسلمين وكان أنصاره لا يكفون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . بل ان جيوشهم كانت عندما تقوم بالغزو والجهاد ، أن تقرأ قبل الزحف المقدس آيات الجهاد وسورة براءة لتقوى الروح المعنوية للجنود وليكون غاية الجهاد نشر الإسلام ومحاربة البدع أو الاستشهاد . وكان طابع جماعته التشفيع والزهدي في الدنيا والعمل من أجل نصرة دين الله . بل ان الشيخ واتباعه عملوا على تحطيم بيوت صنع الخمر وعقارب حاملها وساقيا وشاربها والقضاء على كل المفاسد في بلاد الهوسا حتى ان الأمر قد وصل بهم الى كسر آلات الطرب والموسيقى بل ان أحدهم قد قام بقتل ضارب الدف .

وقد قام الشيخ بتبشيت التوحيد الخالص بمحاربة كل ما يؤدي الى الشرك كالاعتقاد في قدسية بعض الأرواح أو الاشجار أو الاحجار أو الآثار أو الأنهار وتقديم القرابين الى الجن لابتعاد اذاه وزيارة قبور الأولياء بقصد نيل شفاعتهم والتبرك بهم .



كان الشيخ عثمان بعد أن كثرت أتباعه وازداد أنصاره قد قرر أن يستقل بدعوته الى وعظ

الامراء وارشادهم ولعله كان يريد أن يحقق ما حققه الشيخ ابن عبد الوهاب من قبل في أن يجد أحد من الأمراء يقتنع بدعوته ويدعوه بين الأقوام في إمارات الهوسا كما تم لأل سعود من قبل في احتضان دعوة الشيخ المصلح ابن عبد الوهاب .

فأجبه إلى أمير جوبير بين له الحق والباطل ويشرح له تعاليم الإسلام الصحيحة وطلب منه أن يعاونه في إقامة العدل وإحياء الدين الإسلامي على أسس من التقوى والإيمان والبعد عن الخرافات ولكن يبدو أن هناك خلافاً ديب بينه وبين أمير جوبير مما أضطره إلى الرحيل إلى إمارة زنفر وكيسبي لنشر دعوته ومبادئه الإصلاحية وهناك وجد اقبالا شديدا على دعوته وبدأ الناس يدخلون في معبته بعد أن أسلم العديد من بين الوثنيين فكانت تلك الامارتين وسرى اسمه ودعوته سريان النار في الهشيم بين سكان امارات الهوسا وإزاء هذا النفوذ القوي أعلن أمراء الهوسا طرده من بلادهم وأمروه بالخروج وهددوه بالقتل هو وأعوانه .

ولما لم يجد أحد ينصر دعوته خرج مهاجرا إلى الشمال إلى أطراف الصحراء وكان ذلك في عام ١٨٠٤ م فإذا الأمراء يتعقبونه ويقفون عقبة في طريقه للرحيل شمالا . وإزاء هذه المواقف فانه لم يجد بدا من إعلان الجهاد المسلح للحفاظ على دعوته ورد كيد الأعداء عن دعوة الإسلام . فبايحه أصحابه على الجهاد أو الموت وطاعة الله ورسوله وبايعوه على اعتباره أمير المؤمنين .

ووجدت دعوة الجهاد المسلح استجابة سريعة وقوية لدى أنصاره في كل أنحاء نيجيريا وذلك لاعلاء كلمة الدين الإسلامي ووقوفاً أمام الحركات التي بدأت تطارد أبناء شعب الفولاني في كل مكان من امارات الهوسا وبنوكانم . وبدأ الناس يفدون من أنحاء كثيرة من البلاد وقدموا إليه مهاجرين ينضمون لجيشه الإسلامي ويؤيدون دعوته بأنفسهم وأموالهم .

ومن هنا فقد بدأت دعوته الإصلاحية تدخل مرحلة جديدة من مراحل الجهاد فبعد أن كان يدعو الناس للدخول إلى الإسلام بالسلم والمجادلة الحسنة والدعوة الصالحة وجد عقبات تقف في سبيل دعوته وتحاول القضاء عليها فكان لا بد من درأ الخطر عن دعوة الإسلام الإصلاحية في نيجيريا ودفع خطر الكفر والوثنية وكيد الأعداء . فأعلن الجهاد المسلح .

وبذلك تكون قد بدأت مرحلة جديدة في تاريخ نيجيريا بدأت منذ عام ١٨٠٤ م ، حيث استطاعت حركة الشيخ عثمان دن فودي أن تجتد صدى سريعا لدى سكان المناطق بعد أن بدأت الحركة تجرز الكثير من الانتصارات على أمراء بلاد الهوسا وبدأت سمعتها تقوى في غرب أفريقيا بأمرها .

وذلك هو نفس الأسلوب الذي اتخذته دعوة الامام الشيخ ابن عبد الوهاب عندما تحرك آل سعود لدفع الخطر عن دعوة التوحيد والقيام بالواجب الاسلامي في نشر الدعوة في الارحاء الواسعة من الجزيرة العربية .

الجهاد المسلح :

لما كان ملك جوهر قد ألح في طلب الشيخ عثمان وأنصاره وهاجم المدينة التي يقم فيها فهدم عثمان مع قومه ويعتبر تاريخ هذا الحرب أو الهجرة في ٢١ فبراير ١٨٠٤ م حادثاً خطيراً بالنسبة للدعوة إذ ازدادت سطوة الفولاني وقوة الدعوة الإسلامية إذ بدأ دور الفتح والجهاد .

واستقر الشيخ عثمان في مدينة جودو وبدأ الشيخ عثمان جهاده ضد سمراتة الهوسا وانتصر على ملك جوهر في يونيو ١٨٠٥ م وتحشي كل أمير من أمراء الهوسا أن يكون مصيرهم هونفس مصير سلطان جوهر فقام كل أمير من أمراء الهوسا بالقبض على رعايا الفولاني في كل من كاتسينا وكانوا وزاريا ودوري وبيرم وغيرها من الامارات بما أثار الفولاني .

فقام الشيخ عثمان بمهاجمة مدينة كانوا وهزم أميرها هزيمة ساحقة وولى أحد أتباعه أميراً عليها ثم هاجم إمارة زاريا وتم له فتحها عام ١٨٠٧ م واستولى على مدينة سوكوتو أو سكت ، أو سكت بفتح الصاد وضم الكاف المشددة وضم التاء كما يكتبها الفولاني .

واتخذ هذه المدينة حاضرة لدعوته الإسلامية واختار الشيخ أربعة عشر قائداً من أعظم رجاله وقادته وأعطى لكل منهم علماً وبارك هذه الاعلام ودعا رجاله الى الجهاد في سبيل الله ونجح الفولاني في إخضاع جميع بلاد الهوسا . فاستولوا على كل الامارات والتي منها كانوا وكاتسبا وزاريا وأد وماوا وكيسسي وكاتاجوم ونوب ودوري وبوتشي وبوسو وولى على كل إقليم من هذه الأقاليم أحد حملة الاعلام أو أحد سلاطنتهم .

وكان الحماس يوحد بين صفوف أنصاره ويدفع فيهم الرغبة الملحة في ضرورة رفع لواء الدين الإسلامي والذين يدفعهم ذلك الى طلب الشهادة ودخول الجنة أو الفتح والنصر والظفر ورفع راية التوحيد راية لا إله إلا الله ومحمد رسول الله في كل بقاع أرض الهوسا .

وحركة الشيخ عثمان الإصلاحية هذه شأنها شأن دعوة المصلح الديني محيي السنة ومبطل البدعة وحامل لواء السلف الصالح الشيخ محمد بن عبد الوهاب لقيت تشجيعاً وتعظيماً من المخلصين لدين الله الواحد القهار والراغبين في الإصلاح ونشر دعوة الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، كما لقيت معارضة ومحاورة أنصار البدع والذين لم يعجبهم نهجها في الإصلاح كما مرت دعوة الإمام ابن عبد الوهاب بكل هذه الأدوار وقبذ اتسع نطاق هذه الدعوة بعد أن اتسع بعدها ليشمل كل بلاد الهوسا ولتدخل في طور جديد من أجل بسط قواعد الحق والإيمان ومن أجل القيام بالواجب الإسلامي في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمكين كلمة الله على الأرض وإقامة الصلاة وإتاء الزكاة والفضاء

على البدع لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ومن هذا المنطلق وقفت برنو في سبيل دعوته بعد أن استطاع الشيخ عثمان وإتباعه أن

يستولوا على امارات الهوسا الشرقية التي كانت تخضع لنفوذ برنو وازاء ذلك حدث التصادم والصراع الطويل بين الفولاني والبرنو وظهر في برنو الشيخ محمد الأمين الكافي الذي دارت مراسلات بينه وبين الشيخ عثمان بن فودي .

مجاهد عبد برنو

لقد استقر بعض الفولاني في الأقاليم الغربية من برنو منذ فترة طويلة وتجمعوا في أقلم جوجيا واستطاعوا أن يكونوا قوة بشرية ودينية هائلة . وعندما وزع الشيخ عثمان الأعلام على أتباعه كان نصيب ماهر المختار وإبراهيم زكي القلب أن يتوجها إلى أطراف برنو الغربية حيث منطقة عملها ولم يكذب يصل هذان المجاهدان إلى مركز القيادة التي حددها لها الشيخ عثمان حتى انضمت إليه الجماعة المقيمة فنظم كل واحد منها جيشا قوامه الايمان بالله وحده وطلب الشهادة في اعلاء كلمة دينه .

وقد استطاع قواد الفولاني هزيمة أمراء برنو الغربيين الذين يحكمون الامارات الغربية من البلاد وبعد هذه الهزيمة فإن الطريق أصبح مفتوحا إلى عاصمة برنو أمام الجيش الثاني بقيادة ماهر المختار الذي سار جنوبا نحو العاصمة واستطاع أن يسيطر على العاصمة بعد معركة عنيفة تحت قيادة الماهر المختار وهرب السلطان احمد بن دوناما سلطان برنو إلى كاسم حيث طلب المساعدة من الشيخ محمد الأمين الكافي .

وقد بقي الماهر المختار في عاصمة برنو عدة شهور حتى استطاع طرده منها الشيخ الكافمي واضطر الفولاني إلى الرحيل غرب البلاد إلى بلاد الهوسا وطردهم من البلاد . وعندما عاودوا الهجوم ثانية على برنو فإن محمد الأمين الكافمي صدهم مرة أخرى وأجبرهم على العودة إلى الرض من انهم استولوا على جزء من البلاد إلا أنهم لم يستطيعوا أن يهزموا برنو هزيمة نهائية .

ويسيطر الفولاني على كل شمال نيجيريا فيما عدا برنو وأنه لولا مقتل الماهر المختار قاتل جيش الفولاني في برنو لتغير الوجه التاريخي للمنطقة إذ أن مقتل الماهر المختار قد فرق قواته .

كذلك التعاون بين شعب البرنو الكانوري وشعب الكانوي بقيادة محمد الأمين الكافي قد وقف في سبيل انطلاق دعوة الشيخ عثمان . كذلك فإن الظروف قد ساعدت شعب البرنو والأمين الكافي إلى أن توفي الشيخ عثمان دون فودي عام ١٨١٧ م وبويع ابنه محمد بلوكامير للمؤمنين في البلاد ولكن الإدارة انقسمت بين الأمير محمد بلو وبين الشيخ عثمان وبين عبدالله بن فودي شقيق الشيخ الراحل . وبقي القسم الشرقي تحت سيادة وسلطة أمير المؤمنين محمد بلو والقسم الغربي تحت سيادة عبدالله بن فودي .

وقد ذكر محمد بلو عن أهل برنو قوله أن لهم مواطنين يركبون اليها ويذبحون لها ويرشون

الدعاء على أبواب قريتهم ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذنبون لها ويفعلون بالبحر كما كانت تفعل القبط للنبيل في مصر أيام الجاهلية وأن لهم أعيادا يجتمعون فيها .

ومن هنا فإن واجب الدعوة الإسلامية الإصلاحية بقيادة الشيخ عثمان محاربة برنو على الرضخ من أنهم مسلمون إلا أن البدع منتشرة بينهم والخرافات تسود مجتمعهم ولم ينتهوا عن ذلك بالطرق السلمية بل ذبحوا رجال الدعوة وطردوهم من بلادهم فخف جهادهم وبعد أن هدأت حالة الحرب بين الفولاني وبين الشيخ محمد الأمين الكانمي بعد وفاة الشيخ عثمان . فإن الشيخ الكانمي رأى من الحكمة والحكمة السياسية أن يتفاهم مع الفولاني ولا بأس لديه أن يكرر رسائله إليهم بعد المراسلات العديدة إلى ذكر الشيخ محمد بللو في كتابه نفاق الميسور فبعث برسالة إلى محمد بللو سلطان سوكونو أوضح له فيها أنها أهل دين واحد هو الإسلام وأنه بين برنو وبلاد الفولاني بعض القبائل التي لا زالت تعيش على الوثنية ولا تعبد الله ولم تدخل دين الإسلام بعد فهم قوم يجوز فرض الخزية عليهم ودعوتهم لدخول الإسلام وعرض على سلطان سوكونو أن تظل هذه القبائل حدا فاصلا بين برنو وبين سلطان الفولاني على أن يحترم كل منهما حدود الآخر .

قال الشرق من هذه القبائل الوثنية تقع بلاد برنو التي أصبحت تحت سلطان الكانمي وإلى الغرب من هذه القبائل تقع بلاد الفولاني .

وهنا تكاد الظروف تشابه مع دعوة التوحيد في الجزيرة العربية فكما وقف السلطان العثماني في تركيا ومحمد علي في مصر في وجه الدعوة السلفية فإن الشيخ محمد الأمين الكانمي وقف في وجه دعوة الشيخ عثمان في غرب أفريقيا .

فلو أن الظروف السياسية في منطقة الشرق الإسلامي أفسحت الطريق أمام دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب لتغير الوجه السياسي والديني لمنطقة الشرق العربي الإسلامي يومئذ وانتشرت الدعوة خارج الجزيرة العربية إلى آفاق أوسع وجهات أبعد ولكن المطامع السياسية في كل مكان هي نفس المطامع فقد حدث مطامع الكانمي في برنو من سرعة انطلاق الدعوة السلفية في غرب أفريقيا .

أثر دعوة عثمان دن فودى في غرب أفريقيا :

لقد تركت هذه الدعوة الإصلاحية أثرا عظيما وطيبا في جميع أحوال المسلمين في نيجيريا وفي غرب أفريقيا كلها . إذ عمت المفاهيم الإسلامية وعادت بالإسلام إلى خطه السلم وسيرة السلف الصالح وقضت على كل الخرافات والبدع والشعوذة التي كانت سائدة في تلك المنطقة لا تتلائم مع التعاليم الإسلامية الصحيحة كذلك عملت تلك الدعوة على دفع حركة المد الإسلامي خطوات واسعة للامام إذ أرسل الفولاني وعاظهم ورجلهم إلى أقاليم الوثنيين لنشر مبادئ الإسلام ولم يعتمد الفولاني على الجهاد وهذا ما نشر الإسلام ورفع لوائه . وأتما قاموا

بجهود طيبة لنشر الاسلام بالطرق السلمية اذ بفضلهم انتشر الإسلام في جنوب نيجيريا وبهذه البلاد ملايين عديدة من المسلمين دخلوا الإسلام على نطاق واسع بفضل هذه الحركة الاصلاحية العظمى .

كذلك فقد كان لهذه الحركة أثر عظيم وكبير في نشر اللغة العربية والعلوم العربية الإسلامية اذ أضحت اللغة العربية لغة المراسيم والمكاتبات والدواوين والمعاملات والتجارة وأضحت كذلك لغة التأليف والكتابة والمراسلات وتركت بصابتها قوية واضحة في لغة الهوسا ولغة الفولاني .

كذلك فان كل المؤلفات التي تركها الشيخ عثمان دن فودي وكذلك أخوه عبدالله دن فودي كانت كلها باللغة العربية بالإضافة الى مؤلفات محمد بلوين عثمان كانت أيضاً باللغة العربية وهي للشيخ عثمان : أصول الولاية ، احياء السنة ، بيان البدع ، ترغيب العباد ، التصوف ، تميز المسلمين ، الجهاد ، وإليه المديح ، سوق الصادقين ، شفاء الغليل ، علوم المعاملة ، عمدة العلماء ، عمدة البيان ، العقل الأول ، كف الطالبين ، المهدي المنتظر ، المسائل المهمة ، نصائح الأمة ، نور الألباب ، الهجرة .

ولأخيه عبدالله بن فودي . ألفية الأصول ، بحر المحيط في النحو ، تزيين الورقات ، تخميس العشریات ، تفسير ضياء التأويل ، تفسير كفاية الضعفاء ، الحصن الحصين في الصرف دواء الوسواس ، سبيل النجاة ، ضوء المصلي ، ضياء السياسة ، ضياء الحكام . كتاب النيات ، مصالح الانسان ، مفتاح التفسير ، مفتاح الأصول ، نيل المرام ، نظم التقاية .

ولمحمد بلوين عثمان : انفاق المسور ، همزية البوصيري ، وقصيدة باتت سعاد والبردية للبوصيري وغيرها من المؤلفات الأخرى .

ان أثر دعوة الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب لم يلق عليها الضوء الكافي حتى الآن فهي في أمس الحاجة الى الباحثين المجددين الذين عليهم أن يتحرروا الدقة الموضوعية والأمانة العلمية في بيان أثر هذه الدعوة في العديد من أقطار العالم الإسلامي وليس فقط في غرب أفريقيا .

ومعذرة أخي القارئ الكريم حيث نكتفي بهذا العرض الموجز لأثر الدعوة الاصلاحية السلفية بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب أفريقيا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المصادر والمراجع

- ١ — آدم عبدالله الالوري : تاريخ الاسلام في نيجيريا . (بيروت) ١٩٥٦ م .
- ٢ — ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امراطورية كانم — برنو ، الخرطوم ٧٠ م .
- ٣ — ابراهيم علي طرخان : امراطورية برنو الاسلامية ، القاهرة . ١٩٧٥ م .
- ٤ — احمد السباعي : تاريخ مكة ، مكة ، مطابع قریش ، ١٣٨٢ هـ .
- ٥ — بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية . بيروت ، ١٣٩٢ هـ .
- ٦ — حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروة فيها يلي الصحراء الكبرى . القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٧ — حسن احمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في افريقيا . القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٨ — تذكرة النيان في اخبار ملوك السودان ، المؤلف مجهول ، نشرة هودامس ، باريس ١٨٩٩ م .
- ٩ — دائرة المعارف الإسلامية ، مادة فوليه ، الحوصة .
- ١٠ — عثمان دن فودی : احياء السنة واتحاد البدة ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- ١١ — عبد الفتاح مقلد الغنيمي : سلطنة البرنو الاسلامية . رسالة ماجستير ١٩٧٥ م جامعة القاهرة .
- ١٢ — عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المسلمون وحضارتهم في غرب افريقيا : تحت الطبع .
- ١٣ — عبد الفتاح مقلد الغنيمي : مراكز الحضارة الاسلامية في غرب افريقيا ، مجلة الفصل .
- ١٤ — عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الدعوة الاسلامية وغرب افريقيا : مجلة الدعوة عدد ٦٥٢ .
- ١٥ — عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الاسلام والمسلمون في نيجيريا . مجلة التضامن الاسلامي ، رجل ٩٨ هـ .
- ١٦ — علي أبو بكر : الثقافة العربية في نيجيريا : رسالة دكتوراه ١٩٦٨ م جامعة القاهرة .
- ١٧ — أرنولد ، توماس : الدعوة الى الإسلام . القاهرة ، ١٩٥٧ م .
- ١٨ — محمد بللو بن عثمان دن فودی : اتفاق الميسور بذكر بلاد التكرور ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .

عبد الفتاح مقلد الغنيمي

ماجستير تاريخ اسلامي — غرب أفريقيا

جامعة الملك عبد العزيز — مكة المكرمة

والندوات الثقافية

بقلم الأستاذ : الشاذلي حرب

ما المراد بالجمعيات والندوات الثقافية ؟

جاء عن كلمة « الجمعية » في « المعجم الوسيط » — وهو من مطبوعات
المجمع اللغوي بمصر — ما يأتي : الجمعية طائفة تتألف من أعضاء لغرض
خاص ، وفكرة مشتركة ، ومنها « الجمعية الخيرية الإسلامية » والجمعية
التشريعية « والجمعية التعاونية » وكلمة « الجمعية » من الكلمات المجددة ، أي
الكلمات التي استعملها المحدثون في العصر الحديث ، وشاعت في لغة الحياة ...
مثل كلمة « البدال » بمعنى « البقال » عند العامة وكلمة « برج الحمام » بمعنى
بناء خاص يأوي إليه الحمام ، وكلمة « براد الشاي » وكلمة « مضيقه »
الطائرة ... وكلمة « الجمعية » .

وجاء فيه أيضا عن كلمة «ندوة» ما يأتي :

ندا القوم (يرفع القوم) ندوا : اجتمعوا في النادي وندا القوم (ينصب القوم) : جمعهم في النادي .. والندوة : اسم المرة من الفعل «ندا» ، والنادي : الجماعة يلتقون في ناد أو نحوه للبحث والمشاورة في أمر معين ... و«دار الندوة» كل دار يرجع إليها ، ويجتمع فيها للبحث والمشاورة ، وقد كانت لقريش في الجاهلية «دار الندوة» في مكة ، ويقول المؤرخون : ان قُضي بن كلاب ، هو الذي بناها ، ثم انتقلت إلى ولده ، واخيرا اشتراها معاوية بن أبي سفيان ، الذي جعلها دار للامارة .

وجاء فيه كذلك عن كلمة «ثقافة» ما يأتي : — «ثقف» (بكسر القاف) ثقفا : صار حاذقا فطنا فهو ثقف ، «وثقف العلم والصناعة» : حذقها ، وثقف الشيء (بتشديد القاف) أقامَ الموج منه وسواه ، وثقف الإنسان (بتشديد القاف أيضا) : أدبه وهذبه وعلمه ، والثقاف : آلة من خشب أو حديد تثقف بها الرماح لتستوي وتعتدل ، وجمعها : ثقف (بضم الثاء والقاف) على وزان كتب جمعا لكتاب . أو جمعها «أثقة» على وزان «اغطية» جمعا لغطاء .

و«الثقافة» في أصلها اللغوي : الملاعبة بالسيف ، ويراد بها في العصر الحديث : العلوم والمعارف والفنون ، التي يطلب الخلق والمهارة فيها ... وكلمة الثقافة بهذا المعنى من الكلمات الحديثة المشار إليها آنفا ...

وقد تطورت كلمة «الثقيف» من تثقيف وتقويم المادة بآلة الثقافة ، إلى تثقيف العقل ، وتهذيب الذوق والخلق ، بما تيسر من ألوان العلوم والمعارف والآداب والفنون ...
ومن الشخص المثقف ؟

من الطريف أن المجيبين عن هذا السؤال من الباحثين المحدثين قد اختلفت اجاباتهم عن هذا السؤال ، باختلاف ثقافتهم أو اتجاهاتهم وميولهم الثقافية ، واتخذ كل من نفسه مثلا أعلى للشخص المثقف ، كما اتخذ من ثقافته معيارا مشرفا للثقافة ، التي لا يرضى بها بدلا ، ومهما يكن من اختلاف تعريفاتهم للثقافة والمثقف ، فمن الممكن ان نذكر هنا أهم العناصر ، التي لا غنى عنها للثقافة الحرة ، والمثقف الحر ، وهي :

- ١ — الاخذ من كل شيء بطرف ، ومعرفة شيء عن كل شيء .
- ٢ — والجمع بين الأدبين : أدب الدرس وأدب النفس .
- ٣ — ومتابعة القراءة الحرة لما تيسرت قراءته من القديم أو الحديث .
- ٤ — والترفع عن السفاسف والتوافه .
- ٥ — والثقة بالنفس دون ما غرور أو تغرير .
- ٦ — وسلامة المنطق ، وسعة الافق وحسن التصرف .
- ٧ — والانتفاع بالخبرات والتجارب — كما ينبغي — وتلك أهم عناصر الثقافة الحرة الشاملة التي هي — ولاشك أوسع وأكمل .

وأعمق من الثقافة المقيدة بقييد معين ، أو الملوثة بلون خاص مثل الثقافة المدرسية ، أو الثقافة الدينية . أو الثقافة الفلسفية أو الثقافة العلمية ، أو ما إلى ذلك من الألوان الثقافية . التي لا نريدها هنا قدراً نريد .

الثقافة الحرة الشاملة المنوعة . التي عناها جورج ديهايل مثلاً بعبارة الماثورة^(١) :

« الثقافة كالإيمان الذي لا يكفي أن نطلبه لتناله ، فهي نتيجة لمجموعة من الملاحظات التي لم يكشف لنا العلم بعد تكوينها الحقيقي ومع ذلك ، فنحن نعرف على الأقل بعض عناصرها المكونة » وغنى عن البيان أن تلك العناصر السبعة ، التي مرت بنا ، لا تكفي في تكوين الشخصية الثقافية الحرة ، إلا على أساس الشعور الدائم بمسبب الحاجة إلى المزيد بعد المزيد من العلوم والمعارف والآداب والفنون مصداقاً لقول القرآن الكريم : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » « وقل رب زدني علماً » ... وعن هذا الشعور عبر المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات بعبارة الرشيدة البليغة : « الشعور بالنقص مبدأ الكمال ، والتفوق من العجز سبيل القدرة ، والركون إلى الأمل الحافظ دليل الفوز » كما عبر عنه أحد شعرائنا المعاصرين بأبياته التصويرية المتشائلة :

هل رأيت الراكضي المجنون يعدو خلف ظله
جاهداً بسيفه الظل ويغريه بنوله
هو منه خطوة لكنها كالكون كله
هكذا الإنسان في الدنيا ضليلاً خلف عقله
كلما ازداد علوماً .. زاد أبقاناً يحمله

وهذا الشعور الدائم بالحاجة إلى المزيد من العلم والمعرفة والأدب والفن ، توجيه الحياة وندواتها ، ومجتمعاتها وتجاربها إلى المثقف الحر الأصيل ، أكثر مما توجيه المدرسة أو الجامعة أو « الشهادة الرسمية » ، كائنة ما كانت ، ورحم الله أحمد شوقي الشاعر المصري الكبير :

وكم منجب في تلقي الدروس تلقي الحياة فلم ينبج
ولماذا ؟ لأن النجابة الثقافية المنشودة ، إنما هي النجابة التي يفيدها المثقف من الحياة وخبراتها التي لا نهاية ولا حدود لها ، وأن لم ينبج لهذا المثقف أن يظفر بأحدى الشهادات الدراسية ، التي يقول فيها المثل الفرنسي الساحر اللاذع : « الشهادة الدراسية أحياناً جلد حمار ... »

ومن المثل العليا للنجابة الثقافية الشاملة قديماً في أدينا العربي :

أ — عبد الحميد الكاتب ، المقتول في آخر عهد الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية عام (١٣٧ هـ) وبفضل ثقافته المتنوعة الرائدة كان أول من عرف بلقب « الكاتب » ، وكان له أسلوبه الثقافي للمثل للطور الأول من أطوار الأسلوب العربي في ذلك المجتمع الحضاري الجديد ، الذي بدأ فيه اختلاط العرب بالفرس .

ب — ثم عبد الله بن المقفع (١٠٦ — ١٤٢ هـ) الذي كان له أسلوبه الثقافي الممثل للطور الثاني ، استجابة لا تساع الخلافة وتنوع الثقافة ، وتفتح المخاطلة بين العرب والفرس ...

ج — ثم أبو عثمان الجاحظ (١٥٩ — ٢٥٥ هـ) الذي مثل بأسلوبه الثقافي الجامع المثقف ، الطور الثالث للاستجابة لمقتضيات نقل العلوم الأجنبية ، وازدهار المدنية العباسية ، وانتشار المقاتلات الإسلامية

د — ثم أبو الفضل محمد بن الحسين المشهور بابن العميد (٣٦٠ هـ) وبأسلوبه الثقافي الأنيق ، مثل الطور الحضاري الرابع مستجيبا لدواعي الترف والنعمة ، فتطور تطورا طرديا صاعدا من الضيق إلى السعة ، ومن الجحالة إلى الرقة ومن الترسل المتوازن إلى الصنعة المطبوعة ...

هـ — ثم علي بن محمد أبو حيان التوحدي (٣١٠ هـ ٤١٤ هـ) ، وبفضل ثقافته العامة العريضة النوعة ، عرف بلقب «الجاحظ الثاني» ولقب «فيلسوف الادباء وأديب الفلاسفة» .

وبفضل الثقافة كان الخليفة المأمون العباسي مثلا ، على الرغم من نهوضه بأعباء الخلافة والسلطان ، رجلا مهيبا بعلمه وثقافته ، قيل أن — يكون مهيبا بحكمه وخلاقته ، حتى قال له يحيى بن أكرم في أعقاب ندوة علمية ثقافية شاملة :

يا أمير المؤمنين ، ان خضنا في الطب كنت «الينوس» في معرفته أو في النجوم كنت «هرمس» في حسابه ، أو في الفقه كنت «علي بن أبي طالب» في علمه ...

فسر المأمون بهذه الشهادة الثقافية المشرفة من رجل له ثقله في الميزان الثقافي في ذلك العصر ، وقال له : يا أبا محمد : أن — الانسان انما فضل على غيره من الهوام بفضل عقله وتمييزه ، ولولا ذلك لم يكن هناك لحم أطيب من لحم ، ولا دم أطيب من دم

وإلى جانب «دار الندوة» كانت لهم جمعياتهم وندواتهم في أسواقهم المشهورة : عكاظ ومحنة وذو الجاهز ، وفي سوق عكاظ ، ضربوا قبة للاعشي وغيره من الشعراء ، لانشاد الشعر أو الفصل والمفاصلة بين الشعراء ، ومن هنا وصف الأديب السعودي للعاصر الاستاذ عبد الله ابن خميس هذه السوق^(١) ، بأنها كانت «اعظم معرض في جزيرة العرب للتجارة والصناعة والفن ، واعظم مؤتمر للرأى والسياسة والاجتماع ، واعظم منتدى للشعر والخطابة والبلابة» .

وفي عصر صدر الاسلام كانت «سقيفة بني ساعدة» منتدى للاجتماعات التي عرفت — على خطورتها أحيانا — باسم «اجتماعات السقيفة» .

وشهد العصر الأموي ندوات أدبية ثقافية ، تجمع أحيانا بين الرجال وبعض السيدات البرزات — أي اللاتي عرفن بالبروز لمواجهة الرجال — في جرأة وعفة من طراز :

أ — الندوة التي جمعت بين السيدة عائشة بنت طلحة ، حفيدة أبي بكر الصديق وزوج

مصعب بن الزبير ، وبين هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين وغيره من شيوخ بني أمية .
 ب — والندوة التي جمعت بين السيدة سكينة^(١) بنت الحسين صاحبة «الطرفة السكينة»
 وبين بعض شعراء عصرها ، وقد اشتهرت هذه السيدة الأدبية الناقدة ، بذوقها
 الادبي السليم وشخصيتها القوية ، التي جعلت المستشرق «بيرن» يصفها بأنها «كانت
 سيدة عصرها ، اذ كانت موفورة الجلال ، كاملة الخصال ، ولا غرو فقد رغبت في
 العلم والمتعلمين ، وجالست العلماء والأقياء وشاركتهم في كثير من العلوم والفنون» وقد
 حدثنا أستاذنا المرحوم أحمد^(٢) أمين : « أن أبا القاسم علي بن محمد التنوخي كان من
 أعيان أهل العلم والأدب في العصر العباسي الثاني ولما مات بالبصرة عام ٣٤٢ هـ ،
 خلفه ابنه أبو علي المحسن التنوخي ، الذي كان أدبياً شاعراً أخبارياً ، وهو صاحب
 كتاب «نشوار المحاضرة» الذي أراد أن يحقق فكرة لطيفة وهي أن يدون تاريخ
 الاحداث التي تدور في المجالس ، وعلى ألسنة الرواة ، ولم تدون في الكتب ، ومن
 عتوا بذلك أيضاً في العصر القديم : أبو علي الفارابي الامام النحوي المشهور والمتوفي
 عام ٣٧٧ هـ فقد حدثنا عنه احمد أمين في الجزء الاول من «ظهر الاسلام»
 ص ٢٤٣ ، قائلا عنه : انه «كان يدون في كتاب ما يجري له من مناظرات في كل
 بلد ، ككتاب المسائل والحلييات» و «البغداديات» و «الشيرازيات» الخ .

كما حدثنا الأستاذ المحقق المعاصر عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه كتاب «مجالس
 ثعلب» المتوفي في عام ٢٩١ هـ — أن هذا الكتاب «تسجيل كامل لما كان يحدث في مجالس»
 أبي العباسي أحمد بن يحيى ثعلب

ومن ندوات ما بعد العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي تقريباً الندوات الآتية :

١ — الندوة التي كانت تعقدها السيدة شهدة^(١) بنت أبي نصر أحمد بن فرج بن عمر
 المشهورة باسم «شهدة الدينورية» نسبة إلى «الدينور» وهي بلدة كانت من بلاد
 الجبل ، واليا ينسب بعض العلماء والأدباء ... وكانت «شهدة الدينورية» تعقد
 ندوات في جامع بغداد ، وهي ندوة أدبية تاريخية كانت لها شهرتها بين أبناء القرن
 الخامس الهجري .

٢ — والندوة بل الندوات التي شارك فيها أبو حيان التوحيدي المتوفي عام ٤١٤ هـ عن أكثر
 من مائة عام ، قضاها في خدمة العلم والأدب والثقافة ، حتى استحق لقب «الجاحظ
 الثاني» بل «الجاحظ الأعظم» وبفضل ثقافة الوسيعة المتنوعة وعلى الرغم من شظف
 عيشة وسوء حاله ، وضيق ذات يده ، شارك في ندوات لابن العميد والصاحب بن
 عباد ، والمهلب ، وابن سعدان ، والمذنبلي كما شارك في ندوات أستاذه الفيلسوف أبي
 سليمان محمد بن طاهر بن يهرام السجستاني ، وأستاذه الآخر أبي الفضل بن
 العارض .. ومن الفلاسفة والأدباء الذين كانوا يشاركون في هذه الندوات : أبو الوفاء
 المهندس ، وزيد ابن رفاعة ، وابن زرة الفيلسوف السمراني ، ومسكوبة أو ابن
 مسكوبة مؤلف «تهذيب الأخلاق» و «تجارب الأمم» وصاحب الأجوبة المعروفة باسم

«الشوامل» عن أسئلة أبي حيان المعروفة باسم «الموامل» وقد سجل أبو حيان ما تسر من هذه الندوات والمحاسن في مؤلفاته ولا سيما «الامتناع»^(١) و«المؤانسة» و«المقايسات» و«الموامل والشوامل» وهذه الكتب كلها مطبوعة ومحققة.... ومن المؤلف أن من الكتب المفقودة لأبي حيان — حتى كتابة هذه السطور — كتابا يسمى «المحاضرات والمناظرات» — كما قال ياقوت ومنه اقتطف ابن العربي كثيرا في كتابه «المسامرات والمحاضرات» كما اقتطف منه أيضا الغزولي في كتابه «مطالع البدر»، ولم يفت القفطي^(٢) أن ينقل لنا بعض ما دار بين أبي حيان وغيره في ندوة أبي الفضل بن العارض.

٣ — والندوة التي كانت عائشة بنت غالب تعقدها في أشبيلية وغيرها في الاندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري وكان من أعظم شهودها: أبو الوليد ابن زيدون — الذي كان يتردد على هذه الندوة في بداية أمره، ثم انتقل إلى ندوة.... حبيسته ولادة بنت المستكفي ومن الممكن أن نلتمس ندوات أخرى حقيقية أو خيالية في كتاب «البعلاء» للجاحظ، وفي مقامات بدیع الزمان الهمزاني فم في مقامات الحريري، لأن المقامات — كما قال الشريشي هي المجالس «واحدتها: مقامة، والمقامة الحديث مجتمع له، لا سماعه، ويسمى مقامة مجالسا لأن المستمعين للمتحدث ما بين قائم وجالس ولأن المتحدث كان يقوم تارة ويجلس تارة أخرى...» وحسب أن في هذا القدر من الحديث عن الجمعيات والندوات الثقافية العربية قديما ما يدل — أول ما يدل — على أننا نحن أبناء العروبة والإسلام أمة لها ماضيا الجليل، وتراثها الحضاري، وتاريخها العريق فتي يرتفع حاضرها إلى مستوى ماضينا؟

(١) انظر المجلد العشرين من مجلة «الرسالة» للأستاذ أحمد حسن الزيات: ٥٦٣.

(١) في كتابه «المجازين الإمامة والهجاء» ط ١٩٧١ ص ٢٣٩، ٢٤٣.

(١) انظر «الأغاني» ٦: ١٥٠، وج ١٠: ٥٧، وج ١٤: ١٥٩، ١٦٧ وللثلاث الكامل للمرحوم جاد المري بك: ١٩٤.

(٢) انظر «ظهر الإسلام» ط ٣ ج ١: ٢٤٠، ٢٤١.

(١) انظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان ج ٢: ١٧٢ وما بعدها.

(١) انظر «الإمتاع والمؤانسة» ج ١، ج ٦ ص ٢٣، ١١٥، ١١٧ وانظر «المقايسات» ص ٢٥٩ ولا سيما المقايمة ٦٤ ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) انظر «الخبر الحكاء» للقفطي ص ١٨٦ وما بعدها.

دراسة فخ جغرافية

المملكة العربية السعودية
الأسياح

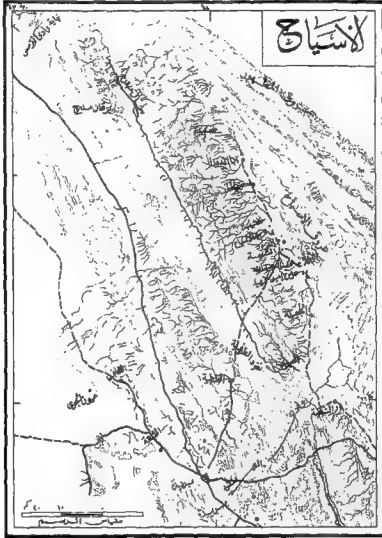
دكتور: عبدالرحمن الشريف

الأسياح منطقة صغيرة تابعة لأمانة القصيم وتقع في طرفها الشمالي الشرقي . كانت تسمى النباح لكثرة عيونها ، قيل عيون تنبع بالماء بمعنى تنبع من عدة منابع ضيقة . وقد وصفها الحسن الممداني بأنها « بلاد كثيرة القرى يقال له نباح بني عامر وهي عيون تنبع بالماء وتخلل وزروع »^(١) .

ثم سميت بالأسياح لأن فيها آباراً كانت مياهها تسبح على وجه الأرض إذا كثرت السيل^(٢) . وقد اعتبرت النباح الحلد الشمالي الشرقي لنجد في رأي الكتاب القدامى^(٣) .

موقع الأسياح :

والأسياع عبارة عن هضبة مستطيلة الشكل تمتد من شمال الشمال الغربي الى جنوب الجنوب الشرقي ، ترتفع بين ٦٠٠ — ٧٠٠ م عن سطح البحر ويتحدر سطحها إجمالاً من الحافة الغربية نحو الحافة الشرقية (شكل ١) .



يحدّها من الغرب رمال الطرّفة ورمال القعرة وبرقان مدرج ، وتحدها من الشرق عروق الأسياح وهي امتداد لعروق المظهر ، كانت تسمى الشقيق أو شقيق النجاج أو الشقائق^(٤) . ويحدّها من الشمال عرق نواظر الذي يقطع الطريق على وادي الترمس وهو امتداد آخر لعروق

المظهر ، ومن الجنوب نهاية وادي الرمة حيث يخفي تحت مقدمة رمال الثورات في منطقة 'البنية'. ولذلك فهي تقع^(٦) فيما بين خطي طول : ٤٥°٤٣' ، ٤٤°١٥' شرقاً وخطي عرض ٢٧°٣٢' ، ٢٨°٢٠' شمالاً .

وهضبة الأسياح هي إحدى صفراوات نجد^(٧) ، وهي قفا كويستا ، تتجه حافتها الشديدة الانحدار باتجاه الغرب أي نحو الحفرة للمرافقة والمملوءة برمال الطرقية ورمال القعرة . ويمثل أعلى الكويستا مجبال مدرج وخشم القعرة . وينحدر قفاها تدريجياً ابتداء من أعلى حافة الجرف باتجاه الشرق وتنتهي على شكل منخفض خطي يطلق عليه اسم «جو الأسياح»^(٨) .

وتعتبر الأسياح من حيث المناخ امتداداً لهضبة العارض بنجد التي يتصف مناخها بارتفاع درجات الحرارة كثيراً وعظم الفروق الحرارية اليومية والسنوية وتعرضها للرياح الجافة في معظم أيام السنة . وتعتبر أمطارها على قلتها (بين ١٠٠ — ١٢٥ ملم سنوياً) أكثر من من أمطار معظم مناطق المملكة الأخرى ما عدا المرتفعات في الجنوب الغربي^(٩) .

هيدرولوجية الأسياح :

الأسياح حوض تصريف داخلي تبلغ مساحة منطقة تغذيته بالمياه نحو ٢٥٠ كم^٢ ، وتشمل الصفراء التي تنتهي في معظمها لتكوين «الجلة» الترابية المكونة من صخور الرمل والطمي والطفال الحديدي والجبسي والكلس والد ولوميت الرملين وحجر الرمل الأوليتي ، والتي يبلغ سمكها بين ٢٢٦ — ٣٧٥ م . ويظهر تكوين المنحدر الناتج للترباسي الأعلى في الطرف الشرقي للأسياح ، وتظهر عليه بقع واسعة مغطاة بالطمي الحديث وما يقترن به من رواسب ناعمة تتجمع عادة في المنخفضات العديدة التصريف . وتجم هذه الطبقات فوق صخور الزمن الأول للتنوعة التركيب والعظيمة السمك هي : تكوينات سدير والخف وتبولك والساق^(١٠) .

إن التصريف المائي في الأسياح من النوع التناهي أي يتبع ميل الطبقات نحو الشرق ، غير أن وجود الرمال وتكدسها بعد للمنخفض مباشرة حال دون التصريف واضطره ان يقطع مجراه .

ولذلك نشأ عدد لا يحصى من الوديان للتوازية والمتقاربة يبلغ معدل طولها نحو ٢٠ — ٢٥ كم فقط . فإذا ما سقطت أمطار غزيرة على الهضبة فإن المياه سرعان ما تصرف الى هذه الوديان لم لا تلبث ان تخفي نتيجة تسربها خلال الطمي الحديث ، وداخل الصخور المنقذة الكائنة تحتها على طول الحافة الشرقية للهضبة .

كما عملت هذه الوديان نتيجة تعريتها لسطح الهضبة على ترميب كمية كبيرة من الطمي الحديث المشتعل على الرمل والحصى والصلصال لا سيما في الشرق حيث تنتهي الأودية الصغيرة ، زاد هذا الطمي من إمكانية تخزين المياه .

وقد فطن سكان هذه المنطقة منذ القدم الى أهمية مياه هذه السيول ، فأقاموا سدوداً

ترابية على بعض تلك الوديان ، من أهمها السد الذي أقيم في القرن العاشر الهجري على الوادي الواقع في جنوب بلدة التومة ، كان يعرف باسم سد هارو . وقد أقيم في مكانه سد آخر من الخرسانة المسلحة منذ عشر سنوات تقريباً حتى يساهم في زيادة تغذية الخزان بالمياه .

الخزانات المائية الجوفية بالأسياح :

ظهرت المياه في «جو الأسياح» (اي في طرفه الشرقي) منذ عشرات القرون على شكل عيون جارية ضعيفة ، وغبول (جميل غيل) تنضح بالماء ، كما امكن استنباطها بواسطة الآبار التي حفرت بالوسائل اليدوية بسبب قرب مياه هذا الخزان من سطح الارض . وظهرت عند بعضها الواحات الزراعية أو موارد مياه للبادية ، والتي تحول بعضها في القرن العشرين الى حجر استقر فيها البتو . هذه المياه هي مياه الخزان الجوفي السطحي .

ولكن يجب علينا الحذر من المغالاة في كمية هذه المياه ، فهي محدودة . والتاريخ يشنا بأن مياه النباح كثيراً ما غاضت وتعرضت آبارها للجفاف ، لا سيما بعد فترات من الازدهار أي بعد توسع أكثر من اللازم في استئثار تلك المياه المحدودة . وتعرضت واحاتها للاندثار بسبب إهمالها وقربها من المناطق الرملية التي تطمر معالمها . ومرت على النباح (الأسياح) فترات من تاريخها كانت مجهولة .

يعود ذلك الى ضآلة كمية المياه المختزنة في هذا الخزان الجوفي السطحي بسبب صغر مساحة منطقة تغذيته بالمياه ، ونُدرة الأمطار وقلة كمية الفائض منها للتخزين من ناحية ، ولانخفاض إنتاجية تكويني المنجود والجللة الواقعين تحت طبقات الطمي مباشرة والمتصلين بها من المياه الجوفية من ناحية أخرى .

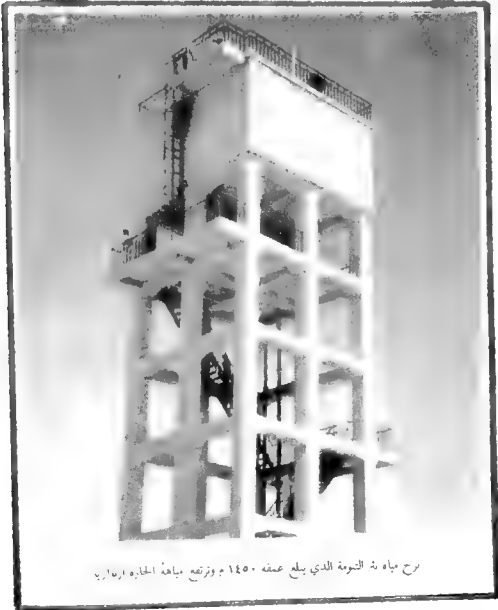
ولحسن الحظ تم اكتشاف الخزان الجوفي للمائي الثاني والأكثر أهمية في الأسياح ، منذ أقل من عقدين من الزمن . إذ كانت كميات كبيرة من مياه الأمطار قد تسربت خلال العصر الطعير الذي مر بالجزيرة العربية منذ أكثر من عشرين ألف سنة ، وتجمعت في الطبقات الصخرية المنفذة والعميقة والتي تفصلها بعضها عن بعض طبقات كثيرة . وقد بقيت مياه هذه الخزانات غير مستغلة خلال تاريخ المنطقة الطويل ، حتى تم اكتشافها في القصب وفي الرياض وغيرها من مناطق المملكة ، خلال الخمسينات من القرن العشرين ، نتيجة تمييز الآبار بواسطة الحفارات الميكانيكية الحديثة الى مئات الامتار . فتدفقت المياه من تلك الآبار بفضل الضغط الطبيعي .

وفي خلال الستينات من هذا القرن أمكن حفر عدد كبير من الآبار في منطقة الأسياح الى أعماق مختلفة ، وقد ظهر الماء من بعضها حيناً وصل الحفر الى أعماق معينة حسب التكوينات المخازنة للمياه ، وذات صفات من حيث الجودة مختلفة . وقد أمكن الاستفادة من مجموعتين

من الآبار :

المجموعة الأولى وهي الآبار المتوسطة الأعماق (إذ تتراوح أعماقها بين ١٠٠ - ٢٠٠ م)
وتصل الى تكوين الجلفة كما هي الحال في آبار التبقية والجلفة في جنوب الأسياح ، وأبى الدود في
شمالها . وتحتوي مياهها نسبة متوسطة من المعادن .

المجموعة الثانية وهي الآبار العميقة جداً والتي تصل الى تكوين الساق التي تقع قننا في
الأسياح على عمق يزيد عن ١٠٠٠ م ، كما هي الحال في آبار التثومة وحنيطل في وسط
الأسياح التي حفر آبارها الى عمق ١٤٥٠ م .



برج مياه ثة التثومة الذي يبلغ عمقه ١٤٥٠ م وترتفع مياهه الحارة اربعة

اندفعت المياه من تكوين الساق الى السطح بفعل الضغط الطبيعي بمعدل ١٠٠ م فوق سطح الارض وبقوة (لتر/ثانية) . وكانت مواصفاتها جيدة بالقياس الى مياه التكوينات الأخرى وتحتوي نسبة قليلة من المعادن لا سيما من اكاسيد السيليكون والحديد . لا يتجاوز مجموعها ٨٠٠ — ٩٠٠ ملغرام/لتر ، غير ان درجة حرارتها عالية جداً ويلزم تبريدها قبل أي استعمال لها . وتدل دراسات تحليل كربون ١٤ على مياه تكوين الساق على أنها مختزنة منذ فترة تتراوح بين ٢٠ — ٢٥ ألف سنة .

سحبت مياه بئر التثومة الى برج يرتفع اكثر من ٣٠ م حتى تبرد ثم توزع منه الى البلدة المجاورة لموقع البئر وكذلك الى البساتين المجاورة . وباختصار دخلت منطقة الأسياح منذ استغلال المياه الجوفية العميقة عهداً جديداً من حياتها . (صورة رقم ٢) .

لمحة عن تاريخ وإعمار الأسياح :

عرفت «النباح» منذ عصر الجاهلية ، وكانت لعبس عند ظهور الاسلام . وقيل أن عبدالله بن عامر بن كرز ، وهو والي عثان بن عفان على «البصرة» استنبط ماءها وشقق فيها عينوا وغرس نخيلاً ، ثم سكنها بنوكريز ومن انضم إليهم من العرب . ولذلك عرفت بنباح بني عامر^(١١) . ثم آلت الى بني مجيد من قریش^(١٢) .

وقد اكتسبت النباح أهمية خاصة منذ وقت مبكر كمحافظة تتوفر فيها المياه وسط مناطق صحراوية قاحلة جداً ، وليست بعيدة عن صحراء الدهناء التي تمتد على شكل قوس كبير في وسط شبه الجزيرة العربية يمتد من الشمال الى الجنوب ، ويعزل بذلك إقليم نجد الذي يليها غرباً عن بقية المناطق التي تليها شرقاً .

ولهذا اشتهرت النباح في الماضي كمحطة هامة من محطات القوافل التي تقطع الدهناء . فقد ذكر النباح على سبيل المثال ابن خرداذبة الذي عاش في القرن الثالث الهجري كمحطة من محطات قوافل الحجاج ، وذلك في معرض حديثه أولاً عن الطريق من البصرة الى مكة ، وثانياً في محطات قوافل الحجاج ، وذلك في معرض حديثه أولاً عن الطريق من البصرة الى مكة ، وثانياً في معرض حديثه عن الطريق من الكوفة الى مكة ، وجعلها تقع في الحالتين فيما بين المحطتين السّميّة والعوسجة^(١٣) . وقد وصفها الهمداني بأنها «بلاد كثيرة القرى» وقال الحربي ان «النباح عيننا ونحلاً وبحاراً كثيرين ومسجداً ومينراً»^(١٤) .

غير ان كتاب القرون التالية تجاهلوا النباح مما يدل على إهمالها وتغريبها ، ولا أدل على ذلك مما ذكره الاصلطخرى الذي عاش نهاية القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين بأن «ليس بين المدينة والعراق مكان يستقل بالعمارة والأهل جميع السنة (طول العام) مثل فيد» . في حين أن فيد نفسها كانت ضامرة الشأن كما وصفها هو نفسه إذ قال : «بان» فيها نخيلاً وزرعاً قليلاً لطيفاً وبها ماء قليل يسكنها بادية من طيء يتنقلون عنها في بعض السنة للمراعي^(١٥) .

قيل أن الناج بقيت مجهولة حتى أمكن استنباط مياهاها من جديد في القرن العاشر الهجري وذلك في عهد سلطان مارد . وقيل أن سلطان مارد كان والياً لأحد حكام العراق ، بعثه على رأس طائفة من الجند ليقبضوا في الأسياح فيمنعوا الأعراب من الاعتداء على قوافل الحجاج فأجرى إحدى عيونها وعمر قصره مرتفعة الذي سمي باسمه (قصر مارد) (١١) والذي لا تزال خرابته باقية حتى الآن على صفاة مرتفعة في وسط روضة واسعة تقع (في شرق بلدة العين) (صورة رقم ٣) وهو غير قصر مارد في دومة الجندل . وبني أيضاً سداً ترابياً على الوادي الواقع فيما بين بلدتي العين والتنومة والذي عرف باسم «سد مارد» .



خرائب قصر مارد في شرق بلدة عين ابن فهد .

انضغ مارد الأعراب وأمن طريق الحج وعمر النجاج ، لكنه امتنع على الولي ، وأعلن استقلاله في الأسياح إلى أن قتل على يد حميد ابن راشد من الضياغم من شمر ، فأهملت النجاج وغارت العين ودثرت وانطمست الآثار (١٢) . وبقيت كذلك حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري . غير أن التاريخ يذكر أيضاً أن التنومة وحنظل وأبا الدود هي من المواقع التي استمر عمرانها مدة أطول لأنه ليس بها عيون جارية بل كانت تعتمد على الآبار ، كما يذكر أيضاً أن كثيراً من روضات الأسياح كانت ترزغ الحبوب بعلًا .

عرب ثوبي آل شبيب في القرن الماضي التزمت وقطع نخيلها وقتل أهلها وهرب الباقون . ومنهم محمد بن فهيد الذي فر إلى العراق ، وهناك اطلع على جانب من تاريخ الأسياح وعينها الجارية زمن مارد . فعاد إليها ونقب عن آثار العين حتى وجدها وحاول بعثها . فنشأت قرية حول العين سميت عين ابن فهيد نسبة إليه . وكان قد استقطعها من إمام الدرعية ، لم تلبث أن تحولت إلى بلدة . وهي اليوم قاعدة الأسياح وأهم قراها . ثم نتابع إحياء العيون في الأسياح حتى بلغت العشرة^(١٨) :
سكان الأسياح :

عاش في « النجاة » جماعات قبلية عديدة تابعت منذ عصر الجاهلية ، وتغيرت انتماؤها عبر العصور . وكان يستقر جزء صغير من تلك الجماعات في الواحات التي تنشأ عند العيون أو الآبار في حين تبقى معظمها في حالة البداوة . وكانت ظروف النجاة وإمكانية مواردها المائية تقتضي دائماً أن يكون مجموع سكانها قليلاً ، فضلاً أن عددهم كان يتغير زيادة أو نقصاً حسب تلك الظروف .

وأنتبت الأسياح في عهد الدولة السعودية الحديثة إلى منطقة القصيم ولا تزال . وتكون الآن من تسع أمارات فرعية من الإمارات الـ ٨١ التي تتكون منها منطقة القصيم . وتضم نحو ٢٠ قرية ومن مثل هذا العدد من المهجر وموارد المياه .

وقد حدث في العشرين سنة الماضية انجذاب نحو الاستقرار والتطور في الأسياح كصدى لما يحدث في المملكة ككل . ونتيجة لاستثمار المياه الجوفية العميقة فيها . ومع ذلك فلا زال سكان المملكة لسنة ١٩٧٤ م سكان الإمارات الفرعية في منطقة الأسياح :

سكان الأسياح في سنة ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م^(١٨)

الرقم	الإمارة	المستقرون	البدو	الاجمعي	عدد المسيمات	عدد الاسر
١	أبأ الدود	٧٨٨	٣١٢	١,١٠٠	٦	١٨٥
٢	حنيظل	٦١٠	٤٣٢	١,٠٤٢	٥	١٤٧
٣	خصبية	٤٤٣	٥٣٧	٩٨٠	١	١٨٩
٤	البرود	٢٠٥	٤,٩٣٨	٥,١٤٣	١	٩٠٥
٥	التنومة	٦٥٤	٥٢٥	١,١٧٩	٦	١٠٧
٦	طريف الأسياح	١٣٩	٢٠٤	٣٤٣	١	٥٠
٧	عين ابن فهيد	٢,٧٣٤	٢٠٤	٢,٩٣٨	١١	٤٩٧
٨	الجملة	٤٩٩	٢,٢٠٥	٢,٧٠٤	٢	٤٤٩
٩	النبقية	١٧٨	٣٦٣	٥٤١	٢	٩٢

٢,٦٨٤	٣٥	١٥,٩٧٠	٩,٧٢٠	٦,٢٥٠	المجموع
	%١٠٠	%٦١	%٣٩		النسبة

مجموع سكانها ضئيلاً لا يساهم لوحده ، وبشكل جدي في أي من مشاريع التنمية التي تطمح إليها للمملكة في مناطقها البعيدة . ونجمل في الجدول التالي والذي استخلصناه من نتائج تعداد

من دراستنا لأرقام الجدول السابق يمكن ملاحظة ما يأتي :

١ — لا يبلغ عدد سكان الأسياح الآن العشرين ألف نسمة (اذا كانوا ١٥ ٩٧٠ في سنة ١٩٧٤ م) ، هذا بالرغم من قدم استثمار هذه المنطقة وتوفر مياهها . وهذا الرقم يعادل ٥,٦ % من سكان القصيم . ومع ذلك فهو يزيد عن نصف عدد سكان منطقة القريات (٥٦,٥ % منها) ، وهي أصغر الوحدات الإدارية الأربع عشرة في المملكة .

٢ — لا زالت حياة البداوة والتجول هي الطاغية على سكان الاسياح ، إذ لم تبلغ نسبة السكان المستقرين ٣٩ % من المجموع . ويعود ذلك بالدرجة الأولى الى قلة مساحة الاراضي الزراعية وضعف الموارد الإنتاجية إجمالاً .

٣ — ذكر في الجدول ٩ أمارات فرعية في الأسياح في حين ارتفع عدد المسميات الى ٣٥ بسبب وجود بعض القرى وهجر البادية وموارد المياه تابعة لمراكز تلك الامارات . وبذلك يبلغ معدل أفراد كل من المسميات السكانية ٤٥٦ فرداً ، وهذه الأرقام تدل على ازدهار ريفي أو بدوي مرتفع بالمقاييس الى مناطق الريف والبادية الأخرى في المملكة .

٤ — بلغ معدل عدد أفراد الاسرة في الأسياح ٥,٩ فرداً للأسرة الواحدة . ويعتبر هذا الرقم مرتفعاً بشكل عام ، غير أنه يقل عن معدل عدد أفراد الأسرة في منطقة القصيم ككل ، وعن معدلاً في كل من مناطق المدن بريدة وعنيزة والرس ، وبالتالي فهي تشبه في هذه الناحية معدل عدد أفراد الاسرة في مناطق أطراف القصيم ، وهي المناطق الفقيرة كالجواء وعقلة الصقور وضرية^(١٩) .

٥ — تساعدنا أرقام هذا الجدول على ترتيب الأنماط الاجتماعية لسكان الأسياح حسب أهميتها على النحو التالي :

أ — البدو والرحل : ارتفعت نسبة البدو في الأسياح في سنة ١٩٧٤ م الى ٦١ % من المجموع . وتبلغ هذه النسبة مثلي نظيرتها في القصيم (٣٢ %) ، وهي تقع منطقة الأسياح في إطارها الطبيعي بين مناطق أطراف القصيم الفقيرة وكذلك اطراف المناطق الأخرى المشابهة والتي يزيد عدد البدو فيها عن نصف مجموع السكان . هذا بالرغم من عمليات الاستقرار التي تمت في المهجر القديبة أو الحديثة أو في القرى الهامة .

ويعود ارتفاع نسبة البدو في الأسياح الى اتساع مساحة مناطق الأعشاب وتفرقها في وديان المنطقة . اذ بنيت في مجاري تلك الوديان العديدة في صفراء الأسياح أو في جو الأسياح الكثير من الاعشاب عقب سقوط الأمطار ، كما أن الأعشاب تنبت كذلك على الكثبان الرملية المجاورة لا سوا في عروق الأسياح . مما يؤهلها أن تعيل حياة حيوانية لا بأس بها قوامها الأغنام والابل .

ويمكن ان نلاحظ من أرقام الجدول السابق ان الجماعات البدوية تتركز في منطقتين هما : وسط الأسياح خاصة في وادي البرود الواقع شمال التنمية مباشرة ويعوي لوحده نحو نصف بدو الأسياح . وجنوب الأسياح في منطقة الجعلة خاصة في وادي النبقية قرب نهاية وادي الرمة ، ويعوي نحو ربع بدو الأسياح .

يتخذ البدو من مراكز الأمارات الفرعية مثل عين ابن فهيد والبرود والتنمية وحنيظل وأبي الدود والجعلة وغيرها من القرى مراكز للتسويق وتبادل المتوجات .

ب — المستقرون : تواجد المستقرون في الأسياح في نحو ٢٠ قرية تقع جميعها في جو الأسياح أي في المنخفض الشرقي وهي مرتبة من الشمال الى الجنوب : بلعوم ، ضيدة ، فيضة الوسوس ، مغيرة ، عشرين ، ابا الدود ، السيد ، حنيظل ، خصيبة ، البرود ، التنمية ، الحكار ، طريف الاسياح ، مطارق ، قصر العبدالله ، البرقة ، فيضة ابن مهنا ، عين ابن فهيد ، السبح ، الجعلة ، النبقية .

وقد تحكمت مواقع استغلال المياه الجوفية السطحية في انتظام هذه القرى بشكل خطي ، بالإضافة الى تواجد تربة الطمي الصالحة للزراعة . إذ أن جميع الوديان التي تصرف مياه صفراء الأسياح تنتهي الى «جو الاسياح» في الشرق كما سبق ذكره . وحتى ان «هجرات» البادية التي نشأت في خلال هذا القرن ظهرت في نفس النطاق وقد تحول بعضها الى قرى .

بلغ مجموع سكان هذه القرى في سنة ١٩٧٤ م ٦٢٥٠ فرداً ، اي بمعدل ٣١٣ فرداً للقرية الواحدة وهو معدل ليس بالقليل لأنها تضم مراكز الامارات الفرعية والتي تغلب عليها الملايح الريفية . ولكننا اذا استثنينا عين ابن فهيد والتنمية منها ينخفض المعدل الى ٢٢٥ فرد للقرية الواحدة .

ج — سكان المدن : لم يتبلور وظائف المدن في منطقة الأسياح بعد ، لدرجة يصعب علينا التأكد أن أي من مواقع الاستقرار فيها يتمتع بالملايح المدنية الحقيقية . وحتى أن مراكز الامارات الفرعية التسع والتي تتكون منها الاسياح ، لا تزال مراكز ريفية صغيرة الحجم اكتسبت بعد اتخاذها مواقع ادارية بعض

المالامح المدنية . وقد تجاوز عدد سكان بلدتين منها فقط مقدار ألف نسمة
هما : عين ابن فهيد (١١١٢ نسمة) ، والتتومة ١٠٩٤ نسمة (٢٠) .

وقد نشأت في العهد الحاضر بعض الدوائر الحكومية والمدارس والمستوصفات وغيرها من
الخدمات في مثل هذه المراكز الهامة ، وبزغت فيها بعض المشاريع الحكومية كالمشاريع المائية
وشق الشوارع المرصوفة ، وظهرت فيها بعض المحلات التجارية وذكاكين الحرفيين ومحطة توليد
الطاقة وبعض المشاريع الفردية ، وزادت أهميتها في غضون سنين معدودة وجذبت أعداداً من
بدو المنطقة ليستقروا فيها ، وبدأت تكتسب شيئاً فشيئاً بعض المالامح المدنية .

هذا هو الجانب الكمي لعدد سكان الأسياح التي تعاني من قلة ذلك العدد ، قلة ستترك
أنرها — بطبيعة الحال — في إعاقة أي من مشاريع التنمية في المنطقة . وحتى تكتمل الصورة
لا بد من التعرف على بعض خصائص هذا الكم الهزيل ، لأن نوعية السكان وقد رآتهم وتركيبهم
الديمقراطي تترك أثراً بضائع من مصاعب قلة عددهم . ويمكننا إبداء الملاحظات التالية في
وصف هذه الخصائص :

١ — أظهرت البيانات التفصيلية لتعداد السكان لسنة ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م وجود ٨٤٥٦
ذكراً و ٨٢٠٠ أنثى (٢١) في منطقة الأسياح . أي أن نسبة الذكور تبلغ ٥٠,٧٧ ٪ من
المجموع . وهذا يدل على أن الأسياح أظهرت صفة مخالفة لمناطق المملكة الشبيهة بها أي
التي يسودها الفقر وتتغلب فيها حياة البداوة ، والتي تفقد قسماً كبيراً من أفرادها الذكور
في سن الشباب إلى مناطق الجذب السكاني . ومع ذلك يمكننا ملاحظة أن نسبة
الذكور تنخفض إلى ٤٩,٢ ٪ من المجموع لمن هم دون سن الأربعين ، مما يوحي أن
نسبتهم يجب أن تكون أكثر من الرقم الأول لولا عامل الهجرة . ويؤيد هذه النتيجة أن
نسبة الذكور لمن تزيد أعمارهم عن ٤٠ سنة ترتفع إلى ٥٦,٤ ٪ ، وهي الفئة التي لا
تتأثر الهجرة في الغالب وهي المسؤولة عن ارتفاع نسبتهم في المنطقة كلها ، وأن قسماً
كبيراً منهم لا يساهمون في عملية الإنتاج بشكل جدي .

٢ — يتصف المجتمع في الأسياح بالفترة ، حيث يزيد عدد الأحداث الماعلين عن نصف
عدد أفراد المجتمع . إذ يؤخذ من نتائج تعداد السكان لسنة ١٣٩٤ هـ أن نسبة من هم
دون سن العشرين في الأسياح ٥٩,٨ ٪ ، ونسبة من هم دون سن الخمس عشرة
٤٩,٤ ٪ من المجموع (٢٢) .

٣ — ساهم في عملية الإنتاج في سنة ١٣٩٤ هـ ٦٠ ٪ من مجموع الذكور لمن هم في سن
١٢ سنة فأكثر ، وقد انخفض هذا الرقم كثيراً بسبب وجود ١١ ٪ من الطلاب
و ١٠,٥ ٪ من العاجزين عن العمل . في حين لم يساهم في العمل من الإناث سوى
٢ ٪ من عدد القادرات على العمل ، إذ وجد ما نسبته ٩٢,٦ ٪ من الإناث في سن
١٢ سنة فأكثر كربات بيوت لا يشاركن في عملية الإنتاج .

ومن ارقام الفقرتين السابقتين نستنتج أن نسبة القوى العاملة الفعلية في الأسياح لم تتجاوز سنة ١٣٩٤ هـ ٣٢٪ من مجموع الأفراد في سن العمل أو ١٨,٨٪ من مجموع السكان وهي نسبة ضئيلة حسب أي مقياس .

٤ — ترتفع نسبة الأمية في الأسياح الى ٨٦,٨٪ من مجموع السكان لمن هم فوق سن العشر سنوات . وقد ساهم في رفع نسبتها الى هذا الحد تفشي الأمية بين النساء ، حيث تبلغ ٩٧,٥٪ . وتؤثر هذه الظاهرة بشكل مباشر في نوع العمل الذي يمارسه العاملون وفي مستواه ، إذ أنهم يمارسون أعمالاً ضئيلة الردود .

٥ — وجد أن ٧٣,٤٪ من مجموع العاملين باعالم تتعلق بالانتاج الزراعي أو الحيواني أو بالخدمات المرتبطة بها . في حين لا يعمل في مجالات المهن والكهرباء والماء والتشييد والتجارة والمال والمصارف بحصصة سوى ٣,٤٪ من مجموع العاملين .

وحتى تتمكن منطقة الاسياح أن تواكب حركة التطور التي تشهدها المملكة في الوقت الحاضر ، لا بد من مغالبة بعض الصعوبات الأساسية والتي في مقدمتها ضعف العنصر البشري وهزاله سواء من ناحية الكم أو الكيف . ومن هنا تنضج أهمية تدخل الدولة ، وقيامها بعدد من المشاريع الانشائية الاساسية أو الخدمات الاجتماعية التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١ — في طليعة المشاريع الحكومية تلك التي تقضي على عهد العزلة الماضي ، وذلك بتوصيل طريق بريده — الطرفية المرصوف الى عين ابن فهيد وانشاء خط آخر يربط جميع قرى الأسياح وتوجه من الشمال الى الجنوب .

٢ — العمل على افتتاح عدد كبير من المدارس الابتدائية وغيرها من مراحل التعلم خاصة للاناث حتى تستوعب جميع الاطفال في سن التعلم ، وذلك لأن نسبة الحضور المدرسي كانت في سنة ١٣٩٤ هـ منخفضة جداً ، فبالنسبة لفئة الاعمار من ٦ — ٩ سنوات لم تبلغ هذه النسبة ١,٤٪ ولكنها ترتفع فيما بين الذكور وحدهم الى نحو ٢٢٪ .

٣ — العمل على افتتاح المستوصفات الصحية في قرى الأسياح حيث ان الموجود منها لا يفي بالغرض ، اذ تبين ان عدد العاملين فيها في هذا المجال كان في سنة ١٣٩٤ هـ ١٢ فرداً فقط .

٤ — العمل على إنشاء محطة كهربائية كبيرة ، وتعمم الكهرباء الى جميع قرى الأسياح ، ومن ثم التحضير لربط كهرباء الأسياح بشبكة كهرباء القصيم .

٥ — إيجاد مكتب زراعي تابع لمديرية الزراعة ببريده ، يضم عدداً من الخبراء والاختصاصيين يعني بارشاد المزارعين ووقاية المزروعات ومساعدة المزارعين في شئون استعمال الآلات والامدة والقروض وتسهيل عملية توسيع المساحات الزراعية ورفع إنتاجية الارض وتنمية الانتاج عموماً ، وإنشاء مزارع لتربية الحيوانات .

- ٦ — القيام بمشاريع مائة خاصة حفر المزيد من الآبار العميقة في مواقع قريبة من القرى ومن أحواض الوديان ليتسنى الاستفادة منها لأغراض الشرب أو ري الأراضي أو سقي الحيوانات .
- ٧ — تحسين مستوى معيشة السكان وذلك بإيجاد أعمال مجدبة لهم وإنشاء مباني سكنية تتوفر فيها شروط الصحة العامة وزيادة الوعي الاجتماعي والتعاوني وتشجيع توطين البدو .
- ٨ — تشجيع بعض مواطني الأسياح على العمل في الخدمات المهنية والشخصية والفنية والاجتماعية ، اذ تبين من احصاء السكان لسنة ١٣٩٤ هـ أن عدد العاملين في هذا المجال لم يتجاوز ثلاثين فرداً .

د . عبد الرحمن الشريف

مراجع البحث

- ١ — ابن خرداذبة (ابو القاسم) — المسالك والممالك — ليون مطبعة بريل ١٨٨٩ م .
- ٢ — الاصطخري (ابن اسحق) — المسالك والممالك — تحقيق الحيني مراجعة غربال ١٩٦١ م .
- ٣ — الحسن المهداني — صفة جزيرة العرب — نشر وتصحيح ابن بليهد ١٩٥٣ م . القاهرة .
- ٤ — الحربي (ابو اسحق) المناسل واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة تحقيق حمد الجاسر — منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر — الرياض ١٩٦٩ م .
- ٥ — عبد الرحمن الشريف — جغرافية المملكة العربية السعودية — دار المريخ للطباعة والنشر وزارة الفني — الرياض ١٩٧٧ م .
- ٦ — عبد الرحمن الشريف — القصيم — في مجلة الخفجي — العدد ١ . السنة ٨ . ص ١٤ — ٢٦ .
- ٧ — محمد العبودي — الاسياح — في مجلة العرب . الجزء ٧ ، ٨ محرم وصفر ١٣٩٥ هـ ص ٥٣١ — ٥٥١ .
- ٨ — وزارة المالية والاقتصاد الوطني — مصلحة الاحصاءات العامة — التعداد العام لسكان المملكة العربية السعودية لعام ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م — البيانات الاولى . صدر سنة ١٣٩٦ هـ .
- ٩ — وزارة المالية والاقتصاد الوطني — مصلحة الاحصاءات العامة — التعداد العام لسكان المملكة العربية السعودية لعام ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م — البيانات التفصيلية لمنطقتي القصيم وحائل . صدر سنة ١٣٩٧ هـ .
- ١٠ — ياقوت الحموي — معجم البلدان — المجلد الخامس . دار صادر — بيروت ١٩٥٦ م .

- ١١ — خرائط المملكة الجغرافية — مقاييس مختلفة خاصة مقياس ١ : ٥٠٠,٠٠٠
١٢ — خرائط المملكة الجيولوجية خاصة لوحة وادي الرمة

- (١) الحسن المهداني — صفة جزيرة العرب . ص ٢٨٠ .
(٢) محمد العمودي — مجلة العرب . الجزء ٨ ، ٧ ، ص ١٣٩٥ هـ . ص ٥٣١ .
(٣) الحربي (أبو اسحق) — للمناسك وأماكن طرق الحج . ص ٥٣٦ .
(٤) محمد العمودي — نفس المكان .
(٥) لوحة وادي الرمة مقياس ١ : ٥٠٠ ٠٠٠ . رقم .
(٦) يطلق في نجد على قفا الكويستا (صفراء) مثل : صفراء عنيزة ، صفراء السر و صفراء الروبكية و صفراء المستوى و صفراء حقل و صفراء الدميثيات وغيرها .
(٧) يطلق في نجد اسمي جو على المنطقة المنخفضة الناتجة عن التقاء السيول . وقد عرف في الجزيرة العربية عدد كبير من الأجزاء منها منطقة الجواء شمال يريدة و اجواء اخرى في الصنان وفي الدهناء وقد ذكر عبدالله بن خميس عدة اجواء في التمامة هي جو السباني في ضرماء و جوجان في البياض و جو الخضارم في الخرج وذلك في كتاب المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية — معجم التمامة ص ٣٩ ، ٦١ ، ٢٨٠ .
(٨) عبد الرحمن الشريف — المملكة العربية السعودية . ص ٦٥ — ٨٨ .
(٩) انظر لوحة وادي الرمة الجيولوجية ١ : ٥٠٠ ٠٠٠ رقم
(١٠)
(١١) ياقوت الحميري — معجم البلدان . الجزء الخامس . ص ٢٥٥ .
(١٢) المهداني — صفة جزيرة العرب ص ٣١١ .
(١٣) ابن خرداذبة (أبو القاسم) — للمسالك والممالك . ص ١٤٦ ، ص ١٩٠ .
(١٤) الحربي (أبو اسحق) — للمناسك وأماكن طرق الحج . ص ٥٨٦ .
(١٥) الاصطخري (ابن اسحق) — للمسالك والممالك . ص ٢٤ .
(١٦) محمد العمودي . مجلة العرب . ص ٥٤٤ .
(١٧) محمد العمودي . نفس المصدر السابق ونفس المكان .
(١٨) وزارة المالية والاقتصاد الوطني — مصلحة الاحصاءات العامة — التعداد العام لسكان المملكة العربية السعودية لعام ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م . ص ٣٢ — ٣٥ . البيانات الأولية .
(١٩) عبد الرحمن الشريف — القصيم — في مجلة الخفجي العدد ١ السنة ٨ نيسان ١٩٧٨ م . ص ١٤ — ٢٦ .
(٢٠) مصلحة الاحصاءات العامة — التعداد العام للسكان ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م البيانات التفصيلية لمنطقتي القصيم وحائل .
(٢١) ظهر اختلاف واضح في جملة سكان معظم الإمارات الفرعية لمنطقة الاسياح وكذلك في مجموع سكان المنطقة فيما بين التعداد العام للسكان لعام ١٣٩٤ هـ — البيانات الاولى الصادرة سنة ١٣٩٦ هـ وبين البيانات التفصيلية لمنطقة القصيم وحائل الصادرة سنة ١٣٩٧ هـ .
(٢٢) جميع الارقام المتعلقة بعام ١٣٩٤ هـ مستخلصة من النتائج التفصيلية لمنطقتي القصيم وحائل — التعداد العام للسكان لسنة ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م .

تحقيق بعض اللوائح
النورية من العهد
الذي أعطاه الرسول
للإمام والنصاي

للكاتب : عبد الباقي قصبي

أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم عهداً لبعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ممن عرفوا في الإسلام بأهل الذمة ، والذمة في اللغة : العهد والأمان ، وأهل الذمة هم أهل الكتاب الذين يعيشون في ديار الإسلام ، الذين التزموا بدفع الجزية ، فأصبح لهم الأمان على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم .

ومن العهود التي نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عهده للنصارى من أهل أيلة (في العقبة) وأهل أذرح أثناء غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة وهذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمة من الله ومحمد رسول الله ليحيى بن ربيعة وأهل أيلة : سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإن لا يحل أن يمنعوا ما يردونه ، ولا طريقاً يردونه من بر وبحر» (١٤) .

ومن ذلك أيضاً عهده إلى أهل أذرح وأهل قعنا وهذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني حبيشة وأهل قعنا سلم أنتم ، فإنه أنزل على أنكم راجعون إلى قريبتكم ، فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون ، ولكم ذمة الله وذمة رسوله ، وإن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم ، وكل دم تبعتم به لا شريك لكم في قريبتكم إلا رسول الله أو رسول رسول الله ، وإنه لا ظلم عليكم ولا عدوان ، وإن رسول الله يهجركم مما يهجر منه نفسه ، فإن لرسول الله بركتكم ورفيقكم والكراع والحلقة ، إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله ، وإن عليكم بعد ذلك ريع ما أخرجت نخيلكم ، وريع ما صادت عرككم ، وريع ما اغتزلت نساؤكم ، وإنكم قد ثريتم بعد ذلك ، ورفعكم رسول الله عن كل جزية وسخرة ، فإن سمعتم وأطعتم فعلي رسول الله أن يكرمكم ويغفو عن مسيئكم ، ومن اتهم في بني حبيشة وأهل قعنا من المسلمين خيراً فهو خير له ، ومن أطلعهم بشرفه شر ، وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .» (١٥) .

وهذه العبارة زائدة لم ترد في السيرة لأن هشام .

ومن العهود التي نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب خنين وأهل خير وقعنا بالصوت العربي والخط المبراني .. وهو من الوثائق التي زورها اليهود ، وقد كانوا يقدمونه للولاة .. وسوف نتناول هذه الوثيقة بالتحقيق بعد أن نورد نصها بالعربية ..

النص بالعربية :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لحيننا ، ولأهل خير والمقتنا ولذراريهم ما دامت السموات والأرض ، سلام أنت إني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإنه أنزل علي الوحي وأنكم راجعون الى قراكم وسكن دياركم ، فارجعوا آمين بأمان الله وأمان رسوله ، ولكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم ورفيقكم وكل ما ملكت أيما نكم ، وليس عليكم أداء جزية ، ولا تجز لكم ناصية ، ولا يظا أرضيكم حين ، ولا تحشدون ، ولا تحشرون ، ولا تعشرون ولا تظلمون ، ولا يجعل أحد عليكم رسماً ، ولا تمنعون من لباس المشققات والملونات ولا من ركوب الخيل ولباس أصناف السلاح ومن قاتلكم قاتلوه ، ومن قتل في حربكم فلا يقاد به أحد منكم ولا له دية ، ومن قتل منكم أحد المسلمين تعمداً فحكمه حكم المسلمين ، ولا يفترى عليكم بالفحشاء ولا تتزولون منزلة أهل الذمة ، وإن استعنت ثمانون ، وإن استردتم ترغدون ، ولا تطالبون ببضياء ولا صفراء ، ولا سمراء ولا كرع ولا حلقة ، وشدا الكشتيز ، ولا لباس المشهرات ولا يقطع لكم شمس نعل ، ولا تمنعون دخول المساجد ولا تحجبون عن ولاية المسلمين ، ولا يولى عليكم وال إلا منكم أو من أهل بيت رسول الله ، ويوسع لجنائزكم إلا (إلى ؟) أن تصير إلى موضع الحق اليقين ، وتكرموا لكرامتكم ولكرامة صفيّة ابنة عمكم وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين أن تحرم كرمكم ويعفو عن مسيئكم ، ومن سافر منكم وهو (فهو ؟) في أمان الله وأمان رسوله ، ولا إكراه في الدين ، ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصية كان له ربع ما أمر به رسول الله لأهل بيته ، تعطون عند عطاء قريش وهو خمسون ديناراً ، ذلك بفضل مني عليكم وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين الوفاء بجميع ما في هذا الكتاب فن اطلع لحيننا وأهل خير والمقتنا بخير فهو أخير له ومن اطلع لهم بـ [شر] فهو شر له ، ومن قرأ كتابي هذا أو قرأ عليه وغيره أو خالف شيئاً مما فيه فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين من [الملائكة] والناس أجمعين ، ومن خصمني فقد خصم الله ، ومن خصم الله فهو في النار والـ [.....]ة ويشس المصير .

شهد [الـ] الذي لا إله إلا هو وكفـ [ى] به شهيداً وملائكته [حملة عم] رشه ومن حضر من المسلمين .

وكتب علي بن أبو [كذا] طالب بخطه ، ورسول الله يمل عليه حرفاً حرفاً . يوم الجمعة لثالث [كذا] ليال خلت من رمضان سنة خمس مضت من الهجرة ، شهد [ع] بن ياسر وسلمان الفارسي [كذا] مولي رسول الله [كذا] وأبو ذر العفاري^(٣) . والذي يثير الشك في هذه الوثيقة ما يأتي :

١ — أنها وجدت بالصوت العربي ، والحرف العبراني .

٢ — أنها اشتملت على امتيازات لم يعطها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من أهل الكتاب منها :

أ — عبارة «وليس عليكم أداء جزية» .
 ب — عبارة «ولا يجعل أحد عليكم رسماً»
 ج — «ولا تمنعون من ركوب المشفقات والمملونات ، ولا من ركوب الخيل ، ولباس أصناف السلاح» .
 د — عبارة «ومن قاتلكم قاتلوه ، ومن قتل في حربكم فلا يقاد به أحد منكم ولا له دية»

هـ — عبارة «ولا تمنعون من دخول المساجد»
 و — عبارة «وتكرمو لكرامتكم ولكرامة صفيّة ابنة عمكم»
 وتصل المبالغة في التزوير الى هذا الحد فيقولون في الأمان : «ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربع ما أمر به رسول الله لأهل بيته تعطون عند عطاء قريش وهو خمسون ديناراً ! » والذي يثير الريبة أكثر هو تأكيد لم يرد أبداً في أي معاهدة ، وتغويف لا يلبق ، وحرص ، مع خطأ في التوقيت .

والذي يؤكد وجهة نظرنا عبارة «وهو بريء من ذمتي» مع الركاالة التي لا تتصل بأساليب اليهود التي أسطفاها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن الاخطاء النحوية .

وهناك وثيقة أخرى تعرف عند النصارى بالعهد النبوية ، ويقولون إنه كتب أيضاً بخط علي بن أبي طالب ، ووضع في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية للهجرة (فهر خطأ آخر في التوقيت يدل على التزوير) وقد حملت منه نسخ الى الادبار ، ومن ذلك نسخة كانت محفوظة في دير طور سيناء ، فنقلها السلطان سليم العثماني إلى الاستانة في أوائل القرن السادس عشر للميلاد ، بعد أن عرضها على مجلس شرعي ، حيث نقلت الى التركية دون تحميم ، أما الأصل العربي فقد أعيد للدير نسخة منه بالعربية وأخرى بالتركية .

وهذا هو نص هذه المعاهدة⁽⁴⁾

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله الى كافة الناس أجمعين رسوله مبشراً ونذيراً ومؤمناً على وديعة الله في خلقه ، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكماً ، كتبه لأهل الملة النصارى ولبن تنحل دين النصرانية ، ومن مشارق الأرض ومغاربها وقريبها وبعيدها فصيحها وعجمها معروفاً ومجهولها ، جعل لهم عهداً ، فن نكت العهد الذي فيه وخالفه الى غيره ، وتعدى ما أمره ، كان لعهد الله ناكثاً ، وليثاقه ناقضاً ،

وبدينه مستنزهاً وللعنة مستوجبا ، سلطاناً كان أم غيره من المسلمين — وإن احتسب راهب أو سائح من جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو وبيعة ، فأنأ أكون من وراثهم أذنب عنهم من كل غيرة هم بنفسي وأعواني وأهلي وملتي وأتباعي ، لأنهم رعيتي وأهل ذمتي ، وأنا اعزل عنهم الأذى في المؤمن ، وتصل المبالغة في التزوير الى حد قولهم في هذا الأمان «ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربع ما أمر به رسول الله لأهل بيته تعطون عند عطاء قريش ، وهو خمسون ديناراً ! »

والذي بشر الريبة أكثر هو تأكيد لم يرد في أي معاهدة ونحويف ، وحرص مع خطأ في التوثيق والشهاد ، والذي يؤكد وجهة نظرنا عبارة «هو يري من ذمتي» مع الركافة التي لا تتصل بأساليب العهد التي أعطاهها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن الأخطاء النحوية .

وما روى عن هذا الأمان أنه حمل في سنة ٤٤٧ هـ إلى رئيس الرؤساء أبي القاسم علي ابن الحسن وزير القائم فرضه على الخطيب البغدادي فقال : مزور لأن فيه شهادة سعد ، وقد مات قبل فتح خيبر بستين ، وفيه شهادة معاوية وإنما أسلم بعد خيبر عام فتح مكة ^(١) .

وقد زاد ابن القيم في انكاره فقال : «لم تكن الجزية وقت فتح خيبر ولم تنزل آية الجزية إلا بعد ستين من غزوة خيبر ، ولم تكن على أهل خيبر كلف ولا سخرة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توضع عنهم» . ^(٢)

ويبدو أن هذا النص تعرض للون من التصحيح فكتبوا أسماء عار ، وسلمان وأبي ذر بدلا من سعد ومعاوية وأبقوا اسم علي ككاتب للصيغة .

وهناك وثيقة أخرى تعرف عند النصارى بالعهد النبوية يقولون إنها كتبت بخط علي بن أبي طالب ، ووضعت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية للهجرة (وهو خطأ آخر في التوثيق يدل على التزوير) وقد حملت منه نسخ الى الأديار ، ومن ذلك نسخة كانت محفوظة في دير طور سيناء ، فنقلها السلطان سليم العثماني الى الاستانة في اوائل القرن السادس عشر للميلاد ، بعد أن عرضها على مجلس شرعي ، حيث نقلت الى التركية ، ثم أعيدت نسخة منها بالعربية وأخرى بالتركية .

وهذا نص هذه الوثيقة ^(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه محمد بن عبدالله الى كافة الناس أجمعين رسوله مبشرا ولهموا ومؤمنا على وديعة الله في خلقه ، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكما ، كتبه لأهل ملة النصارى ، ولئن تنحل دين النصرانية ، ومن مشارق الأرض ومغاربها قريبا وبعيدا فصيحها وعجمها ومعروفها ومجهولها ، جعل لهم عهدا فن نكت العهد الذي فيه وخالفه الى غيره وتعدى ما أمره ، كان لعهد الله ناكثا وليثاقه ناقضا ، وبدينه مستزتا ، ولعنته مستوجبا ، سلطانا كان أم غيره من المسلمين — وإن احتجى راهب أو سائح في جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو واد أو بريمة ، فأنا أكون من ورائهم أذب عنهم من كل غيرة لهم بنفسى وأعواني وأهلي وملتي وأتباعي ، لأنهم رعيي وأهل ذمتي وأنا أعزل عنهم الأذى في المون التي عمل أهل العهد من القيام بالخراج إلا ما طابت له نفوسهم ، وليس عليهم جبر ولا إكراه على شيء من ذلك . ولا يغير أسقف من أسقفية ، ولا راهب من رهبانته ، ولا حبس من صومعته ، ولا سائح من سياحته ، ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم ، ويصممهم ، ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مساجد المسلمين ولا في بناء

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript fragment. The text is dense and appears to be a continuation of a larger work.

REPRODUCED BY THE NATIONAL LIBRARY OF MEDICINE

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript fragment. The text is dense and appears to be a continuation of a larger work.

REPRODUCED BY THE NATIONAL LIBRARY OF MEDICINE

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript fragment. The text is dense and appears to be a continuation of a larger work.

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript fragment. The text is dense and appears to be a continuation of a larger work.

REPRODUCED BY THE NATIONAL LIBRARY OF MEDICINE

كتاب نسب إليه صلى الله عليه وسلم لحنيننا ولأهل خير ومقتنا باللغة العربية
ولكن بالخط العبراني ، في نسخة (١١٧٧) .
(مأخوذ من مجلة جويش كوارتري ريفو) .

كتاب نسب إليه صلى الله عليه وسلم لحنيننا ولأهل خير ومقتنا باللغة العربية ولكن بالخط العبراني .
(مأخوذ من مجلة جويش كوارتري ريفو) .

منازهم ، فمن فعل ذلك فقد نكث عهده الله وعهد رسوله ، ولا يحمل على الرهبان والاساقفة ولا من يتبعه جزية ولا غرامة ، وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا من براؤ بحر في المشرق أو المغرب والجنوب والشمال ، وهم في ذمتي وميثاقي وأمانتي من كل مكروه ، وكذلك من يغرد بالعابدة في الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم مما يزرعون لخراج ولا عشر ، ولا يشاطرون لكونه يرسم أفواههم ولا يعانقون عند إدارك الغلة ، ولا يلزمون بخروج في حرب وقيام بحجرة من اثني عشر درهما بالحملة في كل عام ، ولا يكلف أحد منهم شططا ولا يجادلون إلا بالتي هي أحسن ، ويحفظونهم تحت جناح الرحمة ، يكف عنهم أذية المكروه ، وحيثما كانوا وحيثما حلوا — وإن صارت النصرانية عند المسلمين فعليا برضاها وعكسها من الصلاة في بيعتها ، ولا يحال بينها وبين هوى دينها ، ومن خان عهد الله واعتمد بالظن من ذلك عصي ميثاقه ورسوله ،

ويعاونون على مرمة بيعهم ومواضعهم وتكون تلك مقبولة لهم على دينهم وفعالهم بالعهد ، ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح بل المسلمون يذبون عنهم ، ولا يخالف هذا العهد أبداً الى حين تقوم الساعة وتنقضي الدنيا . وهذا العهد لم يرد ذكر له لدى أحد من مؤرخي الفتوح أو غيرهم من المؤرخين في العصور الاسلامية الأولى ، ويلاحظ على هذا العهد ما يأتي :

١ — أن العبارات والألفاظ التي وردت به ليست مما كتبت به المعاهدات والعهود في عصور صدر الإسلام فضلاً عن ركاكتها .

٢ — أنه أخف وطأة من الوثيقة السابقة ، ولم تتجاوز الوصايا الإسلامية الخاصة بأهل الكتاب ، ويبدو أنهم وضعوا هذا العهد من عند أنفسهم لغرض سياسي^(١) .

دكتور عبد الباقي علي قصة
معهد العلوم الاجتماعية
جامعة قسنطينة

الهوامش والمصادر

- (١) ابن هشام : سيرة ح. ص ٤٠
- (٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٠ .
- (٣) محمد حميد الله : الوثائق التاريخية في العهد النبوي والخلفاء الراشدين ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ .
- (٤) راجع الملل العدد ١٥ ، ١٧ من السنة السابعة نقلا عن كتاب منشآت سلاطين لأفريدون بك .
- (٥) ابن كثير : البداية ح. ١٢ ص ١٠١ ، ١٠٢ .
- (٦) ابن القيم : أحكام أهل الذمة ص ٧ ، ٨ .
- (٧) راجع تاريخ القطن الإسلامي لجورجي زيدان ص ٤ ص ٣٨١ .

د : عبد الستار المحلجي

نبذة تاريخية :

التصنيف العشري الذي وضعه ملفيل ديوى وأصدره منذ أكثر من مائة عام هو أقدم نظم التصنيف العالمية وأشهرها وأوسعها انتشارا في المكتبات .

وفي هذا التصنيف تقسم المعرفة البشرية الى عشر شعب رئيسية هي : المعارف العامة والفلسفة والديانات والعلوم الاجتماعية واللغات والعلوم البحتة والعلوم التطبيقية والفنون والآداب والتاريخ . وكل شعبة من هذه الشعب تنقسم بدورها الى عشرة أقسام القسم الأول منها عام ، والأقسام التسعة الباقية يختص كل منها بعلم من العلوم . فالعلوم البحتة — مثلا — يدخل تحتها الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء وعلوم الأرض والحفريات والأنثروبولوجيا وعلم النبات وعلم الحيوان .

وقد رمز ديوى لكل مجال من مجالات المعرفة برقم معين ، ومن ثم خصص لكل شعبة من الشعب مائة رقم وزعها على أقسامها بالتساوي بحيث يخص كل قسم منها عشرة أرقام . فالعلوم الاجتماعية — مثلا — تأخذ المائة الرابعة (٣٠٠ — ٣٣٩) وداخلها يخصص الرقم ٣٢٠ للسياسة ، والرقم ٣٣٠ للاقتصاد ، والرقم ٣٤٠ للقانون .. وهكذا .

ومنذ سنة ١٨٧٦ وطبعات المخططة تتابع واحدة بعد أخرى ، وصاحبها ينمىها ويطورها و يعلن عنها ويدعو لتطبيقها وينفق كل ما تدره من المال على تطويرها وإتمامها . وفي سنة ١٩٣١ يموت ديوى بعد أن صدرت على يديه اثنا عشر طبعة وقبل أن تصدر الطبعة الثالثة عشرة بعام واحد .

ويدور أن القاموس على إصدار المخططة بعد وفاة صاحبها قد ضاقوا بالقيود التي تعوقها عن ملاحقة تقدم المعرفة فحاولوا كسر الجدار الذي أقامه ديوى حولها منذ طبعتها الثانية التي أعلن فيها تثبيت الأرقام . ولهذا خرجت الطبعة الخامسة عشرة في سنة ١٩٥١ متمردة على كل الطبعات السابقة بما شملته من تحركات واسعة في أقسام المخططة ومن حذف للتفاصيل واختصار للأرقام . ولكن هذه الطبعة التي تصورت أنها ستحل مشاكل المكتبيين وستغلب على عيوب الطبعات السابقة قد أوقعت المكتبيين في مشاكل معقدة وأثبتت أنها أعجز مما سبقها من طبعات ، ولهذا نبذها المكتبيون وراء ظهورهم ، وعادت المخططة في طبعاتها اللاحقة سيرتها الأولى ، فصدرت الطبعة السادسة عشرة في سنة ١٩٥٨ في مجلدين أولها للقوائم والآخر للكشافات ، وبعدها بسبع سنوات صدرت الطبعة السابعة عشرة (سنة ١٩٦٥) ، وأخيرا صدرت الطبعة الثامنة عشرة سنة ١٩٧١ في ثلاثة مجلدات أولها للمقدمات والقوائم الإضافية والخلاصات ، والثاني للمجداول ، والثالث للكشافات .

والى جانب هذه الطبعات الكاملة للمخططة ، صدرت حتى الآن عشر طبعات مختصرة أولاها سنة ١٨٩٤ م وآخرها سنة ١٩٧١ . ومنذ الطبعة السادسة المختصرة بدأت تلك الطبعات تسير جنباً الى جنب مع الطبعات الكاملة . فالطبعة السادسة المختصرة هي اختصار للطبعة الرابعة عشرة الكاملة ، والطبعة السابعة اختصار للطبعة الخامسة عشرة الكاملة ، والطبعة العاشرة المختصرة اختصار للطبعة الكاملة الثامنة عشرة

ديوى في الميزان :

ولقد تصافرت عوامل متعددة على انتشار التصنيف العشري بين المكتبات بمختلف أنواعها وفي شتى أرجاء المعمورة . فهو — من ناحية — يتمتع بقدر كبير من المنطق في بنائه وترتيب موضوعاته ، وهو — من ناحية ثانية — قد استخدم رمزا يجمع بين السهولة والمرونة والكثير من وسائل التذكر .

فالأرقام لغة عالمية سهلة التداول والتذكر والترتيب ، والكسر العشري يحقق مرونة كبيرة للرمز . ومعينات الذاكرة في المخططة كثيرة نذكر منها على سبيل المثال أن الرقم ٤٢٠ في قسم اللغات قد خصص للغة الإنجليزية وفي قسم الأدب خصص الرقم ٨٢٠ للأدب الإنجليزي فاذا تركنا اللغة والأدب الى قسم التاريخ وجدنا قارة أوروبا تأخذ رقم ٩٤٠ ووجدنا تاريخ إنجلترا يأخذ الرقم ٩٤٢ .

وفي شعبة المعارف العامة جعل الرقم (١٥٠) للدوريات ، فإذا انتقلنا الى الشعب الأخرى

وجدنا الدوريات الفلسفية في ١٥٥ والدوريات العلمية في ٥٠٥ ودوريات الفنون في ٧٠٥ وتبويب الرقم (٢) في المثال الأول للدلالة على إنجلترا والرقم (٥) في المثال الثاني للدلالة على الدوريات في مختلف فروع المعرفة يعتبر وسيلة ممتازة من وسائل التيسير والتذكر .

وثمة ميزة ثالثة تذكر لهذا التصنيف وهي أنه استعان بقوائم إضافية كقائمة التقسيمات الموحدة وقائمة الأماكن . وهذه القوائم توفر في حجم الخطة من ناحية (لأنها لا تحتاج الى تكرار مع كل علم) ، وتساعد على التذكر من ناحية ثانية .

أما العامل الرابع من عوامل انتشار التصنيف العشري فهو وجود الكشاف النسبي الذي يجمع مختلف جوانب الموضوع الواحد التي تجمعت في صلب الخطة نتيجة للترتيب المقنن . فالترول — مثلا — له جانب اقتصادي يأتي في الاقتصاد تحت ٣٣٨ وجانب جيولوجي في ٥٥٣ وجانب تكنولوجي في ٦٦٥.٥ . والأراضي لها رقم في اقتصاديات الأراضي (٣٣٣) ورقم في الجيولوجيا (٥٥٠) ورقم في الزراعة (٦٣٠) . وهذه الجوانب وغيرها وزعتها الخطة كل في موضعه ، والكشاف هو الذي يجمعها فيقدم بذلك خدمة جليلة للمصنفين وخاصة المبتدئين منهم .

وإذن فالكشاف يعالج نواحي القصور في الخطة ويظهر الموضوعات التي قد تستر فيها تحت رؤوس أعم . ويجمع شتات الموضوع الواحد في مكان واحد . ولم يغفل ديوى عن أهمية الكشاف لخطة التصنيف فاعتبره منذ البداية من أهم ميات خطته .

ولقد أضيف الى هذه العوامل الأربعة النابعة من طبيعة الخطة ذاتها عامل خامس يتصل بصاحب الخطة نفسه ، فقد قدر له أن يعيش خمسا وخمسين عاما من حياته بعد إصدار الطبعة الأولى منها ، وكانت هذه السنوات الطوال عاملا مساعدا على متابعته للخطة واستقرارها وانتشارها بين المكاتب . والواقع أن الرجل لم يألُ جهدا في الدعوة لخطته فقد كتب الى مكتبة الكونجرس الأمريكي يعرب لها عن رغبته ورغبة المكيبين في أن تحمل بطاقات الفهرسة التي تطبعها المكتبة أرقام تصنيف المطبوعات حسب خطته بالإضافة الى أرقام التصنيف الخاصة بالمكتبة نفسها كنوع من التيسير على المكيبين الذين يستعملون خطته ، وكوسيلة للترويج لبطاقات الكونجرس أيضا . واستجابت مكتبة الكونجرس لنداء الرجل فبدأت تطبع أرقام التصنيف العشري على معظم بطاقتها منذ سنة ١٩٣٠ وكان ذلك في حد ذاته عاملا من عوامل انتشار الخطة ورواجها عند المكيبين .

ونظر الآن فزى آلافا من الببليوجرافيات تستخدم التصنيف العشري كالببليوجرافية الوطنية البريطانية والهندية والمصرية وكالببليوجرافيات والفهارس التجارية التي تنشرها شركتا ويلسون وبوكر في الولايات المتحدة الامريكية .

ومع أن هذه الخطة هي أوسع خطط التصنيف انتشارا في العالم شرقه وغربه ، ومع أنها

ترجمت الى معظم لغات البشر مع بعض التعديلات هنا او هناك لتلبي حاجات إقليمية لهذه الدولة أو تلك ، إلا أنه لا ينبغي أن يفهم من ذلك أنها قد بلغت حد الكمال ، أو أن بطن أنها قد برئت من العيوب والنقائص ، فكل ما نقوله أن حسناتها ترجع ميثاقها ولهذا قدر لها أن تعيش أكثر من مائة عام وأن تطيع خلال تلك الفترة ثمانى عشرة طلبة .

ولعل أهم ما يجب علينا أن بناء الخطة من حيث الشعب وترتيبها والأقسام داخل كل منها لا يسلم من النقد . فدويى قسم المعرفة الى تسعة أقسام جعلها متساوية وقدم لها بقسم عام جملة للمعارف العامة . ولا يستطيع أحد أن يزعم أن هذه القاعدة من ١٠ الى ٩ تكفى لتغطية مختلف فروع المعرفة . ولهذا اضطر دويى الى جمع مجموعات من العلوم في بعض الشعب كالعلوم الاجتماعية في ٣٠٠ ، والعلوم البحتة في ٥٠٠ والعلوم التطبيقية في ٦٠٠ بينما أفرد علوما أخرى شعب مستقلة كالفلسفة والدين والتاريخ . ولا نظن أن العدالة تقتضي بأن يخصص للفلسفة مثل ما يخصص للعلوم التطبيقية بكل فروعها من أرقام ، أو أن يخصص للمسيحية ثمانون رفا في شعبة الديانات وأن يخصص للاديان الأخرى كلها عشرة أرقام .

وعلى الرغم من أن دويى قد خصص لكل علم عشرة أرقام إلا أن أحجام العلوم تتفاوت كأحجام البشر ، وهو تفاوت يعكسه حجم الإنتاج الفكري في كل منها وليس من العدل أن يخصص لثلاثة بكل فروعها مثل ما يخصص للإحصاء من أرقام .

ومن عجب أنه في الوقت الذي خصص فيه دويى مائة رقم للفلسفة ، لم يخصص لعلم الاجتماع سوى رقم واحد من المائة المخصصة للعلوم الاجتماعية هو رقم (٣٠١) .

ولم تكن قلة أعداد الشعب واستمرار تقسيمها على العلوم بالتساوي وعلى وتيرة واحدة هي المأخذ الوحيد على بناء الخطة وإنما يجب علينا أيضا أن ترتيب الشعب والأقسام بداخلها يحتاج الى تبرير في بعض الأحيان كالذي نجده من فصل العلوم البحتة (٥٠٠) عن التطبيقية (٦٠٠) ، وفصل اللغة (٤٠٠) عن الأدب (٨٠٠) . وإذا كان لهذا الفصل الأخير عند دويى بعض المبررات على أساس أن اللغة وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات ومن ثم وضعها تالية للعلوم الاجتماعية ، وأن الأدب فن من الفنون الإبداعية مما يبرر وضعه تاليا للفنون ، إلا أن الإنتاج الفكري في هذين المجالين متداخل دائما ، فكتب الأدب لا تخلو من اللغة ومباحث اللغة لا تستقيم بغير التصور الأدبية .

وليست الملاحظات على الأقسام وتفرعاتها بأقل من الملاحظات على الشعب الرئيسية . ولست هنا بصدد حصر تلك الملاحظات أو إحصائها وإنما نكتفي بالإشارة الى بعضها مثل فصل الاقتصاد (٣٣٠) عن التجارة (٣٨١ ، ٣٨٢) ، وفصل اقتصاديات المال (٣٣٣) عن المالية العامة (٣٣٦) ، وفصل علم الاجتماع (٣٠١) عن السكان (٣١٢) وعن العادات والفولكلور (٣٩٠) ، وتوزيع العارة على أرقام متباعدة هي (٦٢٤ ، ٦٩٠ ، ٧٢١) ، وتوزيع الأثاث على (٦٤٥ ، ٦٨٤ ، ٧٤٩) .

ومن المأخذ الأساسية التي كثرت الكلام فيها ثبات الخطة في هيكلها الرئيسي وإطارها العام

منذ الطبعة الثانية . فع أن هذا الثبات قد أراح المكتبيين لأنه لم يعرضهم لهزات عنيفة تضطربهم الى إعادة تصنيف المجموعات القديمة كلها تطورت الخطة ، إلا أنه أتهمهم في تدبير أما كن مناسبة لما يستجد من مؤلفات في الفروع الحديثة من العلم .

ولكن هذه العيوب مجتمعة لا تعني فساد الخطة بقدر ما تعني أنها لم تبلغ حد الكمال . وبلغ الكمال أمر أبعد من أن تصل اليه أي خطة من خطط التصنيف العامة أو الخاصة . ذلك أن اليقين العلمي والقول الفصل لا وجود لها في الدراسات الإنسانية ، وأن اختلاف وجهات النظر في التصنيف أمر لا يمكن تجنبه بحال من الأحوال . والمسألة لا تعدو أن تكون تفضيلاً لموضع علم من العلوم أو كتاب من الكتب على موضع آخر .

ديوى ... عريب :

وإحساساً من المكتبيين العرب بأهمية هذا التصنيف ، وإدراكاً منهم لسعة انتشاره بذلت عدة محاولات لترجمته الى العربية مع إجراء التعديلات الضرورية التي تقتضيها طبيعة المجموعات في المكتبات العربية . ولقد تمت المحاولة الأولى منذ أكثر من ثلاثين عاماً على يد الفيكونت فيليب دي طرازي وذلك في كتابه «إرشاد الأعارب الى تنسيق الكتب في المكتاب» الذي صدر سنة ١٩٤٧ م . ومن بعده تتابعت التعديلات التي عملت في مصر والشام والتي بلغت ما يقرب من عشرة تعديلات .

وقد انضمت التعديلات التي أجرتها جميع الترجمات العربية للخطة على أقسام الدين واللغة والأدب ، وتكاد تتفق جميعها على تخصيص عشرة أرقام في قسم اللغة (٤١٠) للغة العربية وفروعها ، ومثلها في قسم الأدب (٨١٠) للأدب العربي وفنونه . أما بالنسبة للدين الإسلامي فقد سلكت التعديلات سبلاً شتى تتلخص فيما يلي :

أ — تخصيص عشرة أرقام للدين الإسلامي هي ٢١٠ وإبقاء بقية تفريعات شعبة الدين على ما هي عليه . وهذا ما صنعه ترجمة الدكتورين الشنيطي وكابش حتى يكون التعديل في أضيق نطاق . والسبب في ذلك أنها ترجمة لطبعة معتمدة من الخطة هي الطبعة الثامنة المختصرة .

ب — إحلال الدين الإسلامي بفروعه محل المسيحية التي شغلت معظم شعبة الدين عند ديوى . وهذا ما فعله حسن رشاد في تعديله للخطة ، وهو التعديل الذي نشره في كتابه «المكتبة المدرسية الحديثة» و«المكتبات العامة» والذي خصص فيه الأرقام من ٢١٠ الى ٢٦٠ للإسلام ، وأعطى اليهودية ٢٧٠ ، والمسيحية ٢٨٠ والديانات الأخرى ٢٩٠ .

ج — تقسيم شعبة الدين الى عشرة أقسام متساوية يخصص كل منها لدين من الديانات . وهذا ما فعله اللبناني فيليب دي طرازي في تعديله للخطة إذ خصص الأرقام ٢٣

المسيحية ، و٢٤ للإسلام ، و٢٥ لليهودية و٢٦ للبوذية ، و٢٧ للمجوسية ، و٢٨ للصابئة . ولا يخفى أن البدء بالمسيحية ثم الإسلام ثم اليهودية وإن كان يناسب لبنان إلا أنه يناقض التدرج التاريخي من ناحية ، ويناقض حجم الإنتاج الفكري عن هذه الديانات من ناحية أخرى . فلو أخذنا بالتدرج التاريخي لبدأنا باليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام ، ولو أخذنا بحجم الإنتاج الفكري لبدأنا بالإسلام ثم المسيحية ثم اليهودية ، ولكنها نظرة مسيحية متعصبة .

وكأنما أراد دي طرازي أن يبنى عن نفسه هذا التعصب فساوى بين الديانات المساوية والمعتقدات الدينية الأخرى كالبوذية واليهودية والصابئة وفي ذلك خطأ كبير لأن هذه المذاهب لا ترفع إلى مصاف الديانات السماوية ، فضلا عن أن الإنتاج الفكري عنها لا يمثل شيئا ذا بال إذا قيس بما يكتب عن الإسلام أو غيره من رسائل السماء .

وعلى الرغم من أن التعريب الذي قام به الدكتور محمود الشنيطي والدكتور أحمد كاش هو أفضل التعريبات وأكثرها استخداما في المكتبات العربية ، ربما لأنه ترجمة لطبعة معتمدة من الخطة هي مختصر الطبعة السادسة عشرة ، وربما لأن القارئ به على أعلى مستوى من التخصص الأكاديمي والمهني ، ولأن كلا منها يكمل صاحبه ، فأولها ثقافته عربية إسلامية والآخر ثقافته علمية . أقول : على الرغم من ذلك فإن هذه الترجمة لم تسلم من العيوب فهي ترجمة لطبعة مختصرة ومن ثم لا تفي بحاجات المكتبات الكبيرة . وهي تفقر إلى كشاف يساعد المصنفين وخاصة المبتدئين منهم على استخدام الخطة^(١) ثم إنها خصصت للإسلام عشرة أرقام فقط في مقابل سبعين رقما للمسيحية وهو أمر تعاني منه المكتبات وخاصة تلك التي تزخر بكنوز التراث الإسلامي فتضطر إلى تكديسه في مساحة ضيقة بينما تحظى المسيحية بمساحة واسعة من الخطة فلما تجد في مكتباتنا ما يشغلها .

ومعنى هذا أن تلك الترجمة المعدلة وإن كانت أوسع الترجحات انتشارا في المكتبات العربية إلا أنها تقيد حركة المكتبات الكبيرة والمكتبات المعنية بالدراسات العربية والإسلامية . ولهذا كانت الحاجة ملحة إلى توسيعها وتطويرها ، وهو عمل ضخم يحتاج إلى كثير من الجهد والوقت . ومن ثم ظل المكتبيون العرب سنين طوالا لا يجدون أمامهم أفضل من هذه الترجمة رغم عيوبها ، حتى إذا كان العام الماضي طلعت علينا جامعة الملك عبد العزيز بمجدة بعمل عملاق يقع في أكثر من ألف ومائة صفحة ، وهو ترجمة الطبعة الثامنة عشرة من الخطة بكاملها ، مع إجراء تعديلات أساسية في مجالات الدين واللغة والأدب . ففي شعبة الدين خصص ستون رقما للدين الإسلامي (من ٢١٠ إلى ٢٦٩) وعشرون رقما للدين المسيحي (من ٢٧٠ إلى ٢٨٩) وعشرة أرقام للديانات الأخرى (هي ٢٩٠ — ٢٩٩) .

وقد قسمت الأرقام المخصصة للإسلام على ست مجالات رئيسية لكل منها عشرة أرقام وخصصت الأرقام العشرة الأولى (٢١٠ — ٢١٩) للموضوعات العامة في الإسلام ، والأرقام العشرة التالية للقرآن الكريم وعلومه ، ثم عشرة أرقام للحديث الشريف وعلومه ، يليها عشرة

أخرى للتوحيد وأصول الدين والمذاهب الكلامية والسياسة ، وعشرة للفقه والمذاهب الفقهية والفناتوى والنظم الإسلامية ، والعشرة الأخيرة (٢٦٠ — ٢٦٩) للتصوف . وخصص الرقم ٢١٧ للدعوات السلفية كالدعوة الوهابية (٢١٧،٢) والسنوسية (٢١٧،٣) والمهندية (٢١٧،٤) والإخوان المسلمين (٢١٧،٦) ، كما خصص الرقم ٢١٩ لقضايا الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي كقضية تحديد النسل والحجاب والسفور والبنوك والتأمين والتعليم المختلط . أما نظام الاقتصاد الإسلامي فقد وضع في (٢٥٧،٣) .

وفي شعبة اللغات خصصت الأرقام ٤١٠ — ٤١٩ للغة العربية ، واستغل الرقم ٤١٤ الذي تركته الطبعة الثامنة عشرة من الخطة خاليا ، فشغل بعلوم البلاغة العربية (المعاني والبيان والبدیع) واستحدثت أرقام تصنيف خاصة بالترجمة والمترجمين منذ العصر الأموي حتى العصر الحديث (٤١٨،٠٢) وتفرعاتها .

وفي شعبة الآداب خصصت الأرقام من ٨١٠ الى ٨١٩ للأدب العربي مع التفصيل الشديد في تفريعه . فإلى جانب التقسيم بالشكل الأدبي (من شعر وقصص ومقالات .. الخ) والتقسيم بالعصور الأدبية (جاهلي ، إسلامي ، أموي، عباسي ...) ، قسم الأدب العربي أيضا حسب المدارس الأدبية من واقعية ومثالية ورومانسية ورمزية (٨٠١ ، ٨١٠ وتفرعاتها) وحسب فترات العمر والنوع أو الجنس ، فجعل الرقم ٩٠٩،٢٨ — ٨١٠ لتاريخ الأدب العربي وبقده للأطفال أو الشباب أو الشيوخ أو الرجال أو النساء . بل إن الشكل الأدبي الواحد قد قسم تقسيمات جديدة كتقسيم الشعر في ٨١١،٠١ — ٨١١،٠٩ بحسب موضوعاته وبحسب الأوطان التي قيل فيها ، وكتقسيم المسرحيات في ٨١٢،٠٤ الى مسرحيات ذات فصل واحد ومسرحيات ذات فصلين ومسرحيات متعددة الفصول ، وتقسيمها في ٨١٢،٠٥ الى تراجميدية وكوميديية وغنائية ، وتقسيمها في ٨١٢،٠٢ ، ٨١٢،٠٣ الى تمثيليات إذاعية وتلفزيونية وفيلمية .

وليست هذه هي كل التعديلات التي أجريت على تلك الطبعة في صورتها المعربة . وإنما هناك تعديلات أخرى أقل خطرا نذكر منها تخصيص رقم للفنون الإسلامية (٧٠٩،١) والتوسع في تاريخ الدولة الإسلامية واستحداث بعض الأرقام مثل ٩٥٣،١ للمملكة العربية السعودية بدلا من ٩٥٣،٨ ، وتقسيم كل دولة عربية حسب الأحداث التي مرت بها ، ففي تاريخ المملكة العربية السعودية تأخذ الدولة السعودية الأولى الرقم ١٠١ ، ٩٥٣ . وتأخذ عصر الملك فيصل ١٠٧ ، ٩٥٣ ، وفي تاريخ مصر تأخذ الوحدة مع سوريا وتكوين الجمهورية العربية المتحدة رقم ٠٦٤ ، ٩٦٢ . وتأخذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ (رمضان ١٣٩٣ هـ) رقم ٩٦٢ ، ٠٧٤ .

والى جانب استحداث أرقام للفترات التاريخية ، استحدثت أرقام للمناطق والمدن في كل دولة عربية ، فكرة المكرمة — مثلا — تأخذ ١٢١ ، ٩٥٣ والمدنية النورة تأخذ ١٢٢ ، ٩٥٣ والقاهرة تأخذ ٩٦٢،١٦ .

ومن التعديلات التي أدخلتها هذه الترجمة أيضا التوسع في تراجم رجال الدين الإسلامي الذين احتلوا الأرقام ٩٢٢،١ إلى ٩٢٢،٦٩ ، وتغيير بعض الأرقام في قوائم التقسيات الموحدة الملحقة بالخطة لإكسابها الطابع العربي والإسلامي .

ومع أن هذه الطبعة العربية من الخطة لم تسلم من الأخطاء المطبعية إلا أن أهم ما يعاب عليها هو نقص الكشف . ففي عمل ضخم كهذا يصبح وجود الكشف من الأزم الضرورات . وإذا كان نقص الكشف عيبا يؤخذ على كل الترجمات العربية لديوي ، فإن الجهد الكبير الذي بذل في تجرمة هذه الطبعة الضخمة من الخطة حَرَى أن يدفع القائمين عليها لعمل كشف لها إنمائها للفائدة المرجوة منها .

وإذا كانت خطة ديوي لم تسلم من النقد منذ ظهورها من أكثر من مائة عام إلى الآن ، فطبيعي ألا تسلم هذه الترجمة من النقد والتجريح خاصة وأن الجهد الذي بذله الأستاذ قواد اسماعيل بإشراف الدكتور عباس طاشكندى عميد شئون المكيات بجامعة الملك عبد العزيز لم يقتصر على الترجمة وحدها رغم ما فيها من جهد وعناء ، وإنما تجاوز ذلك إلى التعديل في بعض المواضع من الخطة حتى تناسب المكتبة العربية . وطبيعي ألا ترضى هذه التغييرات كل المتخصصين والمكتبيين وأن تلقى بعض الاعتراضات من أولئك وهؤلاء ، فهي قد سعت إلى التفصيل حقاً ولكن ذلك كان على حساب اختصار الرمز وخاصة في مجال الأدب العربي حيث يصل الرمز في كثير من الأحيان إلى سبعة أرقام ويصل في بعضها إلى تسعة أرقام كما هو الحال في رقم مجموعات أدب الأطفال ٢٨٢ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ . وتلك هي للمعادلة الصعبة في التصنيف ، فكلما سينا إلى التفصيل والتخصيص كلما طال الرمز لا محالة .

ولست أنكر أنني اختلفت مع المترجم في بعض التفاصيل حول تفريمات الدين الإسلامي واللغة العربية والأدب العربي وأرقامها ، ولكن هذا الخلاف لا يفسد للودّ قضية — كما يقولون — ولا ينقص من قدر هذا الجهد المحال الذي بذل في الترجمة والتعديل ، وهو جهد يستحق التقدير والعرفان لكل الذين شاركوا فيه .

فإلى كل فكر ساهم في هذا العمل الجليل وكل يد شاركت فيه ، وإلى جامعة الملك عبد العزيز التي تحملت عبء إصداره ، إليهم جميعاً أتقدم بالتحية والتقدير ، ويرجاء أن يتموا الجليل بإصدار كشف للترجمة ييسر استخدامها والاستفادة منها . كما أتوجه إلى جميع المكتبيين يرجاء أن يحرموا تلك الترجمة المستوفاة وأن يسجلوا ملاحظاتهم عليها ويكتبوا بها إلى الذين أصدروها لتكون موضع دراستهم قبل نشرها على نطاق واسع . وأنا واثق أن صدورهم لن تضيق بنقد ، وأن رؤوسهم لن تسكرها نشوة ثناء لأن ما بذلوه من جهد وعرق وما أنفقوه من وقت ومال أكبر من أي نقد أو ثناء .

٥ . عهد الأستاذ الحلوجي

(١) صدرت بعض كشافات للترجمة العربية لديوي ، ولكنها لا تقدم هذه الترجمة كثيراً . وقد أصدرت جامعة الكويت كشافاً أعده عبد الجيد الحميد هذه الترجمة بعد أن أجرت فيها مراقبة للمكتبات كثيراً من التعديلات والإضافات .

الحروف العربية

و

علاقتها
بالحساب

الدكتور سيد حسب الله
معهد الإدارة العامة بالرياض

تمهيد :

هناك حقيقة واضحة يجب أن يعيها مجتمع مستخدمي « الحسّابات » :
« هذه الحقيقة هي أن « التجهيزات المادية » :
للحسّابات صنعت أساساً لخدمة مجتمعات غير عربية اللغة . ومن منطلق ضرورة
استخدام هذه التجهيزات كمصدر أساسي في عمليات التنمية الشاملة التي تم الوطن
العربي ، كان الاهتمام الذي توليه بعض الهيئات في البلاد العربية لتطويع تلك
التجهيزات بما يتلاءم ومعطيات الهجائية العربية ، أو تطويع الهجائية العربية بما يتلاءم
ومتطلبات تلك التجهيزات .

ومن هنا كان الاهتمام بقضية الحروف العربية وعلاقتها بالحسّاب . وأود أن أنه في بداية
المقال إلى أنني لا أبحث في حل نهائي لتلك القضية ، ولا في إيجاد مجموعة معيارية للتمثيلات
العربية ، سواء كان ذلك بتطويع هذه الحروف لمتطلبات الحسّاب ، أو كانت بتطويع الحسّاب
لمتطلبات الحروف العربية . إننا هدف هذا المقال هو إثارة الموضوع والتنبيه إلى أهميته لدى
المهتمين به سواء كانوا من علماء اللغة العربية أو من خبراء الحسّابات ليتكاتفوا للوصول إلى حل
نهائي ، أو حلول مرحلية تؤدي إلى حل نهائي بالنسبة لهذه القضية .

كامل يهدف المقال إلى بيان الجهود التي بُذلت في هذه القضية حتى الآن ، سواء كانت
جهوداً محلية في كل دولة عربية على حدة . أو جهوداً إقليمية عربية ، أو جهوداً عالمية ، وهذا
لا يمنع — بطبيعة الحال — من الإدلاء بالرأي إسهاماً في حل هذه القضية التي يود كل عالٍ
في مجال الحسّابات أن يرى لها حلاً سريعاً .

وقضية الحروف العربية تُمثّل تحدياً كبيراً لكل الأطراف الموجودة في استخدام الحسّابات
بالعالم العربي ، سواء الشركات المنتجة للحسّابات نفسها وما يتبعها من أجهزة اتصال
وطباعة ، أو واضعو النظم ومنشئو اللغات والمبرمجون ، أو علماء اللغة العربية والمتخصصون
فيها ، أو المستفيدون العرب من إمكانات الحسّابات كرجال التوثيق والبيولوجيا — بصفة
خاصة — ممن تتعلّق مشكلاتهم في بيانات مكونة من الحروف والكلمات في أكثر الأحيان .

ولا شك أن جهود تلك الأطراف ، كي تؤدي ثمارها المطلوبة ، يجب أن تتم وفقاً لأسلوب
متفق عليه ، أو سياسة مرسومة لعملية التطوير . والحادث حالياً هو أن التطوير والتطبيقات
والتقنيات ، على مستوى الدول العربية كل على حدة ، وعلى مستوى العالم العربي ككل ،
يتم بطريقة متفرقة لا يربطها رابط . وإذا لم تستطع كل الدول العربية مجتمعة أن تضع سياسة
واعية وسليمة للتطوير ، فإننا — كمرب — سنُحرم من الكثير من المزايا التي يمكن تحقيقها
من تكنولوجيا الحسّابات .

ماهية القضية :

تمثل المشكلة الأساسية في قضية الحروف العربية وعلاقتها بالحسابات ، في افتقاد المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية الملائمة ، التي تلقى مستوى القبول القومي الواسع من جانب المستخدمين ، ومن ثمَّ يمكن أن يُقبل عليها مصممو التكنولوجيات الحديثة بما فيها الحسابات والطابعات السطرية والآلات الكهربية وغيرها ، مما يمكنها من التعامل بكفاءة مع الأعمال والنصوص العربية . والحقيقة أن عقبة التمثيلات العربية المعيارية عامة بالنسبة لكل التطبيقات التكنولوجية الحديثة التي تتعامل مع النصوص بطريقة أو بأخرى ، أداها الآلة الكاتبة اليدوية ، وأعلاها الحساب الإلكتروني .

واللغة العربية — كما هو معروف — لها بعض الملامح والمحددات الخاصة بها ، والتي قد تشترك في بعضها مع غيرها من اللغات . من هذه الملامح والمحددات أن عدد الحروف العربية الأساسية هو (٢٨) حرفاً ، إلا أن الكتابة العربية في صورها المعروفة ، تحتاج إلى أضعاف هذا العدد بسبب تعدد شكل الحرف الواحد عند استخدامه في الكتاب ، أو الطباعة التقليدية ، أو في مدخلات ومخرجات الحسابات ، وذلك حسب موقعه من الكلمة ، وحسب ارتباطه سابق أو لاحق .^(١)

كما أن اللغة العربية العربية تكتب من اليمين إلى اليسار بالنسبة إلى الحروف ، إلا أنه بالنسبة للأرقام ، تكتب من اليسار إلى اليمين ، وهذا يتطلب تطويعاً «للتجهيزات المادية والتهيزات التنظيمية : » الخاصة بالحساب . وهناك مشكلة التشكيل الذي قد تحتاج إليه لفهم بعض النصوص في اللغة العربية .

وهناك العدد الضخم من الأشكال الجملية والفنية للحروف ، بالإضافة إلى اختلاف مستوياتها الطباعة . وإذا أُضيف إلى كل ذلك أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم مما يدعو المهتمين بالعلوم الدينية ، والعلوم اللغوية إلى التمسك بصور الحروف وعلامات التشكيل ... لانضمت ملامح ومحددات هذه اللغة التي تحتاج للجهود ابتائها لدراسة قضيتها مع الحسابات . وبصفة خاصة عند إعداد المجموعة المعيارية للتمثيلات الخاصة بها .

فما هي الجهود التي بذلت لاعداد مثل هذه المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية التي تتلاءم مع الملامح والمحددات الخاصة باللغة العربية ؟ والتي يمكن أن تلقى القبول القومي الواسع من جانب المستخدمين العرب ؟ لقد بذلت جهود على مستوى الدول العربية منفردة ، وبذلت جهود على مستوى دول عربية مجتمعة ، وبذلك جهود دولية أعوزها المال لأكملها . إلا أن القضية ما زالت في حاجة إلى تحريك من حالة الجمود التي تعيشها من طول الإبطاء في مواجهتها بتقديم الحلول السليمة ، مما سأعرض له بعد استعراض تلك الجهود التي بذلت بمختلف مستوياتها .

الجهود التي بذلت لمعالجة المشكلة : جهود منفردة في بعض الدول العربية :

كانت بعض الجهود المتناثرة في البلاد العربية لايجاد مجموعة معيارية للتمثيلات العربية . وكان ذلك في معظم الأحوال بمعونة بعض الشركات المهتمة بإنتاج التجهيزات المادية التي تتلاءم مع الحروف العربية ، والتي كان جل اهتمامها منصبا على تسويق تجهيزاتها المادية للدول العربية ، اكثر من اهتمامها بدراسة القضية دراسة علمية متأنية . وقد نتج عن ذلك فوضى وتضارب في أشكال الحروف العربية ، حتى وصل الأمر الى أن بعض الشركات الصانعة كانت تستخدم اكثر من تقنين واحد ، مما لا يُمكن من تداول البيانات المعدة على اكثر من حساب . ثم ذلك في غيبة قواعد وطنية أو قومية تحكم أو تقنين هذه النوعية الجديدة من الدراسات .

ومن هذه الجهود ، تلك التي قامت بها شركتنا « في الستينات والسبعينات لتطوير أشكال الحروف العربية الموجودة في الطابعات السطرية ، وفي مفاتيح آلات التثقيب . إلا أن هذه الجهود — كما سبق قوله — لم تكن مقننة أو موحدة على مستوى الدولة العربية ، بل ولا على مستوى جميع مستخدمي النظام الواحد من التجهيزات المادية . فقد كانت تلك الشركات تعتمد — بالدرجة الأولى — على طلبات العميل وشرائه للتجهيزات المادية أو أجزائها التي يحتاج إليها .

ولعل أول الجهود الفردية التي قامت في الدول العربية ، تلك التي تمت في مصر ، حين دخل أول حساب في معهد التخطيط القومي عام ١٩٦٢ م ، حيث بدأ التفكير وقتها في امكانية تمثيل كافة الحروف العربية بجانب الحروف الرومانية . وكان ذلك بالاكتفاء بشكل واحد لكل حرف عربي . وقد بذلت محاولات أخرى في عام ١٩٦٩ م ، كانت تستهدف توفير تقنيات « شفرات » ثنائية خاصة للحروف والأرقام العربية ، ومنفصلة تماماً عن التقنيات الخاصة بالحروف والأرقام الرومانية . وكان ذلك على الحسابات من الجيل الثالث التي تتميز بقدرتها على تمثيل (٢٥٦) شكلاً مختلفاً . يعكس الجيل الذي يسبقه ، فقد كانت قدرته لا تتعدى (٦٤) شكلاً (٣) .

ولقد كان مشروع « الفهرس المنوي » لدار الكتب القومية بالقاهرة ، وما يزال من أهم الأعمال التي يتم إعدادها في مصر باستخدام الحساب ، ليس فقط لفخامة المشروع ، أو لأهمية المكتبات التي يبحر بها ، ولكن أيضا بسبب أنه اكبر المشروعات حتى الآن . وترجع أهميته هذا المشروع الى أن جميع الصعوبات والعقبات والملازم والمحددات بالتطبيقات العربية متمثلة فيه . الا ان هذا المشروع لم يعظ بالتقارير المرحلية الكافية ، أو الدراسات العامة التي تستطيع أن تتحول به إلى تجربة تمد المشروعات الأخرى في الحاضر والمستقبل بمحصلة نادرة في قضية الحروف العربية وعلاقتها بالتحسيب . (٣) .

أما في العراق، فقد جاءت أول دعوة لتغيير رموز الأحرف العربية في عام ١٩٧٠ م ، وذلك في مؤتمر علمي لجمعية المهندسين العراقية .^(٤) تلاه المركز القومي للحاسبات الالكترونية بمحاولات مختلفة عن طريق لجان متخصصة للوصول الى مجموعة معيارية للتمثيلات العربية ، وكان ذلك في عام ١٩٧٣ م توصلت هذه اللجان الى اقتراح تبين فيما بعد أنه لم يكن كاملاً أو واقعياً بالغرض المطلوب .^(٥) وفي يونيو من عام ١٩٧٦ م ، انعقدت اللجنة العربية التحضيرية لندوة المكتب الدولي للمعلومات في بترت بتونس ، حيث تم نوع من التعاون بين العراق والمغرب لاقتراح مجموعة معيارية للتمثيلات العربية .^(٦)

وقد تعاقبت وزارة الصناعة والمعادن العراقية في عام ١٩٧٦ م مع إحدى الشركات المتخصصة في تصميم وصنع التجهيزات المادية لصنع (٢١) حساباً الكترونياً صغيراً لاستخدامها في المنشآت التابعة للوزارة في مختلف محافظات الجمهورية العراقية . وقد اشترط التعاقد على أن تقوم الشركة المجهزة ، وبالتعاون مع وزارة الصناعة والمعادن ، بتصنيع أجهزة ادخال واخراج بيانات ، وبالأخص المنافذ والطابعات السطرية ، بحيث تستخدم فيها اللغتان العربية والانجليزية بهجائيتها العربية والرومانية في آن واحد . مستخدمة في ذلك المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية التي تم اقتراحها من قبل العراق والمغرب .

إن التعاون الذي قام بين العراق والمغرب — في هذا المجال — يقودنا إلى الحديث عن الجهود التي يقوم بها المغرب متمثلة في اهتمامات الأستاذ أحمد الأخضر غزال ، مدير معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في جامعة الملك محمد الخامس بالرباط ، إذ أصدر دراسة عصرية شاملة بعنوان «العربية المعيارية المشكولة ، الشفرة العربية الموحدة» . وتتكون هذه المحاولة الناضجة من عدة أقسام وفصول لتغطية كل المعالجات الآلية للهجائية العربية ، في الآلة الكاتبة ، وفي الطباعة ، وفي الارسالات البرقية أو التلفازية .

ولعل من أحدث التطورات في المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية التي وضعها الأستاذ/غزال ، هو ما أعلن في أغسطس عام ١٩٧٨ م من أن خدمة توثيق الفضاء «فضائقي : » التابعة لوكالة الفضاء الأوروبية «وفائية : » قد قامت بتصميم إحدى التكنولوجيات الجديدة في مجال المنافذ : ، حيث يمكن للمنفذ الجديد أن يعرض جنباً الى جنب على نفس الشاشة نصين مكتوبين بهجائيتين مختلفتين .

ورأت «وفائية» أن تبدأ في تنفيذ هذا التصميم ، فطلبت الى إحدى الشركات الإيطالية المتخصصة في هذا المجال أن تطبق هذا النظام للمرة الأولى بين الهجائية العربية والهجائية الرومانية . واختارت المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية التي وضعها الأستاذ/غزال ، لكن تدخل ضمن هذا النظام المتقدم في العرض الالكتروني . وسيتم إنتاج المجموعة الأولى من هذه المنافذ المزودة خلال عام ١٩٧٩ م^(٧) .

لم يقتصر الأمر على الجهود التي بذلتها مصر والعراق والمغرب ، بل هناك دول عربية أخرى شاركت بجهودها في محاولات لحل قضية الحروف العربية وإن لم تصل تلك المحاولات الى إيجاد مجموعة معيارية لها ، إلا أنها تعتبر مؤشراً لاهتمام تلك الدول بالقضية وأبعادها .

فمن بعض الحسابات الالكترونية التي تعمل في المملكة العربية السعودية ، وتحتوي على طابعات سطرية من طراز « جرت محاولات لتطويرها وتعديلها ، بحيث أصبح في امكانها طباعة (٤٠) شكلاً مختلفاً للحروف العربية ، بالإضافة إلى عشرة أرقام ، وخمس علامات ترقيم ، إلا أن هذه الطابعات السطرية لا تسمح بطباعة علامات التشكيل ، ولم يتناولها أحد بالبحث (٨) .

تمثلت جهود المملكة العربية السعودية أيضاً في ندوات ومؤتمرات علمية تعقدتها للتنبيه بأهمية هذا الموضوع . كان آخرها المؤتمر الذي عقدته جامعة البترول والمعادن بالظهران في فبراير ١٩٧٩ م . قدمت فيه بحوثاً تناولت هذا الموضوع لابرار أهميته بالنسبة للهجائية واللغة العربية . (٩)

جهود اقليمية عربية :

لعل أبرز الجهود الاقليمية العربية — في هذا المجال — هي الجهود التي قامت وتقوم بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التابعة لجامعة الدول العربية . فقد نبّهت الأذهان في جميع الدول العربية بأهمية الموضوع ، حين عقدت الحلقة الأولى لاستخدام الحساب الالكتروني في الأعمال البليوجرافية بالوطن العربي في الخرطوم ، وكان في ديسمبر عام ١٩٧٥ م . إذ وضعت تلك الحلقة الأساس للموضوع كله ، وذلك بما تضمنته من تحديد الأبعاد والقضايا والمسائل وبما وصلت إليه من التوصيات المحددة ، سواء منها ما تتحمل مسئوليته البلاد العربية نفسها ، أو ما تتحمله المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وما يهتما من توصيات حلقة الخرطوم — بالنسبة الى هذا المقال ، هو ما خرجت به من توصية عن الدور الذي ينبغي أن تقوم به المنظمة بالنسبة لتنسيق الجهود لتطويع الخط العربي واللغة العربية لمتطلبات المعالجة الآلية بعامة ، والالكترونية بخاصة . وإن كانت المنظمة قد قصرت — الى حد ما — في تنفيذ هذه التوصية ، إلا أن جهود الدول منفردة كالمغرب قد عوضت هذا التقصير الى حد ما .

وقضية الحروف العربية مع الحساب ستبقى كذلك بدون حل نهائي ، ربما لعدة سنوات أخرى . وما زالت المشكلة في مركز الاهتمام بالمنظمة ، مما دعاها الى الدعوة للحلقة الثانية لاستخدام الحساب الالكتروني في الأعمال البليوجرافية بالوطن العربي ، وستعقد هذه الحلقة بالرياض في أواخر عام ١٩٧٩ م . ومع أن القضية لا تخص الاستخدام البليوجرافي

لحسابات وحده ، إلا أن الحلول النهائية او المؤقتة لهذه المشكلة ستلعب دوراً كبيراً في تذليل كثير من الصعوبات أمام الاستخدام البليوجرافي .

ولعل من أقوى مساهمات المنظمة في حل هذه المشكلة هو أنها قررت الدخول في قلب المشكلة بطريقة عملية ومثمرة معا . وذلك في شكل مشروعات لتحسب بعض الأعمال البليوجرافية بطريقة عملية ومثمرة معا . وذلك في شكل مشروعات لتحسب بعض الأعمال البليوجرافية التي بدأتها بالشكل التقليدي ، مثل « النشرة العربية للمطبوعات » ، ومثل « القائمة الموحدة لمداخل الأسماء العربية » . ومن الطبيعي أن هذه المشروعات ستواجه التحدي الرئيس ، بجوار تحديات أخرى ، وهو افتقاد المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية الملائمة . إن الدخول في قلب المعركة بهذه الصورة سيدعو المنظمة الى التعاون مع كل الهيئات المتخصصة العالمية والوطنية لدراسة هذا التحدي ، وإيجاد الحلول الدائمة أو المرحلية له .

وفي هذا المجال حظيت « النشرة العربية للمطبوعات » بدراسة استطلاعية خاصة قامت بها المنظمة للتعرف المبدي على الحاجات الواقعة والمتوقعة ، التي يمكن أن تدعو الى استخدام الحساب في هذه الأداة البليوجرافية القومية ، وعلى الجهود والتكاليف التي ستبذل في هذا المشروع لومح تنفيذه ، وذلك في ضوء المتطلبات الفنية وفي مقدمتها المكونات المادية والتنظيمية الكفيلة بتحقيق الأهداف والأغراض التي تستجيب لتلك الحاجات .

كما تم إعداد المداخل المعيارية لـ « القائمة الموحدة لمداخل الاسماء العربية » ، حيث تم ذلك بالنسبة لحوالي عشرة آلاف اسم عربي من المؤلفين وغيرهم ، مع الاحالات اللازمة لها بمتوسط ثلاث احالات لكل اسم . والأمل أن تواصل المنظمة مسيرتها في تلك المشروعات التي ستضعها وجهاً لوجه أمام تحديات مشكلات الحروف العربية مع الحسابات ، مما يدعوها الى الوصول الى حلول مرحلية لها ، ثم في النهاية الوصول الى حلول دائمة .

جهود عالمية :

ويقصد بالجهود العالمية تلك الجهود التي تتم على مستوى فردي أو مستوى جماعي في مؤسسات بليوجرافية تهتم بقضية الحرف العربي خارج الوطن العربي . والحقيقة أن هناك شركات وشخصيات كثيرة في الخارج تحرص على تنمية مجموعة معيارية للتمثيلات العربية للاستخدام في المعالجة الآلية سواء بالحسابات أو بغيرها من أدوات التكنولوجيا الحديثة .

ومن أوائل هذه الجهود تلك التي قام بها الدكتور «بير مكاي» :
الاستاذ بقسم الآداب القديمة وقسم لغات الشرق الأدنى وآدابه ، بجامعة واشنطن في مدينة سياتل بالولايات المتحدة الأمريكية . إذ بدأ بمشروع متواضع في أوائل السبعينات ، يهدف الى استخدام الحساب في طباعة الكتب العربية ، والكتب التي تستخدم الهجائية العربية كالفارسية ، والأردية . وقد تطور هذا المشروع في السنوات الأخيرة ، واكتسب شهرة واسعة بين المتخصصين في هذا الميدان .

وأهداف مشروع مكاي تتركز في الوقت الحاضر على : (١١)
أ— إنشاء جدول شامل للتمثيلات العربية المقتنة الكترونياً في طراز (٧ حبة :) طبقاً
للمعايير المنظمة الدولية للقياس ، ولغيرها من المعايير الدولية في معالجة المعلومات .

ب — تصميم مجموعة من التمثيلات بالخط غير الروماني ، لتظهر على منفذ من فئة أنبوبة
أشعة كاثود متوسط النسخ .

ج — إعداد برنامج للحساب من أجل تجهيز النصوص متعددة الهجائيات للطباعة .

د — إعداد برنامج آخر لاستخدام الحساب في عملية الجمع التصوري :
السريع بدلاً من الجمع للمعدني البارد أو الساخن

وفي أوروبا قديم « روبرت جابريل : » الذي يعمل في مكتبة ألبرت
الأول ، وهي المكتبة القومية بلجيكا في بروكسل — قدم دراسة قصيرة في شكل مشروع
بتعنوان « مجموعة التمثيلات للهجائية العربية » إلى « جماعة العمل لمجموعات التمثيلات :
» في اللجنة الفنية (٤٦) ، وهي إحدى اللجان الفنية
في المنظمة الدولية للقياس . وتتكون هذه المحاولة من عدة فقرات عن خصائص الهجائية
العربية ، وعن التقنين الإلكتروني للملائم لتهيئتها ، ثم الجدول المقترح لهذا التقنين .

وفي أوروبا أيضاً ، وبالتحديد في جامعة السوربون بفرنسا ، تجري محاولة أخرى على يدي
باكستاني هو الأستاذ سيد صلاح الدين حيدر ، إذ قام بتصميم آلة طباعة بها جهاز إختبار
مهمته تأجيل طباعة الحرف حتى يتعرف الجهاز على الحرف الذي يليه ، وبالتالي يعرف شكل
طباعته . وقد تمكن من تحديد (٣٥) شكلاً مختلفاً ، من الممكن أن تغطي معظم أشكال
الحروف العربية مع استخدام النقط والأقواس والخطوط المستقيمة فيما بينها لرسم شكل الحرف
المطلوب . (١١)

إلا أن أهم المحاولات التي يجب على العرب أن ينموا بالتعاون مع المؤسسة التي قامت
بها ، هي المحاولة التي قامت بها مكتبة الكونغرس ، إذ قطعت مرحلة كبيرة في دراسة هذا
الموضوع ، وذلك من أجل تجهيز مجموعة تمثيلات عربية لاستخدامها في مرصدها المشهور
(القهرة المقروءة أليسا « من إلتساج مكتبة الكونغرس » ، لها :

) ولكنها لأسباب مالية ، ولضغوطات الوقت والأولويات في هذا الميدان
الواسع ، قررت أخيراً أن تختزن التسجيلات البيولوجرافية بالهجائية الرومانية . وفي هذا
القرار — كما سيتضح فيما بعد — خسارة كبيرة لمكتبة الكونغرس نفسها ، وللمؤسسات
البيولوجرافية العربية المهتمة بهذا الموضوع .

وحينما قررت مكتبة الكونغرس أن يكون الاختزان في مرصدها « لها » بالهجائية الرومانية
لكل الأعمال ، باستثناء الأعمال اليابانية والكورية والصينية — كانت حجتها في ذلك أن
المكتبة لا تضمن الوقت ولا التمويل اللازمين لأعداد المكونات والتجهيزات المادية والتنظيمية ،

التي تعالج بطاقات الفهرسة بالهجائيات الأخرى غير الهجائية الرومانية . بحيث تتلام مع النظم والمخترنات السابقة في مرصدها «فا» ، وبحيث يتم ذلك عند الوقت الذي حددته للانتهاء من هذا المشروع .

إن هذا القرار من جانب الكونجرس ، يمثل خسارة كبيرة بالنسبة لاستخدام الحسابات في أعمال الفهارس والبيبلوجرافيات بالوطن العربي . فلو أن مكتبة الكونجرس قد استنت اللغة العربية مع تلك اللغات الثلاثة السابقة ، وأعدت المكونات المادية والتنظيمية اللازمة لاختزان بطاقات واستخدامها في البلاد العربية ، على أساس من التعاون وتبادل الخبرات بين الجانبين .^(١٢)

والحقيقة أن مكتبة الكونجرس كانت وما زالت تفضل أن يتم الاختزان لكل بطاقة فهرسة بهجائيتها بدون رونق ، وذلك لو ضمنت التحويل الضروري بالنسبة للهجائية العربية خلال العامين ١٩٧٩ — ١٩٨٠ ، مما يعطي فرصة للمؤسسات المهتمة بهذا المشروع في العالم العربي

أن تتعاون مع مكتبة الكونجرس باعتبارها مؤسسة لا تهدف إلى الربح المادي كبقية الشركات الصناعية للمكونات المادية ، وباعتبارها أكبر المؤسسات البيبلوجرافية في العالم ، مما يدعوها أن تولى الاختزان البيبلوجرافي بمختلف هجائياته أهمية بالغة .

ومما هو جدير بالتنويه ، أنه لو كان موجوداً مجموعة معيارية ملائمة للتمثيلات العربية مع تكويناتها المادية والتنظيمية ، لما لجأ المسؤولون عن تحصيل الفهرس الموحد للمؤلفات العربية بأمريكا إلى الاكتفاء باستخدام الهجائية الرومانية في تحصيله . وهذا المشروع بعد أعظم عمل حتى الآن بالنسبة لمعالجة البيانات البيبلوجرافية للكتب العربية ، وذلك بغض النظر عن استخدام الهجائية الرومانية في تحصيله .^(١٣)

الحل المنطقي :

بعد أن وضعنا يدينا على مشكلة الحروف العربية وعلاقتها بالتحصيل في العربية ، لا أود أن ينتهي هذا المقال دون أن نبدي رأياً نراه منطقياً بعد أن تم استعراض تلك الجهود التي بُذلت ، سواء كانت جهوداً من قبل الدول العربية منفردة ، كل دولة تقوم بمجهود خاص في هذا الموضوع من طريق خبرائها ، أو عن طريق الشركات المنتجة لتجهيزاتها المادية ، أو كانت جهوداً من قبل الدول العربية مجتمعة متمثلة في المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أو كانت جهوداً دولية من قبل أفراد أو مؤسسات لها إهتمامات بالحروف العربية وقضاياها مع الحساب — بعد كل ذلك نرى أن تلك الجهود مجرد محاولات لم تصل بعد إلى حل نهائي للقضية ، أو حتى إلى حل مرحلي يتبعه حلول مرحلية أخرى تمهيداً للوصول إلى الحل النهائي .

والحقيقة أن عقبة التمثيلات العربية المعيارية — التي تعتبر لب قضية التحصيل في العربية — تعتبر عامة بالنسبة لكل التطبيقات التكنولوجية الحديثة التي تتعامل مع النصوص

العربية بطريقة أو بأخرى في أعمال الفهارس والبيبلوجرافيات وفي غيرها من الأعمال على حد سواء . ومن هنا كان من الضروري للبيبلوجرافيين والالكترونيين العرب أن يقوموا من جانبهم بخطوة لتحريك هذه القضية التي تكاد تتجمد من طول الابطاء في مواجهتها بتقديم الحلول السليمة ، وذلك كما سبق قوله .

وأرى أنه يقع عبء كبير — في هذا المجال — على المنظمة العربية للترية والثقافة والعلوم ، إذ أنها المؤسسة الوحيدة في العالم العربي التي يمكننا التحدث باسم البيبلوجرافيين والالكترونيين العرب بصفة خاصة ، والمثقفين العرب ممن تهتمهم تلك القضية بصفة عامة . وهي المؤسسة التي يمكنها التفاوض مع الشركات المصنعة والصناعة للتجهيزات المادية ، التي يمكننا صناعة التجهيزات التي تتفق ومتطلبات التمثيلات العربية التي يجب أن يتفق بشأنها مسبقاً ، خاصة وأن شركات التجهيزات المادية كانت وما زالت تستغل عدم وجود أي اتفاق في الرأي حول عدد وأشكال التمثيلات العربية لاقتراح تمثيلات فجة غير مدروسة بقصد ارضاء العميل الذي سيشتري تجهيزاتها .

وأرشح في هذا المجال مكتبة الكونجرس كي تتعاون معها المنظمة العربية للترية والثقافة والعلوم . إن مكتبة الكونجرس وهي الحريصة على إيجاد مثل هذه المجموعة المياريّة الملائمة للتمثيلات العربية كي تستخدمها في اختزان بطاقات الفهرسة الخاصة بالأوعية المكتوبة باللغة العربية وبهجائية عربية — ليسعدنا أن يتم ذلك ، لوضمنت التمويل الضروري لها .^(١٤)

وهنا يجب أن تأتي المبادرة من المنظمة ، وذلك بالاتصال الهيئات المعنية في العالم العربي والقادرة على التمويل . ومن أهم تلك الهيئات «المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا» بالرياض في المملكة العربية السعودية ، «وجامعة البترول والمعادن» في الظهران بالمملكة العربية السعودية أيضاً . و «معهد الكويت للأبحاث العلمية» في الكويت ... وغيرها كثير من المؤسسات العلمية المهتمة بمثل هذه القضية في الوطن العربي . وأرى أن هذه المؤسسات في حاجة فقط الى تعريف بأهمية وجود مثل هذه المياريّة للمياريّة للتمثيلات العربية الملائمة للعمل والمقبولة على مستوى المستفيدين ، وإلى أهمية وجود تجهيزات ومكونات مادية ملائمة لهذه المجموعة المياريّة ، ومصنّعة ومصنّعة بأعلى مستويات الكفاءة والأداء ، وإلى أهمية وجود تجهيزات تنظيمية ملائمة لها .

وليس أقدر من مكتبة الكونجرس للتعاون في مثل هذا المشروع ، وليس أقدر من المنظمة العربية للترية والثقافة والعلوم للمبادرة تبحث واقتناع ومناقشة مثل هذه المؤسسات التمويل المشروع . خاصة وأنه سيعقد في نهاية العام الميلادي الحالي الحلقة الثانية لاستخدام الحساب الالكتروني في الأعمال البيبلوجرافية بالوطن العربي ، تحت إشراف المنظمة ،^(١٥) مما يعطيها فرصة لمخاطبة اكبر تجمع للبيبلوجرافيين والالكترونيين العرب عن هذا المشروع وتمويله .

وفي نهاية هذا المقال أود أن أتبه إلى قضية خطيرة ، هي عدم التنادي كثيراً في تطويع الحرف العربي لمتطلبات الحساب ، وذلك حتى لا نبعد كثيراً عن مميزاته تحت تأثير ضرورة

مسايرة اللغة العربية للتبسيط المخطي الذي مرت به اللغات الأخرى ، أو بدعوى اقتصاد أشكال الحروف على شكل واحد لكل حرف . أو أن تطبع المطبوعات العربية بحروف منفصلة لتكون هناك فروق بين حروف الكتابة وحروف الطباعة ، أو أن تلغى أو تختصر علامات التشكيل ، أو ... إلى آخر تلك المقالات التي يطالعا بها بعض المهتمين بتلك القضية ، إذ أن المناسب هو تطويع الآلات والتجهيزات المادية نفسها لتناسب مع متطلبات الحرف العربي . فالآلة يجب أن تكون في خدمة الحرف ، وليس الحرف هو الذي يجب أن يكون في خدمة الآلة .

« أستاذ المكتبات والمعلومات المساعد بمعهد الإدارة العامة — المملكة العربية السعودية .

(١) يقول الأستاذ/جيم آجينود : ، وهو أحد المهتمين بالتقنيات العربية وعلاقتها بالحساب في مكتبة الكونغرس الأمريكية ، في مذكرة رفعها إلى المسؤولين في مكتبة الكونغرس ، لادخال المجانية السريالية عند اختزان بطاقات الإنتاج الفكري الذي يُنتج باللغات التي تكتب بها في المرض البيولوجي الشهير « لها : « الناحية بمكتبة الكونغرس ، أن عدد التمثيلات التي تحتاحها اللغة العربية يبلغ (١٠٢) تمثيلية . انظر تفصيل ذلك في الفقرة الخاصة بجهود مكتبة الكونغرس في قضية الحروف العربية وعلاقتها بالحساب في هذا المقال .

(٢) أنظر تفصيل ذلك في :

عليش ، محمد سمير . معالجة البيانات العربية على الحاسبات الالكترونية . القاهرة ، مركز التنمية الصناعية للدول العربية ، ١٩٧٩ . ص . ١٦ (بحث قدم إلى ندوة اللغة العربية وتكنولوجيا المعلومات في طرابلس بليبيا من ٧ إلى ٩ يناير ١٩٧٩) .

(٣) من أحسن الدراسات عن تجربة دار الكتب القومية بالقاهرة ، رسالة الماجستير الخاصة بهذا المشروع منذ بدايته في أواخر ١٩٦٨ حتى المرحلة التي وصل إليها في أواخر ١٩٧٨ . تفاصيلها في : علي ، أسامة السيد محمود . استخدام الحاسبات الالكترونية في إعداد فهراس المكتبات مع تقييم تجربة دار الكتب والوثائق القومية في إعداد فهرسها المئوي . القاهرة ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٩ (رسالة ماجستير غير منشورة) .

(٤) أنظر تفصيل ذلك في :

الديوه جي ، عبد الآله . تنسيق أعمال الحاسبات في العراق ، وقائع المؤتمر العلمي بجمعية المهندسين العراقية حول مستقبل الحاسبات الالكترونية في العراق . بغداد ، جمعية المهندسين العراقية ، ١٩٧٠ م .

(٥) انظر تفصيل ذلك في :

الديوه جي ، عبد الآله . تقييس الألفبائية والأرقام العربية . بغداد ، المركز القومي للحاسبات الالكترونية ، ١٩٧٥ م . (بحث قدم إلى ندوة الحروف العربي ، عقد بالمركز القومي للحاسبات الالكترونية في بغداد ، كانون الثاني ١٩٧٥ م)

(٦) انظر تفصيل ذلك في :

الديوه جي ، عبد الآله . مقترح معيار الرموز العربية في الاعلامية بغداد ، المركز القومي للحاسبات الالكترونية ، ١٩٧٧ م . (بحث قدم إلى مؤتمر الكمبيوتر الرابع الذي عقد في جده عام ١٩٧٧ م) .

(٧) انظر تفصيل ذلك في :

المجبري ، سعد محمد . الحلقة الثانية لاستخدام الحاسب الالكتروني في الأعمال البيولوجرافية بالوطن العربي — ورقة عمل . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٩ م . (مسودة لورقة العمل للحلقة التي ستعقد في مدينة الرياض من ٢٠ — ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ ، مسودة غير منشورة) .

(٨) انظر تفصيل ذلك في :

(٩) من أهم البحوث في هذا المؤتمر ما تناول قضية الحروف العربية وعلاقتها بالتحسبب وهي :

(١٠) تفاصيل وأهدافه في :

المجريس ، سعد محمد . الحلقة الثانية لاستخدام الحساب الإلكتروني في الأعمال البيولوجرافية بالوطن العربي — ورقة عمل . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٩ . (مسودة الورقة عمل الحلقة التي ستعقد في مدينة الرياض من ٢٠ — ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ م . مسودة غير منشورة) .
(١١) موكور ، محمد عبد الخالق . حول استخدام الحروف العربية في آلات الاتصالات والحاسبات الإلكترونية ، استعراض لبعض الجهود المبذولة في هذا المقام في الدول العربية والخارج . القاهرة ، مركز التنمية الصناعية للدول العربية ، ١٩٧٥ . ص . ١٢ .

(١٢) علمت أثناء كتابه هذا المقال أن مكتبة الكونجرس قد تراجعت عن قرارها هذا . واستنتت اللغة العربية مع اللغات الثلاثة المذكورة سابقاً ، أو على الأقل أجلت عمليات الاختزان بالهجائية الرومانية بالنسبة للكتب العربية حتى يتخذ قرار جديد . انظر في ذلك نشرة أنباء مكتبة الكونجرس رقم « بتاريخ ١٩٧٩/٤/٩ » .

(١٣) يعتبر هذا المشروع من المشروعات الرائدة في الولايات المتحدة الأمريكية . إذ بدأت المكتبات الكبرى في الولايات المتحدة تقني المؤلفات العربية في أعداد محدودة منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ومعها بعض المؤلفات المكتوبة بالهجائية العربية ، كالفارسية والتركية القديمة . وقد بلغ مجموع المقتنيات بتلك اللغات حوالي مائة وخمسين ألف كتاباً ، منها بالعربية وحدها مائة ألف كتاب . ومن هنا نشأت فكرة المشروع الذي بدأ تنفيذه خلال عام ١٩٧٨ م ، وهو مشروع استخدام الحساب الإلكتروني في أعداد فهرس موحد لتلك المقتنيات وربطه بـ «فا» . انظر في ذلك : المجري ، سعد محمد . الحلقة الثانية لاستخدام الحساب الإلكتروني في الأعمال البيولوجرافية بالوطن العربي ، ورقة عمل ... وصدر سابق .

(١٤) خاصة وأنه — كما سبق قوله — أن مكتبة الكونجرس قد أجلت قرارها بأن يكون الاختزان الخاص بالأعمال العربية بالهجائية الرومانية ، ورأت أن يتظر حتى يمكن إيجاد حل مناسب للمجموعة المياريه للتبيلات العربية ، ومن ثم تصميم التجهيزات للمادبة والتنظيمية المناسبة . أنظر في ذلك نشرة أخبار مكتبة الكونجرس رقم « في ١٩٧٩/٤/٩ م ، وملخص تقرير اجتماع رؤساء الأقسام في مكتبة الكونجرس للتعقد في ١٩٧٩/٤/٣ م . (تقرير داخلي رقم « : ١٩٦٩/١٥ » غير منشور) .

(١٥) عقدت هذه الحلقة بالرياض في المملكة العربية السعودية من ٢٠ — ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ م .

تاريخ المسيح

عند العرب

بقلم الأستاذ : مصطفى كمال إبراهيم منصور

الكاتب

تضاربت الآراء حول تاريخ المسرح عند العرب ، بعضها ينكر نشأة المسرح والفن المسرحي في العصور العربية الأولى ، ويؤكد أصحاب هذا الرأي أوزيرعمون أن العرب لم يعرفوا المسرح إلا في القرن التاسع عشر ، حين وفدت إلى مصر الفرق المسرحية مع الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ ميلادية ، وقالوا إن هذا الفن بدأ ينتشر بطلاقة الغربي وقرائه الأجنبي ، وعلى نهجه كان المسرح العربي الخالص . وهم بهذا الرأي الذي لا يرقى إلى مستوى الدقة والدراسة والتحقيق ، وإلى مستوى الأمانة العلمية المتأنية في دراستها وبحثها يتفون أن يكون للعرب تراث مسرحي ، أو أن يكونوا قد عرفوا المسرح في أي عصر من عصورهم التاريخية الأولى .

وبعض هذه الآراء يؤكد أن العرب منذ جاهليتهم الأولى قد عرفوا ألوانا مسرحية عديدة ، أولا تلك المواسم الأدبية التي كانت سمة من سمات موسم الحج . وقد ذاعت هذه المواسم أو الأسواق ومنها : عكاظ وذو المجاز ومحنة ، تلك الأسواق التي كانت تستغرق أسابيع يلقي الشعراء فيها قصائدهم وقصصهم وملاحمهم ، ويحتكون فيها إلى نقاد لنقد هذا الشعر وتبيان قيمته الأدبية ، وكانت هذه القصائد والملاحم تتضمن أفكارا درامية تكاد تكون حوارا تمثيليا لا ينقصه جمهور المشاهدين الذين يأتون من كل فج ليستمعوا إلى هذه القصائد ، وإنما ينقصه فقط بعض القوموات الحديثة للفن المسرحي ، مثل خشبة المسرح والديكورات والإضاءة وتعدد المرتلين ، وكان الشاعر في حد ذاته ممثلا وهو يلقي قصيدته ، وقد يحدث رد من شاعر آخر أو حوار من أحد المشاهدين يحمل الأفكار تتصارع فيما يشبه الحوار الدرامي ، كما كان في هذه الأسواق الأدبية القصص أو المنشد الذي يقلد بصوته أصوات الذين تدور حولهم القصة ...

بعد تلك المقدمة عن نشأة المسرح عند العرب نعود إلى استعراض بعض آراء المنكرين وبعض آراء المؤيدين لوجود هذا الفن منذ العصور العربية الأولى .

آراء بعض المنكرين

« من بين هذه الآراء ما ذهب إليه الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه « قشور ولباب » إذ يقول : لم يعرف العرب الأدب المسرحي بل والقصصي لعدم التفاتهم إلى تميز الشخصيات الفردية بعضها عن بعض ، لأنه لو نشأ الكاتب في جو ثقافي لا يعترف للأفراد بوجود ، ويطمسهم جميعا في كتلة واحدة من الضباب الأدكن ، فلا سبيل إلى تصويره هؤلاء الأفراد يصطرون في مأساة ، والشرق كله في رأيي قد طمس الفرد طمسا ، ولم يترك له مجالا يتنفس فيه ، فهو جزء من القبيلة لا وزن له إلى جانبها ولا قيمة له بالقياس إليها ، ولا كذلك اليونان فالفرد عندهم هو محور التفكير .

• ويقول عباس محمود العقاد في كتابه « أثر العرب في الحضارة الأوربية » : التمثيل فن من الفنون التي ترتبط بالحياة الاجتماعية ارتباطا وثيقا ، وطالما أن بيئة العرب لم تتعدد فيها أدوار الحياة الاجتماعية على حسب اختلاف الأعوال والصناعات والطبقات لم يعقل أن ينشأ فيها فن التمثيل ، أو يظهر فيها أدب المسرح .

• ويذهب توفيق الحكيم في مقدمة الملك أوديب إلى أن العرب لم يعرفوا الأدب المسرحي ، ولا نقلوه لأنه لم يكن لديهم مسرح ، لأنهم كانوا بدوا رحلا لا يستقرون في أي مكان ، وطهم متنقل على ظهور القوافل يجري هنا وهناك خلف قطرة غمام ، وطن يتر فوق الأبل ، كل شيء فيه يباعد بينه وبين المسرح ، لأن المسرح يتطلب أول ما يتطلب الاستقرار ، وحين استقر العرب في بغداد ودمشق وغيرها من المدن العربية الكبرى ، واتصلوا عن طريق حركة الترجمة بالثقافة اليونانية والهندية ظلوا بتمسكين بقومية أو تاريخية تجمد ماضيم الأدبي والفكري ، فكان الشعر الجاهلي هو المثل الأعلى للفر البياني عندهم .

• أما أحمد حسن الزيات ومحمود تيمور فيدل كل منها بدلوه في الإنكار بوجود أدب مسرحي عند العرب ، وذلك في العدد « ١١١ » من مجلة المجلة .. فيقول الأول : إذا علمت أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يستقرون في مكان ، وأن وحدة مجتمعهم كان القليلة لا المدينة ، وأن بساطة دينهم وطبيعة أرضهم وضيق خيالهم وقلة أسفارهم قد حرمتهم الأساطير ، وهي من أغزر منابع القصص والتمثيل كما كان عند الإغريق ، أدركت في سر وسهولة الأسباب الطبيعية والاجتماعية التي حالت بين شعراء العرب وبين الملاحم والمسرحيات .

• ويقول الثاني وهو محمود تيمور : إن العرب لم يعرفوا المسرح في زمن الجاهلية لأنهم كانوا يحبون قبائل متفرقة حياة بدائية ، وازدهار الفن المسرحي يتوقف على نشوء مستوى من الحضارة في مجتمعات من البشر . وحين ترجم العرب في زمن حضارتهم ونهوضهم من الثقافات الأجنبية ما تدوقوه واستساغوه لم يترجموا الملاحم أو القصص التي كان يزخر بها الأدب اليوناني لأسباب شتى : منها أن الشعر المسرحي في روحانيته وفي تعويله على الوقع الموسيقي لا تتأدي خضقاته إذا ترجم إلى لغة أخرى ، ومنها أن الأدب اليوناني كان ينطوي على خرافات أكثرها له دعائم وطيدة من عقائد وثنية وتعدد آله ، ومن شاطحة في تصوير العلاقة بين الإنسان وربه ، وفيه كذلك عرض لصفات الخالق وتصرفاته عرضا يجعله شبيهاً بالمخلوق في الغرائز والطباع والأوان السلوك .

• ويعلل أحمد أمين في كتابه « فجر الاسلام » غياب المسرح عن التفكير العربي والاسلامي بأسباب دينية ، إذ أن الدين يمنع التصوير وبالتالي يمنع التمثيل ، وأن الحياة الاسلامية تمنع التجسيم ، وأن الحياة الاجتماعية ومركز المرأة فيها وتصونها وحجبها لا يعين على وجود المسرح .

• ويذهب الدكتور محمد مندور في كتابه « المسرح » إلى أن التراث العربي في الأدب العربي يكاد يكون كله من الشعر فحسب ، أما النثر فلم تصلنا منه إلا بعض جمل من سجع

الكهان منشورة هنا وهناك في كتب الأدب ، ويستطرد الدكتور مندور قائلا : وللأدب العربي خاصيتان : التفحة الخطابية والوصف الحسي ، وذلك بحكم البيئة ونوع الحياة ، ويرتبط على ذلك بالضرورة استحالة انتاج الشعر الدرامي الذي يقوم على الحوار المختلف التفحات لا على الخطب الرنانة . كما يقوم على خلق الشخصيات وتصور المواقف والأحداث لا على مجرد الوصف الحسي .

« أما الدكتورة سهر القباوي وهي أيضا من المنكرين وجود مسرح عربي فانها تثير عدة نقاط في مقال لها بالعدد « ١١١ » من مجلة المجلة « من هذه النقاط أن العرب بطبيعة عقولهم ينظرون إلى الكليات ولا يميلون إلى التحليل ، والمسرح يعتمد على العقلية التحليلية لا على التركيبية ، ومن هنا كان المسرح مخالفا لطبع العرب . ومنها أن التراث العربي والحضاري تراث إسلامي لا يعرف جنسا ولاوطنا إلا العقيدة ، ولا يجد المسرح ولا نجد الدراما بيئة طبيعية في إيمان العرب ومعتقداتهم ، ولا صراعا مع الآلهة والأقدار ، لأن الإنسان العربي في سلام مع الله الواحد الأكبر ، وفي استسلام للقدر لا يحول دون السعي ، وإن حال دون المصارعة والصراع .

« ويقول نجيب محفوظ في مجلة « الأدباء العرب » عدد أكتوبر ١٩٧٢ م : إن العرب بعد الإسلام كانوا غزاة فاتحين ، لديهم إحساس المتصر المعتمد بما لديه ، فهو لا يقلد ولكنه يأخذ من غيره ما ينقصه من الأشياء التي ليس عنده نظيرها ، أما الأشياء المشتركة التي لديه مثلها فإنه يترجمها عنده ، والمسرح شعر ، والشعر ديوان العرب وفخرهم ، فهم ليسوا في حاجة إلى شعر غيرهم .

« تأتي بعد ذلك إلى بعض آراء المستشرقين المنكرين على العرب هذا اللون من فنون الأدب .. ومن بين هؤلاء المستشرق الألماني هنريش بيكر الذي يذهب إلى أن التراث اليوناني أدى إلى ايجاد التزعة الإنسانية في أوروبا ، بما أدى بدوره إلى عصر النهضة الأوروبية ، بينما لم يؤد الإسلام إلى نفس هذه التزعة ، وترتب على هذا اختلاف في المضمون الفعلي في كل منها ، وأن العالم الإسلامي لم يأخذ من التراث اليوناني إلا ما كان ذا نزعة عقلية منطقية ، أما الأشياء التي كان نصيب الروح اليونانية في صياغتها أكثر من نصيب العقل مثل الشعر الغنائي أو الأدب الروائي وكل ما كان يونانيا بحثا كآلهة هوميروس ، كل هذه الأمور ظلت مغلقة أمام الشرق .

« ويقول المستشرق الألماني جوستاف فون جرينبوم : ان الاسلام لم ينجح في خلق فن مسرحي رغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية ، وهذا لا يعود الى سبب تاريخي بقدر ما يعود إلى مفهوم الانسان في الاسلام ، فهو مفهوم يمنع وقوع أي صراع درامي .

« ويقول للمستشرق الفرنسي جاك بيرك أن التقاليد العربية تعاني بالنسبة للمسرح من مشكلتين ، ولذلك جهلت التعبير المسرحي لأنها لم توفق من إعطائه اللغة المناسبة ، المشكلة

الأولى عدم تناسب اللغة العربية الكلاسيكية مع المتطلبات الداخلية للغة الدرامية ، والمشكلة الثانية صعوبة اختيار واحدة من اللغات العربية الثلاثة وهي الإشارة والتعبير والدلالة ، ولغة الشعر العربي تختلف دائماً عن لغة الحياة اليومية ، لأنها لغة كلاسيكية تشبه بستاناً جميلاً ولكنه بستان متجمد ، والمسرح يتكونه هو اللغة التي لا تحتل القوالب الجامدة .

آراء المؤيدين

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى آراء المؤيدين وجود أدب مسرحي عند العرب منذ عصورهم الأولى ، فإننا نذكر في طليعتهم جورجي زيدان الذي يؤكد أن العرب نظموا على شبه الألياذة هوميروس وشاهنامة الفردوسي ، مما تضمن الكثير من أخبار حروبهم المشهورة ، ونظراً لعدم تدوينها فقد ضاعت من محفوظهم إلا قطعاً بقيت إلى زمن تدوين الشعر في الإسلام .

وقد عرف الأدب العربي كذلك فن القصص الذي كان يجلس وحوله مستمعون ومحاورون يتجاوبون معه ويتبادلون الحوار فهو هنا يمثل فرد يحكي بلسانه وتعبيرات وجهه ، وهو يمثل القصة بأبطالها ، أو بمعنى آخر يمثل وحده كل الأدوار ، ويتنقص في كل دور شخصيته ، فيعطيه ملامحه بالصوت والحركة والتعبير ، وتتغير ملامحه بتغير المواقف . أما المسرح فكان هو ذلك الشكل البدائي : في رواق المسجد أو عتبة الدار أو سوق البلدة أو المدينة ، أما المشاهدون فهم الجمهور الذي يتجمع أمامه أو يتحلق حوله ، يتجاوبون معه ، وقد يحدث بينه وبينهم حوار يجده صورة فيا يسمى بالمسرح المرتجل .

ويقول الدكتور طه حسين في الجزء الأول من كتابه «على هامش السيرة» أن العرب عرفوا القصة والرواية ، فقد شاعت في بلاد الشام أيام عمر بن عبد العزيز مجالس كلامية ومجالس للقصص التاريخي ، وقبل ذلك كانت أحاديث العرب الجاهليين وأخبارهم تكتب أكثر من مرة ، وقد قصها الرواة في ألوان من القصص ، وكتبها المؤلفون في صفوف من التأليف ، فكان القصة والرواية والقصيدة القصصية المطولة عرفت منذ أيام الجاهليين ، واستمرت في نموها وتطورها على مر العصور العربية . إن مزايا كثيرة من خصائص الشعر القصصي موجودة في الشعر العربي ، ومنها أنه مرآة لحياة الجماعة ، وخاصة عند حدير والفردزق والأخطل ، وما أدته الألياذة والأودية بالنسبة لليونان أداة الشعر العربي القديم من تصوير للحياة الاجتماعية وحياة الأبطال بالنسبة للعرب .

ويقول المفكر الباكستاني محمد إقبال في كتابه «تجديد التفكير الديني في الإسلام» : لقد كانت أوروبا بطيئة نوعاً ما في إدراك الأصل الإسلامي لمنهجها العلمي ، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية أو العقلية العربية بصورة قاطعة ، وبفضل هذه الثقافة فتحت مغالقي العلم والتجربة التطبيقية بعد مرحلة من النظر والتخيل ، كما فتحت مغالقي الفنون ، وسار العقل والوجدان معاً في شوط الحضارة العربية ، وامتألت الكتب العربية بألوان القصص والسحر والشعوذة والخرافات ،

وعبقت المجالس بألوان السحر والفنون الموسيقية والرقص والغناء والأشاد وقصص الحكايات ، وراح القصاصون والجلالون والحكاؤون والرواة يتشرون في الأسواق والمتنديات ، يقصون وروون القصص والحكايات عن سالف العصر والأوان ، وعن حروب قامت ودول راحت وأخرى جاءت ، وأبطال جليوا النصر ، وكافحوا كفاحاً أسطوريا ، وكان العقل هنا يمزج بين الخيال والواقع ، بأسلوب مشوق هو خليط من الثر والشعر ، والقاء مناسب للغة في موضع الغناء ، والتجميل بالتعبير والانفعال ، وتغيير الزى أحيانا ، وتقليد الصوت والحركة ، وذلك كله في حشد يشاهد عن كتب ، ويفعل عن واقع مرئي .

• ويقول الدكتور أحمد كمال زكي في كتابه «الأساطير» : كان العرب في جاهليتهم يعبدون الأصنام والأوثان ، وكانت لهم آلهة يعتقدون في قدرتها على دفع البلاء واستجلاب المطر ، أو بتخلفون بها إلى قوى أشد منها بطشا وأعلى منزلة ، وقد عاصرت العرب أولتهم أم اغتلت آلهة أو أباء يعبدونها من دون الله مثل آلهة قدماء المصريين وآلهة اليونان والرومان . وحول هذه الآلهة جميعا نسجت القصص والأساطير ، وألفت الملاحم والمسرحيات . وإذا كان الانتاج اليوناني قد وصل كاملا فإن الانتاج العربي قد وصل بعضه مثل ملحمة «جلجامش» العراقية ، والتي سبقت ملحمة هوميروس بقرن ونصف ، والتي تدور حول المغامرات البطولية والمواقف المأساوية لبطلها جلجامش ، وهو بطل تراخيدي يعرفه تاريخ الأدب في العالم ، ونموذج للإنسان الذي يبحث دون كلل عن سر الحياة ومأساة الوجود الإنساني .

أدلة دافعة تدحض آراء المنكرين

أما وقد استعرضنا آراء بعض المفكرين قيام تاريخ مسرحي عند العرب ، وكذلك آراء بعض المؤيدين قيام هذه الحضارة المسرحية ، فإن الأدلة المادية هي أبلى رد يمكن به أن ندحض آراء هؤلاء المنكرين . وقد أشرنا في مقدمة هذا المقال إلى أول دليل من هذه الأدلة ، ونعني به مواسم العرب الأدبية أو أسواقها التي كانت تعاصر موسم الحج وتواكبه ، بل كانت في كثير من الأحيان تمتد شهراً كاملاً بعد انتهاء هذا الموسم .

• ومن هذه الأدلة أيضا ما ذكره التاريخ ونقله جورج زيدان في كتابه «تاريخ أداب اللغة العربية» من أن رجلاً في بغداد كان يخرج يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع إلى تل مرتفع خارج المدينة ، ويستمع حوله الناس ويدور بينه وبين المشاهدين هذا الحوار التمثيلي :

الصوتي : ماذا فعل التيتون ؟ أليسوا في أعلى علبين ؟
المشاهدون : نعم

ثم يأتي ذلك الرجل يزيل له يجلسه بين يديه يمثل به أبا بكر الصديق ، ويأخذ في إطراره أعماله ، ويأمر به إلى أعلى علبين ، ثم يأتي بمن يمثل به عثمان بن عفان فيأخذ في إطراره أعماله ويأمر به إلى أعلى علبين ، ومن بعده من يمثل به علي بن أبي طالب فيثني عليه ويأمر به إلى

أعلى عليين ، ثم يأتي له الجمهور بمن يمثل به معاوية فيندد بأعماله ويأمر ليقف في الظلام ،
ويفعل هكذا في يزيد .

ويمضي جورجى زيدان قائلاً : إن في هذه المشاهد محاكاة لأشخاص ، وتقليد لأعمال ،
وتوجيه من رئيس فرقة تمثيلية أو مخرج مسرحي ، ومكان للتمثيل وآخر للمشاهدين . وقصص
يقال وعبرة تؤخذ يخرج بها الجميع وهم راضون .

• ويسجل المؤرخون كما يقول الدكتور محمد كمال الدين أنه كان في عصر محمد المعتضد
بالله العباسي رجل اسمه ابن المغازلي ممن يقصون على الناس ، ويتبعون قصصهم بمحاكاة
الصفات والخصائص للأشخاص الذين يقلدونهم . وكان حاذقاً في صناعته لا يستطيع من
يراه يسمعه أن يمسك من الضحك . وقد مثل بين يدي المعتضد شخصيات من جنسيات
وطبقات مختلفة كالآعرابي والتركى والزنجي ، فكان فيها جميعاً يأتي بصورة طبق الأصل
من هذه الشخصيات . فهو بذلك يمثل فرد يقوم بأدوار فرقة كاملة ومتعددة حركة وصوتاً .

• والأدب العربي القديم زاخر بكثير من القصص التمثيلية التي تدور على لسان الطير
والحيوان ، أو حول شخصيات إنسانية مثل قصة الحارث بن عوف سيد بني عبس ، الذي
ذهب إلى أوس بن حارثة ليخطب إحدى بناته ، والملابس في هذا المشهد الدرامي ملابس
عربية ، والمكان خيمة والحوار يدور هكذا .

أوس — مرحبا بك يا حارث ، ماذا جاء بك ؟
الحارث — وبك يا أوس ، لقد جئتكم خاطباً
أوس — لست هناك

[وهي عبارة تدل على الرفض ، ثم يتجه أوس نحو زوجته وهو متجهماً]
الزوجة — من الرجل الذي وقف عليك فلم يطل ولم تكلمه
أوس — ذاك سيد قومه الحارث بن عوف ، جاء خاطباً ورددته
الزوجة — أولاً تريد أن تزوج بناتك ؟ فإذا لم تزوج الحارث فمن ؟

[ويستمر الحوار حتى تسترضيه الزوجة .. فيلحق أوس بالحارث]
[ويهود به ، ثم يتركه ويتجه نحو بناته الثلاث مخاطبين واحدة واحدة]

الابنة الكبرى — لست بابنة عمه فبرعى رحى ، وليس بمجادك فيستحي منك ، ولا آمن أن
يرى منى ما يكره فيطلقني .

[وكذلك فعلت ابنته الوسطى]

الابنة الصغرى — إني والله الجميلة وجهها ، الصناع يدا ، الرفيعة خلقاً ، الحسبية أبا ، فإن
طلقتني فلا أخلف الله عليه بخير

وهكذا يدور الحوار كما يقول عباس خضر في كتابه « العرب في قصصهم » حتى تنتهي القصة

بزفاف الحادث إلى عروسه بعد أحداث درامية كثيرة تعطي صورة لشهامة العربي وشجاعته .

• عمارة .. الحسنة العربية :

وقصة عمارة الجارية الحسنة هي الأخرى مشهد درامي متكامل كما أوردها عبد الحميد إبراهيم في كتابه «قصص العرب» فقد كانت عمارة جارية عند عبدالله بن جعفر ، وكان يحبها ، ولما رآها يزيد وقعت من قلبه ، ويدور الصراع بين الرجلين عنيقا ، ويستشير يزيد أصحابه ، فينصحونه بأن يلجأ إلى الحيلة ، فيستأجر شخصا يتحایل على ابن جعفر حتى يصبح من أصدقائه ، فأولم له مرة وغنت عمارة وهي حسنة الصوت ، ودار هذا الحوار :

ابن جعفر — هل رأيت مثل عمارة ؟

الضيف — لا والله يا سيدي ، ما رأيت مثلها ، وما تصلح إلا لك .

ابن جعفر — ؟ متشيا [ذلكم سروري

الضيف — يا سيدي إني والله أحب سرورك ، وما قلت لك إلا الجدل ، وبعد فإني تاجر أجمد الدرهم إلى الدرهم طلبا في الريح ، ولو بعثت بعشرة آلاف لأخذتها .

ابن جعفر — ؟ متعجبا [عشرة آلاف ا

الضيف — نعم

ابن جعفر — [وكأنه يتحدى] أنا أبيعها بعشرة آلاف

الضيف — وأنا أخذتها

ابن جعفر — [وكأنه يمزح] هي لك

الضيف — وقد وجب البيع

وبعد أحداث يضطر ابن جعفر إلى الوفاء بكلمته ، فيسلمها للضيف الذي يذهب بها إلى حيث يزيد الذي يتصادف موته ، فيها خليفته معاوية له ، فيعود إلى ابن جعفر يردها عليه ثانية بحجة أنه رأى مدى صبره عليها ووفائه بعهده

ولعلنا نذكر كما يقول الدكتور محمد كمال الدين في دراسة في مجال القصص العربية الدرامية قصص البخله للجاحظ ، فهي تدور حول أشخاص عاشوا معه وحوله وتخالطهم وتخالطوه ، فخلع عليهم جميعاً أسلوبه الساخر الذي تميز بقدرة على الوصف والخيال والتصوير في أسلوب فكاهي ، وكتاب البخله يحوي أكثر من مائة قصة تدور حول البخل والبخله ، وكان الجاحظ واحداً منهم ، وكل قصة بما فيها من حوار تصلح مشهداً تمثيلياً قصيراً ، فيه البسمة والسخرية ودقة الوصف والتعبير . ومن نماذج هذه القصص أن رجلاً بلغ في البخل غايته ، وكان إذا صار في يده درهم خاطبه قائلاً : كم من أرض قد قطعت ، وكم من كيس قد فارقت ، لك عندي ألا تمرى ، ثم يلقيه في كيسه وهو يقول له : اسكن على اسم الله في مكان لا تهان ولا تذلل ولا تزعج منه . وفي يوم ألح عليه أهله في شراء شيء بدرهم ، فرفض

الصحراء ، وبينما هو سائر :

رأى شيخاً وسط الظلام فراعه
فلما رأى ضيفاً تشمر واهتم

وقال :

هيا ربنا ضيف ولا قرى
بحقك لا نغرمه تا الليلة للحم
فقَالَ ابنه لما رآه يحترق
أيما أبتى اذبحني ويسر لك طعاما

وبينما هم كذلك إذ رأى سربا من البقر الوحشي أتيا من بعيد ، فأتخذ في مطاردته حتى
يصطاد واحدة منها سمينة ، جهزها للضيف وأطعم منها أهله ، ثم تكون النهاية السعادة
والرضا :

وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم
وما غرموا غرما وقد غنموا غنما
وبات أبوه من بشاشته أبا
لضيفهم والأم من بشرها أمما

« المقامة أدب تمثيلي :

تعتبر المقامة أدبا تمثيلياً عرف منذ العصر الجاهلي ، وكانت كما يقول الدكتور على الراعي في
كتابه « فنون الكوميديا » تمثيلا مباشراً متواصلاً ، يقوم به ممثل فرد ، ويعتمد على جمهور يحضر
العرض في النادي أو مجلس الخلفاء أو قاعات الدرس أو أماكن السمر المختلفة ، ونلاحظ أن
كل المقامات التي وصلتنا أعمال مسرحية من الدرجة الأولى يمكن تقديمها على المسرح ، فهي
تتضمن حواراً طويلاً ، وأحداثاً قصصية تتطور دائماً من البداية إلى الوسط إلى النهاية ،
يتخللها الصراع والأوان عديدة من العواطف المتباينة من حب وكراهية ورضا وسخط وقبول
ورفض ، وهي بذلك نصوص درامية تنطبق عليها شروط للمسرح المتعارف عليها .

ومن أشهر المقامات التي وصلت إلينا مقامات الحافظ ، ومقامات محمد بن الحسن بن
دريد ، ومقامات بديع الزمان الهمداني ، ومقامات الحريري . وهذه المقامات كما يقول
الدكتور عبد الحميد يونس في مقال « مجلة المجلة » عنوانه ظواهر تمثيلية في الأدب الشعبي
العربي ، تشبه المسرحية في أنها فن جماعي تعبر عن المجتمع ممثلاً في أبطالها ، فضلاً عن أنها
تمثل في حشد يرتبط ذهنياً وعاطفياً ، فهي بحق رائدة للراوية والقصة والتمثيل أيضاً .

ويأتي في قمة هذه المقامات « المقامة المضيرية » لبديع الزمان الهمداني ، وبطلها هو التاجر
حديث النعمة ، كثير الفخر بنفسه وزوجه وماله ، الساعي بالنصب والاحتيال والجشع ، وإلى
جواره شخصيتان لضيفين أو لم لها ليتخذ منها شهوداً ونظارة لعمل فني يؤلفه من واقع

مغامراته .. وهي مقسمة إلى مشاهد درامية مليئة بالحوار المسرحي .

ومنها كذلك مقامات الحريري الموضوعة في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري ، وهي مقامات تدور حول شخصيته بطلها أبو زيد السروجي ، وتمثله شيخا شغف بالأدب ، ثم ضاقت به سبيل الحياة حين ركزت سوق الأدب ، فخرج من بلدته «سروج» متكررا محبوب الآفاق ، ولا يلبس لكل حال لبوسها ، فهو تارة شحاذ يسأل الناس إحسانا ، وتارة دجال بديع الرقي والتعاويد ، وتارة واعظ أو خطيب ، وتارة سفيه براوغ ويداور . وهكذا طوال المقامات الخمسين التي يحتويها الكتاب المعروف بمقامات الحريري ، وفيها يقدم لكل شخصية ما يقتضيه حال التمثيل من لهجة وأسلوب وحوار وزبي ، وجميعها تعد تمثيلا صادقا لواقع المجتمع والعصر اللذين عاش فيها الحريري من خلال أبطاله .

• كتب عربية درامية :

وإذا انتقلنا من المقامات فإننا نعث في المكتبة العربية على كتب درامية تصلح للمسرح والتمثيل فوق خشبته . ومن بين هذه الكتب كتابان في هذا المجال لأن كل واحد منهما مسرح متكامل ، الأول هو رسالة التوايع والزوايع لابن شهيد الأندلسي ، والثاني هو رسالة الغفران لأبي الملاء المعري .

ورسالة التوايع والزوايع من النثر المسجوع ، وتدور أحداثه في عالم الجن «الزوايع» والجنات «التوايع» وذلك في رحلة يقابل فيها ابن شهيد أشهر شعراء الجاهلية وكتاب نثرها ، وينقدهم نقداً لاذعاً ، في أسلوب حوارى طريف ، قريب إلى لغة المسرح ، وخاصة في الجزء الثاني من هذه الرسالة حيث يصدر عالم الجن ، ويلتقي بالشعراء ، وتكون أسئلته لهم أو أسئلهم له ، في حوار مسرحي مُسَوَّق .

أما الكتاب الثاني وهو رسالة الغفران لأبي العلاء المعري فإنها تعتمد أساساً على الحركة والحوار ، وتصيحها في كثير من المشاهد موسيقى تصويرية من العزف الآلي أو الإنشاء الشعري المبر ، في إخراج تمثيلي عرض فيه أبو العلاء مشاهد العالم الآخر على سبيل التشخيص الذي يشبه الفن المسرحي . وتتكون الرسالة من مقدمة وقسمين رئيسيين ، يعبر في المقدمة عن ضيقه بالملق والنفاق من بعض الناس على لسان ابن القارح بطل الرسالة وراويها ، وفي القسم الأول البطل إلى الجنة ، فيرى فيها علماء اللغة ورواة الشعر ، ثم ينتقل المعري ببطله إلى مشهد آخر ، فيطلعه على أهل النار ، فيرى منهم من كان يكره في الحياة الدنيا ، ثم يعود ببطل الرسالة إلى الجنة وبذلك ينتهي القسم الأول ، ويبدأ القسم الثاني الذي يرد فيه المعري على بعض المسائل اللغوية والأدبية ، وتعرض لقضايا نقدية وتاريخية هامة .

ونضيف إلى هاتين الرسالتين كتاباً يتضمن مسرحية متكاملة هو كتاب «يوم القيامة» للكاتب العربي الساخر محمد بن حمز الدهراني ، الذي عاش في صقلية والشام قبل مجيئه إلى

مصر أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي . ونستطيع أن نطلق دون تحفظ على هذا الكتاب اسم «مسرحية يوم القيامة» فهو عمل درامي متكامل تتكون من ثلاثة عشر مشهداً ، وهي تدور فيها يشبه حلماً يراه المؤلف وكأنه القيامة قد قامت ، وكان المنادي ينادي ، فخرج من قبره إلى أن بلغ وكان القيامة قد قامت ، وكان المنادي ينادي ، فخرج من قبره إلى أن بلغ أرض المحشر ، ثم يصور يوم القيامة في أسلوب حوار يصف فيه ما أصاب المذنبين من الفزع خوفاً من الله ، وفي هذا الحوار يلتقي بأناس كثيرين ، قدامى ومعاصرين له ، ومنهم الأدباء والشعراء والفلاسفة والملوك والسلاطين ، كما يلتقي ببعض الملائكة ، ثم يصعد إلى الأعراف المطل على الجنة ، وتأتي المشاهد متتالية ، فنرى في المشهد الرابع مثلاً رقصاً وغناء وسط حلبة نرى حولها ثلاثة من المذنبين في جرائم قتل في حياتهم الدنيا يتلون ألماً ، ويشتركون في الرقص أيضاً ، وتتوالى المشاهد وفي كل مشهد يتحدث الوهراني مع أشخاص مختلفين ويتحدثون هم إليه ، حتى نصل إلى المشهد الثاني عشر ، وفيه نرى القتال الذي نشب في الحياة الدنيا يوم صيفين بين الأمويين والشيعة ، ثم تختتم المسرحية بالمشهد الأخير حيث يستيقظ الوهراني بطل المسرحية على سهم يصوبه محمد بن الحنفية إلى صدره ، فيهب من نومه خائفاً مذعوراً .. ومشاهد المسرحية كلها وحوارها تتسم بالسخرية ، فهو يعرض نقائص من يجهوهم ، كما يعرض مذلتهم في حسابهم يوم القيامة إن هذه الأعمال الدرامية العربية هي الدليل الدافع الذي يدفع دعاوى المنكرين لتاريخ المسرح عند العرب ، فهي جميعاً أعمال تصلح جميعها لتقديمها على خشبة المسرح بشيء من الأعداد البسيط ، فهي أعمال غنية بالديكورات المتنوعة ، والملابس المتعددة ، والحوار الدرامي ، ولا يتقصها سوى إضاءة خاصة ، وأعداد موسيقى يستغل جوانبها الغنائية والراقصة ، وهي فوق ذلك تتطلب ممثلين ومخرجين ومهندسين ديكور وإضاءة على درجة عالية من الثقافة المسرحية حتى يلما بالأحواء التاريخية لهذه الأعمال الضخمة التي تثبت للعالم كله أن للعرب تاريخاً مسرحياً كبيراً يمكن أن يقف شامخاً إلى جانب الأعمال المسرحية العالمية سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل .

مصطفى كمال منصور



كتب قرائتها

ذكر كتاب

قَالَيف : الأستاذ / أحمد عاي
عرض : الأستاذ / عبد العزيز الرفاعي

تمهيد :

هذا النوع من الكتب لماذا نحظى به ؟ أعني كتب المذكرات والذكريات .. ؟ ما علينا ان قصّ احدهم قصة حياته .. او جانباً من قصة حياته .. فنشأ في بلدة كذا ، وتعلم في مدرسة كذا ، وذكركذا .. وعرف من الناس فلاناً وفلاناً .. وكان الزمن على عهده ، على كذا .. وكان المكان على ما يصف .. ماذا يعنيها من كل ذلك ؟ ولماذا نهدر أوقاتنا في مثل هذا الكلام ؟ ولكل منا قصة حياة وتجارب ومعارف .. الخ .. ربما أجد حوافر كثيرة ، لكي أقرأ مذكرات تشرشل .. او اي رجل آخر في وزن تشرشل شهرة وبعد صيت لأعرف وخاتل هذا الرجل العظيم ، ولأقف على ما وراء الاحداث من اسرار .. ومع التسلم المطلق بأهمية هذا النوع من الذكريات او المذكرات التي يكتبها مشاهير الرجال الذين أثروا في تاريخ العالم ما جمعه على نحو ما .. فان هناك ألواناً من ادب المذكرات والذكريات له وزنه الكبير ، لا من ناحيته الأدبية فحسب .. بل وحتى من الزاوية التاريخية التي تعد أيضاً ذات البيئات المعنية .. لذلك نجد ان ادب الذكريات والمذكرات ، أدب مميز ، وله عشاقه ومريده .. وهم يجدون فيه ألواناً من المتعة .. قد يجدون هذه المتعة في الاسلوب الكلي او الطريف او في طبيعة الاحداث نفسها ، او في غرابيتها او شذوذها .. وبهذه العناصر او بعضها تقترب كتب الذكريات او المذكرات من عالم القصة والرواية .. وتحمل ما تحمله هذه من إغراء أو امتاع ، كلما استطاع الكاتب ان يحمل قارئه على متابعتها المعني معه في رحلته ..

الكاتب ؟

والاستاذ احمد علي .. او أحمد علي أسد الله ، وهذا اسمه كاملاً .. لم يُقم العالم ولا أقعده مثل تشرشل .. ولا نابليون .. وهو لم يُقم الادباء ثم يقعدهم ، كما فعل طه حسين في ميدان الأدب الحديث ، قبل ان يصدر الأيام .. وقليل اولئك الذين عرفوا اسمه في العالم العربي ، ومؤلف القليل هم الذين تابعوا كتاباته في مجلة المنهل ، او مجلة الحج ، او في بعض الصحف المحلية .. ولكنه .. برغم هذه الشهرة المحدودة .. رجل من طراز نادر من الرجال .. رجل طامع .. شفت بالمعرفة شغفاً عجبياً منذ ان فتح عينيه على الدنيا .. تطلع الى كل شيء .. وأخذ من كل شيء بطرف .. وهو حيناً تفتحت شخصيته الى المعرفة بشراة .. وضع لنفسه — مع ذلك — حدوداً من الدين متوازنة ، لا يغطي منها جانب على آخر .. إلا ان تستغرق المعرفة .. فستحذر على لبه .. وبذلك الشخصية الواغلة ، ذهب الاستاذ أحمد علي ، يقرأ علماً ، وأديباً ، وتاريخياً وجغرافياً .. يقرأ في العربية ، وفي الانجليزية .. وأحسبه يضيف الى هاتين اللغتين ، الأرودية او يلم بها ..

وهو مع علمه وفضله ، وسعة اطلاعه ، رجل أنيس .. معشره خفيف .. وحديثه لبق ..
جانب الكثير من بلاد الله ، حتى لتحسبه لا يمسي في بلد ، إلا لكي يصبح في أخرى .. وله
في أسفاره غرائب وعجائب ، ومتاعب .. وقد نشر جانباً في مشاهداته ..

احبت — يا قارئي الكريم ، ان احدثك قليلاً عن هذا الرجل ، كما عرفته ، لتعلم انه
حينما يكتب ذكرياته ، إنما يكتب تاريخاً حافلاً يعكس كل تطلعاته .. فكان حقاً ان نعى
بهذه الذكريات وان نحضى بها ، وان نقرأها بالكثير من الامعان .. وبكثير من الحضارة ..

فاذا علمت ان الاستاذ أحمد علي ، حينما يتناول قلمه ليكتب ، لا يحاول أن يقتعل ،
ولا ان يتكلف .. بل ينطلق على سجيته ، تماماً كما يتحدث . تمضي معه في يسر وهودة —
ازددت اكباراً لعلمه وادبه .. اما اذا صادفك كلمات معجمية .. فلا ينبغي ان ترتاع فهو لم
يحشم نفسه عناء ، ليضع هذه الكلمات او ليحشرها في سطوره .. كلا فانما هي من فرط
حرصه على اللغة .. ألم اقل انه أخذ من كل علم بطرف ؟ وهو أيضاً حينما يفعل ذلك ، إنما
يستعمل هذه الكلمات بحكمة واتزان ، كما يضع الطباخ الماهر الملح في الطعام ، تشجصةً لا
اعتسافاً .

هذا بعض ما اعرف عن المؤلف .. فإذا عن الكتاب ؟

• • •

والكتاب

والكتاب .. اصدره النادي الأدبي بالطائف .. وقد تميز هذا النادي بنشاطه ، وتنشيطه
للمحركة الفكرية ، خاصة في مجال النشر .. ومن بين منشوراته ما يعدّ من نفائس الكتب ..
وهذا الكتاب من تلك النفائس ، وقد تم طبعه سنة ١٣٩٧ هـ في مطابع الزايدي بالطائف ..
ويقع في حوالي مائتي صفحة من الحجم المتوسط ، وطابعته جيدة ..

ويضم الكتاب فصلاً قيمة عن الحركة الصحفية والفكرية في الحجاز ، منذ ثورة الحسين
ابن علي ، وحديثاً عن جريدة القبلة التي كانت تصدر في عهده ، وعرضاً للحالة
السياسية ، والصحية والاجتماعية ، والعلمية ، والأدبية ، ثم ذكرياته عن الحج ، وهي
ذكريات شائعة ، وعن رحلاته في المدن الحجازية ، وعن عهد الدراسة ، وعن الملك
عبدالعزيز رحمه الله ، وخاصة بعد ان عمل المؤلف ، مدرساً في مدرسة الامراء بالرياض ،
حينما كانت الرياض مدينة صغيرة محصورة داخل سورها القديم ووصف للحياة الاجتماعية
والعمرانية بها ، ورحلاته في معية جلالته الى الير والمقناص .. ووصف جميل للحياة في
الروضات او في الصحراء احياناً .. ثم يخصص المؤلف جزءاً غير يسير من كتابه ، للحديث
عن شقيقه الاستاذ عبدالحמיד ، وولعه بالاطلاع والقراءة ، والأدب ، والكتابة الوصفية ،

والهزلية .. وقصة مرضه .. الخ .. وقد احسن صنعا حينما سجل حياة هذا الأديب الذي لا يكاد يعرفه الا الأقلون ممن اتصلوا به ، وعرفوا خلقه السامي ، وما تمتع به من ادب ، وكان هذا الصنع من جميل وفاء المؤلف لاختيه النابه . وكان حقاً على ذاكرة الزمن ان تعي طرفاً من حياة هذا الرجل ..

ان المعينين برصد التطور الاجتماعي والثقافي في المملكة العربية السعودية ، سيجدون في هذا الكتاب ، الكثير من المعلومات الجديده عليهم ، التي تؤرخ ، بطريق غير مباشرة لحركة التحول الطارئة على هذه البلاد .. عدا ما يجدونه من متعة وطرافة ..

لأجد من المقيّد للقراء ، ان أنقل إليهم نصّاً تاريخياً من هذا الكتاب عن اللقاء الأول الذي تم بين هيئة التدريس المعنية لمدرسة الامراء بالرياض ، التي كان من بينها المؤلف ، وبين جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله ، وما تبعه من اعداد ، مع صور من ملامح الحياة في مدينة الرياض آنذاك ، ليكون ختاماً لهذا التعريف .

يقول في وصف الاستعداد للسلام على الملك عبد العزيز رحمه الله ، في قصره بالرياض ، ويصف القصر ، وغرفة المدرسة ، وصلاة الظهر ، ويتطرق الى وصف المساجد ثم يصف وليمة غداء ، دعوا إليها ومظاهر الكلام والحفاوة التي قابلهم بها مضيفهم : —

الاستعداد للسلام على جلالة الملك عبد العزيز .

وبينا نستعد للخروج الى القصر الملكي للسلام على جلالة الملك عبد العزيز (رحمه الله) ، جاء مندوب من القصر يستعجلنا في الخروج لأن جلالاته في انتظارنا .. فأسرعنا الى القصر والطريق يمر بأزقة ضيقة كثيرة المنعطفات والملاوي وكانت الحافلة بنوع من السداجة لا تفارقنا من قبل المارة الذين غر بهم .. والبعض لا يكتفي بالحافلة بل يعطل سيره ويقف لمتابعة حركات سيرنا أي سير هذه الاشكال الغريبة التي طلعت عليهم من الصباح الباكر ولم تنته من هذه المناظر إلا بعد دخولنا القصر .

القصر

دخلنا القصر من رتاج يدخل منه الخاص والعام والابل بأحبالها والذواب بشقلها . والقصر عبارة عن مدينة صغيرة أو مجموعة بيوت كبيرة ربط بعضها ببعض بواسطة ممرات أرضية وجسور من (الدور الثاني) .

وقسم من القصر مخصص للمكاتب الرسمية والموظفين . ويجالس جلالاته .. وأخذنا دليلنا الى مكتب (الشعبة السياسية) حيث ينتظرنا جلالاته (تغمده الله برحمته) وأشار علينا بالدخول ... فدخلنا وتشرفنا بالسلام على جلالاته ..

وبعد السلام سمح لنا جلالتة بالجلوس على يساره . وتفضل بالسؤال عن وصولنا الى الرياض وعسى ان رحلتنا اليها كانت مريحة .. وبعد الانتهاء من هذه الاحاديث اللطيفة قال جلالتة : —

كل ما نحتاجونه بشأن المدرسة ولوازمها وطلابكم .. فقولوا لهذا (وأشار الى الاستاذ رشدي ملحس سكرتير الشعيبة السياسية يومئذ) رحمه الله — واتفقوا معه على كل ما يريدونه من أجل المدرسة ..

وهنا دخل الاستاذ عبد العزيز ماجد المترجم بالديوان الملكي بنشرة الاخبار المترجمة من الاذاعات الافرنجية واستأذن جلالتة في قراءتها .. فأذن له وبعد أن انتهى الاستاذ من قراءة النشرة علق جلالتة على بعض الانباء ثم قام وخرج ..

غرفة المدرسة .

فنا مع الاستاذ المرحوم رشدي ملحس الى الغرف الخاصة بالمدرسة ولم تكن بعيدة عن الشعبة السياسية . اتفقنا معه على اجراء بعض تعديلات في الغرف كما قدما له طلبات المدرسة ، فوعدنا أنه يعرضها على جلالتة على ان يحيلها الى جهة التنفيذ .

صلاة الظهر .

ذهبنا لصلاة الظهر الى أقرب مسجد بالنسبة للبناء وهو مسجد الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ (أسكنه الله فسيح جناته) . دخلنا المسجد فاذا أنظار الجالسين في انتظار الصلاة تحولت اليانا .. وبصورة خاصة الي لنظاراتي .

المساجد .

وضع المساجد وهندستها تكاد تكون واحدة في البناء والشكل وليس هناك اختلاف إلا في الكبر والصغر . ولا بد لكل مسجد رواق من ناحية القبلة وهو لصلاة الظهر والعصر وصحن مكشوف من بعده تقام فيه صلاة المغرب والعشاء والفجر صيفاً والقسم الثالث (الخطوة) وهو كالمخبا تحت الارض ولا منافذ لها غير الباب الذي يتزل المصلون منه أو كوات صغيرة في السقف وهذه الخلوي مخصصة للصلاة ، لا سيما صلاة الفجر والعشاء في موسم الشتاء القارس ..

وأرض المساجد تفرش بمحصياء كبيرة الحجم .. وفي بعض المساجد يفرش للصفوف الاولى مستطيلة تعرف باسم (المداد) بكسر الميم وفتح الدال .

ولمآذن عبارة عن برج مربع يقام على احدى زوايا سقف المسجد .

وتزدهم المساجد بالمصلين ولا سيما في صلاة المغرب والعشاء والفجر .
ويدخل المصلون المساجد بأحذيتهم ولا يخلعونها إلا عند مصلاهم .

البيوت ونظامها وأوقات الاجتماعات .

لقد تعارفنا ، بحكم حملنا واجتماعنا بالجيران بكثير من الاخوان على مختلف الطبقات ،
ودعينا عندهم لتناول القهوة والشاي مراراً مما لاحظته في هذه الاجتماعات هو : —

١ — ان الوقت الممتد — في الغالب — لدعوة (شرب الشاي والقهوة) هو فترة ما بين
العشائين أي من بعد المغرب الى العشاء وليكون آذان العشاء الحد الفاصل للاجتماع وداعيا
لاتصرف الداعي والمدعوي الى المساجد .

وهذه الاجتماعات كانت في تلك الايام ، أي قبل انتشار الراديو ، كأذاعات داخلية
يسمع الانسان فيها حوادث النهار مع التعليقات من قبل الحاضرين .

٢ — تشابه البيوت في هندستها وترتيبها .. غرفة الاستقبال (أو الديوانية أو الروشن) لا بد
أن تكون قريبة من مدخل الدار . في الطبقة الاولى أو الثانية بعيدة عن بقية أجزاء الدار —
لثلا تتسرب اليها أصوات النساء — ويعني بأنائها ، أي يضع كل انسان أحسن ما عنده من
الرياش فيها .

٣ — وجود (الوجار) وهي كلمة تركية أصلها (وجاق) ومعناها (الموقد) في صدر غرفة
الاستقبال (الديوانية) . وبجانب هذا (الوجار) رفوف في الجدار يوضع عدد كبير من الدلال
(جمع دلة) على مختلف الأحجام وعدد من أباريق الشاي (الكفتريات) وهذه الاشياء لا
تستعمل مطلقاً .. بل توضع للزينة .

٤ — اشغال نار (الوجار) أمام المدعويين باستخدام المنفاخ الخشبي أو الحديدي .
والقيام بتحميمص البن ودقة في الهاون ودق الهيل — أما الهاون أو بالمطحنة الصغيرة — ولا
يخلو عمل الشاي والقهوة من قيام وجولوس عدة مرات على أقل تقدير من قبل الذي يتولى
عملها .

إذا كان المدعو عزيزاً أو كبيراً في الدرجة ، قام الداعي بنفسه بعملية عمل القهوة والشاي
وكلف أحد أولاده أو اخوانه بتقديم ذلك للحاضرين .

٥ — مجلس ضيف الشرف أو الشخصية الكبيرة من الحاضرين يجوار الوجار ..

٦ — تقديم القهوة والشاي للحاضرين يكون حسب منزلة الشخصيات لا بترتيب
الجلوس .

٧ — يبدأ الاجتماع بتقديم البخور ومروره على الجالسين مبتدئاً بالضيف ثم على من يمينه
ثم من بشاله وينتهي الاجتماع كذلك بالبخور .. وكل هذه الأعمال والحركات تؤدي من قبل

الداعي وأقربائه في غاية من الاحكام والحفاوة واللفظ بالمدةوين .

وليمة غداء .

دعانا الاخوان (وهو من أتباع سمو الامير خالد بن عبد العزيز) (جلالة الملك المعظم) وقد عرفته من مكة . وكانت هذه أول دعوة غداء نحضرها . ذهبنا اليه بعد صلاة الظهر من المسجد .. ورحب الاخ بنا وبمجرد دخولنا (الديوانية) قدم لنا البخور ثم القهوة ثم الشاي الاسود ثم الشاي الاخضر ثم النعناع ثم (الكركديه) أو الكجراني ، ثم جاء البخور ..

فهمس أحد الرفاق في أذني وكان مرحا : — (الظاهر هذه هي الغدوة .. والله يعيننا على الوصول الى البيت في هذه (الصنقرية) ، (أي الشمس الحارة في عامية مكة) ونجلس ثاني للطبخ والنفخ ..)

وفي هذه اللحظة جاء الداعي وقال : — تفضلوا ..

فهمس أخونا المرح في أذني مرة أخرى قائلا : — (ما قلت لكم — الحكاية شاهی وقهوة وتوسرية الى الباب) فلنا منه أنه يقصد بكلمة (تفضلوا) الخروج ..

فنا مع الرجل الى أسفل الدار أي ناحية الباب .. ورفيقنا له أنات وآهات و (ولولات) وأخيرا لم نخرج من الباب ، بل أخذنا الداعي الى غرفة أخرى واسعة كل مساحتها تقريبا شغلت بسياط عربي صف فوقه من صحنون الاطعمة والاشربة والحلويات والفواكه ما يعجز الانسان من عدها تتوسطها جفان الرز المحمر والمخلق بدائرة من الزبيب واللوز والمتوجه بخراف مخذة ..

وهنا تهلل وجه رفيقنا فرحا .. وهمس بأذني وهو يتقدم الى هذا السياط : — (الله يهديه . أما كان الاول للاخ أن يدخلنا من أول مجيئنا على هذه النعائم . وبلاش من تلك المويات الحارة والمرة التي حرقت قلوبنا وحركت الصفرافينا ولكن ما عليه ما دامت النهاية طيبة) .

وقد فطنا من المائدة داعين لصاحب الدعوة بالخلف والعوض وخير الجزاء من الله ، والمائدة لكثرة ما علينا من الخير لم ينقص منها شيء .. وخرجنا من عنده شاكرين للاخ الداعي كرم ضيافته وجوده وسخاءه وسماحة نفسه

الطَّبَّاءُ الْمَعْنَى سَلَامٌ

تأليف

دكتور خالد عز الدين فرج
دكتورة هدى عز الدين فرج
دكتور عز الدين فرج

دار الفكر - القاهرة

عرض

الأستاذ / محمد كمال جمعة

الطبيب الإسلامي

دكتور
خالد عز الدين فراج
طبيب بمستشفيات لندن

دكتورة
هدى عز الدين فراج
مدرس بطب عين شمس



دكتور
عز الدين فراج

اسأل ويبدأ سأل بحاجته الفاعله
مكواره في علوم النبات والزراعة والكيمياء
ومعلوم الدراسات العليا في السورجيين كليه العلوم

هذا كتاب حديث ليس بالكبير حجماً ، فهو يقع في ثلاث وثمانين صفحة فقط إلا أن موضوعه يهم المشتغلين بالمعارف الإسلامية ، وعلى صغر الكتاب فانا سنرى أنه قد أتم إلى حد كبير بالموضوع . وقد ألفه طيبان يعملان في حقل الطب أو التعليم الطبي ، واشترك معهما والدهما وهو أستاذ من أساتذة النبات . ولا تخفى علاقة هذا العلم بالطبيب وخاصة في مجال صنع الدواء . ولهذا الوالد الذي كان في يوم ما عميداً لكلية الزراعة بجامعة القاهرة مؤلفات كثيرة ، واهتمام كبير باسهام المسلمين في مجال العلوم التطبيقية .

وقد تناول الكتاب : العلاج عند العرب قبل الاسلام :

كان يتم بالرقى ، وكانوا يعالجون مرضاهم بالعقاقير البسيطة والأشربة ، وكانوا يعتمدون على الحجامة والكى والبتر ، وكان ذلك يتم عادة بالنار التي كانت تقوم مقام المضادات ، وكانوا يعتقدون أن الكهنة يعلمون كل شيء إذ كان العلم يأتيهم بواسطة الأرواح أو الجن التي كانت تدخل الأصنام وتحاطب الكهان ، كما كانوا يعتقدون بأن الجن يستطيعون إخبارهم بغير الساء . وكان للكهان لغة خاصة تمتاز بتسجيع خصوصي ، فيه عموض ، وذلك للتمويه على الناس بعيارات تختمل أكثر من وجه .

ويعد الإسلام :
فلما جاء الإسلام دعا إلى النظافة ، لأن الاقتدار هي مصدر الأمراض . فالمسلم لا يدخل الصلاة إلا بعد الوضوء وهو الذي يخرج بقايا الطعام من الأسنان ، كما أن الاستنشاق يخرج من الأنف إفرازات تحمل بعض الميكروبات .
ووضع الرسول في أحاديثه كثيراً من سبل الوقاية :

- لا تبتئوا القلب بكثرة الطعام والشراب ، فان القلب كالزراع يفسد إذا كثرت عليه الماء .
- ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه .
- المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء .
- نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع .

وعن نظافة الطريق قال صلى الله عليه وسلم :
— إمطة الأذى عن الطريق صدقة .
— البصق على الأرض خطيئة ، وكفارتها ردمها .
وعن الأمراض النفسية والعصبية فقد دعا الإسلام إلى الإيمان الذي يشرح النفس ويبرد

الفلق ، كما نهى الإسلام عن الإرهاق حتى فيما يظن أنه من العبادات : قال الرسول - « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ إما والله أني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني . »

وكان الأطباء المسلمون هم أول من أنشأ المستشفيات والصيديات للعلاج في التاريخ ، وكان الأطباء طبقات وأصنافاً ، فهم الطبيب على إجماله ، والجراح والفاض والكحال ، والأستاني ، ومن يعالج النساء فقط ، أو يطيب الجانين فقط ، وكان ثمة أطباء للميون كانوا يعالجون الماء الأزرق بقدح العين ، على نحو عملية كتركنا اليوم . وقد أنشأ الخليفة الرشيد العباسي المستشفى العام في بغداد في أوائل القرن التاسع الميلادي ، ثم أقيمت مستشفيات أخرى في سائر الجهات حتى بلغت خمسا وثلاثين مستشفى قبل حلول القرن العاشر .

كما أنهم أنشأوا هيئات طبية متقلة لتصل إلى الجهات البعيدة ، بل وإلى السجون . وكانت أولها هي التي أنشأها الخليفة العباسي المقتدر . وقد جمع الأطباء المسلمون بين طب اليونان والفرس والهنود والعرب ، كما أضافوا إلى ذلك كثيراً من نتائج خبرتهم . وقد انتقد بعضهم آراء جالينوس أو أبقراط ، كما أدخلوا الترتيب والتبويب في الكتب التي ترجموها كما فعل ابن أبي الأشعث بكبج جالينوس ، كما استحدثوا الشروح على كتب القدماء .

وكان الأطباء المسلمون هم أول من استخدم المرقد (البنج) في الطب ، فاستخدموا في ذلك الزوان أو الثيليم ، وكانوا أول من استخدم الخلال (السواك) المعروف لتنظيف الأسنان .

وقد وجد أطباء الإفرنج أن المسلمين كانوا أول من استخدم الكاويات في الجراحة ، وأول من تنبه إلى شكل الأظافر في السلولين ، وأول من وصف علاج اليرقان ، وعلاج صب الماء البارد لقطع النزف ، وعلاج خلع الكتف بطريقة رد المقاومة الفجائي ، وأشاروا إلى عملية تفتيت الحصاة في الكلية . وعن التأليف في فروع الطب كان الأطباء المسلمون أول من كتب في الجزام ، وأول من وصف الحصبة والجذري ، وقد فعل ذلك أبو بكر الرازي في كتاب له ، هذا عدا ما ألفوه من موسوعات . كما شاع عن الأطباء المسلمين فحص بول المريض للتعرف على حالة الكلية والكبد ، وجس النبض لاعتقادهم بأن النبض يدل على حالة القلب .

بل ونبت جماعة من النساء في الطب منهن أخت الحفيد زهر الاندلسي وأبتها وذلك زمن المنصور الأندلسي ، وزينب طيبة بنتي أود التي رعت في جراحة العين .

وكان اهتمام الرشيد بم التأمين بتشجيع العلوم والترجمة هو البداية لظهور طب إسلامي ونظريات علمية مبتكرة . ولع جابر بن حيان الذي يعرف «بأبي الكيمياء» والرازي الذي وضع دائرة معارف طبية في خمسة وعشرين جزءاً ترجمت جميعها إلى اللاتينية ، وظلت تدرس في جامعات أوروبا حتى نهاية القرن الخامس عشر . وظل الطلاب يعملون عليها حتى ظهر كتاب القانون لابن سينا ، وهو كتاب معروف حتى اليوم ، وهو قاموس في الطب والصيدلة جمع أبحاث اليونان والهنود والفرس والعرب من الأمراض ومعالجتها والعقاقير

وتخصائصها . ومن الكتب الطبية الإسلامية التي انتفع بها الإفرنج في مطلع الحضارة الأوروبية كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي . ونرى ذلك مفصلاً في كتاب «طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة ، «تراجم الحكماء» لابن القفطي .

وقد أخصى أطباء بغداد وحدها زمن المقتدر بالله من أول القرن الرابع للهجرة فبلغ ثمانمائة وستين طبيباً .

وظهر في القاهرة في القرن الثالث عشر الميلادي طبيب عظيم يدعى ابن النفيس ، تصدى لنظريات جالينوس وفنّدها ، وصحح أخطاءها ، وبنى معلوماته على أسس تشريحية ومبادئ منطقية ، وقد أثبت أن الدم يتجه من البطن الأيمن إلى الرئة حيث ينتقى ، ومن هنا يرجع إلى البطن الأيسر ليوزع على كافة أعضاء الجسم .

كيف نشأ الطب الإسلامي وكيف تقدم ١٩

جدّ الخلفاء والأمراء وأهل الثراء في جمع المخطوطات العلمية والطبية من شتى بقاع العالم المتحضر ، وكان العرب في بعض الأحيان إذا فتحوا بلداً نقلوا إلى عاصمة ملكهم كل ما فيه من مخطوطات ، كما حدث عندما فتح الرشيد عمورية وأنقرة ، وعهد بترجمتها إلى «يوحنا بن ماسويه» . وقد نصّت معاهدة الصلح بين المأمون وإمبراطور الروم ميشيل الثالث على أن يهب الإمبراطور للعرب مكتبة القسطنطينية التي كانت تحوي ذخائر بلغت مائة ألف مجلد علمي وطبي ، وفعل المأمون ما يشبه ذلك مع حاكم صقلية المسيحي .

واقتفى كبار الدولة وأهل الثراء من محبي العلم أثر الخلفاء فأرسل موسى بن شاكر في طلب المخطوطات من بلاد الروم ، وأجزلوا المعطاء لمن قام بترجمتها ومن بينهم حنين بن اسحق وثابت بن قرة وغيرهم ممن كانوا يتقاضون من كل شهر خمسمائة دينار . وبلغ من توفير الأطباء أن الخليفة المعتد بالله كان يسير يوماً في بستان داره فائقاً على يد طبيبه «ثابت بن قرة» ثم جلبها بشدة حتى فرغ ثابت ، فقال له الخليفة «يا أبا الحسن : سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها ، وما هكذا يجب أن يكون . فإن العلماء يعملون ولا يعلّون . كتب الطب المنقولة عن اليونانية :

(١) كتب أبو قراط (تسعة كتب) منها كتاب الأمراض الحادة نقله عيسر بن يحيى .

(٢) كتب جالينوس (الستة عشر) وقد نقلها كلها حنين بن اسحق إلى العربية إلا أربعة منها نقلها حيس ، وله إلى جانب ذلك ثمانية وأربعون كتاباً نقلت إلى العربية كذلك .

وبعد عصر الترجمة ظهرت مجموعة من الأطباء المسلمين قامت .. بعد أن هضمت المخطوطات الطبية القديمة بتنقيحها من اللوايب والأوهام .

المسلمون ينظمون المهنة الطبية :

كان المسلمون أول من أسس مدرسة للطب وألحق بها مستشفى وعيادة خارجية ، وسُحِم للطلبة بتحصيل العلوم الطبية من هذه المدرسة على نفقة الدولة ، ومن مال ما حبس عليها من أوقاف . وكان الأهالي يحضرون إلى المستشفيات للتداوي ، وكانوا يُفحصون من العيادة الخارجية وتصرف لهم الأدوية ، أو يُجرى لهم العمليات الجراحية الصغرى مثل جبر الكسور ، أو يعالجون داخل المستشفيات . وقد كتب علي بن عيسى وزير الخليفة المقتدر في أواخر القرن الثالث الهجري إلى متولى الوقف الذي ينفق منه على البيمارستان العصري بالعناية بتدفة المرضى ، وتقديم القوت والعلاج لهم ، بل تضع الخليفة نفسه شريفة العناية بالمساجين المرضى . وامتلأت الخدمة الطبية إلى القرى بواسطة مستشفيات متقلة (توصية علي بن عيسى الوزير إلى سنان بن ثابت طبيب البلاط) ومضى سنة ٣١٩ هـ . إتصل بالخليفة المقتدر أن خطأ جرى على العامة من بعض الأطباء فأت رجل ، فأمر بحسب الدولة إبراهيم بن محمد بن بطيحا ، أن يمنع جميع الأطباء من التصرف إلا من إئتمنه «سنان بن ثابت» ، وكتب له رقعة بخطه بما يطلع له التصرف في الصناعة ، وأمر سنان بالتحاقهم ، وأن يجدد لكل واحد منهم ما يصلح له ، وما يتصرف فيه من الصناعة (حسب اختصاصه) . ولما انتهى سنان من امتحان أطباء بغداد ، تفررت طريقة الامتحان واعطاه الإجازات من فروع الطب ، وأعلنت بها العواصم الأخرى .

وهذه أول مرة يسجل فيها تاريخ الطب كيف بدأ نظام الامتحان ومنح الإجازات (الشهادات) في فروع الطب والجراحة والطب الباطني وطب العيون والتجبير . ويصف لنا الرحالة ابن بطوطة (القرن الرابع عشر) مباني المستشفيات ، كما ذكر المقرئزي (القرن الخامس عشر الميلادي) تفصيلات تاريخ خمسة من مستشفيات القاهرة ، وأقدمها هو مستشفى أحمد بن طولون (٧٨٣ م) . وأهمها للمارستان الدرهم ، وكان يقبل للعلاج فيه كل للمرضى : من الاغنياء والفقراء ، من النساء والرجال إذ كانت به قاعات فسيحة للنساء وأخرى للرجال ، كما عُن به ممرضون وممرضات لرعاية المرضى . وكان يفرد به قاعة كبيرة خاصة للمرضى بالحصى ، وأخرى لأمراض العيون ، وثالثة للحالات الجراحية ، وقاعة للدوستاريا والعلل المشابهة . وكان بالمستشفى مطبخ ، وحجر للدرس ، ومخازن للأدوية كلمة والأجهزة ، وصيدلية ، وغرف للأطباء .

وأصبحت كلمة البيمارستان قاصرة على الدلالة على بيت المجانين مع أن معنى الكلمة بالفارسية هو «مكان المرضى» . وبدأت تستخدم كلمة مستشفى العربية . وأفردت منذ أول الأمر في المستشفيات صالات خاصة لمرضى العقل منذ عهد مستشفى أحمد بن طولون في القاهرة .

وبعد أن استتب الأمر للفاطميين في مصر قاموا ببناء دار الحكمة ونخب كثير من ابناء هذه الدار في الطب والصيدلة منهم : ابو عبدالله بن سعيد التيمي وله في الصيدلة كتاب «الرشيد إلى جواهر الأغذية وقوى المفردات» . وأحمد بن يحيى البلدي وله من الطب كتاب «تدبير

الحبابي والأطفال . أبو القاسم عمار بن علي الموصلي وقد ألف كتابا في طب العيون أسماه المتجيب في علاج العيون . علي بن رضوان الطبيب المشهور زمن المستنصر بالله الفاطمي .

وازدهر الطب في العصر الأيوبي وكان هناك أطباء لفروع الطب المختلفة ، وكان طبيب العيون يسمى « كحاله » وطبيب العظام يسمى « مجبرا » . كما اهتمت الدولة الأيوبية بالطب البيطري لكثرة استخدام الخيول في الفتوح . وقد اشتهر من أطباء العهد الأيوبي : أحمد بن الحاجب ، وأحمد بن بجليد القافقي ، وأسامة بن منقذ الذي ألف كتاب « الاعتبار » في الطب ، محمود بن عمر بن ربيعة الذي برع في نظم الكتب الطبية . وبعد العصر الأيوبي في مصر كان هناك ابن النفيس أبو الحسين علي (وسوف يتحدث عنه الكتاب بالتفصيل بعد ذلك) وأحمد بن عبد النعيم الدمنهوري الذي ألف في علاج البواسير وعلم التشريح وعلاج لسعة العقرب .

الأطباء المسلمون وتشخيص الأمراض :

كان الأطباء المسلمون يفحصون البول ، ويحسّون النبض . ووضعوا لأول مرة في التاريخ وصفا لأعراض بعض الأمراض المعدية فابن سينا كان يفرّق بين التهاب الرئوي والبلوري ، وبين التهاب السحائي الحاد والثانوي وبين المغص الكلوي والمغص المعوي .

والرازي أول من وصف بدقة مرض الجدري والحصبة ، كما أنه أول من كشف عن مرض الحساسية حين كتب رسالة في الحالة التي كانت تصيب إبراهيم البلخي عندما يشم الورد ، واكتشف أن الموسيقى تصلح في علاج بعض الأمراض .

والمسلمون هم أول من استخدم « المختبر » في الطب والعمليات الجراحية ، وأول من وجّه النظر إلى شكل الأنفا عند مرضى الصدر ، ومن استخدم « الأفيون » لمعالجة الجنون ، والماء البارد لمعالجة التزيف .

وهم أول من كتبوا في الجزام ، وأشاروا بالمأكولات النباتية علاجا للبواسير ، وأول من اكتشف مرض الأنكلستوما ، والسل الرئوي ، ومرض القيل ، وكشفوا عن الحشرة التي تصيب بالجرب . وكان الطبيب الأندلسي الوزير لسان الدين بن الخطيب أول من أشار إلى انتشار الطاعون بالعدوى . وفي طب العيون كان كتاب الكحال صلاح الدين بن يوسف « العين » هو أكبر مرجع جامع في أمراض العيون وأدويتها ، كما أن لابن النفيس مباحث في العين في كتاب عن الكحالة .

وفي الجراحة استخدم الأطباء المسلمون المخدرات وأخذوا بخيوط الجروح من أمعاء القطط ، فكان المسلمون هم أول من استخدم الأوتار الجلدية في تخييط الجروح بعد العمليات . وعرف الأطباء المسلمون الطب النفسي ، وكانت المستشفيات تضم أجنحة

للأمراض العصبية والعقلية ، ووضع بعض الأطباء المسلمين رسائل في الأمراض النفسية فابن عمران وضع كتابا في الماغوليا ، وكتب ابن الهيثم عن تأثير الموسيقى في الإنسان والحيوان . ويعتبر الرازي رائد الطب النفسي فكان يقول « على الطبيب أن يربّي مريضه بالشفاء ، وحتى ولو كان يتوسا منه ، فإن فراق الجسم نافع من مزاج النفس . » إن كتب « طبقات الأطباء و «الفهرست» وكشف الظنون وغيرها تثبت أن الذين مارسوا الطب والصيدلة كثيرون .. وأنه كان لهم نظام يسرون عليه ، ورئيس يمنحهم ، ويحيز للمقتدر منهم .

الرازي : أبو الطب العربي الاسلامي

ولذا أبو بكر محمد بن زكريا الرازي في الري عام ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م . وقد شغل بدراسة الكيمياء وكان له قريب صيدلاني رأى عنده كثيرا من العقاقير والادوية . فكان الرازي أول من ذكر حامض الكبريتيك وحضّره وسماه الزاج الأخضر ، واستطاع استخراج الكحول بتقطير المواد النشوية والسكرية للتخمرة . ويورد الكتاب أقاصيص لطيفة عن براعة الرازي التي شدّت الانتباه إليه مثل قصة علاجه لفلانم جاءه من بغداد كان قد شرب من مياه راكدة من الطريق فعرف الرازي أن في أمانه ديدانا ، وقصة أخرى حين استدعى إلى بخاري لمعالجة الأمير منصور الذي كان يشكو من أمراض رماتيزمية وكيف استثار الرازي غضب الأمير يساعده ذلك في العلاج أي أنه استخدم نوعا من العلاج النفسي فزاع صيته حتى استدعاه الخليفة المعتضد بن الواثق ليدبر بيارستان بغداد الكبير ، ويورد الكتاب كذلك قصة لطيفة عن طريقة اختيار الرازي لموقع المستشفى حتى إذا بنى كان الرازي يجتمع فيه مع مساعديه وتلاميذه ويوجههم .

وكان الرازي أول من استخدم الموسيقى لعلاج بعض الأمراض ، وأول من تنبه إلى الأمراض الوراثية ، وأول من قام بعلاج الحمى مستخدما الماء البارد . وكان ينصح تلاميذه من الأطباء بضرورة مناقشة المريض عن أحواله وتفاصيل مرضه ليصحّ التشخيص . « والفهرست » يعدله ١١٣ مؤلفا كبيرا و ٢٨ مؤلفا صغيرا ضاع معظمها .

وأوسع مقالاته الطويلة الكثيرة شهرة في أوروبا هي رسالته عن الجذري والحصبة ، وقد نشرت لأول مرة بالعربية مع ترجمة لاتينية قام بها « شانج » بلندن سنة ١٧٦٦ م ، وكانت قد سبقها ترجمة لاتينية في فينا سنة ١٥٦٥ م ، كما ظهرت لها ترجمة إنجليزية قام بها جرينهل نشرتها جمعية سيد نهام سنة ١٨٤٨ م فاحتلت مكانة عالية باعتبارها أول مقالة عن الجذري . ونشرت رسالة أخرى للرازي في لندن عام ١٨٩٦ م عن حصى المثانة والكل مع ترجمة فرنسية قام بها الدكتور ب . دي كونينج وهو الذي نشر كذلك نص الجزء الخاص بالتشريح من كتاب « الحاوي » للرازي . كما قام ستينشيلدر بترجمة مقالات أخرى له إلى الألمانية ، وفي المكتبات العامة بأوروبا والشرق مقالات أخرى له ، كما أن مكتبة جامعة كمبرج قد حصلت حديثا على مخطوط يحتوي على مقالات له عن التقرس والروماتزم والمغص القولوني .



أبو بكر الرازي

والرازي معترف بملاحظاته الاكلينيكية وقد دون بعض الحالات الطبية المثيرة التي لاحظها في كتبه. ويقول عنه ابن أبي أصيبعة في كتابه «طبقات الاطباء» أن له ثمة ملاحظات ثمينة، وأنه قد توصل متفردا — إلى مداواة بعض المرضى مع التعرف على الأعراض والعلاج.

والرازي هو موضع تقدير الجامعات الحديثة: فقد خصصت جامعة برنستون الامريكية أكبر جناح من أجمل بناء لها لعرض مآثر هذا الطبيب المسلم الذي يعد أول واضع للطب

التجريبي إذ كان يجري تجاربه على الحيوانات ليختبر تأثير الأدوية عليها . ثم يسجل جميع ملاحظاته .. وفي بوليس تعلق كلية الطب على جدرانها صورة الرازي ضمن صور أكبر الأطباء الذين خدموا الإنسانية .

وقد اكتشف له حديثا كتابه المسمى « الصنعة » في بيت أمير هندي ، ولما قسم المواد فيه لم يقسمها كما فعل جابر بن حيان وتابعوه إلى أجسام وأرواح وأهوية بل إلى نباتية وحيوانية ومعدنية .

وللرازي كتاب شهير اسمه « سر الاسرار » تضمن شرحا مفصلا لمنهجه في البحث والتجربة فبدأ بوصف المواد التي يستعملها ، ثم تحدث عن وصف الآلات والأجهزة مع تسجيل للعمليات الكيميائية . وفي هذا الكتاب وصف الرازي ما يزيد على عشرين جهازا كيميائيا بطريقة دقيقة . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وأفاد منه علماء أوروبا ومنهم الفيلسوف العالم الانجليزي روجر بيكون .

ابن سينا

ولد في قرية قريبة من بخاري سنة ٣٧١ هـ / ٩٨٠ م أيام الأمير نوح بن منصور ، ثم انتقل مع أسرته إلى بخاري ، وأحب دراسة الطب منذ صباه حتى ذاع صيته بعيدا ، فلما مرض الأمير رضا وراح الأطباء في علاجه استدعى ابن سينا فعالجه حتى شفى فغمره بأعطيته ، وأعلى منزلته ، وسمح له بالإطلاع على نفائس مكتبته الخاصة الفنية . فلما توفي والده رحل إلى جرجان حيث زامل رجلا من أهل العلم يدعى الشيرازي الذي سمح له أن ينهل من مكتبته ، وهناك بدأ في وضع مؤلفاته التي بلغت أكثر من مائة كتاب .

وكتاب « القانون » هو أكبر كتب ابن سينا حججا وأعظمها شهرة . وقد ترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكرموني في طلبلة حيث تمت كثير من الترجمات من العربية إلى اللاتينية . وحلّى الكتاب بالصور والرسوم التوضيحية ، وتوجد طبعة مصرية حديثة للنص العربي ، كما أن له ترجمة عربية . ويعتبر موسوعة لم يترك فيه ابن سينا بابا يتعلق بالطب إلا طرقة وأفاض فيه . وهو في الحق خمسة كتب : أولها في الامور الكلية في علم الطب أو كما قال « من ماهية العضو وأقسامه والعظام والمضلات والأعصاب والشرايين والأوردة » وبسط في الكتاب الثاني القوانين التي يجب أن تعرف من أمر الطب ، والثالث والرابع ذكر فيها « الجزء العملي الحافظ للصحة ، والعمل المعيد للصحة » ويختص الخامس بالأدوية المركبة « الأقرباذين » .

وكان هذا الكتاب أهم مرجع طبي في العصر الوسيط إذ كان يدرس في مدارس الشرق وجامعات أوروبا على حد سواء . وأول جامعة أوربية اعترفت به رسميا كمرجع في تدريس الطب كانت جامعة بولونا حيث أنشئت كلية للعلوم عام ١٢٦٠ م . ومنذ ذلك الحين بدأ قانون ابن سينا يغزو جامعات أوروبا اللاتينية حتى أصبح يمثل نصف المقررات الطبية فيها في

وأواخر القرن الخامس عشر . وظل الحال كذلك حتى أوائل القرن السابع عشر الميلادي .

وابن سينا هو أول طبيب قام بحقن الإبر تحت الجلد ، وأول من استخدم التخدير لإجراء العمليات الجراحية . أول من فطن إلى التأثيرات النفسية في الجهاز الهضمي فأرجع أمراض المعدة إلى أسباب نفسية وعضوية . وقد فرّق بين حصاة المثانة وحصاة الكلية في الطريقة والمقدار ، وأدرك أن الحصاة الصغيرة أحسى للبول من الكبيرة لأنها تنشب في المجرى أما الكبيرة فقد تنزل في المجرى بسرعة .

وكان ابن سينا أول من فرّق بين شلل الوجه الناشيء عن سبب داخلي وبين الناشيء عن سبب خارجي . وأول من وصف الديدان المعوية . وأول من أجاد وصف الجهاز التنفسي والأمراض العصبية . وعرف عصره الجراحة المتصلة بالأورام الخبيثة أي السرطان . ويقر الدكتور كاظم مدير جامعة استنبول في بحثه الذي لقيه في مؤتمر ابن سينا من بغداد آراء ابن سينا عن السرطان ، كما أن ابن سينا استطاع أن يكشف الصلة بين الجسم والنفس وأورد الكتاب قصة طريفة عن غلام قريب لأحد الحكام يرض بشدة واستطاع ابن سينا يجس نبضه أن يتعرف على أن الغلام عاشق لفتاة معينة . وقد ظل طيه وفلسفته يُدرّسان في أكثر جامعات أوروبا نحو سبعمائة سنة حتى القرن الثامن عشر الميلادي وبخاصة جامعة مونبلييه بجنوبي فرنسا .

وقد أحصى العلامة الألماني وستفولد من مؤلفات ابن سينا مائة وخمسة من الكتب في علوم الطب والفلسفة والدين والفلك واللغة والأدب والموسيقى والهندسة والمنطق والعلوم الطبيعية وغيرها .

وقد كتب عنه الطبيب المؤرخ الإيطالي كاستليون فقال « بعد ابن سينا معجزة من معجزات العقل الراجح ، ويظن أنه لم يسبقه ولم يظهر بعده من العلماء من يدانيه في حدة الذكاء ، وسرعة نبوغ العقل بالقياس إلى العمر مع عزم ونشاط لا يعرف الملل .

الصيدلة وعلماء المسلمين

أقام الأطباء المسلمون في بغداد أول صيدلية منظمة تمد الناس بالأدوية ، كما وضعوا كثيرا من المصنّفات والكتب في الأدوية وتركيبها وتصنيفها ومفعولها وخواصها ، وابتدعوا الكحول والأشربة والخلاصات والمستحلبات . وكان ابن سينا يغلف الحبوب التي كان يصنعها للعرض .

وكان العلماء المسلمون أول من استعمل الأفيون والحشيش وغيرها من أغراض التخدير الذي يسبق الجراحة ، وقد جمع ليكرك من مؤلفاته النص العربي وما يقابلها من النص اللاتيني ، ومن مقابلة النصين يظهر الاقتباس من اللفظ العربي ، ويتضح ما أصابه من تحريف في النطق أو عند الترجمة .

- وحديثنا التاريخ عن كثير من الصيادلة المسلمين المشاهير منهم :
١. ابن البيطار وهو أول عالم عربي ألمّ بتفاصيل النباتات ووضع فيها كتابه «الجامع الكبير» الذي حوى وصفا دقيقا لألفين منها ، وكتاب «المغني في الأدوية المفردة» وكتاب «الأفعال الغريبة والخواص العجيبة» .
 ٢. ابن سينا : الذي قسّم في كتابه القانون ما يزيد على ٧٦٠ دواءً .
 ٣. أبو علي بن يحيى بن جرله — وقد ألف من الأدوية كتابه المسمى «النهج» الذي رتبّه على الحروف الهجائية ، وجمع فيه أسباء الحشائش والعقاقير والأدوية .
 ٤. الوزير عبد الرحمن بن شهيزر الأندلسي وقد جمع في كتابه «الأدوية المفردة» الكثير من العقاقير ورتّبها على حسب قوتها ودرجتها ، وكان يرى النداء بالاعذية ثم الأدوية المفردة .
 ٥. الإمام الرازي الذي وضع أول كتاب عن الأعشاب اليونانية وعنوانه «كتاب عن حقائق الأدوية» الذي يحتوي على خمسمائة وخمسة وثمانين نباتاً طيباً .

فصل الأطباء المسلمين على الجراحة

كان العرب قبل الإسلام لا يكادون يعرفون من طب الجراحة إلا الحجامة والقص والكلي والبر. ولما أخذوا من الفتح والاختلاط بالأمم المغلوبة استخدموا أطباء هذه الأمم ونقلوا عنهم علومهم ، واهتموا من البداية بالأمراض وعلاجها أكثر من اهتمامهم بالجراحة لعدم ممارستهم علم التشريح . ولم يبدأ اهتمامهم بالجراحة إلا متأخرا وحين بدأوا من نقل كتب أبقراط وجالينوس .

وأول من ذكر الجراحة في مؤلفاته هو الرازي ، ولكن كانت ممارسته بدائية ، ولم تصل الجراحة إلى درجة المهارة إلا في العصر الأندلسي على يد أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي .

وقد ولد الزهراوي في الزهراء بأسبانيا عام ٩٣٦ هـ / ١٠١٣ م . وأصبح المثل الأعلى في الجراحة عند المسلمين في القرون الوسطى وكان بيته دار ندوة يقصده طلاب العلم والتداوي بالليل والنهار ، وأصبح الطبيب الخاص للأمير عبد الرحمن .

وكان كتاب أبي القاسم المسمى «التصريف» يقع في عشرين جزءا ترجمت كلها إلى اللغة اللاتينية . وكان جيرار دي حريمون هو الذي ترجم الجزء الأخير المتعلق بالجراحة وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي وجاء الجزء الأول منه عن النظريات وعموميات الطب ، والجزء الثاني يحتوي على فصول عن الأطفال والمسنين والرماتزم والدمايل والسموم والأمراض الجلدية والحميمات ، والجزء السادس منه خاص بالأطعمة المناسبة للأمراض المختلفة ، وفي الجزء السابع تناول الأدوية البسيطة مرتبة على حروف المعجم ، أما الجزء العشرون فهو خاص بالجراحة وله للترلة العليا في تاريخ الجراحة .

وكان لترجمة جيرار دي كريمون الجزء الخاص بالجراحة إلى اللاتينية فضل على نشر الجراحة في القرون الوسطى وقد وقعت هذه الترجمة من طليطلة .

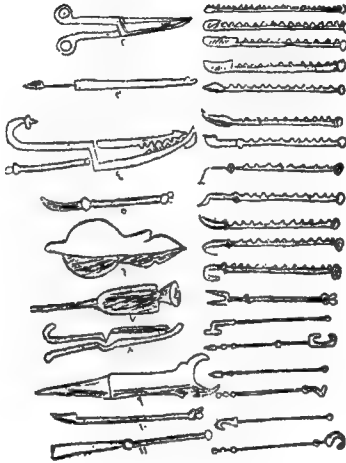
وكان الزهراوي يذكر بجوار كل موضوع تجاربه والعلمية ، وفي أول كتابه أوصى بضروة معرفة علم التشريح على أنه أساس كل جراحة . وكان الزهراوي أول من استخدم الرسم والأشكال والصور في مؤلفه عن الجراحة ، ولم يقتصر على ذكر تحضير الأدوية بل تناول أيضا طريقة حفظها ، وعين معدن الأوعية التي توافق كل واحدة منها .

وقد نقل عن الزهراوي الكثير من المسلمين والاوربيين منهم ابن البيطار وابن القوام ودي كلوديس الجراح الاوربي الكبير في القرن الرابع عشر الميلادي وقراري الطبيب الايطالي في القرن الخامس عشر ودي جرايلس وسانوس دي اردوزيرس في نفس القرن عن السموم .

وقال هولتز ان الزهراوي هو أول من ربط الشرايين ، وقال بوسكا انه أول من استعمل

الستارة في استخراج البوليبيوس ، وقال فرند أنه كان أول من نبه إلى الاحتياطات الواجب اتخاذها لمنع أخطار العمليات الجراحية ، وكل هؤلاء من أطباء عصر النهضة الاوربية الذين اعتمدوا على الزهراوي . وكانت العمليات الجراحية ثلاثة أنواع : الأول الكي والثاني استعمال المشروط من شق وفصد ، والثالث تجبير العظام . وكانت الآلات الجراحية تصنع إما من الحديد أو الذهب أو النحاس ، وبالنسبة للكي كان الزهراوي يفضل الحديد على الذهب والواقع أن عنده الحق في ذلك إذ أن لون الذهب يمنع معرفة درجة الحرارة هل هي حمراء أم بيضاء إلا في الظلام ، والمعروف أن الكي يكون على درجة الحرارة الحمراء . واختلف شكل الآلات الجراحية باختلاف الفرض منها ، وكان استخدام المياضع أكثر ما يكون من الأورام . وكان الزهراوي — كغيره — يعتقد أن الكي أكثر ما يلجأ إليه الطبيب : « آخر الدواء الكي » ، وكان الزهراوي يستعمل قطع الشريان الذي في الأصداع لمداواة الصداغ المتكرر . ويورد الكتاب وصفا ذكره الزهراوي من ذلك . وقد نصح الزهراوي باستخدام خيوط الجراحة من الحرير أو من أوتار من جلد أمعاء الأغنام وذلك حتى لا يسرع إليها العفن قبل التئام الجرح فيحدث التزف . وقال لكلارك أحد علماء النهضة الأوربية أن أبا القاسم الزهراوي كان أول من استعمل ربط الشرايين لإيقاف التزف . ومن العمليات التي ابتدعها الزهراوي استخراج الحصى ، وكان الزهراوي يتعامل على كسرها بالكلايب .

ومن العمليات التي انفرد بها الزهراوي جراحة الأسنان بطريقة الخلع بالكلايب ، ونشر الأسنان الزائدة ، وتشبيك الأسنان المتحركة بخيوط من ذهب ، وكان الزهراوي يجري كذلك عملية قطع اللوزتين وذلك بأن يكبس الجراح اللسان بآلته ، ثم تفرز صنارة في اللوزة وتشد إلى خارج الفم ، وتقطع بالة كالمقارص . وهذه الطريقة تشبه الطريقة الحالية مع بعض التعديل . ومن الخطأ مقارنة جراحة الزهراوي بعلم الجراحة الآن ،



آلات جراحية كانت مستعملة في عهد الزهراوي في الأندلس

- (١) صور آلات مختلفة لتجريد الاسنان وتنظيفها (٢) مقص لقص السيل أي المروق الحمر في العين (٣) مقدهج لفتح العين في عملية الكتركتا (٤) كلابه لترزع أصل الضرس للسكور (٥) عتلة لفتح أصل الضرس اذا لم يقلم بالكلاية (٦) مسعوط تقطره الادوية في الانف (٧) جفت لاجراج ما يقع في الاذن (٨) كلابه لفتح اصول الاضراس (٩) جفت لترزع العظام المتكسرة من الفك (١٠) آلة لقطع الضرس الزائد الثابت خلف غيره (١١) مبرد لترزع الضرس الزائد اذا أمكن برده .

ابن زهر :

وهو من أسرة من ألمع الأسر الاندلسية في الطب وكان والده زهر الذي مات في قرطبة عام ١١٣١ م طبيباً مشهوراً ألف عدة كتب طبية منها كتاب في الرد على أبي علي بن سينا في مواد من كتابه في الأدوية المفردة .

واسم طبيبنا هذا كاملاً هو عبد الملك ابن أبي العلاء زهر ، وكنيته أبو مروان . وكان أكبر طبيب في زمانه في أسبانيا المسلمة والمسيحية على السواء . وقد ولد في اشبيلية وعمل في دولة المرابطين حتى إذا خلفهم الموحدون أصبح وزيراً وطبيباً لأول أمراءهم عبد المؤمن . وقد مات ابن زهر عام ١١٦٢ م ولعله كان أكبر إكلينيكي بعد الرازي ، ورغم أنه قد اتبع جالينوس شأنه شأن غيره إلا أنه مال كثيراً إلى التجريب .

— كتاب الاقتصاد في إصلاح النفس والأجساد ، وقد قصد به غير المتخصص في الطب ، وفي أوله ملخص لعلم النفس .
— كتاب التيسير في المداواة والتدبير . وهو أخطر كتبه ، وقد كتبه بإيعاز من صديقه الفيلسوف ابن رشد . وفي الكتاب وصف تفصيلي للأمراض ودوائها .
— كتاب في التغذية ، وينصح فيه بالتغذية الاصطناعية عن طريق الفم والمستقيم عند الضرورة . وإلى ابن زهر ينسب أول مصنف للطب الذي يسبب مرض الجرب وهو حشرة كُرَّاس الدبوس حجماً وتصيب الإنسان وكذلك الكلاب .
وقد ولد لابن زهر ولد أصبح طبيباً ناجحاً له كتاب في أمراض العين ، وولدت لهذا الابن ابنة أصبحت طبيبة مولدة ماهرة .

ابن النفيس

اسمه بالكامل «علاء الدين أبو الحسن القرشي» ، ولد في دمشق عام ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م ، رحل إلى القاهرة وتولى إدارة الديرستان المنصوري الذي أنشأه قلاوون ، وكان أكبر مستشفياتها . وقد عاش حياته التي زادت على ثمانين عاماً عزياً ، وأوصى بوقف داره في القاهرة ومكتبته الحاملة بالكتب على البحار شحاتات . وقد قَدَّمَهُ أهل عصره ووصفوه بأنه كان إمام الطب ، وكان لا يتردد في نقد أخطاء كبار الأطباء السابقين مثل جالينوس ، وكان يؤمن بقيمة الملاحظة والتجربة والدراسة العلمية العملية . ويقال إنه قد مارس التشريح في السر . وقد راجع «القانون» لابن سينا ، وكان يفضل أبو قراط على جالينوس . وقد عارض في كتابه «شرح تشريح القانون» بعض آراء جالينوس في انتقال الدم إذ كان من رأي ابن النفيس «أن الدم ينتقل من الجانب الأيمن للقلب إلى الرئتين أولاً ، وهناك عن طريق الشعيرات الدقيقة يخالط الهواء في الحويصلات الرئوية الدقيقة فيصلح أمره ، ويعود إلى الجانب الأيسر من القلب بعد ذلك . وهكذا يكون ابن النفيس هو أول مكتشف للدورة

الدوية الصغرى ، وأول من عرّف وظائف الرئتين والأوعية الدموية التي تصلها بالقلب والشعيرات الدموية التي بين الشرايين والأوردة الرئوية . وهو الأصل الذي ترجم عنه ونسبه لنفسه بعد ثلاثة قرون من الزمان ميشيل سرفه في إيطاليا ، وهو الأصل الذي تجاهله ولهم هارفي وهو طبيب إنجليزي ولد سنة ١٥٧٨ م ونسب إليه كشف الدورة الدموية .

وقد اعترفت طبية ألمانية هي الدكتور سيجريد هونكه في كتابها «شمس العرب على الغرب» الذي أوضحت فيه فضل العرب على أوروبا بأن فكرة الدورة الدموية لم تخطر ببال جالينوس (١٢٠ — ٢٠١ م) حتى جاء ولهم هارفي في عام ١٦١٦ م ، وقضى على أخطاء جالينوس . وتحدث عن دورة دموية صغرى . وفي عام ١٩٢٤ تقدم شاب عربي إلى كلية الطب في جامعة فريبورج برسالة بالالمانية أظهر فيها فضل ابن النفيس في ذلك قبل هارفي بأربعة قرون . وابن النفيس هو الذي كشف أن القلب يتلقى غذاءه من الدم الذي يجري في الأوعية الدموية التي تتخلل القلب ، وأثبت أن الدم يتدفق إلى الرئة ليتشبع بالهواء ، وأثبت أيضا أن هناك وصلات بين شرايين الرئة وأوردها هي التي تتحكم في الدورة الدموية داخل الرئة . وذلك قبل أن يدعي كولومبو الإيطالي هذا الكشف لنفسه .

وابن النفيس أول من قال ان أوردة الرئة ليست ممثلة بيهاب كما قال جالينوس . وكانت طريقة ابن النفيس في العلاج تعتمد على تنظيم الغذاء أكثر مما تعتمد على الإفراط في استخدام الأدوية ، وكان يفضل وصف الأدوية المفردة على المركبة .

وقام ابن النفيس باختصار كتاب «القانون» لابن سينا وسماه «موجز القانون» ، كما كان يعتزم إصدار موسوعة في الطب في مائتي جزء . إلا أن الملية عاجلته فلم ينجز سوى ثمانين جزءا .

فصل الأطباء المسلمين على الحضارة الاوربية

ظلت مصادر المسلمين في الطب المصدر الوحيد للدراسة في أوروبا خلال ثمانية قرون ، بل إن جامعة مونبيلييه ظلت تأخذ بآراء ابن سينا في قانونه إلى أواخر القرن الماضي . ويمكن القول بأن الرازي هو واضع الطب التجريبي فقد كان يجرع القردة الزئبق ، ويختبر التأثير عليها ، ويسجل ما يشاهده ، كما أنه كان واضع طريقة تسجيل حالة المريض الحاضرة والسابقة وذلك للرجوع إلى ذلك عند اللزوم . وكان أول من عرف الحصبة والجذري وطوائف المعالجة النفسية .

وقد عرف ابن الخطيب الاندلسي العدوي قبل اكتشاف الجراثيم ، وعزا ذلك إلى سّر لم يستطع آنذاك معرفته وقال إن من خالط مريضاً مصاباً بالحمى أو ليس من ثيابه أبلى بالمرض ، ومن لم يخالط نجاً من العدوى .

أما ابن سينا فقد وصف القرحة الدرنية والقولنج الكبدي والكولوي والتهاب الرئة والتهاب

الدماغ والسحاباوصفالا نزال تأخذ بكثير منه حتى اليوم . وفي المهرجان الأثني لابن سينا الذي عقد في بغداد أقيمت المحاضرات عن فضل هذا الطبيب وعلمه . ويقول العلامة الفرنسي جول لا بوم : « كان الأطباء العرب في القرن العاشر يعلمون تشريح الجثث في قاعات مدرجة خصصت لذلك في جامعة صقلية ، وكشف ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى » . واعترف هوبولد الألماني بأن العرب قد أبدعوا شيئا كثيرا في الطب ، وأوجدوا علم الصيدلة . وعرفوا كثيرا من النباتات الطبية لم يكن يعرفها الأغريق ، ولا يزال كثير منها مستعملا ومعروفا باسمائها العربية بعد تحريفها منها الكافور ، الزعفران ، الخزام ، المر ، المن ، المسك ، الترياق ، القطن ، والفول وغيرها من الكلمات الكثيرة التي أوردها العالم أوكليرك في كتابه عن النباتات الطبية .

ويروي التاريخ أن أول مستشفى متنقل لازم للجيش العربية من حملاتها الأولى كان خيمة أقامها امرأة اسمها رقيدة وكانت تعالج فيها الجرحى .

وقد بنى أول بيارستان في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٦ م وكان فيها قسم للذكور وآخر للإناث . وكانت البيارستانات بمثابة مدارس للطب يتلقى فيها الطلبة علومهم وكان يبيأ لهم بها إخوانات مجهزة بالآلات والكتب ، وكان يلحق بها صيدليات خاصة ،

أما الأطباء فكان منهم من اقتص بالطب الباطني ، ومن اقتص بالجراحة أو التجبير ، أو

بأمراض العيون . وفي كتاب اصدريته جمعية الصداقة العربية الهولندية تحدث الكاتب الانجليزي شايلدروز بعنوان « العرب في نظر الغرب » يقول وهو يعبر عن أحاسيسه وهو واقف في ميدان الطرف الأغر بلندن : « البنوك التي تحيط بالميدان تستخدم الصكوك ، وتستخدم الأرقام وأصلها عربي ، والمحاري التي شقت تحت الميدان من ابتكار العرب ، والقبعة الزرقاء تزيئها نجوم تحمل أسماء عربية لأن الفلكيين المسلمين هم الذين اكتشفوها ، وهذا القائد نلسون صاحب التمثال إنما استطاع أن يوصل بأسطوله إلى الطرف الأغر في أسبانيا بفضل التحسينات الملاحية العربية على السفن ، ولقب أدميرال الذي يجعله تكريما هو تحريف عن « أمير البحر » ، والماء الذي تنفثه النافورات عند قاعدة تمثال نلسون ما كان نقيا لولا تقدم عمليات التقطير على يد العرب .

واستطرد قائلا بأنه لا يفوته فضل المسلمين في الطب واستشهد بالرازي الذي أقام له الباريسيون نصبا في القاعة الكبرى في مدرسة الطب ، كما علقوا صورته في قاعة أخرى في شارع سان جرمان ، أما ابن سينا فقد غطت شهرته في أوروبا على شهرة جالينوس إذ كانت آراء الأول أكثر واقعية .

أوروبا تقلد المسلمين في إقامة الحمامات :

باتصال الأوربيين بالمسلمين في الأندلس خلال الحروب الصليبية أعجبوا ببعض العادات الصحية عند المسلمين وخصوصاً النظافة فقلدوهم وأقاموا الحمامات العامة والخاصة وقلدوهم في استعمال العطور والمطهرات . وقد اعترف بذلك المستر بورد الأمريكي الذي أشهر إسلامه في أوائل العشرينات من هذا القرن ، واستشهد في ذلك بما ذكره العلامة جون دراير في كتابه « التطور الفكري في أوروبا » ، كما أوضحت تأثر الأوربيين بالمسلمين في هذا الشأن العلامة الألمانية زيجريد هونكه في كتابها المسمى « سعى الله على الغرب » وقد قدر أن عدد الحمامات العامة التي كانت في بغداد في القرن الرابع الهجري بلغت عشرة آلاف حمام ، وكانت مزودة بالماء البارد الساخن ، وكان تنظيف الأجسام فيها يشمل الشعر والأظافر مستخدمين في ذلك الأدوات الدقيقة والمواد المطهرة والمعطرة ، ومنها الصابون على اختلاف أشكاله وألوانه ورواحه ، وقطوعه قطعاً مربعة ومستطيلة ودائرية وبيضاوية وحلزونية ، ونقشوا عليها نقوشاً جميلة ، وصنعوا منه الأزرق والأخضر أو الوردى أو الأحمر حسب المادة المستخدمة لتلوينه ، وأضافوا إليه بعض الروائح العطرية .

علماء المسلمين والنباتات الطبية :

يقول المؤرخ كابتون بأن العرب قد استخدموا في الأندلس وسائل لإخصاب الأراضي البور وإصلاحها ، ويعترف سيدبور بأن العرب قد أضافوا مواد نباتية كثيرة كان مجهلها اليونان تماماً ، وزودوا الصيدلية بأعشاب استعملوها في التطيب والعلاج . وكان ابن البيطار في أواسط القرن السابع الهجري أكبر علماء النبات المسلمين — وهم كثيرون — وقد سافر إلى بلاد اليونان ، وتجول في المغرب ومصر والشام وآسيا الصغرى ، وجمع الحشائش والنباتات ، واجتمع هناك ببعض المعنيين بالتاريخ الطبيعي وأخذ عنهم ، كما فحص النباتات في بيئها ، وكان ملماً بمراجع اليونان ، وقد ترجم بعضها إلى العربية بدقة ونقدها ، ووعى كتب العلماء الذين سبقوه من العرب ، وطبق كل ذلك عملياً على النباتات فاستخلص منها أدوية وعقاقير . وكان قد جاء إلى مصر في خدمة حاكمها الأيوبي : وكتابه أصبح يعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش ، واسمه « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » وقد جاء كتاباً فريداً في النباتات ، بل كان عليه معدل أهل أوروبا في نهضتهم في هذه المجالات ، وفي استقصى ذكر الأدوية وأسماها ، وعرف القارئ بفوائدها ومنافعها ، وبين الصحيح من النافع والمشتبه فيه ، واعتمد في بحثه على أكثر من مائة وخمسين من المراجع ، ووصف فيه أكثر من ألف وخمسمائة عقار بين نباتي وحيواني ومعدي كان منها ثلاثمائة عقار جديد ، بل ذكر طريقة استعمالها ، ورتب كتابه طبقاً لحروف المعجم ليسهل على القارئ مطالعته ، وأشار إلى الأخطاء

التي وقع فيها سابقوه عند تعرضهم للأدوية لأنهم اعتمدوا على النقل بينما اعتمد هو على التجربة والمشاهدة ، ويتوج الكتاب انه كان يسجل أسماء الأدوية وغيرها بسائر اللغات بالإضافة إلى ذكر نبات الدواء ومنافعه وتجاريه ، وكان يعبر كل شيء بدقة ويضبط بالشكل والنقطة حتى لا يقع أي تحريف . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية والفرنسية والألمانية وغيرها ، واعتمد عليه علماء الغرب فأخذوا الكثير عنه واعترفوا بفضلله . وعلى ذلك فإن البيطار في مقدمة علماء النبات في المشرق والمغرب .

وهناك ابن سينا الذي وصف كثيرا من النباتات وخاصة الطبية في كتابه « القانون » كما كتب فصلا متما عن حياة النبات في كتابه « الشفاء » .

وكتب أبو بكر الرازي رسالتين عن النباتات العطرية والفاكهة .
وهناك الدينوري والأدريسي والبغدادى والقزويني وغيرهم من العشابين العرب ، كما أن الرحالة أمثال ابن بطوطة قد سجلوا في مشاهداتهم ومذكراتهم وصف كثير من النباتات وفوائدها الطبية .

ويعترف علماء الغرب بفضل العرب في هذا الميدان وذلك مثل رينالدي فيعرفون بأن الزعفران والكافور من النباتات الطبية قد انتقلت إلى الغرب من الشرق . وذكر ليكرك ما يزيد على ثمانين من المواد الطبية التي أدخلها العرب في العقاقير والمفردات الطبية وأوردتها بنصها العربي ، وما وضع لها من كلمات دينية واضحة التأثير بأصلها . وكان رشيد الدين الصوري يتجه إلى مواضع النبات ومعه مصور يحتد في محاكاتها بعد أن يريه رشيد إياها في أطوارها المختلفة من طراوة وجفاف ..

ووصح أبو زكريا الإشبيلي كتاباً جليلاً في الزراعة اعتمد فيه على معارف أهل العراق واليونان والرومان وإفريقية والأندلس حتى طرق الإخصاب والحرق والفرس والري . وقد ساعد هذا الكتاب أهل الأندلس على جعل بلادهم جنة الدنيا .

الصيدلية وعلماء المسلمين :

أقام الأطباء المسلمون في بغداد أول صيدلية منظمة تمدّ الناس بالأدوية ، كما وضعوا كثيراً من المصنّفات والكتب في خواص الأدوية وتركيبها وتصنيفها ومفعولها وخواصها . واخترقوا الكحول والأشربة والخلاصات والمستحلبات . وكان ابن سينا يغلف الحبوب التي يصنعها للمرضى .

ومن اشتهروا في فن الصيدلة :

١ . ابن البيطار وله إلى جانب كتابه السابق الإشارة إليه كتاب « المعنى في الأدوية المفردة »

وكتاب «الافعال والخواص العجيبة» .

٢. ابن سينا وفي كتابه « القانون » قسم الألم إلى خمس عشر درجة ، وأورد فيه ما يزيد على سبعمائة وستين دواء .

٣. أبو علي بنجي بن جزلة وقد ألف في الأدوية كتابه «المنهاج» . ورتبه على الحروف الهجائية ، وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية .

٤. الوزير عبد الرحمن بن شهنيد الأندلسي وقد جمع في كتابه «الدوية المفردة» الكثير من العقاقير ورتبها على حسب قوتها ودرجتها ، وكان يرى التدارس بالأغذية ثم الأدوية المفردة .

٥. الامام الرازي وقد وضع أول كتاب عن الأعشاب اليونانية عنوان «كتاب عن حقائق الأدوية» احتوى على خمسمائة وخمسة وعشرين نباتاً طيباً .

الكيمياء عند العرب :

كان للعرب بعد الإسلام إهتمام كبير بالكيمياء إما لتحضير المعادن النفيسة من معادن دونها مرتبة أو لتحضير دواء . واشتهر منهم في ذلك جابر بن حيان والرازي وابن سينا وابن رشد . حقاً لم يصلوا إلى تحويل المعادن إلى معادن نفيسة ، إلا أنهم أفادوا من مزاياهم للكيمياء فبحثوا في التخمير واستخراج الكحول بواسطة التقطير ، واستخرجوا الزيوت الطيارة من النباتات بواسطة العصور ، واكتشفوا الصورا وسجوها (قل) ، واستخرجوا السكر من عصير الفص بعبقه على النار ، وقطعوا شوطاً كبيراً في استخراج الفلزات وغيرها من المركبات الكيميائية . وما زالت الكيمياء تحمل مصطلحات وضعها العرب ونقلت إلى اللاتينية كما هي . وعرف العرب معظم العمليات البسيطة التي تستعمل حتى الآن مثل : التقطير ، الملقمة (استخدمت في إستخلاص الذهب) ، التسامي ، التكليس ، التبلر والترشيح . وأدخل المسلمون على الكيمياء الملاحظات الدقيقة ، والتجربة العلمية المتقنة ، واخترعوا الانبيق ، وحلوا عدداً كبيراً من المواد كالأوبيا ، وألفوا مباحث في الحجارة الكريمة ، وقرقوا بين الحوامض والقلويات ، ودرسوا ووصفوا مئات العقاقير .

وكان موسى بن جعفر الكوفي (في القرن الثامن) الذي يتساوى عصره في الكيمياء في أهميته مع عصر بريسلي ولافوازيه ، أول من أفصح عن حامض النتريك والماء الملكي وقد تحدث عنه روجر بيكون باعتباره أستاذاً كبيراً . والكيميائيون يقرأون بشغف طريقته في الحصول على حامض النتريك بتقطيره في الانبيق نترات البوتاسيوم والشب والزاج القبرصي معاً .

والرازي هو أول من وصف تركيب وخصائص حامض الكبريتيك وحصل عليه بنفس الطريقة الحالية : تقطير الزاج الجفاف الأخضر .

أما جابر بن حيان فقد حقق تقدماً كبيراً في علم الكيمياء نظرياً وعملياً يظهر أثره على الكيمياء القديمة والحديثة ذلك أنه قد شرح طرقاً محسنة للتبخير والترشيح والتصفيد والانصهار

والتقطير والتبلر . وكان يعرف طرق تحضير أنواع الزجاج ، وحجر الشب ، والقلويات ، وملح النشادر ، ونترات البوتاسيوم ، ونترات الصودا . وكان يحضر اكسيد الزئبق ، وخلّات الرصاص وغيرها . وكان يبي تحضير حامض الكبريتيك والأزوتيك الخام .

وكانت كل مؤلفاته تترجم إلى اللاتينية حال الحصول عليها ، وقد ترجم روبرت أوف شستر الانجليزي المجموعة الكاملة سنة ١١٤٤ م وكتابه « السبعين » ترجمة جيرار أوف كريمونا ، وترجم ريتشارد رسل سنة ١٦٧٨ أحد كتبه ، ونقل ألبرت الكبير من أحد كتبه كثيرا عنه .

وكتب المسلمون مباحث كثيرة في العقاقير مثل ما سويه المارديني البغدادي القاهري المتوفي سنة ١٠١٥ م ، وابن واقد بإسبانيا (توفي سنة ١٠٧٤ م) ، وقد ترجمت مؤلفاتها إلى اللاتينية ، وطبعت حوالي خمسين طبعة . وتدين المادة الطبية للعرب بكثير من العقاقير مثل السليخة والسنا الملكي والراوند والتمر هندي والجوز المتيء والقرمز والكافور والكحول الخ

وكان المسلمون بحق المبتكرون الحقيقيون لعلم الصيدلة . وأغلب المستحضرات التي ما زالت تستعمل حتى اليوم كالأشربة واللعوق واللزقات والمرامح والدهانات والمياه المقطرة الخ . هي جميعا من مبتكراتهم ، حتى إنهم قد نجحوا طرقا لتناول الأدوية عاد إليها الناس في العصر الحاضر على اعتبار أنها متكشفات حديثة فقد كان ابن زهر يعالج الإسهال بأن يجعل المريض يتناول ثمار العنب الذي روي كرمها بمادة مسهلة ، وأدخل الرازي في صناعة الصيدلة السهلات الخفيفة .

ثم أورد الكتاب قائمة من مصطلحات علم النبات العربي التي دخلت الإنجليزية واللغات الاوربية الأخرى استخرجها المؤلف من قاموس اكسفورد تبلغ خمسة وأربعين كلمة .

جابر بن حيان والد علم الكيمياء :

هو كيميائي المسلم الأول . وقد عدّ رائدا لعلم الكيمياء . وكانت جامعات أوروبا في مطلع النهضة الاوربية لا تعتمد على مراجع في علم الكيمياء غير كتب جابر بن حيان . وكانت لجابر مكانة في بلاط هارون الرشيد ببغداد إذ كان والده من الدعاة إلى العباسيين ، وكان جابر وثيق الصلة بالبرامكة . ويورد الكتاب قصة عن توصل جابر إلى نوع من الورق لا يحترق ثقّل عليه كتابا لأحد أساتذته . وكان ليحيى البرمكي جارية يحبها مرضت مرضاً شديداً فوافق يحيى على دخول جابر إلى غرقتها ، وأخذ يدرس حالتها ، ويسأل من حولها عن تاريخ مرضها ، ثم وصف لها أدوية قشقيت ، فزادت الثقة بجابر عند أهل الأمر .

وكان جابر عندما يجري تجربة يلتزم تحديد الغرض منها قبل البدء فيها ، ثم يتفرغ لها ، ويعمل العمل في مكان خاص مناسب ، ويختار الزمن المناسب لها ، ويصبر ويتأثر ولا يعرف اليأس حتى لو فشلت مرة وأخرى ، ولم يكن يشترع في استنتاج نتائجها ، كما كان يتجنب كل ما هو مستحيل .

وكان من رأي جابر أن التجربة العملية لا تؤتي ثمارها إن لم تعتمد على الإطلاع فقد كان يشترط على تلاميذه قراءة كتيبه ثلاث مرات متتالية : الأولى للتثبت من صحة الألفاظ والمعاني في النص . والثانية لدراسة النص من حيث معانيه ومدلولاته الغريبة والبعيدة والثالثة للتأمل وتبويب المعاني وتصنيفها ومعرفة دقائقها . ويؤكد جابر بن حيان أنه لا نجاح لتجربة عملية إلا إذا كانت مسبوقة بالقراءة .

وكان جابر أول من حضر حامض الكبريتيك وقطره من الشبه وأسماه زيت الزاج وهو عمل كبير بالنسبة للكيمياء والصناعة ، كما استحضر حامض النتريك ، وكان أول من كشف الصودا الكاوية واستحضر ماء الذهب . وأول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بواسطة الحامض ، وهي نفس الطريقة التي ما زالت تستخدم حتى الآن لتقدير عبارات الذهب من السبائك الذهبية ، وهو أول من لاحظ ما يحدث من راسب كلورور الفضة عند إضافة ملح الطعام إلى محلول نترات الفضة . كما استحضر كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم . واستعمل ثاني أكسيد المنسيوم من صنع الزجاج . وهذه المركبات ذات أهمية كبيرة من عالم الصناعة إذ تستخدم في صناعة المفرقات والأصبغة وفي تحضير الصابون والحبر الصناعي . وكان جابر خبيراً في العمليات الكيميائية الشائعة كالاذابة والتبلور والتقطير والتكليس والاختزال وغيرها . وكثيراً ما كان يصفها ويبين الغرض منها . وشرح أفضل الطرق لإجرائها وفقاً لتجاربه . وله بحث من السموم تحت اسم « السموم ودفع مضارها » . وهو وثيق الصلة بالطب والكيمياء ، استعرض فيه أنواع السموم وأسماؤها وميز فيه بين الجيد منها والردى ، وأوضح الكمية المناسبة للمريض من كل نوع منها .

ولكل هذا فإن الفيلسوف الإنجليزي سيكون قد عدّ جابر بن حيان أول من علّم العالم الكيمياء . وقد ترجمت أعمال جابر إلى اللغات اللاتينية والألمانية والإنجليزية قام بها بول كراوس وارنست دارمشتتر وهوليارد وريتشارد رسل .

وبعد هذه هي النواحي التي طرقها من هذا الكتاب مؤلفوه الثلاثة ، وقد أوردوا في نهايته المراجع التي رجعوا إليها وأثبتوا منها أربعة عشر مرجعاً باللغة العربية أو مترجمة إلى العربية وسبعة مراجع أجنبية منها خمسة إنجليزية وأثنان بالفرنسية .

والكتاب يضم ثلاثاً وثمانين صفحة فقط وبه مجموعة من الرسوم التوضيحية ، وبألت طباعته كانت أحسن مما هي عليه .

وقد لاحظت أن الكتاب غير متسق كل الاتساق في جميع أجزائه ، وربما كان سبب ذلك أن ثلاثة من المؤلفين قد اشتركوا في تأليفه ، ويبدو أن كل واحد منهم اختص بقسم معين ، وأن واحداً منهم لم يقم بمراجعة الكتاب ؛ ككل لحذف التداخل والتكرار . وفي بعض المواضع التي ترجم فيها المؤلفون عن المراجع الأجنبية جاءت الترجمة على غير المطلوب من جودة الأسلوب .

وفي أسلوب الكتاب ككل كثير من الأخطاء التركيبية والنحوية . إلا أن الكتاب للحق قد عرض لموضوع الطب الإسلامي عرضاً جيداً أدّى الغرض منه وبالله التوفيق .

أدب
وتراث

فكر
وفن

لغة
وتاريخ

في هذا الباب تقدم المجلة
نوعيات مختلفة تتعلق بتاريخنا
وتراثنا ، ولقنا الجميلة ..
وكل ما يتصل بتلك النوعيات
ممن جوانب اديبية وفكرية
وفنية .

ولقد حرصنا عليها لتتابع
من خلالها كافة الجوانب
الاخبارية لموضوعات تفحصنا،
ونعتمد أيضا معلومات مبسطة
نقدمها دائما في هذا الباب من
كل علم .

والمجلة ترحب دائما بكل
آراء وأفكار الباحثين
والمختصين والقراء حول ما
ينشر به ..

يكتبه: محمد أبو الفتوح الحياط

سمو ولي العهد يسلم

جائزة الملك فيصل العالمية



العلمي في الملة . وتوفروا على إنتاج غريري
اللغات العربية والانجليزية والمندية والاردنية
من اجل الدعوة الاسلامية وبيان المنهج
الاسلامي . ورد الشيات ومواجهة
التحديات . ومن ذلك كتابة ماذا خسر
العالم باعطاء المسلمين وكتابته في السيرة
النبوية .

والذكر محمد ناصر خدماته الجليلة
التي قدمها للاسلام والمسلمين وما اضطلع
به من عمل في مجالات الدعوة من اجل
حل قضايا المسلمين وتحقيق التقاض
بينهم ... ومواقفه الجليلة التي ظهرت في
محاربه الاستعمار في بلاده اندونيسيا
وجهاهه حتى تحقيق الاستقلال لها . وقامه
بتأسيس المجلس الاعلى للدعوة الاسلامية
وعمله الجاد في مقاومة التيارات الهدامة
الاحادية والتضييق الى جانب اشرافه على
كثير من المؤلفات في بلد من اجل اعداد
الشباب الاندونيزيين اعدادا اسلاميا الى
جانب مؤلفاته ودروسه والصحف
والجلات التي كان يشرف على اصدارها
والتي تمثل خدماته الاسلامية الجليلة .

كما قوت لجنة الترشح والاختيار لجائزة
الملك فيصل للدراسات الاسلامية للذكر
محمد مصطفى الاعظمي نظرا لان كتابه
(دراسات في الحديث النبوي وتاريخ
تدوينه) يعتبر عملا اكاديميا يفسح عن
جهد علمي عمود ولاء صادق للسه
النوعية مع الالتزام بالمنهج العلمي في
البحث والاطلاع عن السنة الشريفة بتصدية
لآراء المستشرقين ومناقشتها مناقشة علمية
ورد شياتهم ونقد اراءهم بالادلة النامضة
واسقاط الروايات الضعيفة التي اعتمدوها
والكشف في وضوح عن خطأ فهمهم
لبعض الروايات العربية وبذلك بقف كتابه
في المقدمة مع الدراسات المعاصرة الجيدة
في التاريخ الحديث ويسهم بتصحيح مرفور
في خدمة السنة النبوية من ناحية تاريخها
وتدوينها وتصنيفها ورد شيات المرفورين .
كما ان كتابه « صحيح ابن عرفة »
الذي نشره وحققه يعد من اهم الكتب بعد
صحيح البخاري وصلى وقد بذل جهدا
كبيرا في مقابلة نسخة المفردة بكتب
الاحاديث الاخرى وصرح اعطاهما
وخرج احاديثها واثان الحكم عليها ما لم
تكن في الصحيحين او احدهما الامر الذي
يذل على تمكته من علم الحديث حتى اخرج
عملا علميا كبيرا انتهى جهدا ضخما اضاف

لنقل صاحب السمو الملكي الامير
فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس
الوزراء مساء يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع أول
١٤٠٠ هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٨٠ بتوزيع
جوائز الملك فيصل العالمية للدراسات
الاسلامية والادب العربي وخدمة
الاسلام . وقد اعلن سموه في هذا الحفل
الكرام ان جاز الملك فيصل تنطلق من
ركيزة حضارية اقامها السلف الصالح
يحيى من شريعتنا الاسلامية السمحة .
وتغنى سموه أن تنتشر هذه الظاهرة في ربيع
الوطن العربي والاسلامي .

وكانت لجان الاختيار والترشيح لجائزة
الملك فيصل العالمية عقدت جلسة خاصة بمدينة
الرياض مساء يوم ٢٦ صفر ١٤٠٠ هـ .
ولي بداية الجلسة التي صاحب السمو
الملك الامير خالد الفيصل كلمة اعرب فيها
عن شكره للمؤسسات والجامعات والمجتمعات
الاسلامية التي شاركت في الترشح للجائزة
بفرعها الثلاثة كما اعرب سموه عن شكره
لاعضاء لجان الاختيار والترشيح على
الجهود التي بذلوها في دراسة الاعمال
المقدمة لنيل الجائزة واعرب عن امله ان
تحقق هذه الجائزة اهدافها النبوية في خدمة
الاسلام والمسلمين وبعد ذلك تلا الذكر
احمد الصبيب امين عام اللجنة قرارات
اللجان والتي تضمنت الاسس التي
اعتمدت عليها اللجان في منح الجوائز .
وجاء في القرارات ان لجنة الترشح
والاختيار للجائزة في مجال خدمة الاسلام
قد منحت الجائزة لكل من الشيخ ابو
الحسن الندوي ل نشاطه الواسع في مجال
الدعوة الاسلامية والمند وفي اطراف العالم
الاسلامي من طريق المقامرات التي كان
يقضي في المساجد والجامعات وتخصيصه
اطفال المسلمين بنوع من التأليف يركز
الايمان في نفوسهم وينشرون تشقة حسنة
الى جانب قيامه بتأسيس الجمع الاسلامي



به إلى المكتبة الحديثة جديداً يحقق بذلك
املاً نطلع إليه الكثير من المثقين بالآلة
التوبة

إلى جانب أن كتابه (الكمبيوتر
واستعماله في عمدة السنة النبوية) يقدم
تجربة فعالة أولية باللغة العربية في استخدام
الحاسب الآلي في حقل الدراسات الحديثة
وذلك عمل ضخم يستند لاستكشاف الكثير
من الوقت والجهد ولا شك أن عمله هذا
عندما يكتمل سيكون له نفع عظيم يشتمل
في إيجاد الموسوعة الحديثة التي تتناول حصر
الحديث ومناهجه وشواهد في موضوع
واحد ليس الحكم عليه . وحصر أسماء
الرواة والحكم عليهم في موسوعة واحدة
وفهرس موسوعة لغة الحديث .

ولمزت لجنة الترشيح والاختيار جائزة
الملك فيصل العالمية للأدب العربي اختيار
الاستاذين الدكتور احسان عيسى والدكتور
عبدالقادر القط لبل جائزة الملك فيصل
العالمية للأدب العربي لهذا العام لثرائها
العلمية العالية ومكانتها من تدريس
الأدب العربي وإغناء الدراسات الأدبية
وإتصافها بالقدرة على الموازنة بين التراث
العربي وبين اداب اللغات الأخرى كما
ساعدتها على تحديث الدراسة وإتاحة المجال
للتفاعل بينها وبين دراسات الآداب .
الأخرى مع سلامة اللغة ووضوح التعبير
واستقامة المنهج والالتزام به في مراحل
البحث . إلى جانب ما تصف به الدكتور
احسان عيسى من قدرة على الروامة والربط
بين السيرة والتفرغ على الخصائص الشعرية

« السياب » والتيه التليق للتفاصيل
الروحانية في الأدبية التي توازينا في الإنتاج
الشعري . وما يتمتع به الدكتور عبدالقادر
القط من جده في اختيار موضوع (الاتجاه
الوجداني في الشعر العربي المعاصر)
وعناوته الموقفة في الخروج من الأساليب
التقليدية التي أخذ بها كثيرون من الناظرين
في الأدب المعاصر إلى اتجاه جديد لا يميل
النظريات والمصطلحات الأوروبية أصلا في
دراسة الأدب العربي ولا يتخضع لها وأما
بنيته في وهي وسخر على ضرورة التفرغ بين
المصطلحات والتجسيات الأوروبية التي
تسربت إلى الدراسات العربية المعاصرة وبين
الحاجة إلى مصطلحات تلائم الحياة الأدبية
العربية وتحسن الدلالة عليها .
وبعد ذلك ألقى لفصيلة الدكتور



عبدالرحمن بيسار شيخ الأزهر كلمة أشاد
فيها بتخصص مؤسسة الملك فيصل العربية
لهذه الجوائز من تكريم العلم والعلماء ورفع
شأن الإسلام والمسلمين . ونوه بأهمية هذه
الجوائز وفروعها في تشجيع الدراسات
الإسلامية والعربية وخدمة العمل الإسلامي
وأحياء التراث العربي والإسلامي والتبؤوس
به .

ثم أجاب سمو الأمير خالد الفيصل
بعد ذلك على أسئلة الصحفيين حيث أعلن
أن الاحتفال بتسلم الجوائز للعامين سيتم
بأذن الله خلال الأسبوع الأخير من شهر
ربيع الأول القادم . وقال أن مجموع الذين
رشحوا للجائزة قد بلغ ٤٥ مرشحا من بينهم
٣٤ خدمة الإسلام و ٧ للدراسات
الإسلامية و ٤ للأدب العربي وقال سموه أن
الجائزة معروفة جيدا لدى العرب ولكنها
كالعادة — متجاهلة — .

وحول سؤال عن توسيع نطاق الجائزة
بجيت تشمل فروعاً علمية أخرى ذكر أن
هذا الموضوع مطروح أمام هيئة الجائزة .
وكانت لجنة الترشيح والاختيار للجوائز
الملك فيصل قد بدأت أعمالها منذ ثلاثة أيام
لتحديد الفائزين من بين المرشحين للجائزة
الثلاث .

— سمو ولي العهد يفتتح
الندوة الإعلامية للقدس : —

— عمر المجلس الإسلامي الأوربي
بلندن وعلى مدى ثلاثة أيام متتالية (مهرم
١٤٠٠) عقدت اللجنة التحضيرية لندوة
القدس الإعلامية ستة جلسات فبست
ممثلين عن المملكة العربية السعودية والمملكة
المصرية والمملكة الأردنية الهاشمية ومنظمة
التحرير الفلسطينية ومنظمة المؤتمر الإسلامي
وجامعة الدول العربية وخبراء إعلاميين
بالمملكة العربية السعودية

وسرعة الدارة أن تشر لقرائنا نص
كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن
عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس
الوزراء والتي ألقاها نيابة عن سموه
الكریم معالي الشيخ محمد إبراهيم مسعود .

بسم الله الرحمن الرحيم .
والصلاة والسلام على سيد الأنبياء
والرسلين .



أبها المحصور الكراه

يسري ان الفتنة هذه الدفوة الدفوية عن القدس واني اشعر بسعادة عامرة للتمسك في هذه الدفوة التي تدور حول قصبة تعتبر من أهم القضايا التي تخلق شعوب العالم الإسلامي والعربي وشعوب العالم كله للعدالة والسلام بل وكل دي ضمير يند الحق في اعاد المصورة وفي الوقت الذي تعتبر فيه قضية القدس جزءا لا يتجزأ من القضية الفلسطينية . فان هذه المدينة المقدسة مكانة فريدة عند اتباع رسائل السباه وفا مكانة اشد نفرا عند المسلمين فقد كانت قبلهم الاولي في الصلاة قبل الكعبة المشرفة في مكة المكرمة وهي مكان الاسراء والمعراج حيث اسرى الله بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ومن القدس عرج به الى السباه حيث صلى بالانبياء والرسل فكان ذلك ابد الدهر رمزا خالدا للارتباط الاوثى بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى وارشادا للحيا لتكامل الاديان وتوحد انبياء الله في الدعوة البيا حتى عز محمد صلى الله عليه وسلم ورسالات السباه بيا من اللقنات المدينة لجميع الاديان السابوية ما يربطها ملايين القلوب من كافة ارجاء الارض .

كان العرب في القدس قبل اكثر من الي عام من زمن موسى عليه السلام وظفروا بيا رغم تعاقب الغزاة واغتلبوا ولم يتركها حتى عندما دخلها داود نحو عام ١٠٠٧ قبل الميلاد . وحكمها هو وسليمان عليها السلام سبعين عاما أو تزيد . كذلك بقيت القدس في نطاق الخلافة الاسلامية والدول العربية نحو اربعة عشر قرنا حتى دخلت تحت الانتداب البريطاني في مطلع هذا القرن لم يتخفى من عروبتا . محضوها ليل ذلك للحصائل الأوروبية المتوافدة عليها لدة تقرب من مائتي عام الا اعتقاد ما يتخفى منها الانتصاب والامتيطان الاسرائيلي الذي تراه الان .

اني لا أنفي بيله الكليات ان اعرض في شيء من نصمون هذه التدوة وما طرح على برنامها من موضوعات هامة سوف تتناوبها هذه القضية المتنازع من قادة الفكر والرأي ورجسات السياسة والاساندة المتخصصين مع صفوة من العلماء الاجلاء

لغة وقاية

والمؤرخ الذين قدموا من مختلف اعاء العالم .. بمعهم الولاء للحق والاخلاص للروابط الدينية والتاريخية الراسخة المحور التي تربط المدينة المقدسة ماضيا ومستقبلها وهو صيد للقضية القدس لا يمكن التغريط فيها ورعا تعددت موضوعات هذه الدفوة وامتدت على افاق الدين والتاريخ والاجتماع والقانون وكذلك زوايا التنازل والمخالفة هذه القضية ورعا اختلفت الآراء وثابتت وجهات النظر ورعا تعارضت ولكن ذلك كله حين يكون من منطلق الامانة مع النفس والتزاهة في البحث والاخلاص للمعرفة وفي طلبها فان الفاتر داء هو الحقيقة والعدالة وفوز الحقيقة في القدس مسألة على جانب كبير من الأهمية لات حاسا كبيرا من مسألة القدس كان يكن في تنويع الحقائق ومسحها والتعصم عليها حتى غابت الحقائق في تلك القضية ودحا طويلا من الزمن وفي غيابة لم يتحرك حاجس فكر لاي منصف لا لانه لا يريد الانتصاف ولكن لانه فقد القدرة عليه حين غابت القضية ذاتها .

واستمرار المبالاة في قضية القدس مسألة على جانب كبير من الأهمية لاها فهي ابتداء تجريد العدوان من وهم الشرعية التي يحاول ان يضلها على نلته سياسة الامر الواقع وبسلام القوة والبطش .. ولان انتصار العدالة هو المدد المعنوي للخلق للقدرة الشعوب على عمارته . حقها للشروع في مقاسمة المستعمر والمحتل الفاعل وهو المصلحة الخفية للاتصال من الظلم والقهر واسترداد الأرض والحق .

وهو هنا في هذه القضية رد اعتبار للضمير الإنساني الذي هزته جريمة القرن حين انتزع قلب السلفين من وطنه ولقدسه وحوصره في جزء منه ثم شره منه وطرد ثم طرد حتى في بحبات اللاجئين خارج وطنه .

أبها المحصور الكراه

ولا شك ان اختيار العاصمة البريطانية مكانا لهذه التدوة الدولية عن القدس قد سمعنا لمكانتها المرموقة وما ترمز ليه من دور حضاري لهذا البلد العريق وتاريخه الخافل ولانه سيح لقضية القدس اوسع فرصة ممكنة لتصبح كثير من الامور عنها وكشف

أدب وقوات



من اعتناءه على المواطنين الأصليين ومن معاملة مبنية على المحور والفهر وتشريه لعالم القدس الشريف وطمس المعالم الدينية الأخرى . وقال ان المحور والفهر الذي تخزونه اسرائيل قد اكسبته شهادات واعتزلات من داخل اسرائيل نفسها ومن اساس لا يمكن الطعن في صلتهم أو نزاهتهم .

واكد الشطي لقته في ان شعوب العالم اغية للسلام القائم على العدل والكرامة تشترك الحرب البين في ضرورة ايجاد حل عادل وشامل للقضية الشرق الاوسط وجوها مشكلة القدس وفلسطين .

وحسب الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي من ان استمرار التوتر في منطقة الشرق الاوسط سيبلغ بيا حيا الي الانفجار الامر الذي يشكل تهديدا جديا للسلام .. وقال في ختام كلمته ان السلام الذي غاب عن المنطقة نتيجة للممارسات الاسرائيلية يحتاج الي وقفة اكثر شجاعة واكثر انجائية لصالح الحق العربي الاسلامي وبخصوصا من حكومات الدول التي كانت وراء انشاء اسرائيل .

اهداف الندوة

هذا وقد قامت اللجنة التحضيرية بتحديد اهداف الندوة والتي تلخص في الآتي :

.. مناقشة قضية القدس من مختلف الزوايا .. تاريخيا وقانونيا .. وسياسيا .. الخ .

توجيه انظار الرأي العام العالمي وخاصة في اوروبا والامريكتين الى قضية القدس .

.. الفصل على ضرورة حلها . بما يتسمم مع الحق والعدل ويضمن الامن والسلام في منطقة الشرق الاوسط والعالم بوجه عام .

.. استخلاص الدروس للمكانة لمشكلة القدس .

ومن ناحية اخرى قامت اللجنة التحضيرية بترجيح نظر الباحثين والمعلقين وعندهم خمسة عشر علما وباحثا الى ضرورة التاكيد من خلال دراساتهم

ما تعرضت له من التغير والتشويه والعموش كما سيصح ايضا ذلك كله لرأي العام في بريطانيا واروبا وغيرها من دول العالم وقارائه وهو ما حرصت عليه حكومة المملكة العربية السعودية عندما رحبت بهذه الندوة من اجل قضية تنهوها من اهم مرتكبات سياستها الخارجية .

ولقد اصبحنا نشعر بكثير من السعادة بان لقطاعات عربية من رأي العام العالمي وقادة الرأي والفكر في مختلف البلدان كد البت ولا زال على هذه القضية لشعهم لاهادها التي تأمل ان توفيق لندوتهم في ابرز الحقائق التاريخية المبررة حونا .

واعبيرا ارجو ان تسعوا في ايا الحضور الكرام ان يقدم اليكم بخالص الشكر والتقدير باسم المملكة العربية السعودية ملكا وحكومتها وشعبها وباسم شخصيا على قدومكم ومشاركتكم وبالاختنان ملكا لجهودكم القيمة الرقبة في اراء قضية القدس . ملعدنا لمنظمة المؤتمر الاسلامي والمجلس الاسلامي الاوربي ولوزارة الاعلام بالمملكة واللجنة التحضيرية جهودها لتخطيط هذه الندوة واجبا لاهالكم كل نجاح .

ثم تحدث السيد الحبيب الشطي امين عام منظمة المؤتمر الاسلامي لأكد ان قضية

القدس وقضية فلسطين بصفة اعم ما زالت بحاجة الي تبصير رأي العام العالمي الذي ظل مرددا في فهمه للقضية على ما تلمسه الاجهزة الصهيونية من قلب الحقيقة .

واشار السيد الشطي الي الظروف التي تعقد لها ندوة القدس وما اصبحت تحظى به منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني من تعاطف من قبل بعض البلاد الاوروبية .

وقال ان هذا التعاطف يعد مؤشرا على وحي هذه البلاد بان المواقف التي كانت تتخذها اما كانت مواقف تنقض وما التزم به في مختلف التواقي الدولية ولا سيما المواقف التي تحرم الحروب من اجل لمطامع الاقليمية والتوسع على حساب الشعوب الاخرى .

ودعا الشطي العالم كله الي التصدي لا يركيه المدور الصهيوني في فلسطين والقدس



واعتانهم على الاهتمام العربي والإسلامي
نقصة القدس وبيان المخططات الإسرائيلية
التي تستهدف تغيير وضع القدس أرضاً
وسكاناً وجهازة والرد على الدعايات
الإسرائيلية التي تريد الحقائق التاريخية
وتسبب بقرارات الأمم المتحدة وغيرها من
المظالم الدولية في شأن الحفاظ على الطابع
العربي والإسلامي

والخبر بالذكر أو أعضاء اللجنة
المختصرة قد وضعوا مخططاً عاماً لسير
أعمال الندوة . بحيث يتم مناقشة كافة
الموضوعات من قبل أكبر عدد ممكن من
المعلقين الخاصين لأعمال الندوة هذا
بالإضافة إلى دعوة أكبر عدد ممكن من
علماء والمفكرين في العالم واستقطاب كافة
وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية
والعواصم الأجنبية وعقد مقابلات وشر
علاصة أعمال الندوة على أوسع نطاق .

كما تم الاتفاق على عقد ندوات إعلامية
للتعريف بنقصة القدس على أوسع نطاق في
أهم العواصم العربية كإربس وواشنطن
وبون وباريس وجنيف ... الخ . تعرض
علافاً نتائج الندوة .

على أن تقام خلال هذه الندوات
معارض للكتب والصور عن فلسطين المحتلة
مع عرض الملام والمالية عن المآزرات
الإسرائيلية في القدس وعصوم فلسطين
بالإضافة إلى طبع الأبحاث والدراسات عن
القدس باللغات الثلاثة العربية والإنجليزية
والفرنسية ونزيعها على أوسع نطاق .

— تحريم كتابة القرآن
الكريم بالحروف اللاتينية : —

أصدر صاحب السمو الملكي الأمير فهد
بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس
مجلس الوزراء توجيهاً لسمو وزير
الخارجية بتعميم قرار مجلس هيئة كبار العلماء
القاضي بتحريم كتابة القرآن الكريم
بالحروف اللاتينية أو غيرها من حروف
اللغات الأخرى على صفات جلالاته في
الخارج لشعور بأبلاغه جميع الجهات
والهيئات والجمعيات العاملة في مجال العمل
الإسلامي لتكون على علم وحراسة بما
تقرر .



والخبر بالذكر أن قرار هيئة كبار العلماء
استند في هذا التحريم إلى الحرف على
صيانة القرآن الكريم من عين العابثين وهو
الذي أنزله الله بلسان عربي . وثقت كتابته
حين نزوله بالحروف العربية — كما أن
حروف اللغات الأخرى من الأمور المصطلح
عليها التي تقلل التفسير عروف أخرى مما
يعرض معه الحفظ وأمانة القرص لأعداء
الإسلام والمسلمين عليه في أن يجدوا مدخلا
للطمع في القرآن الكريم فضلا عن أن كتابة
القرآن الكريم بغير الحروف العربية يبطئ
المسلمين عن معرفة اللغة العربية التي يمدون
الله ويغفرون أمور دينهم وديارهم
بواسطتها .

سمو الأمير سلمان يفتتح
أول مركز ثقافي بالرياض

التفتح صاحب السمو الملكي الأمير
سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض
مساء أمس المركز الثقافي الأول والذي
يهدف إلى إحياء جميع النشاطات
والأنشطة في مجال الثقافة والفنون وإحياء
التراث الثقافي في المملكة .

قد التقى صاحب السمو الملكي الأمير
فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام
لرعاية الشباب كلمة شكر فيها سمو أمير
منطقة الرياض لافتتاحه هذا المركز الذي
يعتبر بداية لمراكز مماثلة في أهم مدن
المملكة .

وقال سموه إن الغرض الأساسي من
القاعة المركز الثقافي هو صقل هويات
الشباب وأتاحة الفرصة أمامهم لايراز
مفهومهم الثقافي .

وأشاد سمو الرئيس العام لرعاية الشباب
بالمجهود التي تبذلها حكومة جلالة الملك في
سبيل الارتقاء بمسرى الثقافة والفنون
بالمملكة .

ثم التقى صاحب السمو الملكي الأمير
سلمان بن عبدالعزيز كلمة أعرب فيها عن
سروره لافتتاح هذا المركز الثقافي في
الرياض .

ودعا سموه إلى إقامة مراكز مماثلة في
لمملكة تعنى بتراثنا الإسلامي والعربي .
وشكر سمو أمير منطقة الرياض في ختام
كلمته القائمين على الجمعية العربية السعودية
للثقافة والفنون والمجهود التي يبذلونها لرعاية



لغة وقار

الطابع الحديث . كما كان تأثير مباشر في ترقى عو الهارة الإسلامية والقرارات معالها في حين أن الهارة الإسلامية لون فريد يمثل واجهة حضارية لا مثلها . ومن هذا المطلق حرصت جامعة الملك فيصل على هذه الندوة المباركة بإذن الله . وتقديرا من محلة الدارة لهذه المناسبة قوت اصدار عدد خاص عن الندوة وقد تفصل معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي ورئيس مجلس إدارة الدارة وبارك هذه الخطوة وأيدها وسوف يصدر هذا العدد قريبا بإذن الله . ولا عجب في ذلك وجملة الدارة مجلة تخصصية تحرس على طابعها الأكاديمي بما يجتهد فكرنا وتراثنا وحضارتنا الإسلامية العريقة

— المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية :

عقد في الدورة عاصمة دولة قطر في الفترة من ٥ - ١٠ محرم ١٤٠٠ هجرية (٢٤ - ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ ميلادية) المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية . وجاء على قرار منظمة المؤتمر الإسلامي العالمي بأن يكون هذا المؤتمر هو أول انشطة العالم الإسلامي بمقدم القرن الهجري الجديد فكسان بذلك لخدمة لاحتفالات العالم الإسلامي بمقدم القرن الهجري الخامس عشر .

وكان قد سبق هذا المؤتمر مؤتمرات عقد الأول في اسلام آباد باكستان عام ١٣٩٦ هجرية (١٩٧٦ ميلادية) وعقد الثاني في تركيا بمدينة استانبول عام ١٣٩٧ هجرية (١٩٧٧ ميلادية) .

ويعتبر هذا المؤتمر الذي سخرت له دولة قطر كل الامكانيات من مادية وبشرية وفنية واعلامية اصغى مؤتمر يعقد على ارضها . إذ زادت التكاليف الاجمالية الأولية للمؤتمر على ثمانية ملايين ريال قطري (حوالي مليون جنيه استرليني) .

وقامت ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام بالاشراف على اعدادات القاعة الكبرى بالقسم الداخلي في القرية التي تم فيها افتتاح المؤتمر وعقدت جلساته العامة .

الفنانين السعوديين والعمل على دفع مستاهم الثقافي والفني والاجتماعي . وقد شملت جولة سمو اقسام المركز وهي الكلية وقاعة المطالعة والمخاضرات والمعرض الدائم للفنون التشكيلية وقاعة التزلز الشعبي والوسائل السمعية والبصرية المساعدة

ويقوم المركز بأنشطة ثقافية مختلفة مثل عقد المحاضرات والندوات الثقافية والدينية بجهة تنمية الوعي لدى المواطنين

الندوة العالمية الأولى للهاراة الإسلامية

إتحت صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالعزيز وزير الاشغال العامة والاسكان بجامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية أول ندوة عالمية عن الهارة

الإسلامية مساء يوم السبت ١٧ صفر ١٤٠٠ هـ . وقد طالب سموه المجتمعين والمشاركين في هذه الندوة بالحرص على تراثنا العريق في الهارة الإسلامية والمسجد . وأكد سموه أن العالم الحضاري أخذ يقتبس من فن الهارة الإسلامية بما تتميز به من فن وجمال .

وقد تحدث في حفل الافتتاح صاحب المعالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي ورئيس الأعل للجامعات فأعرب معاليه عن تقديره لجامعة الملك فيصل وبيتها لإقامة أول ندوة عن الهارة الإسلامية والتخطيط . وتغنى معاليه كل العراقي والتجاح .

ولقد أعدت كلية الهارة والتخطيط بالجامعة معرضا للندوة تضمن الكثير من عايج الهارة الإسلامية وتخطيط المدن . وفي اليوم الثالث تابع المشتركون في الندوة وهم غبة ممتازة من العلماء والمتخصصون في فنون الهارة داخل وخارج المملكة متالقشاهم وعروضهم التي تركز على مفاهيم ومبادئ ونظريات الهارة الإسلامية . ويبلغ عدد البحوث التي قدمت أكثر من ستين بحثا تم مناقشتها على مدى خمس أيام متتالية .

والجدير بالذكر أن الطابع الهاري الحديث قد ساد كل مدن العالم وأثرت المدن العربية ذات الطابع الإسلامي بهذا

ادب ووات



الإسلامية وإزالة معانها في حين أد البعارة الإسلامية لون مره بتل واجهة حضارية لا مثيل لها . ومن هذا النطلق حرصت جامعة الملك فيصل بالدمام على عقد ندوة عالمية عن البعارة الإسلامية دعت إليها ١٥٠ شخصية عالمية متخصصة تقدم مائة بحث في هذا المجال كما شاركت فيها وزارات الأشغال العامة والإسكان والشئون البلدية والقروية .

ولقد كان موضوع الندوة الرئيس « تعريف البيئة الإسلامية ، وأهدافها الأساسية » . كما تم إعداد وتجهيز معرض كبير عن البعارة الإسلامية خلال فترة انعقاد الندوة (شهر صفر ١٤٠٠ هـ) .

ونظم المؤتمر في أربع لجان وهي :

- ١ — لجنة الترية ومشكلات الشباب .
- ٢ — لجنة الدعوة والإعلام .
- ٣ — لجنة السنة مصدراً للشرح والحياة .

٤ — لجنة تراث ومصادر السيرة النبوية .

واعتمدت أهداف المؤتمر متمثلة في النقاط التالية :

١ . إبراز جوانب الهداية والعظمة والقدرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وستة لتقدمها للمسلمين خاصة والبشرية عامة .

٢ . تجلية المفاهيم الإسلامية الصحيحة بشأن الترية والدعوة والإعلام من خلال سيرة النبي الكريم وستة وهديه .

٣ . تقديم حلول — في ضوء السنة والسيرة — لمشكلات الاجتماعة عامة ، ومشكلات الشباب خاصة .

٤ . تبين مكانة السنة في التشريع الإسلامي والحياة الإسلامية في مواجهة التيارات المتحرلة التي يضلها محرم الإسلام .

٥ . الكشف عن كنوز تراثنا ومصادرنا في السيرة والسنة والعمل على إحيائها وأعمالها في ثوب عصري يليق بمكانتها وحرص الاعتراز بها ، والاستفادة منها لأجيالنا المسلمة .

بها . وريبت بالديكرات التي تليق بهذه المناسبة الحيلة ومكانتها في قلوب المسلمين عشرق الأرض ومعرها . وجهزت القاعة برسانا الترجمة الغورية للغات العربية والألمانية والفرنسية

كما قامت وزارة الترية والعالم باستفاد جميع أجهزتها وتسخير كل أسطحتها من أجل هذا المؤتمر فاعادت برامج ودروس دينية مكثفة في مدارسها تتناول الجوانب المختلفة من السنة والسيرة النبوية العطرة وأقامت دار الكتب القفطرية معرضاً للكتب والمخطوطات الإسلامية بهذه المناسبة .

هذا ولقد وجهت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدعوة إلى أكثر من ٣٠٠ عالم ومفكر إسلامي بصفتهم الشخصية ووفرت كل الإمكانيات والخدمات التي تسهل للمؤتمرين إكمالهم والاندماج في قطر حرصاً منها على إجاح المؤتمر

وقامت بطباعة العديد من الكتب والمراجع بهذه المناسبة تتناول السيرة والسنة النبوية لتوزيعها على الصيوف (المؤتمرين) وكل مهم بدراسة وفهم السنة والسيرة النبوية ولقدت للمؤتمر العديد من الاعانت بلغت في مجموعها أكثر من ستين عتاً

كما قدمت اللجنة عدداً من الهدايا التذكارية بهذه المناسبة الكريمة من حقائب جلدية وسجادات للصلاة تحمل كل سجادة برصلة لليلة وفروعا ومفكرات وميداليات وملصقات تذكارية تليق وجلال هذه المناسبة .

وبالإضافة إلى الحلسات العامة فقد اشتمل المؤتمر على محاضرات وندوات مفتوحة للجمهور تتناول جميعها الجوانب المختلفة من السيرة والسنة النبوية ومدى ارتباطها بالإنسان المسلم في الحاضر والمستقبل

— أول ندوة عالمية عن البعارة الإسلامية :

لقد طلب الطابع للماضي الحديث في كل مدن العالم . وإلآز المدن العربية ذات الطابع الإسلامي بهذا الطابع الحديث حيث كان له تأثير مباشر في توقف نمو البعارة



أدب وتراث

ربط العلماء العاملين في حقل السنة والسيرة وتعريف بعضهم ببعض على مستوى الأمة الإسلامية وتقوية التفاهل في مجال العلم والفكر الإسلامي.

استكمال القرن الخامس عشر الهجري بعمل إسلامي جماعي فكري يؤكد وحدة الأمة المسلمة ويصيد إليها الثقة برسالتها العالية الخالدة

التعرف على كتب على الشخصية الإسلامية لدولة قطر . والتعاون مع أجهزتها ومؤسساتها المختلفة . لتصرة الدعوة الإسلامية عامة . وعمدة السنة والسيره خاصة

— الحلقة الرابعة لمركز دراسات الخليج والجزيرة :

شهدت مدينة العين بأبوظبي اجتماعات لمديري مراكز الوثائق في دول الخليج والجزيرة العربية في حفلتهم الرابعة والتي شارك ممثلو المراكز والمصادر المتخصصة بالبحوث العربية لبحث عدة أمور تتعلق بإنشاء أمانة عامة للمراكز وأمر كثيرة تتعلق بتنسيق الجهود العلمية والتوسع فيها .

وقد صدرت عن اجتماعات هذه الحلقة عدة قرارات ونوصيات هامة من بينها : — تنسيق البحوث والندوات المتعلقة بمنطقة الخليج العربي والجزيرة وتبادل هذه البحوث لتطبيق الهدف العلمي على نطاق واسع .

— اقروا مشروع الأمانة العامة لتلك المراكز ومشروع النظام الداخلي لها .

— استصدار مشروع لأطلس الخليج ومشروع موسوعة الخليج وقرار القيام بالدراسات اللازمة لبلدين المشروعين

وتسديدها للحلقة الخامسة في صام ١٩٨١ م .

— عقد الحلقة الخامسة القادمة بالملكة العربية السعودية والحلقة السادسة في البحرين والسابعة في قطر والثامنة في سلطنة عمان .

— والجنير بالذكر أن أولى حلقات

هذه المراكز قد عقدت عام ١٩٧٥ بالعراق والثانية عام ١٩٧٧ بالكويت والثالثة عام ١٩٧٩ في اليمن

— للمجمع الجغرافي الحديث للسعودية :

— المعروف أن المجمع الجغرافي الحديث للمملكة العربية السعودية عمل علمي رائع حيث يضم عشرين جزءا . ويبلغ من وراءه علامة الجزيرة المعروف الشيخ حمد بن محمد بن جاسر المولد في قرية البرود من إقليم السر في الجزيرة العربية . فقد تمكن بفضل الله أن يضم

منها أساسيا لهذا المجمع الخاص بشبه الجزيرة العربية سار عليه ويسير عليه الآن كل الباحثين والحقائق المتعاونين معه ! في استكمال إصدار المجلدات أجزاء المادية . ويتضمن المجلد العلمي الذي رسمه الشيخ حمد الجاسر قيا يلي : —

١ — إيراد اسم المكان . وهو في الغالب اسم حديث — مبسوطا بالشكل الكامل حسبما يتفق الآن .

٢ — محاولة لرجاعه لأصله القديم .

٣ — ولأن الجزيرة العربية حافلة بأسماها الأسماكين ذات الأصول التاريخية والدينية . فإن المجمع يورد النصوص القديمة الحاوية لهذا الاسم . وقد يستفاد من معاجم البلدان السابقة كمعجم بالوت الحموي — إلا أن التأصيل يعتمد أساسا على النصوص القديمة شعرا أو نثرا أو قرآنا أو حديثا .

٤ — في الحالات الكثيرة التي يتغير فيها الاسم لا بد من الربط بين اسم المكان القديم والاسم القديم له .

وقد صرح علامة الجزيرة العربية أن المملكة العربية السعودية واسعة وبسبب هذا الاتساع تم الاتفاق مع عدد من غير الباحثين ليقوم كل باحث في كتابة بحث القسم الخاص به أي المكان الذي يعيش فيه ويعبر كل غلظا أما كنهه ومعلمه . وقد إقتصر دورهم على ما يتعلق بشمال المملكة أي إمارات حائل والحدوف وتبوك والقربيات والحدود الشمالية التي قاعدتها عرعر . حيث تم إصدار جزءين والثالث تحت الطبع .

فكر وفن

والجدير بالذكر ان هذا المعجم استغرق عشر سنوات كاملة حيث كان ضرورياً أن يتضمن كل أسماء القرى والبلد وموارد البادية والأماكن الأثرية

— ندوة دراسات تاريخ الحزيرة العربية :

قامت جامعة الرياض في منتصف شهر جمادى الثانية ١٣٩٩ هـ بعقد الندوة الثانية لدراسات تاريخ الحزيرة العربية . والتي ينظمها قسم التاريخ الآثار بكلية الآداب . وقد حضر هذه الندوة لثلاث من العلماء والباحثين المهتمين بتاريخ الحزيرة العربية وأدائها . فقد جمعهم ذلك الهدف العلمي السامي وهو التوصل إلى كنه سر حضارات الحزيرة القارية وإبرازها بكل دقة وعرضه وفقاً لتفضية الأمانة العلمية

وقد صدر عن الندوة عدة توصيات هامة هي: —

- ١ — تشجيع العمل العلمي المشترك بين علماء الآثار في البلاد العربية للقيام بدراسات عن التراث المشترك . وضرورة عقد حلقات علمية متوالية كل عام
- ٢ — عقد الندوة العالمية الثانية القادمة بعد عامين على أن يكون موضوعها عن التاريخ الاسلامي حيث أكملت هذه الندوة ما يزيد عن الخمسين بحثاً في تاريخ الحزيرة العربية قبل الاسلام
- ٣ — التوصية لدى جامعة الرياض باعداد قاموس حضاري يتم تطوير معاني الكلمات السامية المختلفة لتأمن مرجع يساعد الباحثين في دراسات كتابات الحزيرة العربية مع الاهتمام بتسجيل اللهجات النحوية الحديثة

٤ — اعداد اطلس توثيقي واثري للحزيرة العربية يمثل مختلف العصور . وتتعاون الاجهزة العلمية المتخصصة على وضعه . وترجمة الكتب المتخصصة في حقل التاريخ والآثار القديمة والاسلامية المتعلقة بالحزيرة الى اللغة العربية

٥ — تشجيع الباحثين المتخصصين في تأليف كتب تهم حضارات الحزيرة العربية ووضع جائزة مالية قيمة تقدم كل عام لأحسن كتاب مؤلف أو مترجم عن تراث

لغة وتاريخ

الحزيرة العربية أو تاريخها أو آثارها

والندوة العالمية لدراسة مصادر تاريخ الحزيرة العربية عمل حافل حرصت عليه مجلة الآداب (قسم التاريخ والآثار) باعتبار اللقاء العلمي بين المتخصصين مطلقاً جديداً للاهتمام الفهم بتاريخنا وتراثنا الذي حظي من العرب اهتماماً فائق اهتمامنا ومجلة الدارة وهي تدارك للندوة جهودها لتأمل التعاون معها بصورة اكمل في الندوة الثالثة والتي سيكون عنوانها - التاريخ الاسلامي

— معرض دائم للمكتاب الاسلامي مكتبة المكرمة :

— قررت الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي مكتبة المكرمة إقامة معرض دائم للمكتاب الاسلامي بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية . تدعو أكثر عدد من دور النشر والطباعة والتوزيع داخل المملكة العربية السعودية وخارجها للاستزاد فيه

وقد تم بالفعل تشكيل لجنة تحضيرية للإشراف على مراحل تنفيذ هذا المشروع برئاسة فضيلة الشيخ محمد صفوت السقا الأمين العام للمساعد للرابطة وعضوية الشيخ محمد عتاني المدير العام المساعد للرابطة والشيخ علي حافظ والاستاذ عبد الغني علي لفتي والاستاذ محمد محمود حافظ والاستاذ عبدالله السدري والاستاذ محسن باروم والاستاذ صالح محسن سجبال والاستاذ محمد صلاح الدين .

وعقدت اللجنة بالفعل عدة اجتماعات للتوصل لصيغة نهائية لإقامة هذا المعرض بصيغة دائمة . ودراسة الجوانب المختلفة للمشروع والأسباب التي تكفل تشجيع الفناء للمكتاب الاسلامي عن طريق توسيع دائرة التعريف به . ومنح تحفيطات. عاصمة للمشتري وتشجيع حركة التأليف الاسلامي

ولا شك أن هذا المعرض ستكون له آثار إيجابية في مجال الدعوة الاسلامية وتجديد الخطاب المستمر لفكرنا الاسلامي .

— نفائس كتب التراث بمركز

أدب وتراث

إحياء التراث العلمي الإسلامي :

— عهدت الجامعة العامة للمجلس الأعلى للجامعات بوزارة التعليم العالي بالملكة إلى مركز إحياء التراث العلمي الإسلامي — التابع للجامعة بجنين لبنان من المكتبين — وأرسالة الجامعات من المشتغلين بـ... التطوير والتحديث بالمخطوطات — تقوم هذا الجانب بحصر كتب التراث العلمي الإسلامي المطبوع منه والمخطوط داخل المملكة وخارجها من المكتبات العامة والخاصة والمتاحف العالمية بقية اقتناء ما يمكن التنازه للمركز من المخطوطات وتصوير ما يمكن تصويره من المخطوطات وإثراء للترك بالتراد والتفاس من كتب التراث العلمي الإسلامي التي يتشدها علماء والمفكرين وعلماء الدراسات العليا للمهتمون بالرسائل العلمية .

مخطوطات تاريخية بالجامعة الإسلامية :

— أسفالت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة — ١٤٠٠ هـ مخطوطات أخرى عام أسكن المحفوظ عليها من دمشق والقاهرة وأبدعها للمكتبة المركزية للجامعة .

ولقد صرح مصدر علمي مشهور بالجامعة أن قد تم تصوير هذه المخطوطات على ميكرو فيلم وزودت المكتبة المركزية للجامعة بأجهزة لتصور الميكرو فيلمي وأجهزة لطبع الأفلام وتجهيزها وتكبيرها ولإرسالت أساعدة الباحثين والمحققين للاستفادة من المخطوطات المسجلة على الميكرو فيلم في أبحاثهم ودراساتهم العلمية .

— الندوة الثالثة للتراث الشعبي .

يتميز التراث الشعبي السعودي بالأصالة والتأصيل . وقد حرصت جامعة الرياض أن تولى هذا اللون من التراث اهتماماً يخلق مع أجياله . فهو يعبر عن بيئة وواقع عايشه أجدادنا وصلفنا بما صنعه وأبتكره من أدوات ووسائل عادية ومعنوية وما

فكر وقن

كانت في زمانها ومكانها من أحدث المفكرات والمبتكرات . ولم يكن اهتمام جامعه بالرياض بالتراث الشعبي من عصرنا الحالي غرباً من الزحف أو العبث بمكننا الاستثناء عنه أو تجاهله . بل أصبح أمراً ضرورياً واستغنياً لحماية تراثنا على عاقب جيلنا المعاصر ذلك الجيل الذي يرتبط ماضياً الحاضر مستقبلاً المشرق بإذن الله .

من هذا المنطلق وعلى بركة الله البليت الندوة الثالثة للتراث الشعبي (١٠ - ١٣ جادي التالية) تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض . وقد شرف الندوة بالحضور كل من صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية . وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز نائب أمير منطقة الرياض وصاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية .

كما حضرها فريق من الشعراء والأدباء الذين شاركوا بمدد كبير من البحوث العلمية والدراسات الخاصة في أدبيات أهل الفن . كما تمت الندوة الفقرة أخرى من أنحاء ملكاتنا الحبيبة وصوت لحرص جامعة الرياض والمهتمون بالتراث الشعبي على أن تطور الندوة عاماً بعد عام لتتسع دائرة الاهتمام بالتراث الشعبي في المرحلة القادمة بإذن الله .

— الأسبوع الثقافي المغربي بالملكة العربية السعودية :

الملكة العربية السعودية والملكة المغربية الشقيقة تربطها أواصر صداقة وعمة متبادلة وعلاقات سامية — القيادة والشعب في البلدين الشقيقين دائماً يد واحدة نحو الخير لأمتنا وشعبنا .

وتأكيداً لما بين البلدين السعودي والمغربي من علاقات وثيقة وتقارب أعيد لهم أسبوع ثقافي مغربي بالملكة خلال شهر جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ ببيت المملكة . وقد شارك فيه ١٤٦ أستاذاً مغربياً استطاعوا أن يقدموا برنامجاً فريداً شاملاً بالثقافة المغربية والحضارة المغربية . فقد عاش الشباب

لغة وتاريخ

أدب وتراث

— مجمع المآلدين الجاه لتطوير اللغة العربية :

— قبل عام ١٩٣٧ م وهر العام الذي
شيء في مجمع اللغة العربية بالقاهرة كانت
هناك عائلات تاريخية مهدت بدورها
لإنشاء هذا المجمع . في عام ١٨٩٧ م كان
هناك مجمع البكرى وكان من بين أعضائه
الشيخ محمد عبده . وكان هدف هذا
المجمع التأكيد أن اللغة العربية كناية
بمراجعة مقتضيات العلم والحضارة ، وفي
أوائل القرن العشرين أثيرت مشكلة العرب
والعجم ، وعقدت ندوة خاصة في دار
العلوم للعلماء في شئون اللغة . وكان
شروياً توفر مجمع أقوى يحمي الألفاظ
العربية الفصحى ، فأُنشئ « مجمع دار
الكتب » عام ١٩٦٦ وكان لفظي السيد
« استاذ البطل » وألما من رواده حيث أراد
له أن يكون على طراز الأكاديمية الفرنسية
وكان يتكون من ٢٨ عضواً وعين لفظي
السيد كاتماً لسره . وأعضاء هذا المجمع
يتمثلون الأدب العربية .

ويعد عام ١٩١٩ انحصرت جهود
الفرع في مصر والعالم العربي في إنشاء
مجمع أقوى يرمي للغة العربية أصالتها وقدره
انتشارها باعتبارها لغة القرآن الكريم .

وصدر مرسوم ملكي في عام ١٩٣٧
بإنشاء مجمع اللغة العربية الخاني يقسم ستين
عضواً يمثلون الدول العربية ، ويحل للمملكة
العربية السعودية الشيخ محمد الجاسر والشيخ
عبدفخر بن خميس والشيخ بالذكر أن مجمع
اللغة العربية وحل مدى عمره الطويل « ٨٠ »
عاماً ، حافظ على مبادئها من : —

— الطابع العربي حيث كان لغير
لنصرين من عرب ومشرقيين نصيب من
عضوته .

— استقلال المجمع في اختيار أعضائه
باعتباره هيئة مستقلة ذات شخصية
اعتبارية .

ومن أهم إنتاج المجمع ما يلي : —

— إحياء تراث القديم في اللغة
والأدب حيث أخرج المجمع عشر
مجموعات كبيرة تشتمل على أكثر من ٤٠
ألف مصطلح في العلوم المختلفة .

السعودي وعاش بالعلم ثقافة الشباب
للغربي ولكره ولنه في الرياض وسيدة
والدمام والندية واخر ومكة المكرمة وأبها
ومريده والظهران . للغرب العربي والندى
عليه . للزوجة العالم العربي على الخط
الاحمر . بضم رسيداً حالاً من الفكر
والحضارة الإسلامية . فونك جامعة
الفرع للندى ذات التاريخ الطويل . في
دراسة الدين الإسلامي وعلومه والحفاظ
على شعائره وتقاليد . ولصاية بدراسة اللغة
العربية وتوطينها للوقوف في وجه التيار
الغربي من اللغات الأجنبية

ولقد جاء الأسير الطائي بصورة طيبة
حيث كان أشبه بمرحان حضاري متكامل
يمكن لنشأته السعودي كل ما في الغرب
والخير بالذكر أن إقامة هذا الأسير كان
رداً إيجابياً على الأسير الطائي
السعودي بالغرب منذ عامين وشاكره ١٥٠
شخصاً ما بين محامير ولجان ورسام ورجل
إعلام .

— خطة للتعبير ونشر الثقافة الإسلامية في إفريقيا :

— أعدت المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم خطة لفظي بتبديل برامج
التعبير خلال عشرين سنة في كل من
الكويت والجزيرة واليمن واليمن واليمن
والبحرين وموريتانيا . وتشمل مباحث هذه
الخطة كلا من لنادي وشال بيجيريا والفيج
والكاميرون وغينيا وإسبانيا ومالي والتمبال
وتبدأ عمليات التعبير بهذه الدول بإنشاء
مراكز للغة عربية لخدمة المناطق الإفريقية
من بينها مركز في غينيا لغرضها مع مالي
والسنغال والسيراليون . ويحل المركز على نشر
اللغة والثقافة العربية من خلال المدارس
القرآنية وذلك سيما لجعل اللغة العربية اللغة
الثانية في هذه البلاد . ويقام مركز ثان في
لنادي لغرضها مع شرق بيجيريا والكاميرون
والنيجير وبعض مناطق إفريقيا الوسطى .
ويهدف هذا المركز إلى تنمية اللغة العربية
والثقافة الإسلامية — بالإضافة إلى خلق
مناخ ثقافي عربي بصفة عامة — كما يقام
مركز ثالث في دار السلام لخدمة منطقة
شرق إفريقيا .

فكر وفن

الوطن العربي — المؤثر العالمي الأول للتاريخ الاسلامي :

— في مطلع القرن القادم سوف يقام أول مؤتمر عالمي للتاريخ الاسلامي في مدينة دمشق بهدف إلقاء المزيد من الضوء على التاريخ الاسلامي وعلى معالم التراث العربي والاسلامي . وعلى مظاهر التفاعل بين الحضارة العربية الاسلامية وسائر حضارات العالم من وقائع المكتشفات الأثرية الحديثة . وما وضعه الباحثون في التاريخ العربي والاسلامي من دراسات علمية جديدة صحت معلومات تاريخية قديمة أو أصلت استنتاجات وشواهد جديدة .

وقد شكلت الجامعة السورية لجنة تحضيرية للمؤتمر لدراسة موضوعات محددة مركزة له وتوزيعها توزيعاً مناسباً وتنظيم الجلسات والمكالمات متابعة عقد هذا المؤتمر في دمشق وسواها من المدن العربية الاسلامية على مدى سنوات القرن القادم (الخامس عشر) .

والدوره وهي تنشر هذه الافاده لغايتها تذكروه بمؤثر علمي عقد بالكويت عام ١٣٩٤ هـ لإعادة كتابة تاريخنا العربي الاسلامي بأسلوب منبسط وتثقيبه من الثوابت . وشارك في هذا المؤتمر أساتذة التاريخ بالجامعات وصدرت توصيات وشكلت لجان وم لدراسة التاريخ الاسلامي لمراحل السبعه العشري في تفصيل هذا المشروع... ثم لجأوا اسقط المؤتمر وأصبحت كل الجهود المتصلة به .

وكم من جامعة عربية دعت لمل هذا العمل دون نتيجة جادة .

إن التاريخ العربي الاسلامي لا يعني التاريخ السياسي لمصوب إلى إله يعني كل ما يمت للعرب والاسلام بعلة وثقة من ادب ولن وسيله تاريخ وعلم .

لفطوف التحدي التي تبهجها أمنا العربية اليوم تلجها إلى مراجعة ما فيها . وأن نتعلق بموضوعيه بعينين عن الأوهام والتوهمات . وأن يكون للمؤرخ نظرة شاملة مقارنة لتاريخنا العربي والثقافتنا الاسلامية .



— يسير اللغة قواعد وكتابة وروسم حروف .

— توفير المصطلحات العلمية والألفاظ الخضرية بحيث تصبح الحية والفية بمطالبت العلوم والفنون .

وتتطلب الخصائص اللغوية وروسم معجم تاريخي شامل يعرض لتطور اللغة العربية في عصورها .

كما اهتم الجميع بالمعجم والتتبع بالفعل بعد دراسة مستفيضة إلى أن معجم القرن العشرين يجب أن يسير عن اللغة في مختلف عصورها باسم الألفاظ حجية إلى جانب ألفاظ الجاهلن وصدر الاسلام .

ووضع اللغة العربية يتلقى مع الأكاديمية الفرنسية في اعداده وفي كثير من نغمه . وبالرغم من بطله في اخراج أماله فهو يروج بالحركة من داخل جدرانه ومن علان بحاله ليوأكب العلم .

— مركز تنسيق التعريب يقوم بأعداد المصطلحات المديوغرافية :

— طلت اللجنة الاقتصادية العربي آسيا في هيئة الأمم المتحدة إلى مكتب تنسيق التعريب من الوطن العربي (بالرابط) التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . للمساعدة في مشروعه الخاص بأعداد دليل المصطلحات (الديجرافية) السكانية — وضع فيه المقابلات العربية إلى جانب المصطلحات الانجليزية والفرنسية ، وقد قام مكتب تنسيق التعريب مؤخرًا بترجمة اللجنة بكل ما لديه كما يسر لها إنجاز مشروعه مثل المعجم اللغوية المتخصصة التي كان أصدرها من قبل في مجالات الاحصاء والراحيات والجغرافيا والتاريخ . والمعجم ذات العلاقة بالدراسات الديموغرافية (السكانية) والجغرافية بالذكر أن أجهزة الأمم المتحدة المختصة تقوم حاليا باستخدام اللغة العربية أداة خاصة رجيما ما ولغة عمل في هيئاتها الأمية . وأن مكتب تنسيق التعريب بالرباط هو الوكالة المتخصصة في جامعة السلون الفرنسية التي تعنى بتنسيق المصطلحات الفنية والعلمية وتوحيدتها في



فكر وفن

العربية السعودية وهي جامعة متخصصة ليس لها مثيل في الشرق الأوسط — أن تنشئ مركزاً لنسب الطوابع بضم الحاسب الآلي وحسابات وهنالك الحاسب في مجموعة عبارة عن عدد من الآلات التي يمكنها تنفيذ عدة عمليات أساسية ، حسابية أو منطقية ، بسرعة فائقة جداً — ثم إخراج نتائج هذه العمليات بأشكال عديدة إما على هيئة بيانات أو على هيئة إشارات كهربائية يمكنها التحكم أوتوماتيكياً في تشغيل بعض الآلات أو العمليات الأخرى . ويمكن استخدامه لحل نوعيات مختلفة ومتعددة من المشاكل أو المسائل التي يعطي بمحالات متنوعة مثال لذلك معظم الحسابات الرقمية .

وهذا الحاسب الآلي يمكن تصنيده لثلاث وحدات رئيسية هي :

١ — وحدة التشغيل المركزية وهي الوحدة الرئيسية في نظام الحاسب الآلي وتتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية هي (الذاكرة — وحدة الحساب — وحدة التحكم) .

٢ — وحدة إيصال المعلومات وتتمثل بوحدة التشغيل المركزية حتى تتمكن من تنفيذ البيانات والأوامر إلى الذاكرة .

٣ — وحدة استرجاع النتائج وهي مجموعة من الأجهزة تستخرج عليها البيانات بعد تنفيذها في وحدة التشغيل المركزية إلى وحدات استرجاع البيانات .

جهاز الكمبيوتر لم يكن ليحل محل الإنسان فهو عبارة عن آلة — ليس لها عقل ولا تستطيع التفكير أو حل أي مسألة إلا عن طريق المعلومات التي يضعها ويحدها واضع البرامج . والمقصود هنا بالبرامج مجموعة الأوامر والتعليمات التي يقوم الحاسب بتنفيذها لتنفيذ العمليات اللازمة على البيانات للزود بها . وتم كتابة البرنامج في لغات معينة يستطيع الكمبيوتر ترجمتها والعمل بها .

ومن هنا نقرر ان اختراع الحاسب الآلي لم يكن ليحل محل الإنسان أو الإقلال من أهميته ودوره — إنما تسهل الحسابات لتقليل الجهد والتكلفة والسرعة في الإنجاز والتحكم في توصيل المعلومات في

والأمل كبير في أن يسفر المؤتمر القادم عن نتائج عامة وأن تعاد كتابة التاريخ بصورة تلقى وعظمة ما فيها حتى يمكن أن يروى قلوبنا ونوثر الحبل العربي الذي يترجم ذاته ويستعيد لفته بفسه قصة الطب العربي :

أقامت جامعة الملك عبد العزيز بجدة معرضاً عن الطب العربي ، أعده وعظمت له الدكتور نوما شعالي . وقد تناول المعرض بأسلوب مقبول قاصداً فصل الطب العربي باعتباره جزءاً هاماً في تاريخ الطب العالمي . ولقصة الطب العربي تبدأ من انتشار الدعوة الإسلامية المسماة ثم اتجاه طلاب المعرفة والباحثين العرب للترجمة والاستفادة من معين الحضارات المجاورة التي كانت توشك نذارها الطبية على الأولول وتنتهي القصة عند الفتنان أوروبا بالكتب العربية الطبية والتي كان لها دور فعال في النهضة الأوروبية .

ويشير المعرض كذلك إلى المبادوات العربية الشهيرة كـ"طب" على الصيغة بالرومن العربي ولقاء الحراصة لأول مرة إثر جهود الزهراوي في الأندلس وخاصة في كتابه المشهور "التصريف لمن عجز عن التأليف" . والذي جعله حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي الكتاب المعول عليه في التدريس الحراصي ولي الممارسات الجراحية في أوروبا .

ولا شك أن هذا المعرض حقق دوراً عظيماً في تبسيط قصة الطب العربي وجعلها في متناول الفهم للجميع بصرف النظر عن مستواهم العلمي والثقافي .

ولا شك أن هذا المعرض حقق دوراً عظيماً في تبسيط قصة الطب العربي وجعلها في متناول الفهم للجميع بصرف النظر عن مستواهم العلمي والثقافي .

أكبر جهاز كمبيوتر بجامعة
البترون والمعادن بالمملكة :

الحاسب الآلي في أو الكمبيوتر (الحاسب) هو إحدى الآلات التي استطاع الإنسان تسخيرها لحل المشاكل الصعبة والمسائل الهامة والأعمال الروتينية . وقد حرصت جامعة البترون والمعادن بالمملكة

لغة وتاريخ

أدب وتراث

وجامع بن طولون في القاهرة القديمة وفي العراق نفسها ، وهذا ما أوضحه دليل المعرض ، فلم تكن الحياة الفنية والثقافية محدودة بالعاصمة بغداد أو مدينة البصرة التي كانت مركزاً مهماً في الحياة الفكرية كما كانت عليه التجارة والصناعات البدوية

والمعرض بصفة عامة تعرض للفن

الإسلامي بشكل عام ودقيق حيث تناول الفنون الإسلامية التي اشتملت عليها الدولتان الأموية والعباسية ثم أخذ البلاد الإسلامي موصفاً فيها انخلي في اسبانيا ثم مصر ويأخذ الفنون التي ظهرت في مصر من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر ثم مصر في أواسط القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر أي في الفترة المملوكية . ويسمر تسلسل المعارضات حتى عام ١٧٢٢م ويصل التسلسل كذلك لسدول المغرب العربي وما اشتملت عليه من فنون .

ولجدير بالذكر أن متحف الفن الإسلامي بالمنايا الغربية قد اشترى إحدى اللقباب الخشبية للقرن اخفاء في الأندلس . وهي قبة تعد آية من آيات فن النهضة الإسلامية التي يرجع عهدها إلى فترة حكم الخلفاء الناصر في الأندلس . والذين حكموا من عشرينات القرن الثالث عشر الميلادي وحتى سقوط الأندلس عام ١٤٩٢م .

وهذه القبة توازي في روحها وجمالها مقبرة تاج محل في الهند ، وباني عرشها في برلين شاهداً حياً ملموساً على عبقرية الفن الإسلامي — كما أن متحف الفن الإسلامي ببرلين إضافة إعلامية جديدة ومتجددة للفن العربي الإسلامي الأصيل .

اصدارات جديدة

لقراءة الدارة :

١ — السراج للثري في سيرة امراء عسير من تأليف الأستاذ عبد الله مسفر ، وقد صدر أخيراً عن مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت .

٢ — الاعلام الطلي في منابغ بن يمينه للحافظ عمر بن علي البزاز وتحقيق الأستاذ زهير الشاويش ، وقد صدر عن

الوقت المناسب .

خطاط سعودي يشترك

في معرض الخط العربي بأمریکا :

قامت مكتبة الكونجرس الأمريكي معرضاً للخطوط العربية باسم التناجج الأصلية لهذه الخطوط . وقد عرض بهذا المعرض ٢٧ لوحة مختلفة وأمل أبرزها لوحة نادرة للخطاط ، محمد إبراهيم ، لا يتجاوز حجمها ٣٦.٥ بوصة (طولاً) ، ٢٥ بوصة عرضاً كتبت عليها جميع الآيات القرآنية بالخط الفارسي ويرجع تاريخها إلى سنة ١٩٤٦م — كما قسم للمعرض صفحة نادرة من القرآن الكريم يرجع تاريخها إلى عام ١٢٠٧ ميلادية وهي من أقدم اللوحات للمعرض .

وقد شارك الخطاط السعودي ، محمد طاهر الكريدي ، بحجة أبرز روية لمع كتب عليها نماذج من خطه لبعض الأمثال العربية ، والخط دقيق للغاية بحيث لا يمكن رؤيته إلا بالنظار المكبر . وقد لاقى الجيدان إعجاباً كبيراً من جانب زوار المعرض .

معرض شامل للفنون

الإسلامية في باريس :

قامت مؤسسة مان والبرت بروفت مع متحف اللوفر وبعض المتاحف الأخرى في فرنسا بإقامة معرض بعض الفنون الإسلامية في جميع مجالاتها حتى خرج هذا المعرض (مارس ١٩٧٩) بالصورة الطيبة للفن الإسلامي الأصيل .

وتبدأ فترة معروضات هذا المعرض (عام ١٩٩١ — ١٧٥٠م) بمدينة دمشق حيث يتوفر الفن الإسلامي المتجدد في تصميمه ، مسملاً للتكليف التميز ومحصراً في فن السيراميك حيث نرى ذلك متمثلاً بالنصب الكبيرة .

أما الفترة العباسية وعاصمتها بغداد فيبدأ من عام ٧٥٠م وينتهي في عام ١٢٥٨م حتى نرى صوراً للصور الخلفاء العباسيين سواء أكان ذلك في بغداد أو في سامراء حيث نرى نموذجاً يحكي إمبراجاً متعلداً متنوعاً من طرف الامبراطورية التي تمتد من اسبانيا حتى الصين . وأكثر التناجج الشهيرة هي دون شك جامع القيروان الكبير

مكو وفن

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر في بيروت .

٣- معجم المسرحيات العربية والمصرية (١٨٤٨ - ١٩٧٥ م) تأليف الأستاذ يوسف أسعد فاخر ويتضمن دراسة موسعة للمسرح العربي ثم تعريفاً وتحليلاً لا يزيد عن ثلاثة آلاف وستة مائة مسرحية عربية أو عربية ظهرت في مختلف أقطار وطننا العربي مربية قديماً وأجانباً ، والمعجم من إصدار وزارة الثقافة والفنون بالعمارة الشاذلي .

٤- الجزء الأول من الموسوعة التاريخية في اعلام العرب العربي من إعداد الأستاذ عبد الوهاب بتصور ، وإصدار المطبعة الملكية في الرباط ، ويتضمن هذا الجزء قاموساً لأعلام المغرب العربي بما فيه الأندلس الإسلامية ، ويترجم أيضاً لتحية منتقاة من الرجال والنساء الذين ساهموا في ميدان السياسة أو الحرب أو العلم أو الأدب .

٥- تحقيقات وتنبؤات في معجم لسان العرب من تأليف الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، وإصدار مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة والطبعة الأولى ، وتتاول هذا المعجم جهداً علمياً واضحاً مؤلفه لخدمة هذا المعجم وتصحيح كثير من الأخطاء والتعريفات الواردة فيه والتنبؤ الى ما عرض مؤلفه فيه منذ عهد قديم في أثناء مراجعته لمواضيع مختلفة منه ، ويقول المؤلف :

«وقد تحسّن لي أن أنشر هذه التحقيقات إسهاماً مني في خدمة هذا المؤلف الإمام الذي لم يجد - لي الآن من يأخذ بيده ويحيل حفرته ، وأكثر أن أليها إشفاقاً مني أن يصبح هذا الجهد الذي أنفقت فيه دهرًا طويلاً .»

استئناف العفر

الآثري بالقاو

تقوم كلية الاداب « قسم الآثار والمتاحف » باستئناف اعمال العفر الملصق الآثري في قرية القاو حيث

تكلف لهذا الغرض بمئة علمية يشترك فيها اساتذة قسم الآثار والمتاحف وبعض الفنيين والمصاحين والمصورين والرسامين ونفحة من طلاب القسم واضفاء جمعية التاريخ والآثار .

والجدير بالذكر ان سبق بكلية الاداب بجامعة الرياض انقامت باجراء العفر خلال ثلاثة مواسم في هذه المنطقة الآثرية الهامة والتي تبعد عن الرياض بحوالي ٧٠٠ كيلو متراً جنوب غرب الرياض ، وكان من نتائج العفر بهذه المنطقة الآثرية الكشف عن مجموعة اثرية هامة وقد خصص لها متحف مستقل حيث تعرض فيه هذه المجموعة (الفتح هذا المتحف في شهر ابريل ١٣٩٧)

ولقد امكن بالفعل القيام التمشي من الضوء على تاريخ وسط الجزيرة العربية من خلال دواة نتائج اعمال العفر خلال المواسم الثلاثة السابقة . وسوف يتولى الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصاري رئيس قسم الآثار والمتاحف رئاسة هذه البعثة خلال مرحلة العمل القائمة .

لغة وتاريخ

أدب وثقافة

رِسَالُ عِلْمِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّقْلِيدُ

تَارِيخُهُ
أَحْكَامُهُ
أَنْشُرُهُ

الدكتور: عبد الله محمد العجلان

يسر الدارة أن تنشر هذا العرض الموجز لرسالة الدكتوراه التي قدمها الأستاذ عبد الله محمد العجلان وكيل الرئيس العام للتعليم العالي للمملكة العربية السعودية في أصول الفقه وكان عنوان البحث «التقليد : تاريخه — أحكامه — أثره» ، وقد نوقش البحث بمقر كلية الشريعة بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة — بمعرفة لجنة علمية متخصصة وأشرف على الرسالة فضيلة الشيخ/عبد الغني عبد الحائق رئيس قسم أصول الفقه بكلية الشريعة ، وقد نال معادته درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى (١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م) .

الحمد لله الذي أعزنا بالاسلام وشرفنا بالإيمان وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس والصلاة والسلام على من أُمّ الله به الدين ونحتم به الرسالات وعلى آله وأصحابه الذين حملوا أمانة العلم وفهموا مراد الله في نصوص شرعه فكانوا بذلك ورثة الأنبياء وصفوة الأئمة .

ان نصوص الشريعة المطهرة كملت في حياة الرسول (ص) ولم ينتقل الى الرفيق الأعلى حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وشاء الله أن تكون هذه الرسالة بلسان عربي مبين وأن تكون دلالة نصوصها على مراد الله منها على أنماط مختلفة من البيان وأن لا يتم تطبيقها في حياة الناس بمزول عن جهود البشر واستعمال النشاط العقلي في

حسن استعمال النصوص والتعرف على مراد الله منها وتشخيص الحوادث لاعطاء كل حادثة حكمها وذلك لأن المقصود من النصوص الشرعية هو العمل بمقتضاها والسير على أثرها والاستعانة على نهجها ليقوم الناس بالقسط ولم يكن أمام المقيدين من هذه النصوص في تنظيم أمور دنياهم ودينهم إلا أحد طريقين :

اما الافادة المباشرة عن طريق الاجتهاد الشخصي مباشرة ويسمى هذا اجتهاداً . واما متابعة للغير في اجتهادهم والتقيد برأيهم ويسمى هذا الاعتدال على الغير في معرفة أحكام الفقه تقليداً وهو مسلك السواد الأعظم من الناس في كل جيل . ولم يكن بد من هذا الازدواج في طريقة أخذ النصوص والافادة منها لأسباب أهمها :

١ — أن فهم النصوص يحتاج الى جهد عقلي واعمال فكر مستمر وتروض على طريقه استفادة الأحكام من النصوص مباشرة ومتابعة النفس والاستعداد الشخصي .

٢ — أن الناس متفاوتون في القدرات والمعارك والاستعداد كما أنهم متفاوتون في طرائق العيش وأساليب الحياة والظروف والبيئات ذات الأثر في تكوين الأفراد .

٣ — أن فقه الشريعة لا يحصل إلا لمن أمضى أوقاته في التصرف على النصوص وفهم معانيها والوقوف على مأخذ العلماء منها الى جانب توفر الاستعدادات الفطرية والامكانيات الذهنية الخلاقة والعلوم المكتسبة مع الانقطاع في الطلب .

ولقد كان الفقه في الصدر الأول علماً على كل علم يوصل الى الله سواء منه ما كان متصلاً بالعقيدة أو الشريعة أو الأخلاق أو السلوك وتهذيب النفس وغير ذلك .

وكان منتهى الفقه في نظر فقهاء الصدر الأول هو الزهد في الدنيا والقناعة في الحياة والرغبة فيما عند الله والدار الآخرة ثم دخل هذا الاسم التخصص حتى تعارف المتأخرون على قصر الفقه على (معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية عن طريق الاستدلال) .

وصارت مادة الفقه خاصة بالأحكام العملية التي استمدتها الفقهاء من النصوص باجتهاداتهم الخاصة . وقالوا بها وأفترأ الناس بها وقضوا على وفقها سواء منها ما كان في أمور العبادات أو المعاملات أو المناكحات أو الأموال أو الدماء أو القضاء أو الافتاء أو غيرها . مما تعارفوا في قصر اسم الفقه عليه وهو خلاصة أحكام الشريعة في نظر القائلين بها وثمرة جهود العلماء في مختلف العصور ونتيجة لتعرفهم على الأحكام والجزئيات من دلالات النصوص المختلفة وما يفهم منها ومن اجماع الأمة والاجتهاد في توخي المقاصد العامة للشريعة في ضوء الأصول العامة والقواعد الكلية والتعرف على علل الأحكام والامارات الدالة عليها وصار أخذ هذه الأحكام للدونة الفقه المستفاد من النصوص دون معرفة مأخذ الحكم في كل مسألة بدليله يسمى تقليداً . وانطلقت الألسنة بذمة الإنكار على من سلك سبيله مع أن هذا الفقه كان ثمرة جهود العلماء في مختلف المدارس الاسلامية التي قامت في القرون الثلاثة التي انتهت الى الأئمة الأربعة للتبوعين اليوم .

هذا ولقد كان لي في اختيار موضوع هذه الرسالة : التقليد وأثره في حياة المسلمين والكتابة فيه باحث ومن ورائه غاية وفي سبيل الوصول اليه منهج ولجمع المعلومات مراجع .

ويؤكد الباحث أن سبب اختياره هذا الموضوع هو أن رأي أن يكون موضوع رسالته من الموضوعات التي لها مساس بحياة الناس اليوم وفي قضية يتصل بموضوعها بأفعال المكلفين والبحث عن ميراث النبوة . ومعرفة الحلال والحرام والجائز والمنوع من الأفعال والأعمال والأحوال . وفي طريقة أخذ هذه الأحكام واستفادتها من الأدلة الاجالية والقواعد الكلية . فقد لاحظت ما ترتب على المبالغة في الأخذ بمبدأ التقليد من ضرر حاق بالمجتمعات الاسلامية التي اتخذته سياسة والتزمت به مبدأ . فنذ ظهر الأئمة الأربعة واستقرت مذاهبهم في الأمصار وتبلمذ الناس عليهم وتمصبوا لهم قبل بقل باب الاجتهاد نهائياً ، وكان لذلك ظروف تاريخية قد تبرزه في وقته ولعل من أهمها : أن الفرق المارقة وأصحاب الفلسفة وأدعياء الاجتهاد حاولوا أن يتخذوا من الاجتهاد مدخلاً الى تحقيق مآربهم السبئية نحو الدين والمجتمع الاسلامي فنقل قوم القول باغلاق هذا الباب الذي غدا باباً للشر على الدين وعلى المجتمع على حد سواء وتبنت بعض الحكومات الاسلامية هذا الاتجاه في ذلك الوقت وكان معظمها حكومات غربية تنقص القائمين عليها المعرفة باللغة العربية والفقه في أصول والشرع ، فكانت أدوات الاجتهاد مفقودة بالنسبة لهم وكان في التقليد حل لمشاكلهم مع تشابه الحياة في عهدهم مع عهد المجتهدين .

ولم يظهر أثر هذا الاتجاه في وقته ولكن المشكلة أتت من أن المجتمع الاسلامي تطور مع

الزمن وتجددت مشكلاته وتغيرت الحياة من حوله وتغيرت حياته على حين أن الأحكام التي كانت توجهه وتقوده قد توقفت من زمن القول بخلق باب الاجتهاد وكانت المجتمعات الاسلامية في القرن الثالث عشر تحكم بفقه مسائله وأصوله في القرنين الثالث والرابع الهجريين والأصل في الفقه والتنظريات أن تسير تطور المجتمع وتكون من أسباب رفعة من جهة وضيطة في نفس الوقت من جهة أخرى حتى لا تتخلف المجتمعات أو تتجمد . وقد ترتب على هذا عدة أمور منها : —

١ — تختلف المجتمعات الاسلامية نتيجة لتخلف الاجتهاد في الفقه عن مواجهة ما استجد من مستحدثات .

٢ — وقوع الخلاف بين الفقهاء فمنهم من أراد انقاذ المجتمع وتحقيق تطوره وبالغ في الاجتهاد واجتهد على غير أساس أو تابع ذوي السلطان في رغبتهم . ومنهم من أصر على التقليد والوقوف عندما وصل إليهم من الأولين .

٣ — أن بعض المجتمعات الاسلامية أمام قلة الفقهاء وتوقف الفقه عن مسايرة حاجات المجتمع وعدم قدرة أهله على إيجاد البدائل للنظم الجديدة والسائدة في المجتمعات غير الاسلامية اندفعت الحياة فيها في غير الاتجاه الاسلامي . بل أخذت بالقوانين المدنية الغربية فترجمتها واتخذتها أساسا للمعاملات وتنظم المجتمع مع أن في أحكام الفقه الاسلامي ما كان يغنيها عن هذا لو أحسنت الاستفادة من الفقه اجتهاداً وتقليداً .

ويفسر الباحث أنه عندما اختار هذا الموضوع أراد أن يصل الى مفهوم أصيل للاجتهاد والتقليد يرد المجتمع الاسلامي الى أصوله الفقهية والتشريعية الأصلية بما يحقق مصالحه ويبقى على شخصيته ويضمن تطوره وتقدمه في اطاره الاسلامي .

أما الغاية من وراء الاختيار لهذا الموضوع . فهي جمع شتاته وضم المنفرد من أبحاثه في مكان واحد والتنسيق بينهما ومن ثم عرض حقائق هذا الموضوع عرضاً أميناً يكشف النقاب عن أوجه الخلاف فيه والوقوف على بعض مسائله وإجراء دراسة وافية لكل بحث من مباحثه وتشخيص وجهات النظر حوله ومناقشة أدلة كل من المانعين والمجيزين وإجراء موازنة دقيقة بينهما تنسم بالموضوعية والبحث الحر الذي يهدف الى الوصول الى الحقيقة وإتباع ما هو أولى وإجراء دراسة تاريخية لعلم الفقه وأثر الفقهاء فيه في مختلف العصور والمراحل التي مر بها . وعمل العلماء في كل مرحلة ليقرّبوا ذلك الى فهم هذا الموضوع والاستعانة به في الوصول الى ما هو أولى بالاتباع واعطاء حكم صادق بعد ذلك . ومن ثم إيجاد مؤلف يتم في هذا الموضوع بسد فراغاً موجوداً في المكتبة الاسلامية يبين وجه الحق في عمل ساد الحياة العامة عند المسلمين منذ القرن الرابع الهجري ويمجد به موقفنا من علم الفقه الذي وصل اليه الناكثمة من غمار عمل العلماء في مختلف المذاهب الاسلامية وبيان وجه الحق في القول بأن آثاره حسنة طيبة أو سيئة خطيرة أو أن يكون ذلك بداية أبحاث جديدة تتناول هذا الموضوع بالتحليل والدراسة وبيان وجه الحق فيها .

ومن هذا يظهر أن الغاية الأخيرة أمام الباحث عندما اختار هذا البحث هي أن جعل من فقه الشريعة الإسلامية السمحة أداة لقيادة المجتمعات الإسلامية وتنظيمها ووسيلة لتقدمه دون أن تخرج هذه المجتمعات من جلدتها وتتقصر، جلوداً أخرى أجنبية ، مع نبل فقهاء وسمو شريعتنا .

أما المنهج الذي اتبعه الباحث في إخراج هذه الرسالة فهو الخطة التي وضعها لإخراجها بعد أن عاش في جو الموضوع مدة طويلة تصور من خلالها مباحثه وأبعاده صوره ومسائله ومقدماته ونتائج . وقد اعتمد في عمله في البحث على منهجين رئيسيين :

١ — المنهج التاريخي — على أساس أن تاريخ العلم جزء من العلم ذاته وأن التاريخ خير ما يفسر حقائق العلم ويعين على فهمه .

٢ — المنهج الاستقرائي — وهو تتبع أقوال العلماء وتفسيرهم لنصوص الشريعة والطريقة التي عالجوا بها الأحكام في ضوء النصوص وإجراء الموازنة بينها واختيار ما هو أولى بالاتباع فيها .

وقد وضعت هذه الخطة في تسعة أبواب وخاتمة :

تناول في الفصول الثلاثة الأولى تطور الفقه وتاريخه في الصدر الأول والاجتهاد وأثره حتى منتصف القرن الرابع الهجري والمراحل التي مر بها في عهد الاجتهاد ومميزات كل مرحلة وأثر المجتهدين فيها على الفقه .

كما تناول في الفصول الثلاثة تعريف الاجتهاد وأركانه وشروطه وعمله وامكان تجزئته وتاريخه وامكان انقطاعه وغير ذلك من المباحث الحقيقية التي هي بمثابة المفتاح والمداخل لموضوع الرسالة .

وخصص الفصول الخمسة التالية لها للكلام عن التقليد وأثاره فخصص الفصل الرابع لتعريف التقليد وتحديد حقيقته وما يدخل فيه وما يخرج عنه واختلاف العلماء في تحديد ماهيته ومناقشة وجهات النظر في ذلك وانتهى منه الى اختيار التعريف الأمثل في نظره . ثم بين ما يعد من التقليد وما لا يعد منه وبين الفرق بين التقليد وكل من الاتباع وقبول الشهادة وقبول رواية الراوي والامامة في الصلاة وغير ذلك .

كما خصص الفصل الخامس لبيان آراء المجتهدين في التقليد وعرض أقوالهم في ذلك ومناقشتها والجمع بين قولهم بمنع التقليد وفعلهم له عند الاضطرار وذكرهم لشروط المجتهد ومنعهم من لم تتوفر فيه شروطه من التصدي له وبينت وجه الحق في ذلك .

أما الفصل السادس فقد ذكر فيه خلاف العلماء في حكم التقليد في الأصول والفروع ومناقشة أدلة كل فيها ذهب اليه كما قام بتحرير محل النزاع في الموضوع على رأي الجمهور وبين وجه الحق فيها توصل اليه في ذلك .

أما الفصل السابع فقد كان خاصاً بعرض أدلة كل من المانعين من التقليد والمجيزين له

ومناقشتها مناقشة علمية دقيقة توصل من خلالها الى ترجيح ما تم اختياره على ضوء البحث والمناقشة .

أما الفصل الثامن فقد خصص للافتاء وما يتعلق به الموضوع وقد عرض من أبحاث ذات أساس قوي بموضوع التقليد والمجتمع أيضا ولأنه الجانب التطبيقي من الموضوع وقد عرض تاريخه وحرر محل النزاع في كثير من مباحثه وتعرض فيه الى بيان شروط المفتي ومراتب المفتين والمستفتين ومن يجوز للعالمي استفادته ومن لا يجوز له وبيان حكم التلقيق في التقليد وتنوع رخص المذاهب وحكم الانتقال من مذهب الى غيره وبيان خلاف العلماء في هل للعالمي مذهب أو أن مذهبه مذهب من يفتيه . وقد توصل الى نتائج في كل مبحث موجودة في صلب هذه الرسالة .

وخصص الفصل التاسع لبيان أثر التقليد وقد استعرض فيه وجهات النظر المختلفة فناقش معظم ما عد من الآثار الخطيرة للتقليد واتباع الأئمة الأربعة كما ناقش العديد من الآثار الحسنة وخلص الباحث الى القول بأن للتقليد آثارا حسنة وأخرى سيئة وأنه يمكن الاستفادة من الآثار الحسنة وتوسيعها واستبعاد الأسباب التي أدت الى الآثار السيئة أو التقليل منها .

أما الخاتمة فقد خصصت لشيئين فقط هما :

١ — إيجاز نتائج البحث كما يراها الباحث بمجردة عن الدليل والتعليل والمنازلات الجدلية ، وخالية من التحيز والانتصار .

٢ — المقترحات التي يراها الباحث للعودة بالفقه الى سالف عزه وغاير مجده وكريم عطائه وتأهيل رجاله لقيادة الحياة العلمية والأخذ بيد الأحياء الى الاستقلال بظل شريعة الاسلام واقامة العدل بين الناس بفقه شريعته .

ولعل من أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال البحث ما يلي : —

١ — شاعت حكمة الله سبحانه وتعالى ولطف تدبيره أن يكون الانسان على وجه الأرض خليفة الله فيها ، يقوم بعارتها والاستفادة من خيراتها ، فم يعبد الله لا يشرك به شيئا وينتبه إليه في كل عمل من أعماله ليحقق معنى العبودية له في أمم صورها وأكمل صفاتها . وقد أكرمهم الله بالعقل والادراك وأمدّه بالاستعدادات الفطرية التي يمكنه استئثارها في الخير فتوّي أكلها بأذن ربها .

فم لم يكله الى هذا العقل وحده الذي يمكن به أن يهتدي أو يضل بل أعادق عليه من نعمه التي لا تحصى ، وفي مقدمتها نعمة الرسالات السماوية التي ختمها سبحانه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي ترك أمته بها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، فحدد الله بها معالم الطريق السوي الموصول إليه ، وحدد على ضوئها مفهوم الخير والشر والمصلحة والمفسدة والحق والباطل والهدى والضلال ، وجعلها الطريق الوحيد الى الله دون سواها (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه

وهو في الآخرة من الخاسرين) .

٢ — وشاءت حكيمته تعالى أيضا أن تكون هذه الرسالة من عنده على يد إنسان عربي أمي، وأن تكون معجزتها الكبرى فيما برع فيه قومه من الفصاحة والبلاغة والبيان . فجاءت نصوص الكتاب الذي هو عنوان الرسالة في ذروة الكمال في اللفظ والمعنى وفي قوة البيان والأفهام ، حتى عجز العرب عن الاتيان بمثله ولو كانوا وإلحن ؟ بعضهم لبعض ظهيرا ، وكان من أبلغ ما وصفته العرب به في مجال التنفير منه وصد الناس عن سماعه (ان هو لا محيروثر) .

فكانت تصعق له الأسماع ويبلغ في سرعة تأثيره في النفوس وتغييره للأحوال مبلغ السحر مع الاختلاف الكبير في الوسائل والنتائج والثمار .

وكانت البلاغة النبوية في الدرجة الثانية بعد القرآن وفوق الكلام المعتاد ، فقد أعطى جوامع الكلم وفصل الخطاب . وكان صلى الله عليه وسلم في تعليمه وتوجيهه للناس وتفقيهم مدة حياته أشبه بالطبيب النطاس الذي يضع الدواء المناسب لمعالجة الداء القائم بالمرضى من غير زيادة ولا نقصان . فتربي الناس في مدرسته وفاءت البشرية على يده الى رشدها ، وبما رسم لها من معالم الطريق المستقيم الذي لا يضل سالكه ولا يبيد عنه إلا هالك .

٣ — وشاء الله أن تكون نصوص الشريعة على أنماط مختلفة من البيان والدلالة على المعاني ، وألا تكون كلها نصية على أحكام ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة ، بحيث لا يكون فيه مجال لاستتار البشر عقولهم لفهم مراد الله في كل نص من نصوص الشريعة وتترل الأحكام عليه . ولكن الله اللطيف في صنعه جعل نصوص الشريعة على أنماط مختلفة من الثبوت والدلالة على المعاني المرادة له سبحانه ، وجعل مجال استتار هذه النصوص مرمون بمجهود البشر وعمل الانسان يتعبد بها ربه ويسلك بواسطتها سبيله ، فكان في هذا الدين ونصوصه اطلاق للعقل من أسر وفك له من قيوده وتوجيه لاستناره وفق اطار معين هو ما توشد إليه النصوص وما يتفق مع المقاصد العامة لها وما عرف من الشارح القصد إليه .

٤ — اجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ولم يقره الله على خطأ في اجتباؤه فيما يتصل بالتشريع ، وأقر أصحابه على اجتباؤهم في حياته أيضا فأقر بذلك مبدأ هاما من مبادئ الشريعة السمحاء المعطاة ولم يلحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة وأقام به الحججة على الناس كافة .

٥ — حدثت بالمسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أحداث عظيمة ونزلت بهم وقائع ليس لديهم فيها نصوص شرعية ، أو كان فيها نصوص ولكن علمها من علمها وجهلها آخرون ، فكان لا بد من الاجتهاد فيها على ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها العامة وقواعدها الكلية وتتريل الحوادث عليها .

وبدأ الاجتهاد في أول عهده في حياة الخلفيتين أبي بكر وعمر اجتهدا محدودا وجاعياً هو أشبه بالشوري ، فكانوا يجمعون الكثير من أصحاب محمد ثم عن رأيهم فيها ينبغي أن تنزل عليه كل حادثة وقعت في مفسده ، فتروى الناس ثم امتدت فروع هذه المدرسة بتفرق الصحابة في الأمصار . حتى بلغت ذروتها في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري على يد الأئمة المجتهدين الذين استقرت في زمنهم المذاهب الفقهية والاجتهادية التابعة اليوم .

٦ — كان الخلاف يقوم بين الصحابة ويحتمد في بعض المسائل الاجتهادية بينهم فبعض كل بما توصل إليه باجتهاده من غير أن ينكر على غيره مخالفته له ، ما دام من أهل الاجتهاد وقد أداه اجتهاده الى خلاف ما ذهب إليه غيره . ولم ينشأ عن ذلك أي بادرة من بوادر الفرقة أو القطعية . فان ظهر لهم الحق جميعاً بوجود نص فاضل رجعوا اليه جميعاً وإن لم يوجد صار كل الى اجتهاده .

واستمر ذلك المنهج قائماً حتى استقرت المذاهب في منتصف القرن الرابع الهجري في خط واحد لا يتغير .

٧ — كان الصحابة رضي الله عنهم منهم المجتهد ومنهم المتبع . وكان من المجتهدين من يستعمل الرأي ويتوسع فيه ، ومنهم من يقف عند النصوص لا يتعداها ، ومنهم من لا يستعمل الاجتهاد بالرأي ويتوسع فيه ، ومنهم من يقف عند النصوص لا يتعداها ، ومنهم من لا يستعمل الاجتهاد بالرأي إلا عند الضرورة . وكان الاجتهاد بالرأي في ضوء النصوص أكثر فيمن تولوا القضاء أو الافتاء أو الامامة أو الواليات التي تستدعي توجه الناس إليهم بالأسئلة ، كما كان معظمهم يكرهون فرض المسائل والسؤال عن حكم ما لم يقع ويشددون الانكار على من يفعل ذلك .

٨ — في زمن التابعين وأتباعهم كثرت القضايا وجدت أحداث لم يسبق أن تكلم فيها السابقون ودخل في الاسلام أمم كثيرة على أثر الفتوحات الاسلامية ، فتوسعت بذلك مهمة الولاة ومتطلبات ادارة الخلافة الاسلامية في مختلف الأقاليم ، وتعقدت الحياة بسبب اختلاف الثقافات وتعدد الأجناس والأمم التي دخلت في الاسلام ولم تصطبغ بفكره وتشريعه ، وترتب على ذلك شدة الحاجة الى التوسع في الاجتهاد واستعمال الرأي في كثير من القضايا ، على منحنى شيوخ كل جماعة من الصحابة التي حلت في كل اقليم من أقاليم العالم الاسلامي وتوارثوا علمهم ومنحاهم في الاجتهاد .

٩ — قام في كل اقليم من الأقاليم مدرسة فقهية اجتهادية لها شيوخها وتلاميذها ولها منحاهم الفقهية وسماتها المميزة . وكانت هذه المدارس تختلف باختلاف البيئات والشيوخ وموروثها من علم السنة ، في استعمال الرأي وفرض المسائل والسؤال عما يقع وقد اشتهرت مدرسة العراق باستعمال الرأي الصحيح والتوسع فيه وعدم الانكار على مستعمله لحاجة ومن غير حاجة ، كما عرف عن مدارس الاجتهاد في كل من المدينة

ومكة والشام ومصر الوقوف عند الأثر وعدم استعمال الرأي إلا للحاجة الملحة والضرورة اذا قامت . وكانوا يكرهون القول بالرأي من غير حاجة كما ينهون عن فرض المسائل التي لم تقع بعد . فكان هناك فجوة بين مدرسة الرأي في العراق وبين المدارس الأخرى في الأقاليم . ثم قربت الشقة على أثر الرحلات العلمية التي قام بها تلامذة كل مدرسة الى غيرها من المدارس ، وخاصة بعد اللقاء محمد بن الحسين وأبي يوسف بشيوخ مدرسة المدينة والاطلاع على ما عندهم ، واطلاع تلامذة مدرسة المدينة ومكة والشام ومصر على ما لدى مدرسة العراق من دقة في الفهم وحسن استعمال الرأي وفقه لمقاصد الشريعة ، وبذلك زالت الشقة وتقاربت المدارس في منحها وان كان لمدرسة العراق منحها المميز حتى يومنا هذا .

١٠ — يتضح لمن يتتبع مسار الفقه في أطواره المختلفة أن نموه وازدهاره مرتبط ارتباطا وثيقا بقوة المسلمين وارتفاع سلطانهم واتساع دولتهم وقوتهم السياسية والادارية . كما هو مرتبط أيضا بالشعور الاسلامي والعمل لوجه الله في قيادة البشر بهذا الدين السمع وكون العمل في هذا المجال طاعة لله وعبادة له قبل أن يكون وظيفة ومجالا للكسب ونيلا للرياسة .

ولهذا فإن الفقه أخذ مدة يتزايد مع تزايد مد الفتوحات الاسلامية ، ثم أتى أكله بإذن ربه في صدر الدولة العباسية كما بلغ الفتح الاسلامي مداه ، وأثمرت تلك البذور الصالحة التي وضعت في العهد الأموي الزاهر وقطفت أنضج ثمارها العباسيون لتوافر دواعي ذلك من قيام دولة عملاقة تشمل العديد من أقطار المعمورة وهي في أمس الحاجة الى صهرها في الفكر الجديد والعقيدة الجديدة وتشرب بروحها بحب شريعة الاسلام في ظل نظمه العادلة وتشريعاته الحكيمة ، ووجدت كافة الخدمات الصالحة للاستثمار في ادارة شئون الخلافة في مختلف جوانب الحياة فأثبت الفقه قدرته على قيادة الحياة الحرة الكريمة المهنية بنور الله والمالكة طريقها إليه في ظل قيادة رشيدة واعية .

ولما بدأ الانقسام في الدولة الاسلامية بعد ذلك على أثر ضعفها وتراجعها في خط سيرها في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري ، وتوقف الاجتهاد وبدأ الضعف والوهن يبدان في نفوس طلاب العلم ، وبدأ التراجع أيضا في مسار الفقه من القوة الى الضعف ومن الاجتهاد المستقل الى الاجتهاد المقيّد بمذهب أحد الأئمة المجتهدين وبما تضمنته آثارهم من أصول وفتاوى وأقوال ثم استمر الضعف يتزايد بمرور الأيام مع تزايد الضعف في أوضاع المسلمين حتى آل الأمر الى التقليد المحض الذي جمّد فيه الفكر وتوقف فيه عطاء الفقه وانعدم فيه الاستقلال في الرأي والأهلية للاجتهاد ولو في اطار المذهب ، بل سارت إلا في تدبير تركات الاموات وتنظيم الحياة الشخصية . أما جوانب الحياة الأخرى فقد اندفعت تحت قيادة نظم وضعية غازية ورجال يحملون أفكارا بعيدة عن فقه الشريعة ومبادئها وأصبحت مباحث الفقه خاصة بالمهتمين بها

ولأنفسهم فقط . واتجه الفقه الاسلامي اتجاها نظرياً بعيداً عن الحياة وواقعها في غير تلك الأجزاء المحدودة .

١١ — اختار الباحث في تقسيم أدوار الفقه ومراحلته التقسيم القائل بأن الفقه مر بأدوار ثلاثة هي : —

- أ — دور التشريع في عهد النبوة .
 - ب — دور الاجتهاد من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الى منتصف القرن الرابع الهجري .
 - ج — دور التقليد من منتصف القرن الرابع الهجري حتى يومنا هذا .
- ثم ان كل دور من هذه الأدوار الثلاثة مر بمراحل متباينة . فمر دور التشريع بمرحلتين التشريع في مكة ثم التشريع في المدينة .
- ومر دور الاجتهاد بمرحلة الخلفاء الراشدين ، ثم الاجتهاد في عهد الدولة الأموية ، ثم الاجتهاد في صدر الدولة العباسية .

ومر التقليد بمراحل ثلاث :

- أ — مرحلة التقليد والاجتهاد في المذهب من منتصف القرن الرابع الهجري حتى سقوط بغداد عام ٦٥٦ هجرية على يد هولاكو التتري .
- ب — مرحلة التقليد المحض من سقوط بغداد حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري .
- ج — مرحلة التقليد المحض في العهد الحالي من منتصف القرن الثالث عشر الى يومنا هذا .

وبين عمل العلماء في كل مرحلة من هذه المراحل ، وناقش المرحلة الحالية للتقليد وهل هي عهد نهضة للفقه كما يرى البعض أو هي امتداد لمرحلة التقليد المحض كما يرى آخرون ، وتوصل الباحث من خلال بحثه الى أنها امتداد لمرحلة التقليد المحض ، الى جانب ظهور عمليات جادة وعمامة لاقضاء الفقه عن الحياة نهائياً إلا في جوانب ضيقة من تدبير تركات الأموات وتنظيم الأحوال الشخصية فقط ، واندفاع الحياة فيما عدا ذلك في اتجاه علماني لا ديني واضح .

فہارس
الخطوط العربیہ
دراسة تحليلية

للدكتور
عباس صانع طاشکندی

ليس هناك أدنى شك في أن الولوج في عمليات الفهرسة وإصدار الفهارس مجموعات المصادر في خزائن الكتب ودور السجلات أمر قديم قدم المكتبات نفسها ، إلا أن مهت الأثارة دوماً ودائماً هو محاولة العثور على أي دليل مادي حول أقدم فهرس صر على وجه الأرض ، وحتى إذا ما تحقق ذلك ، فإن الحقيقة التاريخية تظل متغيرة باكتشاف أثر مادي آخر يؤدي بدوره إلى تعديل الحقائق مرة أخرى ، وهكذا شأن ارتباط الحقائق التاريخية بما يستجد من اكتشافات أثرية مادية قاطعة .

على أن المهتم بمثل هذه الأمور التاريخية كثيراً ما يصطدم بسبل من الكتابات تأتي على شكل بحوث ومقالات وتقارير تدور كلها حول عدد من الآراء المختلفة .

وحول أقدم فهرس صر في العالم ، نجد أن عديداً من الكتابات تأخذ اتجاهات متغايرة ، ففي حين أن كوركيس عواد^(١) يرجع أقدم الفهارس للبابليين ، نجد أن سيفيرانس^(٢) ينسب أقدم الفهارس إلى الآشوريين وبالتحديد سنة ٧٠٠ قبل الميلاد ، بينما يذهب ستراو^(٣) إلى السومريين باعتبارهم أول من أصدر فهرس المكتبات .

وعلى أية حال فإن أيّاً من هذه الادعاءات ستظل غير مؤكدة ما لم تدعم الاكتشافات الأثرية وجهة نظر معينة بدليل مادي قاطع .

ولعل البحث في أصول الفهارس القديمة لم يكن وفقاً على أولئك الذين سبقت الإشارة إليهم ، بل تناوفا عدد كبير من العلماء من أمثال ادوارد ادواردز^(٤) وجونسون^(٥) وتومبسون^(٦) وهيسل^(٧) وكلارك^(٨) وتايلور^(٩) وبارسوتز^(١٠) ووني^(١١) وكير^(١٢) وسافجيه^(١٣) وريشاردسون^(١٤) وبتو^(١٥) وغيرهم من العلماء ، إلا أن توريس^(١٦) في رسالتها العلمية التي خصصت لدراسة مناهج إصدار الفهارس عبر التاريخ قد ادعت بأن الاكتشافات الأثرية لألواح الصلصال الآشورية (١٦٦٨ — ٦٢٦ قبل الميلاد) كانت تضم فهرساً سجلت عليه معلومات جغرافية شبيهة في الغرض بالمعلومات التي تسجل في الفهارس الحديثة .

ويبدو أن هذا الادعاء في غير محله ، وخاصة فيما يتعلق بوظيفة الفهرس ونشؤه عبر التاريخ . ذلك أن تطور الفهارس من الناحية الوظيفية قد اتخذ اشكالاً متعددة تمر عبر الأغراض التالية :

- ١ — الفهرس كوسيلة للجرد والحصر .
- ٢ — الفهرس كوسيلة تصل القارئ بالمادة المطلوبة .
- ٣ — الفهرس كوسيلة مستقلة للضبط والتحقيق البيبليوجرافي .

فبعد وظائف الفهرس عبر التاريخ يفترض التباين والاختلاف في عناصره وبالتالي فإن الادعاء بأن الفهارس الآشورية كانت على نمط مشابه لفهارس اليوم في الأغراض يعتبر ادعاء غير دقيق .

وعلى أية حال فإنه ليس من أغراض هذا البحث أن يتناول التفاصيل التاريخية لأقدم الفهارس الموجودة ، وكيفية التحقير في أمرها ، وإنما أراد الباحث في هذه المقدمة أن يسلط الضوء على أن قضية الضبط الجيولوجي لمصادر المعرفة قضية تعود أصولها إلى حقب سحيقة في التاريخ ، وأن أصول الفهارس القديمة تعود إلى هذه المنطقة الحضارية من العالم .

فإذا كان الشرق القديم مسؤولاً بوسائله البدائية عن إصدار أقدم الفهارس الحضارية ، فضلاً عن الحضارة الإسلامية بكل ما فيها من ثراء فكري أصيل ومترجم مسئولة عن إصدار العديد من الأدوات الجيولوجية المنهجية ، وهي التي أوروث البشرية ما يزيد على حسب تقدير المتجدد على ثلاثة ملايين مخطوطة عربية^(١٧) فإن استقرت كل تلك الأعمال ؟ وما هو الواقع الجيولوجي لهذه المخطوطات العربية التي تنتشر في كل بلاد العالم ؟ وما هي أنجح الوسائل للتغلب على مشاكل الضبط الجيولوجي للمخطوطات العربية ؟

إذا قارنا محتوى مختلف الوسائط المكتوبة التي أنتجتها حضارات وثقافات أخرى بمحتوى المخطوطات التي أنتجتها الثقافة العربية والإسلامية ، فإننا نجد أنها تتميز عنها بأمرين هامين .

أولها : أنها تتميز بالأصالة فيما اضافته في شتى العلوم والمعارف .
وثانيها : أنها المسؤولة عن المحافظة على تراث الحضارات القديمة نتيجة لاضطلاع علماء العرب بالترجمات إلى العربية .

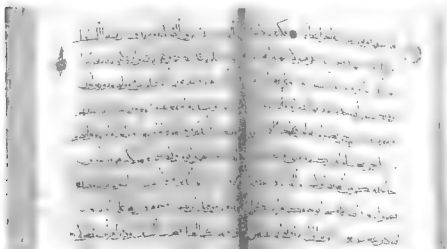
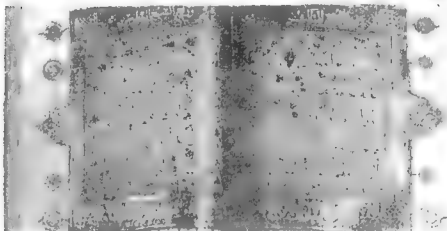
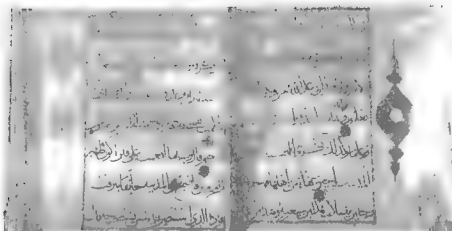
ومن هنا فقد كان الاهتمام دولياً بجمع التراث المخطوط للثقافة والحضارة العربية والإسلامية .

على أن المخطوطات العربية أبداً كان حجمها تتوزع الآن نتيجة لتلك الظروف الهامة في شتى بقاع الأرض ، شأنها في ذلك شأن المصادر الأخرى للمعرفة البشرية ، ويمكن تحديد تواجدها حالياً في المراكز التالية :

- ١ — المكتبات العربية والإسلامية .
- ٢ — المكتبات العالمية في غير المناطق العربية والإسلامية .
- ٣ — المكتبات الخاصة .
- ٤ — الأربطة والمساجد .

فقد تولى كل من فيليب دي طرازي^(١٨) ويوسف أسعد داغر^(١٩) ووقاد سيركين^(٢٠) مسح المكتبات المعروفة التي تحتوي على مجموعات من المخطوطات العربية ، إلا أن دي طرازي قد أولى أكثر اهتمامه في الإشارة إلى المجموعات الخاصة التي تضمها مكتبات الأفراد ، وهذا ما يميز عمله عن الآخرين .

المخطوطات العربية تجمعت في كل تلك المراكز نتيجة لظروف متغيرة . ففي المكتبات العربية والإسلامية نجدها قد تجمعت بحكم أصالة وجودها في هذه المناطق ، وبفعل النهضة التي شهدتها مختلف دول العالمين العربي والإسلامي منذ بداية القرن العشرين مما حدا بالحكومات إلى اتخاذ أساليب الاهتمام بجمع التراث الوطني ، وتساقبت الهيئات المختلفة إلى الاستفادة من تلك المصادر ،



فاهتمت المكتبات الوطنية ومكتبات الجامعات بضم شتات العديد من المجموعات التي كانت تنتشر هنا وهناك سواء لدى الأفراد أو تلك التي ضمها خزائن الكتب التاريخية القديمة ، أو التي آلت إلى مختلف الهيئات بطرق الوقف أو الأهداء .

لما في المكتبات العالمية في غير المناطق العربية والإسلامية ، فإن أصل تواجد المخطوطات العربية فيها يعود إلى نظرة الاستعمار إلى أهمية هذا التراث والولوج في ميدان القرصنة للاستيلاء عليه ، فقد حفلت كتب التاريخ بالعديد من الوثائق التي تؤكد مختلف الوسائل التي حصلت بها الدول الأوروبية على أرتال ضخمة من المخطوطات التي كانت تضمها خزائن الكتب القديمة ، فقد اهتم في بادئ الأمر بابوات الفاتيكان بجمع هذا التراث ، تبع ذلك جهود ملوك فرنسا ومنهم لويس الرابع عشر الذي كلف سفره دي مونسو بالبحث عن مخطوطات جامع القرون في فاس ، وكذلك بعثته لجمع المخطوطات في الشعر والتاريخ والنحو والهندسة والفلك والطب من بلاد الشام . أما غليوم الثاني ملك ألمانيا فقد استولى على مخطوطات الجامع الأموي بدمشق بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣١٧ هـ .

وبالنسبة لأ إنجلترا فقد جمعت المخطوطات العربية بمكتباتهم نتيجة لجهود كبيرة قام بها المبشرون الانجليز في مختلف المناطق التي استعمروها ، وقامت لهم بعثات عديدة تخصصت في تجميع المخطوطات وأهمها بعثة تاتام التي تخصصت في تجميع نفائس المخطوطات من مصر .

أما مكتبة الأسكوريال فعود أصولها إلى سلاطين السعديين في المغرب العربي ، والتي انتقلت بأكملها عن طريق القرصنة وهي تريد على أربعة آلاف مخطوط عربي إلى أسبانيا فأمر الملك فيليب الثالث بوضعها في الأسكوريال^(٢١) .

وهذا الشأن نفسه يمكن أن يقال بالنسبة للمكتبات الكبرى في مختلف الدول الأوروبية وكذلك بالنسبة لروسيا ، إذ يجانب بعثاتهم للشرق والتي قادها المستشرق كراشوفسكي ، أمكن لهم الاستيلاء على نفائس المخطوطات التي حفلت بها الخزائن التاريخية في المناطق التي استولوا عليها في أوزبكستان وتركمانستان وتاجيكستان والقرغيز وفي مناطق القوقاز ، وهي الديار التي شهدت نهضة إسلامية كبرى خلال عصور الحضارة الإسلامية وأنجبت مشاهير المفكرين المسلمين من أمثال الفارابي وابن سينا والبخاري والترمذي .

والمخطوطات العربية تتواجد في الولايات المتحدة في عدد كبير من المعاهد المختلفة وأكبر هذه المجموعات ما تضمه الجامعات ، والمكتبات العامة الكبرى ، ومكتبات الجمعيات التاريخية المتخصصة ، والمتاحف . ولقد تولى مجلس الجمعيات العلمية الأمريكية

في عام ١٩٥٠ إصدار دليل لمجموعات المخطوطات في المكتبات الأمريكية^(٢٢) تضمن بعض المعلومات عن توفر المخطوطات العربية في عدد من المكتبات الأمريكية . تبع هذا مسح شامل قام به الأستاذ كوكيس عواد^(٢٣) لمجموعات المخطوطات العربية في المكتبات الأمريكية ضمنته معلومات مفصلة عن الكليات العددية لها ومواضع وجودها . وبما يؤخذ على هذا المسح أنه أخضع في تحقيق الكليات على نحو دقيق ، إذ ذكر بأن مكتبة الكونجرس تحتوي على ١٥٤٩ مخطوطة بينما وجد الباحث بنفسه أن مجموع المخطوطات العربية في هذه المكتبة لا تزيد على مائة مخطوطة . صدر بعد ذلك الدليل الذي أخرجه هامر^(٢٤) سنة ١٩٦١ متضمنًا بيانات مختصرة عن توفر المخطوطات العربية في ست عشرة مكتبة أمريكية تنتشر في سائر أنحاء الولايات المتحدة

الامريكية .

على أن البحث الذي أصدره محمد المهدي سنة ١٩٦٤^(٢٥) يعتبر أشمل دراسة للمصادر العربية في الولايات المتحدة ، والذي يتضمن بيانات مفصلة عن وجود ما يزيد على ١٧,٦٢٧ مخطوطة عربية تنتشر في اثنين وثلاثين مكتبة أمريكية .

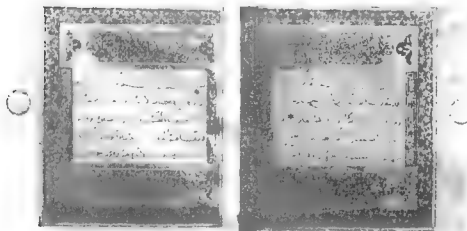
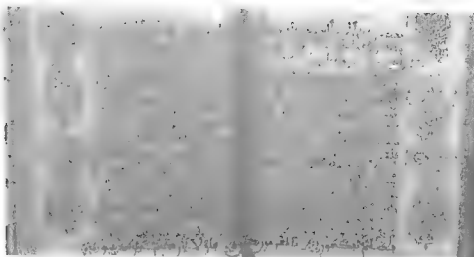
وتجدر الإشارة هنا إلى أن أعظم مجموعات المخطوطات العربية في الولايات المتحدة هي التي تفتنيها حالياً جامعة برنستون ، والتي جاءت عن طريق الأهداء من السيد جارت ، والذي سبق أن اشتراها من الناشر بريل في ليدن . وينسب الدكتور حتى أصل هذه المجموعة إلى السيد أمين بن حسن الحلواني المدني الذي حمل المخطوطات العربية على دفعتين من المدينة المنورة إلى امستردام أحدهما سنة ١٨٨٣ ويبلغ مجموعها حوالي خمسة آلاف مخطوطة والأخرى سنة ١٩٠٤ وتبلغ نفس العدد الأول تقريباً أو يباعها إلى الناشر بريل والتي توزعت فيما بعد بين جامعة برنستون وجامعة ليدن والمكتبة الملكية في برلين^(٢٦) .

وبالإضافة إلى كل تلك المراكز ، فإن الآلاف من المخطوطات العربية لا زالت ضمن محتويات المكتبات الخاصة ، يتداولها الأبناء عن الآباء ، وهي التي تشكل حالياً أساس تجارة اصطفايد المخطوطات ، فينشط الماسرة بالاتصال بالأشخاص والأسر التي يعرف تواجد المخطوطات لديهم ، ووروجون لها حتى تجد طريقها إما إلى مكتبة خاصة أخرى أو تستقر في إحدى المكتبات التي تتم بجمع المخطوطات .

أما النوع الأخير من هذه المراكز فهي المجموعات التي تضمها الأربطة والزوايا والمساجد ، وهي وإن كانت تتضاءل تدريجياً إلا أن البقية الباقية لا زالت تتمركز حالياً في الدول الإسلامية والعربية ، إذ تجتمعت بها أرتال المخطوطات خلال فترات طويلة ، وهي في الغالب من التي أوقفها أصحابها لطلاب العلم الذين كانوا يتمركزون تقليدياً في الأربطة وتلقون تعليمهم في أروقة المساجد . وهذه المجموعات قد تعرضت أيضاً خلال هذا القرن إلى هجمات شرسة من مصطفيي المخطوطات ، وتسربت الآلاف منها كي تستقر في المكتبات العلنية . وعلى الرغم من أن معظم الدول قد أصدرت قوانين لحماية آثارها وتراثها الوطني ، إلا أن نشاط التهريب وظهور عدد من العصابات الدولية المتخصصة في هذا المجال قد أجهضت فعالية تلك القوانين ، فضلاً عن جهل الكثيرين من رجال الجمارك والحدود بأهمية التراث ووجوب المحافظة عليه . ونتيجة لذلك فإن مجموعات هذه الأربطة والمساجد قد تقلصت كثيراً وتسربت منها أهم الأعمال ، ولم تبق إلا القلة الباقية مما أمهله الدهر وعفى عليه .

تلك هي في الواقع خلاصة القسم الأول من هذا البحث ، والتي تناولت — بإيجاز — المواقع التي تستقر فيها المخطوطات العربية .

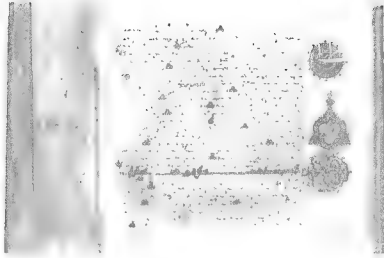
أما واقع الضبط الجغرافي للمخطوطات العربية التي تنتشر حسب ما أسلفنا في مختلف بقاع الأرض ، فإنه يمثل الصدارة في قائمة المشاكل التي تعترض توثيق هذه المجموعات الهامة من مصادر المعرفة البشرية .



فما استثناء ما تضمنته الفهارس الوصفية للمخطوطات العربية في مختلف المكاتب ، نجد أن مؤلفات الحضارة العربية والإسلامية قد وردتنا أولاً فيما يسمى تصنيفاً بكب الطبقات والسير والتراجم ، وهي على الأخص في الأعمال التالية :

- ١ - القهرست
- ٢ - فهرست كتب الشيعة
- ٣ - نزعة الألباء في طبقات الأدباء
- ٤ - معجم الأدباء
- ٥ - التقيد في رواية الكتب والأسانيد
- ٦ - روضة الأدب في طبقات شعراء العرب
- ٧ - اعلام العلماء بأخبار الحكماء
- ٨ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء
- ٩ - وفيات الأعيان
- ١٠ - طبقات الأئمة
- ١١ - فهرست الكتب والتأليف
- ١٢ - الوافي بالوفيات
- ١٣ - المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي
- ١٤ - ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد
- ١٥ - تذكرة الحفاظ
- ١٦ - فوات الوفيات
- ١٧ - أتمام الدراية لقراء النقاية
- ١٨ - بنية الدغاه في طبقات اللغويين والنحاة
- ١٩ - العقيدة البائية في أسامي الكتب العلمية للقدس
- ٢٠ - الدر الكامنة
- ٢١ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة
- ٢٢ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة
- ٢٣ - ذيل كشف الظنون
- ٢٤ - الأسفار عن العلوم والأسفار
- ٢٥ - نفع الطيب
- ٢٦ - مروج الذهب
- ٢٧ - تحفة الأحباب
- ٢٨ - أمل الأمل في علماء جبل عامل
- ٢٩ - ديوان الإسلام
- لاين النديم
- أبي جعفر الطوسي (٣٨٥-٤٤٦هـ)
- لأبي البركات الأنباري (٥١٣-٥٧٧هـ)
- لياقوت الحموي (٥٧٥-٦٢٦هـ)
- لأبي بكر محمد البغدادي (٥٧٠-٦٢٩هـ)
- لأبي الطيب الأنصاري الخزرجي
- لجلال الدين القفطي (٥٣٦-٦٤٦هـ)
- لاين أبي أصيبعة (٦٠٠-٦٦٨هـ)
- لاين خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)
- لاين صاعد الثعلبي القرطبي (المتوفي سنة ٤٦٢هـ)
- لأبي بكر محمد الأشيلي الأندلسي
- لصلاح الدين ابن أبيك الصفدي (٦٩٦-٤٦٣هـ)
- لاين نخري بردي (٨٠٣-٨٧٤هـ)
- لاين الاكفاني السنجاري المتوفي سنة ٧٤٩هـ
- للنهيبي الدمشقي المتوفي سنة ٧٤٨هـ
- لاين شاكر الكبي (٨١٣-٨٧٢هـ)
- للسوطي (المتوفي سنة ٩١١هـ)
- للسيوطي
- للعقيدة البائية في أسامي الكتب العلمية للقدس (المتوفي سنة ٧١٢هـ)
- للصقلاني
- لطاشي كبرى زاده (المتوفي سنة ٩٦٨هـ)
- لأحمد حافظ زاده (المتوفي سنة ١١٨٠هـ)
- لجميل العظم
- للمقري (المتوفي سنة ١٢٢١هـ)
- للمسعودي
- للسخاوي
- لمحمد بن الحسن العاملي (توفي سنة ١٠٣٣هـ)
- لاين القرزي (١٠٩٦ - ١١٦٧هـ)

وواضح من سرد هذا الثبت من المصادر العربية التي تحتوي بين جنباتها الاشارات إلى المؤلفات العربية ان عدداً قليلاً منها قد خصص لأغراض بيلوجرافية كما تعارفنا عليها ، فاستثناء أعمال كل من ابن النديم ، والطوسي ، والاشبيلي ، والقدسي ، وطاش كبرى زاده ، وحاجي خليفة ، وأحمد



حافظ زاده ، وجميل المعظم ، نجد أن معظم تلك المصادر قد وردتنا ضمن اطار كتب الطبقات والسير والتراجم وأخبار الرجال .

إلا أن الفهارس بأغراضها الحديثة كأدوات ضبط بيلوجغرافي يراد بها توثيق الأعمال المخطوطة والتعريف بمضامينها ، وبمواضع وجودها عن طريق استخلاص عناصر محددة للوصف لم تظهر في علمنا إلا في عصر متأخر ، ولم يكن ذلك إلا نتيجة لعاملين رئيسيين :

أولهما : الشعور الوطني والديني بأهمية التراث العربي والإسلامي وضرورة توثيقه .

وثانيهما : جهود المستشرقين للتعرف على كنوز التراث الشرقي .

فقد توفد في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شعور وطني وديني أدى إلى اهتمام بعض المفكرين من العرب والمسلمين إلى ضرورة الاهتمام بتراث حضارتهم وذلك نتيجة لجهود الاستعمار في طمس معالم التراث من ناحية ، وما تعرضت له كنوز المخطوطات العربية من نهب وسلب وتجارة راحجة من ناحية أخرى .

كما ان الاستشراق وقد جاء كحركة تعني بدراسة تراث الأمم الشرقية وما خلفته من آثار فكرية وأدبية وفنية قد تمخض عن ظهور عدد كبير من المفكرين الذين انكبوا على دراسة تراث الأمم العربية والإسلامية بما خلفته من آثار ، ولم يكن ذلك ممكناً بدون التعرف على مصادر ذلك التراث ، فاهتم كثير منهم باستخلاص ذلك التراث وفق أسس عصرية نتجت عنها أعمال بيلوجرافية هامة .

من عتق رقبة فاستحاة
إليه من نفسه علم
إليه من عتقه فو
صكوة مؤتمر فمصر
عليه فامد ام
عن الشينخ الله

كذو منظر
فالرأفة مكلف
فبفتنا فخر
فجعله فإله منه
العفور الرحمة
فالرحمة انعم

وانطلقت جهودهم في الاتجاه :

الاتجاه الأول كان يهدف إلى رصد وتحقيق مصادر الثقافة العربية والإسلامية عن طريق إصدار أعمال نهم بتحليلات بيبليوجرافية لا تكتفي بتوصيف نسخة واحدة من العمل المخطوط تتوفر في مكتبة واحدة ، بل تعقب جمع نسخ العمل الواحد مما يتوافر في شتى المكتبات المعروفة في العالم وعملت على توصيفها وتحقيق خواص كل نسخة على حدة ، وأصدرت أحكامها فيما يتعلق بأصول النسخ . وهي في ذلك قد تعدت أغراض الفهارس الوصفية العادية التي تصف مجموعات بعينها تتوفر في مكتبة واحدة . إلى ما هو أشمل من ذلك ، فاهتمت بتتبع تاريخ الثقافة العربية من خلال تحقيق الأعمال التي انتجتها تلك الثقافة مصنفة حسب المواضيع التي يهتم بها كل عمل .

وتتمثل هذا الاتجاه في الأعمال الهامة التي أصدرها كل من شنورر^(٢٧) وشوفين^(٢٨) وبرغشتال^(٢٩) وبروكلمان^(٣٠) وغريالي^(٣١) وسوتير^(٣٢) وسالاجيه^(٣٣) .

أما الاتجاه الثاني فقد عمد إلى الاهتمام برصد الاعمال المخطوطة في المكتبات المعروفة وإصدار الفهارس الوصفية للمخطوطات التي تحتويها تلك المكتبات . ولعل الجهود التي بذلها المستشرقون في إصدار فهارس المخطوطات العربية لمكتبات كل من برلين ودرسدن الاهلية ، وجامعة بون ، وليفزغ الاهلية ، وميونخ الاهلية ، والجمعية الاسنوية بفيينا ، والمتحف البريطاني ، والمكتب الهندي بلندن ، والجمعية الملكية الاسنوية ، والجامعة البودلية ، وجامعة كامبردج ، والاهلية بباريس ، والفاتيكان ، والامروزيانا ، والاسكوريال ، والاهلية بمدريد ، ولندن ، والأكاديمية الملكية في

أمستردام ، وجامعة إسبلا ، ونيويورك في شيكاغو ، للدليل على ما قلعه المستشرقون من جهود في هذا المجال .

وبدلاً من أن نتناول بالتفصيل سرد كل تلك الفهارس التي تم إصدارها سواء من قبل المقيمين أو المقيمين من العرب والمسلمين أو من قبل المستشرقين ، فإننا نكتفي بالإشارة إلى الأدلة والأعمال الجلية التي تولت مسئولية رصد فهارس المخطوطات العربية التي صدرت في مختلف بلدان العالم .

فقد قام يوسف أسعد داغر في كتابه الموسوم بـ « فهارس » المكتبة العربية في الحافقين^(٣٤) برصد الفهارس التي تم إصدارها حتى سنة ١٩٤٧ واستعرض نشوئها مبتدئاً بدول العالم العربي وبالأخص في لبنان وسوريا وفلسطين ومصر والعراق ، ثم في دول شمال أفريقيا العربية وبالأخص في الجزائر وتونس والمغرب ، ثم في الهند ، ثم في دول الغرب وبالأخص في ألمانيا والجزائر وفرنسا وإيطاليا والفايتكان وأيسانيا وهولندا وبولندا وروسيا والدول الاسكتلندية والولايات المتحدة الأمريكية . وقد شمل استعراضه إعطاء وصف موجز لكل فهرس مع التركيز على العناصر التي تميزه عن غيره من الأعمال .

كما قام سيزكين في مقدمة كتابه عن تاريخ الآداب العربية^(٣٥) برصد فهارس المخطوطات العربية مرتبة حسب أسماء المكتبات تحت الدول وللدن التي تضم تلك المكتبات .

وهي على أية حال تكمل نواقص قائمة داغر ، وتسرد في اختصار عناوين الفهارس والدراسات الوصفية التي تناولت مجموعات المخطوطات العربية التي تتشعب على وجه البسيطة .

وأصدر بيرسون في العام ١٩٥٤ دليله البيبلوجرافي للمواد الشرقية في المكتبات البريطانية^(٣٦) والذي يرصد فيه الفهارس التي تم إصدارها للمخطوطات العربية في المكتبات البريطانية والبرلندية والتي أتبع بدراسة تناول المجموعات التي لم يتم فهرستها أو إصدار الفهارس لها بعد . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الدراسة التي نشرها السير فرانسيس في مجلة التوثيق^(٣٧) تسلط الضوء على مختلف الأنشطة التي تقوم بها المكتبات البريطانية وخاصة المتحف البريطاني في مجالات فهارس المخطوطات العربية .

ومنذ العقد الخامس من القرن العشرين نشطت في أوروبا بالذات اتجاهات لإصدار قوائم موحدة للمخطوطات العربية ، وكان أولها قائمة فالجدا^(٣٨) التي اتخذت لنفسها اتجاه دولياً في التجميع ، تبع ذلك صدور الفهرس الموحد الذي أصدره هوسبان^(٣٩) للمخطوطات العربية في العالم والذي صدر عن دار بريل في ليدن سنة ١٩٦٧ .

ولعل من أهم الأعمال التي صدرت حتى الآن في مجال الفهارس الموحدة للمخطوطات والتي لم تكتمل بعد هي القائمة التي تولي إصدارها ولفجوج فوييت في ألمانيا^(٤٠) والتي تهدف إلى رصد جميع المخطوطات الشرقية في سلسلة من المكتبات تنتهي باكمال القائمة الموحدة للمخطوطات الشرقية .

أما في الولايات المتحدة الأمريكية ، فعل الرغم من توفر ما يزيد على ١٧,٦٢٧ مخطوطة عربية تنتشر في ما يزيد على اثنين وثلاثين مكتبة امريكية ، فإن صورة الضغط البيبليوجرافي لهذه المجموعات تختلف بعض الشيء عما هي عليه في أوروبا ، اذ بدأ الاهتمام بجمع التراث في الولايات المتحدة في وقت متأخر ، فضلاً عن أن تختلف الدراسات الاكاديمية فيها بتعلق بالشرق الأوسط هي أيضاً قد بدأت متأخرة ، ولهذا فلا غرابة اذا ادعينا بأن بعض هذه المجموعات لم تزل بعد اهتمام المراكز التي تنسب إليها . ولعل ما تعرضت له مجموعة المخطوطات العربية بمكتبة الكونغرس الامريكي من اهمال يعد دليلاً على ذلك ، فقد ظلت هذه المجموعة تعاني الاهمال ، حتى قبض الله لها الاستاذ المنجد الذي أسهم بإعداد قائمة مختصرة لمحتوياتها^(٤١) .

أما مجموعات مكتبات برنستون ، ويل ، وشيكاغو ، ومؤسسة هارنفورد اللاهوتية ، وفي يورك العامة ، وفيلادلفيا الحرة ، ونيويورك ، والمكتبة الوطنية الطبية فقد صدرت لها الفهارس المطبوعة ، ويمكن توثيقها بعدد من الأدوات .

أما كيف تطورت ونشأت هذه الأدوات ، فإن البداية جاءت على يد ليتان الذي حاول في العقد الأول من القرن العشرين نشر قائمة لمخطوطات برنستون^(٤٢) والتي أعدت على نفس الطريقة التي اتبعها هوتسا حين أصدر قائمة لنفس المجموعة التي كانت تنتمي للناسر بريل في ليدن^(٤٣) تبع ذلك إصدار قائمة مكتبة نيويورك بـ شيكاغو .

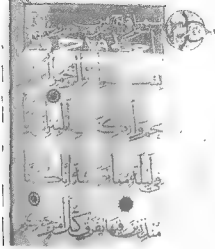
وفي عام ١٩٣٤ أصدر نبيه أمين فارس قائمة أخرى لنفس مجموعة برنستون تحتوي على تفاصيل أدق ، اذ قابل قائمة سلفه بمجموعة المخطوطات واستمد منها مباشرة بعض العناصر الوصفية الدالة^(٤٤) وهذا هو وجه الاختلاف عن القوائم السابقة .

وتوالى بعد ذلك إصدار الفهارس الخاصة بالمخطوطات العربية ، فأصدر راندال فهرس مخطوطات مؤسسة هارنفورد اللاهوتية^(٤٥) كما أصدر بعد ذلك فهرس مخطوطات مكتبة فيلادلفيا الحرة سنة ١٩٣٧^(٤٦) .

وفي عام ١٩٣٨ اشترك كل من فليب حتى ، ونبيه أمين فارس ، وبطرس عبد الملك في إصدار الفهرس المطول الكامل للمخطوطات العربية في مكتبة جامعة برنستون^(٤٧) والذي يتميز عن سابقه بالاسهاب في تغطية العناصر الوصفية المتكاملة التي تستجيب لمختلف حاجات مستعملي المخطوطات .

ثم صدر في عام ١٩٣٩ مؤلف قيم للاستاذ عبوط يتعرض لدراسة تطور الكتابات العربية الشامية من خلال النسخ القرآنية ، والذي تضمن فهرساً وصفياً للمخطوطات القرآنية في المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو^(٤٨) .

تبع هذا صدور عدد من فهارس المخطوطات العربية اما بشكل مفرد لها أو ضمن فهارس تضم جميع المخطوطات الشرقية ومنها على سبيل المثال الفهرس الذي ضم المخطوطات العربية في المكتبة



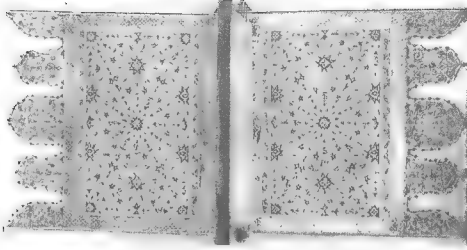
الطبية الوطنية الأمريكية^(١٩) وفهرس المخطوطات العربية بمكتبة جامعة ييل والذي أصدره نيموي سنة ١٩٥٦ (٥٠).

أما في عالمنا العربي ، فإن واقع الضبط اللبولوجرافي للمخطوطات العربية على ما توفرت له من تجارب وما صدرت له حتى الآن من فهراس ، فيمكن أن يوصف بشيء من الماراة ، ذلك أنه على الرغم من أن المخطوطات تعتبر من أهم عناصر التراث الحضاري لهذه الأمة ، إلا أننا لا زلنا نعاني من غفلة ، ولا نكاد نستبين مدى ما تمثله هذه المصادر من أهمية بالنسبة لثرائنا ووجودنا ، ناهيك عما نواجهه من تحديات تعصر عالمنا العربي من أطرافه المختلفة ، وما نتعرض له من غزو ثقافي من مختلف الاتجاهات .

وقد نغزو هذه الماراة إلى كوننا نهمل في حين يهتم الآخرون وإن هذه المصادر ليست إلا نتاج ماض هذه الأمة اللبلة ، فهل ينفرد لنا أي تقصير في هذا الشأن ؟

وحتى نكون متصفين ، فإن علينا أن نستعرض — بإيجاز — واقع الضبط اللبولوجرافي للمخطوطات في المكتبات العربية من خلال استعراض أهم الأحداث والمحاولات الاقليمية في هذا المضمار .

فقد تقرر في عام ١٩٤٦ إنشاء «معهد احياء المخطوطات» التابع لجامعة الدول العربية بغرض جمع فهراس المخطوطات من شتى دول العالم واصدار فهرس موحد بها ، وكذلك تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية لوضعها تحت تصرف العلماء ، والاهتمام بنشر التراث المخطوط واصدار نشرة دورية بما يتم نشره وتحقيقه .



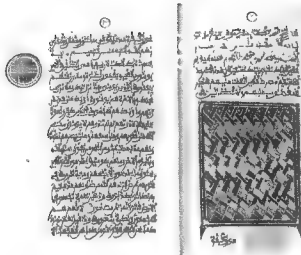
وفي المؤتمر الثقافي الذي عقد بالاسكندرية في أغسطس ١٩٥٠ تقرر تكوين لجنة من المختصين لحصر المخطوطات ، واختيار ما ينبغي تقديمه للنشر ، وإصدار سجل لكتب التراث العربي . كما وافق مجلس جامعة الدول العربية في ١٩٥٢/٩/٢٣ على إصدار نشرة سنوية بالمخطوطات المصورة لتوزيعها على العلماء . كما وافق المجلس في عام ١٩٥٥ على إصدار توصية للحكومات العربية لحثها على توثيق وتسجيل المخطوطات العربية لديها وإصدارها في فهراس متخصصة .

وفي أكتوبر ١٩٦٢ عقدت الحلقة الإقليمية الأولى للبيبلوجرافيا والتوثيق وتبادل المطبوعات في العالم العربي والتي نظمها اليونسكو بالتعاون مع المجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية المتحدة آنذاك وانتهت إلى تشكيل لجنة خاصة لدراسة ما يتصل بالمخطوطات العربية وإصدار القوائم البيبلوجرافية لها ، وكذلك أوصت بتوحيد عناصر الوصف البيبلوجرافي للمخطوطات .

ثم عقدت في أكتوبر سنة ١٩٧١ الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوقاية والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية في دمشق وانتهت إلى ضرورة مسح المخطوطات في أرجاء الوطن العربي وإصدار الفهارس لها وتيسير استعمالها من قبل العلماء والباحثين ، وضرورة الاهتمام والحفاظ عليها وترميمها وصيانتها .

وان نظرة فاحصة لتنتائج كل هذه المحاولات وما نتجت عنها من قرارات وتوصيات يمكن أن تشجعنا إلى إبداء الخلاصات التالية :

أولاً : لا شك في أنه قد تم إصدار العديد من الفهارس والقوائم الخاصة بمحصر المخطوطات العربية ، وبالاخص تلك المجموعات التي تتميز بالنفاس ، أو التي تضمها بعض المكتبات

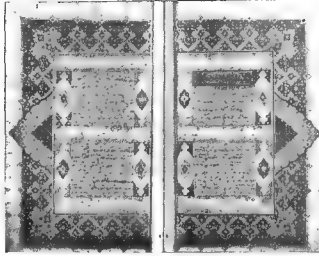


الشهيرة ، كالظاهرية في دمشق ، ودار الكتب القومية في مصر ، والصادقية بالزيتونة ومعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بمصر ، ومخطوطات البصرة ، ودار الكتب اللبنانية ببيروت ، وخزانة القرويين بالمغرب ، ومكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، وبمجموعة محفوظ بالكاظمية ، ومكتبة الجلبي بالموصل .

... ولكن ومع كل ذلك فلا زالت المئات من المجموعات الأخرى التي تبعث هنا وهناك في أرجاء العالم العربي غير مفهرسة ولم تعد لها القوائم بعد . وهذه وإن كانت ظاهرة في بعض البلدان العربية كاليمن ودول الخليج العربي والسودان وليبيا إلا أنها تنطبق أيضاً على بعض المكتبات في كل من سوريا والعراق ومصر ودول شمال أفريقيا .

ثانياً : يعود كثير من الجهود في اصدار القوائم والفهارس للمخطوطات العربية إلى اهتمامات فردية ، فقد نشط خلال هذا القرن عدد من المهتمين من أوا على أنفسهم مهمة اصدار الفهارس الوصفية ودفعوا بها إلى حيز الوجود . وعلى سبيل المثال نذكر بعضاً من هؤلاء ومنهم أحمد تيمور ، كرد علي ، الأب قناتي ، ومحمد طلّس ، اسامه التقيشندني ، عبدالله الجبري ، كوركيس عواد ، يوسف داغر ، صلاح المنجد ، قواد السيد ، لطفي عبد البديع ، ابراهيم شوبح ، حبيب الزيات ، حسني الكسم ، صادق المالح ، يوسف العشي ، ناصر الدين الألباني ، فقد أحس معظمهم بالحاجة الماسة إلى هذه الأدوات ، وكانت لمبادراتهم الريادة في هذا الميدان .

ثالثاً : كما نشطت بعض المكتبات والمؤسسات الحكومية والاقليمية في اصدار الفهارس ووضع المناهج الوصفية لها ، ونذكر منها على سبيل المثال جهود كل من :



- معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية .
- مكتبة الظاهرية بدمشق .
- دار الكتب القومية بمصر .
- المعهد العالمي للبحوث بالمغرب .
- المتحف العراقي .
- المجمع العلمي العراقي .
- المجمع العلمي السوري .
- المجمع العلمي المصري .
- جامعة الأزهر .

سواء بما بذلته في اصدار الفهارس الخاصة بها أو بما شاركت فيه من أمور تتعلق بالعناية والاهتمام بالمخطوطات العربية .

على أن كل هذه المحاولات التي تعرضنا لها في السطور الماضية وإن كانت تتفق من حيث الهدف في اصدار الفهارس الوصفية للمخطوطات ، إلا أنها قد اتصفت بالتباين والاختلاف من حيث المنهج وعناصر الوصف ، ودرجات التحليل بالنسبة لمضمون المخطوطات . ولعل من الأسباب التي أدت إلى هذا التباين والاختلاف غياب التقنيات المعيارية لعناصر الوصف البليوجرافي للمخطوطات من ناحية ، وكذلك افتقار المخطوط إلى تقنيات شكلية بالنسبة لاختراجه من ناحية أخرى . ولهذا — لا سيما وإننا نعرف أنه من الصعب وضع معايير مقننة



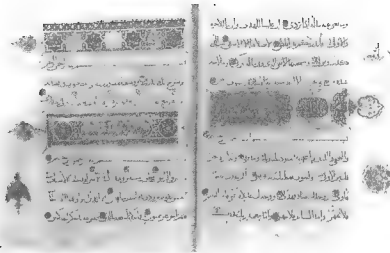
للوصف الجغرافي للمخطوطات بصفة عامة — فقد فضلنا أن نصف تلك المحاولات على النحو التالي :

أولاً : الفهارس المطولة
ثانياً : الفهارس المختصرة .

وعلى الرغم من أن كلا النوعين يهدفان بالدرجة الأولى إلى غرض واحد ألا وهو توثيق وجود المخطوطات في موقع واحد ، وذلك بحجة أن مهام الفهارس ان هي الا أدوات تؤكد وجود المادة ، ومن ثم تعرض إلى أوصافها الدقيقة التي تميزها عن مادة أخرى مشابهة لها ، وإن الفهارس أدوات إيجازية تصنف خلال عناصر معينة أهم ما يتفرد به المخطوط ، وتحدد موقعه ضمن مجموعة واحدة أو في مكتبة واحدة ، إلا أن الفهارس المطولة قد تتفوق وتتميز في بعض الأمثلة عن الفهارس المختصرة بتلييها حاجات بيبوجرافية تفيد في أغراض التحقيق .

على أن التعميم في اصدار الفهارس المطولة أمر لم يتحقق أبداً ، إذ ان النماذج التي صدرت حتى الآن تعد على الأصابع ، ويمكننا في سياق هذا البحث أن نسلط الضوء على نموذجين صدر أحدهما في أوروبا والآخر في العالم العربي .

فقد تميز فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الالهية^(*) والذي صدر بين سنَي ١٨٨٧ — ١٨٩٩ بجهود المستشرق أهلورد بالأصالة من حيث التدقيق في اكتمال العناصر الوصفية واعطاء التفاصيل الجغرافية حقها مما جعل هذا العمل يحقق أدق الفروق



البibliوجرافية بين النسخ المختلفة للعمل الواحد ، مع اعطاء تفاصيل حول أي من المخطوطات قد تم نشرها وتحقيقها . ويعد هذا العمل في موقع الصدارة من مجموع الفهارس التي صدرت حتى الآن للمخطوطات العربية .

أما في العالم العربي ، فإن فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية الذي أصدره الدكتور يوسف العشر^(٥٢) يعد من أهم أعمال الفهارس التي صدرت حتى الآن في العالم العربي ، إذ انه اعتمد الاطالة والتحقيق في كثير من الأمور البibliوجرافية ، فعمد إلى تحليل مضمون المخطوطة والموازنة بينها وبين غيرها من الأعمال الماثلة ، ومقابلة النسخ المخطوطة بالنسخ المطبوعة ، وتحديد الفروق فيما بينها ، الأمر الذي جعله يستغرق في اخراجه وقتاً كبيراً ، فلم يتمكن إلا من اصدار فهرس لكتب التاريخ دون أن يسعفه الوقت لاتمام غيره ، أو أن يبرز من يستطيع اكمال العمل على النحو نفسه .

على أن الغالبية العظمى من الفهارس التي صدرت حتى الآن يمكن أن تندرج تحت لواء الفهارس المختصرة ، ولعل الأسباب الرئيسية في هذا الاتجاه هو صعوبة اتمام الفهارس المطولة بما تستغرقه من وقت طويل ، وبما تتطلبه من نوعيات معينة من المحققين ، فضلاً عن أن الكليات العددية الماثلة لهذه المخطوطات قد تجعل من المستحيل على أي محقق أو مفهرس أن يأتي إلى اتمامها في وقت معقول .

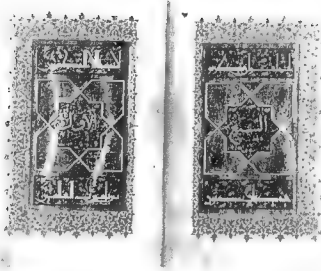
وبالإضافة إلى ذلك فإن تكاليف الطباعة والتصحيح والمراجعة واخراج الفهارس على نحو مفصل قد أضحت من المشاكل الرئيسية ، وفي هذا يقول بيرسون : « ان من أسباب عدم اصدار الفهارس هو التكاليف المرتفعة للطباعة وخاصة للحروف الشرقية وغير اللاتينية ،



فضلا عن الزيادة المستمرة لأعمال إدارية وجد المكتبيون أنفسهم مطالبين بها باستمرار .
ولهذا فقد وجدوا أنفسهم في ضيق من الوقت وشح في الأموال مما جعلهم يصرفون النظر
عن إصدار فهراس مطولة للمخطوطات» (٥٣)
أما نيموي الذي أصدر قائمة للمخطوطات العربية في مكتبة جامعة بيل فيقول في مقدمة
هذا العمل ما ترجمته :

« أن تكاليف الطباعة المرتفعة جعلتنا مقيدين في اخراج هذا العمل بذكر أهم المعلومات
البيبلوجرافية ، والتي تشير في مجملها إلى المؤلف والعنوان والتاريخ والموضوع بالنسبة لكل
مخطوطة . كما أن عامل الوقت الذي أخذ يقيدنا بقيود والتزامات أخرى جعلنا نصرف النظر
عن الفحص الكامل للعمل للمائل بين أيدينا صفحة بصفحة» (٥٤)

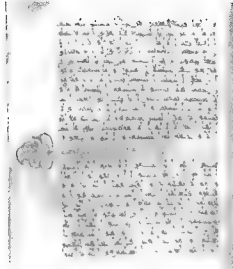
على أننا إذا تتبعنا قراءة المقدمات التي تصدر جميع الفهارس التي صدرت حتى الآن
فنجد كل الأسباب والمشاكل التي يتعرض لها كل من ولج هذا الميدان ، وهي في مجموعها
تنفق في صعوبة فهرسة المخطوطات ، وارتفاع التكاليف ، والعامل الزمني الذي يستغرقه
اعداد العمل واخراجه ، وقدرة العاملين به ، كما أننا لاحظنا أن جميع الذين تولوا اصدار
الفهارس المختصرة يضعون الوقت الطويل الذي تستغرقه الفهارس المطولة في ميزان الحجة ،
ويبررون الاتجاه نحو الاختصار ابتعاداً عن التعقيد ، وإن الاطالة في وصف النسخ ومقابلتها
هي من أعمال الحق ، وإن مهام الفهارس ليست إلا مهام إيجابية توثق وجود المادة وتصنفها
بما يميزها عن غيرها من النسخ .



ويبدو أن هذه المشاكل بالإضافة إلى المشاكل الخاصة بعناصر الوصف البيولوجرافي للمخطوط كانت من الأسباب التي أدت إلى اعراض عدد كبير من المكتبات عن اكمال مشاريع الفهرسة بالنسبة لمخطوطاتها لمدد طويلة ، فقد أهملت مكتبة البودليان اصدار فهرس لمخطوطاتها العربية التي أودعت بها منذ عام ١٨٣٤ ، وظلت مجموعة المخطوطات العربية بجامعة كامبردج على النحو الذي أودعت به دون أن ترى النور . كما ان المئات من المجموعات الهامة كمجموعات الحرمين الشريفين ومجموعات اليمن وغيرها من مناطق العالم العربي لا زالت مجهولة دون ان تصدر لها أدوات الضبط المطلوبة .

ولقد اضطلع عدد من المستشرقين في أوروبا بالذات خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بمهام اصدار عدد من الفهارس المختصرة لأهم المجموعات التي تتركز في المكتبات الأوروبية الكبرى ، وهي وان تعرضت لانتقادات آنذاك نظراً لاقتصارها على أدنى العناصر الوصفية ، إلا أنها قد أدت الأغراض المنوطة بها فضلاً عن انها قد أثبتت على أكبر عدد من المجموعات المعروفة وعملت على ضبطها بالقدر الذي تحتاجه مكتبة اليوم .

ومن المنطوق نفسه كانت الفهارس المختصرة هي الوسيلة التي تم بها ضبط معظم المجموعات التي تتركز في دول العالمين العربي والإسلامي . وهناك عدد من الكتابات النقدية التي تتعرض للكيفية التي صدرت بها بعض قوائم المخطوطات العربية المختصرة من حيث أنها كانت تأتي بإيجاز على أهم العناصر الوصفية كالمؤلف والعنوان والتاريخ والموضوع دون ان تحلل وتقابل وتقارن ، ولكن عذرت تلك المؤسسات التي أصدرت القوائم على مثل ذلك النحو كان دائماً يتلخص في أمرين :

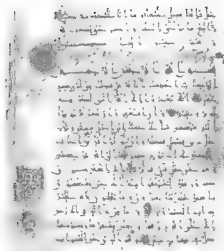


أحدهما : الكثرة العددية للكُتب المخطوطة .
والآخر : ضرورة الضبط من أجل الاستعمال والاستفادة .

ومن هنا فإننا نرى بأن الأولوية تتعلق بضرورة الضبط البليوجرافي لهذه المصادر ، فلا يعقل أبداً أن تستمر مئات الآلاف من المصادر المخطوطة في حكم المجهول دون أن يعرف العالم عنها شيئاً ، ومن ثم يأتي دور التقنين بالنسبة لعناصر الوصف ، وما هي أهم العناصر الوصفية البليوجرافية بالنسبة للمخطوط العربي ؟ والاجابة على هذا السؤال يمكن أن نطرح عدداً من العناصر التي لا يجب أن تتنازل عنها أية قائمة ، وهي في الغالب تستجيب لحاجات متعددة لدى من يستخدم هذه المخطوطات . أما درجات التحليل بالنسبة لهذه العناصر فلا يجب أن تتعدى الاغراض الایجادية

والتحليل المطول فيجانب انها تفوق قدرات الغالبية العظمى ممن يعدون حالياً مثل هذه المهام ، فإنها مسئوليات يضطلع بها من يتولى تحقيق المخطوطات ونشر نصوصها وقد تجانب الصواب اذا ادعينا بأن المحققين وناشري النصوص يلتزمون دائماً ويأخذون بالحقائق التي تبرزها الفهارس المطولة ، فهم غالباً ما يبنون نتائجهم بدراسات اضافية تتعدى كثيراً تلك التي تخلص اليها الفهارس البليوجرافية المطولة .

ومن هنا فإننا من أنصار الفئة العملية التي تؤكد أدوار الفهارس أياً كانت على أنها أدوات بليوجرافية ايجادية
أهم أهدافها ان تصل القارى بما يريد ، وذلك في اطار عناصر محددة للوصف . تميز أوصاف المادة بشكل دقيق ، وتغطي



الفروق الكافية للتمييز بين النسخ العديدة للعمل الواحد .

ثم تبقى المشاكل التي تتعلق بعناصر الوصف الجغرافي ؟ ما هي هذه المشاكل ؟ وكيف يمكن التغلب عليها

ولقد طرح الحلوجي^(٥٥) عدداً من المشاكل . وخص فيما يتعلق بعناصر الوصف ثلاث مشاكل رئيسية :

- أولها : مشكلة مداخل المؤلفين .
- وثانيها : مشكلة العناوين .
- وثالثها : مشكلة التاريخ .

واستعرض مشكلة المداخل وخاصة فيما يتعلق بالمؤلفين القدماء على أساس صعوبة تقنين استعمال اللقب باعتباره غير قابل للتعميم المطلق ، اذ من الممكن ان يشتهر المؤلف باسمه الحقيقي . كما يصعب الادخال بالاسم الحقيقي ، لأن في ذلك مضيق للباحث الذي قد يجد أيضاً صعوبة في معرفة الاسم الحقيقي . كما ناقش قضية التفصيل في سرد اسماء المؤلفين ، مطالباً بوضع حدود مقننة لأغراض التوحيد كاعتماد الاسم الثلاثي مضافاً إليه اللقب أو الشهرة .

كما استعرض مشاكل العنوان وخاصة فيما يتعلق باشتار المخطوط بغير عنوانه الأصلي ، وتعدد عناوين بعض المخطوطات ، ووجود أكثر من عنوان في نسخة المخطوط الواحد .

واستشهد بعدد من النماذج التي توضح هذه المشاكل الشاذة بالنسبة لعناوين المخطوطات العربية .

أما بالنسبة لمشكلة التاريخ ، فقد استعرض عددا من النماذج ابتداء من عدم وجود تاريخ للنسخة أو سقوطه ، إلى الكيفيات والنماذج التي طرح فيها ذكر التاريخ ، واستشهد أيضا بنماذج مختلفة توضح صعوبة هذا الأمر .

ويقيني أن حل هذه المشاكل بالإضافة إلى عدد آخر من المشاكل التي تتعلق بعناصر الوصف البيوجرافي للمخطوطات العربية كالخط ، والمادة التي كتب عليها المخطوط ، والحفظ ، والحجم ، والسطور ، والبدايات ، والنهايات ، والتوضيحات ، والتذهيبات ، والتجليد ، والتوقيعات ، والأختام ، وغيرها من العناصر ، تتطلب جهوداً ذات شقين :

أولها : يتعلق بالتقنيات .
والآخر : يتعلق بإصدار أدوات مساعدة .

ويحذر هنا أن نشير إلى أن مشكلة المخطوطات العربية ، هي مشكلة عربية ، ويجب أن نجد حلولها داخل الإطار العربي ، وضمن مؤسساته العلمية المتخصصة ، ومن يعملون فيها من الأكفاء . كما يجب ألا نتوقع الحلول الناجمة من خارج الحدود العربية ، ذلك أن المخطوط العربي يتفرد بصفات أصيلة لا تتوفر في مثيله في اللغات الأخرى ، وهي صفات يستمرها العربي أكثر من غيره ، ونحن أجدد بتحليل تلك الصفات وإبرازها كعناصر هامة تدخل في مكونات وصفه . وتلك هي الحقيقة الأولى التي يجب أن نقتنع بها .

أما بالنسبة للتقنيات ، فيجب أن تستجيب للعناصر التالية :

أولاً : الترميزات .

وهي التي تحدد بدقة تعريف المخطوط العربي بأشكاله ونماذجه المختلفة ، وتضع القواعد التي تحكم المجاميع وسائر أشكال المخطوطات العربية .

ثانياً : عناصر الوصف البيوجرافي :

ما هي هذه العناصر ؟

ودرجات ترتيبها في الوصف .

ثالثاً : القواعد التي تحكم تحديد وتسجيل عناصر الوصف المختلفة مثل :

المؤلف :

العنوان :

التاريخ :

الخط :

الحجم :

.... الخ .

وعند وضع هذه التقنيات يجب ألا ننسى الهدف العام الذي تصدر من اجله هذه الفهارس ، هل تعدى أهدافنا وصف المادة الماثلة بين أيدينا إلى مقارنتها بما يتوفر لها من نسخ أخرى بحثاً عن النسخة الأصلية أو النسخة الأم . أم أن الفهارس أدوات إبداعية تنتهي بإيصال الباحث إلى عمل ما في موقع ما . تلك استفسارات أساسية لا بد من الإجابة عليها قبل وضع التقنيات . والإجابة عليها لا يمكن أن تكون فردية ، كما يجب ألا تكون بعيدة عن واقع المشاكل الأخرى التي تعترض طريق الضبط البليوجرافي لهذه المصادر الأساسية في التراث العربي كارتفاع التكاليف ، وندرة الأيدي المؤهلة للقيام بهذه الأعمال ، وضخامة عدد المواد المراد ضبطها ، وحاجة الباحثين الملحة للتعرف على هذه المصادر والتعقيب فيها .

أما بالنسبة للأدوات المساعدة ، فإن الاتفاق على تقنيات موحدة سيؤدي حتماً إلى إصدار عدد من الأدوات المساعدة التي تسهل تطبيق التقنين وخاصة في مجالات مداخل المؤلفين ، والعناوين ، والتواريخ الخ ...

ففي حالة الاختصار على الاسم الثلاثي مضافاً إليه اللقب أو اسم الشهرة يمكن أن تؤدي إلى وضع قائمة موحدة بالأسماء العربية تعتمد فيها القاباً موحدة ، تقبل كمداخل مقننة للأسماء العربية ، وتحل الاحالات مشاكل الاختلاف في قبول التقنين من بلد لآخر أو شخص لآخر .

كما يمكن وضع قوائم خاصة بالعناوين المعتمدة تحال إليها الأشكال الأخرى من العناوين سواء تلك التي اشتهرت بغير العنوان الأصلي ، أو التي تعددت عناوينها أو تردد لها أكثر من عنوان . وهذه وإن تطلب تطبيقها بعض التعسف إلا أنها وسيلة للتوحيد ، والاحالات من مختلف أشكال العنوان إلى العنوان المعتمد يمكن أن تخفف من درجة التعسف ، وتستجيب لحاجات المستعمل .

أما التاريخ فع تعدد مشاكله إلا أنه بالامكان وضع بعض الأدوات التي تخفف من حدة تلك المشاكل وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ رجوعاً إلى أحداث معينة كالقيل والظوفان وانهار سد مأرب إلى غير ذلك من الأحداث ، فبالامكان تقدير سنوات محددة لتلك الأحداث وتوضع في جداول يمكن استشارتها عند تحديد تاريخ المخطوط . كما يجدر في الوقت نفسه أن نتساءل لماذا لا يوضع التاريخ بنفس الطريقة التي ذكر بها في المخطوط ؟ ليس في ذلك ما يميز نسخة عن أخرى ، ومن ثم نترك التحقيق في أمر التاريخ للمحقق الذي يهيمه اكتشاف الأصول والأهميات بالنسبة للمخطوط المراد تحقيقه .

ولعل آخر ما يمكن أن أضيفه في هذا البحث هو أن مئات المجموعات التي تشكل في مجموعها عشرات الألوف من المخطوطات لا زالت مجهولة ، وذلك على الرغم من وجودها في مكتبات عالية ، وهي التي لم تستطع حتى يومنا هذا اخراج الفهارس المناسبة لها ، فضلاً عن ان العالم العربي والإسلامي لا زال يزخر بالآلاف من المخطوطات التي لم تجد النور بعد على

الرغم من أنها جزء لا يتجزأ من مكاتب كبيرة ومعروفة . أما المجموعات الخاصة التي لا تزال تحت أيدي الأفراد وهي — على ما أعتقد — من نواذر المخطوطات فإنها تشكل أساس تجارة اصطلياد المخطوطات في الوقت الحاضر .

وما لم تتضافر الجهود المخلصة سواء من قبل المؤسسات الإقليمية المعنية أو المؤسسات العلمية المشغولة عن التراث في مختلف دول العالم العربي ، وتعمل على وضع الحلول الناجعة لمشاكل الضبط البليوجرافي للمخطوطات العربية بطريقة عملية قابلة للتنفيذ ، فإن مستقبل هذه المواد لن يكون بأحسن من حاضرها حفظاً واستملاً .

قائمة المراجع

- (١) كوركيس عواد . خزائن الكتب القديمة في العراق ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٤٨ ص ٤٢ — ٧٦ .
- (١٧) صلاح الدين المنجد . معجم المخطوطات المطبوعة . بيروت دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٢ ، ص ٧
- (١٨) فليب دي طرازي ، خزائن الكتب العربية في الحافظين . المجلد الثاني . بيروت ، دار الكتب . ١٩٤٧ .
- (١٩) يوسف أسعد داغر ، فهرس المكتبة العربية في الحافظين . بيروت ، مطابع صادر زكائي ، ١٩٤٧
- (٢٠) فؤاد سيزكين . تاريخ التراث العربي . نقل إلى العربية فهمي أبو الفضل . المجلد الأول ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ، ص ١ — ٩٢ .
- (٢١) يوسف أسعد داغر . فهرس المكتبة العربية في الحافظين . بيروت ، مطابع صادر زكائي ، ١٩٤٧ ص ٩٥ .
- (٢٣) كوركيس عواد . المكتبات العربية في دور الكتب الأمريكية ، بغداد ، مكتبة الرابطة ، ١٩٥١ .
- (٣٤) يوسف أسعد داغر . فهرس المكتبة العربية في الحافظين . بيروت ، مطابع صادر زكائي ، ١٩٤٧ .
- (٣٥) فؤاد سيزكين — تاريخ التراث العربي . نقل إلى العربية فهمي أبو الفضل المجلد الأول . القاهرة ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ص ١ — ٩٢ .
- (٤١) صلاح الدين المنجد . فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس ، بيروت دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٩ .
- (٥٢) دار الكتب الظاهرية . فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . وضعه يوسف المش مشق ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٤٧ م .
- (٥٥) عبد الستار الحلوجي . فهرس المخطوطات . الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراثة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية ، دمشق وزارة التعليم العالي بالجمهورية العربية السورية ، ١٩٧٢ ، ص ٢٨٤ — ٣٠٠ .

- 2 — H. O. Serverance. "Three of the Earliest Book Catalogs." *Public Libraries*. 10 (1905) 116-117.
- 3 — R. F. Strout. "The Development of the Catalog and Cataloging Codes." *Library Quarterly*. 26 (October, 1956) 254-275.
- 4 — Edward Edwards *Memoirs of Libraries; Including a Handbook of Library Economy*. New York : Burt Franklin. 1964. (Burt Franklin Bibliography & Reference Series 72) 2 Vols.
- 5 — Elmer D. Johnson. *A History of Libraries in the Western World*. New York : Scarecrow. 1965.
- 6 — James Westfall Thomson. *The Medieval Library*. reprinted with a supplement by Blanche B. Boyer. New York : Hafner Publishing Company, 1967. p.p. 347 - 370.
- 7 — Alfred Hessel. *A History of Libraries*, translated, with supplementary material by Reuben Peiss. New Brunswick. N. J. Scarecrow, 1955.
- 8 — J. W. Clark. *Care of Books*. Cambridge, England : The University Press, 1909.
- 9 — Archer Taylor. *Book Catalogues : Their Varieties and Uses*. Chicago : The Newberry Library, 1957.
- 10 — Edward A. Parsons. *The Alexandrian Library : Glory of the Hellenic World*. New York : American Elsevier Publishing Company. 1967.
- 11 — F. J. Witty. "Pinakes of Callimachus." *Library Journal*. 28 (April, 1958, 132-136.
- 12 — N. R. Ker. ed. *Medieval Libraries in Great Britain*. 2nd ed. London : The Royal Historical Society, 1964.
- 13 — E. Savage. *Old English Libraries. The Making. Collection and Use of Books During the Middle Ages*. London : Metheson, 1911.
- 14 — Ernest Cushing Richardson. *The Beyinning of Libraries*. Hamden. Conn. : Archon Books, 1914.
- 15 — Olga Pinto. "Libraries of the Arabs During the Time of the Abbasides." *Pakistan Library Review*. 2 (March, 1959) 44-72.
- 16 — D. M. Norris. *A History of Cataloging and Cataloging methods 1100-1850 : With an Introductory Survey of ancient Times*. London : Grafton, 1939.
- 22 — American Council of Learned Societies. *Collections of*

- Arabic Manuscripts in the United States and Canada, first report of the Survey made in July 1950 by Mortimer Graves. Washington. D. C. : August 10, 1950
- 24 — Philip M. Hamer. A Guide to Archives and Manuscripts in the United States. New Haven. Conn. : Yale University Press. 1961.£££
- 25 — Mohammad el-Hadi. Arabic Resources in the United States. Dissertation. University of Illinois. Graduate Library School. 1964. pp. 79-100.
- 26 — Princeton University. Library. Descriptive Catalog of the Garrett Collection of Arabic Manuscripts in the Princeton University Library, Compiled by Philip Bitti, Nabih Amin Aaris and Butrus Abdul Malik. Princetee : The University, 1938.
- 27 — Fred Schnurrer. Biblioteca Arabica. Halae, 1811.
- 28 — V. Chauvin. Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes publiés dans L'Europe Chrétienne de 1810-1995. 12 Vols.. Liege, 1892-1909.
- 29 — Hammer Pergstall. Literaturgeschichte der Arab Von ihre Beginne bis 24 Ende de X11. Vienn, H. St. Druck, 1850 - 1856.££££££££
- 30 — Karl Brockelmann. Geschichte der Arabischen Literature. 2nd ed. Leiden : E. J. Brill, 1937 - 42.
- 31 — J. Gabrielli. Manuele de Bibliografia Musulmana Generale Rome, 1916.££
- 32 — H. Suter. Die Mathematiker und Astronomen der Arabs. Leipzig. 1900££
- 33 — J. Sauvaget. Introduction al L'Histoire de L'Orient Musulman. Paris, Adrien - Maisonneuve. 1943.
- 36 — J. D. Pearson. Oriental Manuscript Collections in the Libraries of Great Britain and Ireland. London : The Royal Asiatic Society, 1954.
- 37 — F. C. Franis. "The Catalog of the British Museum; Oriental Printed Books and Manuscripts." Journal of Documentation. 7 (1951) 170-183.
- 38 — G. Vajda. Repertoire des Catalogues et Inventaires de Manuscripts Arabes. Paris : Vente au Service de Publications du C. N. R. S. 1949.
- 39 — A. J. W. Huisman. Les Manuscrits Arabes dan le Monde:

Une Bibliographie Des Catalogues. Leiden. E. J. Brill. 1967.

- 40 — J. D. Pearson. Oriental and Asian Bibliography; An Introduction with Some Reference to Africa. London : Crosby Lockwood. c. 1966. pp. 80 - 81.
- 42 — Enno Littmann. A List of Arabic Manuscripts in Princeton University Library. Princeton : The University Press, 1904
- 43 — M. TH. Houtsma. Catalogue d'une Collection de Manuscrits Arabes et Turcs. Leiden, Holland : E. J. Brill, 1886.
- 44 — Nabih Amin Faris. A Demonstration Experiment with Oriental Manuscripts. New York : The H. W. Wilson Company. 1934.£££
- 45 — William Randall. A Detailed Catalog of the Arabic Manuscripts in the Anankian Collection of the Hartford Seminary Foundation. 1929.
- 46 — Philadelphia. Free Library. Oriental Manuscripts of the John Frederick Lewis Collection in the Free Library of Philadelphia. Philadelphia : The Library. 1937.
- 47 — Princeton University. Library Descriptive Catalog of the Carrett Collection of Arabic Manuscripts in the Princeton University Library Compiled by Philip Nitti. Nabih Amin Faris and Butrus Abdus Malik. Princeton : The University, 1938.
- 48 — Nabia Abbott. The Rise of the Neveh Arabic Script and its Kur'anic Development, with a full Description of the Kur'an Manuscripts in the Oriental Institute Chicago : University of Chicago Press. 1939.
- 49 — U. S. National Library of Medicine. A Catalog of Incunabula and Manuscripts in the Army Medical Library. New York. Henry Schuman. Inc. 1948. pp. 297-329.
- 50 — Yale University. Library. Arabic Manuscripts in the Yale University Library, Compiled by Leon Memoy. New Haven. Conn. : Yale University Press. 1956. (Transactions of the Connecticut Academy of Arts and Sciences 40) pp. 1-273.££££££££££
- 51 — Wilhelm Ahlwardt. Verzeichnise der Arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin : A. W. Schade's Buchdt, 1887-99
- 53 — J. D. Pearson. "Oriental Libraries Today." International Library Review. 2 (January, 1970) 9.
- 54 — Yale University. Library, op. cit. p. 5.

البيوغرافيا

قائمة
بليوجرافية

دليل الرسائل العلمية

في

المملكة العربية السعودية

١٣٥٠-١٣٩٧هـ أعداد : كالات مرسلات

لقد تقدم العالم لان مصادر معلوماته منظمة ولان الباحث يجد ضالته في وقت يسير مع توفير الجهد في عناء البحث عن المادة .

وفي عصر السرعة لا بد من التطور والتقدم والالجاز حتى تلحق الدول النامية بالدول المتقدمة .

وحيث ان الرسائل العلمية سواء على مستوى الدبلوم أو الماجستير أو الدكتوراه تعتبر عادة من ارفع مستويات الانتاج الفكري في أي بلد من البلدان .

ولكي نتبين معالم الطريق لا بد من حصر شامل ودقيق لهذه الرسائل في دليل بيبليوجرافي يغطي المملكة العربية السعودية التي نحن بسدد تقديم هذا الجهد المتواضع للرسائل العربية التي تعرضت للسعودية وما يتعلق بالارض الطاهرة من مواضيع سواء بالطريق المباشر أو ذكرت ضمن رسائل اخرى وذلك منذ عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٧٧ .

وقد استخلصت هذه الرسائل من بعض المراجع مثل : —
الدليل البيبليوجرافي للرسائل الجامعية في مصر ١٩٢٢ — ١٩٧٤ انجلد

الاول — الانسانيات الصادر عن مركز التنظيم والميكرو فيلم بمؤسسة الاهرام بالقاهرة عام ١٩٧٦ .

• دليل مستخلصات رسائل الدكتوراة لاساندة السعوديين اعداد كمال محمد على نشر العربي للنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٧٩ .
• كلية دراسات الخليج والجزيرة العربية — اعداد مختلفة وكذلك بالاتصال بمكتبات الكليات لتغطية بقية الفترات التي لم تنشر عنها أدلة للرسائل التي انجزت .

وهنا يأتي الغرض من نشر هذا الدليل فهو يهدف الى لقاء الضوء عن ما قدمته الرسائل من جديد في بحر المعرفة الزاخر كما يهدف الى الدراسة المتأنية من السادة العلماء والباحثين الذين يسرون على الدرب حتى يتجنبوا التسجيل في مواضيع سبق مناقشتها وكذلك يطوروا فترات تاريخية اخرى استكمالاً لازمنة وردت .

وقد يرى المستولون هذا المسح فائدة عند حصر الكفايات العلمية بالمملكة للتركيز على مواضيع معينة تهم الخطوة الطموحية التي تسير عليها سواء من الناحية الاقتصادية أو التعليمية أو الاجتماعية .

والله الموفق ومن وراء الجهد . . .

دليل الرسائل العلمية في المملكة العربية السعودية

احمد ابراهيم الشريف

مدینة الحجاز مكة والمدينة في العصر الجاهلي وعصر الرسول — القاهرة ، جامعة عين
شمس ، كلية الاداب ، ١٩٦٣ .
ص ٢٦٤

(ماجستير)

شبه جزيرة العرب ، القبيلة العربية ، مدينة مكة ، نشأة مكة ، حكومة مكة وسياساتها
الداخلية ، قوة قريش الحربية وعلاقتها بالقبائل العربية ، علاقات مكة الخارجية ، الحج
واثره ، الحالة الاقتصادية ، الحالة الاجتماعية ، اعتماد العرب للنقطة وظهور الاسلام ،
مدينة يثرب نشأة يثرب وسكانها ، التنظيم الداخلي والعلاقات بين السكان ، قوة يثرب
وعلاقتها الخارجية الهجرة وتأسيس الدولة الاسلامية ، الصراع بين المدينة وخصومها ،
الصراع بين مكة والمدينة ، الصراع بين المسلمين واليهود والصراع بين المدينة والقبائل العربية .
(٤٧٠٧)

احمد بن عاظم بن احمد

تاريخ امين الامة ابي عبيدة بن الجراح — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة
العربية ، ١٩٣٨ .
ص ٥٩

(تخصص)

نسبة من جهد ابيه وامه ، اولاده ، حالته في الجاهلية والاسلام ، هجرته الى الحبشة ،
الغزوات التي اشترك فيها مع الرسول ، الفتوحات التي قام بها ، اخلاقه وسيرته .
(٩٠)

احمد الريحي

كثير عزه ، حياته وشعره — القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٦٥ .
ص ٢٧٤

(ماجستير)

النسب والبيئة ، النشأة والحياة ، الحب والعقيدة ، مصادر شعره ، موضوعات شعره ،
الخصائص الفنية .

(٢٨٥٨)

احمد السيد سليمان

ترجمة على ابن أبي طالب كرم الله وجهه — القاهرة ، جامعة الأزهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٩ .

٩٢ ص

(تخصص)

نسبة على ولاده ، زواجه بالزهراء البتول ، حياته بعد وفاة النبي (صلم) ، موقفه مع أبي بكر ، براءته من دم سيدنا عثمان ، نشأة الخوارج وموقف على منهم ، سبب خروجهم على سيدنا علي معجزة النبي بشأن الخوارج ، صفات على الخليفة ، آثاره الادبية ، شعره ، نثره ، نهج البلاغة ، شيء من خطبة وكتابه وحكمه ، وكلامه ، علمه ، شجاعته وقوة إيمانه ، زهدة وتواضعه سياسته ، مقتله .

(٣٦٦)

احمد عبد الاله عبد الجبار

دراسات انثروبولوجية لعادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية في ضوء المنهج المتكامل لعلوم الفولكلور . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية دار العلوم ، ١٩٧٦ .

(ماجستير)

احمد عبد الحميد عفاجي

موقف مصر من الحجاز في عصر المماليك الجراكسة — الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية كلية الاداب ، ١٩٦٨ .

١٤٦ ص

(ماجستير)

سياسة مصر في بلاد الحجاز ، نظم الحكم الاداري والمالي والقضائي ، التزام مصر بكسوة الكعبة موقف سلاطين المماليك من الحج ، جدة كنف تجاري في الحجاز ، العمارة في الحجاز ، الاصلاحات والمنشآت الدينية والمدنية والحربية في عهد قايتباي — الغوري .

(١٢٥٠)

احمد علي محمد شمس الدين

خلاصة تاريخية عن الخلافة الاسلامية — القاهرة ، جامعة الأزهر — كلية الشريعة والقانون ، ١٩٣٩ .

دلائل الرجال الصالحة في الإسلام

ص ١٠٩

(تخصص)

الخلافة الإسلامية افتراق الدعاية لال البيت ، انتخاب الخليفة ، بيعة على رضى الله عنه ، مؤتمر السقيفة ، الخلافة ونظام الحكم ، نوع الحكم في الخلافة الإسلامية ، الخلافة والدين . (٢٤٣٠)

احمد محمد حسب النبي

سيرة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، د . ت

(تخصص)

اول اعماله في الخلافة ، الفتوحات ، الفتوح في بلاد الروم ، عام الرمادة ، نواضع نهاية حياته ، حظ ورثته من التقدم في عهده .

(٣٦٤١)

احمد محمد الحوفي

للرأة في الشعر الجاهلي — القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية دار العلوم ، ١٩٥٣ .

(ذكورة)

للرأة في الحياة الاسرية ، الام ، الزوجة ، البنت ، الاخت ، حقوق المرأة المالية ، المرأة في الحياة العامة ، المرأة في الحرب ، السبا والاماء ، اخلاص المرأة ، الشعور والحجاب ، المكانة العامة للمرأة ، ثقافة المرأة ، المرأة الشاعرة .

(٢٨٥٩)

احمد محمد صقر

تاريخ أبي بكر صديق — رضى الله عنه — القاهرة ، جامعة الازهار — كلية اللغة العربية ، د . ت . ص ١٦٦

(تخصص)

حالته في الجاهلية ، اسلامه ، صحبته ، وصيته لاسامة وجيشه ، فتح الحيرة ، فتح الشام ، اخلاقه ، جمعه للقرآن .

(٨١)

احمد محمد عبدالله ابو السرور

ردة العرب بعد وفاة الرسول عليه السلام — القاهرة ، جامعة الازهر ، ١٩٣١ .

١١٦ ص

(تخصص)

ردة العرب حقيقتها في التاريخ ، اسباب الردة ، ردة كندة وحضرموت والشبلون ، مسيلمة الكذاب ، موقف مكة . خطر الردة ، انقاذ جيش اسامة ، قتال المرتدين ، خالد بن الوليد وصلحه ، قتال البحرين .

(٨٢)

احمد محمد التجار

اساليب الصناعة في الشعر الجاهلي — الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية

الاداب ، ١٩٦٨ .

٥١٣ ص

(دكتورة)

اساليب الصناعة في اغراض الشعر الجاهلي ، اساليب الصناعة الشعرية في نظام القصيدة الجاهلية .

(٢٨٦٠)

حمد مهدي الظواهري

تاريخ عثمان بن عفان — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، د . ت .

١١٥ ص

(تخصص)

نسب عثمان بن عفان ونشأته ، خلافته ، نظرة في بيت عثمان ، أهم الاعمال في صدر خلافته الفترحات في عهده ، الفتنة واسبابها .

(٣٤٤٥)

اسماعيل حسن جعفر

امرؤ القيس — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٥ .

١٤٢ ص

(تخصص)

امرؤ القيس ومولده ، وفد بني اسد اليه ، منزلته الشعرية ، قصيدته الالامية وتحليلها ، اثره

دليل الباحث العلمي في المملكة العربية السعودية

في الادب العربي وتأثر الشعر به . ما اخذه العلماء على امرئ القيس في شعره .
(٢٨٦٢) —

اسماعيل حسن جعفر

زعم الشعراء في العصر الجاهلي — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ١٩٣٤ .
٣٨٠ ص

(تخصص)

اماكن نومه . توليه حجر أبي امرئ القيس الملك ، حركة ابيه ، استعباده من القبائل ، اثر
البيئة في شعره . اثره في الشعر والشعراء .

(٢٨٦١)

امية سليمان البسام

دور المرأة في تنمية المجتمع المحلي . دراسة في منطقة الدرعية (المملكة العربية السعودية)
الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية الاداب ، ١٩٧٧ .

(ماجستير)

بشير احمد محمد علي

عصر الصديق رضى الله عنه — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية . د . ت .
١٨٠ ص

(ماجستير)

مولد الصديق ونسبه ، دور الصديق في الاسلام ، جهاده مع الرسول صلى الله عليه وسلم ،
القواعد العامة لسياسة الصديق ، حروب الردة .

(٨٣)

بشير محمود عبد البر

ادب الحرب في عصر الرسول والراشدين — الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية
الاداب ، ١٩٥٩ .
٣٣٤ ص

(دكتوراه)

حروب الرسول والراشدين وصلتها بالادب ، حروبهم داخل الجزيرة وخارجها ، حروب الفتنة
الكبرى ، وصلة هذه الحروب بالنتاج الادبي ، القرآن والجهاد ، موقف القرآن من الحرب ،

التعبيرات الفنية للجهاد وبلاغتها ، الاحكام الفقهية وطريقة صيغتها ، الحديث والخطب والوصايا والمعاهدات ، الشعر الحربي في صدر الاسلام واثره في حياة المسلمين ، الدراسات التي نجت عن ذلك الادب ، واثرها في المجتمعات الاسلامية ، دراسات المستشرقين .
(٤١٤)

توفيق علي برو

الترك والعرب في العهد الدستوري الثماني من ٩٠٨ — ١٩١٤ . القاهرة ، جامعة الدول العربية — معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٠ .
ص ٦٣٤

(ماجستير)

العرب والترك قبل الانقلاب الدستوري ، عهد التنظيمات والادارة المركزية ، العرب والترك بعد الانقلاب الدستوري ، استبعاد الاتحاديين ونضال العرب في سبيل المساواة ضمن النطاق الاداري ، ثم استبعاد الاتحاديين ونضال العرب ضدهم في مجلس المبعوثين . العرب ومركزية الحكم في عهد الاتلافي وفي عهد الاتحاديين الثاني ، العرب والانقلاب الاجتماعي والسياسي الجديد .

(٣٣٩٥)

توفيق علي برو

العرب والترك في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ — ١٩١٨ — القاهرة ، جامعة عين شمس — كلية الاداب ، ١٩٦٤ .
ص ٣٦٨

(دكتوراة)

عوامل الافتراق الداخلية ، نضال العرب والاحرار ، علاقة الشريف حسين بالترك ، عوامل الافتراق الخارجية وثورة الشريف حسين ، المفاوضات الانكليزية العربية ، اتفاقات الحلفاء لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، الثورة العربية .

(٣٣٩٦)

توفيق محمد الصغير

رسالة الخلافة . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية الشريعة والقانون ، ١٩٣٦ .
ص ١٤٢

(تخصص)

دليل الرسائل العلمية في المملكة العربية السعودية

تعريف الخلافة لغة وشرا . فهم المسلمين لمعنى الخلافة ، شعور العرب بضرورة الخلافة ، شروط أهل الاختيار ، كيفية اكتساب الخلافة ، التولية والاستخلاف ، شكل الحكومة في الاسلام مسئولية الخليفة ، اول اجتماع سياسي في الاسلام ، خطبة العرب .

(٢٤٣٢)

حامد احمد ابراهيم حجاج

حياة ام المؤمنين خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم . القاهرة . جامعة الازهر كلية اللغة العربية ، ١٩٣٨ .
١٤٩ ص

(تخصّص)

الاقدام من قوم السيدة خديجة رضى الله عنها ، عبدالله بن الزبير ، مصعب بن الزبير ، عمر ابن خويلد ، عرض نفسها بالزواج من الرسول ، خطبة أبي طالب في حين العقد . حياتها مع الرسول بعد البعثة ، مكانتها عند الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢٧٦٨)

حسن طلعت ناظر

التنظيم الحكومي والاصلاح الاداري في المملكة العربية السعودية ، دراسة تحليلية . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٤ .
٣٧٠ ص

(ماجستير)

مرحلة تأسيس المملكة ، الاتجاه نحو التنظيم المحلي ، نظام المقاطعات ، نظام البلديات ، المراحل الثلاث من ١٩٢٦ — ١٩٧١ ، تنظيم مجلس الوزراء والوزارات ، اعداد وتدريب الموظفين نظام الخدمة المدنية الحالي ، الرقابة والمتابعة .

(٨٦٤)

حسن علي خفاجي

التغير الاجتماعي في مدينة الرياض ، دراسة في علم الاجتماع الاحصري . الاسكندرية جامعة الاسكندرية — كلية الاداب ، ١٩٦٥ .
٤٨٠ ص

(دكتوراه)

الرياض تاريخيا وجغرافيا ، مفاهيم التغير الاجتماعي ونظرياته الموجهة . التغير من الحالة الريفية الى الحالة الحضرية ، سكان مدينة الرياض في ظل الحياة الحضرية ، تغير نظام الاسرة

في مدينة الرياض ، التغير في مجالات الحياة الاجتماعية في مدينة الرياض .
(١٧٠)

حسين محمد حسين فضل

حياة محمد قبل البعثة . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٨ .

٨٦ ص

(تخصص)

البلاد العربية . نسب النبي ومولده وكفالة جده ، حرب الفجار ، تبشير التوراة والانجيل
بالنبي ، العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي اقتضت بعثة الرسول ، حال الروم قبل البعثة
المند قبل البعثة ، البلاد العربية قبل البعثة ، دخول ابوي النبي النار والبحث في ذلك .

(٢٧٥١)

حسني عبد الحلیم اماعيل

فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ،

١٩٣٧ .

١١٦ ص

(تخصص)

فاطمة من ولادتها الى زواجها ، فاطمة زوجة ، مكانة فاطمة العلمية ، صفات فاطمة
الخلقية . اولاد فاطمة .

(٢٧٦٧)

سالم حسن سالم

من جهاد النساء في الاسلام . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، ١٩٣٩ .

٣٠ ص

(تخصص)

الجهاد في الاسلام ، المرأة والجهاد ، المرأة في صدر الاسلام ، نساء الانصار ، في غزوة بدر
وأحد ، ام عمارة والقرآن الكريم . في حروب الردة .

(٢٧٥٤)

السيد ابراهيم الدسوقي

نظام التأمينات الاجتماعية للمملكة العربية السعودية ، دراسة تحليلية . القاهرة ، جامعة

دليل الرسائل العلمية في المملكة العربية السعودية

القاهرة — كلية التجارة ، ١٩٧٤ .

ص ٢٧٧

(ماجستير)

نظام التأمينات الاجتماعية في المملكة العربية السعودية . مشاكل تطبيق نظام التأمينات الاجتماعية بالمملكة ، العوامل التي تحدد امكانيات وطريقة تطبيق النظام .

(١٣٠٩)

شكري السيد الحلوي

المجتمع المكي في عصر النبوة . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٦٧ .

ص ٧٢٢

(دكتوراه)

المجتمع المكي قبل الرسالة النبوية . مكة ومكانها بين العرب ، الوثنية المكية ، الصراع بين الوثنية المكية والديانات المماثلة . المجتمع المكي بعد الرسالة النبوية ، الصراع بين الرسالة المحمدية والوثنية المكية في الدور السري والجهري ، الصراع الحربي بين الرسالة المحمدية والوثنية المكية ، تعاليم الرسالة المحمدية تسود مكة .

(١٢٦٦)

عبد الباقي علي نصر

البحرية الاسلامية في القرن الاول الهجري . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٧٢ .

ص ٣٥٣

(دكتوراه)

صلة المسلمين بالبحر في عصر النبوة والخلفاء الراشدين ، الامويون والبحرية الاسلامية ، الاسطول الاسلامي في شرق البحر المتوسط ، العلاقات التجارية والبحرية بين المسلمين وجيرانهم في البحر المتوسط والمحيط الهندي ، اثر دور الصناعة في ازدهار البحرية الاسلامية الطرق الملاحية والموانئ الاسلامية .

(١٢٦٨)

عبد الرحيم أبو بكر محمد احمد

الشعر الحديث في الحجاز سنة ١٩١٦ — ١٩٤٨ . القاهرة ، جامعة القاهرة ، كلية

الاداب ، ١٩٧٣ .

ص ٣٣٨

(ماجستير)

البيئة الحضارية ، الشعر في العهد العثماني التركي ، الشعر في عهد النهضة ، تيار التقليد والحفاظ ، الاتجاه التجديدي .

(٣٠٥٢)

عبد العزيز محمد عثمان

المجتمع العربي في عهد الرسول كما يصوره القرآن . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية أصول الدين ، د . ت .

ص ١٩٩

(ماجستير)

الحالة الاجتماعية ، الاديان السماوية ، العبادات المبتدعة ، الاسلام في جزيرة العرب ، مكة والدعوة الاسلامية ، الافاق الجديدة للدعوة الاسلامية ، قيام الدولة الاسلامية ، الصراع للسلح .

(١٢٧٠)

عبد العزيز محمود القحط

فتح مكة واثره في انتشار الاسلام . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ،

١٩٣٧ .

ص ٢٩

(مختص)

حالة مكة قبل الفتح ، منشأ مكة ، السرايا والبعوث العسكرية ، سرية حمزة ، نقد معاهدة صلح الحديبية ، الاثر الديني والاجتماعي والسياسي لنقض معاهدة الحديبية .

(٢٧٧٠)

عبد العظيم احمد الغياشي

موقف القرآن الكريم من المنافقين وسياسة الاسلام فيهم . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية أصول الدين ، ١٩٤٦ .

ص ٢١٩

(دكتوراه)

دليل الرسل الصديق في السيرة النبوية

المنافقون في غزوة احد ، المنافقون في غزوة بني النضير ، موقف المنافقين من الاعراب عام الحديبية ، المنافقون في غزوة تبوك ، تكذيب الله للمنافقين في الاعتذار ، سياسة الاسلام في المنافقين .

(١٨٠٣)

عبد العظيم عبد الله الشاذلي

سفارات الرسول الى ملوك العالم . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ١٩٣٤ .

(تخصص)

حالة العالم عند ظهور الاسلام ويشمل على الحبشة ، الدولة الرومانية الشرقية عند ظهور الاسلام العرب عند ظهور الاسلام ، عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للسفارات ، آراء المؤرخين الاوربيين في الرسالة ، مناقشة هذه الآراء . ثبوت السفارات من الناحية التاريخية ، السفارات الخنائية ، اثر سفارات الرسول عليه السلام .

(٢٧٥٥)

عبد الغفور محمد محمد الشناوي

رسالة في حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، ٢٩٣٩ .

ص ١٣٣

(تخصص)

نسب سيدنا محمد من جهة امة وابيه ، الحكمة في ولادته يتيم ، شق صدره ، تجارته ، قرآنه السعيد ، اولاده ، بناء الكعبة ، تعريف الوحي ، فترة الوحي ، الدعوة سرا ، القرآن وقريش ، الاسراء والمعراج ، العبدة من الهجرة ، التشريع للمكي ، غزوة بدر ، التشريع للمدني ، ازواجه ، حجة الوداع .

(٢٧٥٦)

عبد الفتاح محمد خاطر

محمد صلى الله عليه وسلم سيد الواعظين . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، ١٩٣٥ .

ص ١٩٨

(تخصص)

بيان حاجة الانسان الى الوعظ ، تطلع العقل الى بلوغ الكمال ، تاريخ الوعظ ، وعظ

النبي عليه السلام ، العظة من معجزاته ، الادلة القرآنية .

(٢٧٥٧)

عبدالله على المبارك

الادب العربي المعاصر في الجزيرة العربية . القاهرة ، جامعة الدول العربية — معهد
البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٧ .
١١١ ص

(ماجستير)

المراحل التاريخية للشعر في شرقي الجزيرة ، حركة الشعر المعاصر في شرقي الجزيرة العربية
الأنواع الشعبية ، المضامين الشعرية ، الأغراض التقليدية ، المضمون الاجتماعي ، المضمون
الوطني .

(٥٨١)

عبد المقصود السعداوي واعر

عرب الحجاز في القرن الاول . القاهرة ، جامعة الازهر ، كلية اللغة العربية ١٩٤٣ .
٢٠٩ ص

(تخصص)

غني الحجازيين ، اصطناع الشعر ، الحياة الاجتماعية ، الغناء ، النساء ، مواسم الحج ،
ظرف الحجازيين ، غزل البادية ، غزل الحوافر .

(٥٨٤)

علي احمد علي الخطيب

وثنية العرب واثراها في الادب الجاهلي . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ،
١٩٧٠ .
٣١٣ ص

(ماجستير)

السامية والجزيرة ، أهم الأدوار التاريخية للجزيرة الله والموت بعده ، الجن والملائكة .

(٥٨٨)

محمد جمعه حستين

ادب الخوارج . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٤٤ .
٩٧٥ ص

دليل الباحث العلمي في السيرة النبوية

(تخصص)

اخبار الخوارج ، ادب الخوارج ، مقومات الادب الخارجي ، اثر الخوارج في الادب .
(٤١٦)

محمد الحسني خليل عواله

الدعوة الاسلامية في عهد النبوة . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ،
١٩٣٦ .
٢٠٣ ص

(تخصص)

الدعوة الاسلامية بمكة وفي المدينة . الجهاد والدعوة الاسلامية ، عوامل نجاح الدعوة
الاسلامية في عصر النبوة .
(٢٧٥٩)

محمد عبد الحميد سيد البوسي

في حياة ام المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة
العربية ، ١٩٣٥ .
١٩٣ ص

(تخصص)

أبو بكر الصديق . ام الخير (والدة أبي بكر الصديق) اولاد أبي بكر ، نسبها مولدها تربيته
مكانتها عند الرسول ، حادثة الافك ، قصة اليتيم ، وفاة الرسول عليه السلام ، رواية الحديث
تعبيرها ، وفاتها .
(٢٧٦٩)

محمد كمال الدين بن محمد ابوريدة

الامومة عند العرب في الجاهلية . الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية الاداب ،
١٩٥١ .
٣٦٧ ص

(ماجستير)

الحياة القبلية ، العناية بالانساب في الجاهلية ، حد العائلة ومدى انطباقه على القبيلة العربية ،
العادات ، الاسر ، الزواج الخارجي ، الامومة وصلتها بالعواطف والمشاعر عند العرب ،
متزلة المرأة العربية في الجاهلية وصلتها بالامومة .
(٨٠٢)

محمد شحاته المزوار

حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها . القاهرة ، جامعة الأزهر كلية أصول الدين ، د . ت .

٧٠ ص

(ماجستير)

مولد الرسول ، زواج النبي عليه السلام ، اولاده ، بناء الكعبة ، بدء الوحي ، الجهر بالتبليغ ، هجرة النبي وابي بكر الصديق الى المدينة ، مثل من اخلاقه قبل البعثة ، فضائله الاجتماعية ، معجزاته .

(٢٧٦٥)

محمد عبدالسميع جاد

الوفود في العهد النبوي واثرها في الدعوة الاسلامية . القاهرة ، جامعة الأزهر — كلية أصول الدين .

١٩٧٤ .

٣٤٧ ص

(دكتوراه)

وفود الانصار وطلّاع ظهور النور بالمدينة ، الوفادة الاولى لعمدان ، دراسة نتائج وفود ما قبل الهجرة واثرها ، الوفود بعد الهجرة وقبل الفتح ، وتشمل السنة الخامسة والسادسة والسابعة ، وبعد الفتح وتشمل السنة التاسعة والعاشر . دراسة نتائج وفود هذه المرحلة وفسادات الجن وموقفهم من الدعوة الاسلامية ، أهم وسائل نشر الدعوة الاسلامية في العصر الحاضر في ضوء الوفود .

(٢٧٦٤)

محمد احمد البيومي

سيدنا محمد في ابداعه الادبي . القاهرة ، جامعة الأزهر — كلية اللغة العربية ،

١٩٦٦ .

٣٥٢ ص

(دكتوراه)

النص النبوي ثابت مكن ، طابع الحديث الصحيح بدل عليه ويتم الاستشهاد به ، القرآن استاذ محمد ، محمد صلى الله عليه وسلم خطيبا ، موقف النبي من الشعر والشعراء ، رسائل محمد ونصوص معاهداته ، الانصوص في ادب الرسول ، صور القيامة في أدب محمد ، تأثير

دليل رسائل السيد في السيرة النبوية

حديث الميراج في الادب العالمي . الابتهاال . سمات الاسلوب النبوي . نماذج من التفسير النبوي للقرآن ، بين اعجاز القرآن وابداع الحديث ، محمد الاديب .
(٢٧٥٨)

هاشم حامد مذكور

تاريخ فتح مكة . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية . ١٩٣٩ .

ص ١٢٦

(مختص)

مكة قبل الفتح . عوامل الفتح غير المباشرة ، الفتح اثر فتح مكة في انتشار الاسلام .
(٢٧٧١)

يوسف صلاح الدين عبد السلام

دراسة وترجمة وتحقيق للسيرة النبوية في مخطوط روضة الصفا . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الآداب . ١٩٧٤ .

ص ٦٥١

(مذكورة)

(٢٧٦٦)

حمدي ابراهيم عبدالله

الامامة في الفرق الاسلامية حتى القرن الثالث الهجري . القاهرة ، جامعة القاهرة . كلية الآداب ، ١٩٦٨ .

ص ١٦٩

(ماجستير)

معنى الامامة ، حاجة المسلمين للامام آراء الفرق . آراء الخوارج . آراء المعتزلة اهل السنة والجماعة ، الامامة والسياسة ، حكومة الرسول والامامة ، المبادئ الديمقراطية في الامامة السنية .

(٢٤٣٣)

مخلفي محمد سعيد حنفي

عمرو بن العاص واثرة في الحرب والسياسة . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة

العربية ، ١٩٧٣ .

ص ٧٤٤

(دكتوراة)

عمرو بن العاص قبل الاسلام

في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

في عصر أبي بكر

في عصر عمر

في عصر عثمان

في عصر علي ومعاوية

(٣٦٥١)

درويش مصطفى اغلاوي

تاريخ عمر بن الخطاب . القاهرة ، جامعة الأزهر — كلية أصول الدين ، ١٩٣٩ .

ص ١٩٢

(تخصص)

اخلاق عمر . تأثر عمر بذكر الله والقرآن ، طواف عمر علي الناس ليلا ، نصحه لرعيته ، الصدقات والغنيمة ، كرامات عمر ، زهده ، عمر والشوري ، مقتل عمر ، وصايته لمن يخلفه .

(٣٦٤٢)

سعود عبد العزيز زيري

توطين الصناعة والتنمية الاجتماعية ، دراسات ميدانية لبعض المناطق الصناعية بالملكة

العربية السعودية . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٧٤ .

(دكتوراة)

السعودي عبد المقصود ابراهيم المعجمي

الدعوة الاسلامية بين سياسة عمر وعثمان . القاهرة ، جامعة الأزهر ، كلية اصول الدين

د . ت .

ص ٢٣٥

(دكتوراه)

دليل الرسائل العلمية في المملكة العربية السعودية

سياسة عمر وأثرها في الدعوة الإسلامية . عمر وصفاته وأثر الإسلام في انتشار الدعوة . عمر بعد اسلامه حتى موت الصديق وعلاقة ذلك بالدعوة الإسلامية . اسباب انتاج عمر وعثان سياسة الفتح . فريد انتشار الاسلام بعد السيف . الحياة الاجتماعية في عصر عمر وتأثيرها بالدعوة الإسلامية . سياسة الحزم في اجتهاد عمر ، سياسة القضاء والحسبة . سياسة التسامح في معاهدات عمر .

(٢٤٥٣)

سليمان عبد الغني مالكي

مراقق الحج والخدمات الحديثة في الاراضي الاسلامية المقدسة . القاهرة . جامعة القاهرة — كلية الاداب . ١٩٧٨ .

(ماجستير)

السيد احمد محمد حسب الله

مكتبات البترول في المملكة العربية السعودية وامكانات التعاون الفني بينها . القاهرة جامعة القاهرة — كلية الاداب . ١٩٧٥ .

(ماجستير)

سيد احمد محمد يونس

المملكة العربية السعودية وسياساتها الخارجية من ١٩٥٣/٢٤ . القاهرة ، جامعة عين شمس — كلية الاداب ، ١٩٧٥ .

(دكتوراه)

صلاح الدين محمد علي ديبوس

الخليفة ، توليته وعزله ودراسة في السياسة الشرعية الاسلامية ومقارنتها بالنظم الدستورية الغربية . الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية الحقوق ، ١٩٧٢ .

٤١٦ ص

(دكتوراة)

التعريف بالخلافة واركائها ، مفهوم الخلافة بين التعدد والوحدة والتضييق والتوسع . طبيعة الخلافة . تولية الخليفة في المذاهب الاسلامية ، التحليل الشرعي المقارن للتولية . الاساس الشرعي ، الالتزام بعقد التولية ، النتائج المترتبة على الاخذ بفكرة العقد .

(٢٤٣٤)

عبد الباقي حسن يلال

حياة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٩ .
١٥٠ ص

(تخصص)
عمر منذ ولد الى ان تولى الخلافة — عمر بن الخطاب خليفة من خلفاء المسلمين ، عمر وسياسته الداخلية ، مقتل عمر .
(٣٦٤٣)

عبد الرحمن صادق الشريف

مدينة الرياض ، دراسة في جغرافية المدن . القاهرة ، جامعة عين شمس . كلية الاداب ، ١٩٧٣ .
٣٧٥ ص

(دكتوراة)
العوامل الطبيعية والبشرية التي اثرت في وجود المدينة وتطورها ، الموقع والمناخ وتأسيس مدينة حاجر وازدهارها زمن حسم وفي ظل بني حزيمة ، نمو الرياض في العصر الحديث ، نمو السكان في الرياض ، توزيع سكان الرياض وتركيبهم ، الاستعمالات الوظيفية في الرياض .
(٢١٦٦)

عبد الرحمن عبد العزيز القاسم

النظام القضائي الاسلامي ، مقارنا بالنظام القضائية الوضعية وتطبيقه في المملكة العربية السعودية . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الحقوق ، ١٣٨٩ هـ .
٨٩٣ ص

(دكتوراه)

عبد الرحمن عبدالله عبد العزيز الفوزان

دراسة تحليلية لتسويق بعض الزروع الخضرية والفاكهية في المملكة العربية السعودية القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الزراعة ، ١٩٧٧ .
(ماجستير)

دليل المؤلفات العلمية في المملكة العربية السعودية

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

الدولة السعودية الاولى ١٧٤٥ م — ١٨١٨ م ١١٥٨ هـ — ١٢٣٣ هـ . القاهرة جامعة الدول العربية — معهد البحوث والدراسات العربية . ١٩٦٨ . ص ٣٥٠

(ماجستير)

اقليم نجد الارض والسكان ، محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية ، الدولة السعودية وتوحيد نجد ، ضم الاحساء ، التوسع السعودي في الخليج وعمان ، آل سعود والحجاز ، آل سعود واليمن ، تطلع آل سعود الى العراق والشام ، نظم الحكم والادارة ، العلاقات الخارجية للدولة السعودية الاولى . استرداد الحجاز من آل سعود . حملة ابراهيم باشا وانهيار الدولة السعودية الاولى .

(٢٦٤١)

عبد السلام قاسم مصطفى

سياسة الصديق واثراها في دعم الوحدة الاسلامية . القاهرة ، جامعة الازهر ، كلية اللغة العربية ، د . ت . ص ٥٥٢

(دكتوراه)

نشأة الصديق وصفاته ، ابي بكر قبل الاسلام ، اسلامه مع النبي قبل الهجرة ، في الهجرة ، في المدينة ، الخليفة ، سياسة ابي بكر مع مانعي الزكاة وسياسته مع المرتدين ، سياسته مع طليحة ومسيلمة الكذاب ، سياسته مع خالد بن الوليد ، سياسته مع بقية المرتدين ، سياسته في جمع القرآن ، سياسته في الحكم ، سياسته مع دولة الفرس والروم .

(٨٤)

عبد السلام قاسم مصطفى

عمر بن الخطاب ، سياسته واثراها في مستقبل الدول الاسلامية . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٧٢ . ص ٤١٨

(ماجستير)

الاسلام وعمر ، عمر قبل الاسلام ، عمر في عهد الرسول ، عمر في عهد ابي بكر الصديق ، مؤامرة الغدير ، سياسة عمر بن الخطاب ، سياسة عمر في مستقبل الدولة الاسلامية .

(٣٦٤٤)

عبد العال فرغلى حسنين

على بن ابي طالب . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية . ١٩٣٦ .

١١٢ ص

(تخصص)

الامام علي — اسمه — كنيته — لقبه . بلاغته . اعماله . مقتله . الطعن فيه شبة الطاعنين .

(٣٦١٧)

عبد العزيز احمد سلام

خلافة عثمان . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اصول الدين . ١٩٣٥ .

١٢٧ ص

(تخصص)

الخلافة وشروطها . آراء اهل المدينة في الخلافة . بيعة ابي بكر . ديمقراطية . نوع الحكم في الخلافة . عثمان من مبدأ ولادته الى أن ولي الخلافة . الفتح الخارجي . اختلاف الناس في القرارات . وجمع المصحف . ظهور الفتنة . حصار عثمان ومقتله . حضارة الدولة في عهد عثمان .

(٣٤٤٦)

عبد العزيز العلي الصالح النعيم

نظام الضرائب في الاسلام ومدى تطبيقه في المملكة العربية السعودية مع المقارنة .

القاهرة . جامعة القاهرة ، كلية الحقوق ، ١٩٧٤ .

٦٤٧ ص

(دكتوراه)

عبد العزيز غنيم عبد القادر

موقف علي من الخلافة . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٦٩ .

٢٢٨ ص

(ماجستير)

القرآن والسنة ونظم الحكم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم . النبي صلى الله عليه وسلم وتولى شؤون الحكم بعد وفاته . الهاشميون يستشرفون للخلافة ، الانصار ومؤتمر السقيفة . علي وبيعة أبي بكر ، علي وبيعة عمر . مجلس الشوري ، سياسة عثمان وانرها في الجماعة الاسلامية

دليل رسائل العلمية في المملكة العربية السعودية

بين عثمان ومعارضيه وموقف علي منها ، استخلاف علي ، المدينة وقت البيعة ، ابن ضيف والقتال في البصرة ، علي ومعركة الجمل ، من الجمل الى صفين ، قضية التحكيم ، حركة الخوارج ، نهاية حكم علي .

(٣٦١٨)

عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الفيصل

شعراء بني فشير في الجاهلية والاسلام حتى آخر العصر الاموي . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٧٨ بحلوان .

(دكتوراه)

عبد العزيز محمد علي شرشر

فتوح عمر بن الخطاب واثرها في حضارة العرب . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٣ .

(تخصص)

فتح بلاد الفرس ، فتح الجزيرة ، فتح الشام ، فتح مصر . المدينة الاسلامية ، مقتل عمر . (٣٦٤٥)

عبد العظيم السيد عبد الرازق

مكة قبل الاسلام . القاهرة . جامعة الازهر . كلية اللغة العربية ، ١٩٣٦ .

١٢٩ ص

(تخصص)

نزول اسماعيل في مكة ، الحالة الدينية في مكة ، الحالة السياسية في مكة ، الحالة الاجتماعية في مكة .

(٣٤٩٤)

عبد العظيم محمود الديب

فقه امام الحرمين عبد الملك عبد الله بن يوسف الجويني . القاهرة . جامعة القاهرة كلية دار العلوم ، ١٩٧٥ .

(دكتوراه)

عبد العليم علي عبد الوهاب أبو هيكال

العلاقات بين عبد العزيز بن سعود وجاعة الانحوان ١٩١٢/١٩٣٠ . القاهرة ، جامعة عين شمس — كلية الآداب . ١٩٧٦ .

(ماجستير)

عبد الفتاح حسن أبو عليه .

تطور المجتمع السعودي في عهد الملك عبد العزيز آل سعود في سنة ١٩٠١ — ١٩٥٣ م القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الآداب . ١٩٧٣ .
ص ٤٤٤

(دكتوراه)

المجتمع النجدي عند دخول عبد العزيز بنجد . المجتمع الاحسائي واثركل من الاثراك ، والوهابيين عليه . المجتمعات الحجازي والسعودي وعلاقتها بالاثراك والوهابيين ، عوامل التفكك في المجتمعات السابقة ومشاكل البدو والحضر . ابن سعود واستيلائه على السلطة وقيام حركة الانحوان ، توحيد اجزاء الدولة السعودية الجديدة ، البترول وتطور الحياة الاقتصادية في الدولة السعودية ، التطور العلمي والحضاري في البلاد السعودية ، أجهزة الدولة الحديثة ، تقييم شخصية بن سعود

(٢٦٤٣)

عبد الفتاح حسن أبو عليه

الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠ — ١٨٩١ م ١٢٥٦ — ١٣٠٩ هـ . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الآداب ، ١٩٦٨ .
ص ٢٩٩

(ماجستير)

الامام فيصل بن تركي وفترة حكمه الاولى ، بنجد في احقاب الحكم المصري ١٨٤٠ — ١٨٤٣ م ١٢٥٦ — ١٢٥٩ هـ ، حكم فيصل بن تركي للمرة الثانية ١٨٤٣ — ١٨٦٥ م ١٢٥٩ — ١٢٨٢ هـ ، العلاقات الخارجية للدولة السعودية الثانية في عهد الامام فيصل ١٨٤٣ — ١٨٦٥ م ١٢٥٩ — ١٢٨٢ هـ ، عهد الفتن والنوضى في الدولة ١٨٦٥ — ١٨٩١ م ١٢٨٢ — ١٣٠٩ هـ ، العلاقات الخارجية للدولة في الفترة ١٨٦٥ — ١٨٩١ م ١٢٨٢ — ١٣٠٩ هـ . إنظمة الحكم والادارة في الدولة ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة

(٢٦٤٢)

عبد الفتاح عبد الرحمن الجوهري

رسالة في الخلافة الاسلامية . القاهرة . جامعة الازهر — كلية الشريعة والقانون د . ت
٨٩ ص

(تخصص)

نبذه من تاريخ الخلافة الاسلامية . الشروط المتبعة فيمن يولي الخليفة . انعقاد الامامة
باستخلاف الامام وعهده . ما ينبج على الخليفة للمسلمين . الشوري والخلافة الاسلامية .
تأثير الخلافة في اصلاح العالم الاسلامي .

(٢٤٣٥)

عبدالله آل مبارك

اديب النثر المعاصر في شرقي الجزيرة . القاهرة . جامعة عين شمس — كلية الاداب
١٣٨٩ هـ

(دكتوراه)

عبدالله عيسى برعي

تاريخ الامام علي بن ابي طالب . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية
١٩٣٧ .
١٦٨ ص

(تخصص)

عل قبل اسلامه — على منذ أسلم الى ان ولى الخلافة . الخلاف بينه وبين معاوية . الخوارج
والشيعة . نهاية . على . اخلاقه على وصفاته

(٣٦١٩)

عبدالله يوسف الشبل

تاريخ نجد في عظوظ الفاخري . الاسكندرية . جامعة الاسكندرية كلية الاداب .
١٩٧٧

(ماجستير)

عطية محمد الديبي

تاريخ سيدنا عثمان رضي الله عنه . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية . د .

ت .

ص ١٧٦

(تخصص)

الخطبة - نسبه ، صناعته ومكانته في قومه ، اسلامه وصحبته . خبر الشوري وخلافه عثمان .
اول اعماله في خلافته ، اول خطبة له . عزل المنيرة بن شعبة وتولية سعد بن ابي وقاص .
فتوحاته اهم الحوادث في عصره . آثاره في الخلافة ، جمع القرآن ، اخبار الفتنة ومقتل
سيدنا عثمان ما أنكره الناس على سيدنا عثمان والاعتذار عنه . صفه عثمان ، ازواجه واولاده .
الحالة الاجتماعية في عصره .

(٣٤٤٧)

علي بن حسين السليمان

علاقة مصر بالحجاز زمن سلاطين المماليك . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب .

١٩٧٠

ص ٣٤٠

(ماجستير)

العلاقات السياسية

العلاقات الدينية

العلاقات الاقتصادية

العلاقات الاجتماعية والثقافية

(٤٦٣٦)

علي بن حسين السليمان

النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية اواخر العصور الوسطى ، ١٢٥٠ — ١٥١٧ م

القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٧٥

(ماجستير)

علي معترق عبدالله القط

الحجاز في القرن الثامن عشر . القاهرة ، جامعة الدول العربية — معهد البحوث

والدراسات العربية ، ١٩٦٩

ص ٢٣٢

(ماجستير)

دليل المؤلف في المملكة العربية السعودية

امارة مكة قبل الحكم العثماني ، العثمانيون والحجاز — الحجاز في القرن الثامن عشر ، صراع الامراء في القرن الثامن عشر - حملة على بك الكبير على الحجاز . امارة مكة في عهد الشريف سرور وغالب - استيلاء الوهابيين على الحجاز - الحجاز والتنافس التجاري في المهجر الاحمر نهاية عهد . الحالة الاجتماعية والاقتصادية

(٢٦٤٤)

عواطف فيصل بياري

الانصال الثقافي كمتغير اساسي في النمو الحضري ، دراسة ميدانية على عينتين بالمجتمع السعودي من سكان مدينتي مكة وجده . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٧٥ (ماجستير)

فائق بكر الصواف

تاريخ الحجاز في العصر الحديث . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية

١٩٧٤

جزان

(دكتوراه)

الحجاز يدخل تحت السياسة العثمانية ، الحجاز الجغرافي . الملابس التي تولى فيها عبد الحميد العرش . الدولة العثمانية تستعين بالحجاز في قمع ثورة الدريسي . الحجاز يتزعّم ثوره عربيه على الدولة العثمانية . الاجراء الاول للثورة ، بلاغ السلطات العثمانية في دمشق من اندلاع الثورة في الحجاز . انتصارات الجيش الحجازي

(٢٦٤٥)

فاروق شاكر خضر السيد

المياه الجوفية في المملكة العربية السعودية واثرها على الانتاج الزراعي . الاسكندرية .

جامعة الاسكندرية ، كلية الاداب ، ١٩٧٣

ص ١٩٢

(ماجستير)

المياه الجوفية في المملكة ، المناخ ، تضاريس المملكة وجيولوجيتها . الخزانات الصخرية ، العيون والابار في المملكة ، اثر المياه الجوفية على الانتاج الزراعي في المملكة . الوضع الزراعي الحالي في المملكة ، اهم المشاريع الزراعية المعتمدة على المياه الجوفية ، المحافظة على الثروة المائية وامكانية التوسع الزراعي

(٢٠٦٩)

كمال السيد فريش

محمد بن عبد الوهاب والدعوة الوهابية . الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية
الاداب ، ١٩٥٨
ص ٢٦٥

(ماجستير)

الحالة قبل ظهور الدعوة . طبيعة بلاد العرب واثرها ، حالة الركود والتأخر ، حالة العالم
الاسلامي قبل ظهور الدعوة . طبيعة بلاد العرب واثرها ، حالة الركود والتأخر ، حالة العالم
الاسلامي من الناحية الدينية ، الحاجة الى الاصلاح ، محمد بن عبد الوهاب ، حياته قبل
انتقاله وبعد انتقاله الى الدرعية ، نشر الدعوة ، وفاته ، الدعوة الوهابية ، التوحيد . الشرك ،
الجهاد ، الاجتهاد ، الدعوة للمضادة ، صلة الدعوة الوهابية ببعض الحركات الاسلامية ،
كيف اثرت الدعوة في غيرها ، كيف تأثر بها العالم الاسلامي ، اثرها في الطريقة التيجانية ،
الطريقة السنوسية ، الحركة المهدية ، اثرها في اليمن ، اثرها في الهند ، اثرها في مصر .

(٥٢٦٨)

عبد الدين أحمد أبو صالح

مناهج التربية الدينية الاسلامية للصف الاول الثانوي في الجمهورية العربية السورية
والجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، دراسة تحليلية ، القاهرة جامعة عين
شمس — كلية الاداب ، ١٩٧١

(ماجستير)

التربية الدينية اسسها الاجتماعية والفلسفة النفسية ، تطور مناهج التربية الدينية للصف الاول
في الدول الثلاث ، تقويم مناهج التربية الدينية للصف الاول في الدول الثلاث ، دراسة
تحليلية مقارنة ، التربية الدينية الاسلامية وكتبها .

(٤٤٣٢)

محمد ابراهيم شعيب

حياة العرب ، الاجتماعية — العقلية — الدينية قبل الاسلام . القاهرة ، جامعة الازهر
كلية اللغة العربية ، ١٩٣٨
ص ١٢١

دليل الرسائل العلمية في المملكة العربية السعودية

(تخصص)

أصل العرب وطبيعة بلادهم . الحالة الطبيعية لبلاد العرب . بدو العرب وحضرهم ، العلاقة بين العرب والأمم الأجنبية . احوال العرب ، الوثنية وتاريخها في بلاد العرب . الأسباب الاجتماعية والاقتصادية . حالة البلاد العربية قبل البعثة ، حالة مكة على وجهه الخصوص قبل البعثة ، أثر هذه التعاليم في العرب

(٣٤٩٦)

محمد أحمد جوده

حياة سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه . القاهرة . جامعة الأزهر — كلية أصول الدين . ١٩٣٥
ص ٩٠

(تخصص)

خطبة الرسالة — واجب الامام — نسب الامام على صفاته الخليفة . فتنة عثمان — الحكم على علي — بعد قتل عثمان — وقعة الجمل — وقعة صفين — التحكيم — اجتماع الحكيم عبد الله بن عباس والخوارج (مقتل الامام علي — سب قتله .

(٣٦٢٠)

محمد أحمد حميد الرويني

الانتاج الغذائي في المملكة العربية السعودية . القاهرة . جامعة القاهرة . كلية الاداب . ١٩٧٨

(ماجستير)

محمد أحمد رشوان غزالي

بعثة العلاقة السياسية بين الرومان والعرب في الجاهلية وعصر الرسول . القاهرة . جامعة الأزهر . كلية اللغة العربية . ١٩٣٣
ص ٥٥

(تخصص)

الفساسة . اليمن . مع النبي عليه السلام .

(٣٤٩٧)

محمد أحمد مربي

تاريخ ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية . د . ت
٨١ ص

(تخصص)
مولد ابي بكر . سبب اسلامه . في حديث الغار وما جرى بعد في ثبوت صحة الكتاب .
استيلاء ابي بكر ، الكلام على الردة ، والمؤمنين . انقاذ جيش اسامة ، جمع القرآن في
مناقب ابي بكر .

(٨٥)

محمد احمد موسى

في حياة ابي بكر واثاره في الاسلام . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية .
د . ت .
١١١ ص

(تخصص)
حال العرب في الجاهلية . اخلاق العرب وعاداتهم . حاله الاقتصادية ، هجرته مع النبي
الى المدينة . حكمته عن الخلافة الاسلامية . أبو بكر واسامة بن يزيد ، وصية ابي بكر
لعمر ، وراثه ، في حالة ابي بكر الاجتماعية . في مناقب ابي بكر ، العظمة من اسلامه .
(٨٦)

محمد البلتاجي حسن

منهج عمر بن الخطاب في التشريع . القاهرة . جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم .
١٩٦٦
٤٥١ ص

(ماجستير)
البيات النصوص وروايتها ، تطبيق النصوص الخاصة ، الزواج والطلاق ، الميراث . ما ليس
فيه نصوص خاصة
محمد حسن الغليان
(٣٧١٢)

الخلاف بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان رضي الله عنها . القاهرة .
جامعة الازهر . كلية اللغة العربية . ١٩٣١
١٥٦ ص

(تخصص)
موقف معاوية بن ابي سفيان . دماء علي . نظره في أمر الرسل — اجتماع الحكيم . شأن

دليل رسائل العظمى في النبوة الشريفة

الخوارج مع علي

(٣٦٢١)

محمد رأفت عثمان محمد درويش

الامامة العظمى في الفقه الاسلامي . دراسة مقارنة . القاهرة . جامعة الازهر . كلية
الشريعة . ١٩٧٠
٤١٦ ص

(دكتوراه)

الحكم عند العرب قبل الاسلام . الامامة العظمى . شروط الامامة . العلاقة بين الامة
والامام الاعظم . طبيعة نظام الامامة العظمى .

(٢٤٢٧)

محمد فؤاد عبد العزيز

رسالة في الخلافة . القاهرة . جامعة الازهر — كلية الشريعة والقانون . ١٩٣٧
١٤٤ ص

(تخصص)

حكم الخلافة وشروطها . صيغة المباينة . شروط أهل الاختيار . حكم العهد للاقارب .
الحكومة الاسلامية نوع نظامها ، الشورى في الاسلام ، مسئولية الخليفة .

(٢٤٣٨)

محمد محمد الغنيمي

العلاقة السياسية بين الفرس والعرب الى آخر عصر الرسول . القاهرة ، جامعة الازهر كلية
اللغة العربية . ١٩٣٤
٨٥ ص

(تخصص)

العلاقة السياسية بين الاثنين الى نهاية الدولة .
العلاقة بين الاكاسرة والعرب الى اوائل عهد الرسول .
العلاقة بين الاكاسرة والعرب الى عصر الرسول .

(٣٤٩٨)

محمد محمود أحمد محمددين

الجغرافية الزراعية لاقليم نجد بالمملكة العربية السعودية . الاسكندرية . جامعة
الاسكندرية — كلية الاداب . ١٩٧٧
(دكتوراه)

محمد محمود الديب

المساجد التذكارية في لمدينة المنورة . القاهرة . جامعة القاهرة — كلية الاداب .
١٩٧٠
(ماجستير)

محمد مرسي عبدالله

الخلافة بين الدولة السعودية الاولى وعان بين ١٧٩٣ . ١٨١٨ م . القاهرة . جامعة
القاهرة — كلية الاداب . ١٩٦٥
٢٢٧ ص

(ماجستير)

اقليم عان . الدولة السعودية الاولى امتدادها . الامارات والسلطنات العربية المعاصرة للنفوذ
السعودي في عان . امتداد النفوذ الوهابي في عان . موقف الانجليز في الهند من النفوذ
السعودي في عان . الصراع بين سلطنة مسقط والسعوديين في البرجي . زوال الدولة السعودية
الاولى واثره في عان

(٢٦٤٦)

محمد مصطفى شاهين

الخلافة في الاسلام . القاهرة . جامعة الازهر — كلية الشريعة والقانون . ١٩٣٧
٨٥ ص

(تخصص)

تعريف الخلافة ونشأتها . الخلافة عند الفقهاء . الخلافة عند الفلاسفة . شروط الخليفة .
من ينصب للخليفة ويعزله . حكم الخلافة . الخلافة في العصور السابقة . الخلافة والسلطة
التنفيذية في العصور الحديثة الخلافة الاسلامية ضرورة لازمة

(٢٤٣٩)

دليل الرسائل الجيدة في السلك العربي السعودية

مديحة احمد درويش

العلاقات السعودية المصرية . القاهرة . جامعة القاهرة . كلية الاداب . ١٩٧٨
(ماجستير)

مصطفى عبد اللطيف جياووك

المرأة في الجزيرة العربية في القرن الاول الهجري . دراسة ادبية . الاسكندرية . جامعة
الاسكندرية — كلية الاداب . ١٩٧٥
(دكتوراه)

مصطفى محمد حلمي

فكرة الامامة عند أهل السنة والجماعة . الاسكندرية . جامعة الاسكندرية — كلية
الاداب . ١٩٦٧
ص ٣٧٦

(ماجستير)
نظام الحكم في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . خلافة ابي بكر الصديق . خلافة عمر بن
الخطاب . خلافة عثمان بن عفان . خلافة علي بن ابي طالب . الخوارج . موقف أهل
السنة من النظريات الشيعية في الامامة . أهل السنة الاوائل . المذهب السلفي في صورته
الاخيرة . نظرية الخلافة في دورها الاخير .
(٢٤٤٠)

المملكة العربية السعودية .. في

الوحدة العربية بين فكرة انشاء الدولة العربية الموحدة ونظام جامعة الدول العربية ، اعداد
أحمد طربين . القاهرة ، جامعة الدول العربية — معهد البحوث والدراسات العربية ،
١٩٥٧
ص ٣٧٢

(ماجستير)
مشروع الدولة العربية الموحدة بين اوربا والعرب حتى تسوية الصلح ١٩١٩ . الدولة العربية
الموحدة اساس ثورة الشريف حسين الدول العربية والوحدة العربية فيما بين الحربين العالميتين
سوريا ، لبنان ، امارة شرق الاردن ، فلسطين ، العراق ، المملكة العربية السعودية ، المملكة
المتوكلية اليمنية ، مصر ، الوحدة العربية في اواخر الحرب العالمية الثانية . جامعة الدول العربية .
(٥٢٣٢)

منى حسين سراج

اثر وسائل الاعلام على المجتمع السعودي المعاصر . القاهرة . جامعة القاهرة . كلية
الاعلام . ١٩٧٤
(ماجستير)

نادية هانم حسني صقر

تاريخ مدينة الطائف في العصر الجاهلي وصدر الاسلام . القاهرة ، جامعة عين شمس
كلية البنات . ١٩٧٦
(ماجستير)

نجد وعلاقتها ببريطانيا والدولة العثمانية على عهد الامير عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢ —
١٩١٤ — في
الامارات العربية في الخليج الفارسي ١٨٤٠ — ١٩١٤ اعدادا جمال الدين زكريا قاسم .
القاهرة جامعة عين شمس ، ١٩٦٤
٥٣٩ ص

(دكتوراه)
(٢٤٤٢)

لمجدة قاسم الضباغ

بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الاول . القاهرة . جامعة القاهرة — كلية الاداب .
١٩٦٩
١٦٦ ص
(ماجستير)
الاحوال السياسية في بلاد الحجاز ، التنظيمات الادارية والاقتصادية ، المظاهر الاجتماعية .
(٢٦٤٧)

نعمات الطيب سليمان

الحالة الاجتماعية في عهد عمر بن الخطاب . القاهرة . جامعة الأزهر ، ١٩٦٩
٢٣٨ ص
(ماجستير)
الاسلام والعدالة الاجتماعية ، اشتراكية عمر بن الخطاب أو عدالته الاجتماعية ، مقارنة بين

دليل المؤلفات في الإسلام في الإسلام

اشتراكية عمر وأهم الاشتراكيات المعاصرة

(٣٦٤٦)

ياسين صالح اندليري

تنمية القوى البشرية في ضوء سياسة الاستثمار في التعليم مع دراسة تطبيقية في مجتمع
عاصمة المملكة العربية السعودية (الرياض) . القاهرة ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب .

١٩٧٥

(دكتوراه)

يوسف علي يوسف

اغراض الجهاد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . القاهرة . جامعة الأزهر . كلية اللغة

العربية . ١٩٣٤

ص ٨٢

(تفصيص)

مشروعية الجهاد . استطلاع اخبار العدو وارهابه . الدفاع . معالجة العدو قبل ان يستعد تأمين
المسلمين . القصاص وحماية الدعوة .

(٢٢٤٢)

ابراهيم جاب الله

حياة سيدنا عمرو بن العاص . الصحابي الجليل والقائد الاسلامي العظيم فاتح مصر
والشام والمغرب . القاهرة ، جامعة الأزهر — كلية اللغة العربية . د. ت

٣٧٩ ص ()

(تفصيص)

سيدنا عمرو في الجاهلية

سيدنا عمرو منذ اسلم الى نهاية عهد النبي صلى الله عليه وسلم

سيدنا عمرو في عهد سيدنا ابي بكر

سيدنا عمرو في عهد سيدنا عمر بن الخطاب

سيدنا عمرو في عهد سيدنا عثمان بن عفان

سيدنا عمرو في عهد سيدنا علي وسيدنا معاوية

(٣٦٥٠)

ابراهيم شادة محمود الخواجة

عمرو بن الورد في حياته وشعره . القاهرة . جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٧٢ .
ص ٣٢٥

(ماجستير)

الشاعر : قبيلته ، حياته ، صملاكته
الشعر : مصادره ، موضوعاته ، خصائصه الفنية

(٢٨٥٧)

احمد ابراهيم الشريف

تاريخ الحجاز في القرنين الاول والثاني للهجرة ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة من
عامة قريش حتى عصر المهدي العباسي . القاهرة . جامعة عين شمس — كلية الاداب .
١٩٦٧ .
ص ٤٤٣

(دكتوراة)

السيادة القرشية في الحجاز قبل الهجرة ، مكة قبل الاسلام . يثرب قبل الاسلام ، موقف
قريش من الدعوة الاسلامية ، قيام الدولة الاسلامية في حياة النبي ، قيام الخلافة ، قمع
الردة الفتح الاسلامية ودواعيها ، التنظيم المالي وانشاء الديوان ، الفتنة الكبرى ، الحروب
الاهلية . الصراع بين علي وخصومه ، خروج العاصمة عن الحجاز ، ومحاولات الحجاز
لاسترداد مكانته السياسية .

(١٢٤٩)

ملخص الأبحاث بالإنجليزية

مطابع دار الهلال للوفعت
الرياض : تلفوت ٢٨٥٦٨

I think we are now in a position to state that in Arabic literary heritage we have evidence enough to explode the theory that the Arabs were alien to the dramatic art. All the examples given in this short survey can be performed on the stage. They are rich in dramatic content. They just need the modern techniques of the theatre and highly experienced actors who possess enough knowledge of the historical background of those works. Hence we can bring out our classical drama to the world.

Translated and abridged by

Said Abdul Aziz Abdullah.

Al-Zawabe' or "The Message of Demons" The author is Ibn Shahid Al-Andalousi, (of old Arabic Spain). He wrote his message in rhythmic prose. It is an imaginary journey to the underworld where the writer meets the famous pre-Islamic Arab poets. In an exquisite dialogue he criticizes those poets and describes the underworld in an interesting way.

In the other example "Resalat Al-Ghufran" by Abu Al-Ala' Al-Ma'rri we have a text characterised mainly by dramatic action and dialogue. In the first part the author sends his hero to paradise where he meets philologists and poetry-relaters, then he moves him to a scene in hell where he could see examples of people whom the author hates most especially hypocrites and pretenders.

Similar to these but more compact in its dramatic plot we have a play by the ironic Arab writer Mohammad Al-Wahrani who came to Egypt from Sicily and Syria during the reign of Sultan Salah al-Din. The work titles "The play of the Day of Judgment. It consists of thirteen scenes. The author imagines himself on the Day of Judgment and the return to life after death or resurrection. The author is brought to life with all living things, taken to the place of great gathering (al-Mahshar) and the long standing in the presence of Allah. He describes how terror-stricken the sinners feel. He meets so many people of olden and present times. Among them are men of letters, poets, philosophers, Kings and Sultans. He also meets some angels, then he goes up the Heights overlooking Paradise. The scenes follow successively. In one he could see the torture of three sinners. In each scene the author converse with different people. The play suddenly ends when the author gets up frightened from his sleep.

An ironic tone prevails throughout the parts of the play. All moral deficiencies he had them embodied in examples of people whom he hates. Then he proceeds to show us how humiliated they are on the Judgment Day.

.....

considered a direct dramatic performance from beginning to end. It was undertaken by one single actor, its audience being people in a club, the caliph's court, a lecture-room, or places of nightly chat. All 'Maqamat' were first-class dramatic works that could be performed on the stage. They had long dialogues, plots growing to a climax, then a final solution or denouement.

'Al-maqama' did not lack the dramatic conflict, full of human emotions of love and hatred, of happiness and distress, and of content and revolt.

Among the famous "maqamat" are those of Al-Jahez, Al-Hamazani, and Al-Hareeri.

To Dr. Abdul Hamid Yunis those 'maqamat' are plays in the sense that a play is a collective art and an expression of society symbolised by the values and facts their characters represent. In this 'Al-maqama' provides a pioneering start for the story and the novel as well as the acting art in Arabic literature.

Among the best of these, as already stated, are those fifty 'maqamat' written by Al-Hareeri during the close years of the fifth and the beginning of the sixth centuries Hijira. The main character is that of Abu Zeid Al-Surugi, a man who had devoted himself to literary studies until life depressed him. His income from the literary profession could not provide for his needs. He deserted his birthplace, Surug, in disguise, wandering in distant lands. He used to change his manners and apparel according to situations. At one time he would be a beggar asking for charity. At another he would be a swindler selling charms and spells, and at other times he would be a preacher exhorting people to do good or a humbug full of trickery and crooked ways, and so on. In every 'maqama' the author presents a different character played by the same hero with difference in style, language, tone and clothes. All of them provide a true expression of the society and age in which the author lived.

To give other two examples of Arabic dramatic writings that can be performed on the stage, we have 'Resalat Al-Tawabe' wa

In the end the audience would bring him a man to personify Mu'Awiyah ibn Abu Sufyan, the founder of the Omayyad Caliphate and usurper of authority from the Hashemites. The Sufi would denounce his deeds and order him to be put in the dark in repayment of his deeds. The same he would do with his son Yazeed.

When Girgi Zeidan comments upon the scene he says it contains many dramatic elements: the imitation of persons and deeds, the instructions a director gives to a group of actors, a place for the actors and another for the audience, a story told and a lesson taught after which the spectators disperse satisfied and pleased.

History tells that in the court of the Abbaside caliph Al-Mu'tadhed Billah a story-teller called Ibn Al-Mughazali used to identify himself with the characters of his tales. In the Caliph's presence he would play the part of an Arab, of a Turkish, or a negro and of people belonging to different races or social classes. He was a complete play in himself:

.....

Dramatic features in Arabic poetry and epics

Dr. Zaki Al-Mahasni maintains, in his book "Heroic Literature and the Arabic epic" that Arabic poetry represents the life record of the Arabs and the source of their pride. It has many dramatic features. These can be found in the "Seven Mu'allaqat", (some of the oldest collection of complete Arabic poems). We can also find epic poetry in the Arabic literature of Spain and in the heroic poetry of Abu Taleb ibn Abdul Gabbar from Morocco whose poem of 508 verses inspired Spanish and French poets of the Middle Ages. In all this poetry we find dialogue, dramatic personae, growing action, and direct and implied meanings.

"Al-maqamat" as dramatic literature

'Al-maqama' is an old form of Arabic literature written in rhythmic prose. Dr. Ali Al-Ra'i wrote in his book "The Arts of Comedy" that since pre-Islamic times 'Al-maqama' has been

expressed in prose or verse, and the performance done by all kinds of expression: singing, acting, change of apparel, imitation of sounds and movements; and everything in front of an interested and responsive audience.

Dr. Ahmed Kamal Zaki says, in his book "Legends," "Before Islam the Arabs used to worship idols and graven images. They believed either in their power to safeguard them against fate and bring them rain or as a means to a more powerful forces. Like the ancient Egyptians, Greeks and Romans, the Arabs had their own fabulous tales about their gods. But, unlike them, very little of these Arab fables remained. An example is the Iraqi epic 'Gilgamesh' which came one and half centuries before Homer's epic. It tells about the heroic and tragic life of its protagonist 'Gilgamesh', a tragic hero famous in world literature, an embodiment of man's search for the mystery of life and the tragedy of human existence.

.....

Evidences to prove the Arab acquaintance with the dramatic art

We have already referred, at the start of this article, to the first evidence, namely the Arab seasonal literary celebrations of Okaz etc, which, used to extend one month after the pilgrimage.

Girgi Zeidan tells that a man from Baghdad used to go up a hill twice a week outside the city with some people around him. The man was a mystic or a 'Sufi'. A dialogue would start between him and his audience as follows: The 'Sufi': "The prophets, do you know where their dwelling is? Are not they now in the loftiest heaven?" The audience would answer: "For sure, of course".

The Sufi, then, would ask a companion to sit down before him and to identify himself with Abu Bakr, the first Caliph in Islam. Then he would extol his deeds and order him to be sent to the loftiest heaven. The Sufi would do the same with Othman ibn Affan and Ali ibn Abi Taleb, the third and fourth caliphs.

epics like Homer's *Odyssey* and Al-Ferdaws's *Shahnama*, but, unfortunately, most of these had disappeared before the time came when poets could record their verses after Islam."

"In Arabic literature we still remember the story-teller who used to sit among his audience who would respond to his tales and exchange dialogue with him. The story teller was, in this case, an actor using all cleverness and talents to impress his audience. He would change his tone, moves and gestures with the development of events. He would play the parts of all the characters of his story. His stage would be the courtyard of a mosque, the entrance of a house or the market-place of a town. The audience would be any number of passerby."

Dr. Taha Hussein in his book "Sidenotes on the Biography of the Prophet" stresses the fact that the Arabs had known the story and the novel early from the days of Caliph Omar Ibn Al-Khattab. Even in pre-Islamic time the Arabs knew these and experienced the long narrative poem as well, which developed throughout Arab history. Many characteristics of narrative poetry can be found in Arabic poetry. That poetry was a mirror which reflected the social life of the Arabs, especially in poets like Gareer, Al-Farazdaq and Al-Akhtal, the same role that the *Iliad* and the *Odyssey* played for the Greeks.

The Pakistani thinker Mohammad Iqbal said in his book "Religious Revival in Islam": "Europe had been somewhat slow in understanding the Islamic roots of her scientific methods of research. In almost every phase of European flourishing civilization we can trace definite Islamic cultural impressions or Arab intellectual influences. It was these Arab influential factors that paved the way for scientific discoveries, experimental sciences, and the fine arts. During the heyday of Arab civilization libraries were full of all kinds of books on tales, magic and superstitions. In their night chat people used to have story-telling, songs, music, dance and vocal recitals. They used to talk about olden times, about wars that broke and ended, empires that rose and fell and about victories brought about through heroic deeds. In all this we had a mix of fancy and reality

seclusion and are not to show themselves without a veil. This constitutes a negative factor in the play of drama or the foundation of the theatre.

Dr. Mohammad Mandour, in his book "The Theatre" states that Arabic literature has almost entirely been in poetry with very little prose, and that it had two characteristics: rhetoric and sensational description, a natural product of the predominant kind of life. It follows, therefore, that dramatic poetry based upon dialogue of different tones, upon characterization and creation of situations through sequences of events, and not only upon high sounding rhetoric and mere flat sensational delineation, could not have been possible.

In support of the same line of arguments Dr. Sahair Al-Qalamawi raises several points in an article published in the Egyptian "Al-Majalla" (n° 111). They might be summed up as follows:

"The Arabs are by nature inclined to the absolutes, their mind being synthetic not analytic, whereas playwriting requires an analytical mind. In Islamic culture there is no discrimination between people on race, origin, or colour basis except that of their true faith. It is unlikely, then, for a dramatic conflict to exist, not even grow; for multiplicity of gods, for any belief in the tragic fate of man emanating, as in Greek mythology, from man's struggle with gods. A Moslem lives in peace with the One Almighty God. However, his complete submission to Fate does not stand as a barrier between him and his ambition or struggle for a better life, but all without the sense of the tragic.

.....

Contrary to these views a number of leading Arab and non-Arab Moslem writers confirm the idea that the Arabs were acquainted with dramatic writings and the theatre. Among them are Girgi Zeidan, Taha Hussein, the Pakistani thinker and poet Mohammad Iqbal and Dr. Ahmed Kamal Zaki.

Girgi Zeidan stressed the idea that the Arabs have versified

between man and man. We can never expect such a writer to imagine people or put them in a tragic conflict." "It is characteristic of the Orient that values of the community, be it a tribe or else, were those of the individual, and that the latter had no right for a separate identity. However, this was not the case with the Greeks who regarded the individual as the centre of creativity."

In support of this Abbas Mahmoud Al-Akkad says in his book "The Arab Impact on European Civilization":

"Acting is an art closely related to social life. As the Arab environment was simple and with no multiplicity of workcrafts or complexity of social classes the art of acting or dramatic writing was unlikely."

Tawfiq Al-Hakim says in the introduction to his play "Oedipus King" that the Arabs never knew the art of playwriting or had any theatre. This was due to the nature of their wandering, unsettled bedouin life, a condition against the existence of any theatre and drama. However, even when they settled down in Baghdad, Damascus and other metropolitan Arab centres, and got into contact with the Greek and Ondan cultures they remained stuck to a national and historic pride glorifying their intellectual past. In this way pre-Islamic poetry continued to be their ideal example in rhetoric and self-expression."

Mahmoud Taymour adds to these arguments that when the Arabs started to translate from foreign cultures, especially that of the Greeks, they disregarded that part of Greek literature which could not be assimilated into the Islamic culture, namely Greek mythology, embodying the pagan beliefs of the Greeks on their gods, the Creation, and the universe. To them, the Greeks went too far in interpreting the relationship between man and his Creator in terms of a tragic fate.

In his "The Dawn of Islam" Ahmed Amin relates the absence of dramatic writing in the Arab Islamic thinking to religious factors. In Islam it is irreligious to make pictorial forms of living creatures. The same applies to personification of human qualities, or spirit. Also in Islamic social life women should be kept in

THE HISTORY OF ARABIC THEATRE

by
Kamal Mansour

.....
Translated and abridged by
Said Abdul Aziz Abdullah

Views do differ on the history of Arabic theatre. Some writers deny that the Arabs ever knew the dramatic art before the 19th century when the French campaign conquered Egypt in 1798 and brought some acting groups. This, in their opinion, represented the first beginning of this art in the Arab world.

On the other hand, counter views affirm that the Arabs, even in pre-Islamic time were acquainted with one sort or another of literary dramatic writings and theatrical performance. First, the Arabs had those seasonal literary contestations of Okaz, Zul-Magaz and Meganna where poets used to recite their poems or tell their tales striving for superiority. Big audience used to attend those literary contestations. The poems recited and the tales told did not lack dramatic ideas and spirit. The poet used to use his powers of expression to be more effective. A contest might arise between him and another poet each striving to captivate the attention of the audience, thus creating a sort of dramatic dialogue.

Pros and Cons

Now we may summarise the arguments for and against the theory that Arabic literature has never known dramatic writing.

In his book "Qushur Walubab" i.e. "The Peel and the Core," Dr. Zaki Naguib Mahmoud, an Egyptian professor of philosophy, maintains that "The Arabs never knew the dramatic or novel writing simply because of their unawareness of the peculiarities that distinguish an individual from another. When a writer is brought up and lives in such a cultural atmosphere that denies the individual identity of persons we can never expect of him to draw upon the minutes that characterise a man or differentiate

ponding to 1367 (A.D.). His second journey was in the year 1367 (A.H.) corresponding to 1948 A.D. He was despatched by the Egyptian Government as a Minister-Plenipotentiary of his country in the Egyptian Legation in Jedda. In his second journey he was able to rove in Hijaz and Nejd.

The journey of Bint Al Shatae "The Land of Miracles – A Journey in the Arabian Peninsula." was made in 1951 as a response to an original aspiration in the writer's mind to visit the sacred lands.

These journeys differ as a matter of fact from the points of view corresponding to the idea and the style of each writer.

Some of these journeys concentrate on spiritual meditations. Other journeys are near to scientific trips when they deal with geographical sites, tribes and their accents.

The press journey has its own information characteristics in discovering the unknown facts, lauding the progress and development of the country.

In this respect Dr. Aisha Abdul Rahman (Bint Al Shatae) expressed her astonishment as to the big progress achieved by the Kingdom of Saudi Arabia in 1951 A.D. when the aeroplane replaced the camel in joining the distant parts of the country.

In her second journey in 1972 A.D. Dr. Bint Al Shatae expressed her pleasure and wonder to the big leap achieved by the Saudi woman in the field of science where she left her in 1951 an ignorant, lazy and underdeveloped human being cowering behind walls.

Kheir El Din Al Zarkaly Journey "What I Saw and Heard" is a political one though his advent to Hijaz was rather as a political asylum. Zarkaly said that he had escaped from Damascus after the defeat of the Syrians in the battle of Maysalun in 1920 and headed for Egypt via Palestine. Al Zarkaly was interested in history, monuments, the tradition of the bedouins and their literature rather than politics. He was not sure that Al Hussein was capable of changing the status quo in Syria or cancelling what had been agreed upon between Britain and France.

Thirdly

The Press Journeys

We mean by press journeys, the trips made by some Arab journalists and literary men to the Arab Peninsula every now and then to cover the news of some important occasions or just for curiosity. These visits are paid upon an official invitation from the government or on a personal initiative by the writer himself.

The first important occasion in this respect took place in the Saudi era in the year 1344 (A.H.) corresponding to 1926 (A.D.) when the first world Islamic conference was concluded in response to the invitation of the late King Abdul Aziz Al Saud.

Among the contributions done in this respect was a book entitled "Inside Nejd and Hijaz" by Mohammad Shafik Effendi who described it as "a series of political, social, and religious essays including facts, sightseeing tours inside the Arabian Peninsula" and were published in "Assiyassa newspaper."

In 1930 (A.D.) Ibrahim Abdul Kader Al Mazni the famous literary man paid a visit to Hijaz named by him "A Journey to Hijaz" In it he did not mention the causes of the visit, but pointed out to the celebration on the occasion of the pledge of allegiance to Abdul Aziz to be a king of Hijaz. He also spoke on the banquet entertained by "Prince Faysal" the Vice-Roy in Al-Kandara Palace.

Abdul Wahab Azzam visited Saudi Arabia many times. His first journey was in company with Fouad First University to perform the religious duty of pilgrimage in 1356 (A.H.) corres-

Thus we could classify modern Arabian journeys either according to historical eras or according to their objectives and goals. We prefer the objective classification. The modern Arabian journeys could be classified into three categories:

- (1) Pilgrimage and visits Journeys.
- (2) Political Journeys.
- (3) Press Journeys.

We shall talk on each category, its objectives, its historical circumstances and general characteristics.

First

Pilgrimage and visits Journeys

Writers inspire the subject matter of their books from the names of the holy shrines: "The Mirror of the two Holy Places", "The Hijazi Journey" "In the House of Revelation" etc...

The Journey of the pilgrimage and visit was developed in its objectives by Mohammad Hussein Heikal. He chose the required elements required to serve his aim and his personal attitude.

Secondly:

The Political Journeys

The only Arabian journey that was political **from** the beginning to the end is the famous journey of Amin ElRihany "Kings of the Arabs or a Journey in the Arabian Peninsula". He started his journey by visiting Hijaz on the fifth day of February in 1922 corresponding to the eighth day of **Rajab** 1340 A.H. The author asserted in the introduction of his book that his aim is a contribution to **The Arab Cause** and to make the Arab rulers acquainted with each other. Al Rihany was the first to travel through the competing Arabian Emirates. Despite his failure in political objectives, he achieved big success in the writing of his journey and recording that important stage in the contemporary history of the Arabian Peninsula".

history of the two sacred cities during the past ages, the rest of the Arabian peninsula had lost the motives of the journey. Thus these places remained unknown and unheeded until recent times. For this reason Taif despite its historical relations with the beginning of the call and the propagation of Islam and its nearness to the holy city of Mecca; its history had been overlooked.

At the beginning of this century, a new trend had taken place. The journeys of the Arabs in this century have pictured three different political eras: The Turkish era that ends with the Arab revolution in 1916 and the Hashemite era from 1916 to the date of King Abdul Aziz's conquest to Hijaz in 1924 and the Saudi era which begins in Hijaz since that date up to now. The first era is represented by two journeys: The journey of Ibrahim Rifaat Pacha entitled "Mirror of The Two Sacred Shrines" that comprises four journeys made by the writer in the years 1901, 1903, 1904, 1908. The second journey was that of Mohammad Labib El Batanouny made by him to Hijaz in company with Khedive Abbas Helmy at the end of 1909.

The Hashemite era was represented by three journeys: the journey of Imam Mohammad Rashid Reza to Hijaz at the beginning of AlHusseini's revolution on the Turks in 1916, the journey of Amin AlRihany "Arab kings or a Journey in the Arabian Peninsula" in 1922, and the Journey of Kheir ElDin AlZarkaly "What I Saw and Heard".

During the Saudi era there were numerous and various journeys as: Ibrahim Abdul Kader AlMazni's "Journey to Hijaz" in 1930, the journey of prince Shakeeb Arsalan entitled "Nice Feelings in the Mind of the Hadji on his way to The Holiest Shrine" in 1930, the journey of Mohammad Hussein Heikal "In the House of the Revelation" in 1936 and the journey of Ahmad Hussein "My Sightseeing tour in the Arabian Peninsula" in 1948; and the journeys of Bint Alshatae "The Land of Miracles — a Journey in the Arabian Peninsula" in 1951 and her second trip in 1972, and the journey of Dr. Mohammad Badae Sherif "In the House of Revelation in 1963."

The writer has the option to write as he likes and in the manner he wants. Hence the journeys in fact is high by diaries in which its writer records spontaneously what he witnessed, heard and perceived in a certain period of his life. The journey is a limited period in the lifetime of a human being. It often begins with a date and ends in a date. The journey may last days or months or years. But some of them may deviate from spontaneity to the scientific research method. Under this category lies the journey of Mohammed Hussein Heikal " In the House of Divine Inspiration". This contribution amounts to hundreds of pages despite the small period had spent in Hijaz. The author prepared the materials of his book a long period before his departure to Hijaz. There is another category of journeys written in spontaneity. Among the best books written in this respect is the Journey of the literary man Ibrahim Abd ElKader AlMazny to Hijaz in 1930 A.D. In this journey you can find a lot of the features of his personality, its violence, its release, its sarcasm and rebellion. He writes in a novelistic style and uses the device of the dialogue perfectly to the degree that you find yourself before a magnificent painting or in front of a movie throbbing with life.

New Journeys: their motives and kinds

The relations of the Arabs with the Arabian Peninsula are ancient since the dawn of Islam. Moreover, they extended to the pre-Islamic paganism where groups of the inhabitants of the peninsula migrated to settle down outside their mother land in Syria and Iraq. The Arabs after the Islamic conquest penetrated into the depths of distant places as they were not satisfied to live only on the borders of their semi-desert places. They bear now a new message which rendered them masters while they were previously content with dependence on Persia and the Eastern division of the Roman Empire.

Pilgrimage is the principal factor that attracts many moslem travellers caravans to Hijaz during ancient times: Ibn Jubair, Ibn Battuta, Ibn Al Mujawer, Al Ayashi and others.

If pilgrimage, and perhaps the desire to learn helped keep the

THE ARABS JOURNEYS TO THE ARABIAN PENINSULA

(Kingdom of Saudi Arabia)

by

Dr. Mansour I. Al Hazimy

Translated by: Sabry Ibrahim

Arabs excelled other surpassing nations by their contribution in the field of Journeys. The extensiveness of the Islamic nation, its flourishing in commerce, agriculture, progress in scientific and cultural arena helped them in achieving their goal. Moreover, the religious factor which motivates moslems to go for pilgrimage and visiting the sacred shrines helped enrich the Arabic library with dozens of manuscript and printed books on Journeys that confirm the ancient Arabs interest in this kind of writing.

Some researchers classified Journeys according to their subjects namely:

(1) Hejazi Journeys. (2) Tourist trips (3) Official trips. (4) Scholastic trips. (5) Monuments trips. (6) Exploratory journeys. (7) Visiting trips. (8) Political journeys. (9) Shrines trips. (10) Indexed journeys. (11) Scientific journeys. (12) Itinerary journeys. (13) Imaginative journeys. (14) Ambassadorial journeys. (15) General journeys.

There is another view in the classification of the Arab Journeys. It is more accurate, comprehensive and flexible when applied into practice.

The journey is either subjective or objective. The first pertains to the personal experiences and events that affect his thought and inner feelings. The second concentrates on the registration of things devoid of the self. Under the second category the Arab geographers wrote their contributions in the science of "Routes and Realms". They were interested, in the measurement of distances and roads, the description of countries with respect to their agricultural, economic, political and urban aspects. Thus the "objective" journey in this sense is near to a scientific report.

A D D A R A H

Notice :

- All Correspondence should be directed to the Editor in- Chief
P. O. Box 2945 — Riyadh
- Articles are arranged technically, regardless of the writers' prestige.
- This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

— Price :

- a) **In Saudi Arabia :**
2 Riyals a copy.
15 Riyals per annum.
- b) **In Arab Countries :**
The equivalent of 50 S. piastres a copy.
The equivalent of 15 riyals per annum.
- c) **Non Arab Countries**
\$1 a copy.
\$6 per annum.

ADDARAH

QUARTERLY JOURNAL

by

**King Abdul Aziz Research Centre
Concerned with**

**the Intellectual and Historical Heritage
of the Kingdom and the Islamic World.**

EDITOR IN CHIEF
MOHAMMAD HUSSEIN ZEIDAN

EDITORIAL BOARD

**ABDULLAH BIN KHAMIS
Dr. MANSOUR AL-HAZIMY
ABDULLAH BIN IDRIS
ABDULLAH AL-MAJID**

Editorial Secretary
ABDUL-RAHMÁN-AL-SARRA

**FIFTH YEAR
NO : 3**

**RABI, THANI 1400
MARCH 1980**

**RIYADH
KINGDOM OF SAUDI ARABIA**

**P.O.B. 2945
TEL: 38646**

AD DARAH



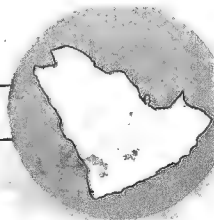
QUARTERLY JOURNAL by KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE
VOLUME 3 (5) 1400 A.H./1980 A.D.

IN THIS ISSUE

- 1 — Sheikh M. Ben Abdul-Wah ab and The Effect Of His Call in West Africa.
- 2 — Heritage Revival Movement After the Unification of Arabia.
- 3 — The Arab Journeys to The Arabian Peninsula.
- 4 — The Dramatic Art in The Arab History.



طابع و النشر في الرياض
الرياض : المطبعة ١٤٠١



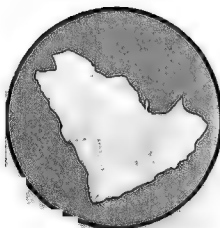


الدائرة

مجلة ربع سنوية تصدر عن دائرة الملك عبد العزيز
العدد الرابع/ السنة الخامسة/ رجب ١٤٠٠ هـ/ يونيو ١٩٨٠

من محتويات العدد

- حركة إحياء التراث بعد توحيد البحريرة.
- على هامش أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- الصلوات التاريخية بين الخليج العربي والمغرب الأقصى.
- نظام التصريف المائي في منطقة القصيم.
- الفيّنيقيون وإسهاماتهم الحضارية.



العارف

مجلة ربع سنوية تصدر عن دار الملك عبد العزيز
تعنى بتراث وفكر الملكة والجزيرة العربية
والعالم العربي والإسلامي معاه صلة بالجزيرة العربية

رئيس التحرير
محمد حسين زيدان

هيئة التحرير
عبد الله بن جميس
الدكتور منصور المحازمي
عبد الله بن إدريس
عبد الله الماجد

سكرتير المجلة
عبد الرحمن عبد العزيز الشراء

العدد الرابع / السنة الخامسة
رجب ١٤٠٠ هـ / يونيو ١٩٨٠
الإخراج الفني : محمد أبو الفتوح الخياط

الملك عبدالعزيز
المملكة العربية السعودية
طبعة ١٩٨٠
٥٨٦٤٦

محتويات

صفحة	
٤	افتتاحية العدد لرئيس التحرير
٥	أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة للشيخ مناع خلیل القطان
٢١	حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة للدكتور احمد محمد الضبيب
٢٩	التفرقة في الدين والعداوة بين أهله لفَضيلة الشيخ عبدالله بن محمد الخليلي
٣٢	على هامش أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور عبدالله العثيمين
٤٠	الصلات التاريخية بين الخليج العربي والمغرب الأقصى للاستاذ عبدالعزيز بنعبد الله
٥٤	حسن الأداء للدكتور ابراهيم السامرائي
٦٢	عملق الفيزياء للدكتور علي عبدالله الدفاع
٦٩	نظام التصريف المالي في منطقة القصيم للدكتور احمد عبدالرحمن الشامخ
٧٦	أثار الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ للأستاذ/أحمد بن حافظ الحكي
٩٧	أدب وتراث ... فكر وفن ... لغة وتاريخ للاستاذ/محمد ابو الفتح الحياط

● قيمة العدد في الداخل ريالان والاشتراك السنوي خمسة عشر ريالاً وفي البلاد العربية ما يعادل خمسين قرشاً سعودياً للعدد أو ما يعادل خمسة عشر ريالاً للسنه - في جمهورية مصر العربية خمسة وعشرون قرشاً - في خارج البلاد العربية دولار للعدد الواحد وسبعة دولارات للسنه

المحتوى

صفحة

١٠٦	أبو تمام في صناعته الشعرية	للدكتور زكريا صيام
١١٩	أبو عمرو بن أبي العلاء	للدكتور صلاح الدين صالح حسين
١٣٩	مرونة الاشتقاق في اللغة العربية الفينيقيون وإسهاماتهم الحضارية	للاستاذ/محمد رشاد خليل
١٦١	المملكة العربية السعودية والجامعة العربية	للدكتور حسن عبدالعزيز
١٨٥	النفوديسون	للاستاذ ابراهيم يوسف الشتله
٢٠٠	المسجد الأموى بدمشق	للاستاذ عصام ضياء الدين
٢١٤	تحفة الأردن الخالدة	للدكتور أحمد رمضان أحمد
٢٣٩	دراسة اقليمية لمنطقة تبوك	للاستاذ روكس بن زائد العريزي
٢٤٩	الخطيب البغدادي	للاستاذ خالد سعيد الدريس
٢٥٧	الشلى وكتابه عقد الجواهر	للاستاذ معالي عبدالحميد حمودة
٢٧٧	ملاحظات حول كتاب البلدان الاسلامية	للاستاذ يحيى ساعاتي
٢٨٧	حول دراسة في جغرافية المملكة	للدكتور عبدالرحمن حميده
٢٩٦	خلاصة الأبحاث بالانجليزية	للدكتور عبدالرحمن الشريف
٣٠٠		

ترسل الاشتراكات باسم أمين عام الدارة أما
لغلات والبحوث فترسل باسم رئيس التحرير
ترياض ص. ب. ٢٩٤٥ ترتيب المراسيل داخل
العدد يضع لاسباب فنية لا علاقة لها بمكاسبه
المكاسب - أراء الكتاب لا بالضرورة عن رأى المجلة



افتتاحية العدد

لرئيس التحرير

• بصدر هذا العدد نختم مجلة الدارة عامها الخامس لتبدأ بعون الله وفضله اعتباراً من العدد السادس العام السادس من عمرها فنية نشطة كالمعهد بها ، وسوف تظل مجلة الدارة بطابعها الأكاديمي وتطلعاتها العلمية ترجمة أمينة لكل جهود الباحثين والمتخصصين من رجالات الفكر والأدب والتراث .

وبهذه المناسبة نجدد عهدنا بباحثينا ومتخصصينا ليواكبوا تزويدنا بأحدث انتاجهم وما قدموه ويقدمونه خدمة للعلم والفكر فهي بهم وهم كما اعلن احتفالي بالنقد والأراء البناءة من القراء الأفاضل كتعبير عن حبهم للمجلة وحرصهم عليها .
واسأل الله التوفيق

محمد حسين زيدان

أثر الإيمان

والعبادة

في مكافئة الجرم

لفضيلة الشيخ مناع خلیل القطان
مدير الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله ، والحمد لله . والصلاة والسلام على رسول الله .

الحديث عن اثر العبادات في مكافحة الجريمة يقتضي منا ان نبين معنى العبادة . ومفهومها العام في الاسلام ، واثرها في سلوك الفرد ، ثم نبين الاثر السلوكي الخاص بكل عبادة من العبادات التي اصطلح عليها فقهاء الاسلام . وبهذا تتضح لنا الرؤية للتعرف على اثر العبادات في مكافحة الجريمة . ثم التعرف على اثر الايمان في حراسة الحق وحمايته .

معنى العبادة :

تدل مادة العبادة في اللغة العربية على الخضوع والتذليل والطاعة . ففي الصحاح اصل العبودية : الخضوع والذل . والتعبد : التذليل . يقال : طريق مصبد ... والعبادة : الطاعة .

وجاء في المخصص : والعبادة : الخضوع والتذليل والاستكانة ، قرائب في المعاني يقال : تعبد فلان لفلان : اذا تذلل له ، وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة . طاعة كان للمعبود او غير طاعة . وكل طاعة لله على جهة الخضوع والتذلل فهي عبادة . والعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه الا المنعم بأعلى اجناس النعم ، كالحياة والفهم والسمع والبصر . ويقول الراغب في مفرداته : العبودية : اظهار التذلل ، والعبادة : ابلغ منها لأنها غاية التذلل ، ولا يستحقها الا من له غاية الافضال ، وهو الله تعالى .

ويتضح من استقصاء مادة الكلمة في الاستعمال اللغوي الفرق بين العبودية والعبادة . فان العبادة لا تعني مطلق الخضوع كالعبودية . وانما تعني خضوعا خاصا يبلغ الغاية في تعظيم المعبود ، طاعة له وتذلا .

وفي اللسان : اصل العبودية : الخضوع والتذلل ... وفي حديث ابي هريره : « لا يقل احدكم لمملوكه : عبدي وامتي ، وليقل فتاي وفتاتي » هذا على نبي الاستكبار عليهم ، وان ينسب عبوديتهم اليه . فان المستحق لذلك الله تعالى ، رب العباد كلهم والعبيد . ويضيف شيخ الاسلام ابن تيميه في رسالة « العبودية » الى هذا المعنى اللغوي عنصرا آخر يتصل بالشعور الوجداني في عبادة الله . فيضيف الى التذلل والخضوع والطاعة معنى الحب . يقول ابن تيميه : « والعبادة : اصل معناها الذل ايضا ، يقال : طريق معبد ، اذا كان مذللا قد وطئته الاقدام ، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له ، فان آخر مراتب الحب هو التتيم ، واوله العلاقة ، لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم الصباية ، لانصباي القلب اليه ، ثم الغرام ، وهو الحب الملازم للقلب ، ثم العشق ، وآخرها التتيم ، يقال : تيم الله اي : عبد الله ، فالتتيم : العبد المحبوه » .

ثم بين ابن تيميه انه لا بد لتحقيق معنى العبادة من امرين : الخضوع والمحبة . ولا يستحق تمام الخضوع والمحبة الا الله . يقول : « ومن خضع لانسان مع بغضه له لا يكون عابدا له ، ولو احب شيئا ولم يخضع له ، لم يكن عابدا له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ، ولهذا لا يكتفي احدهما شيئا ولم يخضع له ، لم يكن عابدا له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ، ولهذا لا يكتفي احدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب الله ان يكون احب الى العبد من كل شيء ، وان يكون الله اعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام ، الا الله ، وكل ما احب لغير الله فمحبة فاسد ، وما عظم بغير امر الله فتعظيمه باطل . قال الله تعالى : (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى صوا حتى يأتي بأمره) » (١) .

وبواصل الحديث عن حقيقة العبودية ومقتضياتها ، من التزام شرع الله والانقياد لله عن حب ورضا فيقول : « وانما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويجب ما احبه الله ورسوله ، ويبغض ما يبغض الله ورسوله ، ويوالي اولياء الله تعالى . وبعادي اعداء الله تعالى ، هذا الذي استكمل الايمان كما في الحديث : « من احب الله ، وأبغض الله واعطى الله ومنع الله ، فقد استكمل الايمان » (٢) وقال : اوثق عرا الايمان الحب في الله والبغض في الله » (٣) وفي الصحيح : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ، ومن كان يكره ان يرجع الى الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار » (٤) .

مفهوم العبادة في الاسلام :

يتناول مفهوم العبادة في الاسلام الدين كله . فان حقيقتها الشرعية على النحو الذي بينه ابن تيميه تعني كمال الطاعة والخضوع والحب ظاهرا وباطنا لله تعالى ، وهذا يشمل شئون

الحياة كلها ، امتثالاً لشرع الله ، وانقياداً له ، وطلباً لمرضاته ، ولذا عرفها شيخ الاسلام بقوله : « العبادَة : هي اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصديق الحديث ، واداء الامانة ، وبر الوالدين ، وصلة الارحام ، والوفاء بالعهود ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل ، والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة ، وامثال ذلك من العبادَة وكذلك حب الله ورسوله وخشيته الله والانابة اليه ، واخلاص الدين له والصبر لحكمه ، والشكر لنعمة ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه . وامثال ذلك ، هي من العبادَة لله » .

فأنت ترى بهذا ان مفهوم العبادَة يشمل طاعة الله والاذعان له في امور الدين كلها ، يستوى في ذلك الفرائض والنوافل ، واعمال الجوارح واعمال القلب ، والسلوك العام الذي نسميه بالاخلاق والفضائل ، وسائر ما جاء به الدين من احكام في المعاملات والعقوبات بل في نظام الحكم وعلاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب .

ان العبادَة بهذا المفهوم هي الانقياد التام لله تعالى امرأ ونهيا ، اعتقاداً وقولاً وعملاً ، فلا يكون الانسان عابداً لله الا اذا كانت حياته قائمة على شريعة الله يحل ما احل الله ويحرم ما حرم الله ، ويخضع في سلوكه لهداية الله ، ويتجرد من حظوظ نفسه وهواه .

وليس مفهوم العبادَة محصوراً في العمل التعبدى المحض الذي تعارف عليه كثير من الناس في الصلاة والزكاة والصيام والحج وتلاوة القرآن والذكر والدعاء والاستفسار ، فان دائرة العبادَة اوسع من ذلك وارحب وقد يكون الانسان عابداً لله وهو يمارس الامور المباحة من شئون الدنيا البحتة اذا صلحت نيته وكان له قصد مشروع .

يضرب المسلم في الارض ابتغاء رزق الله وطلباً للكسب من وجوهه المشروعة ، يقتات لنفسه ولعاليه ، فيكون عابداً لله مر على النبي صلى الله عليه وسلم ، رجل فرأى اصحاب رسول الله من جلده ونشاطه فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا في سبيل الله ؟ فقال : ان كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعنها فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان ^(٥) ويقول صلى الله عليه وسلم في فضل

الزرع والغرس : ما من مسلم يغرس غرساً او يزرع زرعاً فيأكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة ^(٦) وقرن الله تعالى الذين ينتقلون طلباً للرزق بالذين يجاهدون في سبيله (وأخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وأخرون يقاتلون في سبيل الله) ^(٧) .

ويستمتع الانسان المتعة الحلال استجابة لغريزة الجنس واداء لحق الزوجة ، واحساناً للفرج وابقاء للنوع الانساني فينباله بذلك الاجر ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته : وفي بضع احكامكم صدقة ، قالو : ايأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر ؟ قال : ارايتم لو وضعتما في حرام اكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم ، قال : كذلك اذا وضعهما في الحلال كان له اجر ^(٨) .

فالعبادة في الاسلام تتناول الوان النشاط الانساني بضروبه المختلفة . حيث يجعل المسلم طاعة الله غاية الحياة التي يسعى اليها ، ويعتبر هذه الغاية مثله الاعلى وهذا يفسر لنا قوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)^(٩) .

ان الدين يدعو الى تحرر النفس البشرية من اي سلطان يؤثر عليها في سلوكها حتى تخلص عبوديتها لله وحده . وهذه هي الدعوة التي وجهها الانبياء الى قومهم (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)^(١٠) فما من رسول بعثه الله الا ودعا قومه الى افراد الله تعالى بالعبادة (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)^(١١) .

(وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون)^(١٢) وتقسيم الفقهاء احكام الشرع الى عبادات ومعاملات تقسم اصطلاحا في اقتضاء طابع التأليف العملي ليفرقوا بين نوعين من الاحكام : نوع تعبدى امر به الشارع وحدده فليس لأحد ان يتتعد فيه اذ لا يلفت فيه الى المعاني والمقاصد حتى تسع دائرته ، وهذا هو الذي يسمى بالعبادات ، فالاصل في العبادات الحظر والمنع ونوع آخر ينظم علاقات الناس في حياتهم بين الشارع اصوله وقواعده ، وأشار الى مقاصده ، وتتجدد صورته بتجدد الزمن وهو الذي يسمى بالمعاملات ، والاصل فيها الاباحة ، وكلا النوعين عبادة ، ولكن هذا التقسيم الاصطلاحي هو الذي ادى بكثير من الناس الى حصر العبادة فيما يتناوله فقه العبادات من احكام دون فقه المعاملات والحق ان الجميع دين تجب طاعة الله فيه ، وان اداءه وفق شريعة الله عبادة ، ولا تتحقق عبادة الله وحده الا اذا خضع الانسان في كل شأن من شئون حياته لما يجه الله ويرضاه .

أثر هذا المفهوم العام للعبادة في مكافحة الجريمة :

اذا كانت العبادة بمفهومها العام تتناول ما جاء في دين الله من امر ونهي فان امتثال اوامر الله ونواهي في كل شأن من شئون الحياة امر لا بد منه لتحقيق معنى العبودية لله ، وقد نهى الاسلام عن كل ما فيه ضرر وأذى بدءا بالصغائر ونهاية بالكبائر . وهذا يشمل الجرائم

المتعارف عليها كلها . وجاء هذا النهي في صورة متعددة من اساليب البيان العربي في القرآن الكريم ، وفي السنة الصحيحة تارة بالاجال ، واخرى بالتفصيل .

نهى الاسلام عن الفواحش ، ظاهرة وباطنها (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن)^(١٣) قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن^(١٤) والقاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال .

وحفاظا على سلامة المجتمع ، وصيانة مسامحه عن الفحش جاء النهي عن اشاعة الفاحشة بالوعيد الشديد على ذلك (ان الذين يجون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون)^(١٥) .

وجاء النهي عن الاثم والبيغي والعدوان والمنكر والاثم : اسم للافعال المبطنة عن الثواب ، والبيغي : تجاوز الحق الى الباطل . والعدوان : الاختلال بالعدالة في المعاملة . والمنكر : كل ما عرف بالشرع والعقل قبحه .

(قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق) (١٦) .

(ان الذين يكسبون الائم سيجزون بما كانوا يقترون) (١٧) .

(وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) (١٨) .

(ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) (١٩) .

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (٢٠) .

وحرم الاسلام الظلم بجميع صوره وبين مغيبته ، وسوء اثره في اهلاك الامم ، وعقوبة الله للظالمين ، والظلم : وضع الشيء في غير موضعه ومجاوزه الحد ، وذكر الراغب ان الظلم ثلاثة انواع : الاول : ظلم بين الانسان وبين الله تعالى ، واعظمه الكفر والشرك والنفاق ، والثاني : ظلم بينه وبين الناس ، والثالث : ظلم بينه وبين نفسه ، وهذا يشمل المظالم كلها . (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) (٢١) .

(ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) (٢٢) .

(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) (٢٣) .

(وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) (٢٤) .

وصان الاسلام الحقوق الانسانية العامة ، وبين حرمتها ، ونص على عقوباتها . وهي المعروفة بالكليات الخمس التي امرت الاديان السايوة بحفظها حفظ الدين ، والعرض ، والنفس ، والمال ، والعقل .

(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) (٢٥) .

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) (٢٦) .

(ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا) (٢٧) .

(وأحل الله البيع وحرم الربا) (٢٨) .

(الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) (٢٩) .

(ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) (٣٠) .

(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (٣١) .

(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) (٣٢) .

(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) (٣٣) .

(ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب) (٣٤) .

(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او

تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض) (٣٥) .

(انما الحر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) (٣٦) .

(والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) (٣٧) .

وبينت السنة النبوية تفصيل تلك النصوص القرآنية في احاديث كثيرة تبين حرمة المسلم على اخيه المسلم ، وتوضح الحقوق الانسانية التي صانها الاسلام ، وتفر من ارتكاب المعاصي والآثام ، قولا كانت ام فعلا :

(من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا) ^(٣٧) .
 (لكل غادر لواء يوم القيامة ، يقال : هذه غدره فلان) ^(٣٨) .
 (اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ،
 وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ،
 وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) ^(٣٩) .
 (لعن رسول الله صلى عليه وسلم أكل الربا وموكله) ^(٤٠) .
 (ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء) ^(٤١) .
 (من بدل دينه فاقتلوه) ^(٤٢) .

(خذلوا عني ، خذلوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفره
 عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم) ^(٤٣) .

وعن السائب بن يزيد قال : «كنا نؤتي بالشارب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وفي امرأة ابني بكر ، وصدرا من امرأة عمر ، ونقوم إليه نضربه بأيدينا ونعالنا وأردبنا . حتى
 كان صدرا من امرأة عمر ، فجلد اربعين ، حتى اذا عتوا فيها وفسقوا جلد ثمانين» ^(٤٤) .

(من ظلم قيد شبر من ارض طوقه من سبع ارضين) ^(٤٥) .
 (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في يده نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها ابدا ، و
 ومن تحس سقا فقتل نفسه فسه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ، ومن قتل
 نفسه بمحبة فحديده في يده يحيا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا) ^(٤٦) .
 تلك النصوص ونظائرها في الكتاب والسنة من الدين . والقيام عليها والعمل بها من
 واجبات المسلم الذي يعبد الله ، وطاعة الله فيها تستأصل شأفة الجريمة وتقضي عليها .
 الأثر السلوكي الخاص بكل عبادته من العبادات التي اصطلاح عليها فقهاء الاسلام : —
 الشأن في العبادات المتعارف عليها من صلاة وزكاة وصيام وحج انها تربية للنفس وتقوم
 لسلوكها ، حتى يستقيم امرها في مجالات الحياة كلها ، فتظهر من الرذيلة . وتأتى عن
 المعصية ، فلا تقترب أمما ولا ترتكب جرما . ولكل عبادة منها اثارها التربوية في ذلك .

١ — الصلاة :

فالصلاة صلة بين العبد وربه تحفح فيها النفس ، وتسكن الجوارح ، وتقربها العين . وقد
 فرضها الله خمس مرات في اليوم الواحد ، حتى يظل المسلم على صلة دائمة بربه لا تفتنه
 شئون دنياه . ولا تنسيه حق الله عليه في طاعته ، وامثال امره فهو يبدأ يومه بصلاة الصبح .
 فينأجي ربه ، قائما وراكما وساجدا وجالسا ، ويثني عليه الثناء الحسن . فتظهر نفسه من
 ادران الخطايا ، وذنس المعاصي ، ثم يخوض غمار الحياة في عمله ومهته . بعد ان تزود بهذا
 الزاد الروحي ، ولا تكاد الدنيا تشغله حتى تأتية صلاة الظهر ، ثم صلاة العصر ، ثم صلاة
 المغرب ، وكما بدأ حياته اليومية بقلائه مع الله في صلاة الصبح ، فانه ينجمها بقلائه معه في
 صلاة العشاء .

وذكر الله تعالى اثر الصلاة الخاشعة في طهارة النفس ونفورها من المعاصي فقال : (ان
 الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ^(٤٨) . وبين الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأثر في

صورة حسنة فقال : « أرايتم لو ان نرا على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شيء ؟ قالوا : لا . قال : كذلك مثل الصلوات الخمس . يحو الله بين الخطايا »^(١٩) .

ويجب ان تؤدي الصلاة جماعة في المسجد على القول الارجح ، حيث يلتقي المسلم باخوانه . وينتظم معهم في صف واحد . يأتمون بامام واحد طاعة لربهم ومرضاة له . يتفقد الحاضر الغائب ، ويعرف كل على حال اخيه . وهذا الشعور الجماعي في عبادة الله يضفي على نفوس المصلين روح الاخوة الاسلامية ، التي تجعل المجتمع الاسلامي يعيش في امن وطمأنينة . فهذه الايدان المتلاصقة تتألف قلوبها وتلتقي في عبادة ربه . تصلي خلف امامها تتاجي لها واحدا وتلو كتابا واحدا وتوجه الى قبلة واحدة . فتستوحى من ذلك وحدة الامة الاسلامية واخوتها ، (انما المؤمنون اخوة)^(٢٠) .

واذا مارس المسلم هذه الصلاة في اليوم الواحد خمس مرات كان جديرا بأن يكون انسانا طيب القلب . نقي السريرة . يحب لآخوانه ما يحب لنفسه . وينشئ الله سرا وعلاية . فلا يقدم على ارتكاب جريمة تؤدي به في نار جهنم . وتضر بالآخرين .

٢ — الزكاة :

والزكاة عبادة مالية اجتماعية . تطهر النفس من الشح والبخل والحرص وحب المال (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)^(٢١) . وكثير اولئك الذين يبني بعضهم على بعض طمعا في المال . وتنافس فيه . وتهاوتا عليه ، والزكاة تقضي على تلك الآفات . فالمسلم الذي يؤدي زكاة ماله سدا لحاجة الفقير ، لا يستيبح مال اخيه بغير حق ، ولا يقتله الجشع والطمع .

واذا نال الفقير حقه من الغني طهرت نفسه من الحسد والضغينة ، فان الاحسان يستميل القلب ، ويستل الاحقاد ، ويقضي على بواعث الشح والبغضاء ويعمل الناس اخوة متحابين ، رحماء متعاطفين . وفي هذا يقول الله تعالى : (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها)^(٢٢) .

وللزكاة وظيفتها الاجتماعية التي تعالج مشكلة الفقر علاجا حكيما ، فتقارب بين الطبقات ، دون ان تزرع في النفوس الاحقاد والضغائن ، او تثير الحرب الطبقيية بين ابناء الأمة الواحدة . ومصارفها المنصوص عليها تكفل سد الاحتياجات الضرورية في حياة اي مجتمع (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله ابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)^(٢٣) .

وهذا الحق المالي في اموال الاغنياء للفقراء يولد الشعور بضرورة التكافل الاجتماعي في صور الحياة المختلفة ، وهو الشعور الذي يتنافى مع عدوان المسلم على اخيه وظلمه له وارتيكابه جريمة في حقه .

٣ — الصيام :

وصيام شهر رمضان له آثاره التربوية التي تلجم نزوات النفس ، وتعصمها عن المعصية .

ان الجريمة — ايا كان نوعها — تأتي استجابة للاهواء والشهوات والغرائز الجامحة .
وذلك يرجع الى قوى ثلاث : قوة شهوة البطن . وقوة شهوة الجنس . والقوة العصبية .
والصيام له آثاره التربوية على هذه القوى :

لقد أحل الله الطيبات من الرزق . وباح لعباده الأكل والشرب من غير سرف (واكلوا
واشربوا ولا تسرفوا) انه لا يجب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة^(٥٤) وقد اعتاد المرء في
حياته اليومية الرتيبة على ان يأكل ثلاث مرات في سحابة نهاره . بكرة وظهرية وعشيا وان
يشرب كلما أحس بالعطش ، وان يتناول ما تشبهه نفسه من طعام او شراب متى شاء .
فاذا جاء شهر رمضان امسك المسلم الصائم عن الطعام والشراب من طلوع الفجر
الصاقد الى غروب الشمس . يلدغه الجوع . ويحرقه الظما ، وامامه الطعام الشهى .
والشراب اللذيذ ، مما أحله الله له . فيمسك عن ذلك كله ويحس نفسه عنه . واذا اعتاد
المسلم شهرا كاملا من شهور السنة ان يمسك عما أحل الله له من طعام وشراب فلانه يتمتع عما
حرم الله عليه من مطاعم ومشارب ومن اموال لا تحل له اولى وأشد .
وأحل الله النكاح (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا
تعديلوا فواحدة)^(٥٥) وباح للمسلم ان يباشر زوجة ويضع الذر في موضع الحث كما
يريد في اي ساعة من ليل او نهار(نسأوكم حث لكم فأتوا حرثكم اني شئت)^(٥٦) ولكن
هذه المنة المباحة تضيق في حياة المسلم الصائم . ويقتصر امرها على الليل . للملابسة الزوجية
(أحل لكم ليلة الصيام الرفت الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن بأشروهن وابتنوا ما كتب الله لكم واكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أعمو الصيام الى
الليل)^(٥٧) . واذا اعتاد المسلم الصائم ان يتمتع عن الاستجابة لشهوة الجنس طوال نهار
رمضان فيما أحل الله له من الامل ، فلانه يتمتع عن الاستجابة لما فيها حرم الله بسائر ايام السنة
اولى واشد .

والصائم يمسك لسانه عن الفحش في القول . والبذاءة في الكلام . واللغو في الحديث .
ولئن كان هذا محرما على المسلم في سائر حياته . فان حرمة اكثر عليه في شهر رمضان . حيث
تذهب بصومه ، ويوه بتعذيب نفسه جوعا وعطشا « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس
الله حاجه في ان يدع طعامه وشرابه »^(٥٨) .

وفي الحديث الآخر « كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش »^(٥٩)
وقد اباح الله درة السيئة بمثلها (وجزاء سيئة سيئة مثلها)^(٦٠) ولكن الصائم لا يبادل
من اسماء اليه بالمثل ، ولا يتراشق معه بالتهم ، بل لا ينسب بينت شفه ، سوى ان يعلن له
تخصته بالصيام في عفة وادب « والصيام جنة » فاذا كان يوم صوم احكم فلا يرفث ولا
يصخب ، فان سابه احد او قاتله فليقل اني امرؤ صائم^(٦١) واذا اعتاد المسلم شهرا كاملا ان
يعف عن الاستجابة لشهوة الغضب فيما اباحه الله من درة السيئة بمثلها فلانه يعف عن

الاستجابة لهذه الشهوة فيها حرم الله من الاعتداء على الآخرين طوال العام اولى وأشد .
وشريعة الصيام بهذا مثل اعلى لتربية الارادة المؤمنة التي تستعلى على عادات الانسان
واهوائه وشهواته . بل تستعلى على ضرورات حياته فترة من الزمن ، فتقضي على بواعث
الشر والجريمة .

٤ - الحج :

والحج هو الرحلة الروحية البدنية التي يرحل فيها المسلم بقلبه وبدنه الى بيت الله الحرام ،
فيطوف به ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ويقف بعرفة وسائر المشاعر .
ومنذ يكون الاحرام للحج من الميقات تستشرف نفس المسلم الى تطهيره من الخطايا
والذنوب والانحلاخ من المعاصي ، فهو يتجرد من ثيابه التي اعتاد ان يلبسها ويستعيض عنها
بازار ورداء يعيد الى ذاكرته استقباله للعالم حين ولادته بريثا طاهرا عاريا ، ويضع نصب
عينه المصير الذي ينتظره طال به الاجل ام قصر حيث يتجرد من ثياب دنياه ويلف في لفائف
تشبه لفائف احرامه .

ويقرن هذا بالتلبية ، وهي اعلان عن اخلاص قلبه لله ، وكمال استجابته له وطاعته
لشرعته ، وتأكيده وجدانيته ، والبراءة من الشرك في جميع صوره ، « لبيك اللهم لبيك
ليبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » (٦٢) ولئن كان
الحج اكثر العبادات اشتقالا على الامور التعبدية التي لا تدرك حكايتها تفصيلا ، فان مناسكه
ترمز الى معان كثيرة .

ويطوف الحاج بالبيت الحرام ، فيتعلق قلبه بقلبه صلاته ، ووجهه عبادته ، ويرى الناس
حول الكعبة يطوفون على اختلاف اجناسهم ولغاتهم وتباين ديارهم كالحلقة المفرغة لا يدري
اين طرقاتها ، وهذه هي وحدة القلوب المؤمنة في اتجاهها الى اله واحد ، واعتصامها بشرية
واحدة .

ويسعى بين الصفا والمروة ، يستذكر تاريخ ابراهيم عليه السلام وولده اسماعيل . ويعتبر
بالاسباب المشروعة حتى يأخذ بها ، معتمدا على الله ، ملتصقا ما عنده من عطاء وبر ،
ويقف بعرفات خاشعا ذاكرا واعيا ، يرفع يديه الى السماء ، يلتمس من الله المغفرة
والرحمة .

ويرمي الجمار فيعبر عن مقتله لعوامل الشر ونزعته الشيطان ، وابواب الجريمة .
ويشهد في وقوفه بعرفة واقاضته الى مزدلفة ومنى صورة لليوم الآخر الذي يقوم الناس فيه
لرب العالمين (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها
وبيننا امدا بعيدا) (٦٣) .

يتزود المسلم في الحج بهذا الزاد الروحي ، فيعود من رحلته صافي القلب ، طاهر النفس ،
يبدأ صفحة جديدة من حياته في طاعة الله ، والانتصار على الشرور والآثام ، كما بدأ حياته
بولادته طاهرا نقياً « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » (٦٤) .

الايامان واثره في مكافحة الجريمة :

ان العبادات التي تحدثنا عن اثرها في مكافحة الجريمة ترجع الى الايمان بالله الذي شرع

هذه العبادات والايان بمفهومه الصحيح هو عماد اصلاح النفس البشرية واستقامة سلوكها .
انه يربي الضمير الانساني الحي ويجعل منه حارسا على حرمات الناس ، ولا شيء سوى
الايان يصنع ذلك .

وقد يتساءل بعض الناس عن انتشار الجريمة في المجتمعات التي تؤمن بالله وتؤدي شعائر
دينها التعبدية ، ويذهب هذا التساؤل اذا ميزنا بين العبادات التي تخلو من روح العبادة الحقة
في خشية الله والتماس مغفرته ، وتتحول الى عادات تشبه التقاليد المتوارثة في حياة الامم .
والعبادات التي يؤديها المسلم عن وعى وفهم تقربا الى الله ، وطلباً لمرضاته فهذه هي التي تحدث
الاثار التربوية التي ذكرناها دون تلك .

كذلك الايمان لا يؤتي ثماره الا اذا كان عن عقيدة صادقة ، مقرونة بالقول والعمل .
وقد تحدث القرآن الكريم عن اولئك الذين يعلنون الايمان بألسنتهم دون ان يخاطب شفاف
قلوبهم مخادعة ورياء ، فقال الله تعالى فيهم : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون)^(٦٥)

وقال : (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراون
الناس ولا يذكرن الله الا قليلا)^(٦٦) .

كما تحدث عن اولئك الذين يعرفون الحق ولكن الكبر يحول بينهم وبين الاذعان له (وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)^(٦٧) ان الايمان الصادق تصديق وقول وعمل .
تصديق بالله وبرسوله وعالم الغيب لا يشوبه شك ولا ارتياب يتغلغل في سويداء القلب
فيتذوق حلاوته ولا يرضى به بديلا .

وقول يجري على اللسان ليعبر عما في القلب من عقيدة راسخة تسري في دم المسلم
وتخاطب وجدانه ، وتخرج بمشاعره .

وعمل ينبثق من صدق الايمان ويواضعه مسارعة الى الخير ، واذعانا لله وانقيادا
لشريعته ، فيرى الناس فيه الواقع الحي للايمان ومقتضياته جهادا وبذلا .
(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل
الله اولئك هم الصادقون)^(٦٨) .

وهذا الايمان هو الذي يخلق الانسان خلقا جديدا ، فيصوغه في قالب ايماني يبرز صورة
المؤمن الحق ، الذي اطاع الله مخلصا له الدين ، فأخضع سلوكه لمرضاة ربه مستسلما راضيا
(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوكك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما)^(٦٩) فلا اختيار له في تصرفه ازاء امر الله وامر رسوله صلى الله عليه وسلم
(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم)^(٧٠) .

هذا الايمان هو الذي يهذب السلوك ويقيم قواعد العدل ، ويجرس الحقوق ويقضي على
الفوضى والفساد والشر ، ويربط بين قلوب معتقة برباط المحبة والتراحم ، وهو رباط لا يعده
رباط آخر من الجنس او اللغة او الجوار او المصالح المشتركة . وما ساد الايمان في امة
واستيقظت مشاعرها عليه الا وساد فيها الامن النفسي في حياة الفرد والامن الجماعي في حياة

المتجمع . وإذا فقدت امة هذا الايمان دب فيها الفساد واهدرت القيم ، واصبح امرها فوضى وهذا هو واقع الحياة اليوم .

لقد ازدهرت الحياة العمرانية وأنت كلها في بلهنية العيش والرفق المادي ولكن العالم اخذ يعاني من تفاقم الشذوذ ومآسي الجريمة وانتشار الذعر مالا قبل له به .

وتقدمت الانسانية وبلغت شأوا بعيد المدى في العلوم التجريبية والعلوم النظرية ، ولكن هذا التقدم عجز عن الوصول الى حل ناجح لمشكلة السلوك . فالدراسات النفسية الواسعة التي شملت مراحل تطور الانسان وبواعثه النفسية في كل طور ، واصبح كل فرع منها مستقلا يبحث . كعلم نفس الطفل ، وعلم نفس المراهق ، وعلم النفس التربوي ، وعلم النفس الجنائي .

والدراسات الاجتماعية في البيئة والوراثه ، والتقاليد ، والاسرة ، والمجتمع ، والقرية ، والمدينة ، والبادية ، والحضر .

والدراسات القانونية في الادارة والتنظيم والعقوبة والسياسة ، والحكم ، والاحوال الشخصية ، والمعاملات المدنية ، والعلاقات الدولية .

هذه الدراسات وتلك لم تخط خطوة ناجحة في سبيل مكافحة الشر ، واستئصال الجريمة ، بل ان التقارير في أنحاء العالم تثبت بالاحصاء الدقيق كثرة العصيان والتمرد ، وتفاقم الفساد ، وتزايد الخرج على القانون ، ورمالجات الدولة في محاربة بعض الجرائم الى العنف ومضاعفة العقوبة — كما فعلت بعض الدول في محاربة المخدرات ففرضت الغرامة المالية الباهظة والسجن المؤبد — فلم يغير ذلك من الواقع المرير شيئا .

ان هذه الظواهر في اوج الحضارة الانسانية عند الناس لا يجد المرء علة لها — اذا امعن النظر — سوى العجز عن الوصول الى الداء الدفين في ضمير الانسان . فالضمير الانساني هو مركز الثقل في توازن الطبائع البشرية وتربيتها على حب الخير والحق والجمال ، واي اصلاح للجانب من جوانب الحياة يحظى هذه العلة انما يحظى المرمى الذي ينبغي ان تسدد اليه السهام .

ولم تستطع — ولن تستطيع — القوى الفكرية بعلومها وانظمتها وفلسفتها ان تنفذ الى الضمير الانساني فتتولاه بالرعاية والتربية حتى يصير ضميرا حيا بهم بالقيم الانسانية ، ويكون امينا عليها ، حارسا لها ، وهيئات لها ان تنفذ اليه . فان قصارى ما تستطيع هذه القوى ان تتحكم في الحياة الظاهرة للانسان فتسن له قصارى ما تستطيع هذه القوى ان تتحكم في الحياة الظاهرة للانسان فتسن له الطريق ، وتراقب سيره عليه ، وتردعه بالعقوبة الشديدة اذا حاد عنه .

وللانسان حياة باطنية اخرى هي التي ترسم له سلوكه ، وتحدد وجهته ، وهي حياة تتمثل في حنايا الصدور . وتحث في طبائنها ما لا يطلع عليه بشر ، فن داخل النفس البشرية التي تصطرع قوى الخير والشر ابتلاء ومحنة تمل القوة الغالبة ارادتها على صاحبها ليكون طوع امرها فيما يفعل ، فأى قوة بشرية تستطيع ان تتحكم في هذا الضمير الخفي .

وفي طبيعة البشر ان يعمد على البشر . انه يستشعر ازاء سائر الناس انه انسان وانهم اناس . وان هذا الاشتراك في البشرية يقتضي ان يكون الجميع سواء في كافة الحقوق . فعلام يدين بالولاة والطاعة لقانون من وضع البشر؟ ابدن له قرار من جزاء مخالفته بجرمان دينوي ، او عقوبة دينوية ؟ اذا فالحظب غير عسير ، ففي استطاعته ان ينقض عرى هذا القانون الوضعي عروة عروة - ويهدم ببناءه لبنة لبنة في غفلة من حراسة القانون ورجال الأمن ، وليس للسلطة القانونية شعاع يثقب حجب الغيب . ويعترف على الجرم الخفي . وليس لها كذلك من امر الحياة الآخرة شيء حتى الغيب . ويعترف على الجرم الخفي . وليس لها كذلك من امر الحياة الآخرة شيء حتى يخشاها المرء سرا كما يخشاها علانية . رغبة في ثواب ، او رهبة من عقاب ينتظره بعد الموت ، وهو امر مرجعه الى الضمير وحده . ومن هنا كان قصور القوانين الوضعية : والأنظمة البشرية في ضبط السلوك الانساني وتوجيهه .

اما التشريع السماوي فانه سلطته من الله الذي خلق الخلق وهو اعلم بهم . ويعتمد في سلطته على وازع الضمير الذي يوجه الانسان ويتحكم في تصرفاته والاسلام ينول تربية الضمير الانساني ، ويبعث فيه الحياة التي توقظه بالرقابة الالهية المطلقة عليه في الغيب والشهادة ، والغرس الاول الذي يفرسه الايمان بالله في النفس البشرية يقوم على الايمان بالقوى الغيبية ، ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره^(٧١) فطاعة التشريع السماوي من كتاب الله او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يكتفي في تحقيقها السلوك الظاهري في مرأى الناس ، بل لا بد فيها من خشوع القلب . واعلمتنا النفس . والانقياد لها بين حنايا الفضلوع . فانه علم خبير ، والافلات من عقوبة الدنيا والستر والمخاتلة لا يغني شيئا عن عقوبة الحياة الآخرة .

وقد ذكر الله في القرآن الكريم من آيات علمه البينات ما يجعل ضمير المؤمن حيا يرعى حرمات الله في السر والعلانية .

فانه هو الذي بدأ خلق الانسان من طين ، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين يعلم مستقر البدء والنسل ويحيط بما لديه من تقوى او جحود (هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذا انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى)^(٧٢) . ولا يتأتى للخالق ان يجهل دقائق خلقه (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)^(٧٣) . يستوى في علمه الاسرار والاعلان (يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)^(٧٤) .

ولن يكون بمنجاة عن علمه هؤلاء الذين يتناجون سرا بمنأى عن الناس جميعا (ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)^(٧٥)

ووسوسة النفس المترددة في الجوانح تحت احاطته القرية (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من خيل الوريد)^(٧٦) وأفعال العبد محصاة عليه ، سطر صغيرها وكبيرها في سجله (وكل شيء فعلوه في الزبر

وكل صغير وكبير مستطير^(٧٧) .

ومن اوصاف المتقين انهم ينيون الى الله ويخشونه بالغيب (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب^(٧٨) .

وتصل الرقابة الالهية ذروها في ضمير المسلم عندما يرى نفسه مبعوثا في يوم النشور وقد جمعت سريره (افلا يعلم اذا بعث ما في القبور ، وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير^(٧٩) .

ولهذا قرن الله في احكام الشريعة الاسلامية الجزاء الأخروي بالجزاء الدنيوى ، فان اقلت المرء من هذا لم يقلت من ذلك ، وحسب اليه التوبة .

يقول تعالى في القتل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما^(٨٠) .

ويقول في المحاربة (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسمعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم^(٨١) .

ويقول في السرقة (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه واصبح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم^(٨٢)) ويقول في الربا (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون^(٨٣))

ويقول في التولي عند الزحف (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد ياء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير^(٨٤) .

واذا كانت المناهج البشرية قد صنفت في قوانينها الجرم فان خبث الطويه لا يعدم صاحبه الحيلة التي يرق بها من حجاب القانون ويبتك حرماته ، وتحت اجنحة صاحبة الحيلة التي يرق بها من حجاب القانون ويبتك حرماته ، وتحت اجنحة الليل تستتر الجريمة ، وفي غفلة من حراسة الحق تعبت الأيدي الأثمة ، ولن يجدي القانون امام هذا الديب الخفي . والاسلام في مثل هذه الحالة يستل من الضمير الانساني المؤمن الحي سيفا مصلتا يقضي على جرثومة الشر قبل انتفاضها ، ويقتل جنيتها في مستقره ، فسلطة الضمير المؤمن أقوى من اي سلطان خارجي ، ولدغته على اكتساب الاثم اشد على النفس من طعن السنان ، والنفس المؤمنة الحرة يرمضها جمر المعصية قبل ان تلم بها ، وهذا المعنى هو ما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم في تعريف الاثم « والاثم ما حاك في صدرك وكهرت ان يطلع عليه الناس^(٨٥) »

والتشريع الاسلامي يعيش في قلب الضمير المؤمن الحي ليظهره من ادراان السيئة ولو كان في مأمن من العقاب ، فهو يتابع الجريمة الخفية التي لم يرها احد ليتأني صاحبها طائعا معترفا يلح في الاعتراف مرة بعد اخرى حتى يقام عليه حكم الله في معصيته ، ويظهر نفسه من وزرها .

فالمأزاة الغامدية جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له : « اني زينت فطهرني » وقد ردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة بعد اخرى الى ان ولدت وجاءت بولدها وفي يده كسرة خبز ، فأمر برجمها ، فأقبل خالد بن الوليد فرمى بحجر رأسها ، فنتضح الدم على وجه خالد ، فسبها فسمع النبي صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال « مهلا يا خالد ، فوالذي نفسي بيده ، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له . ثم امر بها فبصل عليها ودفنت » وفي رواية عمران بن حصين ان عمر قال : « تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم . وهل وجدت افضل من ان جاءت بنفسها لله » (٨٦) .

ولما جاء ماعز معترفا قال « يا رسول الله ، اني زينت واني اريد ان تطهرني وردة الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك ثلاث مرات ، حتى اصبر على اعترافه في الرابعة فرجم . وما كان يرحم لو لم يأت معترفا ، وكانت لديه مندوحة مع اعترافه ان يراجع نفسه في الثانية او الثالثة او الرابعة لينجو من الحد ، ولكن ضميره يريد منه ان يتطهر » (٨٧) .

وينابع الاسلام ايقاظ الضمير الايماني في كل اعتداء على الحقوق الانسانية مهما كان اسلوب التخلص من مسؤوليته ، فان القاضي لا يعرف بواطن الخصوم ، ولا يعلم الغيب ، وانما يقضي بظواهر الادلة ، والقضاء لا يحل حراما ولا يحرم حلالا ، وفي اللحن البليغ والمنطق القوي فسحة لأولئك الذين يسترون الحق بالبيان العذب ، ويستبيحون حرمة بطلاقة اللسان ، وفي مثل هذه الحالة يصور الاسلام المنفعة المرجوة التي يطلبها اللحن بحجته الجائرة في صورة النار الملتبئة التي تندلع السنن لاحقاق الحق في التقاضي لدى احكم الحاكمين وعلام الغيوب .

« سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خصومة بباب حجرته فخرج اليهم فقال : « انما انا بشر ، وانه يأتيني الخصم ، فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض ، فأجيب انه صدق ، فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار ، فلبأخذها او ليركها » (٨٨) هذا هو سبيل الاسلام في مكافحة الجريمة فأى منج من مناهج البشرية يصل الى هذا السمو ؟ ..

أيها الاخوان :

ان المجتمع لا يسعد الا بالايان ، وان الايمان لا يعيش الا في الضمير وان الضمير لا يحيا الا بالاسلام ، فهل أن هذه المجتمعات التي انحرفت عن جادة الحق واعرضت عن كتاب ربها ، وسنة نبيا ، فأورثت الشقاء للانسانية ، وامانت ضميرها ، ان تنيب الى الله وتحكم الى شريعته . (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يغنون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) ؟ (٨٩) .

وأخير دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مدير الدراسات العليا

بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

مناخ خليل القطان

- (١) بالتوبة ٢٤ التوبة .
 (٢) رواه ابو داود .
 (٣) رواه احمد والطبراني .
 (٤) رواه الشيخان .
 (٥) رواه الطبراني .
 (٦) متفق عليه .
 (٧) ٢٠ : المزمل .
 (٨) رواه مسلم والترمذي .
 (٩) ٥٦ : التذاريات .
 (١٠) ٥٩ : الاعراف .
 (١١) ٣٦ : التحل .
 (١٢) ٢٥ : الانبياء .
 (١٣) ١٥١ : الانعام .
 (١٤) ٣٣ : الاعراف .
 (١٥) ١٩ : النور .
 (١٦) ٣٣ : الاعراف .
 (١٧) ١٢٠ : الانعام .
 (١٨) ٩٠ : التحل .
 (١٩) ١٩٠ : البقرة . ٨٧ المائدة .
 (٢٠) ٢ : المائدة .
 (٢١) ٤٢ : ابراهيم .
 (٢٢) ١٣ : يونس .
 (٢٣) ١١٣ : هود .
 (٢٤) ٥٩ : الكهف .
 (٢٥) ٣٣ : الاسراء .
 (٢٦) ٩٣ : النساء .
 (٢٧) ٣٢ : الاسراء .
 (٢٨) ٢٧٥ (٢٩) : البقرة .
 (٣٠) ١٨٨ : البقرة .
 (٣١) ٢ : النور .
 (٣٢) ٤ : النور .
 (٣٣) ١٨٧ (٣٤) : البقرة .
 (٣٤) ١٧٩ : البقرة .
 (٣٥) ٣٣ : المائدة .
 (٣٦) ٩٠ : المائدة .
 (٣٧) ٣٨ : المائدة .
- (٣٨) رواه مسلم .
 (٣٩) متفق عليه .
 (٤٠) متفق عليه .
 (٤١) رواه مسلم .
 (٤٢) رواه الترمذي .
 (٤٣) رواه الجماعة الا مسلا .
 (٤٤) رواه الجماعة الا البخاري والنسائي .
 (٤٥) رواه البخاري واحمد .
 (٤٦) رواه البخاري ومسلم .
 (٤٧) رواه البخاري .
 (٤٨) ٤٥ : العنكبوت .
 (٤٩) متفق عليه .
 (٥٠) ١٠ : الحجرات .
 (٥١) ٩ : الحشر و ١٦ : التغابن .
 (٥٢) ١٠٣ : التوبة .
 (٥٣) ٦٠ : التوبة .
 (٥٤) ٣١ ، ٣٢ : الاعراف .
 (٥٥) ٣ : النساء .
 (٥٦) ٢٢٣ : البقرة .
 (٥٧) ١٨٧ : البقرة .
 (٥٨) متفق عليه .
 (٥٩) متفق عليه .
 (٦٠) ٤٠ : الثوري .
 (٦١) متفق عليه .
 (٦٢) متفق عليه .
 (٦٣) ٣٠ : آل عمران .
 (٦٤) رواه البخاري واحمد والنسائي .
 (٦٥) ٩٠ ، ٨ : البقرة .
 (٦٦) ١٤٢ : النساء .
 (٦٧) ١٤٦ : البقرة .
 (٦٨) ١٥ : الحجرات .
 (٦٩) ٦٥ : النساء .
 (٧٠) ٣٦ : الاحزاب .
 (٧١) من حديث جبريل الملق عليه في تعريف الايمان .
 (٧٢) ٣٢ : التجم .
 (٧٣) ١٤ : الملك .

حركة
أحياء التراث
بعد
توحيد
الجزيرة

كتب التاريخ

بقلم الدكتور:
أحمد محمد الضبيب

كان المرفوض نشر هذه الحلقة في
العدد السابق ونسكتلها بالحلقه السابق
نشرها بالعدد الثالث (السنة الخامسة) ،
وهذا الخطأ نتيجة لطبع عددين في وقت
واحد - فطعن للقارئ الكريم عن هذا
الخطأ - كما هو الاحترار لأسلافنا الدكتور
أحمد الصليب .

تأتي كتب التاريخ في الدرجة الثانية من حيث الكثرة العددية فيما بحث من تراث
بواسطة أبناء الحزيرة العربية وذلك بعد الكتب الدينية التي تحدثنا عنها آنفاً . ومنذ
العهد العناني نجد الاهتمام يبرز بنشر كتب التاريخ وخاصة تلك المتعلقة بتاريخ الحرمين
الشريفين وقد سبق ان اشرفنا الى صدور « خلاصة الوفاء » للسمهودي عن المطبعة
الميرية في مكة سنة ١٣١٦ هـ وكذلك عزم المطبعة العلمية في المدينة المنورة سنة
١٣٢٨ هـ على طبع كتاب « ذروة الوفاء » فيما يجب لحضرة المصطفى . . وقد طبع
بعض مؤرخي الحرمين مطبوعاتهم التاريخية في مكة ككتاب « الفتوحات الاسلامية
بعد مضي الفتوحات النبوية » لأحمد دحلان . فقد طبع في المطبعة الميرية سنة
١٣٠٢ هـ . وكتاب نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين للسيد جعفر
البرزنجي ، طبع في الميرية سنة ١٣٠٣ هـ . وكتاب أحمد بن محمد الحضراوى
(ت ١٣٢٧ هـ) : « العقد الهين في فضائل البلد الأمين » .

غير أن بعض المؤلفين قد نشروا كثيراً من مؤلفاتهم في مصر كتب أحمد زيني دحلان
التاريخية الأخرى مثل « السيرة النبوية والآثار المحمدية » طبع في بولاق ١٢٩٢ و « خلاصة
الكلام في بيان امراء البلد الحرام » المطبعة الخيرية - مصر ١٣٠٥ و « تاريخ الدول الاسلامية
بالجداول المرضية » المطبعة البية - القاهرة ١٣٠٦ . وطبع كتاب « نزهة الناظرين في مسجد
سيد الأولين والآخرين » للسيد جعفر اسماعيل البرزنجي (طبعة أخرى) في مصر سنة
١٣٢٢ هـ .

كما نشرت بعض كتب التراث في مصر ككتاب « الاعلام بأعلام بيت الله الحرام » لمؤرخ
مكة قطب الدين النهروالي بمصر سنة ١٣٠٥ في المطبعة الخيرية على ذمة ملتزمه الشيخ أبي بكر

خوقير الكتي بمكة بباب السلام والمدرس والامام بالمسجد الحرام . وذلك على هامش كتاب : « خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام » .

أما عن تواريخ نجد فقد نشر تاريخ ابن غنام المسمى « روضة الافكار والافهام لمرئاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام » لأول مرة طبعة حجرية بمدينة بومباي سنة ١٩١٩/١٣٣٨ هـ . كما نشر تاريخ ابن بشر المسمى « عنوان المجد في تاريخ نجد » في بغداد سنة ١٣٢٨ هـ في مجلد واحد وهي طبعة مختصرة عن الأصل .

وبعد توحيد الجزيرة نهضت العناية بكتب التاريخ نهضة ملحوظة ووجدنا عددا من الطبقات المحققة العلمية التي امتازت بها بعض النصوص التاريخية ومن أهم هذه الطبقات طبعة كتاب « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى التي أخرجها رشدي الصالح ملخص وطبعت بالطبعة المأجدة في مكة في جزئين ، صدر الأول منها عام ١٣٥٢ هـ والثاني عام ١٣٥٧ هـ .

وقد احتوت هذه الطبعة على كل ما يطمع اليه الباحث الحديث في مجال التحقيق العلمي من التمييز بين الروايات والعرض على النسخ المختلفة والترجمة لبعض الأعلام والتعريف ببعض الاماكن ، والتعليقات والشروح ، ثم اتباع الكتاب بفهارس مبتكرة للآيات الكريمة ،

والأحاديث الشريفة ، وأسماء الأنبياء ، وخدمة بيت الله الحرام ، والأبام التاريخية ، والاصنام ، والأعلام من الرجال والنساء ، والأقوام والقبائل وأعلام الأماكن والقوافي والمحتويات .

وقد قدم رشدي ملخص للكتاب بمقدمة من ثماني عشرة صفحة تحدث فيها عن التدوين في الإسلام ، وخطط مكة ، وأقدم المؤلفات في تاريخها ، وترجمة المؤلف ، وروايات المؤرخين عنه ، ثم تحدث عن الكتاب ، وعن روايته ومختصراته ، وعن الطبعة الجديدة التي يقدم لها : وما يميزها عن طبعة وستفيلد الأوروبية فقال :

« وقد تصفحنا الطبعة الأوروبية مرارا حين دراستنا لخطط الأزرقى فألفيناها مشحونة بالتحريف ملوثة بالتصحيح ، ونحن مع احترامنا للناشر الفاضل لعنايته بطبع العشرات من الكتب العربية فلا يسعنا الا اظهار الأسف لاقتصاره في الطبع على بعض النسخ الخطية منها دون أن يحمل نفسه مشاق مراجعة المصادر الأخرى ، لتصحيح هذا التشويه وذلك التحريف . وقد كان هذا التحريف والتشويه في مقدمة العوامل التي حملتنا على طبع نسخة الطبعة الأوروبية أما بحيث كنا نجعلها الأساس في التصحيح وتبويب الأبحاث والفصول الى غير ذلك من المسائل » (ص.ل) .

ولقد اعتمد رشدي ملخص في اخراج هذا الكتاب على ثلاث نسخ :

أ — الطبعة الأوروبية التي اتخذها اساسا .

ب — نسخة اخرى من مخطوطات المكتبة المحمودية (قسم رقم ٥٣) .

ج — نسخة اخرى من مخطوطات المكتبة المحمودية بالمدينة (تاريخ رقم ٥٣) .

د — نسخة خطية تالفة في مكتبة عبد الستار الدهلوي من علماء مكة المكرمة نسخها بقلمه

عن النسخة الخطية في دار الكتب المصرية .

وقد وصف المحقق هذه النسخ الخطية وصفا دقيقا .

وتحدث عن منهجه في التصحيح فقال : « وكنا نرجع الى النسخ الخطية الثلاث لتصحيح المتن في الطبعة الأوروبية . وقد كانت هذه الأصول كثيرة التحريف والتشويه . لذلك كنا نرجع المسائل التي لا نطمئن الى صحتها الى مصادر اخرى تدوينية وتاريخية وبوجه خاص نخطط مكة المكرمة فجاءت طبعتنا الجديدة كما يراها القارىء خلو من التحريف الا ما ندر » (ص ٢٠٠) .

ولم يكف المحقق بذلك بل أضاف الى الكتاب اثباتا مهمة منها بحث عن بناء الكعبة الأخيرة ، وأخر عن تاريخ كسوتها ، وبحث ثالث عن ذى الخلصة . ان تحقيق رشدي لمجلس لكتاب الأزرق يعد عملا رائدا في تاريخ نشر التراث في بلادنا وهو ركيزة أولى من ركائز التحقيق العلمي الحديث الذي كنا ولا زلنا نطمح اليه . وقد كان رشدي لمجلس من أوائل الذين لفتوا الانظار الى كثير من الموضوعات العلمية والتاريخية ^(١) . ولو نشرت كل كتبه الخطية لوجدنا انه سبق الى دراسات في التاريخ والجغرافيا جديدة لم تكن بلادنا تعرفها قبله مثل كتاب « معجم منازل الوحي » ، وقد نشر فضولا منه في المنهل ^(٢) ، وكتاب « منازل الملقات » الذي حقق فيه ما يقرب من ١٥٠ منزلا من المنازل المذكورة في الملقات العشر ^(٣) ، الى جانب كتابه الذي نشر في مكة سنة ١٣٤٩ هـ بعنوان « معجم البلدان الغربية » ، وله مقالات عديدة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية ^(٤) .

لقد نشرت كثير من الكتب القديمة التي تبحث في تاريخ الحرمين الشريفين بعد كتاب لمجلس ، ففي عام ١٣٦٩ هـ أصدر أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي كتاب « الاعلام بأعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام » للعلامة عبد الكريم مجد الدين القطبي المتوفي سنة ١٠١٤ . وهو اختصار لكتاب عمه العلامة قطب الدين ابن علاء الدين الحنفي المتوفي سنة ٩٨٩ أو ٩٩٠ ، والمسمى : « الاعلام بأعلام بيت الله الحرام » ، وقد نشره المحققان عن مخطوطة أصلها موجود في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة نسخها عبد الوهاب الدهلوي ، وأضافا الى ذلك قطعة من نسخة أخرى عند الشيخ الدهلوي ، وقد قابلا هذه النسخة على نسختين من المطول احدهما طبع في مصر والاخرى طبعة وستفيلد في اوربا ، فأكملوا ما جدها من نقص أدخل به صاحب المختصر من الكتاب المطول . كما انها شرحا معاني بعض الكلمات وأشارا الى ما يجري على السنة العامة في مكة من ألفاظ المؤلف ، كما حاولا البحث عن أصولها وتتبعها بعض الألفاظ الأجنبية وشرحها .

وبالجملة فقد بذلوا جهدا طيبا في التصحيح والتعليق ثم أعقبا الكتاب باعتذار الى القارىء يشيران فيه الى انها كانا يريدان أن يصلحا عبارة المؤلف الزكيكة وأغلاطه النحوية واللغوية وتقريب اسلوبه الى الأسلوب الحديث ولكنها متعا من ذلك ، منعتهما لجنة نشر الكتب العربية التي يصدر الكتاب ضمن نشراتها حفاظا على الأمانة العلمية . ولعل من حسن حظ الكتاب انها لم يفعلوا ما كانا عازمين عليه ، اذن لفقدنا النص التاريخي الصحيح الذي

يحكي ثقافة المؤلف وعصره ولغته وهي مسألة من أهم المسائل التي يجب ان يحرص عليها المحقق الثبوت . اذ ان النص وثيقة تاريخية تمثل عصرها الذي انشئت فيه ولا يجوز تغييرها . ويؤخذ عليها انها لم يلحقها الكتاب بفهارس تعين الباحث وتجعل مواضع الكتاب ومواقعها وأسماءه منه على طرف اللقاف . كما انها غير اسم الكتاب الى اسم جديد فدعيه « تاريخ البلد الحرام » وكأنها استتقلا اسم المؤلف المسجوع المزخرف فقيراه الى اسم كبير براق . والعنوان الذي اختاره المحققان لا ينطبق في الحقيقة على ما في الكتاب اذ هو يختص في معظمه ببناء المسجد الحرام لا بالبلد الحرام مكة ، كما ان من المبالغة ان يدعي هذا المختصر تاريخاً للبلد الحرام الى جانب أن عنوان الكتاب من حق المؤلف وليس من حق غيره التصرف فيه . وقد طبع كتاب القطبي (الأصل) المسمى « كتاب الاعلام لأعلام بيت الله الحرام » طبعه ثانية على نفقة المكتبة العلمية بمكة ، وقدم له محمد أمين كتي المدرس بالمسجد الحرام . كما شرحه وعلق عليه ووضع صورته محمد طاهر الكردي الخطاط وذلك سنة ١٣٧٠ هـ وطبع في مصر مطبعة السعادة .. وهذه الطبعة الى جانب انها طبعة رديئة للكتاب فقد امتازت بنمط جديد في التحقيق والتعليق لم تعهده الكتب العربية المحققة . تلك هي ادخال الصور في صلب الكتاب . وهي طبعة أرادت أن تجمع بين الناحية العلمية بالتعليق والناحية الشعبية بوجود الصور الفوتوغرافية والرسوم التي تضي على العمل تشويقاً لدى العامة ، ففقدت الصبغة العلمية .

وقدم محمد أمين كتي للكتاب فذكر أنه نشر من أجل أن يسد حاجة الحجاج الذين يسألون المطوفين وغيرهم من المدرسين وخدمة المسجد الحرام عن بعض الموضوعات . ولذلك فإن نشره يساعد على اجابة هذه الاسئلة ، وتطرق بعد ذلك الى شرح فكرة الناشر وتنفيذ هذه الفكرة فقال :

« ولما رأى حضرة الفاضل الشيخ عبد الفتاح فدا صاحب المكتبة العلمية بمكة المكرمة بباب السلام شدة الرغبة والحاج الى كتاب يسد هذا الفراغ ويغذي هذه الرغبة ، وقع اختياره على كتاب « الاعلام بأعلام بيت الله الحرام » تاريخ مكة المشرفة ... فجرد العزم

لطبعة ثانية بعد أن نفذت (كنا) الطبعة الأولى ، ورغبة في أن تكون الطبعة الثانية تمتاز ببعض الزيادات النافعة من تعاليق مفيدة توضح ما تجدد بعد عصر المؤلف في المسجد الحرام والكمبة المشرفة ، ومن رسوم للكعبة المطهرة ، والحجر ، والمطاف والحجر الأسود ، والمنبر ، وبئر زمزم ، وباب بني شيبه ، وغير ذلك مما يزيد الانسان شوقاً الى بيت ربه وحرمة ، فأسند القيام بهذه المهمة لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد طاهر الكردي الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة ، لما عهد فيه من نشاط في البحث ، ودقة في التصوير ، وسلامة في الدق ، واستقامة في الطبع ، فشرحه وعلق عليه وحلاه بالرسوم الجميلة النافعة ، كما أسند الى كتابة هذه المقدمة لايضاح الفكرة التي دعه لاعادة طبع هذا الكتاب »^(١) ثم نقل ترجمة المؤلف من البدر الطالع للشوكاني ، وبعد ذلك حليت الصفحة العاشرة بصورة للشارح « محمد طاهر كردي » ، كاتب مصحف مكة والمعلق على هذا الكتاب ،

أخذت له سنة ١٣٦٨ هـ .

ولقد امتازت التعليقات على الصور بضرب من العفوية التي تنافي التحقيق العلمي ، كما في التعليق الموضوع على صفحة ٣٧ عند حديث المؤلف الأصلي عن الحجر الأسود ، فقد كتب المعلق ما نصه : « انظر الى صورة الحجر الأسود في عصرنا الحاضر وترى صورة محمد طاهر الكردي الخطاط الذي كتب تعليقا على هذا الكتاب ظاهرة فيها ، وهو يهيم بتقيل الحجر الأسود في طوافه وقد وضع يده على ما يحيط به من الفضة . » وعندما تحدث المؤلف عن زمزم وضع المعلق على ذلك تعليقا وصورة استغرقت نصف الصفحة وقال : « انظر باب بئر زمزم وترى في الصورة محمد طاهر الكردي الخطاط وقد وقف على باب البئر » (ص ٤١) .

وقد يشير المعلق في اثناء تعليقاته على الصور الى كتاب له عن مقام ابراهيم عليه السلام كقوله عندما تحدث المؤلف عن الحجر ، فقد وضع المعلق صورة لأرض الحجر وعلق عليها بقوله : « انظر حجر اسماعيل عليه السلام وتجد أرضه مفروشا (كذا) بالرخام الجميل الزخرف ، وترى في الصورة على اليمين محمد طاهر الكردي الخطاط جالسا تحت ميزاب الكعبة المشرفة مشيرا بأصبعه الى الحجر الأخضر الذي تكلم عنه في كتاب مقام ابراهيم عليه السلام بصحيفة ١٤٩ » .

ويقول في ص ٧٧ عند الحديث عن مقام ابراهيم عليه السلام : « حدود المسجد الحرام قديما وحديثا ، والزيادات فيه وموضع المقام الكريم ، وغيرها من الأمور المهمة ذكرناها بتفصيل في كتاب مقام ابراهيم عليه السلام ، فليرجع اليه من شاء وهو كتاب مطبوع بمصر القاهرة ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي ، وهو كتاب مهم للغاية ، بل هو أول كتاب وضع عن تاريخ المقام » .

ويضيف الحديث عن مثل هذه التعليقات الغريبة التي تشوه العمل بدل أن تزيد بهاء وجلاء على أن المعلق الفاضل قد حاول تصحيح بعض أوهام المؤلف (ص ١٣٦) ، وفي بعض الأحيان كان يصحح الكتاب من نفسه فيشير الى أن « في هذه العبارة غلطا والصحيح كما تقدم ... ص ٧ ... (٣٥٢) » .

ثم أتبع الكتاب بأرجوزة له في أشهر بنايات الكعبة ووضع صورة مبتكرة لهذه الزيادات أثبتا في آخر الكتاب وحلاها بصورته ..

لقد قدما الحديث عن نشر مؤلفات القطبي لأنها نشرت مبكرة فسبقت مؤلفات رجل من أشهر المؤلفين بل مؤرخ مكة بحق ، ذلك هو الامام العلامة الحافظ تقي الدين محمد بن

أحمد الفاسي المكي (ت ٨٣٢ هـ) وقد نشره كتابان الأول : « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » سنة ١٩٥٦ م (١٣٧٦ هـ) ، والثاني « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » سنة ١٣٧٩ هـ ، وكلاهما نشرتا على نفقة محمد سرور الصبان . والكتاب الأول « شفاء الغرام » صدر في جزئين كبيرين محققا ومعلقا عليه ، وتولت التحقيق والتعليق لجنة لا نعرف من أفرادها أحدا ولا تعلم لماذا لم يفصح عن اسماء اعضائها مع أن هذه اللجنة قد استعانت

وقد ألحق الجزء الأول بفهارس للموضوعات ثم مجموعة الصور (١٦ صورة) لبعض الأماكن الأثرية في المسجد الحرام ومكة والمشاعر وبعض المنشآت كميناء جدة البحري والمطار .

أما الجزء الثاني فقد أعقب بأربعة ملحقات أولها ولاية مكة بعد الفاسي ملخص من كتاب المؤرخ ابن ظهيرة القرشي المكي (ت ٩٥٠) . المعروف بـ « الجامع اللطيف في أخبار مكة المشرفة والبيت الشريف »^(١١) . بالإضافة إلى ما بعده حتى العصر السعودي . وكان الملحق بقلم عبد الستار الدهلوي إلى عهد الشريف حسين . ثم أكملته اللجنة إلى العصر السعودي حيث عين الأمير فيصل نائباً للملك في الحجاز ، والثاني كتاب « الدررة الثمينة في تاريخ المدينة » للمؤرخ المحافظ الشيخ محمد بن محمود بن النجار (ت ٦٤٧ هـ) مقدماً بمقدمة من اللجنة .

والملاحق الثالث : يختص بالعمارة التي أدخلت على المسجد النبوي الشريف منذ إنشائه وحتى وقت صدور الكتاب . والرابع بعض آثار المدينة ومزاراتها . ثم كلمة الختام وجدول التصويب .

ولم يف المحققون بوعدهم الذي ذكروه في مقدمة الكتاب من عزمهم على وضع فهرس شاملة للأعلام والمواضع في النهاية . واكتفوا بفهرس الموضوعات .

(١) انظر للكتاب : حركة أحياء التراث قبل توحيد الجزيرة ، الدارة ، ج ١ م ١ ، ربيع الأول ١٣٩٥ هـ / مارس ١٩٧٥ م ص ٤٤ — ٦٢ ، و « حركة أحياء التراث بعد توحيد الجزيرة » (كتب العقيدة والتشريع) الدارة ، ج ٤ م ٣ ، صفر ١٣٩٨ م / يناير ١٩٧٨ م صص ٨ — ٢١ . و « حركة أحياء التراث بعد توحيد الجزيرة » (كتب التفسير) ، الدارة ، ج ٣ م ٤ ، شوال ١٣٩٨ هـ / سبتمبر ١٩٧٨ م صص ٨ — ١٤ .

(٢) انظر منصور الحازمي ، « معجم المصادر الصحفية ص ٤١ » .

(٣) انظر عبد القدوس الأنصاري ، « رشدي الصالح ملخص » ، المنيل . ج ٦ م ٤ ، ربيع الثاني ١٩٦٥ هـ / ١٩٤٩ م ص ١٧٥ ، وتأيينه له في المنيل ، م ١٩ ج ٧ ، رجب ١٩٧٨ هـ / يناير — فبراير ١٩٥٩ م ص ٢٩٤ .

(٤) عبد القدوس الأنصاري ، « رشدي الصالح ملخص » ، الموضوع السابق .

(٥) انظر على سبيل المثال : سلسلة مقالاته بعنوان « مؤرخو الحجاز ونجد » أم القرى ، ج ٤٥٣ وع ٤٥٤ (١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م) .

(٦) المقدمة ص ٥ — ٦ .

(٧) المقدمة ص ٥ .

(٨) المقدمة ١/ص ز .

(٩) ص ط .

(١٠) انظر على سبيل المثال ص ١١٥ و ٦٥٢ .

(١١) طبع هذا الكتاب الصغير طبعة تجارية سنة ١٣٤٠ هـ في مصر في مطبعة عيسى الباني الحلبي ولم يشتر فيه إلى المخطوط الذي اعتمد عليه وإنما طبع بنفقة مكتبة تجارية في مكة . وهذه الطبعة ليس فيها ميزة إلا احتواؤها على فهرس في آخر الكتاب ولكنها غير مسترفة لكل ما في الكتاب من الأعلام والأماكن .

التفرقة



الذین والعداوة بين أهل البيت

لفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الخالقي
إمام وخطيب المسجد الحرام

أيها المسلم لا يخفى أن دين الإسلام جاء للإخاء والوفاق فكان التفرق للعداء والشقاق وای منکر أعظم من التفرقة في الدين والعداوة بين أهله قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وقال سبحانه «ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون»، ليس عجيبا ان يعد التفرق في الدين من اعمال المشركين ، ونحن ندعو الى الخير وهو دين الإسلام امتثالاً لأمر الله تعالى حيث يقول ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك المفلحون ، فلا بد من جماعة او جمعية تقوم بهذا الواجب في كل بلدة وكل قرية تعاونهم جميع الأفراد نساء ورجالا ويمدونهم بكل ما يستطيعون وان المسلمين بحمد الله فيهم من الاستعداد لفعل الخير ما يفوق جميع الأمم فلا بد من تنظيم هذا الخير ان الخيرات التي تبذل في سبيل الله من الزكاة والصدقات تكفي بل تغني ولكن أكثرها يذهب لأناس لا يستحقون شيئا ولقد تسر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا العصر بواسطة الطباعة والصحف والنشرات والرسائل ولا شك ان الصحافة المخلصه من اكبر عون للدعوة الى الخير ولقد امتاز الاسلام على غيره بأن كتابه الكريم محفوظ متفق عليه من المسلمين جميعا وبأنه كما انزل يشهد بهذا كل من بحث من جميع الأمم حتى الأعداء وكذلك السنة فقد تفضل الله بتوثيق رجال مخلصين علماء محققين خدموا هذه الناحية اعظم خدمة وكذلك الفقهاء الأربعة وغيرهم من أئمة الفقه وكذا التفسير والتأريخ والسياسة والاجتماع وفق الله لهذا الدين العظيم رجالا خدموه بتدقيق واخلاص فاقوا جميع رجال الاديان وها هي آثارهم ماثلة شاهدة بفضل الله علينا وعليهم وعلى العالم اجمع حيث انتفع الجميع بعلومهم واقرأوا بفضلهم ولما كان هذا الدين العظيم آخر الاديان وناسخها فقد عاداه دجالوا الانبياء تحرفا على زعامتهم عاداه اليهود والمجوس وبعض النصارى وقولنا

بعض لأن كثيرا من فلاسفة أوروبا وأمريكا يشنون على الإسلام ويعترفون بفضلته على العالم فيجرون المقالات ويؤلفون الأسفار وهذا كثير شائع وقد يتحملون كثيرا من الإيذاء من رجال الكنائس ومن المتعصبين ولا يزالون واول من عادى الإسلام من الدول دولة الرمان وغيرهم حينما حطم جيروتهم فاجتمع فلاسفتهم وساستهم فقرروا بأن العرب لم تكن لهم هذه القوة الا بهذا الدين فلا بد من هدمه وذلك بأن يدخل من علمائهم وساستهم رجال يظهرهم الإسلام والتقوى ويدسون الدسائس ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وقد وفق الله سبحانه وتعالى كثيرا من العلماء للبيان والتحذير والقوا فيها المؤلفات وهي في الغالب تنحصر فيما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام «يحمل هذا العلم من كل خلق عدوله ينفون عنه غلو الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» فمنهم الشاطبي الذي سمي كتابه الإعتصام وابن الحاج كتابه المدخل ومن اعظم من الف في البدع شيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن القيم رحمهما الله فنشر ما افقه هذان المجددان فيه اعظم خدمة للإسلام هذه المؤلفات بينت الدسائس القديمة التي لم تزل بمحولة عند كثير من العامة واشياا العلماء اما اليوم فهذه المدارس الاجنبية هي ام الدسائس الدينية والسياسية فاحذروها هذا يجعل ما اتانا من الاعداء الخارجين وعلاجه بنشر ما تقدم ذكره لك أيها القارئ لأن هذه المؤلفات تدعو بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله واذا تم هذا فقد تم كل شيء واجتمعت الكلمة والذي يساعد على هذه الخطوة الجبارة اي الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الفرق هو الانتباه الى الدسائس التي دسها اعداء الدين والكثير من علماء السوء واخيرا اقول الواجب على كل فرقة ان تقضي على الغلو بالرجوع الى الكتاب والسنة الصحيحة ففيها الفصالة المنشودة وانما اختار الله سبحانه نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة العامة لما وهبه من الخصائص التي امتاز بها على غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وانما اختار الله سبحانه اللغة العربية لهذه الرسالة لأنها افصح اللغات وأبينها وأوسعها وقد الف العلماء في فضل اللغة العربية ايضا وسعها وامتيازها وانما اختار الله هذا الدين الإسلامي للعالمين لما فيه من المزايا التي لا توجد في غيره من الاديان وصلاحيته لكل فرد وكل امة ومنها ان معجزاته عامة تسهل رؤيتها لكل انسان خالدة باقية الى الأبد فمن هذه المعجزات القرآن الكريم الذي تحدى العرب ولم يزل يتحدى العالم ومنها ان المكتشفات العلمية التي كشفها العالم الى الان كشفها بهذه الوسائل الدقيقة والمراصد العظيمة والمكبرات والتحليلات والجهود والتخصصات ولم يكن احد يعلمها قبل قرن واحد قد سبق اليها القرآن الكريم وجاء بعضها في اقوال الرسول الكريم وانما اختار الله العرب لما وهبهم من المزايا التي فطرهم عليها وقد فاقوا بها غيرهم من أم الارض منها العقل الجبار والقطرة الممتازة والشجاعة والغيرة والكرم والحمية والنجدة وغيرها وان فلاسفة أوروبا يشهدون قال الدكتور «غوستان لوبون» ان المكتبات والمختبرات والآلات لم تكن الا وسائل للبحث والدرس وان قيمتها في الاستفادة فقد يستطيع المرء ان يكون مطلقا على علم السابقين وان يبقى مع ذلك عاجزا عن التفكير الطليق الحر وان يظل لذلك تلميذا غير قادر على الارتقاء الى درجة استاذ ثم قال لوبوت وسري القارئ من الاكتشافات التي تذكرها في الفصول الآتية مقدار ما اكتشفته العرب بما لديهم من الوسائل

والآن اقتصر على ذكر المناهج العامة التي استعانوا بها في توجيه أبحاثهم قال: فالعرب بعد ان كانوا تلاميذ معتمدين على كتب العرفان لم يلبثوا ان ادركوا ان التجربة والترصّد خير من افضل الكتب ولا تقل ان ما ادركه العرب هو من الحقائق المبتدلة فقد جد علماء القرون الوسطى في اوروبا الف سنة قبل ان يلقوه يقول الاوربيون ان — يمكن — اول من قال بالتجربة والترصّد اللذين هما ركنا المباحث العلمية الحديثة ولكن الإنصاف يقضي بأن نعترف بأن الفضل في ذلك للعرب وحدهم وقد أيد هذا الرأي مع ذلك جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب ولا سيما العالم الشهير — همبولد — فبعد ان ذكر همبولد ان ما قام على التجربة والترصّد هو افضل ما في العلوم قال : ان العرب ارتقوا في علومهم الى هذه الدرجة التي كان يحفلها القدماء كل الجهل وقال مسيو — سيديو — ان من اهم ما انتصفت بمجامعة بغداد منذ البداء هو روحها العلمية الصحيحة التي كانت سائدة فيها في استخراج المجهول من المعلوم والعلل من المعلومات وفي عدم التسليم بما لا يقوم على التجربة والترصّد وقد كان العرب في القرن التاسع من الميلاد حائزين لهذا المنهج المجدي الذي اقتبسه علماء اوريا بعد زمن طويل فقد كان عاملا في اكتشافاتهم المفيدة لأن مناهج العرب قائم على التجربة والترصّد واما درس الكتب والاقتصار على تكرار رأي المعلم فما سارت عليه اوروبا في القرون الوسطى والفرق بين المنهجين واضح ولا يمكن تقدير قيمة العرب العلمية الا باظهار هذا الفرق حقا لقد اختبر العرب مسائل العلم وجربوها وقد كانوا اول من ادرك اهمية هذا المنهج في العالم وقد كانوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا .

وقال « دولاير » في كتاب تأريخ علم الفلك اذا عدت بين الإغريق راصدين او ثلاث ثم نظرت الى العرب امكنتك ان ترى بينهم عددا كبيرا من الرصاد واما في الكيمياء فلا نجد عالما يونانيا استند في مباحثه الى التجربة مع أنك تعد مئات من علماء العرب الذين قامت مباحثهم الكيمياوية على التجربة وقد منح اعتماد العرب على التجربة في مؤلفاتهم دقة وابداعا لا ينتظر مثلها من رجل تعود درس الحوادث في الكتب ولم يتعد العرب عن الإبداع الا في الفلسفة التي كان يتعذر قيامها على الترصّد والتجربة وقد نشأ عن مناهج العرب التجريبي الخاص بهم وصولهم الى اكتشافات مهمة وسوف ترى من مباحثنا في اعمال العرب العلمية انهم انجزوا في ثلاثة او اربعة قرون من الإكتشافات ما يزيد على ما حققه الإغريق في زمن أطول من ذلك كثيرا وقد حدث ان انتقل تراث الإغريق العلمي الى البيزنطيين الذين لم يستفيدوا منذ زمن طويل فلما آل الى العرب حولوه الى غير ما كان عليه فقلناه ورثتهم مخلوقا خلقا آخر والحقيقة انه لا يشك عامل منصف رأى العرب ورأى آثار نهضتهم العلمية والسياسية والعمرانية وما الى ذلك من اركان الحضارة التي انشاوها لا يشك بأن العرب افضل شعوب الأرض فطرة وعقلا واخلاقا وان الإسلام هو الذي دفعهم الى هذه الحضارة التي قاموا بها فأدهشوا العالم واقر المنصفون بأنها فاقت جميع الحضارات السابقة واللاحقة والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على المهادي البشير نبينا محمد وآله وصحبايته أجمعين .

عبدالله بن محمد الحلي
امام وخطيب المسجد الحرام

على هامش

أسبوع
الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

للدكتور عبد الله الصالح العثيمين

تتوزع النشاط في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي دعت إليه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . وكان من ذلك النشاط تلك المحاضرة العامة التي ألقاها عالم تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها الشيخ حمد الجاسر مساء يوم الأربعاء ١٤٠٠/٤/٢٥ هـ . وكان عنوان المحاضرة « المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » . وقد تلا هذه المحاضرة وإجابة لمقربها عن أسئلة الحاضرين تعليق للعالم الجليل الأستاذ محمد بهجة الأثري . وكان مما جاء في هذا التعليق تساؤله عن الجمع أو التوفيق بين استخدام الشيخ حمد الجاسر لابن بشر في كثير مما ورد في محاضراته من معلومات وبين عدم اعتناؤه عليه في نقاط معينة أثناء إجابته عن بعض الأسئلة . ومن هذه النقاط روايته عن كيفية خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من البصرة إلى الزبير وروايته عن اعتداء بعض الناس عليه في حرملاء . وقد أوضح الشيخ حمد الجاسر في إجابته عن هذا التساؤل بأنه ليس من الضروري أن يقلل من كل مؤرخ جميع ما ورد في تاريخه من روايات وأخبار ، وأن ابن بشر ، الذي لم يكن معاصراً لحدوث المسألتين السابقتين ، قد نقل خبريهما عن غيره . ولقد ورد في خاطري ، ذلك المساء ، أن أعلق على ما دار حوله نقاش العالمين الجليلين . لكن بدا لي أن الجو لم يكن يسمح بإبداء ما لدي . وهأنذا أكعب ما كنت قد توقفت عن قوله في تلك المناسبة ، أملاً أن يسهم في إيضاح بعض جوانب الموضوع الذي دار حوله النقاش .

لعله من المسلم به صحة ما أشار إليه الشيخ حمد الجاسر من أنه ليس ضرورياً أن يقلل من المؤرخ جميع ما في تاريخه من روايات . فمن مهام الباحث أن يحلل الروايات المختلفة ليخرج بما يرى أنه أقرب إلى الحقيقة . ولا تقتصر مهمته على تحليل ما رواه المؤرخ من أحداث سابقة لعصره ، وإنما تشمل ، أيضاً ، ما رواه من أحداث معاصرة له . والنظرة إلى ابن بشر ينبغي ألا تخرج عن هذه القاعلة العامة . فبالرغم من أن تاريخه يعتبر من أهم مصادر تاريخ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية التي قامت على أساس دعوته إلا أن التسليم له بلاحظ عدم دقة مؤلفه ، أحيانا ، في التعبير عن أمور معاصرة له وروايتها لها ^(١) . وإذا كان احتمال عدم الدقة وارداً بالنسبة لكاتبه هذا المؤرخ عن أمور عاصرها فإن احتمال ضعف روايته عن أمور سبقت عصره أقوى وأقرب إلى الوقوع . والحادثنان اللذان دار النقاش حولهما بين العالمين الجليلين : الجاسر والأثري ، وقعا قبل مولد ابن بشر بأكثر من نصف قرن . ومن خلال مناقشتها ، مع روايته لحوادث مشابهة لها في الهدف ومقاربة لها في الزمن ، يتضح مدى صحة رواية هذا المؤرخ أو ضعفها في هذا المجال . يقول ابن بشر عن قضية خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من البصرة :

« ثم إن الشيخ اجتمع عليه أناس في البصرة من رؤسائها وغيرهم فاذوه اشد الأذى . وأخرجوه منها وقت الظهيرة . ولحق شيخه - يعني الجموي - منهم بعض الأذى . فلما خرج من البصرة . وتوسط في الدرب فيما بينها وبين بلد الزبير أدركه العطش وأشرف على الهلاك وكان يمشي على رجليه - حافيا - وحده . فوافاه صاحب حمار مكاري يقال له أبو حميد أن من أهل الزبير . فرأى عليه الشيبة والوقار وهو مشرف على الهلاك . فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الزبير » (٢٧) .

والتأمل في هذه الرواية تتضح له عناصر الصورة الدرامية عن كيفية خروج الشيخ محمد من البصرة . فالراوي قد أخرجه من تلك المدينة بعد إيداء شديد ، واختار لخروجه منها وقت الظهيرة . وصوّره وحده ماشيا على قدميه . ولم ينس - مبالغة في التصوير الدرامي - أن يذكر إدراك العطش للشيخ وإشراقه على الهلاك في وسط الدرب بين البصرة والزبير . بل إنه لم ينس ، في سبيل إكمال الصورة للمأساة . أن يقول : إن الشيخ كان حافيا . وحين انتهى ذلك الراوي من ذكر العناصر الهادفة إلى إيضاح ما نال الشيخ من مصائب في سبيل دعوته عاد ليبيّن أن الفوز للصابرين مهما اذخمت الخطوب . وهكذا قدّر الله سبحانه أن يواتي من كانت تلك حاله صاحب حمار مكاري فيسقيه ويحمّله على حماره حتى وصل إلى الزبير بسلام .

وبالرغم مما في الرواية السابقة من تصوير مؤثر فإن ما ورد فيها لم يذكر من قبل مؤرخين لها وزنها في مجال الحديث عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهما حسين بن غنام الأقرب إلى الحادثة زما والأقرب إلى بطلها صلة . وعبد الرحمن بن حسن حفيد ذلك الشيخ . وكلام ابن غنام يوحي بأن موقف الشيخ في البصرة كان قويا للدرجة أنه كان يفهم خصومه بالحجة والبرهان . وليس في كلامه أي ذكر لإخراج الشيخ من البصرة بغير رضاه ، أو معاناته خلال سفره منها (٢٨) . وكلام عبد الرحمن بن حسن ينص على أن جده عاد إلى البصرة بعد ذهابه إلى الأحساء ، وأنه تركها مرة ثانية إلى الحجاز . وكلامه لا يدل ، بأية حال ، على أن خروجه من البصرة في كلتا المرات كان خروجيا غير طيعي (٢٩) . وبناء على ما تقدم فإن للباحث ، أو عليه ، أن ينظر إلى رواية ابن بشر عن الحادثة السابقة بحذر شديد .

أما بالنسبة للسنة الثانية ، وهي رواية ابن بشر عن محاولة اعتداء أناس من أهل حرملاء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فإنها لم تكن بالصورة التي أظهرت بها الحادثة الأولى . ولكنها مقاربة لها في بعض جوانب الهدف الذي رويتا من أجله . يقول ابن بشر : « وكان في البلد - يعني حرملاء - عبيد لإحدى القبيلتين كثير تعدبهم وفسقهم . فأراد الشيخ أن يمنعوا عن الفساد ، وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فهم العبيد أن يفتكروا بالشيخ ويقتلوه بالليل سرا . فلما تسوّروا عليه الجدار علم بهم أناس فصاحوا عليهم ، فهربوا . فانتقل الشيخ بعدهما إلى بلد العينة » (٣٠) .

وهذه القصة غير مذكورة ، أيضا ، في تاريخ ابن غنام . لكن من المعروف لدى المهتمين بتاريخ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن معارضته لما كان يراه مخالفا للعقيدة الصحيحة والشرع القويم أصبحت أكثر قوة بعد وفاة أبيه سنة ١١٥٣ هـ . ومن المحتمل أن

ذلك جاء نتيجة اقتناعه بأنه أصبح أبرز شخصية علمية في البلدة . وعلى هذا الأساس فإنه من غير المستبعد أن يكون الشيخ قد أراد أن يمنع ذوي الفساد من ممارسته . أمراً بنعروف وبها عن المنكر . ولأنه لم تكن في حرملاء . آنذاك . إمارة قوية فإن هؤلاء ربما حاولوا الاعتداء عليه . لكن إذا سلم برجع وقوع هذه الحادثة فإنه من الواضح أنها لم تكن السبب في انتقال الشيخ من حرملاء إلى العينة . كما قد يفهم من عبارة ابن بشر الواردة في آخر الرواية السابقة « فانتقل الشيخ بعدها إلى بلد العينة » . ومن المرجح أن ذلك الانتقال يعود إلى سبب رئيسي وسببين ثانويين . أما السبب الرئيسي فهو قبول أمير العينة . عثمان معمر .

لدعوة الشيخ . وذلك ما ذكره ابن غنام ، بعد إشارته إلى انتشار تلك الدعوة في بلدان العارض المشهورة . بقوله :

« ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها - يعني حرملاء - والارتحال والإقامة بالعينة . فجد في الرحل والانتقال . وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر لقبول هذا الدين » (٦)

وأما السببان الثانويان فأحدهما كون العينة أقوى من حرملاء وكونها موحدة الزعامة ، وهذا ما لم يكن متوافراً في حرملاء التي كانت السلطة فيها متقسمة ، والتي لم يكن لها « رئيس يزع الجميع » حسب تعبير ابن بشر (٧) . وما دام أمير البلدة القوية الموحدة متقبلاً للدعوة فاحتمال نجاحها فيها أكبر من احتمال نجاحها في حرملاء . وكان نجاح الدعوة هو ما يبحث عنه الشيخ بن عبد الوهاب . والثاني من السببين الثانويين وجود مكانة اجتماعية بارزة لأسرة الشيخ في العينة منذ قدوم جده . سليمان بن علي . إليها واحتلاله مركز القضاء فيها . ويضاف إلى ذلك أنها كانت مسقط رأس الشيخ ومكان نشأته . ولذا فقد كان يوجد لديه ميل نفسي إليها . وهكذا توافرت العوامل لانتقاله إليها فانتقل .

وقريب من رواية بشر الدرامية عن كيفية خروج الشيخ من البصرة ما ورد في إحدى طبعات كتابه حول خروج ذلك الشيخ من العينة إلى الدرعية . فبعد أن أشار إلى ضغط حاكم الأحساء على عثمان بن معمر للتخلص منه ذكر أن عثمان قال للشيخ :

« ليس من الشيم والمروءة أن تقتلك في بلادنا . فشأنك ونفسك ، وخل بلادنا . فأمر فارساً عنده يقال له الفريد مع خيالة معه منهم طوالة الحمراي . وقال : اركب جوادك وسم بهذا الرجل إلى ما يريد . فقال الشيخ : أريد الدرعية . فركب الفارس جواده والشيخ يمشي راجلاً أمامه . وليس معه إلا المروحة . وذلك في غاية الحر في فصل الصيف . فقال ابن معمر لفارسه : إذا أنت وصلت إلى أخيه يعقوب فاقتله عنده ... فسار الفارس والشيخ أمامه وهو لا يلتفت ويلهج بقوله تعالى : (ومن يتن الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، والفارس لم يكلمه . فلما هم بقتله كلف الله عنه يده ، وأبطل كيده ، وقدف الله سبحانه في قلبه الرعب حتى ما استطاع أن يمشي قدماً . فحرف جواده وانصرف إلى العينة . وقال لعثمان : إنه أصابه رعب عظيم حتى خفت على نفسي » (٨)

وهذه القصة لم ترد في تاريخ ابن غنّام . وليس الباحث في حاجة الى محاولة إيضاح ما يبرهن على صحتها . ذلك أن ابن بشر نفسه كفى الباحثين هذه المهمة حين كتب في المبيضة الثانية من كتابه هذه القصة كما يلي :

« ليس من الضم أن تؤذي في بلدنا مع علمك وقرابتك ^(١٠) . فشأنك ونفسك وحق لنا ببلادنا . فأمر على فارس عنده يقال له الفريد الظفيري وخيالة معه منهم طوالة الحمراي . وقال لهم : اركبوا مع هذا الرجل الى ما يريد . فقال الشيخ : أريد الدرعية . فسار الشيخ ومعه الفرسان حتى وصل الدرعية . ذكر لي أنه في طريقه لا يفتر لسانه من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) . وأعلم رحمك الله أني قد ذكرت في المبيضة الأولى أشياء نقلت لي عن عثمان بن معمر وقرسائه انه امرهم بقتل الشيخ في الطريق وغير ذلك . ثم تحقق عندي أنه ليس لها أصلا [هكذا] بالكلية فطرحتها من هذه المبيضة » ^(١١) .

ولم تقتصر الروايات الضعيفة الواردة في تاريخ ابن بشر حول نشأة الدعوة على ما سبق . وإنما تعددت . ومن هذه روايته عن الظروف التي أحاطت بالشيخ منذ وصوله الى الدرعية حتى اتفاقه مع محمد بن سعود . ومما جاء في هذه الرواية أن الشيخ نزل عند ابن سويلم . فضاقت على هذا داره خوفا من أمير البلدة ، وأن بعض الخاصة من أهل الدرعية علموا بقدوم الشيخ فأخذوا يزورونه سرا . وأن هؤلاء هموا بنصح الأمير لنصرته لكن طيبتهم منه اتصلوا بزوجته لتقوم بهذه المهمة . وكانت النتيجة أن نجحت في إقناعه . ثم انتهت الرواية بذهاب الأمير محمد بن سعود إلى بيت ابن سويلم ليسلم على الشيخ ويتفق معه على نصره الدعوة ^(١٢) .

وقد أبدى الدكتور منير العجلاني شكه في صحة هذه الرواية . معللا ذلك بأن دعوة الشيخ كانت مشهورة في الدرعية ومعتقة من قبل بعض زعمائها قبل انتقاله إليها . بل إنه يعتقد - بناء على رواية مانجان - أن الشيخ لم يخرج من العينة إلا بعد أن دعت الدرعية إليها ^(١٣) . وسواء قبل ما اعتقده الدكتور العجلاني من دعوة الدرعية للشيخ أم لا فإن ما ذكره من شهرة الدعوة في تلك البلدة واعتناق بعض زعمائها لها قبل قدومه إليها من الأمور الثابتة . ذلك أن دعوة الشيخ كانت ، آنذاك ، قد نجحت في القضاء على ما كان الجهال في المنطقة يتوسلون به . وقد أحدث ذلك ردود فعل واسعة لا في نجد فحسب بل خارجها . ومن هنا فليس من المحتمل أن يكون مجيء صاحب تلك الدعوة الى الدرعية من الأمور التي لا يعلم بها أمير تلك البلدة ، أو أن يوجد فيها ويزار خفية من قبل بعض خاصتها . على أن ابن غنّام قال عن هذه القضية بالذات :

« فخرج الشيخ الى بلد الدرعية ... فنزل على عبدالله بن سويلم تلك الليلة ، فأقام عنده ذلك اليوم . ثم بعده انتقل الى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم . فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود ، أسكنه الله دار الخلافة ، قام من فورهِ مسرعا إليه ومعه إخوته ثنيان ومشاري ، فأثاء في بيت أحمد بن سويلم ، فسلم عليه ، وبادره بالقبول والتقبل » ^(١٤) .

وواضح ان رواية ابن غنام لا تشير الى ثلاثة أمور وردت في رواية ابن بشر . وأثارت حولها الشكوك . وهي خوف ابن سويلم حين نزل عنده الشيخ . وزيارة بعض خاصة الدرعية له سرًا . واتصالهم بزوجة الأمير محمد بن سعود لاقتناعه بالدعوة ونصرتها . لكن في عبارة ابن غنام السابقة ما يوحي بأن أمير الدرعية لم يسمع بقدم الشيخ إلا بعد انتقاله إلى بيت أحمد بن سويلم . ويفهم من هذه العبارة أن ذلك الأمر لم يحدث إلا بعد يوم وليلة من وصوله إلى تلك البلدة . ويدعو أن ابن غنام لم يكن دقيقاً في عبارته . فمن المحتمل أن الأمير محمد بن سعود لم يذهب للسلام على الشيخ فور وصوله إلى الدرعية . لكنه من غير المحتمل أن يكون الشيخ قد بقي يوماً وليلة في البلدة دون علم أميرها به .

ومن العبارة الواردة في رواية ابن غنام وإشارة ابن بشر إلى الدور الذي كان لزوجته الأمير محمد بن سعود يبدو أن الأمر كان كما يلي : حين وصل الشيخ إلى الدرعية نزل عند ابن سويلم . الذي كان من الشخصيات البارزة هناك . وقد جرت العادة أن يذهب القادمون إلى أمير البلدة التي يفدون إليها للسلام عليه . لكن الشيخ لم يفعل ذلك . ربما لأنه كان يعتقد أن العلم يجب أن يسمي إليه . ومع علم الأمير محمد بن سعود بقدمه فإنه - بدوره - كان يرى أن يؤتى إليه بصفته أميراً . كما هي العادة المتبعة . وهكذا مر يوم وليلة دون أن يكون لقاء بين الرجلين . ولما لزوجته الأمير العاقلة من حظوة لدى زوجها سارع أنصار الشيخ إليها يسألونها أن

تقع ذلك الزوج لا لقبول الدعوة - كما ذكرت رواية ابن بشر - ولكن ليذهب بنفسه للسلام على القادم الجديد ويظهر له الاحترام . وكان أن فعل .

ولعله من المستحسن قبل ختام هذا التعليق مناقشة رواية أخرى من روايات ابن بشر حول تلك الفترة التاريخية رويت . فيها يظهر لنفس الغرض الذي رويت من أجله رواياته السابقة . واتسمت بما اتسمت به تلك الروايات من ضعف . وهذه الرواية تتحدث عن الغزوة الأولى التي بدأ بها جهاد أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أو الصراع المسلح بين أنصار تلك الدعوة وخصومهم . يقول ابن بشر عن هذا الأمر :

« ثم أمر الشيخ بالجهاد ... فامتثلوا . فأول جيش غزا سبع ركائب . فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أكوارها : لأنهم لم يعتادوا ركوبها . فأغاروا ، أظنه ، على بعض الأعراب ، فغنموا ورجعوا » (١٤) .

وقد وردت هذه القصة في كتابين آخرين بصورة مقاربة لرواية ابن بشر في الخلف الذي سبق من أجله ، وهو اظهار ضعف الدعوة في بداية الأمر . مع اختلاف في التفاصيل . فالمؤلف المجهول لكتاب كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يذكر أن أول غزوة خرجت من الدرعية كانت مكونة من ستة عشر رجلاً على ثمان من الإبل . وأن الذين قاموا بها رجعوا دون الحصول على غنائم (١٥) . ويؤكد ركايت يقول : إن عدد الإبل في الغزوة الأولى كان سبعاً ، لكنه لم ينص على عدد الرجال ولم يشر إلى نتائج غزوتهم (١٦) . وذلك يعني أن هذه القصة كانت شائعة في المنطقة آنذاك .

ولعله من الواضح ما في رواية ابن بشر السابقة ، بالذات ، من تصوير يميل إليه عشاق

القصص أكثر مما يركز إليه طلاب الحقيقة التاريخية . ذلك أنه من المنتظر أن يبذل قادة الدرعية ما في وسعهم لإظهار الغزوة الأولى من غزواتهم بمظهر القوة والاستعداد . ومن المستبعد ألا يكون لديهم . آنذاك . غير ذلك العدد القليل من المهشين للغزو . ومن المعروف أن الإبل كانت وسيلة المواصلات لدى أهل نجد في ذلك الزمن . ومن غير المحتمل أن يكون كل أفراد الغزو لا يتقنون ركوبها للدرجة أنهم جميعاً سقطوا من أكوارها حين أسرع بهم . وابن بشر نفسه لم يكن متأكداً من أولئك الذين وجهت إليهم الغزوة المذكورة ١ . ولم يذكر إلى أية قبيلة ينتمون . وفي ذلك ما فيه من أدلة ضعف الرواية . ذلك أن الغزوة الأولى أجدر أن يتم بها . وأن يعرف . على الأقل . من كانت موجهة إليه . ثم بعد إيضاح ذلك الضعف في الاستعداد وعدم ذكر الهدف الموجه إليه الغزو نختم الرواية بأن الغازين عادوا غانمين ! ومن الواضح أن المؤرخين السابقين الثلاثة متفقون على ضعف الغزوة الأولى التي قام بها أنصار الدعوة . وأنهم متفقون . أيضاً . على أن هؤلاء الأنصار هم الذين بدأوا القتال مع خصومهم . لكن ابن غنام ، الذي لم ترد هذه القصة في تاريخه . يذكر أن بداية القتال بين الدرعية وخصومها كانت نتيجة لاعتداء دهم بن دواس ، أمير الرياض ، على مفتوحة التي كانت ، آنذاك ، تابعة لدولة الدرعية الناشئة ^(١٧) . وهذا يعني أن خصوم الدعوة هم الذين بدأوا القتال مع أنصارها . وقد ورد في رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى السويدي ما يؤيد رواية ابن غنام السابقة إذ قال :

« وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة . وهم الذين أتونا في ديارنا » (١٨) .

وهكذا تبدو بعض روايات ابن بشر عن حياة الشيخ وبداية دعوته ضعيفة أمام من يتأملها . ولكن ذلك لا يعني أن كتابه لا يعتبر من أهم كتب تاريخ حياة الشيخ ودعوته

والدولة التي قامت على أساسها . ولا شك أن ذلك المؤرخ كان يتحرى الصدق ، بدليل أنه حين اتضح له عدم صحة ما رواه في إحدى مخطوطات كتابه عن أمر ابن معمر لفارسه بقتل الشيخ أشار إلى ذلك وحذف القصة من ذلك الكتاب . لكنه كان يروي تلك الأحداث التي لم يعاصرها عن آخرين ، كما ذكر في مستهل هذا التعليق . ولا شك ، أيضاً ، أن هدف أولئك الرواة من الروايات السابقة إظهار ما عاناها الشيخ ، رحمه الله ، في سبيل الدعوة ، وإظهار نصر الله لها مع أنها كانت ضعيفة جداً في بداية أمرها . وفي هذا وذاك حث للمخلصين على الصبر وتبشيرهم بأن الله معهم مما كانوا ضعفاء .

د. عبدالله الصالح العثيمين

- (١) من ذلك - مثلاً - أنه حين تحدث عن وصول خبر اغتيال الإمام تركي بن عبدالله إلى ابنه فيصل في شرق الجزيرة العربية قال : وكان معه رؤساء المسلمين من الأمراء والأعيان ، منهم رئيس الجبل عبدالله بن علي بن رشيد . انظر عنوان المجد في تاريخ نجد . طبعة وزارة المعارف ، ١٣٩١ هـ : ٦٥/٢ . ومن المعروف أن عبدالله بن رشيد لم يكن - آنذاك ، قد أصبح أميراً للجبل . المصدر السابق : ٢١/١ .
- (٢) ابن غنام . روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الاسلام . القاهرة . ١٣٦٨ هـ : ٧/١ - ٢٨ .
- (٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية . جمع عبد الرحمن بن قاسم . جدة - ١٣٨٨ هـ : ٢١٦/٩ .
- (٤) ابن بشر ، عنوان المجد .. ٢٢/١ .
- (٥) ابن غنام ، روضة الأفكار .. ٣٠/١ .
- (٦) ابن بشر ، عنوان المجد .. ٢٢/١ .
- (٧) المصدر السابق طبعه أبا بطين الثانية . القاهرة ١٣٧٣ هـ : ١٩/١ .
- (٨) لعلّه بذلك يشير الى زواج الشيخ من الجوهرية بنت عبدالله بن مسمّر .
- (٩) انظر تاريخ ابن بشر ، عنوان المجد .. طبعة وزارة المعارف ، ١٣٩١ هـ : ٢٣/١ .
- (١٠) المصدر السابق : ٢٤/١ .
- (١١) منبر المجلاني تاريخ البلاد العربية السعودية بيروت ، ١٣٨٥ هـ : ٩١ .
- (١٢) ابن غنام ، روضة الأفكار ... : ٣/٢ .
- (١٣) ابن بشر ، عنوان المجد ... : ٦/١ - ٢٧ .
- (١٤) مؤلف مجهول ، كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، عطلوط . المكتبة الوطنية بباريس ، رقم ٦٠٦١ : ٢ - ٣ .
- (١٥) Bunerahardt, Notes on the Bedonins and Wahabys London, 1831 : 2/98.
- (١٦) ابن غنام روضة الأفكار ... : ٦/٢ .
- (١٧) المصدر السابق : ١٥٤/١ .

الصلوات
التاريخية
بين
الخليج العربي
والمغرب الأقصى

للمؤلف / عبد العزيز بن عبد الله

الخليج عريق في العروبة وقد استعمل الجغرافي اليوناني سترابون المتوفى بين ٢١ و ٢٥ ميلادية كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ويرجع اطلاق المؤرخين اسم الخليج (X) الفارسي الى القائد اليوناني نيرمس بعدما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الأكبر حيث لم يمر الا من الساحل الشرقي فظن ان المنطقة كلها فارسية وتتجلى عروبة المنطقة ايضا منذ أعرق^(١) العصور في الاسم الذي تحمله مقاطعة «خوزستان» الايرانية التي كانت تسمى من قبل الفرس الى السنوات الاخيرة «عربستان» اي بلاد العرب ولا تزال تقطنها الى الآن قبائل عربية مختلفة كبنى تميم الذين ينتسب اليهم الخليفة الاول أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

و «عربستان» هذه هي التي كانت تسمى «الأهواز» والأهواز كما جاء في معجم البلدان جمع هوز وأصله حوز لأنه ليس في كلام الفرس جاء حيث يقولون مهمد لمحمد ولذلك نرى أن كلمة الأهواز اسم عربي اطلق على هذا الاقليم في العصر الاسلامي وتسمى بهذا الاسم في المغرب الأقصى ناحية مراكش عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين ولعل بهذه التسمية صلة بما يحكيه بعض المؤرخين حول اسباب اطلاق اسم سوس على أقصى جنوب المغرب في الأطلس الصغير فيروي المؤرخ الروماني سالوت (Salluste) المتوفى في عام ٣٥ ق. م. (في الكتاب الذي صنفه حول «حرب يوغورثا» ملك نوميديا من أسرة أمراء البربر والمولود عام ١٥٤ ق. م.) ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على شبه الجزيرة الأيبيرية (أي اسبانيا والبرتغال) في عهد هيراكلس (Héraclès) (وهو هيركول اللاتيني الذي سميت به أساطين هرقل أي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الأقصى) قد تحولت أشرعة مراكبهم بشدة الريح الى المحيط الاطلنطي فوصلوا الى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيوتول (Gétules) (وهم أهل جزولة الحالية على ما يظهر) فتصاهروا معهم وسميت سوس (وكذلك كل من مدينتي سوسة التونسية واليبية وهما متشابهتان ونهر سوس قرب قرطبة واشبيلية بالاندلس وسوسية كورة بالاردن) معجم البلدان ج ٥ ص ١٧٣) وسوسة مدينة بالاصن (صبح الاعشى ج ٤ ص ٤٨٣) اقتباسا من كلمة سوسانة (Susiane) أو

أرض عيلام (Elam) الواقعة بمنطقة الأهواز على أن الفرس قد اشتهروا قديما بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم وقد أطلق هذا الاسم على أهل نوميديا وهي إقليم إفريقي يقع بين منطقة قرطاج التي أسسها الفينيقيون كعاصمة لمستعمرتهم عام ٨١٤ ق.م وبلاد موريطانيا وقد خضعت هذه المنطقة بعد ثورة يوغورطا الى الحكم الروماني وسنرى كيف أن هذه العناصر تشكل حلقات في الشبكة الواسعة التي حبكها الفينيقيون منذ أعرق العصور بين الشمال الافريقي والخليج العربي نعم كان للعرب الكنعانيين أي الفينيقيين جولات في الخليج العربي فهم الذين أسسوا مدينة تير Tyt (صور الحالية في لبنان) في الألف الثالثة قبل الميلاد وكانت عاصمة تشرف على القوافل التي تنقل الى الغرب ما ينتجه الشرق الآسيوي عبر بحر القلزم والفينيقيون هم الذين أسسوا مدينة قرطاج واسمها محرف عن قرية حداث أي القرية

الحديثة لأنها أسست بعد كل من مدينة أوتيك (Utique) التونسية ومدينة ليكس (Lisc) المغربية حوالي ١١٠١ ق.م) وقد سقطت مدينة تير تحت الحكم الروماني عام ٦٤ ق.م واشرف عليها وعلى قصر غرعون أي وليي القديمة (Velubilis) بالمغرب الأقصى الامبراطور الروماني سبتيم سيفيرا (Septime Sévère) بين سنتي ١٩٣ و ٢١١ ق.م) .

ويرى بعض المؤرخين أن الفينيقيين كانوا قد استقروا فترة من الزمن في شواطئ الخليج قبل ان يتنقلوا الى الساحل السوري وأنهم سمو مدينة « صور » على شاطئ البحر المتوسط تيمنا باسم مدينتهم الأولى على شاطئ الخليج ولعل الآثار التي تم الكشف عنها في المنطقتين تضفي على هذه الرواية سمة من الحقيقة لا سيما وأن مؤرخين محدثين قد أكدوا ذلك ومن جملتهم الأستاذ جان جاك بيربي (J.J. Berreby) في كتابه « الخليج الفارسي » (le Golfe Persique) والاستاذ أمين الرحباني الذي أبرز بالاضافة الى ما ذكر تشابك الدوحة العربية بالدوحة الفينيقية في كتابه « ملوك العرب » .

وبذلك يكون الفينيقيون قد هاجروا من الخليج الى البحر المتوسط منذ خمسة آلاف سنة كما يقول المؤرخ رولنسون .

وقد وسع الفينيقيون شبكة مستعمراتهم على سواحل المتوسط وأسسوا ليكس واوتيك ومالقة وقادس (بالاندلس) وهيو (غناية وبنزرت) ثم تجاوزوا حسب ستربون أماطين هرقل وتؤكد ذلك بعد قيام خبراء بحفريات على طول سواحل المحيط الاطلنطي مما قد يؤكد النظرية القائلة بأن هانون قد وصل في رحلته في القرن الخامس قبل الميلاد درعة والساقية الحمراء وربما غينيا في قلب القارة الافريقية وقد أصبحت اللغة البونيقية langue Punique المستمدة من الكنعانية العربية مع تطعيمات محلية لغة أشبه بعامية افريقيا الشمالية في العصر الحاضر نشرنا بحثا عنها في مجلة « اللسان العربي » (التي أتشرف بادارتها ورياسة تحريرها وهي لسان « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ») وخلاصة ما في هذا البحث أنه عثر في البرازيل على حجارة مكتوبة بالعربية اليونية تحمل تاريخ ١٢٥ ق.م نتج عن مقارنتها باللهجة الدارجة اليوم في المغرب العربي أن هذه اللهجات

ليست سوى امتداد أصيل للغة بني كنعان العربية العريقة التي استعملت قبل الاسلام في كل من الخليج العربي والمغرب وبذلك تأكد أن لغة الضاد قد مهدت السبيل للإسلام في المغرب العربي قبل البعثة المحمدية بأزيد من ألف عام وقد اعتبر الرحالة المغربي الكبير الحسن بن محمد الوزان المعروف عند الغربيين بليون الافريقي (Léon l'Africain) أن الفينيقيين عنصر هام في سكان افريقيا الأقدمين حيث انتقل فوج منهم صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام ١٢١٥ ق.م عندما أوجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم تابعت الجاليات أيام نبي الله داود عليه السلام عام ١٠٥٥ ق.م والواقع أن العرب كانوا يملأون — بالإضافة الى الشمال الافريقي — هضاب وبطاح جنوب افريقيا حيث كشف الدكتور استاني تيمبور على مقبرة من نهر زمبيزي في مقاطعة روديسيا أثارا منقوشة مع رسوم مكتوبة استدل بها على أن العرب استثمروا مناجم الذهب التي كان قد استثمرها قبلهم أسلافهم عرب اليمن وقد لاحظ صاحب قصة الحضارة (ج ٢ ص ٤٣) أن الحضارة ظهرت في بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة وانتشرت في صورة مثلث الى شومر وبابل وأشور ومصر وبعض هذه النظرية ما قيل من أبوة اليمن (بلد العرب البائدة) للشعب العربي في سائر أقطاره وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث كانت نسبة المواليد منخفضة والوفيات مرتفعة مما سهل استيعاب الهجرة .

وقد تحدث ابن خلدون في تاريخه (ج ١ ص ٩٩ طبعة بيروت) عن عروبة جبال الأطلسي المغربية فإشار الى ما أكده المؤرخون والنسابون العرب أمثال الطبري والحرجاني والمسعودي وابن الكلبي من أن صنهاجة (سكان الأطلس الأوسط) ومصمودة (سكان الأطلس الكبير) وكثامة (بشمال وشرقي المغرب الأقصى) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة — حسب هذه الرواية — أعرق في العروبة من ربيعة ومضر لانتسابهم الى افريقش بن قيس بن صفي الحميمي وقد تحدث عن هذه النظرية القلقشندي في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٢١) فلاحظ أن افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام — مركز الفينيقيين ومهاجري الخليج العربي — الى المغرب ملاحظا أن أكثر الأقوال جانحة الى عروبة البربر خلافا لابن حزم (في جمهرته — وتبعه ابن خلدون) (التاريخ ج ٦ ص ٩٦) الذي زعم أنه لم يكن لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر ان ابن خلدون أغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم (أي عيذاب وبور سودان الحالية) وصحراء السودان والتشاد بالصحراء الغربية الممتدة من تنيكو الى النيجر الى مراکش تلك الطريق التي أكد الحسن الوزان في وصف افريقيا (ج ١ ص ١٤ و ٢٩) أنه رافق عام ٩١٨ هـ تجارا انتقلوا من المغرب الى السودان ثم مصر حيث دشنا طريقا جديدة من الجنوب تصل الصحراء بمصر عن طريق التشاد وكانت الطريق العادية بواسطة قران وطرابلس قد هجرت منذ قرن نظرا لعبث عرب الساحل وكذلك البحر بسبب القرصان المسيحيين وقد لاحظ المؤرخ الالماني (هانز Hanz Helfritz) في كتاب له حول اليمن (تعريب خيرى حماد ص ١٣٤) التشابه الملحوظ بين الألحان في اغاني الجنوب العربي وبين الموسيقى البربرية التي تمكن كارل ولهم لحان (١٧٩٣ م

(١٨٥١ م) من تسجيلها فأبرز وحدة الانشاد أضف الى ذلك وجود أبنية بالأطلس تشبه تلك التي تقوم في الجنوب العربي وتعمل نفس المظاهر المعارية وقد شرح هورون بوستل النوسوي (١٨٧٧ — ١٩٣٥ م) انتماء البربر والجنين الى أصل واحد ينتسب الى آسيا الشرقية .

وسرى كيف أن مجلسة عاصمة الصحراء كانت منذ القرن الثالث الهجري مركزا للقوافل التجارية بين بصرة المغرب وبصرة الخليج وليس يبدع ان يوغل في الصحراء أهل هذه الصحراء لا سوا وأن هؤلاء كان دأبهم في جميع الأعصار القرار من رطوبة السواحل والتوغل في الرمال سواء كانت في النجر أم في السودان ان أم في الثلث الخالي من جنوب غرب آسيا وقد أسس العرب مراكز تجارية في غمار الصحارى كمحطات للقوافل المحملة بالضائع المجلوة من أقاصي البلاد وكانت التجارة آنذاك تمر حتما في الطرق البرية لأن العرب لم يكونوا قد استأنسوا بعد بالطرق الملاحية وقد ساعدت وحدة نظام الحياة القبلية في الصحراء على هذا الترابط .

ويعتبر القرن الثالث الهجري قمة نشاط الحركة التجارية برا وبحرا وفرة ذهبية في تاريخها فالى القرن الثالث الهجري يرجع تاريخ الكثير من رحلات الجغرافيين العرب حول العالم كابن وهب القرشي الذي رحل الى الصين عام ٢٥٦ هـ وسليمان الصرافي الذي كتب رحلته الى الخليج العربي والخليج الصيني عام ٢٣٧ هـ وسلام الترجان الذي رحل الى الصين الشمالي أيام الخليفة الواثق بالله واليعقوبي صاحب البلدان وابن خردادبه . صاحب المسالك والممالك المتوفى عام ٣٠٠ هـ أما في أوائل القرن الرابع فهناك الحسن المهلب الذي رحل الى السودان عام ٣٧٥ هـ وعبد التاريخي الاندلسي المتوفى عام ٣٦٣ هـ وهو صاحب « كتاب

وصف افريقية والمغرب » وأبو دلف الذي رحل الى الصين حوالي ٣٣١ هـ والاصطخري صاحب « الاقاليم » و « المسالك والممالك » الذي لقي ابن حوقل استغرق تجواله حول العالم ثلاثين سنة والمسعودي صاحب « مروج الذهب » و « معادن الجواهر » الذي فرغ منه عام ٣٣٦ هـ وهو كما وصفه ابن خلكان إمام المؤرخين والواقع أن طريق الوطن العربي الى الصين فتح منذ عام ٣١ هـ (٦٥١ م) بتتابع سفارات بلغت في ظرف ١٤٧ سنة ستا وثلاثين بعثة دبلوماسية عربية (مجلة بناء الصين عدد ٣ — ١٩٦٦) على أن الكلمة التي استعملها التجار العرب والرحالون الاوربيون في العصور الوسطى لتسمية بيكين (Peking) هي لفظة خان باليك (Khan balik) (دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ١٠٢٤) وكانت الخطوط التجارية كلها سواء انبثقت من غرب اوربا أو من الشمال الافريقي أو من روسيا تؤدي الى ميناء الأبله وميناء البصرة وقد أكد الرحالة بانيكار في كتابه حول « آسيا والسيطرة الغربية » ان العرب سواء في الشرق أم في الغرب أصبحوا يتنافسون مع الشعوب الأخرى على تجارة الأفاوية فكان للتجار مستودعات بالقاهرة والاسكندرية بل حتى بمدينة قاس في المغرب الأقصى (ص ٣٧ ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد) أضف الى ذلك ان تجارة الرقيق المحبوب من افريقيا السمراء وحركة الحجيج كان لها ضلع في تعزيز هذه الحركة التجارية وقد بلغ من

اهتمام المسئولين العرب بتأمين طرق المواصلات أن عزم عمرو بن العاص وبعده هارون الرشيد على شق ترعة السويس حتى تمت الحظوظ التجارية دون انقطاع من الأندلس والمغرب إلى الصين وقد اشتهرت ثلاث مدن ملاحية في الخليج العربي بنشاط غامر في هذا الحقل التجاري فكانت سيراف تربط الخليج بالصين بينما كانت البصرة نقطة التقاء للسبل البحرية وطرق القوافل التجارية حيث بذت في شهرتها ميناء الأبله الذي ظل مع ذلك المركز التجاري الأوجد ما بين الخليج العربي والخط الملاحي لئير دجلة الممتد إلى البصرة وقد تعزز التبادل آنذاك بين الشرق والغرب بوحدة العملة حيث كان التجار يعتمدون العملة الذهبية وهي الدينار والفضية وهي الدرهم وقد بلغت مكانة سجلماسة مبلغا جعل الأندلسيين أنفسهم يتعاملون بالدينار السجلماسية (البيان لابن عذارى ج ٢ ص ٣٤٤) نظرا لضرورة توحيد العملة بين المراكز التجارية في طريق القوافل وقد وقع العثور عام ١٩٥١ في الانقراض الاسلامية بقصر فرعون (volubilis) على ٢٣١ درهما قضيا من العصر الأموي مع دينار ذهبي دمشقي وكلها دراهم شرقية من واسط ومرو واصطخر وجند بسابور ودمشق وحمدان وافريقية .

وإذا علمنا أن البصرة تقع على الطرف المباشر للصحراء في جانب الأرض المزروعة وبساتين النخيل في منطقة شط العرب علمنا لماذا كانت محط انظار الحضريين والصحراويين من المغاربة حيث أسست بصرة المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير شمالي المغرب وظلت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان ومرحلة في طريق القوافل إلى أن هدمها أبو الفتح عام ٣٦٨ هـ (البيان لابن عذارى ج ١ ص ٣٣٠) وقد حدثنا ناصر خسرو الذي زار مدينة البصرة الشرقية عام ١٠٥٠ م عما وجده من عادات لدى التجار الذين كانوا يملكون كمبالات أو سفنجات يحفظونها لدى تاجر عملة أو رجل بنك مقابل إيصال وكل المشتريات تدفع بالشيكات أو الحوالات ويقوم التاجر طوال اقامته في المدينة بصرف كل دفعاته بالشيكات على البنوك ومثل هذه الحوالات كانت أيضا بسجلماسية حيث كانت التجارة مزدهرة مع السودان والبصرة حسب ابن حوقل الذي حدثنا (المسالك والممالك ص ٧٠) عن العوائد التجارية بهذه المدينة (عاصمة الصحراء المؤسدة عام ١٤٠ هـ) فلاحظ انه « رأى صكافيه ذكر حق على رجل من أهل سجلماسة لرجل آخر من أهلها بأربعين ألف دينار » كما رأى ذلك بجراسان والعراق القاهرة وليس من قبيل الصدفة أن يجعل الخوارج من البصرة موثلا لهم ومركزا يتنافسون به الكوفة التي نعدت قاعدة من قواعد الشيعة في نفس الوقت الذي جعلوا من سجلماسة في قلب الصحراء المغربية حاضرة لامارة خارجية وحلقة أساسية في سلسلة المراحل التي تأوى إليها القوافل التجارية كما انه ليس من قبيل الصدفة أن تتقلص الحركة التجارية بين الخليج والمغرب في القرن الرابع الهجري في نفس الوقت الذي تقلص فيه نفوذ الخوارج .

ومنذ أن استوثقت روابط المغرب بالصحراء في القرن الخامس بدأت أسواق النخاسة تتفق في خفاء وكذلك كان الأمر عندما شكل عصر الزنج في الدور العباسي الثاني (ما بين

٢٣٣ هـ و ٤٦٨ هـ أي ٨٤٧ م ١٠٧٥ م) طبقة متميزة في المجتمع العربي وخاصة في شمال الخليج فمزروا حركة الرق والنخاسة يساعدهم امتداد النفوذ الاسلامي الى افريقية (أي تونس وجزء من الجزائر) وازدهار الملاحة العربية حيث ما فتى الأيوبيون أن يسيطروا في القرن التالي على الشق الشرقي لبحر العرب اي البحر الابيض المتوسط يساندهم في الشق الغربي الموحدون الذين كان لهم اسطول من اربعمائة قطعة اعتبره المؤرخ الفرنسي اندري جوليان أعظم اسطول في البحر المتوسط ولم يقبض العرب على زمام البحر الاحمر فحسب بل أصبحوا سادة المحيط الهندي لا سببا بعد أن اكتشفوا الرياح الموسمية وسفروها لخدمتهم وأنشأوا الموانئ والمنازل التي تشتعل فيها النيران ليلا لتبدي بها السفن وعززوا الموانئ بمراكب الحاميات حفاظا عليها من القرصنة وغارات البدو . وقد أشار ابن مرزوق في « المسند الحسن » (هسبريس (Hesperis) ج ٥ عام ١٩٢٥) الى وجود « مدارس ومناظر على طول الساحل بين أسني (في المحيط الاطلنطي) وجزائر بني مزغنة (عاصمة الجزائر الحالية) تخافهم فيها بأشغال النيران في أعلاها وفي كل محرش رجال مرتبون ونظار وطلّاع يكشفون البحر فلا تظهر فيه قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين الا والتتير يبدو في المحارس للتخدير . » وقد اشار البكري (افريقية والمغرب في المسالك ص ٣٥ و ٤٨) الى محاسن سوسة والمنستير وفي هذا العصر استعصى عن الموالي الصقالبة الذين نفقت نخاسهم منذ القرن الثالث الهجري واقرن اسمهم بها حتى صار الاوريون يطلقون اسم الصقالبة (Slaves) على العبيد (esclaves) ^(١) . نقول استعصى عنهم بالزنج الذين أصبح التجار المسلمون يأثون بأعداد ضخمة منهم وقد تجلت هذه الظاهرة بالقسم الشرقي من المغرب العربي أي في تونس خاصة منذ استوطنت جماعات من الباطنيين والزيريين افريقية فرارا من الاضطهاد العباسي ثم استفحل ذلك عندما زج الفاطميون — اقتصاصا من بني زيري — بمائتي ألف قرمطي من بني هلال وبني سليم الذين نشروا الدمار في هذه البلاد مما حدا ابن خلدون الى التنكر في القرن الثامن للعرب الذين لم يقصد بهم سوى الاعراب وخاصة هؤلاء ولم تدخل الى المغرب من هؤلاء سوى فلول متفككة كان الزمن قد عفى على عنجهينهم البدوية ونزعتهم القرطبية فكان لهم ضلع في تمريب المغرب وشنقيط والواقع أن الباطنيين من القرامطة أو الزيريين قد عاثوا فسادا في افريقيا وجاس المغامرون منهم في مجاهل الصحراء الافريقية لاصطياد الزنوج في الادغال الكثيفة وفي هذا العصر حدث طريق البر في شمال افريقيا عن خطها العادي لتصل بالبصرة وبغداد وسوريا ومصر بواسطة الخط الساحلي على طول بحر العرب على أن حركة القرامطة الابادية قد بدأت منذ سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م حيث استولوا على البصرة وظلوا يعرقلون سير القوافل التجارية او قوافل الحجيج لاعتقادهم ان الحج من شعائر الجاهلية بل من قبيل عبادة الأصنام ولذلك أجهز القرامطة على من سموهم بالكفار وعبدة الاحجار بمكة فردموا بئر زمزم وكدسوا جثث القتلى في المسجد الحرام واندفعوا يخربون جوانبه بجراحهم ويخربونهم فاحتلوا معهم الحجر الأسود الى الحساء حيث بقي ملقى الى عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م وبني هذيل هؤلاء الذين حاولوا في الخليج الوقوف في وجه القرامطة منتهكي حرمة البيت هم الذين اشرنا الى اعتدالهم عندما هاجروا الى المغرب الأقصى في القرن السادس الهجري

بدعوة من المنصور الموحيدي بطل معركة الارك في الاندلس .
وهيما يكن فإن هذه الأحداث قامت حجر عثرة في طريق المبادلات التجارية حيث إن
الحشاشين من الإسماعيلية الباطنية امتدت جذورهم في شرقي الخليج حتى الحكم الايوبي إلى
الوقت الذي زحف المغول على فارس حوالي ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م .
وإذا كانت التجارة قد تقلصت في هذه الفترة بين المغرب والخليج خاصة وبين الشرق
والغرب عامة فإن ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب إلى وجود هذه الطوائف الهدامة بل لأن
هؤلاء كانوا منبئين على طول مراحل القوافل شرقا بنهبون ويقتلون ويهدمون ومع ذلك فإن
نفس العوامل كانت تدعم حركة التجارة والمبادلات لا سيما بعد أن احتل ملوك المغرب
السعديون السودان أوائل القرن العاشر الهجري ثم العلويون بعدهم عندما توغل زعيمهم
السلطان المولى اسماعيل في قلب الصحارى إلى حدود غينيا وشكل جيشا من العبيد (أي
الزنج) ما لبث أن أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وتخاصة بالخليج إلا ان عصرنا جديدا
ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الأحمر في
وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهيدا لغزو الخليج العربي وكانوا قد أنشأوا عام
١٤٨٢ م في ساحل الذهب أول مستعمرة لهم في افريقيا وهنا يبرز دور المغرب في انقاذ الخليج
من ضغط الاستعمار البرتغالي ففي عام ١٥٤٠ م دخل سليمان القانوني إلى الخليج العربي من
الشمال ونازل البرتغاليين في معركة ميناء « مصوغ » على الساحل الاغريقي من البحر الأحمر
حيث اندحر البرتغاليون أمام الاسطول العثماني غير أنهم لم يكفوا عن مهاجمة المراكب العربية
في الخليج مضاعفين ضغوطهم على المغرب الذي انكفأوا اليه بعد أن قضوا على آخر من بقى
من العرب في الاندلس تقتيلا وتهجيرا ولكن رد فعل المغرب الأقصى كان عنيفا ففي عام
٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) هاجم البرتغال بقضه وقضيضه شمال المغرب بقيادة ملكه الشاب
الدون سيبستيان (Don Sébastien) وبلغ جند البرتغال آنذاك مائة وخمسة وعشرين
ألفا وقطع أسطولهم الرابضة في أصيلا والعرائش ٨٤٧ وزحف الجيش البرتغالي إلى وادي
المخازن في مَمَّ ججادي الأولى من نفس السنة أي رابع غشت عام ١٥٧٨ م وكانت هجمة
صليبية عززت فيها البابوية الزحف المسيحي على العالم الإسلامي شرقا وغربا باستنفاذ الدول
الكاثوليكية وتعبئة شباب الفاتكان وكانت الحملة لاحتلال المغرب منسقة بقيادة البابا
اقتصاصا من الوجود العربي بالاندلس وتعويض للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من
هنگاريا والبابا الاسكندر السادس هو الذي أصدر مرسوم تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ بين
اسبانيا والبرتغال عام ١٤٩٤ غداة الكشف عن امريكا ولكن أبا الله إلا أن يهرم هؤلاء
الاحزاب وينصر عباده المؤمنين فقتل ملك البرتغال وأسر جيشه وفر أسطوله فكانت هذه
المعركة — كما يقول المؤرخ الفرنسي هنري طيراس — المعركة الفاصلة في تاريخ الصراع بين
المسيحيين والإسلام أنزلت ضربة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال مملكة البرتغال لأن
الدون سيبستيان مات بدون وارث فخلفه عمه فيليب الثاني ملك اسبانيا التي اندمجت فيها
البرتغال أزيد من ستين سنة ظلت خلالها خاضعة هي نفسها للاسبان ولذلك تم خلال هذه
الفترة إجلاء البرتغاليين عن منطقة البحرين التي احتلوها قرنا كاملا عام ١٦٢٢ م أي بعد

معركة وادي الخازن بأربع وأربعين سنة كما طرد البرتغاليون عن مجموع مستعمراتهم على الشط العربي عام ١٦٤٩ م الموافق ١٠٥٩ هـ وبذلك نحر العالم العربي من هيمنة البرتغال الذين لطخوا تاريخ العروبة والإسلام طوال أربعة قرون .

وإذا كان الخليج العربي قد غدا منذ القرن الثالث الهجري المرحلة الرئيسية في تاريخ الملاحه العربية تمر به المراكب في ذهابها وإيابها بين اوروبا والشرق الأقصى عبر البحر الأبيض المتوسط فإن كلا من الخليج والبحر المتوسط كانا عالة الواحد على الآخر واستمر هذا التساوق إلى القرن العاشر الهجري عندما كان مضيق جبل طارق هو الممر الفاصل بين المحيط الاطلنطيكي والمتوسط فكانت مدينة سبتة منطلق المراكب التجارية الى ديار الهند وظلت كذلك حتى بعد سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني عام ٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م وباستئصال شأفة الغزو البرتغالي في الخليج وتقليص ظلهم في سواحل المغرب شمالا وغربا تمكن العرب من الانتصار في الحرب الصليبية الثانية التي أججت اوروبا نيرانها ضد العرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتنتقل في حلقات أخرى من هذه الحرب بقيادة الهولنديين والانجليز والفرنسيين في كل من المغرب والخليج العربي غير ان جدنا جديدا كلل انبثاق العصر الحديث وانقضاء القرون الوسطى وهو اكتشاف امريكا عام ٨٩٨ هـ/١٤٩٢ م من طرف كريستوف كولبس ذلك الاكتشاف الذي يرجع الفضل فيه الى رجل من أبناء رأس الخيمة على الشاطئ الغربي للخليج العربي وهذا الرجل هو ابن ماجد أحمد السعدي أسد البحر ابن ابي الركائب الذي ساهم على غير قصد منه في تحطيم سيادة العرب على المحيط حين استعان به فاسكو دوغاما قائد الاسطول البرتغالي عام ١٤٩٨ لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندي ورأس الخيمة هي احدى الامارات السبع التي ظلت الى منتصف القرن الثامن عشر عاصمة لجميع ساحل عمان وقد أقضت مضاجع أساطيل شركة الهند الشرقية في الخليجين والمحيط .

والغريب ان اكتشاف امريكا الذي نسبة الكثير من المؤرخين الى العرب يرجع الفضل فيه بالذات إما الى رجال الخليج قبل الميلاد أو الى عالم من علماء الاندلس والمغرب فقد تأكد ان الفينيقيين المنتسبين أصلا الى الخليج قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات طافوا خلالها حول افريقيا ووصلوا الى البرازيل وأسوا مملكة هناك ما زالت معالمها قائمة الى الآن ومن جعلها الحجارة المكتوبة باللغة البونيقية اي لهجة افريقيا الشمالية بما يدل — اذا صحت هذه الرواية — على أن القرطبيين — وهم عرب فينيقيون تأقلموا في المغرب — هم الذين أسهموا مع المغاربة في اكتشاف امريكا على أن كريستوف كولومبس نفسه يعترف — كما أورد ذلك المؤرخ السفرنسي رونسان في كتابه « ابن رشد ومذهبه » (Averroès et l'Averroisme) بأن كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها بأن الذي أوغز إليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه « الكليات » في الطب على أن مجلة « نيوزويك » الامريكية أكدت في عددها الصادر في ابريل ١٩٦٠ (راجع الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص ١٣) ان الوثائق التي عثر عليها

ثبت ان امريكا كانت معروفة للعرب « الذين قاموا — حسب تعبيره — قبل سنة ١١٠٠ م على الطرف الغربي للعالم الاسلامي ومن ميناء الدار البيضاء على الحديد ورسوا في عدة مواضع على الساحل الأمريكي » وقد ايد هذه النظرية (٣) الدكتور لين شينج بانج أستاذ

التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد كما ايدها الدكتور ريتشارد رودولف رئيس المؤرخ الذي عقدته الجمعية الشرقية الامريكية . وقد كان ابن عربي الحائمي يرى أن وراء المحيط الاطلنطي أما وعمرانا وقد عاش قبل كولومبس بثلاثة قرون وتحدث محمود الاصفهاني (المتوفي عام ٧٤٩ هـ) قبل كولومبس بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود أرض وراء المحيط كما ذكر ابن الوردي في جغرافيته انه يوجد وراء الجزر الخالدات (أي كناريا) جزائر وصفها وصفا يكاد ينطبق على امريكا وقد عاش ابن الوردي قبل كولومبس بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربي — محاضرات مجمع دمشق ج ٢ ص ٢٣٣) .

وهنا بدأت في المغرب والخليج فترة جديدة من الصراع تجلي في ظهور الانجليز على مسرح التجارة الخارجية حيث تنفسوا الصعداء من اندحار البرتغال فأقاموا في الشرق الشركة الهندية وفي المغرب شركة بربريا (Barbary Company) وبينما أرادوا أن يركزوا في الخليج وجودهم ثمل ما تركه البرتغاليون من فراغ إذا بهم يكتفون في المغرب بالعمل على حياة صفقاتهم التجارية من القرصنة وتأمين البحر المتوسط من غارات المراكب والسفن المغربية مما أدى ببعض الدول الكبرى كالدينمارك (٤) والسويد وبعض المرافء الحرة كهامبورغ وبرم بألمانيا الى دفع اتاوة سنوية خاصة للمغرب اعتصاما بأسطوله من لصوصية البحر . وكان قراصنة المغرب قد مدوا شبكة غاراتهم الى المحيط الاطلنطي فواجهوا الانجليز في عقر ديارهم وقلصوا من جهة ثانية ضغط هؤلاء على الشرق العربي وخاصة الخليج لاضطرابهم الى الاحتفاظ بجزء من أسطولهم لحاية سواحل الجزر البريطانية الا أن الانجليز فوجئوا هنا وهناك في آن واحد على طريق الهند المارة من جبل طارق بمزاحم جديد هو هولندا قامت هي الاخرى بتحدي القرار البابوي المهادف الى اقتسام العالم بين زعمتي الكاثوليكية آنذاك اسبانيا والبرتغال وكان لقيام الحركة البروتستانتية ضلع في دعم هذا الاتجاه فأنشأ الهولنديون عام ١٥٩٢ م شركة للتجارة مع الهند واتجه أسطول هولندي بين ١٥٩٨ م ١٦٠١ م (موافق ١٠٠٧ هـ) الى المحيط الهندي عن طريق الممر الجديد برأس الرجاء الصالح للتجار والغزو معا بينما عقدوا مع المغرب الأقصى معاهدة عام ١٦١٠ م للحصول على رسوم الأبقية في التجارة الخارجية ، ولم يكد يهل عام ١٦٤٠ م (١٠٥٠ هـ) حتى احتل الهولنديون مكان الصدارة في الخليج العربي الا أن صراعهم ضد الانجليز ما فنى أن استفضل بسبب تدخل القراصنة المغاربة الذين كانوا يعملون بغير قصد منهم على التخفيف من ضغط الفرنسيين على الخليج العربي ، فقد كان كل من الانجليز والهولنديين يتناصب العداء للاسبان عدوهم المشترك سياسيا ودينيا واقتصاديا الا ان الهولنديين ظلوا يمدون سفن القرصنة المغربية بالعتاد ومواد السفانة وقطع التيار بينا طفق الانجليز يواصلون حريا شعواء ضد هؤلاء القراصنة حتى اندلعت الحرب بين الطرفين عام ١٦٥٢ م (١٠٦٣ هـ) طوال عامين واتسعت شبكتها الى ما

وراء البحار فاشتبك الأسطولان الإنجليزي والهولندي في مياه الهند المؤدية الى الخليج والواقع أن القراصنة المغاربة قلعوا من نشاط الانجليز فتمطلت تجارتهم في الشرق في نفس الوقت الذي أدى حياذ القراصنة هولندا إلى نوع من الحصانة تمتع به أسطولها في البحر المتوسط مما فسخ لها مجال الضغط على الخليج وقد احتفظ المغرب الأقصى باستقلاله في هذه الفترات بل انه احتفظ باستقلاله خلال ألف عام (الى عام ١٩١٢) فكان القطر العربي الاسلامي الوحيد الذي ظل في منأى عن سيطرة الخلافة العثمانية والذي عرف كيف يستغل انتصاره في معركة وادي المخازن حيث أصبحت دول اوربا تخطب وده لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالامر الهين ولا بالشيء الذي يردون ان يثير إعجاب العالم مما حدا بالانجليز الى مقايعة المغرب في القيام بعمل موحد لخلق كوندومينيوم مشترك في الهند وفي عام ١٦٠٠ م وجه المنصور الى اليزابيث ملكة إنجلترا سفارة للقيام بأمورية سرية من أجل تحقيق التحالف الانجليزي المغربي ضد اسبانيا وقد اقترحت ملكة إنجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظرا لكون فيليب الثاني يستمد موارده من الهند وقد شاطرها السلطان هذا الرأي مطالبا بتحويل المشروع بمائة الف جنيه استرليني وانتشل المغرب في لم شتاته وتطوير صناعته فزرع قصب السكر^(١) وقطع مصانع لتكريره فتنافس البلاطان الانجليزي والفرنسي على اقتنائه وصدره المغرب الى الشرق في جملة ما صدر من جلود وزيت ومعادن (من نحاس ورصاص وحديد وقصدير بالإضافة الى ملح البارود والكبريت) وأصبح للدنيار المغربي نقاق في السوق العالمية رغم انخفاض وزنه الذهبي الى ٣ر٥٤٨ غرام وتهاقت المضاربون من الانجليز على هذه العملة القوية يستعوضون بها عما خسروه من صفقات في الخليج^(٢) بل أصبح المغرب يبدل بدلوه في توجيه السياسة الاوربية وفي فتح قروض (ناب منها دولة هولند مليون ونصف مليون دينار) واكتساح اوربا حيث وجه عملاء للدعاية لتبجته وسوائمه ومعانده عاملا على حماية الصناعة الوطنية من المواجهة الأجنبية .

غير أن منافسا جديدا ما لبث أن برز هو الاستعمار الفرنسي الذي اضطر عدوئي الأمم (هولندا وانجلترا) الى التحالف لدرء خطره الداهم ولكن لم يمنع فرنسا من تهديد مصالح الانجليز في الخليج واستطاع نابليون أن يبطئ تراب النيل فانتحا وأن يهدد الحولى سليمان ملك المغرب بالانقضاء عليه في مائة ألف من جنده إذا هو لم ينضم الى كتلة الحصار البري (Bloc Continental) المضروب على الانجليز وكان أسطول القراصنة المغربية يقص مضاجع الاوربيين في المتوسط ولم تكن علاقتي فرنسا مع المغرب مستوسقة بسبب ذلك الصراع البحري الذي جعل المغرب ينهج سياسة التدافع بين الدول الاوربية يثير هذه ضد تلك ويحالف جانباً للتملص من ضغط جانب آخر .

والواقع ان انقسام المغرب الى اقليم مستقلة خلال القرن السابع عشر (كيبيل توحيد المغرب على يد الدولة الطوية) هو نفسه الذي ترك ثغرات تسرب منها المستعمرون مثل ما وقع في امارات الخليج بالنسبة للهولنديين والانجليز والفرنسيين .
ففي الوقت الذي اتسع نطاق التجارة الانجليزية في الشرق واوربى الشرقية اي القرن

السادس عشر تزايد ايضا مع المغرب وحتى عينا بافريقيا غير ان الفرنسيين كانوا قد نبذوا حتى الهولنديين في مبادلاتهم مع المغرب حيث دخلت في عام واحد (١٦٩٨ م) لمسى سلا أربعون سفينة تجارية وتأسست بعد ذلك بستين شركة تجارية فرنسية اضطلعت بإصدار المنتجات المغربية وقد بلغ عدد السفارات المغربية الى فرنسا نحو من سبع وعشرين سفارة أولاها عام ١٥٧٦ م والأخيرة عام ١٩٠٩ أن قبيل الحماية ثلاث سنوات .

كانت حجرة باديست تعتبر ميناء فاس في البحر الأبيض المتوسط وكان الاسطول التجاري لبعض الدول يربط فيها الا أن القراصنة الجزائريين أخذوها عام ١٥٦٤ م (٩٧١ هـ) مقرا للهجوم على سواحل الاندلس واقتناص السفن المتوجهة للهند والخليج وكان قراصنة تطوان والعرائش يتعاونون معهم لأن القرصنة الجهادية كانت عبارة عن رد فعل للمسلمين والأعلاج من كافة سواحل المتوسط) مع الانجليز لمساعدتهم على احتلال جبل طارق وكانت معظم الدول الإسلامية المتوسطة تساند هذه القرصنة لا لكونها انطلاقة لمشروعة ضد العدوان الايبيري فحسب بل أيضا لأنها أعادت الى العرب سيادة المتوسط والمحيط وواجهت القرصنة المسيحية ونشرت الأمن والطمأنينة في البحار بالنسبة للسفن العربية والخليفة ، وكان معظم البوارج الحربية في أوائل العهد العلوي (أي في نهاية القرن السابع عشر) قد اقتنصها القرصان من الأسطول الفرنسي أو الهولندي أو الانجليزي وأهمها تسع عشرة سفينة انجليزية وأربع فرنسية مما يدل على هيمنة أسطول القرصان الجهادي . وقد بلغ عدد القاطع البحرية الحسنيين في عهد المولى محمد بن عبد الله وسبعا وأربعين أيام المولى سليمان ولكن المغرب ظل مع ذلك ينعم في الحقل الدولي بمكانة ملحوظة مما حدا بروسيا الى طلب انضمامه في حرب القرم (١٨٥٤ م — ١٨٥٦ م) الى كتلة المحايدين واستدراجه للدخول الى الحلف الروسي الأمريكي ضد تركيا وفرنسا وانجلترا وكان المغرب يشعر بأن انتفازه في هذا الحلف يعزز مركزه ضد الفرنسيين والانجليز الذين بدأوا يتنافسون لبسط نفوذهم على المغرب لا سيما بعدما احتلت فرنسا الجزائر وأجبرت المغرب على امضاء معاهدة لالة مغنية عام ١٨٤٥ ولكن المغرب راعى دعم الاسلام فلم يجرؤ على الدخول في حلف موجه ضد تركيا المسلمة رغم كونها كانت حجر عثرة في سبيل وصل علاقاته مع الشرق العربي وخاصة الخليج منذ أن سيطر العثمانيون عليها في منتصف القرن الخامس عشر وتمتاز هذه الصلات العربية بين الخليج العربي والمغرب الاقصى وهما شقان متناهيان للوطن العربي الممتد الى المحيط — بظاهرة هي أصالة معظم مصطلحاتها الدارجة بالنسبة للفصحى ! ولا شك أن هذه الوصلة التي استوتقت عبر العصور راجعة بالإضافة الى العوامل التي أشرنا اليها كوحدة الأصل الكنعاني والتأثير الحميري المشترك الى وحدة المنبع المالك في مفرداته الفقهية ومصادر اقتباسه الحديثية والقروية ولا شك أن لرواج المصطلحات المالك في جميع المناسبات الاجتماعية خاصة في أي ظلي أثرا قويا في تكييف هذا التراث الوجداني كما أن احتكاك التجار المغاربة بزملائهم الخليجيين قد خلف مجموعة من الالفاظ الدارجة أشرنا الى بعضها في معجم خاص حاولنا فيه إبراز مظاهر الوحدة في عاميتي المغرب والخليج ونشر في مجلة اللسان العربي (عدد ٥ — ١٣٨٧ / ١٩٦٧ م) . وهذه الكلمات موحدة المعنى في الخليج والشام والمغرب أي في المراكز التي ورثت لغة كنعان العربية

ونأثرت بلغة القرطاجنيين أي اللغة البونيقية وهاكم جملة منها : البابت (للباقي من طعام الأمس) والبحيرة أو البحيرة (للمستنقع) والبراحة (للرياح) والبساسة (للبساس) وبغي يعني (بمعنى أراد) والبلدة والبلع (لمتزلي من منازل القمر) والبلدية (لاحتد دوائر الحكومة) ويلم فه (أي أغلقه) والتحصنة أو الحناسة (للحلاقة) والحنطة أو الشنطة (للحقية) والحنارة (للمحلة والحلي) وحب (بمعنى إتمام القرآن) والحنطرة (أي الانف الكبير) والدرويش (بمعنى الفقير) والريعة (أو الريعة لصندوب إبداع أجزاء القرآن) والردحة (بمعنى الرقص) والشاهد (بمعنى السبابة من الأصابع) والصيني (أي إناء النحاس أو الخرف) والطنا (بمعنى الاغظة تقول أطناني أي أغاظني) والعرضة (أي حفلة الزواج) والعزيمة (أي الدعوة الى مادية) والاعشار (بمعنى الزكوات) والعارية (أي الحقة) والعيال (بمعنى الأولاد الصغار) والغري (أي الهواء الذي يهب من جهة الغرب) والفك أو الفقاع (أي الكأة) والكحة (بمعنى السعال) وكخ (للنهي عن الاقتراب من الشيء القذر) والمرفاعة أو المرفع (للرف المعلق) والمشموم (للباقة من الرياحين) والمظهر (للمرحاض) والمكبة أو المكب (صحي الطعام) وهناك أسماء أعطيت لمدن ومناطق شتى تقع في امتداد طرق القوافل منها « الجبل الأخضر » في المغرب وهو ينبثق كجزيرة في قلب الصحراء وكذلك « الجبل الأخضر » الذي يقوم على محاذاة ساحل عان وسط كتيان الرمل من الصحراء الحمراء الخليجية .

وتبرز إمارة أبي ظبي في هذه المجموعة الخليجية كمرحلة من مراحل القوافل المغربية نظرا لواحاتها الثرية واتصالها بالبر بطريق ضيق تقع على حدود المملكة العربية السعودية ونظرا لما كان يسودها من أمن وهدوء حتى استحق ساحلها وهو ساحل عان أي يسمى ساحل الهدنة . تلك مظاهر للوحدة الاصلية المتغلغلة بين الخليج العربي والمغرب العربي تبرز امتداد الوطن العربي من المحيط الهندي الى المحيط الاطلنطي وقد عادت هذه الوحدة اليوم الى عنفوان عزها بعد انهيار الاستعمار وانكشاف الستر الكثيفة التي قامت حائلا اصطناعيا بين إخوان طوال عدة قرون ولكننا عند اللقاء من جديد بعد طول الفرقة نشعر وكأننا لم نفترق لأن خلجات قلوبنا

متساوية ولأن لنا في مقومات تراثنا العربي الإسلامي سنداً قوياً لم تفصمه نوابث الدهر ولم تحل عراه الوثائق مكائد المستعمرين .

عبد العزيز بن عبد الله

(٥) ودرج على ذلك المؤرخ الروماني بلين Pline المتوفى عام ٧٩ م حيث سمي الخليج باسمه الصحيح وهو الخليج العربي .

(١) وقد ندد الراحل الدنماركي كارستن نيبور عام ١٧٦٢ م (١١٧٦ هـ) بهذا الزعم الذي رده جغرافيون صوروا جزءاً من بلاد العرب كأنه خاضع — كما يقول نيبور — لحكم ملوك الفرس كما أبرز هذه الحقيقة الرحالة الإنجليزي هورو دريك أوين في القرن العشرين رغم تواطؤ الكثير من الجغرافيين المعاصرين على الفرض من عروبة الخليج .

(٢) صقلب هي أرض بالاندلس وصقلية حسب ياقوت (معجم البلدان ج ٥ ص ٣٧٢) ولعل نسباً من الصقلية ينسب إليها لا إلى جنس السلاف Slaves .

(٣) راجع الخليج العربي ٩ قدرتي قلعي ص ٥٦ .

(٤) كانت الدنمارك تدفع سنوياً للمغرب ٥١٠٠٠ ويكسداً أي أزيد من ربع مليون فرنك ذهبي .

(٥) كان السكر يصنع من في العروبة بإفريقيا ومصر (الخبط للمقرزي ج ١ ص ٢٠٣ وإفريقية وخاصة في قابس وحولها) المسالك للبكري — جزء إفريقية والمغرب ص ١٧ و ٣٢) وكانت معاصر السكر في المغرب تدر سنوياً على المنصور السعدي أزيد من سبائة ألف أوقية ذهبية (وزن الأوقية ٣٠ غرام تقريباً) وكان في المغرب متاجم فضة وذهب (البكري) خاصة قرب سجلماسة

(كـ) باب الأسوار

والنحاس الخالص الذي لا يعد له غيره شرقاً وغرباً (الإدريسي) بالإضافة إلى القطن الذي كان يزعم بتادلا (وصف إفريقيا للإدريسي ص ٥٠) وتطورت على يد الإنجليز عام ١٨٦٤ م في متعلقة مدينة الجديدة صناعة حريري شبيه بالقطن الأمريكي كان نافعا في أوروبا وذلك بالإضافة إلى مصانع الطلس Satin أيام السعديين .

(٦) كانت تنكبكو تؤدي إلى المغرب جزية سنوية قدرها ستون قنطاراً من الثير أي الذهب غير المسبوك مما جعل من المنصور الذهبي « أعظم أمير في العالم من حيث العملة » وكان الإنجليز يهربون الذهب في صناديق السكر المغربي .

حُسْنُ الْأَدَاءِ

د. إبراهيم السامرائي
كليات الآداب - جامعة بغداد

هذا ما نعرعنه بـ « حسن التلاوة » أو قل إن شئت « التجويد ». ولا نحسن « التجويد » ضرباً من التطريب وإحسان النغمة وأجرائها مجرى الألحان . تعالى الله أن تتلى كلماته بشيء من « الصبا » و « الحجاز » من لحن العرب . والرسد والدوكاه وغيرهما من لحن الأعاجيم . انه « الترتيل » عملاً بقوله — جل اسمه — « ورتل القرآن ترتيلاً » ^(١) ، وقوله : « كذلك نثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً » ^(٢) .

قال الامام الزمخشري في معنى « الترتيل » في سورة المزمل :
ترتيل القرآن : « قراءته على ترسل وتؤده بتبيين الحروف واشباع الحركات ، حتى يجيىء المتلو سرداً كما قال عمر — رضي الله عنه : — سر السير الحقيقية : وشر القراءة « المفزعة » ، حتى يشبه المتلو في تنابعه الثغر الألف ^(٣) .
وسئلت عائشة — رضي الله عنها عن قراءة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت ... لو أراد السامع أن يعد حروفه لمعها » ^(٤) .

وجاء في « اللسان » :

وكلام رُتِّلَ ورتِّل أي مرَّتل حسن على تودة . ورتِّل الكلام : أحسن تأليفه وأدبه وتمهل فيه . والرتيل في القراءة : الترتيل فيها والتبيين من غير عي . وفي التبريل العزير : « ورتِّل القرآن ترتيلا » . قال أبو العباس : ما أعلم الترتيل الا التحقيق والتبيين والتكئين . أراد في قراءة القرآن .

وقال مجاهد : الترتيل الترتُّل ، قال ورتلته ترتيلا بعضه على اثر بعض .

قال أبو منصور : ذهب به الى قولهم : ثمر رُتِّل اذا كان حسن التنفيذ .

وقال ابن عباس في قوله : « ورتِّل القرآن ترتيلا » قال : بينه تبييت .

وقال أبو اسحاق : والتبيين لا يتم بأن يعجل في القراءة . وانما يتم التبيين بأن يبين جميع الحروف ويوفى حقها من الاشباع .

وفي صفة قراءة النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يرتل آية آية (٥) .

ولا أراني قد أسرفت في الكلام على « الترتيل » وان كان شيء من ذلك فسيبه ما أريد ان يكون ما يفهم منه غير ما يفهم في عصرنا من انه ما نسمعه في المساجد والخلات العامة من كلام الله مفرغا في الاشرطة المسجلة على لحون تأخذ بنفوس الناس وعقولهم ولا سيما العامة منهم من غير ان يفهموا المراد منه . قلت : ليس « التجويد » غنّا بل هو احسان لأخراج الكلم عرجا حسنا . ومن هنا كانت التلاوة قراءة حسنة . وهذا يعني أن بين التلاوة لكل الله والقراءة المجردة للنص من النصوص صلة يفرجها حسن الأداء لهذا او ذاك . ومن أجل هذا يحسن بنا أن نتوسع قليلا في لوازم هذه الناحية من الاداء الحسن .

ان من تمام آلة الموقود ان يعرف مادة « الوقف » وان يحسن كيف ينتهي ثم كيف يتبدى بهد ذلك .

وقد فطن المسلمون الاولون الى هذه المسألة لما بتأتى منها من مشكلات في تلاوة القرآن .

لقد اخرج النحاس قال : حدثنا عبد الله محمد بن جعفر الانباري . حدثنا هلال بن العلاء . حدثنا أبي وعبد الله بن جعفر قالوا : حدثنا عبد الله بن عمر والزرقي عن زيد بن أبي أنية عن القاسم عرب البكري قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : لقد عشنا برهة من دهرنا وان أحدثنا ليؤتي الايمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد . صلى الله عليه وسلم . فتعلم حلالها وحرامها . وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون اتم اليوم . ويقدر رأينا رجلا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فائخته الى خاتمتها ما يدري ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغي ان يوقف عنده .

قال النحاس : فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن (١) . وقال ابن الانباري في قوله تعالى : « ورتِّل القرآن ترتيلا » : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء (٢) .

وفي « النشر » لابن الجوزي : لما لم يمكن القاري أن يقرأ السورة او القصة في نفس واحد ولم يميز النفس بين كلمتين حالة الوصل ، بل ذلك كالتنفس في اثناء الكلمة ، وجب

حيث يَحْتَثُّ اختيار وقفة للنفس والاستراحة وتعين ارتضاء بعده ، ويتحتم الا يكون ذلك مما يحيل المعنى ولا يخل بالفهم ، اذ بذلك يظهر الاعجاز ويحصل القصد . ولذلك حصص الأئمة من الصحابة وصح بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح كأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد أعيان التابعين وصاحبه الامام نافع وأبي عمرو ويعقوب وعاصم وغيرهم من الأئمة وكلامهم في ذلك معروف . ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب . ومن ثم اشترط كثير من الحلفاء على المجيز ألا يميز أحدا الا بعد معرفته الوقف والابتداء^(٣) .

وقد اهتم المتقدمون من علماء اللغة في مادة « الوقف والابتداء » اهتماماً زائداً فأشاروا الى اغايط الوقف في القرآن اشارات دقيقة دلت على مبلغ عنايتهم بأداء كلام الله — جل شأنه — قال ابن الأنباري : الوقف على ثلاثة أوجه : تام وحسن وقبيح . فالتام : الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولا يكون بعده ما يتعلق به كقوله تعالى : « واولئك هم المفلحون » ، وقوله : « ام لم تلذهم لا يؤمنون » .

والحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كقوله تعالى : « الحمد لله » لان الابتداء بـ « رب العالمين » لا يحسن لكونه صفه لما قبله والقبیح : هو الذي ليس بتام ولا حسن كالوقف على « بسم » من قوله تعالى « بسم الله » .

قال : ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف اليه ، ولا المنعوت دون نعمته ، ولا الرفع دون مرفوعه عكسه ، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ولا المؤكد دون توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا البديل دون مبدله ، ولا « إن » أو « كان » أو « ظن » واخواتها دون اسمها ، ولا اسمها دون خيرها ، ولا المستثنى دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته ، ولا الفعل دون مصدره ، ولا الحرف دون متعلقة ، ولا شرط دون جزائه^(٤) . ان هذه المواد اللغوية التي تتصل بحسن الاداء لا علاقة لها بما هو معروف في عصرنا هذا وقبول عصرنا بقرون عدة من ان « تجويد » التلاوة تعني ارسال الآيات الكريمة في نطق من التفتي بتعطيط النغم واشباع الاصوات على نحو ينتهي الى التطريب .

وليس تحسين الصوت يعني الغناء كما في الحديث الذي أخرجه ابن حبان : « زينوا القرآن بأصواتكم » وفي لفظ عند الدارمي : « حسنوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا .

وأخرج البراز وغيره حديث « حسن الصوت زينة القرآن » . وأما قراءة القرآن بالالحان فنص الشافعي في « المختصر » انه لا بأس بها ، وعن رواية الربيع الجيزي انها مكروهة .

قال الرافعي ، فقال الجمهور : ليست على قولين بل المكروه ان يفرط في المد واشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة الف ، ومن الضمة واو ومن الكسرة ياء ، او يدغم في غير موضع الادغام ، فان لم يفته الى هذا الحد فلا كراهة .

قال : وفي زوائد « الروضة » والصحيح ان الافراط على الوجه المذكور حرام يفسد به القارئ ويأثم المستمع لانه عدل به عن نهج القديم . قال : وهذا مراد الشافعي بالكراهة^(٥) .

ولقد انخرف أهل القراءات الى التطريب بل قل الفناء منذ العصور عدة فقد أشار ضياء الدين بن الاثير في « المثل السائر » الى هذا الانحراف فقال :

ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الاحيان ، وتلك قراءة تخرج حروفها من غير مخرج ، وتبدو معوجة وهو قرآن عربي غير ذي عوج وقد أمر الله بتزيينه .

وايراده على هيئة تنزيه ، فن قرأه بالترجيع والتزديد . وزلزل حروفه بالتعطيل والتزيد فقد ألحقه بدرجات الاغاني وذهب بما فيه من خلاوة الالفاظ والمعاني .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن بلحون العرب واصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين . وسيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الفناء والنواح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة وقلوبهم وقلوب الذين يعجبهم »^(١) .

وبنأى بهذا الاهتمام بالتلاوة لكلام الله سبحانه وتعالى من ان العرب أهل بيان ، وأن البيان يقضي ان يكونوا مالمكين لجملة أدوات تفصل بالكلمة وبنيتها ثم اصواتها وعلاقة الصوت بالصوت الذي يليه ألا ترى انهم قالوا ان من شروط فصاحة الكلمة ان تأتي متباعدة الخارج . وما اظن ان اعرابيا قال : « تركت ناقتي ترعى الخدخ » وذلك لان العربي لا يقوى على اخراج اصوات هذه الكلمة مجتمعة على هذه الهيئة . ويدل على هذا ما ورد في « التهذيب » .

قال النضر بن شميل في كتاب « الاشجار » : الخضع : شجرة . قال : وقال أبو الدقيش هي كلمة معاياه ولا اصل لها^(٢) .

ومما يدل على هذا ان الخليل أهل المين مع الهاء في المضاعف ايضا لليلة نفسها^(٣) . وليس ما ورد من هذا الباب الا من باب الوضع والافتعال فقد ذكروا ان الفراء قال عَهَمَهُمُ بالصَّانِ عَهْمَةً ، اذا قلت لها : عَهْ ، وهو زجر لها . وقال غيره : هو زجر للابل لتخبس^(٤) .

وقد يأخذك العجب اذا عرفت ان العرب في القرن الثاني للهجرة ادركوا من علم الاصوات (الفونتيك) Phonetique وما يسمى بعلم وظائف الاصوات (الفونولوجيا) Phonologie الكثير مما يدخل في ملك هذا الاختصاص في عصرنا هذا . ان ضبط مخارج الاصوات ومعرفة أحيائها ووصف صفاتها ليعد فتحاً في العلم ادركه الخليل بن أحمد ثم خلف من بعده نفر او ضحوا وزادوا .

ان هذه المعرفة أدت بهم الى ان يعرفوا « البيان » وكيف تكون الكلمة ثم الكلام مبيناً فصيحاً ينتهي الى حد من البلاغة .

ومن أجل هذا كان من صفات الأنبياء ان يتصفوا بالفصاحة والبيان ، جاء في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام « وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردأً يصدفني »^(٥) .

وكان موسى قد سأل الله حين بعثه الى فروع بابلاغ رسالته والابانة عن حجته والافصاح عن أدلته ، فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه والحيسة التي كانت في بيانه :

« واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي »^(٧) .

والاشادة بالبيان وفضله وأنه مما ينبغي أن يعلم . وارد في القرآن في آيات عدة . منها قوله تعالى « الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان »^(٨) . وقوله تعالى : « هذا بيان للناس »^(٩) وقوله : « وهذا لسان عربي مبين »^(١٠) . وقوله : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء »^(١١) .

وهذا يعني ان الاداء الحسن يشتمل على اجادة التلاوة والترتيل كما يشتمل على الابانة ومن هنا نصل الى درجات البلاغة .

ولا تحسین الحديث الذي نتحدث به وقراءة نص من النصوص بعيدة عن هذا فهي محتاجة الى جميع الادوات من اخراج حسن للأصوات واختيار حسن للابنية واصطفاة للفصيح المليح واصابة المعنى بيسر .

وانت اذا بحثت في حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وجدت ان الرسول نهى عن « التشايق » وهو تحريك الشدقين بكثرة فقال : « واياي والتشايق »^(١٢) . وقال : « أبغضكم اليّ الثراون المتفهبون »^(١٣) .

وانك لتجد من قوة عارضتهم وعنايتهم بالكلام والحديث ما تستشفه من ملاحظتهم لعيوب المتحدثين والخطباء منهم . انك تعرف من ذلك اللجاجة والتممة والفاقة والحسنة والحكمة والرقة واللف والعجلة والحصر والعي .

ولقد أشار الجاحظ في « البيان » الى جملة صالحة مما يعرض للمتحدث أو الخطيب فقال : « وليس حفظك الله مقرة سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم اطالة

الخطبة بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجية ، وعن الحصر من فوت ترك الحاجة ، والناس لا يسمرون الخرس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز . وهم يمدون الحصر ويؤنبون العيب ، فان تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء ، وتعاطيا مناظره البلاء . تضاعف عليها الدنم وتزادف عليها التانيب . ومماتة العي الحصر للبلغ المصقع ، في سبيل ثمانته المنقطع المنسجم للشاعر المفلح ، وأحدهما الؤم من صاحبه ، والألسنة اليه اسرع . وليس اللجلج والختام والالغ والفاقة وذو الحسنة والحكمة والرقة وذو البلاء والعجلة . في سبيل الحصر في خطبته ، والعيب في مناضلة خصومه كما ان سبيل المفتح عند الشعراء والبهكي عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الزثار والخطل المكثار »^(١٤) .

ثم اعلم — ابقاك الله — أن صاحب التشديق والتعقير والتعقيب من الخطباء والبلاء . مع سحابة التكلف ، وشتمة التريد ، اعذر من عبي يتكلف الخطابة ، ومن حصر يتعرض لاهل الاحتياط والدرية . ومدار اللامعة ومستقر الملمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف ، وبيانا يمازجه التريد

فأنت تجد ان الخطبة والحديث الى الناس قد وزنا بموازين دقيقة ، وان لا بد للخطيب والمتحدث من ثقافة ومعرفة ودربة . ومن هذا علم بالأصوات واتصال بعضها ببعض . انظر الى كلام الجاحظ على واصل بن عطاء المجترى قال :

« ولما علم واصل بن عطاء انه ألغى فاحش اللغ وان يخرج ذلك منه شنيع . وأنه اذ كان داعية مقالة . ورئيس نخلة . وانه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل وانه لا بد من مقارعة الإبطال ، ومن الخطب الطوال ، وان البيان يحتاج الى تمييز وسياسة . والى ترتيب ورياسة . والى تمام الآلة واحكام الصنعة ، والى سهولة المخرج وجهارة المنطق . وتكامل الحروف وإقامة الوزن . وان حاجة المنطق الى الحلالة والطلاوة . كما حبه الى الجزالة والفخامة » (٢)

ثم قال :

« ومن أجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة وام ابو حذيفة واصل بن عطاء اسقاط الراء من كلامه واخراجها من حروف منطق ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه . ويتناضل ويساجله . ويتأنى لستره والراحة من هجته ، حتى انتظم له ما حاوله ، واتسق له ما أمل » (١)

وقد عرفوا قدر البيان فقالوا : البيان بَصَرٌ والعِي عَمَى (٣)

وقال يونس بن حبيب « ليس لعبي مروة ، ولا لمقص البيان بها ولو حكَّ يافوخه أعنان السماء » (٣)

وانك لتجد في رسالة بشر بن المتعر في نقله الجاحظ في « البيان » فوائد جمعة في اللفظ وتخييره بالنسبة الى معناه فقد قال :

« ومن أراغ معنى كريما فليتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقها ان نصونها عما يفسدها ويهونها » (٤)

ثم قال :

« ينبغي للمتكلم ان يعرف اقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني . ويقسم اقدار المعاني على اقدار المقامات . وأقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات » (٥)

فأنت ترى ان حسن البيان والأداء يلزم صاحبه ان يعرف المقامات ويعرف اقدار المستمعين . ومن أجل هذا قالوا : لكل مقام مقال .

وقد خصوا الحديث بمنابهم فن تمام آلة التحدث ان يكون فطنا ذكيا يعرف كيف يدير الحديث وكيف يتخير الفاظه وكيف يدرك معانيه بلفظ موجز رشيق ان اقتضى المقام الاليجاز بل الائمة « الحاطقة » فاذا لزم الامر شيئا من الافاضة فالاسهاب ضرورة وبيان وبلاغة . ومن أجل هذا قال مالك بن اسماء :

وحديث الله هو ما

ينعت الساعاتون يوزن ووزنا

منطق صائب وتلحن أحيانا

نا وأحلى الكلام ما كان لحننا

ولقد فهم الجاحظ من شعر أسماء انه اراد بـ « اللحن » الخطأ في الكلام ولذلك قال في

تقديم هذه الايات الثلاثة التي اجتزأنا منها باليتين المذكورين :
وقد قال مالك بن أسماء في استعمال اللحن من بعض نسائه ^(٦) الا ان الجاحظ نفسه
قد رجح عن هذا الرأي بعد ان سار كتاب البيان والتبيين في الآفاق ، وفسر « اللحن » بأنه
التعريض والتورية ^(١) .

ولعلك تدرك قيمة الحديث الحسن عندهم حين تقرأ قول الراجز :

ورب نصير طرق الحلي سري

صادف زادا وحديثا ما اشتهى

ان الحديث جانب من القرى

هذا عرض للبيان وحسنه وأداته وما ينبغي لصاحبه من أدوات وآلات في تراثنا الادبي
القديم . فلماذا عن الأداء وحسنه في عصرنا هذا ؟
أقول : لا بد ان يكون الحديث هوتلاً ، وأريد ان أقف ثانية على « الترتيل » لأبعد عنه ما
لحق به من « اللحن » و « النغم » .

وقد يقول القارئ : وماذا عن « المصحف المرتل » ؟ .

أقول : ليس ما جرى عليه اصحاب « الترتيل » في المصاحف « المرتلة » ، تلك التي
أفرغت في أشرطة ورقوف من الترتيل الذي نريده لسلامة الداء وسلامة اللغة .
لقد أقل هؤلاء القراء من النغاة الطويلة الى أخرى قصيرة جرت على وتيرة واحدة . ثم
انك لو امتنحت بلاء هؤلاء القراء في ضبط المد والوقوف والابتداء وغير ذلك من أدوات
التلاوة الصحيحة لوجدتهم مثلاً يمدون « الا » كثيراً بل افراطاً من قوله تعالى « الا ان تكون
تجارة حاضرة وتديرونها بينكم » ^(٢) في حين ان كلمة « تجارة » يطوى فيها المد طياً عابراً ومثله
في كلمة « حاضرة » .

ثم انك لا تحس ان هؤلاء يبدلون شيئاً من جهد في احسان اخراج الأصوات على نحو ما
صرح به المتقدمون من علماء العربية .

ونعود لنقول ان « الترتيل الصحيح متطلب في تلاوة آيات الله كما هو يتطلب في الوقت
نفسه في الحديث واللقاء في المقامات المطلوبة .

وهذا يعني ان المتحدث وهو اللبيب يدرك المقامات والحالات التي مر ذكرها فيرتل كلامه
ويجد القاء ويتخذ كلماته ويصيب معانيه .

وليس « الترتيل » غناءً وتطريباً ، واننا لنرفض الغناء والتطريب تعالى الله ان تجري بهما
كلماته ، كما نرفض بل نحرم ان تؤدي الآيات البيّنات بشيء من الموسيقى . ان الغناء
والتطريب والموسيقى اشياء متشابهة .

ثم ماذا يلزم المتحدث والقارئ والمتكلم من أدوات في عصرنا هذا ؟

ينبغي للمتحدث الجديد في عصرنا ان يعرف العربية ويحذف موادها صرفاً ونحواً وابنية
وأصواتاً . ثم انه على شيء من فهم مقتضى الحال وما يلزم لكل مقام من مقال . وهو يلزم ان
يعرف الوقت والابتداء والارغام والابدال معرفة جيدة .

الا ترى ان المتحدث في عصرنا لم يميز بين « الوصل » والهمزة المحققة التي تدعى بهجرة « القطع » .

هذه خلاصة موجزة لما كان عليه الاداء الحسن ولما ينبغي ان يكون في عصرنا هذا العصر الذي نسعى فيه الى ان تكون لنا عربية سليمة . وهل السلامة في اللغة الاجاع ادوات هي تمام آلة المتحدث والقارئ والكاتب والخطيب !

(١) سورة المزمل ٤ .

(٢) سورة المرقان ٣٢ .

(٣) وروي : « شرّ القراءة المزمرة » كما في « الغريب المصنف » لابي عبيد من حاشية « الكشف »

(٤) الزعشمري الكشف ٦٣٧/٤ (مطبعة الاستقامة — القاهرة ١٣٦٥) .

(٥) اللسان (رتل) .

(١) السيوطي ، الاتقان ٨٣/١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ابن الجزري ، النشر (مطبعة مصطفى الحلبي بمصر) ٢٢٤/١ — ٢٢٥ .

(١) السيوطي ، الاتقان ٨٣/١ — ٨٤ .

(١) المصدر السابق ١٠٧/١ .

(٢) ابن الأثير ، المثل السائر (نشر الياني الحلبي ١٣٥٨ هـ) ١٥٣/٢ .

(٣) الازهرى ، التهذيب ٥٥/١ . وانظر الجمهرة ١٤٠/١ .

(٤) كتاب الدين (مخطوطة آل الصدر في الكاظمية في العراق) .

(٥) اللسان (عه) .

(١) سورة القصص ٣٤ .

(٢) سورة طه ٢٧ .

(٣) سورة الرحمن ٤ .

(٥) سورة آل عمران ١٣٤ .

(٥) سورة النحل ١٠٣ .

(٦) سورة النحل ٨٩ .

(٧) الجاحظ البيان ١٣/١ .

(٨) في الكامل للمبرد ٥/١ الحديث الا اخبركم بأخبركم الي واقربكم مني بحاليس يوم القيامة ؟ أحاسنكم

اخلاقا المؤطون اكثافاً بأفون ويؤلفون . الا اخبركم بأبعضكم الي وأبعدكم مني بحاليس يوم

القيامة ؟ الثارون المتشبهون .

(١) الجاحظ ، البيان ١٣/١ .

(٢) المصدر السابق ١٤/١ .

(١) الجاحظ البيان ١٥/١ .

(٢) المصدر السابق ٧٧/١ .

(٣) المصدر السابق . وانظر اللسان (عن) .

(٤) البيان ١٣٦/١ .

(٥) المصدر السابق ٢٣٨/١ .

(٦) المصدر السابق ١٤٧/١ .

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٢١٤/١٢ . ومعجم الأدباء ٦٥/٦ (مرجليوث) .

(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

الفيزياء

عبد الرحمن الخازني

بقلم : الدكتور علي عبد الله الدفاعة
عميد كلية العلوم بجامعة البترول والمعادن بالظهران

عاش أبو الفتح عبد الرحمن الخازني في أواخر القرن السادس الهجري (الموافق أواخر القرن الثاني عشر الميلادي) ولم يرد ذكر تاريخ ميلاده ، ولكن تاريخ وفاته يعرف بالتحديد عام ٥٥٠ هجرية (الموافق ١١٥٥ ميلادية) . ويخطئ الكثير من المؤرخين بينه وبين كل من أبي جعفر الخازن ، وابن الهيثم حيث أن الغربيين يعرفون ابن الهيثم بالخزين ، لذا يحصل تشابه كبير في كتابة الاسماء الثلاثة باللغة الانجليزية Cal-Khazeni, Al-Khazen, Al-Ha zen

وكان الخازني رقا لعلي الخازن المروزي ، فترعرع الخازني في ظله ودرس في مدينة مرو . . من أشهر مدن خراسان على أيدي أكابر العلماء هناك حتى نبغ في علم الفيزياء والفلك والرياضيات . ويقول جورج سارتون في كتابه المدخل إلى تاريخ العلوم ان « أبا الفتح عبد الرحمن الخازني اشتهر بين زملائه بعلم الفيزياء وذلك في الفترة ما بين ١١٦٥ — ١١٣٦ ميلادية . على الرغم من أنه لم يكن حرا حيث كان الخازني رقا لعلي الخازن الذي اهتم به وعلمه الفلسفة والعلوم في عمر مبكر . وقد اندهش الكثير من الخازني عندما أظهر على وجه

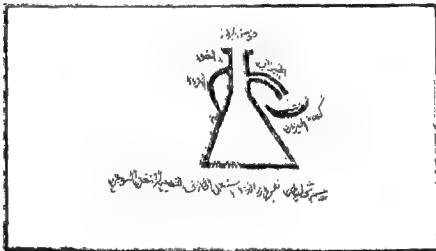
الوجود كتابه « ميزان الحكمة » في عام ١١٢٢ ميلادية الذي يحتوي على علم الميكانيكا والفيزياء والهيدروستاتيكا .

اهتم الخازني بعلم الفلك اهتماما بالغا ، ويظهر ذلك من تحديده للقبلة في معظم البلاد الاسلامية . وقد استفاد الخازني من أبحاث ابن الهيثم والبيروني .

أما في حقل الفيزياء وخاصة موضوعي الحركة (الديناميكا) وعلم السوائل الساكنة (الهيدروستاتيكا) فقد أبدع في هذين الحقلين ابدعا ادهش من لحقه من الباحثين ولا تزال تدرس نظريات الخازني في حقل الحركة في المدارس والجامعات الى يومنا هذا . ومن هذه النظريات نظرية الميل والاعتدار ونظرية الاندفاع ، وهاتان النظريتان لعبتا دورا هاما في علم الحركة .

ويعتبر الكثير من المؤرخين في تاريخ العلوم الخازني استاذ الفيزياء لجميع العصور وقد اجمعوا على أنه فاق أساتذته (ابن سينا والبيروني وابن الهيثم) في هذا المضمار . ويذكر سيد حسين نصر في كتابه العلوم الاسلامية أن « الخازني اشتغل في الفلك فأبدع وألف جداول فلكية سماها الزيج السنجاري سجل فيه ارسادا دقيقة جدا . وذكر الزركلي في كتابه الأعلام أن الخازني سمي كتابه « السنجاري » نسبة الى السلطان « سنجار » . كما برز في حقل الفيزياء الى درجة مدهشة . تخصص الخازني جل وقته لدراسة موضوع السوائل الساكنة فأخترع آلة لمعرفة الوزن النوعي للسوائل وقد ناقش ضمن دراسته موضوع القوة التي يعانها الجسم من أسفل الى أعلى عندما يغمر في سائل .

وقد استخدم الخازني نفس الجهاز الذي استخدمه استاذه الكبير أبو الريحان البيروني في تعيين الثقل النوعي لبعض المواد الصلبة والسائلة . وصل الخازني في مقادير « درجة عظمية من الدقة لفتت انتباه معاصريه ومن تبعهم . فالجهاز الذي استعمله الخازني هو عبارة عن وعاء مخروطي الشكل له مصب بالقرب من فوهته على شكل ميزاب يتجه الى أسفل ، وله عروة .



أما طريقته فتتلخص في الخطوات الآتية : —

- (١) ملأ الوعاء المخروطي بالماء الى غاية مصبه .
- (٢) وزن المادة المطلوب تعيين وزنها النوعي وزنا دقيقا .
- (٣) ادخل المادة المطلوب قياس وزنها النوعي في داخل الوعاء .
- (٤) فيكون حجم المادة يساوي حجم الماء المزاج الذي ينصب من الميزاب .
- (٥) وزن الماء الذي أزاحته المادة من الاناء المخروطي .
- (٦) ويعين الوزن النوعي للمادة بحساب النسبة بين المادة التي أدخلت في الاناء المخروطي ووزن الماء المزاج يراشطتها .

ويجدر بنا هنا أن نقدم الجدول الذي أورده العالم الايطالي الدوميلي في كتابه تاريخ العلوم عند العرب خلال القرون الوسطى والذي ألفه في عام ١٣٥٨ هجرية (الموافق ١٩٣٩ ميلادية) ، وفيه عمل مبالي مقارنة للأوزان النوعية لبعض المواد كما توصل اليها كل من البيروني والخازن مع مقارنتها بالقيمة المعروفة اليوم والمعمول بها في جميع أنحاء المعمورة .

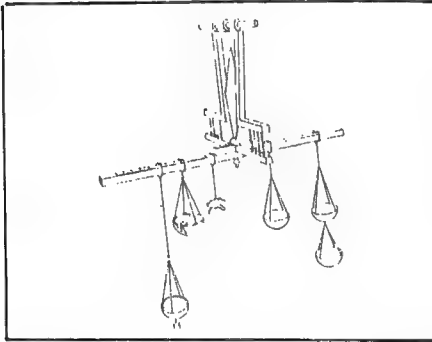
المادة	عند الخازني	عند البيروني	القيمة الحالية
الذهب	١٩٠٥	١٩٢٦	١٩٢٦
الزئبق	١٣٥٩	١٣٧٤	١٣٥٦
النحاس	٨٨٣	٨٩٢	٨٨٥
الحديد	٧٧٤	٨٨٢	٧٧٩
القصدير	٧١٥	٧٢٢	٧٢٩
الرصاص	١١٢٩	١١٤٠	١١٣٥
الياقوت	٣٦٠	٣٧٥	٣٥٢
الزمرد	٢٦٢	٢٧٣	٢٧٣
الؤلؤ	٢٦٢	٢٧٣	٢٧٥
الكوارتز	٢٥٨	٢٥٣	٢٥٨
البلور			

ويثبت الدوميلي في كتابه العلم عند العرب أن الخازني قد استعمل ميزان الهواء (Aerometer) لأستخراج الثقل النوعي للسوائل بكل نجاح والجدول التالي يبين النسبة التي توصل اليها الخازني ومقارنتها بالنسب الحديثة التي حصل عليها علماء العصر الحديث باستخدام الأجهزة العلمية المتقدمة . فقد أجاد الخازني هذا القيام ولم يزد خطوة على ستة في مائة من الغرام الواحد في كل ألفين ومائتي غرام .

المادة	النسبة عند الخازني	النسبة الحديثة
ماء جاف حرارته في		

درجة الصفر	٠.٩٦٥	٠.٩٩٩٩
ماء البحر	١.٠٤١	١.٠٢٧
زيت الزيتون	٠.٩٢٠	١.٩١
لبن البقر	١.١١٠	من ١.٠٤ الى ١.٤٢
دم الانسان	١.٠٣٣	من ١.٠٤٥ الى ١.٠٧٥

وقد ناقش روبرت هول في مقالة له عن الخازني في قاموس الشخصيات البارزة في العلوم كيفية ايجاد الخازني لكثافة الأجسام الصلبة والسائلة ، واختراعه ميزانا لوزن الاجسام في الهواء والماء له خمس كفات تتحرك احدهما على ذراع مدرج كما هو موضح في الشكل الاتي : —



وقد ابتكر الخازني معادلة تعطي الوزن المطلق لجسم مكون من مادتين وهي :

$$س = \frac{1}{\frac{1}{ك} - \frac{1}{ب}} ، \text{ حيث أن (أ) تعبر عن الوزن المطلق للجسم المركب ، } \frac{1}{ب} - \frac{1}{أ}$$

ب^١ و (ك) الثقل النوعي للجسم المركب ، و (ب^١) كثافة المادة الاولى (ب^٢) كثافة المادة الثانية و (س) الوزن المطلق المطلوب . من هذه المعادلة يمكن بسهولة ايجاد الوزن المطلق والثقل النوعي لجسم مكون من مادتين مركبتين بسيطتين . ويقول كل من حميد موراني وعبد السلام منتصر في كتابها قراءات في تاريخ العلوم عند العرب « لقد سبق الخازني توريثيلي في الاشارة الى مادة الهواء ووزنه ، وأشار الى أن للهواء وزنا وقوة رافعة كالسوائل ، وأن وزن الجسم المغفور في الهواء ينقص عن وزنه الحقيقي وأن مقدار ما ينقصه من الوزن

يتوقف على كثافة الهواء . وبين ان قاعدة ارخميدس لا تسري فقط على السوائل ولكن تسري أيضا على الغازات ، وكانت مثل هذه الدراسات هي التي مهدت لأختراع البارومتر (ميزان الضغط) . ومفرغات الهواء والمضخات ، وما أشبه ، وهذا يكون الخازني قد سبق تورشيلي وباسكال بويل وغيرهم .

وألّف الخازني كتابا قما سماه « كتاب الآلات العجيبة » تعرض فيه لعلم آلات الرصد وعرف فيه علم الهيئة . يقول حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » علم الهيئة هو علم يتعرف منه على كيفية تحصيل الآلات الرصدية قبل الشروع بالرصد ، فان الرصد لا يتم الا بتلك الآلات . كما أن للخازني انتاج جم في قواعد النور ، وقد حسب انكسار النور بمروره في الكرة الهوائية .

وللخازني دور جليل في علم الجاذبية وقد شرح في تجارب كثيرة كيف أن جميع أجزاء الجسم تتجه الى مركز الأرض عند سقوطها وذلك بسبب قوة الجاذبية . كما أنه غير سبب اختلاف قوة الجاذبية راجعا للمسافة بين الجسم الساقط والمركز . وقد بنى الخازني دراسته على التجارب والقياسات العلمية . لذا يجب أن يكنى الخازني بأبي علمي الحركة والسوائل الساكنة كما كنّى ابن الهيثم بأبي علم الجبر والباني بأبي علم المثلثات وثابت بن قرّة بأبي علم الهندسة . ويقول سيد حسين نصر في كتابه « العلوم والحضارة في الإسلام » أن أبا عبد الرحمن الخازني يعتبر من الذين لهم اليد الطولى في تطوير نظريات الجاذبية والوزن النوعي .

مؤلفاته :

وقد أولى عناية تامة بالتأليف فصنف الكثير من الكتب والرسائل التي استفاد منها معاصروه ومن خلفه وسنذكر بعضها : —

- (١) زيج السنجار .
- (٢) رسالة في الآلات .
- (٣) جامع التواريخ .
- (٤) كتاب في الفجر والشفق .
- (٥) كتاب في الآلات المخروطة .
- (٦) كتاب التهم .
- (٧) كتاب ميراث الحكمة وكان من ثمانية مجلدات كل منها يحتوي على الآتي : —
- الكتاب الأول : في مسائل الساكنة .
- الكتاب الثاني : في الأوزان المختلفة .
- الكتاب الثالث : في نظريات الجاذبية .
- الكتاب الرابع : في نظريات أرخميدس ومنلوس في موضوع السوائل الساكنة .
- الكتاب الخامس : فيه كثير من الأمثلة والمسائل والجداول عن أوزان المواد المختلفة .
- الكتاب السادس : في الوزن النوعي للأجسام المختلفة .
- الكتاب السابع : فيه أمثلة عامة على ميزان الحكمة في مواضيع مختلفة .
- الكتاب الثامن : في علم الفلك .

وقد بين الخازني في كتاب ميزان الحكمة أن قاعدة أرخميدس تنطبق على الأجسام الموجودة في الهواء وقال بأن « الاجرام الثقيل يعاوقها الهواء وهي بذراتها في الحقيقة أثقل من ثقلها الموجود في ذلك . وإذا انقلبت الى هواء ألطف كانت أثقل . على خلافه اذا انقلبت الى هواء أكثف كانت أخف » . وكما تعرض الخازني لمقاومة السوائل للحركة فيقول في نفس الكتاب « اذا تحرك جسم ثقيل في أجسام رطبة (سائلة) فإن حركته فيها بحسب رطوبتها ، فتكون حركته في الجسم الأرقب أسرع » . وذكر في نفس المؤلف أيضا مركز الثقل وقال « كل جسمين ثقلين بينهما واصل يحفظ وضع أحدهما عند الآخر ، ومجموعهما مركز ثقل وهو نقطة واحدة فقط . وإذا تعادل جسمان بثقلها في نقطة مفروضة . فإن نسبة ثقل أحدهما فقط . كما بحث ثقل الآخر كنسبة قسيمي الخط الذي يمر بتلك النقطة ويمر بمركزي ثقلها » . كما بحث ثقل الاجسام في كتاب ميزان الحكمة فقال « الأجسام المتساوية في القوة والحجم والشكل والبعد عن مركز العالم متساوية . وكل جرم ثقيل معلوم الوزن ليعد مخصوص مركز العالم تختلف زنته بحسب اختلاف بعده منه ، فكلما كان أبعد كان أثقل وإذا قرب كان أخف ، لهذا تكون نسبة الثقل الى الثقل كنسبة البعد الى البعد » . ويتضح من هذا جليا أن الخازني اعتبر مركز العالم هو مركز الأرض فهو بالحقيقة أخطأ في العبارة الأخيرة حيث اعتبر أن وزن الجسم يتناسب طرديا مع بعده عن مركز الأرض وهذا بعكس الحقيقة وهي ان وزن الجسم يتناسب طرديا مع مربع بعده عن مركز الأرض .

وقد تعرض الخازني في كتابه ميزان الحكمة للعلاقة بين السرعة التي يسقط بها الجسم والمسافة والزمن الذي يستغرقه . وهذه العلاقة تنص عليها القوانين والمعادلات التي ادعاها بعض علماء الغرب لأنفسهم أمثال جاليليو وكبلر ونيوتن وغيرهم . ويلمح المؤلف حميد موراني في كتابه تاريخ العلوم عند العرب أن « للخازني كتاب ميزان الحكمة كتبه سنة ١١٣٧ ميلادية وفيه وصف الموازين المستعملة في التجارب . وفيه أيضا بحوث عن الجاذبية والعلاقة بين سرعة الجسم والمسافة التي يقطعها ، والزمن الذي يستغرقه وتناول مبدأ التناقل فقال ان قواه تنجبه الى مركز الأرض دائما » . وقد استفاد علماء الغرب من كتاب ميزان الحكمة فترجم من اللغة العربية الى مختلف اللغات الاجنبية لما له من مكانة علمية رفيعة . ويمدح جورج سارتون كتاب ميزان الحكمة في كتابه المدخل الى تاريخ العلوم فيقول ان كتاب ميزان الحكمة من أجل الكتب التي تبحت في حقل السوائل الساكنة وأروع ما انتجته القرينة الاسلامية في القرون الوسطى » . وفي الختام انه لمن المؤسف حقاً ان الخازني شخص مجهول لدى معظم علماء القرن العشرين . وفي الحقيقة أن معظم علماء الشرق والغرب يناولون أن يتجاهلوا اسهام علماء المسلمين في الحضارة الانسانية . وفوق هذا ان هناك الأغلبية من المتعلمين من العرب والشرق يجهلون تماماً الخدمات التي قدمها علماء العرب والمسلمين للعلوم عامة بل ان بين هؤلاء من يعتقد ان العقل العربي الاسلامي لم يستطع في جميع ادواره التي مرت عليه أن يقدم للمدينة خدمات علمية جيدة كالتي قدمها علماء الغرب امثال جاليليو وكبلر وأويلر ونيوتن وغيرهم . ويظهر لنا جليا أن أسباب هذا الجهل تحامل علماء الغرب على التراث العربي الاسلامي واهمال المسلمين لتراثهم وتاريخهم . فالواجب أن يتولى علماء العرب

والمسلمين كل في مجال تخصصه توضيح الغار التي قطفها الغرب عن طريق مراكز والثقافة والعلوم الإسلامية مثل الاندلس وصقلية اضافة الى اثبات دور القافلة الإسلامية الرئيسى في تأصيل روح البحث وطرق الاستقصاء باتباع التجربة والملاحظة تلك الصفات التي كان يتحلى بها الخازني في بحوثه العلمية .

ولا يفوتنا التنويه أن علماء المسلمين قد سبقوا الغرب في البحث العلمي وأثبتوا الكثير من النظريات واخترعوا الكثير من الآلات ، ونستطيع القول أن علماء المسلمين قطعوا شوطا كبيرا في النظريات العلمية والتجارب المخبرية .

المراجع

- (١) عبد الرحمن الخازني
- (٢) حاجي خليفة
- (٣) الزركلي
- (٤) جورج سارتون
- (٥) ألدوميل
- (٦) ———
- (٧) حميد موراني
- (٨) حميد موراني وعبد الحليم متصر
- (٩) سيد حسين نصر
- (١٠) ———
- (١١) روبرت هول

: ميزان الحكمة

: كشف الظنون

: الأعلام

: المدخل الى تاريخ العلوم

: العلوم عند العرب

: تاريخ العلوم عند العرب خلال القرون الوسطى

: تاريخ العلوم عند العرب

: قراءات في تاريخ العلوم عند العرب

: العلوم الإسلامية

: العلوم والحضارة الإسلامية

: قاموس الشخصيات البارزة في العلوم

« الف أبو جعفر الخازن الخراساني في الرياضيات والفلك وعاش في اواخر القرن الرابع الهجري (الموافق القرن العاشر الميلادي) ، وقد اشتهر في جمع المعلومات وتنقيحها غير أنه لم يعرف بابتهكاراته النظرية كما عرف عبد الرحمن الخازني .

•• توجب اليوم في جمهورية التركمنستان تحت الاستعمار السوفياتي .

نظام التصريف المائي في منطقة القصيم

بقلم : د. أحمد عبد الرحمن الشامي
رئيس قسم الجغرافيا بجامعة الرياض

تبحث هذه الدراسة في نمط التصريف المائي لمنطقة القصيم . والهدف من ذلك هو اعطاء صورة عامة عن جانب من جوانب الجغرافيا الطبيعية للمنطقة . ودراسة التصريف المائي لمنطقة ما ذات فائدة في حد ذاتها ولكنها تكتسب أهمية أكثر لأن هناك ارتباطا وثيقا بين نمط التصريف المائي وبين الاستقرار البشري . وهذا صحيح في جميع مناطق العالم ولكنه يتضح بصورة قاطعة في المناطق الحافة من العالم كمنطقة القصيم .

• أصل البحث منشور بالقسم الانجليزي بنهاية العدد

وتقع منطقة القصيم في وسط المملكة العربية السعودية وفي شمال نجد ، وتعتبر من أهم مناطق المملكة السعودية نظرا لكثرة سكانها ووفرة انتاجها الزراعي . ويزيد عدد سكانها على ٣١٦.٠٠٠ نسمة وأما مساحتها فتقارب ٦.٠٠٠ كيلومتر مربع ولذلك فإن كثافة السكان بها تصل الى أكثر من خمسة أشخاص لكل كيلومتر مربع . وهذه الكثافة السكانية أعلى من المعدل العام للمملكة العربية السعودية الذي يبلغ حوالي ثلاثة أشخاص لكل كيلومتر مربع . وتقع معظم المدن والقرى والمجرى في منطقة القصيم على وادي الرمة وفروعه . فتقع مدن بريده وعينزة والرس والبكيرية ورياض الخبراء والدائع على ضفاف وادي الرمة أو بالقرب منه ، كما تقع على هذا الوادي قرى كثيرة منها الحلالية والخبراء وقصر ابن عقيل والنهبانية وصبيح . ويقع العديد من هجر البادية على وادي الرمة وفروعه ومن هذه الهجر دخنه والفوارة والدليمة والقرين وعقلة الصقور والحشبي وجزار والداث وعطا وضليع رشيد ومطريه والجفنية .

ولذلك فإن هذه الدراسة ستهتم اهتماما خاصا بوادي الرمة وفروعه الرئيسي كما سيتناول البحث الأودية الهامة الأخرى ومناطق السبخات التي ترتبط ارتباطا مباشرا بنمط التصريف المائي في المنطقة .

يعتبر وادي الرمة أهم ظاهرة طبيعية في منطقة القصيم إذ يعبر المنطقة كلها من الغرب الى الشرق . كما انه أطول واد في شبه الجزيرة العربية إذ يبلغ طوله الحالي ٦٠٠ كيلومتر من منبعه قرب المدينة المنورة الى مصبه في رمال عفة الحصانة شرقي القصيم . ويعتقد بأن وادي الرمة كان نهرا حقيقيا يفيض بالمياه طوال أيام السنة في الأزمنة الجيولوجية السابقة . كما أن ذلك النهران يستمر في جريانه حتى يصب في الخليج العربي قرب مدينة البصرة في العراق . ومعنى هذا أن طول النهر القديم كان يعادل حوالي ١٢٢٤ كيلومتر . ويشكل وادي الباطن الذي يقع في الشمال الشرقي للمملكة استمرارا لوادي الرمة الا انه قد انفصل عنه في الوقت الحاضر بواسطة رمال الدهناء .

ويتصل بوادي الرمة عشرات الأودية من الشمال ومن الجنوب . ومن الأودية التي تتصل به من الناحية الشمالية : وادي الحلالني ، وادي مرغانة ، شعيب صبيح ، وشعيب الدليمة ، أما من الناحية الجنوبية فيتصل به وادي الجفن ، وادي الرجل ، وادي الجرير ، شعيب جزار ، شعيب الداث ، شعيب الحشبي ، ووادي دخنة . كما أن وادي الرشاء كان يتصل بوادي الرمة قريبا من مدينة عينزة ولكن نفود الشقيقة وقف حائلا بين الواديين في الوقت الحاضر .

ومن الأودية الكبيرة الهامة في القصيم يوجد واديان آخران هما وادي التمس ووادي الجارمة . ويعتبر وادي التمس الحد الشمالي لمنطقة القصيم فهو يبدأ في مكان يبعد حوالي عشرين كيلومتر عن قرية العظيم التي تقع جنوب منطقة حائل . ويتصل بوادي التمس شعاب أخرى تأتي من جبل حبشي وجبل المضروب وجبل أبا اللقاح . ويستمر وادي التمس شرقا باسم وادي الغبار ثم بأخذ اسمه الحالي بعد ذلك حتى ينتهي شرق هجرة الهير والتي تقع على خط عرض ٢٠/٢٧ شمالا وخط طول ٣٨/٤٣ شرقا .

ويتهي وادي الترمس في رمال ناظرة أم ثميد وهي جزء من نفود المظهر الذي يعتبر الحد الغربي لرمال الدهناء . ويبلغ مجموع طول وادي الترمس حوالي ١٨٠ كيلومترا . أما الوادي الثالث في القصيم فهو وادي الجارمه ، والذي يعبر منطقة الأسياح من الشمال الى الجنوب . ويبدأ وادي الجارمه قرب قرية ضبيده وينتهي بعد حوالي خمسين كيلومترا الى الجنوب شرقي قرية عين ابن فهيد . ويصب في وادي الجارمه العديد من الشعاب المنحدرة من صفراء الاسياح والواقعة الى الغرب من وادي الجارمه . وتقع معظم قرى وهجر منطقة الاسياح على الجانب الغربي من وادي الجارمه .

ويرتبط التصريف المائي في العادة وجود سبخات في المناطق الحافة ، وتوجد في منطقة القصيم خمس سبخات ، تقع أربع منها متجاورة في الجزء الشرقي من المنطقة . وتتكون السبخات من الرسوبات الرباعية من الطمي والطفل والرمل والوحلي والأملاح . واحدى هذه السبخات هي روضة الزغبية التي تقع حوالي عشرة كيلومترات شرقي مدينة عنيزة . وتستقبل روضة الزغبية مياه وادي الرمة وكذلك مياه الشعاب المنحدرة — شرقا — من صفراء عنيزة . ومع أن روضة الزغبية قد صفت على أساس أنها سبخة الا أن الاملاح محدودة فيها ومعظم أجزائها صالحة للزراعة . وقد زرعت أراضيها على نطاق واسع في السنوات العشرين الأخيرة .

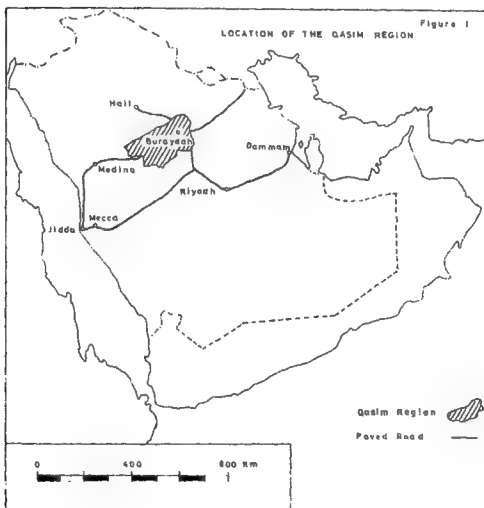
أما سبخة العوشريه فتقع شرق قرية العوشريه مباشرة وتبعد حوالي خمسة كيلومترا جنوب الزغبية . وتحتل العوشريه والزغبية مواقع متشابهة الا أن العوشريه تستقبل المياه المنحدرة من الصفراء فقط ولا تصلها مياه وادي الرمة . وسبخة العوشريه ينطبق عليها تعريف « سبخة » بكل معانيه اذ ترسبت فيها طبقات الاملاح ، وصار الأهالي يستخرجون منها ملح الطعام . وأكبر السبخات في القصيم هو قاع الظلم الذي يستقبل مياه وادي الرمة ومياه الشعاب المنحدرة شرقا من التلال المجاورة مثل شعيب الظلم . ولذلك فقاع الظلم مشابه للزغبية من حيث مصادر مياهه ، ويقع قاع الظلم شرقي وشمال شرقي قرية الظلم . وعلى بعد عشرة كيلومترات جنوبي قاع الظلم تقع سبخة مشنت . وتأخذ اسمها من عريق مشنت وهي عروق رملية ضيقة . وتشبه سبخة مشنت سبخة العوشريه من حيث ان مياهها تأتي من الشعاب المحلية فقط .

وفي موقع آخر من القصيم يقع قاع الحزماء الذي تنهي اليه مياه وادي الرشاء . ويقع قاع الحزماء حوالي خمسة وعشرين كيلومترا شمال شرق هجرة اللقاء في الطرف الجنوبي الشرقي من منطقة القصيم . وكثير من مناطق قاع الحزماء أراضي صالحة للزراعة وقد بدأت الزراعة بها منذ حوالي عشر سنوات .

بناء على دراسة نظام التصريف المائي في منطقة القصيم برزت الملاحظات الرئيسية التالية : —

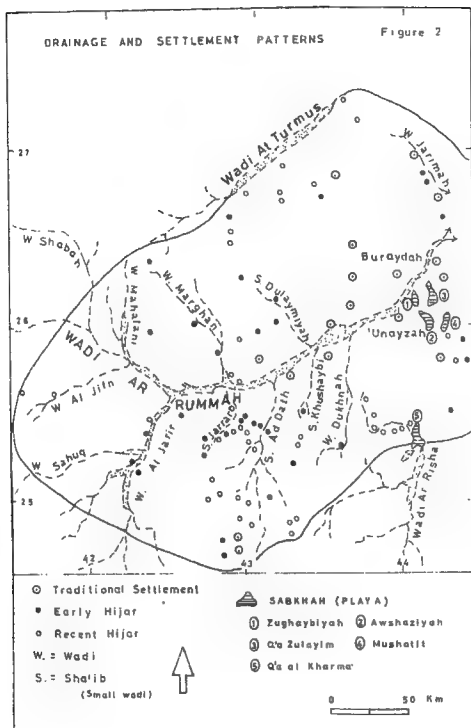
(١) يعتبر وادي الرمة وروافده الكثيرة الوادي الرئيسي في المنطقة .

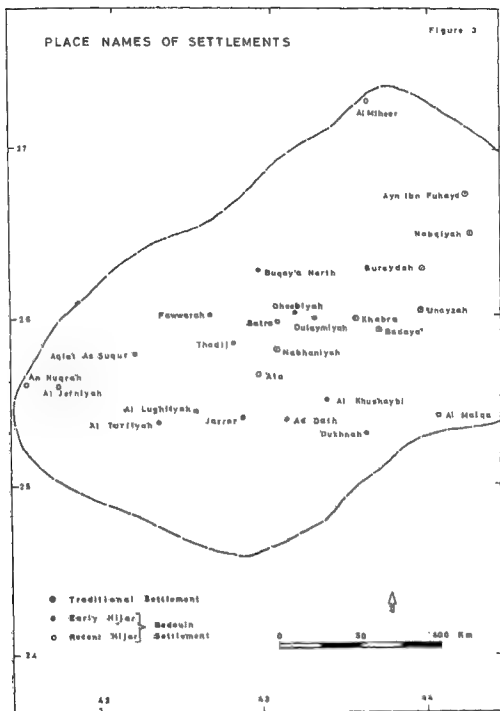
- (٢) هناك أودية أخرى ذات أهمية مثل وادي الترمس ووادي الجارمه .
 (٣) تكوّن السبخات جزءا من نظام التصريف المائي .
 (٤) يتجه التصريف المائي في المنطقة بوجه عام من الغرب الى الشرق .
 (٥) يوجد ارتباط وثيق بين نظام التصريف ونمط الاستقرار البشري في منطقة القصيم .

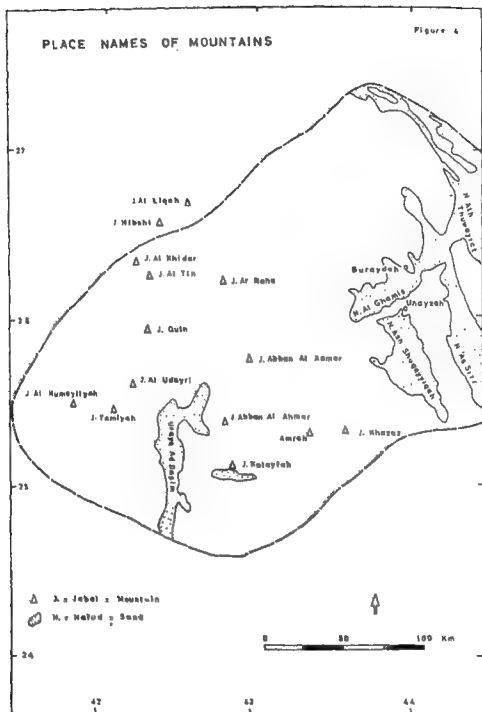


DRAINAGE AND SETTLEMENT PATTERNS

Figure 2







• الأستاذ أحمد بن حافظ الحكيم أحد كلماتنا الوطنية وقد خص الدارة ببحث ممتاز قام بإعداده ، وهو أنه : الأثر
 الشيخ عبد الرحمن بن حسن - محمد الدعوة الإصلاحية في نجد ١٢٩٣ هـ / ١٢٩٩ م - ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٩ ويسر الدارة
 أن تنشر أول مطبوعات هذا البحث ، باعتباره جهداً علمياً طيباً حرص فيه الباحث على إلقاء الضوء لأثار علم جليل من
 أعلام الدعوة الإصلاحية السلفية في نجد ، وهو الإمام عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد
 الدعوة السلفية ورحم الله الجميع .

آثَارُ الشيخ عبد الرحمن بن حسن محمد الدعوة الإصلاحية في نجد

المستأذن :
 أحمد بن حافظ الحكيم
 المحاضر بقية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

« التعريف بالشيخ عبد الرحمن »

— ١ —

هو / عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الداعية محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المشرفي ^(١) القيمي النجدى ^(٢).

وينتهي في نسبه إلى زيد مائة بن تميم بن مر من بني مضر، من العدنانية ^(٣). ويعتبر جده الإمام محمد بن عبد الوهاب ^(٤) أبرز رجال أسرته وأعلام مترلة، امتد به العمر بين سنتي (١١١٥ — ١٢٠٦ هـ)، وكانت حياته مليئة بالأحداث والتطورات المختلفة، دعا فيها إلى توحيد الله وحده، وإحيا مبادئ الدعوة والإصلاح، وقرب مذهب السلف الصالح إلى أفهام الناس، ونادى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحرر العقول من كثير من الأوهام والخرافات التي كانت تسيطر عليها قبله.

وقد كانت نجد مسرحاً لدعوته السلفية وإن لم يقتصر تأثيرها عليها، بل امتد إلى كثير من أجزاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد الإسلام الواسعة. ثم كان آل سعود في دولتهم الأولى وعلى رأسهم مؤسسها الإمام محمد بن سعود خير مساند له في دعوته ومعين على نشرها.

— ٢ —

« والكل يعرف أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في نجد إبّان القرن الثاني عشر الهجري وبعده قد كان لها الأثر الإيجابي البالغ في الجزيرة وخارجها ما لا يمكن الإحاطة به في دراسة متواضعة، وقد فصل ذلك في كتب عنتيت بهذا الأمر، إلا أن الدعوة بعد رحيل صاحبها بوقت قصير كادت تفتر بعد محاولات متعددة كان الهدف منها القضاء عليها وعلى رجالها، لولا أن سخر الله لها علماً فاضلاً من نسل الشيخ هو عبد الرحمن بن حسن، استطاع الوقوف في وجه كل التيارات المعادية، وقاد دفة السفينة المضطربة في الأمواج العاتية من حولها، وسار بها نحو مسالك الخير، حتى أوصلها درب النجاة. بعد أن أوشكت على الغرق، حين تحلّ عنها كثير من الملاحين.

وبدعوة هذا العالم الجليل المخلصة استطاع أن يجدد الدعوة التي قام بها جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب من قبله وأن يعيدها إلى مسارها الطبيعي الذي أرادها لها صاحبها ^(٥). ومن حق علمائنا علينا أن نسجل لهم هذه الصفحات المشرقة من حياتهم وإن نعرف بهم وبآثارهم، ولعل الشيخ عبد الرحمن من أجل علماء الجزيرة الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام وكافحوا كفاحاً مجيداً من أجل النهوض بمستوى المسلمين ورفع شأن الإسلام، فلنعرف به وبدعوته — قبل تفصيل القول عن آثاره — في هذه العجالة البسيطة.

— ٣ —

ولد هذا الشيخ الفاضل في سنة ١١٩٣ هـ ^(٦) (١٧٧٩ م) في مدينة (الدرعية) بنجد، وكانت عاصمة للدولة السعودية الأولى آنذاك، ومهد الدعوة السلفية التي صعد بها جده المصلح الكبير.

وفي الدرعية كانت نشأته في كنف جده ، اذ كان والده قد توفى شهيداً في معركة دارت رحاها في مكان يسمى (غرابية) بنجد ^(٧) .

وعد نشأته جده تنشئة صالحة ربّاه فيها على العفاف والطهارة وحسن الخلق ، وحرص على تعليمه منذ نعومة أظفاره ، وساعده على ذلك تماثيل الذكاء وسرعة الفهم التي كان يصنف بها في صغره ، كان من أهم نتائجها أن ختم القرآن وهو في العاشرة من عمره .

ثم لازم بعد ذلك دروس العلم في حلقة جده يستمع ويعي ويقرأ عليه في بعض مؤلفاته ككتاب (التوحيد) ، وكتاب (آداب المشي الى الصلاة) — وغيرهما .

رحل الإمام الداعية وخلف حفيده في الثالثة عشرة من العمر ، فعاش تحت رعاية أعمامه الذين اعتنوا به وقرئوه وواصلوا تعليمه ، وقد لمسوا فيه سرعة في الفهم وقوة في الادراك فزادهم ذلك حرصا على توجيهه ودعوته الى حضور مجالسهم العلمية وحلقات الدرس والجلوس الى العلماء .

وكان مما قرأه عليهم وعلى غيرهم من علماء نجد كثير من كتب التفسير والحديث والعقائد والأحكام والفرائض والفقه وعلوم العربية من نحو وصرف وأدب .

وكان آية في الحفظ والاستيعاب لا يفوته شيء مما قرأه ، ولا يغب عنه شيء مما حفظ ، كما كان فطنا مستيقظا ، له عقل راجح ، وفهم تام لما يقرأ أو يسمع .

وقد كان من أهم شيوخه في هذه الفترة من دراسته :

- ١ — عمه الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : (١١٦٥ — ١٢٣٢ هـ) ^(٨) .
- ٢ — عمه الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب : (المتوفى سنة ١٢٢٤ هـ) ^(٩) .
- ٣ — عمه الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب : (المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ) ^(١٠) . وقد قرأ عليهم كثيرا في الحديث والفقه والتفسير ، وربما العقائد .
- ٤ — الشيخ حمد بن ناصر بن معمر : (المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ) ^(١١) .
- ٥ — الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي : (المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ) ^(١٢) قرأ عليه في شرح الجزرية للقاضي زكريا الأنصاري .
- ٦ — الشيخ أبو بكر حسين بن غنام الأحسائي : (المتوفى سنة ١٢٣٥ هـ) ^(١٣) قرأ عليه في النحو كثيرا من الكتب منها (شرح الفاكهي على المنتمية) .
- ٧ — الشيخ عبدالله بن فاضل : قرأ عليه في السيرة النبوية وغيرها .
- ٨ — الشيخ عبد الرحمن بن خميس : قرأ عليه في الفرائض شرح الششوري .

وقد لمس الإمام سعود بن عبد العزيز في الشيخ سعة العلم والقدرة على توضيح الأحكام فولاه قضاء الدرعية واستمر على ذلك زمن الإمام سعود وابنه عبدالله ابن سعود ^(١٤) . كما صار ايضا أحد قضاة مكة المكرمة فتفوق في أقضيته وأحبه أهل البلاد ورغبوا في أحكامه ^(١٥) .

— ٥ —

زحفت جيوش محمد علي باشا إلى نجد بقيادة ابراهيم باشا للقضاء على الدعوة السلفية فتمكنت من تخريب الدرعية في سنة ١٢٣٣ هـ ^(١٦) بعد حروب دامية كانت بها نهاية الدولة

السعودية الأولى .

ولما تم الأمر لإبراهيم باشا أخذ كل من وجد من آل سعود وآل الشيخ وأرسلهم إلى مصر وفي عدادهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وهناك في مصر لم يفرط الشيخ في وقته الثمين . بل جد واجتهد غاية وجالس العلماء يطلب العلم على أيديهم ويناقشهم ، ويُقرئ الطلبة في كافة العلوم الإسلامية . وخاصة في الفقه والعقائد حيث نبغ فيها وكانت له منزلة العلمية الكبرى بين الشيوخ والتلاميذ .

ومن أهم شيوخه في مصر في هذه الفترة من دراسته :

- ١ — الشيخ حسن القويسني : (المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ)^(١٧) حضر عليه شرح جمع الجوامع في الأصول للمحلى ، ومختصر السعد في المعاني والبيان .
- ٢ — الشيخ عبدالله بن سويدان : (المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ)^(١٨) .
- ٣ — الشيخ عبد الرحمن الجبري : (١١٦٧ — ١٢٣٧ هـ)^(١٩) قرأ عليه في الحديث

الشيخ محمد بن محمود الجزائري المتوفى سنة ١٢٦٧ هـ^(٢٠) .
أخذ عنه في الحديث أيضا .

- ٥ — الشيخ إبراهيم العبيدي — شيخ القراءات بمصر — قرأ عليه أول القرآن .
- ٦ — الشيخ أحمد بن سلمونه : قرأ عليه كثيراً من الشاطبية ، وشرح الجزرية . في القراءات ، كما قرأ عليه كثيراً من القرآن .
- ٧ — الشيخ يوسف الصاوي : (المتوفى سنة ١٢٤١ هـ)^(٢١) قرأ عليه كثيراً من شرح الخلاصة لابن عقيل .

- ٨ — الشيخ إبراهيم البيهقي : (١١٩٨ — ١٢٧٧ هـ)^(٢٢) قرأ عليه شرح الخلاصة للأشعري ، وحضر عليه في السلم .
- ٩ — الشيخ محمد الدمينوري : (المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ)^(٢٣) وقد حضر عليه في الاستعارات والكافي في علمي العروض والقوافي .

وقد أجازته أكثر العلماء ، باجازات مطولة بمروياتهم عن شيوخهم . وقد تكفل الشيخ عبد الرحمن بالإشارة إلى مشايخ هؤلاء ومقرءاته عليهم وإجازاتهم له في رسالة سجلها بقلمه تجدها مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية^(٢٤) .
ثم استقامت الأمور بعد ذلك في نجد على يد الإمام تركي بن عبد الله (المتوفى سنة ١٢٤٩ هـ)^(٢٥) واستطاع أن يسيطر على الأوضاع المضطربة وأن يسير الحكم في البلاد بسياسة عادلة وروح مخلص .

وعندما علم الشيخ عبد الرحمن بذلك الحنين الدين إلى وطنه ، خاصة وأنه في أشد الحاجة إلى مثله من العلماء للنهوض بالدعوة الإصلاحية . ونشر العلم وإحياء معالم الدين .

وكان الإمام تركي يعرف للشيخ منزلته وفضله فكتب اليه يستحثه في القدوم لمساعدته في النهوض بالبلاد ، طلبى الشيخ دعوته ووصل الى نجد في سنة ١٢٤١ هـ (١٦) وكان فرح الإمام به كبيراً حيث أكرمته غاية الإكرام وجعله كبير قضاة الرياض عاصمة الدولة ومرجع علماء نجد والمفتى الأول بها وفوضه في أن يفعل كل ما يراه صالحاً للدعوة ونشر مبادئ الدين ولم يأل الشيخ جهداً في القيام بمؤازرة الإمام في الدعوة وتأسيس الدولة الإسلامية الناهضة على قواعد صلبة من العقيدة السلفية وأسس مئبنة من الشريعة السمحة (١٧) .

— ٧ —

وقد أدى تدهور الوضع في بلاد نجد بعد تحريب (الدرعية) الى انصراف الناس بعض الانصراف عن امور دينهم ، وانشغلوا عن الخسك بالمبادئ والأخلاق الفاضلة بالأحقاد التي عادت جذعة بين أهل البادية ، لتكون البلاد كمهدا قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ففرق القوم شيعا وتعدوا أحزاباً ، وساعد على ذلك تفرق صفوف العلماء وتشتتهم في البلاد وانصرافهم عن الدعوة .

وقد كان على الشيخ عبد الرحمن — وقد اضطلع بمهمة الدعوة والاصلاح — أن يعمل أولاً على جمع الناس على كلمة واحدة مستخدماً في ذلك وسائل كثيرة سلكها من أهمها : إقامة حلقات الدرس في المساجد ، وتنظيم الدروس العلمية للطلالين ، ووضع رسائل صغيرة سهلة الفهم قريبة التناول يوضح فيها لطلاب العلم ما يجب عليهم اتباعه ، وما ينبغي عليهم تركه من الأقوال والأفعال ، والقيام بإسداء النصيح عن طريق الوعظ والإرشاد ونشر مبادئ الإسلام بالمعروف والنهي عن المنكر في المساجد والحلقات الدراسية ، وكتابة الرسائل والنصائح الإسلامية الى المناطق والأقاليم التي تدعو الى تصحيح العقيدة الحققة في نفوس المسلمين ونشر مبادئ الإسلام السامية ، وتسجيل الردود المقننة على كل من يخالف الدعوة السلفية أو يسئ اليها أو يضل الناس عنها ، وقد نجح في ذلك أيماً نجاح .

وهكذا تسنى للشيخ ابن حسن أن يدعو الناس الى اتباع دين الله القويم ، والى وجوب الحفاظ عليه بوسائل عديدة ، سلكها في منج واضح صار عليه والتزمه في دعوته كان من أهم آثاره : أن جدد للعلم مدارسه وأعاد اليها هيبتها ، وأحيا مجالس الوعظ والإرشاد بالحكمة والقول الحسن ، وأعاد للمساجد والمجالس العلمية ازدهارها بالدروس الصباحية والمسائية ، فدخل الناس في الدين الحق واقتنعوا بالرأي السديد ، واتبعوا الداعي من حيث يجب الاتباع فتركوا الجهالات والخرافات القديمة ، وساد النظام الإسلامي بما فيه من عدل وإنهاء ورحمة وعجة وتعاون في ربيع نجد خاصة وفي الجزيرة العربية عامة (٢٨) .

— ٨ —

وبالإضافة الى شئون الدعوة وأعبائها الجسام ، والقضاء والافتاء وثقل قيودها ، فقد اضطلع الشيخ بمهمة التدريس ، فقد كان يجلس للتدريس فيد إلى طلاب العلم ورواد

المعرفة من كل مكان ليتلقوا عنه العلم النافع في كثير من الفنون ، وقد كان لتدريسه أثر في النفوس ، وأصبح أكثر طلبته بعد تخرجهم على يديه قضاة في أوطانهم وولاة لأموارها ودعاة إلى الله وأصحاب آثار جليلة ، وهم كثير جداً ، ولعل من أهمهم :
١ - ابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن (١٢٢٥ - ١٢٩٣ هـ) ^(٢٩) خليفته من بعده .

٢ - ٤ - أبناء عمه الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب : حسن وعبد الرحمن وعبد الملك .

- ٥ - الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مانع (المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ) ^(٣٠) .
 - ٦ - الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٢٥٣ - ١٣٢٧ هـ) ^(٣١) .
 - ٧ - الشيخ حمد بن عتيق (١٢٢٧ - ١٣٠١ هـ) ^(٣٢) .
 - ٨ - الشيخ محمد بن عمر بن سليم (المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ) ^(٣٣) .
 - ٩ - الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم (١٢٤٠ - ١٣٢٣ هـ) ^(٣٤) .
 - ١٠ - الشيخ عبدالله بن نصير .
 - ١١ - الشيخ ناصر بن عيد .
 - ١٢ - الشيخ عبدالله بن جبر .
- وغيرهم كثير جداً أحصيتهم في كتاب أعلنته عنه .

— ٩ —

ولقد كان الشيخ رحمه الله — بعد هذا كله — رجل علم وعمل ، توفرت فيه كل صفات الداعية المجدد والمصلح الواعي ، وقد وصفه عدد من الكتاب الذين عاصروه أو جاءوا بعده بصفات تدل على أنه كان جليل القدر ، كامل العقل ، عالى الشأن ، غزير العلم ، شديد الثبوت ، كثير المناقب والفضائل ، عليه مهابة وجلالة وبهاء لا تعرف لغيره من العلماء .

وأنه كان — رحمه الله — محباً للعلم وطلابه ، متواضعاً هم ، قائماً بشئونهم ، جواداً سخياً ، حسن الأخلاق والأعمال والأقوال ، جامعاً لكثير من العلوم والفنون الشرعية والعربية ، بارعاً ، محققاً ، نقياً ، تقياً ، وقوراً ، صالحاً ، كريماً لين الجانب ، كثير العبادة ، معرضاً عن الدنيا وأهلها ^(٣٥) .

— ١٠ —

مكث الشيخ طيلة حياته التي امتدت نحو من ٩٢ سنة -عاصر خلالها ثلاثة من أئمة الدولة السعودية الأولى وهم : عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وسعود بن عبد العزيز ، وعبدالله بن سعود ، وثلاثة من أئمة الدولة السعودية الثانية وهم : تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، وفيصل بن تركي ، وعبدالله بن فيصل — يدعو إلى الله على بصيرة ، ويوضح للناس السبل السديدة في القول والعمل ، حتى أتاه اليقين ، فانتقل إلى جوار ربه في عشية يوم السبت الحادي عشر من شهر ذى القعدة سنة ١٢٨٥ هـ — ^(٣٦) (١٨٦٩ م) — وقيل : بل كانت وفاته في الثامن من شهر ذى الحجة — ^(٣٧) — في الرياض ، وصلى عليه بجامعها ، ودفن

في مقبرة (العود) بها .

ولقد أصيب المسلمون بوفاته إصابة جسيمة — خاصة في نجد — ورثاه بعض الشعراء فاجادوا في تسجيل بعض مناقبه ، ومن أهمهم تلميذه الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن مانع الذي رثاه بقصيدة طويلة مطلعها :

تردّد رداء الصبر في حادث الأمر

وفوّض بتسليم مع الحمد والشكر

فنعم احتساب المرء في حال رزئه

ونعم أذراع الصبر في العسر واليسر (٣٨)

رحم الله الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمة واسعة ، وجزاه عن ما قدم في خدمة الإسلام والدعوة إلى التمسك بمبادئه والدفاع عنه خير الجزاء .

كلمة حق لا بدّ منها

بعد تبني آثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن ودراستها ومقارنتها بغيرها من آثار رجالالات الدعوة السلفية في نجد ، فإني لا أعدوا الحقيقة في شيء إذا قلت : إن الشيخ عبد الرحمن كان أبه رجال الدعوة ، وأكثرهم وعياً ، وأعلامهم شأنًا ، وأفضلهم ذكراً ، وأغزرهم علماً ، وأكثرهم مجالسة للعلماء ، سواء في ذلك من كان من ذرية الشيخ الداعية أو من تلاميذه وتلاميذهم تقدّم بهم الزمن أو تأخّر .

ثم كان لدراسته في مصر وجامعتها الأزهر وعلى علماء الإسلام الواردين الى القاهرة الأثر البالغ في تنمية مواهبه وتنوع مصادر ثقافته وإشباع روح الاطلاع عنده ، خاصة وأنه وجد العناية من علماء مصر بكثير من العلوم والفنون التي لم يتعود العلماء في نجد على تعليمها لتلاميذهم إما لقصورهم فيها أو لعدم اهتمامهم بها مع انها من الأسس الهامة في البناء الثقافي لطالبي العلم الجاد ، ومن أهم هذه العلوم دروس اللغة العميقة وعلوم اللسان وفنون الكلام والمعاني والبيان ، وأصول العلوم المتعددة الجوانب ، وما يتعلق بالجلد ، والمنطق والمناظرة ، وما يتبعها من تفرعات هي الأساس المعين على الدعوة والتبليغ ومواجهة الخصوم . ومن أجل هذا وجدنا آثار الشيخ ابن حسن مفعمة بالفكرة النيرة والرأي الصائب والموعظة الحسنة من غير غلو أو إسفاف أو تجريح ، كما حدثت من بعضهم ، ثم كان كل من جاء بعده من علماء الدعوة عيال عليه ، فلا تراهم يخرجون عما قرره في كتبه ورسائله وأجوبته وردوده ونصائحه ، أو معتمدين في بعض أقوالهم على مختصرات جدّه الإمام الداعية التي - تكفل هو بشرح غوامضها وتفصيل مجملها ، وإثارة السبل لدارسها بالتعليق عليها وتهميش حواشيتها وهو ما لم يتوفر لإمام الدعوة نفسه .

واليه بعد هذا كله يعود الفضل الأول في تجديد دعوة جدّه بعد أن كاد ضوؤها ينخبو بعد الحملات العسكرية على نجد والقضاء على الدرعية ودولتها المؤيدة للدعوة ، حيث أعادها على أسس سليمة وقواعد صلبة لا ترزعزعها الرياح العاتية ولا تلين أمام حملات المخربين

وهجاتهم المتلاحقة في سبيل القضاء عليها .
ثم كان لتلاميذه من بعده — وإن لم يبلغوا مستواه العلمي ونضجه الفكري — الأثر البالغ في نشر دعوته في ربوع الجزيرة ، بفضل ما لقنهم إياه شيخهم من مبادئ وما أسداه إليهم من توجيهات قيمة كانت السبب الأول في شيوع هذه الدعوة وبقائها قوية عزيزة الجانب إلى يومنا هذا وعلى مر السنين وتعاقب الأجيال .

مصادر ومراجع ترجمته

رأيت وأنا أعنى بدراسة حياة هذا العالم الجليل وأثاره أن أسجل هنا أهم المصادر والمراجع التي تناولت حياته بالبحث والدراسة ، أو ترجمت له ترجمة موجزة لإتمام الفائدة ولتكون في متناول الدارسين :

- ١ — إبراهيم بن صالح بن عيسى (١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م — ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م) .
« عقد الدرر بما وقع في نجد في الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر » .
الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م ، أشرف على طبعه عبدالله بن خالد الحاتم — دمشق : المطبعة العمومية : (ص ٧٠ — ٨٢) .
- ٢ — إبراهيم بن محمد بن سيف :
« تراجم العلماء والقضاة » — مخطوط ، سيطع قريبا — لم أطلع عليه ، ولا أشك في أنه يحوى ترجمة للشيخ عبد الرحمن بن حسن .
- ٣ — أحمد بن حافظ الحكي (كاتب هذا البحث) :
أ) « مجلة رابطة العالم الاسلامي » : العدد العاشر ، السنة الثالثة : شوال سنة ١٣٩٥ هـ (بحث عنه في مقال) : (ص ٤٧ — ٥١) .
ب) « الشيخ عبد الرحمن بن حسن (١١٩٣ — ١٢٨٥ هـ) مجدد الدعوة الإصلاحية في نجد » :
(وهو كتاب كامل عنه ، تناولت فيه بالتفصيل حياته ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وعلمه ، وأعماله ، وجهوده في الدعوة والإصلاح ، ومؤلفاته ، واقتطفت شيئا من أثاره) — تحت الترتيب والتنقيح ، (وهذا البحث بعد القسم المتعلق بمؤلفاته من هذا الكتاب) .
- ٤ — أحمد علي :
آل سعود : طبع سنة ١٣٧٦ / ١٩٥٧ م — دار العبادة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان : (ص ١٩٩ — ٢٠١) .
- ٥ — اسماعيل باشا البغدادي : (المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) .
أ) « اسماعيل الكنون في الدليل على كشف الظنون » : طبع بناية وكالة المعارف في مطبعتها سنة ١٩٤٧ م / ١٣٦٦ هـ : (ج ٢ : ص ١٧٢) .
ب) « هدية العارفين » — اسماء الكتب وأثار المصنفين — طبع وكالة المعارف
استامبول سنة ١٩٥١ م : (ج ١ : ص ٥٥٨) .
- ٦ — خير الدين الزركلي (١٣١٠ هـ / ١٨٩٣ م — ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) .
« الاعلام » — قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

والمستشرقين — الطبعة الثالثة : (ج ٤ : ص ٧٥ — ٧٦) .

٧ ، زيد بن عبد العزيز بن فياض :

« الجامع الفريد » — يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة — طبع طبعته الأولى على نفقة ... الجميع في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام (بدون تاريخ الطبع) : (المقدمة : ص ٨) ترجمة مختصرة ملخصة كتبت بتاريخ ١٩٨٧/٥ هـ .

٨ — عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١١٩٣ هـ / ١٧٧٩ م — ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٩ م) .

« رسالته المهمة التي كتبها في ذكر شبة نخة ودراساته في نجد ومصر ، وبيان مقرئاته عليهم واجازاتهم له » : وردت في عقد الدرر لابن عيسى : (ص ٧١ — ٧٦) ط ١ سنة ١٣٧٢ هـ . وفي مجموعة الرسائل والمسائل النجدية : (ج ٢ : ص ٢٠ — ٢٤) ط المنار .

٩ — عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ :
أ) « علماء الدعوة » : طبع مطبعة المدني بمصر سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م : ص ٤٠ — ٤٦ .

ب) « مشاهير علماء نجد وغيرهم » : الطبعة الاولى سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م بإشراف دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض : (٥٨ — ٦٤) . والطبعة الثانية من الكتاب (بدون تاريخ) : (ص ٧٨ — ٧٦) .

وهي نفس الترجمة الموجودة في (علماء الدعوة) له ، ثم أورد رسالته عن مروياته عن شيوخه (ط ١ : ص ٦٥ — ٦٩) و (ط ٢ : ص ٨٧ — ٩٢) نقلا عن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية . ج) « الدارة » مجلة ربع سنوية تصدر عن دار الملك عبد العزيز : العدد الثالث — السنة الثالثة شوال سنة ١٣٩٧ هـ سبتمبر عام ١٩٧٧ م : (ص ٢٨ — ٣٣) ، وهي نفس الترجمة الواردة في (علماء الدعوة) و (مشاهير علماء نجد) قبلها ، بدون إيراد لرسالته في ذكر شيوخه .

١٠ — عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م — ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) .

« الدرر السنية في الأجوبة النجدية » : الجزء الثاني عشر (خاص بتراجم أصحاب الرسائل والأجوبة) — الطبعة الاولى — مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض : (ص ٦٠ — ٦٦) .

١١ — عبد الرحمن بن محمد بن مانع (المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م) .
« قصيدته في رثاء الشيخ عبد الرحمن بن خميس » : وهي قصيدة طويلة في نحو (٧٠ بيتا) أثنى فيها على الشيخ وعدد كثيرا من صفاته ومناقبه : أوردتها ابن عيسى في (عقد الدرر : ص ٧٨ — ٨٢) ونقل كثيرا منها بزيادة ونقص ابن قاسم عند ترجمته له في (الدرر السنية ج ١٢) .

١٢ — عبدالله بن حافظ الحكمي :

« صوت الكلية — صحيفة دورية ثقافية داخلية يصدرها طلاب كلية الشريعة بالرياض ، مطبوعة على الاستنسل — السنة الثانية ١٣٩٢ هـ — ١٣٩٣ هـ العدد السادس : (ص ٢٣ — ٢٦) .

١٣ — عبدالله بن عبد الرحمن البسام :
« علماء نجد خلال ستة قرون » : طبع أخيراً بنشر مكتبة النهضة الحديثة ومطبعتها بمكة المكرمة — لم أطلع عليه ، وإن كنت قد أطلعت على ترجمة الشيخ عبد الرحمن فيه قبل طبعه (٣٩) .

١٤ — عبدالله قنبي تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد الم أطلع عليه وقد أشار فيه الى الشيخ عبد الرحمن عند عودته من مصر الى نجد (في ص ١٧٨) انظر مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن آل الشيخ ١ ص ١ .

١٥ — عثمان بن عبدالله بن بشر (١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م) .
« عنوان المجد في تاريخ نجد » : من طبعاته طبعة مكتبة الرياض الحديثة بالرياض — المطبعة اليوسفية بمصر (بدون تاريخ) : (ج ٢ : ص ٢٠ — ٢٦) .
١٦ — علي جواد الطاهر (الدكتور) :

« العرب » — مجلة يصدرها الشيخ حمد الجاسر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض : — ضمن ما ينشره الدكتور الطاهر عن معاجم المطبوعات السعودية : (س ٧ ، ج ٦ : ص ٤٥٠ — ٤٥٣) .

١٧ — عمر رضا كحالة :
« معجم المؤلفين » — تراجم مصنفى الكتب العربية — مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م : (ج ٥ : ص ١٣٥) .
١٨ — محمد حامد الفقى :

« فتح المجد شرح كتاب التوحيد » للشيخ عبد الرحمن بن حسن : طبعة ثامنة منه بتحقيقه ، وتصحيح واشراف الشيخ إسماعيل الانصارى — طبع على نفقة دار الافتاء السعودية سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م بمطابع مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض (المقدمة : في الورقة الثانية بصفتها ترجمة له منقولة عن « عنوان المجد » لابن بشر) .
١٩ — مكتبة الرياض السعودية :

(مكتبة تحت اشراف دار الافتاء ، غنية بمحتوياتها القديمة القيمة ، ولكن ينقصها الآن الكثير من الترتيب والتنظيم والفهرسة الحديثة ، والتهذيب المتتابع بالمطبوعات) .
تحتوى فهرسها على كثير من آثار الشيخ عبد الرحمن وبعض نسخها المخطوطة في كثير من المجالات العلمية التي شارك فيها بشكره .

٢٠ — يوسف اليان مركيس (١٢٧٢ هـ / ١٨٥٦ م — ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م) .
« معجم المطبوعات العربية والعربية » : مطبعة مركيس بمصر سنة ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م : (ص ١٢٧٦) .

آثاره :

تمهيد :

تمثل آثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتبه ورسائله وفتاويه وأجوبته التي ألفها مدة حياته الطويلة ، وهي كثيرة جدا ، منها ما يقع في مجلد كبير ، ومنها ما لا يتجاوز بضع أسطر قليلة كالأجابات والفتاوى القصيرة التي جمعت في (مجموعة الرسائل) و (الدرر السنية) . وتتلخص موضوعات رسائله في دعوة الناس الى التمسك بالعقيدة الاسلامية السلفية ، والاجابة على اسئلة تردده من البلدان النجدية يتغنون ارشادا او افتاء او نصحا ، وكثيرا ما كان يتصدى في كتبه ورسائله للرد على عدد من المفسدين الذين يقصدون الدس في الاسلام والتبيل منه والامساء اليه والى رجاله المخلصين .

وسأستعرض في هذا البحث كل اثر من آثاره التي اطلعت عليها ، حاولت الاستقصاء ما أمكنتني جهدي المتواضع ، مبتدئا بذكر الكتب والرسائل المشهورة التي عرفت بعناوينها ، سواء استقلت بطبعاتها او وجدت في المجموعات مع بيان طباعتها . كما أشير الى عدة نسخ مخطوطة عثرت عليها لكتب مطبوعة من مؤلفاته ، قُتْ بوصفها وصفا لا يخلو من فائدة ، وقد أشير الى وجود بعض هذه الرسائل في المجموعات كالدرر السنية ومجموعة الرسائل . ثم قُتْ باستعراض كل ما وجدته منسوبيا الى الشيخ عبد الرحمن في (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) ، و (مجموعة الدرر السنية) ، استعراضا كاملا أشير فيه الى مكان وجود كل كتاب له او رسالة او فتوى او غيرها ، مع ذكر صفحة الابتداء وصفحة الانتهاء فيها زاد عن صفحة والى عدد الاسطر فيها قل عن عشرة اسطر وخاصة في (الدرر السنية) . وذلك كله على النحو التالي :

أ) الآثار المشهورة ، المستقلة بأسمائها :

- ١ - « فتح المجيد » ، شرح كتاب التوحيد - للشيخ محمد بن عبد الوهاب - وهو أهم كتب الشيخ عبد الرحمن وأكثرها فائدة ، ولأهميته فقد طبع مرات كثيرة جدا ، منها : ط ١ : في الهند ، سنة ١٣١١ هـ .^(١٠)
- ط ٣ : بتحقيق محمد حامد الفقى - مطبعة أنصار السنة المحمدية - القاهرة ١٣٥٧ هـ - ٣ - ٤٦٢ + ٢ ص ^(١١) .
- ط ٥ : بتحقيقه أيضا - القاهرة - نفس المطبعة - سنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م : أ - ع تقریظات ومقدمة المحقق وفهرس الكتاب ، ٣ - ٥ مقدمة المؤلف ، ٦ - ٥١٨ ص نص الكتاب ، وقد وضع كتاب التوحيد في أعلى الصفحة ، وفي الهامش شرحه (فتح المجيد) .

ط ٦ : بتحقيقه ايضا ، في نفس المطبعة بالقاهرة سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م : ٧ + ٥
— ٥١٨ ص .

ط ٧ : بتحقيقه ايضا ، في نفس المطبعة — القاهرة سنة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م :
ج — ل — ٣ — ٥١٨ ص .

ط ٨ : بتحقيقه ايضا ، وقام بالتصريح والاشراف على الطبع الشيخ اسماعيل الانصارى
— عضودار الافتاء — سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، على نفقة دار الافتاء السعودية ، بمطابع
مؤسسة النور للطباعة والتجليد ، وقد وضع كتاب التوحيد في أعلى الصفحة ، والفتح في
الهامش .

زمن هذه الطبعة نسخة طبعت على نفقة مطابع القصيم — الرياض ١٣٨٦ هـ :
٣ — ٥١٩ + ١٠ ص (٤٢) .

وطبعة أخرى : نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض — كتاب التوحيد في أعلى
لصفحة ، والفتح في الهامش : ٣ — ٤ ، ٥ — ٨ — ٤٧٥ ص ، ٤٧٦ — ٤٨٠
لهارس .

وأخرى في القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ : ٤٨٠ ص (٤٣) .

— وأصل هذا الشرح لكتاب التوحيد كان للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبد
الوهاب ، ولكنه لم يكن كاملا ، وحينما اطلع الشيخ عبد الرحمن على هذا الشرح الذي لم
يكمله مؤلفه ، هذب الشرح وادخل عليه الكثير من التحسين والتهديب ، واكماله بأسلوب
سهل واضح ، وزاد عليه في بعض المواضع ، وأسماء (فتح المجيد ، بشرح كتاب التوحيد) ،
وقد قال في المقدمة مبينا ما ذكرنا :

« أما بعد ، فان كتاب التوحيد — الذي ألفه الامام شيخ الاسلام محمد بن عبد
الوهاب — ... قد جاء بديعا في معناه : من بيان التوحيد ببراهينه وجمع جملا من ادلته
لإيضاحه وتبينه . فصار علما للموحدين ، وحجة على الملحدين ، فانتفع به الخلق الكثير ،
والحجج القليل » (٤٤) .

وأما موضوعه فهو : بيان ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة ، وبيانه بالادلة من
الكتاب والسنة ، وذكر ما يتنافى من الشرك الأكبر ، او يتنافى كماله الواجب من الشرك
الاصغر ونحوه ، وما يقرب من ذلك او يوصل اليه .

وقد تصدى لشرحه حفيد المصنف ، وهو الشيخ سليمان بن عبد الله — رحمه الله —
فوضع عليه شرحا أجاد فيه وأفاد ، وأبرز فيه من البيان ما يجب أن يطلب منه ويراد وسماه
(تيسير العزيز الحميد ، في شرح كتاب التوحيد) .

..... ، ولما قرأت شرحه رأيته اطبع في مواضع ، وفي بعضها تكرر يستغنى بالبعض
منه عن الكل ، ولم يكمله ، فأخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله ، وربما أدخلت فيه بعض
القول المستحسنه تنميًا للفائدة ، وسميته (فتح المجيد ، بشرح كتاب التوحيد) (٤٥) .

٢ — « خمس رسائل » : وردت في (مجموعة التوحيد التجديدية) و (الجامع الفريد) :

طبعت (مجموعة التوحيد) عدة طبعات ، منها :

ط ١ : في الهند .

ط ٢ : في مكة المكرمة ، سنة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٨ م .

ط ٣ : في القاهرة مطبعة المنار سنة ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م وقد كتب على نسخة منها

عليها : الطبعة الاولى ، على نفقة الامام عبد العزيز آل سعود اشرف على تصحيحها وطبعها السيد محمد رشيد رضا : ١ - ٥٢٤ ص .

ط — أخرى : في المطبعة السلفية بمصر ، على نفقة الشيخ محمد العبيكان ، (بدون تاريخ الطبع) : ٣ - ٤٠٧ ص مع الفهارس .

والخمس الرسائل في (مجموعة التوحيد) — طبعة المنار — : (ص ١٤٢ — ١٧٧) كالتالى :

١ — الرسالة الأولى : في أصل دين الاسلام وقاعدته : (ص ١٤٢ — ١٤٨) .

٢ — الرسالة الثانية : في الجواب على اسئلة (من عان) ، في الاسم والقضاء والقدر والاستواء على العرش .. الخ : (ص ١٤٩ ، ١٥٦) .

٣ — الرسالة الثالثة : في أنواع التوحيد ، وأنواع الشرك : (ص ١٥٦ — ١٦٠) .

٤ — الرسالة الرابعة : في التوحيد وطروء الشرك على المسلمين وجهاد العلماء له : (ص ١٦١ — ١٧١) .

٥ — الرسالة الخامسة : في الكلام على (لا اله الا الله) ، وتحقيق معنى التوحيد بياناً لما ورد على الجهى الذى رد عليه الرسالة (الجهى الذى في بنى ياس) : (١٧٢ — ١٧٧) .

وفي خاتمتها ص ١٧٧ : (طبعت عن نسخة كتبت بنجد سنة ١٣٤٥ هـ) .

— وفي طبعة السلفية بمصر : (ص ٣٣٣ — ٣٦٣) :

١ — الرسالة الاولى : (ص ٣٣٤ — ٣٣٩) .

٢ — الرسالة الثانية : (ص ٣٤٠ — ٣٤٥) .

٣ — الرسالة الثالثة : (ص ٣٤٦ — ٣٤٩) .

٤ — الرسالة الرابعة : (ص ٣٥٠ — ٣٥٨) .

٥ — الرسالة الخامسة : (ص ٣٥٩ — ٣٦٣) .

وطبع (الجامع الفريد) ، على نفقة الجميع طبعتان :

الأولى : (خالية من تاريخ الطبع ومكانه) : (١ - ٢ شكر وتقدير ، ٣ - ٨ تراجم

المؤلفين ، ٩ - ٦٨٢ ص ، أ - ى فهارس ، ث ص (ك) خطأ وصواب .

والثانية : بتعريض بعض الكتب الموجودة في الطبعة الاولى (بدون تاريخ الطبع أو مكانه ايضا) : (أ - ج تقديم الطبعة ، د - ن تراجم المؤلفين ، ١ - ٥٧١ ، ٥٧٢ ،

ص ، ٥٧٣ - ٥٨٣ فهارس) .

— الرسائل الخمس في الطبعة الأولى من (الجامع) من (الجامع) تأتى في

(ص ٣٣٥ — ٣٥٩) على النحو التالي :

١ — الرسالة الأولى : (ص ٣٣٦ — ٣٤٠) وضع عليها عنوان : (الرسالة الأولى في التوحيد والایمان) .

٢ — الرسالة الثانية : (ص ٣٤١ — ٣٤٥) .

٣ — الرسالة الثالثة : (ص ٣٤٦ — ٣٤٨) .

٤ — الرسالة الرابعة : (ص ٣٤٩ — ٣٥٥) .

٥ — الرسالة الخامسة : (ص ٣٥٦ — ٣٥٩) .

— وهى في الطبعة الثانية : (ص ٣٢٩ — ٣٥٣) :

١ — الرسالة الأولى : (ص ٣٣٠ — ٣٣٤) .

٢ — الرسالة الثانية : (ص ٣٣٥ — ٣٣٩) .

٣ — الرسالة الثالثة : (ص ٣٤٠ — ٣٤٢) .

٤ — الرسالة الرابعة : (ص ٣٤٣ — ٣٤٩) .

٥ — الرسالة الخامسة : (ص ٣٥٠ — ٣٥٣) .

٣ — « قرة عيون الموحدين ، في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين » : حاشية على كتاب التوحيد — للشيخ محمد بن عبد الوهاب — سماها بهذا الاسم ابنه الشيخ عبد اللطيف . وأيت منها نسخة مخطوطة بمكتبة الرياض السعودية التابعة لدار الافتاء ، برقم ٨٦/٣٢٠ . كتب في الصفحة الأولى منها ، ما نصه بهذه الصورة :

هذه حاشية ألفها شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد المصنف الذي ألف كتاب التوحيد وهو شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب أعظم الله لها الاجر والثواب امين امين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا .

وقد سجل الناسخ تحت هذا العنوان قولاً للثورى عن بعض اصحابه ، وبعده وضع ختم حديث نصه : (وقف الشيخ محمد بن ابراهيم ١٣٩١ هـ) .

ثم هناك خطوط غير مفهومة ، وقد كتب في أول الصفحة بخط حديث : (قوة عيون الموحدين) .

تقع هذه النسخة الخطية في ١١٤ صفحة مرقمة ترقيماً حديثاً .

— ص ١ (الغالف) ، ومن ص ٢ يبدأ الكتاب .

— مقياس الكتاب : $١٦ \frac{1}{4} \times ٢٣$ سم .

— المكتوب من الصفحة : $١٢ \frac{1}{4}$ — $١٣ \times ١٩ \frac{1}{4}$ — ٢٠ سم ، والباقي هوامش

بيضاء يندر فيها التعليق ، وإن حدث فلتصحیح .

— في كل صفحة على وجه التغليب ما بين ٢٦ — ٣٠ سطراً .

وقد كتب في الصفحة الاخيرة من النسخة ص ١١٤ ما نصه :

« وكان الفراغ يوم الجمعة المبارك ٢٢ ل/١٢٨٥ خمس ومائتين ومائتين والف ، ثاني عشرين شوال ، بقلم الفقير المقر بالذنب والتقصير ، الراجى لرحمة ربه العلم القدیر عبده بن عبده محمد بن ناصر بن عبد الله بن عثمان بن حمد بن حسن بن عراز الحنبلي مذهبا

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين » .

وكتب في جانب الصفحة الايمن في وسط جدول بالقلمين الاسود والاحمر : (ان تجد عيبا فسد الحلال ، جل من لا عيب فيه وعلى .

وفي مقابله في الجانب الايسر : « ملكه من فضل ربه العزيز كاتبه محمد ابن ناصر عبد الله بن عزاز ، والحمد لله رب العالمين » .

وفي أقصى الصفحة من الجهة اليسرى كتب بانجاء معاكس ، حيث يسر السطر من اسفل الصفحة الى اعلاها ما نصه : « رحم الله من وجد عيبا فستره ، فان المؤمن ينصح ويستر ، والقاهر يفضح ويعير » .

وقد طبع هذا الكتاب (الحاشية) عدة طبعات ، أعرف منها :

١ — طبعة ضمن (مجموعة التوحيد — سالفه الذكر) — ط المارط ٩١ هـ (هي الثالثة) ، سنة ١٣٤٦ هـ : ص ٢٩٧ — ٥٢٤ ، (القرة) بمفردها دون ان يكون معها (كتاب التوحيد) في أعلى الصفحات ، وقد كتب في أول الكتاب في هذه الطبعة : « كتاب قرة عيون الموحدين ، في تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين ، وهو تعليق للعلامة الشيخ عيد الرحمن بن حسن ، ابن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، على كتاب التوحيد لجلده المذكور ، سماه نجله العلامة عبد اللطيف بهذا الاسم ، وهو خاتمة (مجموعة التوحيد) . (وقد وضعنا عبارة الاصل بين هلالين او علامتين لتمييزها ، وأشرنا في ذيل الصحائف الى ارقامها لتسهيل مراجعتها » .

وكتب في آخر ص ٥٢٤ من المجموعة التي تنتهى بانتهاء (قرة العيون) : « ثم الكتاب : وقد كتب في آخره ما نصه : تم نسخ ذلك في رجب سنة ١٣٤٥ هـ بلغ مقابلة وتصحيحا على المشائخ الكرام : الشيخ عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحان ، والشيخ عبد الله المعتزى .

تم ص ٥٢٥ — بيان بالخطأ والصواب .

٢ — طبعة ضمن (مجموعة التوحيد) — ط السلفية المشار اليها : يقع الكتاب في هذه الطبعة في ٧ — ٢١٦ ص ، وقد وضع كتاب التوحيد في أعلى الصفحة ، وحاشية (قرة العيون) في الهامش .

٣ — طبعة كتب عليها (الطبعة الثانية) ، بتفقة عمر عبد الجبار — القاهرة ، دار نصر للطباعة (بدون تاريخ الطبع) : ٣ — ٣١٥ ص (٤٦) .

٤ — طبعة اخرى على نفقة قاسم بن درويش فخرو ، بيروت — مطابع دار العباد : ٣ — ٣١٥ ص (٤٧) .

٥ — طبعة بمكة المكرمة — مكتبة النهضة العلمية السعودية (بدون تاريخ) : ٣١٨ ص (٤٨) .

٦ — طبعة ضمن (الجامع الفريد) ط أولى : وضعت حاشية على كتاب التوحيد في ص : ٩ — ٢٢١ .

- ٧ — طبعة ضمن (الجامع الفريد) ط ثانية : في هامش كتاب التوحيد ، في ص : ٢١٥ — ٣ .
- ٨ — طبعة ونشر مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، مطبعة محمد عاطف بمصر — مستقلة بكتاب التوحيد في أعلى الصفحات ، والقرة في الهامش .
- ٩ — «أصل دين الاسلام وقاعدته» : رسالة صغيرة ، رأيت منها نسخة خطية في مكتبة الرياض السعودية برقم ٨٦/٢٦٩ ، تقع في مجموع كبير يحتوي على كتب للشيخ محمد ابن عبد الوهاب وابن تيمية وابن رجب ، كلها مخطوطة .
- والنسخة في آخر المجموع لا يليها الاشيء قليل منه ، يظهر من آخر ورقة فيه أنه غير كامل . الرسالة في ٩ صفحات غير كاملة ، مختصة بترقيم مستقل (بقلم حديث) ، لا عنوان لها في اولها ، وانما بدأت بعد البسملة والاستعانة والحوالة بقوله : « قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن على قول جده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب — رحمهم الله تعالى وعفا عنهم — قوله رحمه الله : اصل دين الاسلام وقاعدته امران : الخ » .
- مقاس الصفحة الكاملة : ١٦ ١/٢ × ٢٣ ١/٢ سم .
- المكتوب في كل صفحة : ١١ ١/٢ × ١٨ ١/٢ سم . والباقي هوامش يضاء .
- في كل صفحة : ١٨ سطرا ، عدا الصفحة الاخيرة فانها تقل عن ذلك .
- كتاب المجموع واحد كما يظهر من الخط ، ولم يسجل الكاتب اسمه في اى نسخة من نسخ المجموع .
- كما انه ايضا لم يسجل في اخر رسالة (اصل دين الاسلام وقاعدته) تاريخ نسخها كما فعل في الرسائل والنسخ الاخرى في المجموع ، واذا نحن نظرنا الى كل نسخ المجموع نجد انها كتبت في سنة ١٣١٦ هـ .
- وقد طبعت هذه الرسالة — كما عرفنا — ضمن (مجموعة التوحيد النجدية) : (هي الاولى) : ط المنار : ص ١٤٢ — ١٤٨ ، ط السلفية : ص ٣٣٤ — ٣٣٩ . وضمن (الجامع الفريد) — هي الاولى ايضا : ط أولى : ص ٣٣٦ — ٣٤٠ ، وط ثانية ص ٣٣٠ — ٣٣٤ .
- كما وجدتها ايضا في مجموعة (الدرر السنية في الاجوبة النجدية) : ٩٥/٢ — ٩٩ .
- ٥ — « القول الفصل النفيس ، في الرد على المقتري داود بن جرجيس » : وهو من أكبر كتب الشيخ ، ويقع في (٢١٤ ص) ، امر بطبعه على نفقته الامير سعود ابن عبد العزيز ، وقام بتصحيحه والتعليق عليه محمد حامد الفتى ، وطبع على مطابع انصار السنة المحمدية بمصر : (٣ — ٢١٤ نص الكتاب ، ص ٢١٥ خاتمة الطبع) .
- وقد رأيت هذا الكتاب مجموعا مع اخر هو : (مصباح الظلام ، في الرد على من كذب الشيخ الامام ، ونسبه الى تكفير أهل الايمان والاسلام ، تأليف الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ) .
- وقد جاء اسم الكتاب في (علماء الدعوة — لشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل

الشيخ) : « الرد النفيس على شبهات ابن جرجيس »^(٤٩) .
وورد في (الدرر السنية — لابن قاسم التجدي) هكذا : « تأسيس التقديس ، في الرد
على داود بن جرجيس »^(٥٠) .
وفي كتاب (مشاهير علماء نجد وغيرهم) ذكر اسمه كما ذكرناه ولكن بدون لفظة
(المترى)^(٥١) ، ونقلنا للاسم كان عن غلاف الكتاب في طبعته المذكورة أنفا .
وقد اطلعت على نسخة خطية منه في مكتبة الرياض السعودية برقم ٨٦/٣٣٠ ، كتب
في اوله اسمه بهذه الصورة :

« كشف ما أبقاه إبليس من الهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس تأليف شيخنا
عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عفى الله عنهم آمين »
لا تخلو النسخة من تعليقات قليلة بداخلها ، كتب على صفحة الغلاف منه توقيعات
كثيرة ، فعلى الجانب الايسر الى اعلى : (وقف على طلبة العلم أثناب الله من حبه) ،
وهناك طمس بخطوط على اكثر من كلمة في هذه الجملة .
وتحتها بقليل كتب بخط مائل قليلا : (وقف على طلبة العلم لا يمنع ولا)^(٥٢) .
ثم تحته في وسط الصفحة الى أسفل قليلا ، كتب بخط عريض : (وقف على طلبة العلم
أثناب الله من حبه آمين) . وتحته بخط أصغر (أوقفه بعض أولاد الشيخ عبدالله بن حسن
رحمه الله) .
وتحته حديث بقلم عادى أزرق المداد كتب (وارد من مكتبة الشيخ محمد بن ابراهيم
رحمه الله) .

وعلى الجانب الايمن من صفحة الغلاف ختم المكتبة .
— تقع النسخة الخطية في (٢١٧ صفحة) من القطع الصغير .
— مقاس الكتاب : ١٦٧/٤ × ١٢ سم تقريبا .
— المكتوب من الصفحة : ١٢ × ٧/٤ سم ، والباقي حواش ييضاء .
— في كل صفحة (١٧ سطرا) .
— في ورقة في آخر الكتاب غير داخلة في الترقيم (لوحة ب) منها كتابات دينية
وتعليقات مختلفة ، لا دخل لها في الكتاب . وقد كتب في الصفحة الاخيرة ص ٢١٧
« ٧ ذاسنة ١٢٨٣ هـ بقلم عبد الرحمن بن سليمان المسعري غفر الله له ولوالديه ولوالفه
والمسلمين . آمين » .

وكتب بجانب هذا بخط مائل جدا :
« ان نجد عيبا فسد الخلا »

فجعل من لا عيب فيه وعلا .
وفي وسط الصفحة من الجهة اليمنى كتب : « بلغ مقابلة وتصحيحا با . (كذا) على
المؤلف عفى الله عنه ، آمين حرر في ١٢٨٤ »
(كذا) .

وقد جعل المؤلف (الشيخ عبد الرحمن)^(٥٣) في مقدمة كتابه (القول الفصل النفيس)
مقارنة لطيفة بين اسم (إبليس) واسم (جرجيس) ، لان جرجس قد اضله إبليس وأعمى

بصيرته ، فأصبح ضالاً كبيراً ، فكان شبيهاً بإبليس لا في الاسم وحده ، بل في حقيقة كفره وضلاله وما يدعو إليه ، وفي ذلك كله يقول الشيخ عبد الرحمن :

« وبعد ، فإنه قد بلغتني أنه قد ورد على بعض الإخوان مكتابة من داود بن جرجيس مملوءة بالكذب والتلبيس ، ولا ريب أنه مما أوحاه إليه الشيطان وزخرفه إبليس ، فاعجب لانفاق الاعمين وزنا ، ومواقفته له في كل حركة وسكون ، فالاول منها مكسور ، والثاني ساكن ، والثالث مكسور والرابع ساكن ، والخامس متحرك بالضم ، وفي هذا بعض حروف هذا ، وهي الباء والسين ، كالاشتقاق الاكبر ، فحصل بين الاعمين من الاشتقاق ما لا يخفى ، فاعجب لذلك يا من نظر فيه .

واما المشابهة في المعنى ، فقد سود القرطاس بضروب من الوسواس اذا تأمله (الموحد الارب ، سلم الطوية صحيح الروية ، وجد أقواله كلها تدور على جحود التوحيد ، ومصادقة محكمات القرآن المجيد كذباً وتأويلًا ، وتحريفًا وتبديلًا . أما كما قال تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن ، يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون ، ولتصني اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليفتروا ما هم مفترون) .

فن الواجب على من عرف الحق بدليله أن يسعى فيما يطل دعواه ، ويهدم ما أسسه من الزيف وبناه ، ويبين ما فيه من المكابرة ، وما أتى به من المحاللة تعمدًا ومجاهدة : (إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه) (٥٤) .

٦ — « المورد العذب الزلال ، في كشف شبه أهل الضلال » [ورد مفتريات رجل من أهل الخرج] .

طبع ضمن (مجموعة الرسائل والمسائل) : ٢٨٧/٤ — ٣١٨ (ينظر) .

وضمن (الدرر السنية) : ١٠٩٩ — ١٢٨ (ينظر) .

وقد اطلعت على نسخة مخطوطة منه في مكتبة الرياض السعودية برقم ٨٦/٥٦٨ ، كتب في أوله بهذه الصورة :

« المورد العذب الزلال . في كشف شبه أهل الضلال . تأليف الشيخ الامام . وعلم الهداة الاعلام ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام الداعي الى توحيد الملك العلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى امين امين امين » . وهذه النسخة تقع ضمن مجلد ، هي في أوله وصفحاتها غير مرققة قديماً ، بل فيها ترقيم حديث بقلم (رصاص) ذهب أكثره من جراء التجليد ، وفي الورقة الاولى العنوان ص ا مع ختم وقفي نصه : (وقف الشيخ محمد بن عبد اللطيف ١٣٨١ هـ) وختم المكتبة السعودية تقع هذه النسخة الخطية في ١٦ ورقة ، كل ورقة تتكون من لوحين مشغولة بالكتابة ، لوحة أ من ق ١ (العنوان) ، لوحة ب من ق ١٦ مكتوبة الى منتصفها .

— مقياس النسخة : ١٧ ١/٤ × ٢٣ ١/٤ سم .

— المكتوب من الصفحة : ١٥ × ٢٠ ١/٤ سم تقريباً . والباقي حواشي قليلة لا تأخذ مسافة كبيرة من الصفحة ، خالية من التعليق ، الا شيئاً يسيراً مما يتعلق بالتصحيح .

— الخطُّ مُوحَّد في جميعها ، الا انه يختلف بين كونه بالحرف الكبير في بعض الصفحات ، وبالصغير في بعضها الآخر وان قل عن سابقه .

— أسطر الصفحات مختلفة في عددها ، ففي الخط بالحرف الكبير تتراوح بين ١٩ — ٢٢ س ، وفي الحرف الصغير تصل الى ٢٧ سطرا ، أما الصفحة الأخيرة فقد كتب فيها ١٢ سطرا .

— يبدأ الكتاب من ص ب ورقة ١ .

— وقد كتب في آخر صفحة منه (لوحة ب/١٦ ، أى في صفحة ٣٢) ما نصه : « وهذا آخر ما تيسر جمعه ، والله أسأل أن يعم نفعه ، أملاه وجمعه الفقير الى الله تعالى عبده عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكتبه الفقير الى الله عبده علي بن عبدالله البواردي ، وذلك في سنة ١٢٦١ هـ من هجرته صلى الله عليه وسلم ، كتبه من قلم كاتبه حرف بحرف عبده الفقير اليه عبدالله بن ابراهيم الربيعي ، وذلك في ٢٥ صفر سنة ١٣٤٦ هـ ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، امين امين امين » . وفي الجانب الايمن من الصفحة نفسها : « بلغ مقابلةً وتصحيحا » .

٧ — « بيان المحجة في الرد على اللجة » [ويان ما في البردة وكلام بعض الشعراء من الغلو والخروج عن الدين] .

وقد ردَّ به على محمد بن عبدالله بن علي بن حميد صاحب (السحب الوابطة على ضرائع الحنابلة) (٥٥) .

طبع ضمن (مجموعة الرسائل والمسائل) : ٢٨٦ ٢٢٣/٤ ينظر وقد رأيت نسخة خطية منه في المكتبة السعودية التابعة لدار الافتاء برقم ٨٦/٥٦٨ ضمن المجموع الموجود فيه كتاب (المورد العذب الزلال) — سالف الذكر — أولا (هكذا) : « هذا بيان المجبة في الرد على اللجة تأليف شيخنا وأمامنا ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد (كذا) ابن عبد الوهاب اجزل الله لهم .

(١) نسبة الى جد له اسمه (مشرف بن عمر بن مضناد) — انظر مشاهير علماء نجد ص ٢٠ . ط ٢ .

(٢) (٣) انظر في نسبة مقدمة ترجمة جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب — في مشاهير علماء نجد : ص ٢٠ . ط ٢ .

(٤) للإمام محمد بن عبد الوهاب ترجمة في الاعلام للزركلي : ١٣٧/٧ — ١٣٨ ، ومعجم المؤلفين لكحالة : ٢٦٩/١٠ — ٢٧٠ وقد ذكر الكثير من المصادر التي ترجمت له والكاتب التي ألقت عنه ، كما ترجمه الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتابه مشاهير علماء نجد : ص ١٦ — ٢٧ . ط ١ ، والشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم في الدرر السنية : ٣/١٢ — ٢٥ .

(٥) من يبحث عنه في مجلة رابطة العالم الاسلامي عدد ١٠ سنة ١٣٩٥ هـ : ص ٤٧ — ٤٨ .

- (٦) مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ : ص ٥٨ ، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم في الدرر السنية : ٦١/١٢ ان ولادته كانت في سنة ١١٩٦ هـ والاول اُصح .
- (٧) مشاهير علماء نجد وغيرهم : ص ٥٨ .
- (٨) له ترجمة في مشاهير علماء نجد : ص ٣٢ — ٥٠ ط ١ ، والدرر السنية : ٤٣/١٢ — ٤٥ .
- (٩) له ترجمة في مشاهير علماء نجد : ص ٢٨ ط ١ ، والدرر السنية : ٤٥/١٢ — ٤٦ .
- (١٠) له ترجمة في مشاهير علماء نجد : ص ٥١ ط ١ ، والدرر السنية : ٤٦/١٢ — ٤٧ .
- (١١) له ترجمة في مشاهير علماء نجد : ص ١٥٧ — ١٦٠ ط ١ ، والدرر السنية : ٤٧/١٢ .
- (١٢) له ترجمة في مشاهير علماء نجد ط ٢ : ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .
- (١٣) له ترجمة في مشاهير علماء نجد ط ١ : ص ١٤٧ — ١٥٦ .
- (١٤) انظر مشاهير علماء نجد ط ٢ : ص ٧٩ ، وعلماء نجد خلال ستة قرون للبسام (ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن حسن) .
- (١٥) انظر علماء نجد خلال ستة قرون للبسام (ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن حسن) .
- (١٦) انظر : عنوان المجد لابن بشر : ١٩١/١ — ٢١٣ ، ومشاهير علماء نجد : ص ٦٠ .
- (١٧) له ترجمة في معجم المؤلفين لكحالة : ٢٢٣/٣ — ٢٢٤ .
- (١٨) له ترجمة في معجم المؤلفين لكحالة : ٨٩/٦ .
- (١٩) له ترجمة في معجم المؤلفين لكحالة : ١٣٣/٥ — ١٣٤ ، والاعلام للزركلي : ٧٥/٤ .
- (٢٠) له ترجمة في الاعلام للزركلي : ٣١١/٧ ، ومعجم المؤلفين لكحالة : ٥/١٢ — ٦ .
- (٢١) له ترجمة في معجم المؤلفين لكحالة : ٣٣٩/١٣ .
- (٢٢) له ترجمة في الاعلام للزركلي : ٦٦/١ — ٦٧ ، ومعجم المؤلفين لكحالة : ٨٤/١ .
- (٢٣) له ترجمة في معجم المؤلفين لكحالة : ٣١٠/٩ ، ١٠١/١١ — ٢٢٥ .
- (٢٤) انظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية : ١٠/٢ — ٢٤ ط المنار .
- (٢٥) للإمام تركي ترجمة في الاعلام للزركلي : ٦٦/٢ ، والدرر السنية : ٥٢/١٢ — ٥٤ .
- (٢٦) عنوان المجد لابن بشر : ٢٠/٢ ، ومشاهير علماء نجد : ص ٦٠ .
- (٢٧) من بحثي عنه في مجلة رابطة العالم الإسلامي : عند ١٠ سنة ١٣ شوال ١٣٩٥ هـ : ص ٤٩ .
- (٢٨) انظر المرجع السابق : ص ٥٠ .
- (٢٩) ترجمته في مشاهير علماء نجد : ص ٧٠ — ٩٤ ، والدرر السنية : ٦٦/١٢ — ٧٥ ، والاعلام : ١٨٢/٤ ، ومعجم المؤلفين : ١٠/٦ — ١١ .

- (٣٠) ترجمته في مشاهير علماء نجد ط ٢ : ص ٢٣٩ ، والأعلام للزركلي : ١١٠/٤ .
- (٣١) ترجمته في مشاهير علماء نجد ط ١ : ص ١٨٥ — ١٨٨ .
- (٣٢) ترجمته في مشاهير علماء نجد : ص ١٧٩ — ١٨٠ ط ١ ، والدرر السنية : ٧٧/١٢ — ٧٩ .
- (٣٣) ترجمته في مشاهير علماء نجد : ص ١٨١ — ١٨٢ ط ١ .
- (٣٤) ترجمته في مشاهير علماء نجد : ص ١٨٣ — ١٨٤ ط ١ .
- (٣٥) انظر ما وصفه ابن بشر في تاريخه (عنوان المجدي) : ٢٠/٢ ، وابن عيسى في (عقد الدرر) : ص ٧٠ — ٧١ ، ط ١ ، وابن قاسم في (الدرر السنية) : ٦١/١٢ .
- (٣٦) مشاهير علماء نجد : ص ٦٣ وغيره .
- (٣٧) انظر الدرر السنية : ٦٥/١٢ .
- (٣٨) القصيدة طويلة نحتها بكاملها في عقد الدرر لابن عيسى : ص ٧٨ — ٨٢ .
- (٣٩) انظر نبذة عن هذا الكتاب في مجلة العرب : ١/١٣ ، ٢ : ص ١٥٥ — ١٥٧ .
- (٤٠) معجم المطبوعات العربية والمعربة ليويسف سركيس : ص ١٢٧٦ ، وقد قال : ان اسمه (نفع المجيد شرح رسالة التوحيد) ، ولست ادري هل هذه التسمية خطأ من المؤلف ، أم أنه طبع في الهند بهذا الاسم .
- (٤١) ٤٥٢/٧ : انظر مجلة العرب : ٤٥٢/٧ .
- (٤٢) معجم المطبوعات السعودية — أصدرته وزارة المعارف السعودية — : ص ٤٥ .
- (٤٤) فتح المجيد : ص ٣ .
- (٤٥) فتح المجيد : ص ٥ .
- (٤٦) انظر مجلة العرب : ٤٥٢/٧ .
- (٤٧) انظر مجلة العرب : ٤٥٢/٧ .
- (٤٨) انظر معجم المطبوعات السعودية : ص ٤٧ .
- (٤٩) علماء الدعوة : ص ٤٤ .
- (٥٠) الدرر السنية : ٦٣/١٢ .
- (٥١) مشاهير علماء نجد وغيرهم : ص ٦٢ .
- (٥٢) كلمة غير واضحة .
- (٥٣) كلمة لم أفهمها .
- (٥٤) القول الفصل النفيس : ص ٣ .
- (٥٥) انظر حاشية (عنوان المجدي) : ٢٦٢/٢ طبة وزارة المعارف السعودية ، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ . وانظر بحثا للشيخ العلامة حمد الجاسر عن ابن حميد وكتابه وبعض ما ورد فيه من معلومات نشره مؤخرا في مجلة العرب : ٩/١٢ — ١٠/١٠ ص ٧٣٦ .

أدب
وتراث

فكر
وفن

لغة
وتاريخ

في هذا الباب تقدم المجلة
نوميات مختلفة تتملق بتاريخنا
وترائنا ، ولقننا الجميلة ..
وكل ما يتصل بتلك النوميات
مسن جوانب أدبية وفكرية
وفنية .

ولقد حرصنا عليها لتتابع
من خلالها كافة الجوانب
الاخبارية لموضوعات تفحصنا،
وتعد أيضا معلومات مبسطة
نقدمها دائما في هذا الباب من
كل عدد .

والمجلة ترحب دائما بكل
اراء وافكار الباحثين
والمتخصصين والقراء حول ما
ينشر به ..

يكتبه : محمد ابو الشوق الحياط

سمو الأمير سلمان يفتح اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب :



هو الذي سبتحدث عن جهاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الإصلاحية التي تقوم على تجديد دعوة السلف . وأضاف معاليه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب جاهد في عمارية البدع والخرافات وتخليص الدين الإسلامي من الشوائب برعاية قوية من الامام محمد بن سعود — ثم أعرب معاليه عن شكره لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية على تنظيم هذا اللقاء المبارك بأذن الله . والذي تمارس به دورها الذي انشئت من أجله .

والجدير بالذكر ان فكرة هذا الاسبوع بدأت منذ عام ١٣٩٦ هـ حيث توالى الاجتماعات لدراستها ووضع الاطار التنفيذي لها وتركزت أهداف الاسبوع فيما يلي :

١ - اطلاق الرأي العام الاسلامي على حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٢ - ازالة ما اثير حولها من شبهات .

٣ - استكمال طبع ما لم يطبع من كتبه وتوفير المطبع منها وتيسره للقراء ، ومن أهم الكتب التي لم يسبق طباعتها : الحديث على أبواب الفقه في أربعة مجلدات .

وقامت الامانة العامة للأسبوع بتجاية الاتصال بكتاب علماء المسلمين داخل وخارج المملكة وشاركوا ببحوثهم والتي زادت على الثلاثين بحثاً نظمت في ست مجموعات للمناقشة والوصول الى اراء سليمة حولها .

وفي ختام هذا الاسبوع صنوت عدة توصيات تغطي بضرورة تقديم العون المادي والمعنوي للمجاهدين المسلمين في كل مكان وخاصة الشعب الفلسطيني وشعب افغانستان ودعوة المسلمين الى تطبيق احكام الشريعة الاسلامية والاحتفاء بتجربة الشيخ الزائدة في هذا المجال . وضرورة العمل على انشاء المكتبات المتخصصة للدراسة القصيدة الاسلامية واعادة الدعاة وفق منهج الدعوة وكذلك الاستفادة من وسائل الاعلام المخططة في ————— المجال وأوصت الشدرة كسلطك بسلامة مكتسبة خاصة بترات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلازمته ومن نهج نهجه ونشر مؤلفاته بهد تحقيقها وترجمة المختار منها الى لغات الشعوب الاسلامية وبعضى اللغات الحية .

افتتح صاحب سمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض عصر يوم السبت ٢١ ربيع ثان الماضي أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي تنظمه جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات في الرياض ، والذي شارك فيه حوالي ١٣٠ عالماً من كبار العلماء للمسلمين والمهتمين بالدعوة الاسلامية من مختلف أنحاء العالم .

وقد تحدث سموه في حفل الافتتاح فأشار الى الفترة التي سبقت قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته وقال ان هذه الفترة كانت مسرحاً للقوى والجهل سادت فيها البدع الى أن هب الله هذه البلاد دعوة عظيمة وحكاماً صادقين بدأت بقيام الامام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله بالدعوة الى العودة الى السنة والسنة والاحكام بالتروحيد لله تعالى والجهاد في سبيل الله حق جهاده . وأكد سموه ان المملكة تولى عناية فائقة بهذا الجانب الهام ، وتبذل جهودها في سبيل نشر الاسلام — كما أنها تحكم بشرعية الاسلام وتدعو اليه على بصيرة وتعمل على احياء السنة ومحاربة البدع وموازاة العلماء في الدعوة الى الدين وترسل الدعاء والمُرشدين وتشارك في كل نشاط اسلامي . واعتبر سموه كلمته مؤكداً ان المملكة بقيادة جلالة الملك خالد بن ولي العهد تسعى الى اصلاح احوال المسلمين وتحرم على المسلك بالدين ومساندة الدعوة الاسلامية في كل مكان بشقي الوسائل وبكل ما لديها من إمكانيات ، ثم دعا سموه الى دراسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعناية خلال هذا الاسبوع إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل وحتى يعرف المسلمون في مشارق الارض ومغاربها حقيقة هذه الدعوة الحرة .

ثم تحدث صاحب المعالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي والرئيس الأعلى للجامعة فقال ان التاريخ

الامير سظام يفتح معرض الرياض الدولي الثالث للكتاب :



رابطه عربية للأدب الشعبي :

تم انشاء رابطه عربية جديدة تعنى بشئون الادب الشعبي جمعا ودراسة وانتاجا باعتباره لونا من ألوان تراثنا العربي الاصيل ، وينبغي الاهتمام به والتعاون على جمعه ودراسته وتقريب أساليبه ولغته الى اللغة الفصحى .

وفي هذا السيل تم تشكيل لجنة تحضيرية تضم تسعة اعضاء من كل من المملكة العربية السعودية ، ودولة البحرين والكويت والجزائر والمغرب وتقرر ان تكون تونس هي المقر الدائم لهذه اللجنة وهي اخصت بوضع النظام الاساسي للرابطه والدعوة لعقد المؤتمر التأسيسي خلال هذا العام .

والجدير بالذكر ان هذه الرابطه سوف يتضمن قانونها الاساسي ضرورة جعل الادب الشعبي عاملا تربية للفنون الفولكلورية الشعبية العربية وأداة لتوحيد بين الشعوب العربية وتقريب اللهجات العربية صعيدا بها الى اللغة الام .

وسوف يكون من حق كل دولة عربية تنتم باخط العربي ان تشارك الاجتماعات التحضيرية والتأسيسية للرابطه .

وعجلة الدارة وهي الخريصة على ابراز التراث الشعبي في اطاره اللاتق لتأهيل للرابطه الجديدة ان تكون تجسيدا حيا لاهتمام امتنا العربية بتراثها الاصيل .

موسوعة كبرى للحضارة العربية :

تدرس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الوقت امكانية اصدار موسوعة كبرى للحضارة يتم اعدادها والانتاج منها في مدى تسع سنوات وتضم ثلاثين مجلدا ، يتم اعدادها بالاعلام عربية من الكفاءات المتخصصة في علما العربي الاصيل ، لتبقى للأجيال القادمة عملا مشيئا يمكنها من الاثراء من تلك المتاهل دون حاجة الى حلق اللغات الاجنبية التي تعد بها الموسوعات .

فالواقع العربي يمل طينا الان واكثر

الفتح صاحب السمو الملكي الامير سظام بن عبد العزيز نائب أمير منطقة الرياض مساء يوم العاشر من ربيع ثان ١٤٠٠ هـ للمعرض الدولي الثالث للكتاب بمدينة الرياض حيث شاركت فيه حوالي ٣٠٠ من دور النشر المحلية والعربية والعالمية ويضم نحو ٢٥ ألف كتاب من مختلف فروع المعرفة ، وتقوم عادة شئون المكتبات بجامعة الرياض بدراسة كل الجوانب التي تتعلق بفترة معارض الكتب كمنطلق لتطويرها والوصول بها لمستوى يليق بأهمية الكتاب . ومن هنا جاء المعرض الثالث محققا لاهداف كثيرة من حيث سعة مكان وتحديد أيام معينة للمرأة ووضع قواعد معينة للأسعار وتحديد نسب للتخصيص حتى يتمكن للقراء الاستفادة من المعرض . ولقد أكد الدكتور أحمد محمد الصبيب عميد المكتبات بجامعة الرياض ورئيس اللجنة التحضيرية للمعرض انه قد تم تحديد بعض الاهداف الاساسية للمعرض وهي :

١ - اطلاع الجمهور والهيئات والمؤسسات العلمية بالمملكة على ما نشر في حقول المعرفة المختلفة خلال الستين لماهيتين .

٢ - توثيق الروابط والصلات بين الناشرين والموزعين والمهتمين بقضايا الكتاب .

٣ - اتاحة الفرصة للهيئات والجامعات والمعاهد والباحثين للحصول على احداث الكتب العلمية والمراجع في جميع فروع المعرفة بالاسعار المناسبة .

٤ - اتاحة الفرصة للناشرين والموزعين من كافة الدول لتعرف على بعضهم البعض والاتصال المباشر بينهم وبين الناشرين والموزعين المحليين والمؤسسات العلمية بالمملكة .

٥ - تمكين الناشرين من تسويق مطبوعاتهم والترويج لها ، وكذا عقد الانشطة التثائية بينهم وبين الموزعين والناشرين السعوديين والهيئات العلمية في المملكة .



التي تقدمها المكتبات الموجودة .
رابعاً : يؤكد اللقاء أهمية التعاون والتنسيق فيما بين المكتبات السعودية في مجالات الافادة من المصادر المتوفرة وإيجاد الأدوات التكنولوجية . والتعاون في مجالات التخصص في جميع مواد معينة تستفيد منها قاعدة عريضة من المكتبات بما يحقق أفضل سبل الترشيد في تجميع المصادر واستئجارها .

خامساً : يؤكد المجتمعون أهمية الاعارة المتبادلة بين المكتبات ويوصون بدراسة صيغة النظام المقدمه من عيادة شئون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز وذلك من قبل لجنة تشكل من عملاء شئون المكتبات بالجامعات السعودية .

سادساً : لفهم وحدة العمل الاجرائي والفني وتحقيق التعاون المستمر في مجالات الاجراءات الفنية في المكتبات السعودية يوصى المجتمعون بضرورة الاستفادة من الأدوات العالمية المكننة مع ادخال التعديلات الضرورية عليها بما يتواءم مع ظروفنا وساحتنا المحلية وفق أسس تنفق عليها المكتبات السعودية بما يحقق أغراضها وأهدافها .

سابعاً : يؤكد اللقاء على المناهضين السعوديين . سواء عبر المؤسسات الحكومية أو الأهلية . بضرورة الاهتمام بنوعية الانخراج المادى للكتب المنشورة بما يحقق معايير الوصف البيبليوجرافي .

ثامناً : يبحث المجتمعون المكتبات التي تتخذ حالياً أو تنوى اتخاذ خطوات عملية في الاستفادة من الحاسبات الالكترونية في مجالات وظائف المكتبات على ضرورة الاستفادة من تجارب المكتبات التي بدأت بالتنفيذ الفعلي . ويؤكدون على ضرورة توحيد النظم الآلية المستخدمة بما يعود بالنفع على مجتمع المكتبات السعودية . ويؤكدون إلى أفضل فرص الاستثمار الجيد لهذه الأدوات .

ثامناً : يؤكد اللقاء أهمية برامج التأهيل والتدريب للمهني للعاملين بالمكتبات السعودية في مختلف مجالات المكتبات وذلك سواء عبر الجامعات والمعاهد المتخصصة أو عبر المؤسسات التدريبية الخاصة .

عاشراً : نظراً لأهمية اللقاءات المكتبية . وما أسفر عنه اللقاء الأول

من أي وقت مضى ان نعي بصدى الظروف التي تواجه امتنا العربية والتحديات الخارجية .. وهذا بدوره يفرض علينا المبادرة بسرعة للعمل على حماية ثرائنا وتجديد جهودنا وتطويرها والتعامل الذكي مع الزمن ومنطق الحياة . فواقعنا الثقافي العربي يملئ على السطورين مهام جديدة ملحة حتى تستجيب الثقافة العربية لحاجة أجيالنا الضرورية ان جهودنا صاعدة تنتظر في المجالات الثقالية والترجمة والاعلام من منطق الواقع الذي نعيشه والأمل الذي تتطلع اليه .

اللقاء الأول للمكتبيين السعوديين :

تشهد المملكة العربية السعودية بحمة مكتبية واسعة باعتبار المكتبات إحدى للملازم الرئيسية للحضارة الإسلامية كما أنها بحق مقياس الأمم في ثقافتها وتطورها . ذلك أن الاهتمام بالمكتبات في بلادنا ينبع أساساً من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف وحسنه على العلم والتعليم وإلى أكثر من موضع في القرآن الكريم وإلى أكثر من حديث للرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم وإلى مواجهة هذا التطور المتزايد دعت عيادة شئون المكتبات بجامعة الرياض إلى عقد اللقاء الأول للمكتبيين السعوديين في الفترة ما بين ١٩ / ٢٢ / ١٤٠٠ حيث شارك فيه المكتبيون من معظم أنحاء المملكة وتظهر أهمية هذا اللقاء فيما صدر عنه من توصيات أهمها :

أولاً : التأكيد على أهمية المكتبة الوطنية باعتبارها المركز الرئيس لجمع الانتاج الفكري الوطني وتوثيقه . وفي هذا الصدد يبحث المجتمعون على ضرورة اصدار نظام للإبداع يضمن وصول الانتاج الفكري إلى المكتبة الوطنية وبمكسبها اليه في اصدار البيبليوجرافية الوطنية . ثانياً : التوسع في إنشاء المكتبات العامة حسب المعايير التي تحقق أهدافها وتساعدنا على أداء وظائفها . ثالثاً : مع التقيد بتعاليم ديننا الحنيف . يوصى المجتمعون بالاهتمام بتوفير الخدمات المكتبية لجميع فئات المجتمع السعودي من ذكور وإناث وأطفال وموحدون سواء عبر مكتبة تخصص هذه الفئات أو عبر الخدمات

للمكبيين الذي تبنت عقده مشكورة
جامعة الرياض . لان المشتركين في هذا
اللقاء يركضون هذه الأهمية ويوصون
بضرورة عقده سنويا

اسبوع ثقافي خليجي بمقر اليونسكو بباريس :

تم الاتفاق بين ممثلي اللجان الوطنية
لليونسكو بدول الخليج العربي بإقامة اسبوع
ثقافي في مقر منظمة اليونسكو بباريس
(٧ ميدان فونتينوا) تشارك فيه كافة دول
الخليج العربي وتقدم الوثائق من النشاط
الثقافي والفني والاعلامي مثل المعارض
الفنية والموسيقية ومعارض التراث الشعبي
لكل دولة . والأفلام الوثائقية والسينمائية
والمصغرات والصور الفوتوغرافية والشرائح
الملونة والكتب والصناعات اليدوية .
ولقد شكلت الدول الخليجية لجنة
مختصة بغرض عمل الاتصالات اللازمة
والقيام بالتابعة لإقامة هذا الاسبوع .
ولقد جاء ذلك في توصية الدول
الخليجية هيئة اليونسكو ضمن توصيات
عديدة هامة هي :

١ - اجراء دراسة على برامج وميزانية
اليونسكو المعتمدة في السنوات الماضية
وعصومها المشاريع التي اعتمدت للدول
العربية ومدى تطبيقها وتنفيذها والاستفادة
منها .

٢ - اجراء دراسة دقيقة على الوثيقة
(٥/م ٢١) الخاصة بمشروع البرنامج
والميزانية لفترة من ٨١ - ١٩٨٣ واتخاذ
التوصيات اللازمة حولها وفقا لمتطلبات
خطة التنمية الشاملة في دول الخليج
العربي .

٣ - يوصى المجتمعون بإقامة
اسبوع ثقافي في مقر منظمة اليونسكو
في باريس لتشارك فيه الدول
العربية في الخليج ، ويشمل هذا
الاسبوع الوثائق من النشاط الثقافي والفني
والاعلامي مثل المعارض الفنية والعروض
الموسيقية والشعبية والأفلام الوثائقية
والسينمائية والمصغرات والصور الفوتوغرافية
والكتب والصناعات اليدوية .
ومن أجل هذا كله يرى المجتمعون
تشكيل لجنة تمثل الدول الاعضاء المشاركة

في هذا الاسبوع . تأخذ على عاتقها اتخاذ
كافة الاتصالات والاعداد والمتابعة بعرض
التشديد .

٤ - تكليف الامة العامة للجنة
الوطنية لليونسكو في دولة الكويت عهام
التنسيق والمتابعة بين اللجان الوطنية لدول
الخليج لتنفيذها إلى الاجتماع القادم على أن
تورد هذه اللجان اللجنة الوطنية بالمعلومات
والظهور والمخطط المستقبل . والتنسيق بين
مشاريع منظمة اليونسكو والمنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول
الخليج في الرياض .

المكتب عميد المكاتب بجامعة الرياض
٥ - حيث اللجان الوطنية على تشكيل
لجان فرعية للفحاشات المختلفة التي تعطي
كافة أنشطة اليونسكو .

٦ - دعوة منظمة اليونسكو إلى
التنسيق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم ومركز التنسيق بين اللجان الوطنية
العربية ومكتب التربية العربي لدول الخليج
في البرامج والمروعات التي تعزم تنفيذها
في منطقة الخليج العربي بصفة خاصة وفي
البلاد العربية بصلة عامة .

٧ - دعوة المدير العام لليونسكو إلى ما
يلي :

٨ - تنفيذ التوصية الخاصة بالوسع
في استخدام اللغة العربية في جميع مجالات
العمل في اليونسكو بحيث تشمل الدراسات
والبحوث والمطابعات والاستشارات
والأفلام وغيرها من المواد الثقافية
والاعلامية .

٩ - اعطاء مساحة اكبر للفكر
والثقافة العربية في مجلات اليونسكو
ودورياتها ومطبعاتها وذلك بدعوة الكتاب
العرب للكتابة فيها .

١٠ - مساعدة اللجان الوطنية في
تحقيق رغبتها في تدريب الموظفين والخصين
في الاعلام لتستطيع ان تلعب دورا اكثر
فعالية في نشر المعلومات عنها .

١١ - التأكيد على ضرورة دعم
المكتب الاقليمي لليونسكو في دول الخليج
لاستكمال هيكله الوطني مع ضرورة التعاون
بينه وبين اللجان الوطنية ومكتب التربية
العربي في دول الخليج .

١٢ - حيث اللجان الوطنية بالاسهام
في توريد المكتب الاقليمي لليونسكو
بالمعلومات اللازمة عن أنشطة اللجان في
المجالات الثقافية والفنية والعلمية والتربية

والاعلامية .

١٣ - الاسهام في تحقيق مشروع اصدار نشرة دورية عن المكتب الاقليمي للونسكو في الخليج العربي للتعريف بأنشطة النجان الوطنية فيه .

١٤ - دعوة النجان الوطنية للونسكو في دول الخليج العربي الى اثناء فواد للونسكو في بلدانها . ودعوة اليونسكو الى دعم هذه التوازي وذلك من خلال تزويدها بالمخطوعات والالام والمساعدات المالية وتنظيم دورات لتدريب المشرفين على هذه التوازي حتى تتمكن من اداء رسالتها على الوجه الاكمل .

١٥ - التاكيد على الاقتراح المقدم من المجموعة العربية في اليونسكو بضرورة زيادة حصصة المجموعة الخاصة في عضوية المجلس التنفيذي بمقدار مقعدين ينحصر واحد منها للدول العربية والاخر للدول الافريقية .

١٦ - توصي النجان الوطنية للونسكو في دول الخليج العربي بضرورة تنفيذ هذه الدول في عضوية المجلس التنفيذي وذلك بترشيح احد ابنائها لعضوية المجلس في الانتخابات التي ستقام في المؤتمر العام الحادي والعشرين لليونسكو .

١٧ - دعوة المدير العام لمنظمة اليونسكو بالاسراع في وضع البرامج الخاصة بالاستغلال بحلول القرن اثناس عشر للهجرة . مع التاكيد على ان تكون هذه البرامج متناسبة مع أهمية هذا الحدث التاريخي العظيم . والطلب من اليونسكو بان تزود النجان الوطنية العربية والاسلامية بالبرامج التي اعدتها المنظمة هذه المناسبة ، ودعوتها الى التنسيق في برامجها هذه مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومع منظمة المؤتمر الاسلامي .

١٨ - التوصية الى اليونسكو لاياد وسيلة الفصل للاعلان عن الوظائف الشاغرة في اليونسكو باللغة العربية حتى تتمكن النجان العربية من الاعلان عنها بالوسائل والوسيل اللازمة لاجتذاب اكبر عدد ممكن من المهتمين بالعمل في المنظمة .

١٩ - يوصي الاجتماع النجان الوطنية الى المجموعة العربية بالمنظمة بتجديد انتخاب السيد احمد امير مدير عام اليونسكو الى فترة مدتها ست سنوات اخرى .

المركز الثقافي الالامني

يعرض مخطوطات اسلامية
ناشرة :

اقام المركز الثقافي الالامني بالمنايا العربية ندوة ثقافية بمناسبة العام العربي ١٤٠٠ هـ . شارك فيها الاستاذ نور الدين المازني بمحاضرة عن تاريخ الخط العربي اضافة لعرض ٤٥ لوحة قرآنية عخطها المازني بنفسه الى جانب مخطوطات عديدة يرجع تاريخها الى مدة تتراوح من ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ سنة .

ولقد شغل الاستاذ المازني في محاضراته تاريخ الكتابة وان الخط الذي كان اكثر استعمالا قبل الاسلام هو الخط المكي لان مكة كانت المركز التجاري وموطن الحضارة الاكثر اشعاعا . وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ظهر الخط الكوفي . وبعد الفتوحات المباركة وانتشار الاسلام شرقا وغربا ظهرت انواع عديدة من المخطوطات كالخط القرواني في عاصمة الافاطة واسط المديني في العراق والخط المغربي الاندلسي اثر الفتح الاسلامي لاسبانيا . وباعتصار فان للخط العربي المصنوع به سبعة انواع هي (الكوفي - الشامي - النسخي - الاندلسي - المغربي - الرقي - والديواني - والقلاسي . وتناول الاستاذ المازني اهم التصنيفات التي ادخلت على الحروف العربية وعلى معنى المنطق من فهم وضع وكسر وسكون وعلى معنى التشظ التي صارت تفرق بين الحروف المشابهة كتابيا والله والله والياء - وتناول ايضا ان اول من اخترع حركات الاحراب كل من نصر بن عاصم وميم بن يعمر .

اما الانواع والمخطوطات النادرة التي عرضها المازني فهي تمثل اشد المخطوطات التي تحوز عليها في عصر بلغت فيه وسائل الطباعة تطورا هائلا .

وتشير التقارير التي تناولتها الصحافة العربية عن جهود نور الدين المازني الى انه يصبح في كل انحاء المنايا العربية لابقاء لمس الحضارة والمادة معرض مخطوطاته صامتا بذلك في التعريف بتاريخنا العربي الاسلامي الاصيل .

العرب واللغة العربية :

ترتبط اللغة العربية بالقرآن الكريم ارتباطاً جعلها حقناً أساسياً في حياة العرب ولقوميتهم أكثر مما تجعلك أمة لغة أخرى . لهذا الارتباط يعود تاريخياً لأربعة عشر قرناً مضت . وقد سجل بها التراث العربي الضخم الذي يدور أغلبه حول القرآن الكريم . ولقد نبط بالعرب حمل الرسالة وتبلغ ما فيها قال تعالى « انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » ، وفي كتاب « العرب في حجة العرب » لزين الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي ما يوضح إشادة المنطوقى صلى الله عليه وسلم بقوله (خلق الله خلقاً فاختار من الخلق بنى آدم . واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مصر . واختار من مصر قريشاً . واختار من قريش بنى هاشم . واختارني من بنى هاشم فأتا عيار من عيار آل عمار) وقوله « أحبوا العرب ثلاثاً : لأبي عري . والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » .

وإلى هذه الصلاة والسلام (ليست العربية من أحكمكم بأب ولا أم . فأتاها هي اللسان ، فن تكلم العربية فهو عربي) وقال (ومن دخل في هذا الدين فهو من العرب) .

وإلى عصرنا المعاصر نجد أن اللغة العربية بدأت تنزو كل منطلات الأمم المتحدة كحلقة تعامل وفي كل المحافل الدولية ، وزاد عبقها ودارسوها في كل أنحاء العالم وانفتحت لها المراكز الأكاديمية ، وانطلاقاً من تلك الأهمية كان الخلف أن تصدر الدارة عدداً خاصاً من اللغة العربية وأدبها لتستكتب فيه المستشرقين والباحثين المتخصصين واذكر بالتفصيل ما قسم الاتفاقي عليه ليكون المبدأ الأول من مجلة الدارة في مطلع عامها الثالث هو عدد اللغة العربية ولا عجب في ذلك ومجلة الدارة مجلة أكاديمية ترواكب الأحداث الدائمة وتعنى بآثار وفكر المملكة وعلمنا العربي والأسلامي .

والأمل كبير في أن يصدر هذا العدد مع ترجمة وإليه شؤنياته باللغة الانجليزية ليم تزيده على نطاق عالمي واسع لتزداد به المنفعة وتحقق بذلك جهداً علمياً بشرافاً .

ويسر باب الادب والتراث ان ينشر فيا على هذه الدراسة عن العرب واللغة العربية للاستاذ محمد الغزني :

العرب من أقدم الأمم بعد الطفولان وتنسب إلى قحطان أو قحطان . وقد قسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام : العرب البائدة . والعرب العاربة . والعرب المستعربة .

١) أما البائدة . فهم العرب الأول الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لقدم عهدهم وانقطاع أسباب العلم بأخبارهم وهم : عاد وحمود وطسم وجديس . وجرهم الأول وجرهم الثانية .

وأما عاد فكانت مواطنهم بأحفاث الرمل بين اليمن وحجاز إلى حضرموت والشحر . وأما حمود فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز واليمن . وأما جدريس فكانت ديارهم بالبحالة . وأما الأول : فكانت مساكنهم باليمن . وأما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان ويهم اتصال النبي إسماعيل ابن النبي إبراهيم عليها الصلاة والسلام . ومواطنهم بالحجاز .

٢) وأما العرب المستعربة : فهم أولاد النبي إسماعيل عليه الصلاة والسلام لأن أصله كان عبرانياً واستعرب في مكة المكرمة .

٣) وأما العرب العاربة فهم بنو سبأ وهو : عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسبأ بالعرب العربية لتزويهم بالبادية مع العرب البائدة . وهم سكان اليمن . وتزداد اليوم العالم العربي مجموعتان من الأجناس البشرية ، الأولى : السامية وتطبع في القسم الآسيوي . والثانية : الحامية . وتكثر في القسم الأفريقي .

اللغة العربية

قال تعالى : « وهذا لسان عربي مبين » الآية ١٠٣ من سورة النحل .

١ — إن اللغة العربية هي : ما نطق به العرب ، وهي اليوم لغة عالمية . ومن أعرق اللغات العالمية : مينا . وأعوها جانباً . ولقواها جلالة . وإبلها عبارة ، وأغزها مادة . وأنها تصورياً لا يقع تحت الحس ، وتصورياً عما يحول في النفس لرونتها على الانشاقاق وسعة صدرها للتعبير .

٢ — وهي لغة شاعرية حسنة ذات منطق ولصاحبة ، وبلاغة ، وأدب ، فليس هنالك معنى من المعاني ، ولا كلمة

وبالنسبة الى الافريقيين

١٢ — ان اللغة العربية لغة افريقية من جانب ، واسيوية من جانب اخر . واغلبية الماطنين بها افريقيون .

١٣ — هي اكثر اللغات انتشارا في قارة افريقيا ، وينطق بها نحو عسسي

سكانها . اي قسبان من خمسة اقسام .

١٤ — تتحدث بها سبع دول افريقية باعتبارها لغة رسمية وشعبية معا وهي : السودان ، مصر ، ليبيا ، تونس ، الجزائر . المغرب وموريتانيا .

ولذا لمحي جديرة بأن تعتبر اللغة الوحيدة التي توحد افريقيا باسما .

١٥ — لغات التفاهم في مؤتمرات منظمة الوحدة الافريقية ثلاث وهي : العربية (اللغة الافريقية الوحيدة) والانكليزية والفرنسية ولها لغتان استعماريان اميراليتان .

١٦ — اللغة العربية هي اللغة الوحيدة الجديرة بمنح الاحساس الكامل بالشعبيّة القومية في البلاد الافريقية على العموم هورها عن اللغات الاوروبية التي هي — بدون شك — من بقايا الامبريالية الاستعمارية .

١٨ — يرجع كل الفضل في معرفتنا لتاريخ افريقيا الى العربية ، وذلك لان بها دون ما وجد من تاريخ القارة .

وبالنسبة الى المسلمين

١٩ — ان اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ولسان النبي العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وموطن معرفتنا لا يفهم المسلمون دينهم فيها سليما . وصدق الله العظيم حيث قال : انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلونه الآية ٣ — الزخرف .

٢٠ — المسلمون اليوم يبلغون نحو ربع سكان العالم كله . ونحو ثلثي مجموع سكان القارة الافريقية . واكثرهم يستعملون اللغة العربية كلغة ثانية للتفاهم بينهم .

٢١ — واعربا ، وليس اعرا : ان اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي يستعملها المسلمون في صلواتهم ومناجاتهم ، وفي انبئالاتهم ودعواتهم ،

من الكلمات . ولا فكرة من الافكار . ولا عاطفة من العواطف . ولا نظرية من النظريات تعبر اللغة العربية عن تصويرها بالاحرف والكلمات . تصورا صحيحا واضحا .

٢ — لقد استطاعت ان تظهر اللغة اليونانية في الشرق . واللغات الشعبية التي كانت منتشرة في المغرب العربي . كما غلبت اللغة القبطية في مصر . كما غلبت اللغات الشعبية المنتشرة في جمهوريتي السودان وتشاد بين اللغات العالمية جمعاء .

٤ — وهي الصلة الوثيقة بين حضارات الماضي وحضارات اليوم . وبذلك آوت عملات جارية للاساقية جمعاء .

٥ — لقد اندلرت احوالها السامية من : ارامية ، وكلدانية . وكنعانية ، وسريانية وعبرانية قديمة ، واشورية وغيرها حين بقيت هي مزدهرة على رغم ما مر بها من عصور الركود ، وما زالت تحيا حياة طيبة وتتصق وتوسع في جميع الافاق . من خمسة اقسام .

٦ — ان الكثير من مصطلحات الفنون الحديثة تستمد عناصرها من اللغة العربية مثل : الجبر ، واكسير والكحول وكذلك مصطلحات العلوم الطبيعية كالفضن والياهمين والوظفران ، وكذلك اسماء المصنوعات كالسكر والانيق والصابون ، وغير ذلك من الاصطلاحات الاخرى .

٧ — وهي من اللغات الرئيسية في العالم التي اصبحت حية قوية بأجناسها في اصل نشأتها . وطبيعتها .

٨ — وهي تعتبر الآن لغة هامة وعظيمة تدرس في جامعات العالم قاطبة .

٩ — معظم اذاعات العالم تستعمل اللغة العربية في برامجها اليومية لكثرة الناطقين بها في العالم .

١٠ — ادخلت اللغة العربية في الامم المتحدة كاحدى لغات التفاهم فيها .

١١ — الثقافة العربية تجعل الانسان مثلا ممتازا لدى الدول العربية والاسلامية معا .

ولّد تعتبر اللغة العربية الإسلامية الوحيدة .

الله أكبر وفيه الحمد

وللأسباب والبراهين المذكورة أعلاه
يبدو أن زماما على المسلمين وغيرهم على السواء
وعلى الأفريقيين خاصة تعلم العربية ، وتبنيها
لغة ثانية في المدارس العمومية والخصوصية
معا .

والسلام على من اتبع الهدى . والفتى
الحير ويحب الردى .

احتفالات المسلمين

بالقرن الخامس عشر الهجري :

من المقرر ان تقام احتفالات متعددة في
كل أنحاء العالم الإسلامي احتفالا بمطلع
القرن الخامس عشر الهجري ، وتستمر هذه
الاحتفالات لمدة خمس سنوات متتالية
— كما يتوافق ذلك مع احتفالات الأزهـر
الشريف بعيده الألفي ، ومن المقرر ان يتم
تشكيل من علماء الأزهـر وكبار المفكرين
الإسلاميين والمشتغلين والناسخين للاعداد
لمؤتمر دولي تشهده مدينة القاهرة التي تضم
القدم جامعة إسلامية بل القدم جامعة في
العالم .

وسوف تشهد المملكة العربية السعودية
مؤتمرا عن السيرة النبوية والمغرب الشقيق
مؤتمرا عالميا للجامعات الإسلامية يتناول
دور الجامعات ومراكز البحث الإسلامية في
تطوير الحياة والحضارة الإسلامية .

وفي القاهرة سيقدّم مؤتمر للمؤلفين
والكتاب الإسلاميين لاختيار أفضل الكتب
عن الإسلام وتقديم المادة الإسلامية في
جميع أنواع المرفقة والحضارة للمسلمين
والعالم بكل اللغات . وفي دمشق سيقدّم
مؤتمر عن التاريخ الإسلامي . وفي بغداد
مؤتمر لتطوير اللغة العربية ودعم صفتها
العالمية وتوسيع انتشارها .

وفي لندن سينظم المجلس الإسلامي
الأوروبي مؤتمرا عالميا عن الأقليات المسلمة
في العالم . كما ستشهد دول أمريكا الشمالية
حلقة دراسة عالمية عن الإسلام وتحديات
العصر من كل كندا والولايات المتحدة .
وسوف تقام كذلك معارض عديدة

مثل : معرض عالمي للعلوم والتكنولوجيا في
أصفهان بإيران ، ومعرض الفن الإسلامي
في استنبول بتركيا ، ومعرض للكتب
الباحثة في الإسلام باللغة الإنجليزية في
لندن . ومعرض آخر للكتب الباحثة في
الإسلام في اللغات الأخرى في باريس
والحقيقة فان هناك تطلعات جادة من
كل المنظمات وأجهزة الثقافة والجامعات
الإسلامية وكبار رجال الفكر والتاريخ
للاحتفال بالقرن الخامس عشر احتفالا يليق
بمكانته وأهميته في حياتنا كمسلمين ، ولا
بد للاعلام والعلماء المسلمين ان يظهروا
انفسهم في حالة تأهب كامل دفاعا عن
الإسلام وما يتعرض له من تشويه من
جانب الملحدين ، ودفاعا عن الحضارة
الإسلامية باعتبارها المنفذ الوحيد للبشرية .



أبو تمام

في صنعة الشعر

للدكتور :
 زكريا عبد الرحمن صيام
 كلية الآداب - جامعة الرياض

هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مر بن سعد ابن كاهل بن عمرو بن عدي بن يغوث بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان . عرف بذكائه وحضور بديته وقوة عارضته ، وكان يجذ في أثر المعنى حتى يصل منه الى ما يعسر على غيره تناوله ، فانفرد بمذهب شعري صار فيه إماما متبوعاً ، وشهر به حتى قيل : « هذا مذهب أبي تمام » . كما نظم في سائر الأغراض ، لكن المديح اتسع مجاله عنده أكثر من غيره لا تملقاً للمدحون أو انتظاراً لما لديهم من عطايا ، وإنما إعجاباً بهم ، مما أكسب مدائحهم قوة ومنعة قلما توفرت لغيره من الشعراء .

وأورد قصيدته الدالية التي مدح فيها خالد الشيباني تقديراً منه لمواقف هذا الرجل ، حيث عالج فيها موضوعات عدة ، واشتملت على خصائص أبي تمام الفنية والنفسية ، وهي من عيون القصائد في تراثنا العربي الأصيل :

- ما لكئيب الحمى إلى عَقْدَه ؟
 ما بال جَرَعاته الى جَرَدَه ؟ (١)
 ما خطبَه ؟ ما دَهاهُ ؟ ما غَالَه ؟
 ما نالَه في الحسانِ من خَرَدَه ؟ (٢)
 السَّالِبَاتِ امْرَأً عَزِيْمَتُهُ
 بالسَّحَرِ ، والنافثات في عَقْدَه (٣)
 لَجِيْنٌ ظِلِيْنٌ ظَلُّ أَمِنَ مِنَ الدَّهْرِ وَظِلًّا مِنْ تَهْوِه وَرَدَه (٤)
 فَهِنَّ يُخْبِرْنَ عَنْ بُلْهَنِيَةِ الْعَيْشِ وَيَسْأَلْنَ مِنْهُ عَنْ جَحْدَه (٥)
 وَرُبَّ أَلْسِمَى مِنْهُنَّ أَشْنَبَ قَدْ
 رَشَفْتُ مَا لَا يَذُوبُ مِنْ بَرَدَه (٦)
 قَلْنَا مِنَ الرَّيْبِ نَاقِعَ الذُّوبِ إِلَّا أَنَّ بَرْدَ الْأَكْبَادِ فِي جَمْدَه (٧)
 كَالْخُوطِ فِي الْقَدِّ وَالنَّزَالِ فِي الْبَهْجَةِ وَابْنُ الْفَرَالِ فِي غَيْدَه (٨)
 وَمَا حَكَاهُ وَلَا نَعِمَ لَهُ
 فِي جَيْدٍ ، بَلْ حَكَاهُ فِي جَيْدِه (٩)
 فَالرَّيْبُ قَدْ عَزَّنِي عَلَى جَلْدِي
 مَا مَحَّ مِنْ سَهْلِهِ وَمِنْ جَلْدِه (١٠)
 لَمْ يُبْقِ شَرَّ الْفِرَاقِ مِنْهُ سِوَى
 شَرِّهِ مِنْ نُؤْيِهِ وَمِنْ وَتْدِه (١١)
 سَأَخْرِقُ الْحَرْقَ بِابْنِ خَرْقَاءِ كَالِ
 هَيْئِ إِذَا مَا اسْتَحَمَ مِنْ نَجْدِه (١٢)
 مُقَابِلِ فِي الْجَدِيلِ صُلْبِ الْقَرَا
 كُوجِكَ مِنْ عَجَبِهِ إِلَى كَتْدِه (١٣)
 تَابِكِهِ ، نَهْدِهِ ، مُدَاخِلِهِ ،
 مَلْمُومِهِ ، مُحْزَنُلِهِ ، أَجْدِه (١٤)
 إِلَى الْمُقَدَّيْ أَنِي يَزِيدَ الَّذِي
 يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ فِي ثَمْدِه (١٥)
 ظِلُّ عُفَاةٍ يُحِبُّ زَائِرَه
 حُبَّ الْكَبِيرِ الْغَيْرِ مِنْ وَلْدِه (١٦)
 إِذَا أَنَاخُوا بِسَابِئِهِ أَخَذُوا
 حُكْمِيهِمْ مِنْ لِسَانِهِ وَدَيْدِه (١٧)
 مِنْ كُلِّ لَهْفَاتِهِ زِدَتْ فِي أَوْدِ الْأَمْوَالِ حَتَّى أَقَمَتْ مِنْ أَوْدِه (١٨)
 مُسْتَمَطَّرَ حَلٍّ مِنْ بَنِي مَطَرٍ
 بَحِثْ حَلَّ الطَّرَافِ مِنْ عَمَدِه (١٩)
 قَوْمٌ عَمْدَا طَارِفُ الْمَدِيحِ لَهُمْ

- وَوَسَمَهُمْ لَايَحُ عَلَى ثُلْدِيهِ (٢٠٠)
فَهُمْ يَمِينُونَ الْبَحْرِيَّةَ فِي
بُرُودِهِ وَالْأَنْسَامُ فِي بُرْدِهِ (٢٠١)
لَا يَنْدُبُونَ الْقَنْبِيلَ أَوْ يَأْتِي الْحَوْلُ لَهُمْ كَامِلًا عَلَى قَوْدِهِ (٢٠٢)
إِنَاءَ مَسْجِدٍ مَلَأَ بُورِكَ فِي
صَرْيَعِهِ لِلْعُلَىٰ فِي زَبْدِهِ (٢٠٣)
وَهَضْبُ عِزٍّ تَجْرِي السَّاحَةُ فِي
حُدُودِهِ وَالْإِبَاءُ فِي صُعْدِهِ (٢٠٤)
نِعْمَ لَوَاءُ الْخَمِيسِ أُتِيَ بِهِ
يَوْمَ خَمِيسٍ عَالِي الضُّحَىٰ أَفْدِيَهُ (٢٠٥)
خِلَتْ عُقَابًا بِيضَاءَ فِي حُجْرًا
تِ الْمُلُوكِ طَارَتْ مِنْهُ فِي سُودِهِ (٢٠٦)
فَشَاعَبَ الْجَوَّ وَهُوَ مَنَكُنُهُ
وَقَاتَلَ الرِّيحَ وَهِيَ مِنْ مَدَدِهِ (٢٠٧)
وَمَرَّ تَهْفُو ذَوَابِنَاهُ عَلَى
أَسْمَرِمَتَيْنِ يَوْمَ الْوَعَىٰ جَسَدِهِ (٢٠٨)
تَخْفِقُ أَفْيَاؤُهُ عَلَى مَلِكٍ
يَرَى طِرَادَ الْأَبْطَالِ مِنْ طَرْدِهِ (٢٠٩)
نَالَ بِعَارِي الْقَنَا وَلَا يَسُو
مَجْدًا ثَدَانِي الْجَوَاءِ عَنْ أَمْدِهِ (٢١٠)
بَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ لِلْعُلَىٰ لَقَمٌ
قَصْدٌ لِمَنْ لَمْ يَطَأَ عَلَى قَصْدِهِ (٢١١)
تُضَرِّمُ نَارَاهُ فِي قِرَىٰ وَوَعَىٰ
مِنْ حَدِّ أَسْيَافِهِ وَمِنْ زُنْدِهِ (٢١٢)
مُسْتَلَىٰ الصَّدْرُ وَالْجَوَانِحُ مِنْ
رَحْمَةٍ مَمْلُوءِينَ مِنْ حَبْدِهِ (٢١٣)
بِاخْذُ مِنْ رَاحَةٍ لِشُغْلٍ وَيَسْتَقْبِي لِبَيْسِ الزَّمَانِ مِنْ ثَادِهِ (٢١٤)
فَهُوَ لَوْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ أَسْعَدِهِ
لَحَبَّرَ عُضْبًا مِنْ يَوْمِهِ لَعْدِهِ (٢١٥)
إِذْ مِنْهُمْ مَنْ يَمُدُّ سَاعَتَهُ الطَّلَقَ عِيَارًا لَهُ عَلَى أَيْدِهِ (٢١٦)
الْوَيْ كَثِيرَ الْأَسَىٰ عَلَى سُودِدِ الْعَيْشِ قَلِيلَ الْأَسَىٰ عَلَى رَغْدِهِ (٢١٧)
قَرِيجَةُ الْعَقْلِ مِنْ مَعْقِلِهِ
وَالصَّبْرُ فِي النَّائِبَاتِ مِنْ عُدْدِهِ (٢١٨)

كَالْبَسْدِرِ حُسْنًا وَقَدْ يُعَاوَدُهُ
 كَالْبُغْيِ يُغْطِيكَ مِلءَ عَيْنَيْكَ مِنْ
 نَأَى أَنْسَى دِفَاعَهُ الرُّوْرَ مِنْ
 عَوْرَاءَ ذِي نَيْرَبٍ وَمِنْ قَتْدِهِ (١١)
 وَلَا تَنْسَى أَحْيَاءَ ذِي يَمَنِ
 مَا كَانَ مِنْ نَهْرِهِ وَمِنْ حَنْدِهِ (١٢)
 جَلَّةَ أَنْهَارِهِ وَمَنْدَانِهِ
 أَثَرُنِي إِذْ جَعَلْتُهُ سَكْدًا
 كُلُّ امْرِئٍ لَاجِئٌ إِلَى سَكْدِهِ (١٣)
 فِي غُلَّةٍ أَوْقَدْتَ عَلَى كَبَدِ الْـ
 سَائِلِ نَارًا تَغْيَا عَلَى كَبَدِهِ (١٤)
 إِيشَارَ شَرْبِ الْقَوَى رَأَى جَدَّ الْـ
 مَعْرُوفِ أَوَّلَى بِالطَّبِّ مِنْ جَدِّهِ (١٥)
 وَجِئْتُهُ زَالِرًا فَجَاوَزَ لِي الْـ
 أَخْلَاقَ مِنْ مَالِهِ إِلَى جُدْدِهِ (١٦)
 فَرَحْتُ مِنْ عَيْنِهِ وَلِي رَقْدُ
 يَنَالُهَا الْمُعْتَفُونَ مِنْ رَقْدِهِ (١٨)

(التفسير اللغوي)

١ — عقْد الرمل : ما انعقد منه . وأهل نجد يسمون القاف فيقولون : عقْد الرمل ، الجراء : أرض
 فيها رمل . جرده : بفتح الراء يمتل وجهين : أحدهما : الأرض لا نبات فيها ، والآخر : موضع بعينه ،
 وهو الذي ذكره الثابتة والذبياني في قوله :
 والبراكضات ذبول الریط فانتعها

برِد الهواجر كالغزلان بالسجَرِد
 ومن قولهم في تسكين قاف عقد ما روي عن شاعرهم :
 أنذكر أم تنسى ليالينا التي
 بسقط اللوى سقياً لمن لياليها
 ولعله — هنا — اسم موضع قريب من الذي ذكره امرؤ القيس في مطلع معلقته « سقط اللوى » :
 قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل
 ٢ — الخطب : يراد به الشأن . في الحسان : أي في مفارقة الحسان فحلف المصاف وأبقى المصاف
 إليه . الحرد : جمع خريدة وأراد المرأة الفاتكة الجمال .

٣ — عزيمته : ما اعزم على تركه من الصباية . السحر : أي حديث الفتان وبراعتين . النافذات في عقد : كأنهن يحلن عقد صبره وحلمه فيفقدن إلى أعماقه .

٤ — دد : لعب ، وفيها لغات : « رق » مثل دم ، و « ددى » مثل رضى ، و « ددد » مثل شطن .
٥ — بلهية العيش : سته ورغده . وهو من قولهم : عيش أبله ، إذا كان صاحبه ناعم البال .
والنون والياء في « بلهية » زائدتان ، قال أحدهم :
يا حبذا الفرح وعيش أبله

لاذو المشيب والكسبر الأجله
الجلد : ضد البلهية وهو يؤس العيش وشده . وقد جاء في اللسان — مادة جدد — قولهم :
لئن جمعت أُم الحُسينتين رائداً

٦ — الألى : الأسمر الشفتين ، يقال : طلي ألى وطينة لياه ، والعرب تستحسن سمرة الشفتين لأنها تعمل على وضوح الأسنان . الأشنب : المرأة ذات القم البق الرائحة . البرد : يفتح الباء والمراء كنى به عن الأسنان الناصعة البيضاء .

٧ — قلأ : يريد الفتحه بين الأسنان ، والقلأ لغوياً : نقرة في صخر يجتمع فيها ماء المطر ، والغالب عليها التأنيث ، كقول الشاعر :
لحي الله أهل تلعة غفقت به

وقلأنا أقرت ماء قيسو بنو حاصم
اللوب : الرقيق . الجمّد : يفتح الجيم واليم الأسنان .

٨ — المخطوط : القصر وجمعه خيطان ، واستعمل ذلك في وصف الرجل حين يكون في ريعان شبابه يقال : رجل خوط ، أي كالقصر نضارة وخيوية . الغزالة : تؤم بعضهم فظناً الظبية ، والغزالة من أسماء الشمس كما جاءت في قول ذي الرمة :
فأشرفت الغزالة رأس حوضهم

أراقبهم لها أغصنى . يقال :
وبقال : جنة غزالة الضحى : أي لدى ارتفاع الشمس في الأفق . وفي اللسان — مادة غزل — يقول
الراجز :

دعت سلمي دعوة هل من فنى

يسوق بالقوم غزالات الضحى

فقسام لا واثي ولا رث السقوى

أما قول أبي تمام : « ابن الغزال » فأراد به الغزال بعينه ، وإنما أتى بلفظ « ابن » ليستقيم له الوزن .
٩ — حكاة : أشبه . الجيد بكسر الجيم : العنق الطويل ، ومن أتت العنق قال : عنق جيداء .
وللمذكر يقال : عنق أجيد . جيد يفتح الجيم والياء : الجمال والحسن .

وكثر كجديد الحرم ليس بفاحش

إذا هي تصنعه ولا بمسطل
ويقول جنون ليل في غناطيه الظبية :

أيأ شبه ليلى لن تراهمي ، فإني

لك اليوم من وحشية لصديق
فعميتك عيناهما ، وجيلك جيدها

سوى أن عظم الساق منك دقيق
١٠ — لفظ « جلد » في الشطر الأول من البيت بمعنى : تصبر وتجلد ، وفي الشطر الثاني بمعنى الأرض

من الجرداء القليظة . عَزَي : غليظ . ما مَعَ : بتشديد الحاء ما اندثر وبلي . أى ما يلي من سهل الربيع ومن أرضه القليظة .

١١ — نَوَى البيت : حفرة يجعلونها حوله منها من دخول مياه الأمطار إليه ، ومن عادة العرب إذا ارتحلوا أن يتركوا النوى بجانه والوند والأثافي لأن العرض منه يسير . ونسب البشر للنوى والوند لأنه لا يأنس بها إلا بوجود أهلها .

١٢ — سَأْفَرُ : سَأْفَعُ وأجْتَاز . الحَرْق : ما اتسع من الأرض . الحَرْقَاء : ناقة تسرع السير فتلعب يديها . وابن خرقاء : جعل تلك الناقة .

ومثل هذا قول النابغة الذبياني :

وأقطع الحرق بالحرقاء قد جعلت

بعد الكلال تشكى الأيمن والسَّامَا
التيّس يفتح الماء وسكون الياء . ذكر العام . التجدد بفتح النون والجيم : العرق الكثير .

١٣ — مقابلي : أى أن ذلك الجميل قد انتهى نسب أبيه وأمه فهو عريق الأصل . الجندلي : من فحول الإبل الكرام . القرا : عل وزن عصا يريد الظهر . لوحك : اكتنز لحمه . العجب : أصل الذئب . الكند : معقد الكفين .

١٤ — تامكه : الضمير يعود الى « القرا » ، والتمامك : السنام الطويل . الهند : الضخم المرتفع . المعلوم : المجتمع بضمه الى بعض . ومثله في المعنى المداخل . الهزتل : المتصبب . الأجد : يقال : ناقة أجد أي موقنة الحائل ، وجعل أجد ، فهي للمذكر والمؤنث . وإذا استعملها أبو تمام هنا للمذكر فقد سبق النابغة إلى استعمالها للمؤنث في قوله :

هل تُبْنِيْنَسِيهِمْ حَرْفٌ مُفْرَنَةٌ

أَجْدُ الفَقَارِ وإِدْلَاجٌ وَكُسْجِيمٌ لَا

١٥ — قوله : « إلى المفدى » متعلق بقوله : « سَأْفَرُ الحرقاء » أى سَأْفَرُ الحرقاء الى المفدى أي يزيد بجمع هذه صفته . الضَمَرُ : بفتح الضم وسكون الميم الكثير . التَّسَدُّ : بفتح التاء والميم القليل . ١٦ — عفاة : جمع عاف وهو طالب المعروف . حُبُّ الكبير : مصدر مضاف الى فاعله ويريد حباً مثل حبِّ الكبير للصغير من أولاده .

١٧ — أناخوا : نزلوا عن دوابهم ينتظرون عطاياه .

١٨ — الأود : الاعوجاج . زدت في أود الأموال : أى زدت في تبديدها من أجل الآخرين . ألفت من أوده : أصلحت حال المحتاج .

١٩ — مستطر : يُطلب فضله كما يُطلب المطر من السحاب . بنو مطر : قوم المدوح . الطُراف :

بوزن كتاب القبة من آدم .

قال طرفة بن العبد :

رأيت بني غيرة لا يُنْكروني

ولا أهل هلك الطُراف المسدد

٢٠ — الطُراف : وزن فاعل هو المال الذي أحدثته أنت ولم ترثه عن أبائك . ومهمهم : علامتهم .

الثَّد : جمع ثديد وهو القديم .

٢١ — يمسرون : يمتثلون في مشيهم . البخترية : يريد يتبخثون . البرود : جمع برد بضم الباء وسكون الراء هو الثياب الغالية الثمن القيمة . البرد : بضم الباء وفتح الراء ما كان منه زهياً .

٢٢ — القَرْد : بفتح القاف والواو أصله اقتياد القاتل إلى أهل القتل ليأخذوا بأثرهم منه ، لكنه أورد الأثر نفسه .

٢٣ — الصريح : اللابن الخالص الذي لا رغبة فيه . الرُّيد : بفتح الراء والياء الرغوة ، وهنا غمرة الجهد .

٢٤ — المذهب : ما ارتفع من الآس . الحدود يفتح ١٠٠ يعني الانحدار من علو . الصمد : على وزن كحب أراد به الطلوع من آس : نل أعلى .

٢٥ — الخسيس : استعمل هـ : الكلمة مرتين في البيت نفسه فأراد بالأول الجيش العظيم والثانية يوم الخميس أحد أيام الأسبوع . الأقد : يفتح الحمزة ويقرأ انقاء السريع .

٢٦ — العقاب : من الطيور لحارسة . حجرات : بضم الحيم حجرة وهي الناحية . السد : مفردا سدة أى الباب .

٢٧ — الضمير المستتر في « شاعب » وفي « قاتل » يعود الى « اللواء » المشبه بالعقاب .

٢٨ — تهو : تضطرب . ذؤاباه : أراد ما أسبل من جنايه . المتن : هنا ما ظهر منه من كل جوانبه . جسده : الجساد بوزن الكتاب هو الوعفران .

٢٩ — الأقياء : جمع فيء وهو الظل . الطراد : القتال . الطرد : بفتح الطاء والراء يعني الصيد .

٣٠ — عاري القنا : يريد الراح التي لا تحف فوقها الرايات . لابس : أى الراح التي تحف فوقها رايات المقاتلين . تلبتي : أصله تلتدتي فحذفت إحدى التاءين أي تقصر .

٣١ — القم بفتح اللام والقاف : الطريق الواضح . قصد بتسكين الصاد يعني قاصد . قصد بضمير ففتح جمع قصدة وهي الكسرة من الراح . يقول : إن محدوحه يعلم أن ليس للمجد من سبيل إلا بأن يطأ على كسرات الراح ، كتابة عن شجاعته ، وقريب من هذا بينه الذي يخاطب فيه الخليفة المتصم قاتلاً : بصرت بالسراحة الكبرى فلم ترها

تنال إلا على جسر من الشعب

٣٢ — ناره : يريد نار الضيافة وهذه للكرم ، ونار الحرب كتابة عن قوته .

٣٣ — الضمير في « ملوئين » يعود الى الصدر والجوارح .

٣٤ — تيس الزمان : قوته وشدته . التأد : الرخاء والسعة .

٣٥ — استطاع : حلف التاء ليستقيم له الوزن . حر : قطع .

٣٦ — منهم : من طالبي معروفه . ساعة الطلق : أراد ما هو فيه من الدعة والنعمة . أبده : بقیة حياته .

٣٧ — « الآسى » بفتح الحمزة : الحزن ، و « الآسى » بضمها : شدة الزمان . فهو كثير الاهتمام بالسودد والمجد قليل الاهتمام بتكديس الأموال ووفرها .

٣٨ — القرصة : يريد الذكاء والفطنة . المعازل : الحصون ، مفردا معزل .

٣٩ — عید : وزن جميل بفتح العين والراء والباء بمعنى الأنفة والكبرياء .

٤٠ — فرند السيف ريدة وهي سواد في السيف مثل الكلف . وكفى بالفرد والريد غير المحدوح وشتره .

٤١ — نأفه أنسى : أراد تأفه لا أنسى ، فحذف « لا » لعلم السامع . وكثيراً ما كانت العرب تحذف

حرف النون بعد القسم ، مثل قول امرئ القيس :

فقلت : بين الله أبرح قاصداً

ولو قطعوا رأسي لديدك وأوصالي

أي لا أبرح . ومنه قول عید الله بن قيس الرقيات :

ولله أبرح في مقدمة

أهدى الجيوش على شكتبه

حتى أفجمهم بإخوتهم

وأسوق تسوتهم بسنوتيه

يريد : ولله لا أبرح .

تصويره نساء الحلي . إثنين بارعات الحسن فائقات الجمال . ولديهن من عذوبة الحديث ولباقة المنطق ما يسلب المرء تصميمه على ما كان اعتقد على تحقيقه . وهن ساحرات في حديثهن الفتان يعلنان من اعتزام ترك الصباية واللهم عما اعتزم عليه ، وقد وهبن الله من أسباب الرفاهية ما يميزهن عن غيرهن من الناس ، فقد لبس ظل الأمن والطمأنينة من حوادث الدهر ، وظل اللهو والمرح فلا شيء ينقص عليهن تلك الحياة . ولنا تساؤل في إمكانية الجمع بين هذين الظلين ، فقد يستظل الإنسان بظلال وارفة من الثراء تهبيء له كافة أسباب الرخاء ، فيلهو ويمرح وينتم كما يحلو له ، لكن آتي يتوفر له الجانب الآخر بل كيف يضمن لنفسه استمرار ذلك الجانب وأعني به ظل الأمن من حوادث الدهر ؟

ونتيجة لعيشهن هذا الطراز من العيش فهن أدرى الناس بالتحدث عن بلهنيته ، حيث ترين في السعة والرغد منذ نعومة أظفارهن ، أما قسوة الحياة وضنكها ومرارتها فهن لا يدرين من معاناتها شيئاً فيسألن غيرهن ممن مرَّ بتلك التجربة .

ومن ذكرياته مع هؤلاء الحسان أنه رشف ريقاً عذباً من ذلك الثغر الفواح الذي بداخله أسنان ناصعة البياض كالبرد ، ويشبه المرأة منهن بالغصن الميَّاد في القد . والشمس في البهجة والضياء ، والرمح في رشاقته وجماله .

ونرى احتراس الطائي في عدم ترك التشبيه مطلقاً بين جيد المرأة وجيد الغزاة . فبني أن يكون قد أشبه تمام الشبه لأنه لا فضل له حينئذ ، وإنما أشبه في دقته وجماله فحسب . ثم يتبع ذلك إجمالاً يليه تفصيل . فالربيع بكليته قد غالب الشاعر على جلده وتصبره ، ما درس من سهله ومن جلده . وإذا اتخذ بعض الشعراء من آثار ديار المحبوبة سبباً للتسليّة وتسري همومهم ، فإن أبا تمام يحس بأنها مصدر شرّ يبيع أحزانه ، فالنؤى شرّ في اعتقاده ، وكذلك الودد ، وهما بقايا شرّ الفراق إذ لا أنسى للنؤى والودد إلا بوجود ساكنيهما .

ويضرب عن بث لواضع الغزل ، فيعد العدة لرحلة الجدد والعمل . إنه سيجتاز أرضاً واسعة مترامية الأطراف يعبر سريع كذكر النعام ، عُرف أصله حيث التقى أبواه في عراقه النسب بفحل من فحول الأبل الكرام ، وجسمه مكتنز اللحم من أصل ذنبه إلى مجتمع كتفيه ، ومن صفاته أن سنامه طويل مرتفع ، متداخل أعضاء الجسم . مجتمع بعضه إلى بعض ، منتصب القوام موقوف الخلق ، بهذا البعير سيقطع الفيافي والقفار إلى المفدى أبي يزيد الذي يتضائل كثير الملوك عند قليله ، وهو ظل لأولئك الذين يقصدون طالبين معروفه ، ويجب زائريه مثل حب الرجل أصغر أولاده فيبش لهم ويبش في وجوههم ، فإذا نزلوا ببابه وجلوا بهيتهم من ماله وأديه فلا يبخل بشيء من هذا أو ذاك .

وليفلت إلى مدموحه قائلاً : لقد تجاوزت الحد في سخاائك فزدت من تبديد أموالك وتبذيرها من أجل إصلاح حال اللهفان وتقويم اعوجاجه . ويصفه أيضاً بأنه كثير العطاء ينتظر الناس فضله كما ينتظرون المطر من السحاب ، وهو خير رجال قومه بني مطر مجداً وحسباً ، هؤلاء القوم الذين اعتاد الناس على مدحهم قديماً وحديثاً لما لهم من أيارٍ بيضاء تستحق الثناء والإطراء حتى غدا المديح من سماتهم . ومن أجل ذلك يمشون مشية التبختر حيث تلهج ألسنة المادحين لهم بأبلغ المديح بينما يمدح غيرهم بأقل منه بلاغة لعدم بلوغ حدّهم في المجد

والعطاء . ومن طبائعهم الصبر على الشدائد والشجاعة في موضعها . فإذا قتل أحدهم اقتادوا القتال وأخذوا ثأرهم منه ولا يكون قبيلهم حتى يمرّ على الأخذ بثأره حول كامل . وتلك مبالغة — لعمرى — من نسج خيال أبي تمام الصانع الماهر في صناعته . بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فيشبههم بالإناء القياض بالجد ، بوركت العلى في خالصه وزيده ، وكأنها تزداد بها عزة وفخارا . وهم ذوو جانبيين . أحدهما سمح لين لمن أراد أن يعاملهم باللين والحسنى ، والآخر خشن يبطشون به ويقهرون به من حاول قهرهم ومغالبتهم . ويعاود الإلتفات إلى أبي يزيد قائلاً له : نعم لواء جيشك المظفر الذي رجعت به في ضحى يوم الخميس ، فإن من نظرة إلى ذلك اللواء وهو خفاق في أعالي الفضاء ، ظن أن عقاباً قد طارت به وحملته معها ، حيث شاغب الجوّ وهو مسكنه ، وقاتل الريح التي تعد بعضاً من مدده .

ومن ثم يتناول في وصفه الرماح والرايات تحقّق فوقها يوم الوعى . ويقول إن لواء أبي يزيد تضطرب جوانبه من فوق ملك يرى منازل الأبطال هوائية له وكأنه يطارد الصيد فلا يتردّد في قتالهم ، وقد نال هذا الرجل ما ناله من المجد الذي تعجز عن بلوغ أمده الجوزاء في عليائها بواسطة الرماح تحقّق عليها الرايات وأخرى لا تحقّق من فوقها . لم لا وهو يعلم علم اليقين أن لا سبيل في العلى إلا بالوطء على كسرات الرماح واقتحام الأخطار ؟ وهكذا يطول نفس الشاعر في تعداد مناقب مملوحة . مفرغاً بذلك تجربته الشعرية الرائدة في هذا المجال ، فيجعل له ناريه إحداها تضرم في السلم والرخاء . والأخرى في الحرب والانتقام من الأعداء ، لأنه جواد لا تطفأ ناره للضيف ، وشجاع يشعل نار الحرب بسيفه . وباله من رجل بلغ ذروة الحلم والعطف ، حتى أن صدره وجوانحه امتلأت رحمة بالذي امتلأ صدره وجوانحه حسداً له ، لأنه لا يعاقب المسيء بالإساءة وإنما بالعطف والإحسان . كما أنه ليس ممن يخلدون للراحة الجسدية ، ويففلون عن مسؤولياتهم . ولكنه يقطع من راحته للإعداد لشغله ويدخر من وقت الرخاء ما يقيه من يؤس الزمان وشدته ومن صفاته أنه معطاء لا يحدّ كرمه حدّ ولو استطاع أن يقدم لطالبي معروفه كل ما لديه من أموال وبعضاً من أعضاء جسمه لما تردد في ذلك ، ولا شك أن الناس مدركون استعدادده للسخاء . حتى أن منهم من يحسب ما هو فيه من عطاء سيظل عتاداً له في بقية حياته وذلك اقتناعاً منه في أن أبا يزيد سيواصل عطاءه ويحود بما عنده وبالرغم من كثرة أموال الممدوح وتوفر رغد العيش ، فإنه يعني بشيء أهم ويسعى جاهداً إلى تحقيق أكبر قدر منه ألا وهو السؤدد والمجد . ولا غرابة في ذلك فهو ذو رأي سديد وفكر ثاقب يتمكن بنظرته الصائبة وتقديره الصحيح للأمور أن يدفع عن نفسه ناثبات الدهر كما تدفع القلاع عن يمتحى بها . وإذا أجلت النظر في وجهه فستجده كالبلدر حسناً وجمالاً ، وقد يعاوده عباس أشبه بعبوس الليث في كبرائه وانفته ، وهو كالسيف ملاماً رونقه عينيك تارة ومن سواد ربه أخرى ، وبذلك يجمع شخصه بين الخير والشر فيعامل الناس بما يستحق كل منهم ، وبعدي ذ يشم الشاعر أنه لا ينسى موقف ممدوحه من دفع الزور وباطل القول ، وكذلك فإن أحياء يمتية لن تنسى ما كان من نصره في الحروب وإصابته مفاسل القول .

وفي خاتمة المطاف بين شاعرنا ما كان من المدحوح إزاءه فيقول : قُرْبِي من نفسه وأكرم ضيافتي إذ جعلته سنداً لي . وكل امرئ يلجأ إلى سنده فيتحصن به إلا أن حرقة نشأت في قوادي لا أقدر عليها ولكن قدر عليا أبو يزيد بما كان من فضله العميم . حيث أثرت إيثار رجل قوي الرأي حازمه يعلم أن تقديم العطية لمن لا يستحقها هدر لقيمتها ، وأمنها لتقديرها ، وهو يحس بأن معالجة العروف وفعل الخير أولى من معالجة جسده حرصاً منه وإمعاناً في إسداء الخير للناس ، وحينما جاءه الطائي زائراً جاوز به الأموال القديمة إلى الحديثة ولم يتردد في اصطناع الأيادي البيضاء ، حتى راح الشاعر من عنده وهو مثقل بالعطايا التي اعتاد طالبو المعروف أخذها من أبي يزيد .

آثار الصنعة الشعرية في القصيدة :

علَّ أحدًا لا ينكر أبي تمام على زمام صنعته الشعرية ، التي ميّزته عن سائر شعراء العرب — قديماً وحديثاً — فهو إلى جانب موهبته الفذة وطبعه الأصيل ، ساذق الصنعة ماهر بدقائقها ، بل قد يتنصر لجانب الصنعة ويغلبه على غيره ، ولا نشط في رأينا إذا قلنا إن ذلك يكون على حساب المعاني في أحيان كثيرة .

والقصيدة التي بين أيدينا عودج حي يمسد خصائص أبي تمام الفنية لأنه أفرغ خلالها تجربة عميقة عاش وقائتها ، وبذلك فإنه يصدر عن عاطفة صادقة إلى حد بعيد ، وما : نراه من دقة افتتانه بشعره ومعاناته في صياغته أسلوبه ، يرجع إلى حرص شاعرنا على توفير كل الإمكانيات التي تخدم الصورة اللاتقة بنظرة التحليلية للأمور ، وتكون أكثر حركة وحيوية وشاهدنا على ما نقول بيته — الرابع والخامس — اللذان يصور فيها سعادة الحسان ، حيث عمد إلى جعلهن يلبسن ظلين هيات أن يجتمعا لأحد من البشر هما : ظل أمن يقين من عوادي الزمن ، وظل هو يتمتع بنعم الدنيا . صحيح أن الثراء يبيىء لصاحبه وسائل الراحة ونعمة العيش ، لكنه لن يوفر له الأمن من حوادث الدهر . وكلمة « دد » في نهاية البيت جاءت مرادفة لكلمة « هو » ومعطوفة عليها فأكسبت المعنى تأكيداً لجانب الرخاء الذي كنّ يتمتعن في ظله ، أما ظل الأمن من نائيات الدهر فهو مبالغة من الشاعر في توفير الحياة المثالية لهؤلاء الحسان . ونتيجة لهذا العيش الرغد يقدم معادلة مكونة من شقيقين متعادلين

هما : علمهن علم اليقين بحياة الرخاء ومرورهن بتجربة الثراء وتربيتن في الدعة والدلال فإذا ما أُنحرن عن شيء منها فهن خير من يصف تلك الحياة ، وبالمقابل يجهلن كل الجهل حياة الشدة وحال اليأس حيث لم يخبزن شيئاً من ذلك فيسألن عن هذه الحياة من عاشها من الناس الآخرين . وواضح الإجمال يليه التفصيل في بيته الرابع : « ليسن ظلين ظل أمن من الدهر وظلاً من لوه .. » والتضاد في البيت الخامس بين كلمتي : الإخبار والسؤال ، وبين

البلهنية والجحد .

ومن استحواذ الصنعة على المعاني ما يتمثل في يته :
سأخرق الخرق بابن خرقاء كالـ

هيق إذا ما استحجم من نجده

من تكرار مادة « خرق » ثلاث مرات في الشطر الأول من البيت . مما جعل الأسلوب
ركبكا . والمعاني ضحلة . والموسيقى ممجوجة نظراً لخروج « القاف » من الخلق .

ثم اقرأ معي يته الذي أثقله بست صفات لا فاصل بينها :
تامكه نهده مداخله

ملوموه عزسلسه أجده

علك تجد ما يسوغ له مثل هذا الحشد ، سوى غرام الشاعر بتنميق الشكل وهندسة
المقاطع الموسيقية ليستل كل مقطع بلفظ منفرد ، بالإضافة الى « الهاءات » الست التي
زادت موسيقى البيت الداخلية انطلاقا وإن كان ذلك على حساب المعنى .

أقول : ليست المبالغة الشعرية مما يخرج منه أبو تمام ، بل قد يتخذ منها عونا له في التعبير
عما يريد تصويره ، فأبو يزيد معطاء ترخر نفسه بالكرم حتى يضل كثير الملوك لا في كثيره وإنما
في قليله ، اسمعه يقول :

إلى المقذى أبي يزيد الذي

يضل غمر الملوك في تمده

وحين يصف القوم بالشجاعة والتجالد على المصائب ، لا يقف به الحد عند أخذهم بثأر
قتيلهم وكفى ، وإنما من قوة الاحتمال بما يحلمهم لا ييكون ذلك القتل إلا بعد مرور حول
كامل على الأخذ بثأره فيقول :

لا يندبون القتل أو يأتي الحول لهم كاملاً على قوده

وما تلك الحرقه في نفس الشاعر التي ما لبثت أن تحولت الى نار على كبده أعيا عليه
إطفاؤها الى أن تداركها الممدوح بإيثاره فقدر عليها ؟

في غلة أوقدت على كبده السائل نارا تعيا على كبده

إنها الصنعة الشعرية التي تحلق بأبي تمام ، وتخلق بها ، في أجواز الفضاء ، ليقتنص ما
شاء له الخيال ، وإن كلفه ذلك إرهاق معانيه ، وإلا فما الذي هيا له تصوير ممدوحه وقد
استوت لديه مقارعة الأبطال في الحرب ومطاردة الصيد في الصحراء ؟ الحرب لها فنونها
وضروبها ولا بد للقاتل أن يخطط بما يتناسب وخطورتها بما يتناسب وخطورتها معها بلغت به
الشجاعة . فكان علي أبي تمام أن يضع ممدوحه منها موضع الفكر المتفد لا موضع المسنن
الذي لا يقيم لها وزناً إلا بالقدر الذي يقيمه لمطاردة وحوش الصحراء وحجدا لو أدخل فعل
" بكاد " قبل الفعل " يرى " لاستقام له المعنى أكثر في قوله :

تحقق أفسياؤه على ملك

يرى طراد الأبطال من طرده

ونسجل للشاعر احترامه من الوقوع في هوة سحبة من المبالغة إذ يقول :
فهو لو استطاع عند أسعده

لحزّ عضواً من يومه لفسده
بإدخاله حرف الشرط « لو » الذي جعل المعنى مقبولاً بما له من أثر بلاغي في عدم
استطاعة الممدوح على حزّ عضو من جسده وبالتالي عدم تقديمه للناس على سبيل الجود .
وتلك صورة رائعة حيناً نرى رجلاً تمتلئ الصدر والجوانح رحمة وعطفاً إزاء من امتلأ
وصدره وجوانحه حسداً له ، في الوقت الذي يقدر فيه أن ينتقم لنفسه منه ، وهكذا يصور
الطائي ممدوحه بإضفاء ثوب الحسية على الرحمة التي ملأت صدره وجوانحه :

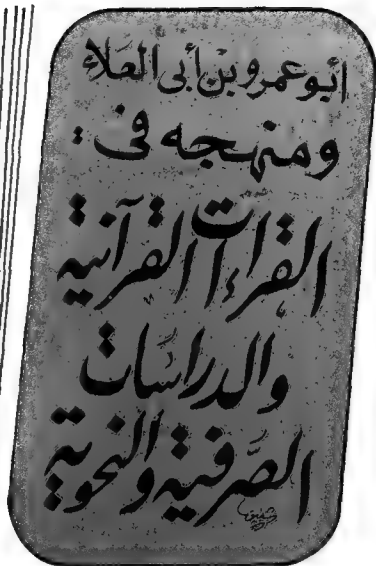
متملى الصدر والجوانح من
رحمة مملوئين من حسده
ويربأ بأني يزيد أن يركن للراحة مستنداً لما ورثه من أجداده وأبائه الشم المغاور الذين
شادوا صرحاً عظيماً من الأجداد ، لأنه يسعى للمجد عن طريق الرماح التي تحقّق من فوقها
رايات المحاربين ، والرماح التي لا تحقّق من فوقها مثل تلك الرايات فيحقّق بذلك مكانة
رفيعة تداني عن أمدها الجوزاء :

نال بعاري القنا ولايسه

مجداً تداني الجوزاء عن أمده
ولا نعدم أن نرى وأضواء مسلطة على زوايا النفس الإنسانية في شعر أبي تمام
— عامة — وقصيدته التي بين أيدينا — خاصة — وهو الذي عرف عنه دقة حسّه وعمق
نظّره ، فن بين خصال ممدوحه خصلة تبرز في بيته القائل :

ظلّ عفاة يحب زائله

حبّ الكبير الصغير من ولده
أي أنه يحب زائله الذي يطلب معروفه مثل حب الرجل أصغر أولاده ، وأي إنسان بل
أي مخلوق يؤثّر أحداً على ولده ؟ حقاً إن فلذة كبّد الرجل أعز شيء لديه ، فهذا الممدوح ان
بلغ به الحب وإكرام الزائر هذا المبلغ يستحق من الشاعر كل هذا الإطراء ، وقد سئل أحد
القدماء عن أحب أولاده إليه ، فأجاب : الصغير حتى يكبر ، والمرضى حتى يبرأ ، والغائب
حتى يعود . وهكذا استطاع شاعرنا بهذا التعبير أن يصور نفسه ممدوحه بأجلى صورها ،
ويمكن أن يوقفنا على لمسة من لمساته الشعرية الممتازة ، فتفوق على زهير بن أبي سلمى .



للدكتور / صلاح الدين حسن

عناصر البحث

يتناول هذا البحث التعريف بأبى عمرو ومنهجه فى القراءات القرآنية وفى الدراسات النحوية والصرفية .

١ — التعريف به ، وسندرس الجوانب الآتية :
اسمه وكنيته — ولادته ووفاته — شخصيته — مذهبه — مكانته العلمية — دراسته .

٢ — منهجه فى الدراسات القرآنية ، وينقسم الى قسمين :
أ — الخصائص الصوتية الخاصة ، وتشمل : —
التوافق الحركى — الإمالة — الهمز — تسكين فاء الصيغة وعينها والحركة الاعرابية — الإدغام — التضعيف .

ب — الخصائص الصوتية الصرفية ، وتشمل : —
١ — الوقف اذا التقت همزتان — الوقف على الاسم المقصور . الوقف على الاسم المنقوص . الوقف على الفعل المسند الى ضمير المتكلم فى حالة النصب .
٢ — الممنوع من الصرف .

٣ — الميزان الصرفى .
٤ — نون الوقاية .
٥ — تفضيل الكسرة على الفتحة فى بعض الابدان الصرفية .
٣ — منهجه فى الدراسات الصرفية ، ويشمل : —

اسم الجنس — النسب — التصغير — التذكير والتأنيث — الحمل على المعنى المصدر — الفعل المضارع من الناقص — التداخل فى الافعال المضارعة .
٤ — منهجه فى الدراسات النحوية ، ويشمل : —
أ — المبتدأ — الخبر — المفعول به .
ب — حذف المفعول والفاعل والتقدير والتعليل عنده .
الجملة المنفية عبر لا النافية للجنس .

جملة الشرط

جملة النداء

اسمه وكنيته :

أختلف فى اسمه وكنيته ، فهناك من يرى أن اسمه وكنيته واحد ، وهو أبو عمرو بن العلاء ابن عمار العربى (١) بن عبد الله بن الحسين البجلي المازنى (٢) . واستدل أصحاب هذا رأى على ذلك بما نسب الى الأصمعى بأنه قال : « قلت لأبى عمرو : ما اسمك ؟ فقال لى : أبو عمرو ، وهناك من يرى أن اسمه زبّان (٣) ، ويستدل أصحاب هذا رأى على ذلك بالبيت الذى أنشده عندما جاء الفرزدق يعتذر إليه من أجل هجو بلغه عنه ، وهذا البيت

هو :

هجوت زبّان ثم جئتُ معتذراً

من هجو زبّان لم تهج ولم تدع ^(١١)
وقيل إن اسمه : العربان - وقيل : يحيى ، وقيل : محبوب وقيل : عيسىه . وقيل :
عثمان - وقيل : عباد .
ولادته ووفاته :

وُلِدَ أبو عمرو سنة ثمان وستين . وقيل : سنة سبعين ^(١٢) في مكة ، وعاش في البصرة .
حيث كان فيها مشاهير العلماء على عهد الفرزدق ، وكان وثيق الصلة بالحسن البصري .
ورحل أبو عمرو إلى دمشق وافداً على واليها عبد الوهاب بن إبراهيم الامام . فتوفي في
طريق عودته من هذه الرحلة سنة أربع وخمسين ومائة ، وقيل سنة تسع وخمسين ومائة .
وقيل إنه مات في الكوفة .
شخصيته :

كان أبو عمرو زاهداً متسككاً ، يروى عنه الأصمعي أنه قال :
وإن أماًراً دنياه أكبر همه

لمستك منها بحبل غسور ^(١٣)
وكان كريماً يتصدق على المحتاجين ، وفي هذا يقول الأصمعي : كان لأبي عمرو بن العلاء
من غلته كل يوم فلسان ، فلس يشتري به كوزاً ، وفلس يشتري به ربحاناً ، فيشم الربحان
يومه ، ويشرب في الكوز يومه ، فإذا أمسى تصدّق بالكوز ، وأمر الجارية أن تحجف
الربحان ، وتدفقه في الأثنان ، وكان متواضعاً بسيطاً ، يقول الأصمعي : كنت إذا سمعت
أبا عمرو بن العلاء يتكلم ظننتُ أنه لا يحسن شيئاً ، وكان لا يلحن ، ويتكلم كلاماً
سهلاً ^(١٤)

وفي أغريبات أيامه تفرّغ للعبادة ، وأحرق كل ما كتب ، وكانت دفاتره ملء بيته إلى
السقف ^(١٥)
مذهبه :

كان أبو عمرو من أهل السنة ، وكان بينه وبين المعتزلة جولات وجولات ، من ذلك ما
كان بينه وبين عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة آنذاك ^(١٦)
مكانته العلمية :

اهتم أبو عمرو بن العلاء بقراءة القرآن الكريم ، وجميع اللغة وأشعار العرب القدماء ،
وبداً تحصيل العلم وهو صغير ، قبل أن يختن ، وقد تفوق في العلم تفوقاً ملحوظاً إلى حد أنه
فاق معاصريه ، يقول الأصمعي : « سمعت أبا عمرو يقول ، ولم يقله أن شاء الله بنياً ولا
تظاولاً ، ما رأيت أحداً قط أعلم مني » ، وقال أبو عمرو أيضاً : « ما سمع جاد الراوية
حرفاً قط إلا سمعته » ^(١٧) ، وقال يونس عنه : « لو كان أحد يبنني أن يؤخذ بقوله كله في

شيء واحد لكان ينبغي لقول أبي عمرو أن يؤخذ كله ، ولكن ليس من أحد إلا وأنت أخذ من قوله وتارك » (١٢) . ولهذا يعتبره معاصروه ثقة (١٣) ، قال يحيى بن يعمر الثقفي : « أبو عمرو بن العلاء ثوق » وقال الأصمعي : « لم أر بعد أبي عمرو بن العلاء أعلم منه » (١٤) ، وروى عنه أنه قال : « كنت رأسا والحسن حى » ، يريد الحسن البصرى شيخ البصرة ، وإمام العصر آنذاك . وقد أعجب الحسن البصرى بأبى عمرو أيما إعجاب حينما قرأ على حلقته بالمسجد ورأى الناس عكوكا من حوله يستمعون إليه فى شغف

وشغف . فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو عمرو بن العلاء ... فقال « لا إله إلا الله ، كادت العلماء أن تكون أربابا ، كل عز لم يؤيد بعلم فالى ذل يؤول » ، وفيه يقول أبو عبيده معمر ابن المنذر : أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات العربية ، وأيام العرب والشعر » (١٥) ، ويقول أبو الطيب اللغوى « انه كان سيد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب » (١٦) ، غير أنه يبدو أنه كان متفوقا على معاصريه فى اللغة فقط ، قال الخليل ، « فكان عبدالله يقدم على أبى عمرو فى النحو ، وأبو عمرو يقدم عليه فى اللغة » (١٧) دراسته :

بدأ يدرس وهو صبي ، وفى هذا يقول الأصمعي : « قال ابو عمرو أخذت فى طلب العلم قبل أن أخت (١٨) ، وقد درس القرآن الكريم ، وقراءاته ، وتفسيره ، واهتم بجمع الفاظ العربية ونوادرها وشعر الشعراء الجاهليين ، واهتم كذلك بدراسة النحو .
اولا : منهجه فى القراءات القرآنية :

كان أبو عمرو يقرأ بمالقة يندوى ، ولم يكتف بذلك ، بل كان يصصح القراءة بما سمع وبما قال العرب ، قال أبو عبيده : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقرأ قوله تعالى : لَنُحْذِثَّ عَلَيْهِ أَجْرًا [الكهف : ٧٧] فسأله عنها ، فقال : هى لغة فصيحة . وأنشد قول المزمق العبدى .

وقد لُحِذْتُ رجلى إلى جنب غرْزها

نسيما كما نحوص الشقطة المراق

يقال : أخذ مسجداً التَّخَذَ ، وَلُحِذْتُ يَحْذُو لُحْذًا بمعنى (١٩)

وقد أخذ أبو عمرو القراءة عن أهل الحجاز ، وأهل البصرة ، وتعلم فى مكة على مجاهد وسعيد بن جبير ، وعطاء وعكرمة بن خالد ، وابن كثير (٢٠)
وكان أبو عمرو يحاول أن يقرأ القرآن الكريم باللغة التى قرأها بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال اليزيدى : « كان أبو عمرو قد عرف القراءات ، فقرأ من كل قراءة بأحسنها ، وبما يختار العرب ، وبما بلغه من لغة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان ثقة فى القراءة ، فما رَدَّ عَلَى إِلَّا حَرْفَيْن ، أحدهما ، قوله تعالى ، وأرنا مناسِكَنا [البقرة : ١٢٨] ، والآخر قوله تعالى : ما ننسخ من آية أو ننسها (٢١) [البقرة : ١٠٦] .

وقال سفيان بن عيينة : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : « يا رسول الله ، قد اختلفت على القراءات ، فقراءة من تأمرني أقرأ » فقال : أقرأ بقراءة أبي عمرو . فإنها ستصير للناس إسناداً » (٢٢) .

وأبو عمرو أحد القراء السبعة المشهورين (٢٣) ، وكان يُقْرَأُ الناس في مسجد البصرة . والحسن على أبو الحسن حاضر (٢٤) . وقد ألف كتاب القراءات في القرآن الكريم (٢٥) . وكتاب مرسوم المصحف . واختصره أبو عمرو الداني . وكتاب شرح ديوان خرقن أخت طرفة (٢٦) ، وكتاب مفردة قراءة أبي عمرو (٢٧) .

واهتم أبو عمرو بتفسير القرآن الكريم . فقد روى أنه سئل عن قوله تعالى : فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ [يس : ١٤] ، فقال : « المعنى : شَدَّدْنَا » . وقال أبو عمرو في قوله تعالى : فُرْجَن مَقْبُوضَةٍ [البقرة : ٢٨٣] ، الرَّهْنُ [بتشديد الراء وضمها] وَالرَّهَانُ [بتشديد الراء وكسرها] عربيتان ، وَالرَّهْنُ فِي الرَّهْنِ أَكْثَرُ . وَالرَّهَانُ فِي الْخَيْلِ أَكْثَرُ (٢٨) .

الخصائص الصوتية للقراءة عند أبي عمرو :

لأبي عمرو خصائص صوتية محضة وخصائص صوتية صرفية (٢٩) .

أ — الخصائص الصوتية المحضة Phon logical aspects وتشمل هذه وتشمل هذه الخصائص عند أبي عمرو ما يلي :

التوافق الحركي Vowel harmony ، والإمالة ، والهمز والتسكين « حذف الحركة » والإدغام والتضعيف .

١ — التوافق الحركي

يميل أبو عمرو بن العلاء الى توافق الحركات المتتابة . وهذا من خصائص لهجة نعيم وقيس وأسد وأهل نجران ، وعلى العكس من ذلك لهجة أهل الحجاز (٣٠) . من ذلك مثلاً انه كان يقرأ بِمِلْكِنَا في قوله تعالى : « قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمِلْكِنَا » طه : ٨٧ (٣١) .

٢ — الإمالة :

تميز أبو عمرو بن العلاء بإمالة كل فتحه طويله « أى ألف المد » ورسمت في المصحف باء . وكان قبلها راء (٣٢) نحو : اشترى في قوله تعالى . ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة [التوبة : ١١١] وبشرى في قوله تعالى : وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به [آل عمران : ١٢٦] ، راجع الانتقال : ١٠ ، ويونس : ٢٦٤ ، وهود : ٦٩ و ٧٤ ، والنحل : ٨٩ و ١٠٢ ، والفرقان : ٢٢ ، والنحل : ٢ ، والعنكبوت : ٣١ ، والزمر : ١٧ ، والاحقاف : ١٢ ، والحديد : ١٢ ، أما يا بُشْرَايَ في قوله تعالى : قال يا بشرى هذا غلام وأُتُوهُ بِضَاعَةٍ [يوسف : ١٩] فقد روى عنه انه قرأها بالفتحة والإمالة ، وكذلك أسرى في قوله تعالى : ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يَبْذُرَ في الارض [الانفال : ٦٧] وفي قوله تعالى : يا أيها النبي قل لمن في أيديكم

من الأسرى [الانتقال : ٧٠] . وكذلك النصارى فى قوله تعالى : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنجارى والصابئين [البقرة : ٦٢] وفى قوله تعالى : وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى [البقرة : ١١١] . راجع البقرة : ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، والمائدة : ١٤ ، ١٨ ، ١٥٠ ، ٦٩ ، ٨٢ ، والتوبة : ٣٠ ، والحج : ١٧ .

٣ — الهمز :

يؤثر عن أبى عمرو انه قرأ بعض الصبيغ مهموزة ، وبعضها الآخر مسهلة . ويرجع الدكتور علم الدين الجندى انه عندما يهز فإنه يكون متأثرا ببيئته نعيم . وعندما يسهل فإنه يكون متأثرا بأسانئته الحجازيين . وفى هذه الحالة يحول الهمزة الى الف مد أو الى ياء مد . وما قرأه مهموزا : مرجئون فى قوله تعالى : وأخرون مرجئون لأمر الله [التوبة : ١٠٦] ، وترجى . فى قوله تعالى : [ترجى من نشاء منهن وتؤذى إليك من نشاء] الأحزاب : ١٥ ، ومما قرأه مسهلا وحول الهمزة الى ألف مد أو الى ياء مد وبالمصطلح الحديث : انه عندما أسقط الهمزة أطال حركتها ، فان كانت كسره قصيره تحولت الى طويلة ، وان كانت فتحة قصيرة تحولت الى فتحة طويلة [نحو ملايكته فى قوله تعالى : من كان عدوا لله وملائكته ورُسُلِهِ وجبريل وميكال ، فإن الله عدو للكافرين] البقرة : ٩٨ ، راجع البقرة : ٢٨٥ والنساء : ١٣٦ والأحزاب : ٤٣ و ٥٦ .

وما قرأه مسهلا أيضا منسأته فى قوله تعالى : ما دهم على مؤفة الا ذابته الأرض تأكل منسأته [سبأ : ١٤] ، واللأبي (٣٢) فى قوله تعالى : وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم [الأحزاب : ٤] وفى قوله تعالى إن أمهاتهم الا اللائى ولدنهم [المجادلة : ٢] ، راجع الطلاق : ٤ .

٤ — التسين :

مال أبو عمرو الى تسكين فاء الصيغة او عيناها او لامها [والمقصود بتسكين الفاء هو حذف الحركة الاعرابية] .

أ — تسكين فاء الصيغة :

مال أبو عمرو الى تسكين هاء الضمير هو أو هي اذا بُعِثَ يروا او بفاء او بلام . من ذلك قوله تعالى : ومو بكل شيء عليم [البقرة : ٢٩] ، وقوله تعالى : وإن تُحَفِّها وتؤثوها النقرة فهو خير لكم . [البقرة : ٢٧١] ، وقوله تعالى : وإن النار الأخرى لهى الحياة [النكبوت : ٦٤] .

وأبو عمرو بهذا يكون متأثرا بلهجة نجد ، ونسب التحريك فيه الى أهل الحجاز (٣٤) .

ب — تسكين عين الصيغة :

روى عن أبى عمرو انه كان يسكن عين كلمه نِعْمًا مع ان الميم التالية لها مشددة ، فقد قرأ قوله تعالى : إن الله نِعِمًا يعظكم به [النساء : ٢٥٨] وقوله تعالى : إن تبدو الصدقات نِعِمًا هى [البقرة : ٢٧١] . وهذا يعنى انه أجاز الجمع بين الساكنين فى وسط الكلمة ،

وقد وُصفت هذه القراءة بأنها قراءه النبي صلى الله عليه وسلم (٣٥) .
وروى عن أبي عمرو أيضا انه قرأ قوله تعالى : في قلوبهم مَرَضٌ [البقرة : ١٠] في قلوبهم
مَرَضٌ . ويرى ابن جنى انه لا يجوز أن يكون مَرَضٌ مخففا من مَرَضٌ . لان المفتوح لا يخفف
وإنما ذلك في المكسور والمضموں كما في فخذ وعَصَد . وما جاء عنهم من ذلك في المفتوح
فشاذ لا يقاس عليه ، كما في نحو قول الأخطل :
وما كان كل متبايع ولو سلف صفقه

يسراجع ما قد فاتته برداد

يريد : سلف ، فأسكن مضطرا .

وينبغي ان يكون « مَرَضٌ » هذا الساكن لغة في مَرَضٍ المتحرك كاللَّب والحَلَب .
والطَّاء والطَّرْد ، والشَّلَل والشَّلْ (٣٦)

ح — تسكين لام الصيغة [حذف الحركة الاعرابية] .

قرأ أبو عمرو بالتسكين « بَارِئُكُمْ » في قوله تعالى : انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم
العجل فتوبوا الى بَارِئِكُمْ [البقرة : ٥٤] ، وفي قوله تعالى : فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير
لكم عند بَارِئِكُمْ [البقرة : ٥٤] ، وَيُعَلِّمُهُنَّ في قوله تعالى : وَيُعَلِّمُهُنَّ آخِنَ بَرْدَهُنَّ في
ذلك ان ارادوا اصلاحا [البقرة : ٢٢٨] ، راجع النور : ٣١ ، وينصركم في قوله
تعالى : وَإِنْ يَحْذَرِكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ مِنْ بَعْدِهِ [آل عمران : ١٦٠] ، وَيُعَلِّمُهُمْ
في قوله تعالى : وَيُعَلِّمُهُم الكتاب والحكمة [آل عمران : ١٦٤] (٣٧)
وتسكين الحركة الاعرابية من خصائص لهجة تميم أما أهل الحجاز فيميلون الى
اظهارها (٣٨)

د — حذف حركة ضمير الغائب المتصل في حالة الوصل :

قرأ أبو عمرو « نُؤَيَّة » في قوله تعالى : وَمَنْ يَرْدُ تَوَابَ الدُّنْيَا نُؤَيَّةَ مِنْهَا وَمَنْ يَرْدُ تَوَابَ
الْآخِرَةِ نُؤَيَّةَ مِنْهَا وسنجزى الشاكرين [آل عمران : ١٤٥] ، وَنَحْشُرُهُ في قوله تعالى :
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى [طه : ١٢٤] . وَنَأْتِيَهُ وَيُؤَدُّ في قوله تعالى ومن أهل الكتاب
من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك (٣٩) [آل عمران :
٧٥] .

ونسب الكسائي ذلك الى لغة عقيل وكلاب (٤٠) .

ه — الإدغام :

كان أبو عمرو يميل الى الادغام ، وكان يقول : الادغام كلام العرب الذي يجري على
ألسنتها ولا يحسون غيره (٤١) ، وكان يميل الى ادغام المثلثين ، من ذلك ادغام الراء
المكورة ، نحو قوله تعالى : شهر رمضان (٤٢) الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس [البقرة :
١٨٥] ونحو نُصَارَى في قوله تعالى : لا نُصَارَ والدةٌ بولدها ولا مولود له بولده [البقرة :
٢٣٣] .

وكان يميل كذلك الى ادغام الحرفين المتشابهين في الصفة . من ذلك ادغام الراء في اللام . وهما يستشابهان في الصفه . اذ انها من الاصوات الرنينية ^(١٤١) Resonance Cansnants وذلك نحو يُعْزِرُكُمْ في قوله تعالى نَعَزُّ لَكُمْ خُطَايَاكُمْ [البقرة : ٥٨] . ومن ذلك ايضا ادغام اللام في التاء لقربها من المخرج نحو هُتُّوبُ الكفار في قوله تعالى : هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون [المطففين : ٣٦] . ومن ذلك ايضا : ادغام الحاء في العين لاتحادهما في المخرج ^(١٤٢) نحو زَجَرَعْنِ النار في قوله تعالى فن زجرعن النار وأدخل الجنة فقد فاز [آل عمران ١٨٥] .
— التضعيف :

كان أبو عمرو يميل الى التضعيف . وهو من خصائص تميم وسفلى قيس . وذلك نحو تضعيف الدال في الهدى في الآيات الآتية : حتى يبلغ الهدى محله [البقرة : ١٩٦] . والهدى معكوكا ان يبلغ محله [الفتح : ٢٠] ، فَإِنْ أَحْصَيْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدَى [البقرة : ١٩٦] ^(١٤٧)

وكان يميل الى تأكيد التضعيف في الافعال المضاعفة ، نحو دَسَّاهَا في قوله تعالى . وقد خاب من دَسَّاهَا [الشمس : ١٠٠] . وكان يميل الى الوقف بالتضعيف مع نقل حركة الحرف الاخير الى ما قبله ، نحو الصَّبْرِ في قوله تعالى : وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ^(١٤٨) [البلد : ١٧] . والعصر : ٣] ، والوقف بالنقل يعزى الى تميم .

ب — الخصائص الصوتية الصرفية .
Mor phopho mi mical aspects وتشمل ما يلي : الوقف ، والمنوع من الصرف والميزان الصرفي ، ونون الوقاية ، وتفضيل الكسرة على الفتح في بعض الابنية الصرفية .

١ — الوقف :

الوقف ظاهرة صوتية ، وقد ربطه ابو عمرو بأجناس حرفيه معينه ، ويشمل ما يلي :
١ — اذا التقت هزتان في اول الكلمة . سواء أكانت الاولى هزة استفهام والثانية فاء الكلمة ، ام كانت الاولى لام الكلمة والثانية فاء الكلمة الثانية :
كان ابو عمرو يميل الى تخفيف الهززة الاولى ، كما يخفف بنو تميم في اجتماع الهزتين . نحو أَيْنَكَ وَأَنْتَ ^(١٤٩) ، وما قرأه هكذا ، جاء أشراطها في قوله تعالى : فقد جاء أشراطها [محمد : ١٨] . ويا زكريا إنا نبشرك في قوله تعالى : يا زكريا إنا نبشرك [مريم : ٧] ^(١٥١) ، أما في اسلوب الوصل فكان يميل الى تسهيل الهززة الثانية نحو أُنْذِرْتُمْ في قوله تعالى : وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرتهم لا يؤمنون [البقرة : ٦] ، راجع يس : ١٠ ^(١٥٢)

ب — الوقف على الاسم المقصور :
كان ابو عمرو يقف على الاسماء المقصورة بالالف ، ويرى انها عوض عن حذف

التنوين . ذلك انه اذا حذف التنوين رُدَّت اللام الى أصلها . وهو الياء . ثم تقلب الفاء لوقوعها بعد فتحة ^(٥٣) . وانطلاقاً من هذا الاتجاه قرأ أبو عمرو تترى بالتنوين ^(٥٤) في الآية الكريمة : ثم ارسلنا رسلنا تترى [المؤمنون : ٤٤] ، على انه مقصور . كقولك حمداً وشكراً . والوقف على هذا — كما هو مذهبه — على الالف المعوضه من التنوين ^(٥٥) . وما يدل على ان أبا عمرو يعامل تترى معاملة الاسماء المقصورة انه نونها . فأما من لم ينونها فانه يعامل الاسماء المقصورة على انها للتأنيث كالف سكرى .

ج — الوقف على الاسم المنقوص :

يرى أبو عمرو انه يوقف عليه بحذف الياء ، فيقول هذا قاضٍ وهذا غَازٍ .
د — الوقف على الفعل المسند الى ضمير المتكلم في حالة النصب : يعامل أبو عمرو الفعل المسند الى ضمير المتكلم في حالة النصب معاملة الاسم المنقوص . فكان يقرأ قوله تعالى : رَبِّىْ أَكْرَمُنِىْ [الفجر : ١٥] وربىْ أهنئىْ [الفجر : ٧٦] رَبِّىْ أَكْرَمُنِىْ وَأَهْنَأُنِىْ .

٢ — المنع من الصرف :

يرى أبو عمرو ان الاسماء المتنوعة من الصرف تشمل ما يلى :

١ — العلم المؤنث بشرط ألا يتكون من ثلاثة احرف ويكون الاوسط منه ساكناً ، فإذا كان كذلك فأنت بالخيار ، ان شئت صرفته . وان شئت لم تصرفه . أما ان سميت المؤنث بعمرو أو زيد فلم يميز الصرف ^(٥٦) .

ب — اسماء القبائل مثل سبأ ^(٥٧) .

ج — الالقاب مثل : هذا سعيدٌ كَرُزٌ . وهذا قيسٌ قُضَّةٌ . وهذا زيدٌ بَضَّةٌ ، وإذا نوتت أفقدت العلم التعريف ^(٥٨) .

د — غُذُوهُ أو بُكْرُهُ اذا دلت على معرفه . وكذلك العام الاول ^(٥٩) . أما يَوْمٌ يَوْمٌ . وَصَبَاحٌ مَسَاءً . وَبَيْتٌ بَيْتٌ . وَبَيْنٌ بَيْنٌ . فكان أبو عمرو يجعل كل تركيب منها بمزله الاسم الواحد اذا استخدم ظرفاً أو حالاً ^(٦٠) ، والاخير من هذه الاسماء فى موضع جر ، وجعل أبو عمرو لفظه كلفظ الواحد وهما اسمان أحدهما مضاف الى الآخر .

هـ — مَثْنَى وثلاث وَرَبَاعٌ فى قوله تعالى : [اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع] فاطر : ١ . وانها بمزله اولى اجنحة اثنين اثنين وثلاث ثلاث ^(٦١) .

ويرى أبو عمرو ان الاسماء الآتية مصروفة ، وهى :

١ — ان سَمَّيْتُ رَجُلًا بـ « ضارب » من قولك : ضارب وأنت تأمر ، وكذلك ان سميت « ضارب » أو « ضَرْبٌ » ^(٦٢) .

ب — صِبْغَةُ التصريف من الاسم المنصرف : نحو سَرْحَانٌ وَسَرَّجِينُ ^(٦٣) أما غضبان فغضبيته غَضْبَانٌ ، وهو غير مصروف ^(٦٤) .

٣ — الميزان الصرفي :

يرى أبو عمرو أن موسى على وزن مُفْعَل ، وشرح ذلك فقال : « هو أيضا مُفْعَلٌ بدليل انصرافه بعد التنكير » . وقال أن مُفْعَلًا أكثر من مُفْعَلٍ . فجعل الأعجمي على الأكثر أول وهو ممنوع . لأن فُعْلِيَّ يبي مؤنثا لكل أفعال تفضيل ، ومُفْعَلٌ لا يبيء الآ من باب أفعال يُفْعِلُ ، وهو عنده لا ينصرف علما للعجمة والعلمية . ويتصرف بعد التنكير كـ « عيسى » (١٥) .

٤ — نون الوقاية :

كان أبو عمرو يميل إلى إقحام نون الوقاية بالفعل المضارع المرفوع بالواو والمسد إلى ياء المتكلم في حالة النصب . نحو قوله تعالى : « فم تبشرونني » [الحجر : ٥٤] . وهو بهذا متأثر بلهجة نعيم . أما أهل الحجاز فانهم لا يقحمون مثل هذه النون . ولهذا قرأ غيره ، فم تبشرونني .

ولهذا قرأ الكسرة على الفتحة في بعض الابنية الصرفية :
كان أبو عمرو يفضل الكسرة في بعض ابنية الاسماء والأفعال وفي حروف المضارعة . في حين أن غيره يفضل الفتح ، وأبو عمرو يكون في هذا متذبذبا بين لهجة أهل الحجاز ولهجة نعيم .

١ — فيما يتعلق بالاسماء :

١ — فَضَّلَ صيغة مفعِل (١٦) الحجازية على مفعَل التيمية في قراءة : مَرْقٍ في الآية الكريمة : يَنْشُرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْكَمٍ مَرْقًا . [الكهف : ١٦] .

٢ — فَضَّلَ صيغة فَعْلُه (١٧) على فَعْلُه في قوله تعالى « إذ أنتم بالعدوة الدنيا » [الأنفال : ٤٢] . وفي قوله تعالى إلا من اغترف غرفة (١٨) بيده [البقرة : ٢٤٩] .

ب — فيما يتعلق بالأفعال :

فَضَّلَ باب فَعَلٍ يَقْعِلُ في حين أن غيره فضل باب فَعِلٍ يَقْعِلُ ، والباب الأول ينسب إلى أهل الحجاز ، والثاني إلى نعيم ، نحو [يَنْقِطُ [الحجر : ٥٦] ، وَيَنْقِطُونَ [الروم : ٣٦] ، وَلَا تَنْقِطُوا [الزمر : ٥٣] (١٩) .

ج — فيما يتعلق بحرف المضارعة :

فَضَّلَ أبو عمرو كسر حرف المضارعة في حين أن غيره فَضَّلَ فتحه . وأبو عمرو بهذا يكون متأثرا بلهجة نعيم ، وقد جاء ذلك على باب فَعَلٍ يَقْعِلُ نحو يَرْكِنُو في قوله تعالى : وَلَا تَرْكِنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا [هود : ١٣] ويأمنه (٢٠) في قوله تعالى : مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ [آل عمران : ٧٥] ، وتعرف هذه الظاهرة بتثله بهراء (٢١) .

ثانيا : منهجه في الدراسات الصرفية :

وتشمل هذه الدراسات الصرفية عند أبي عمرو الظواهر الالية : اسم الجنس ،

والنسب ، والتصغير ، والمصدر ، والتذكير والتأنيث ، والفعل المضارع الناقص ، والتدخل في الأفعال المضارعة .

١ — اسم الجنس :

كان أبو عمرو يقول ان « حَلَقَه » المفرد ، و « حَلَقَ » الجمع ، وأيده السيراني في هذا . وقال ان هذا هو القياس ، فهو بمنزلة شَجَرِه وشَجَرٍ ، أما غير أبي عمرو فقال ان القياس حَلَقَه وحَلَقَ وفَلَكَه وفَلَكٌ أما حَلَقَ فشاذاً (٧٢) .

٢ — النسب ، ويشمل :

أ — النسب من فَعَلَه إذا كان مفعول المعين بالياء مثل : جَبَّهَ وَلَبَّهَ ، هو جَبَّيٌّ وَلَبَّيٌّ . أما يونس فقال حيوى ولوى (٧٣) ، وكذلك ظليه وظيبي . أما يونس فقال ظَبَوِيَّ (٧٤)

ب — النسب من ابن واسم واست واثان واثتان هو : اسميُ واسِئِيُ واسِئِيُ (٧٥)

٣ — التصغير :

أ — كان أبو عمرو يرى ان التصغير من « مَرَّهٌ مَرَّتِي » ومن يَرَى هو يَرِيٌّ ، اى انه كان يهمز ويحر (٧٦)

ب — كان يرى ، اى ان تصغير أَحْوَى هو أَحْيَى (٧٧) ، وذلك على قياس أَسْوَدَ وأُسْوَدَ ، وأصل صيغة التصغير هو أَحْيَوَى ، وكان أبو عمرو يحذف الواو الثالثة مع التنوين قياساً على حذف ياء قاضى ، وبالتالي تصبح الصيغة أَحْيَى (٧٨) ، ويعيدها مع التعريف بـ « أَل » أو بالاضافة فيقال : الأَحْيَوَى ، والتنوين فى أَحْيَى عوض عن حذف الواو . ولا يدل على الصرف لان الكلمة ممنوعة من الصرف ، وتصرف مع التعريف (٧٩)

ج — كان يرى ان تصغير حَيَارَى هو حَيْرَهَ ، وكان يرى انه اذا حذفت الف التأنيث المقصورة أبدل منها تاء ، ولم ير ذلك غيره من النحاة .

٤ — التذكير والتأنيث والحمل على المعنى :

كانت العرب تميل الى الحذف على المعنى ، حكى عن أبي عمرو انه سمع رجلاً من اليمن يقول : « فلان لغوب كاءته كتابى فاحتقرها » فقلت له أنقول كتابى : فقال : نعم ، أليس بصحيفة (٨٠) .

٥ — المصدر :

كان أبو عمرو يرى ان القَبُولَ بالفتح مصدر ، وانه لم يسمع غيره ، واعترض ان يكون الوُضوء مصدراً ، قال الأصمعي :

قلت لأبى عمرو : ما الوُضوء ، فقال : الماء الذى يتوضأ به ، قلت : فما الوُضوء بالضم ، قال : لا اعرفه (٨١) .

٦ — الفعل المضارع من الناقص :

يرى أبو عمرو ان المضارع من الفعل الناقص مثل غَوَى هو يَقَوَى بالكسر ويستفاد ذلك من القصة الآتية : أخطأ رجل فى نطق الفعل الناقص بحضرة أبى عمرو بن العلاء عندما

أَنشد قول المرقش الأصغر :
فَن يَلْقَى خَيْرًا يَحْسِبُ النَّاسُ أَمْرَهُ
وَمَنْ يَعُو لَا يَعدِم على الفسى لا ثما
فقال له ابو عمرو : أَقُولُكَ أَمْ أَتْرُكُكَ تَسْكُنُ فِي طَمَتِكَ ، فقال : بَلْ قَوْمِي ،
فقال : وَمَنْ يَتَوَكَّبُ الْوَائِدَ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : لَوْ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (٨٧) [طه :
١٢١] ، أَيْ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ أَنَّ الْمَاضِيَ بِالْفَتْحِ وَالْمُضَارِعَ بِالْكَسْرِ .
٧ — التداخل في الأفعال المضارعة :
يَرَى أَبُو عَمْرٍو أَنَّ « يَهْلِكُ الْحَرْثُ » وَرَكَنَ يَرَكَنَ « مِنْ التداخل لان مضارعه
يَرَكَنُ (٨٨) » .

ثالثا : منهجه في الدراسات النحوية (٨٩)

- ١ — درس أبو عمرو أربعة أنواع من الجمل هي :
١ — الجملة المثبتة ، وتناول فيها بالدراسة : المبتدأ والخبر والمفعول به وظرف الزمان وظرف المكان والاستثناء .
٢ — الجملة المنفية ، وتناول فيها خبر لا النافية للجنس .
٣ — جملة الشرط .
٤ — جملة النداء .

ب — مال الى التقدير

وستدرس فيما يلي هذين المنهجين :

دراسة الجملة عند أبي عمرو

٩ — الجملة المثبتة :

أ — المبتدأ :

أوضح أبو عمرو أن المبتدأ قد يكون ضميرا من الضمائر الشخصية مثل هو ، في قولك :
مَا أَظُنُّ أَحَدًا هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ، وما أجعل رجلا هو أكرم منك ، وما أخال رجلا هو أكرم منك .
وقال أن الضمير هو في الأمثلة السابقة مبتدأ وليس ضمير فصل لأن ما قبله نكرة ،
ولأن الضمير يكون فصلا إذا سبق بمعرفه ، وبناء على ذلك وصف القراءة الآتية باللحن :
هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَرْبَعٌ لَكُمْ [هود : ٧٨] بنصب أظهر .
وقد يكون المبتدأ كذلك لفظ « كم » إذا أضيفت الى ما بعدها ، وكأن الاسم الثاني
للمضاف اليه مرفوعا على أنه خبر ، نحو : كم رجلا أفضل منك (٩٠) .
ب — الخبر :

يرى أبو عمرو أن الخبر قد يكون ظرف مكان بشرط أن يكون المبتدأ اسم ذات (٩١) ،
دارى من خلف دارك فرسخان (٩٢)

ج - المفعول به :

يرى أبو عمرو انه اذا وردت تراكيب تحتوى على أسماء منصوبة ، فهي مفعول به لفعل محذوف . نحو منطلقاً في التعبير الآتي : أما أنت منطلقاً انطلق معك ^(٩٨) . وفي رأيه ان ذلك بمثابة « لانك حَبِرتَ منطلقاً أنطلق معك » وانطلاقاً من هذا المبدأ قرأ الآية الكريمة الآية بنصب « الطير » : يا جبالُ أَوْبى معه والطيرُ سباً : ١٠ . وذلك على إضمار : وسخرنا الطير ، لقوله عز وجل على اثر هذا ، وللسليان الريحُ أَى وسخرنا الريح . ومن هذا ايضا نصب زيد وعمرو في التعبير الآتي : ألا رجلُ ، إما زيدا وإما عمرا . لانه عندما قال « ألا رجلُ » فهو مُتَمَرِّنٌ شيئا يسأله ويريده . فكانه قال : اللهم اجعله زيدا أو عمرا ، أو وفق لى زيدا أو عمرا ^(٩٩) .

وأرى ان أبا عمرو هو من استخدم نظرية تقدير المحذوف ، وتعليل الحركة الاعرابية . ومِمَّا يروى عنه في هذا المجال ان عبدالله بن ابي اسحق سمع الفرزدق ينشد :

ومضى زمان يا ابن مروان لم يدع

من المال إلا مسحاً أو مجلفاً . فقال له : على اى شيء ترفع « مجلف » ! فقال الفرزدق : على ما يسؤلك وينولك . وكان عبدالله يرى انه معطوف على منصوب ، فكان يجب نصبه . أما أبو عمرو بن العلاء فقد التمس عرجاً لرفع ، وقال إن مجلفاً مرفوع على تقدير فِعْلٍ ، اى لم يبق سواه . ولكن أبا عمرو لم يقطع شوطاً بعيداً في التقدير والتعليل . بل انه لم يلجأ اليه الا عندما يجد سندا من روايه عن العرب . فقد كان رحمه الله يُؤيدُ الحزوى ، لهذا نجد أيد قراءة النصب في « أيهم » في قوله تعالى : [ثُمَّ لَنَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتْبًا]

قال ابو عمرو : خرجت من الخندق - يعنى خندق البصره ، حتى صرت الى مكه لم اسمع أحداً يقول أَضْرِبُ أَيُّهُمْ أَفْضَلَ ، اى كلهم ينصبون ^(٩٩) . وقد دفعه هذا الى الاهتمام بالاختلافات اللهجيّة ، روى محمد اليزيدى ان عيسى بن عمر مريم : ٦٩ .

جاء الى ابي عمرو ونحن عنده وقال : يا أبا عمرو ، ما شيء بلغنى انك تُجَيِّزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغنى انك تُجَيِّزُ : ليس الطيبُ الا المسكُ بالرفع . قال له أبو عمرو : نمت يا أبا عمر وأولع الناسُ ، ليس في الارض حجازى إلا وهو ينصب ولا في الأرض تمبيى إلا وهو يرفع ^(٩٧) .

د - ظرف المكان وظرف الزمان :

ظرفا المكان والزمان منصوبان دائماً ، وأبنيه ظرف المكان هي : خَلَقَكَ وَقَدَّمَكَ وَأَمَّا نَكْ وَمِيْنَا وَشِمالًا ويسارا ، نحو قولهم :

١ - منازلهم ميّنا ويسارا وشمالا ، ونحو قول عمرو بن كلثوم :

صَدَّتِ الكَأْسَ عَنَا أُمَ عمرو
وكان الكأس مجراها اليميناً (٩٣)

هـ — المستثنى :

يكون المستثنى بدلاً من المستثنى منه . نحو : ما أتاني القوم إلاَّ عبدُ الله .

٢ — الجملة المنفية :

تحدث أبو عمرو عن الجملة التي تحتوى على اللام النافية للجنس . وقال ان مبتدأ اسم لا . والخبر خبرها . وقال ان خبره لا « النافية للجنس قد يكون اللام الجارهُ مع مجرورها . وتكون في محل رفع . نحو « لك » في « لا غلامين لك » ولا جارتين لك » (٩٥) .

٣ — جملة الشرط :

يرى أبو عمرو ان أمّا . وتكون من ان تستخدم أداة للشرط والتفصيل . فتكون أداة للشرط اذا رُفِعَ الاسم بعدها . وفي هذه الحالة يشترط ان يكون الاسم الواقع بعد الفاء تكررًا لما قبلها . وألاً يكون الاسم بعد « أمّا » مصدرًا أو وصفاً . ويرى أبو عمرو ان الاسم الواقع بعد أمّا يُعرب مبتدأ . والواقع بعد الفاء يُعرب خبره نحو : أمّا العبيدُ فذو عبيدٍ . وأمّا العبدُ فذو عبيدٍ . (٩٦) .

وقد تستخدم اما أداة للتفصيل فقط دون الشرط اذا لم تحقق الشروط السابقة . وفي هذه الحالة يكون الفعل في جملة الجواب مرفوعاً وليس مجزوماً . نحو اما انت منطلقا انطلق معك ، ويرى ان معنى هذا التركيب هو بمثابة قولك : لئن صرت منطلقا انطلق معك (٩٧)

٤ — جملة النداء

يرى أبو عمرو انه اذا تكرر المنادى العلم فانه يكون بمثابة البدل . ويرفع المنادى بالطبع ، وكذلك ترفع الصفة ان اتت بعده ، نحو : يا زيدُ زيدُ الطويلُ . ويخالف أبو عمرو بذلك رؤيه الذي كان يقول يا زيدُ زيداً الطويلَ (٩٨) .

ويرى أبو عمرو ان الباء تبقى في المنادى سواء أكانت في الوصل ام في الوقف ، ولذلك كان يقرأ : يا عبادى فأتقون (٩٩) .

ويرى ان أداة النداء « يا » تدخل على ويلا لك ويحيا لك ويصبح التركيب يا ويلُ لك ويا ويحُ لك .

المواش والمصادر

(١) أبو الطيب اللغوي/مراتب النحويين : ٣٣

(٢) الزبيدي/طبقات النحويين واللغويين : ٣٥

(٣) مراتب النحويين : ٣٣

- (٤) ابن الأثير/نزهه الإلياء : ٢٤
 (٥) معرفة القراء الكبار : ٨٣
 (٦) نزهه الإلياء : ٢٩ معرفة القراء الكبار . ٢٨٤ . كارل بروكلمان/تاريخ الأدب العربي ٢ - ١٢٩
 (٧) طبقات النحويين : ٣٣
 (٨) طبقات النحويين/٣٦ - ٣٧
 (٩) د. احمد مكى الانصارى/يونس البصرى : ٦٥
 (١٠) طبقات النحويين : ٣٤
 (١١) طبقات النحويين : ٣٧
 (١٢) نفسه : ٣٥ - ونزهه الإلياء : ٢٥
 (١٣) طبقات النحويين : ٣٧
 (١٤) يونس البصرى : ٦٥
 (١٥) السابق : ٦٩ . وعبد العال سيد مكرم/اثر القرآن الكريم في الدراسات النحوية : ٦٣
 (١٦) مراتب النحويين : ٣٤
 (١٧) مراتب النحويين : ٣٣
 (١٨) طبقات النحويين : ٣٧
 (١٩) جلال الدين السيوطي/الاشياء والنظائر - طبعة حيدر آباد ٣-٤١
 (٢٠) طبقات القراء الكبار : ٨٣
 (٢١) نفسه : ٨٤
 (٢٢) نفسه : ٢٨٤ ومراتب النحويين : ٣٥
 (٢٣) ابن جني/اعتصب : ١ - ٣ وتاريخ الأدب العربي ٢ : ١٢٩
 (٢٤) طبقات النحويين : ٣٧ . د. عبد الحميد الشلقاني/رواية اللغة : ١٨
 (٢٥) ابن النديم/الفهرست : ٥٣
 (٢٦) تاريخ الأدب العربي ٢ : ١٣٠
 (٢٧) د. علم الدين الجندى/اللهجات في التراث : ١٨٩
 (٢٨) رواية اللغة : ٩٥
 (٢٩) نقصد بالخصائص الصوتية **Phonological aspects** دراسة السماع الصوتية **Segmens** أى تتابع الصوامت والحركات . والمظاهر المعينة التي امتاز بها أبو عمرو وهي الامالة والهمز والادغام والتضخيم ، اما الخصائص الصوتية الصرفية **Morpho phonological studies** فيقصد بالتغيرات الصوتية التي تحدث لسبب صرفي . فالوقوف مثلا ظاهرة صوتية . ولكنه يؤثر على البنية الصرفية . وقد يحدث العكس ، فقواعد الوقف الخاصة بالاسم الصحيح تختلف عن قواعده بالنسبة للاسم المنقوص ، والمقصود من هذا أن الصيغة الصرفية هي التي حددت معالم التغيرات الصوتية المعنية والدراسة في هذا الجانب . تربط التغير الصوتي بالبنية الصرفية وهذه الدراسة تساعدنا على فهم المنوع من الصرف والميزان الصرفي . وقد اتبعناها في تفسيرنا لآراء ابى عمرو اللغوية حول هذه المظاهر .
 (٣٠) أوضحنا من قبل ان أبا عمرو ثميني ، وهذه الخاصية تتناسب مع كونه من نعيم .
 (٣١) اللهجات في التراث : ١٩٥ - ٢٠١
 (٣٢) نفسه : ٢١٤ - ٢١٥

(٣٣) نفسه : ٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٥٩

(٣٤) نفسه : ١٧٣

(٣٥) أيد الكوفيون احتمال التقاء الساكنين في وسط الكلمة . كالامام ابو عبيد القاسم بن سلام والقراء والداني . وينسب إليه قوله : الاخفاء أقيس والاسكان أثر . أما البصريون فقد وجهوا اتهامات شنيعة لتلك القراءات . فالزجاج مثلاً وصفها بأنها ليست صحيحة تارة ، وبأنها شاذة تارة أخرى . وبأنها رديئة تارة ثالثة . ووصف ابو علي الفارسي من قرأ هذه القراءة بأنه لم يكن مصيباً عند اللغويين . لانه جمع بين ساكنين ، والاول منها ليس حرف مد او لين .

« راجع اللهجات في التراث : ١٣٦ » ويرى محمد بن يزيد ان التقاء الساكنين في وسط الكلمة محال ، وعمل ذلك فقال : أما اسكان العين والميم مشددة فلا يقدر احد ان ينطق به « اثر القرآن الكريم في الدراسات النحوية/٧٥ » .

ولنا في هذه المسألة رأى في ضوء الدراسات السامية المقارنة ، فنحن نرى ان العربية نشه في هذه الظاهرة العربية والأرامية ، فهاتان اللغتان تميزان التقاء الساكنين في وسط الكلمة ، غير ان السكون الاول ينطق مشرباً بحركة الكسر ، ونعتقد ان ابا عمرو ايضاً كان ينطق السكون الاول مشرباً بحركة الكسر .

(٣٦) المختصب : ١ - ٥٣ - ٥٤

(٣٧) د. ابراهيم أنيس/من اسرار اللغة : ٢٣٩

(٣٨) سيبويه/الكتاب : ٤ - ٢٠٢ طبعه هارون ، ويرى سيبويه ان ابا عمرو يمثل الحركة ولا يخلطها ، واستدل على ذلك بقولهم [من مأمك] فيثبتون النون ، فلو كانت النون ساكنة فلم تحقق النون [الكتاب : ٤ : ٢٠٢] ، أما المبرد وابن جني فقد وصفوا قراءه ابي عمرو بأنها لحن ، وود ابو حيان عليها وقال : ان ما ذهب اليه المبرد واعوانه من النحاه ليس بشيء . لان ابا عمرو لم يقرأ إلا بأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت نقل ابي عمرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم وان الاسكان منقول محكي عن تميم اللهجات في التراث/١٧٧ .

ولنا رأى في هذه المسألة ، فنحن نرى ان حذف الحركة الاعرابية من علامات التطور اللغوي عند تميم ، ذلك ان اللغات السامية تميل في تطورها الى حذف الحركة الاعرابية ، ونستدل على ذلك بما هو الحال في اللغة الاكادية ، فاللغة الاكادية القديمة كانت تهتم بالاعراب ، وكانت الاكادية المتوسطة تتأرجح بين الاهتمام بالاعراب وعدم الاهتمام بها أما اللغة الاكادية الحديثة فأهملت الاعراب تماماً ونستدل على ذلك ايضاً بما هو الحال في الحبشية القديمة الحال في الحبشية القديمة ، فنجد انها اهلكت حركتي الضم والكسر ، وحافظت على الفتح ، والامثلة التي وردت عن ابي عمرو تشير الى اهمال الرفع والجر في حين انها لم تشر الى اهمال النصب ، وهذا يدل على أن لغة تميم قطعت شوطاً في التطور اللغوي لم تقطعه لغة أهل الحجاز التي حافظت على الحركات الاعرابية الثلاثة ، أما اللغويون الذين يستدلون بذلك على ضلالة دور الاعراب في ايضاح المعنى فهو رأي مردود فيه في رأينا لان الاعراب في اللغات السامية يقوم الموقفة في التراكيب اللغوية في اللغات غير العربية .. راجع في كل ما سبق :

1) Von Soden, Akkadisches Grammatik.

2) Dilmann, Etheopic Grammar. من اسرار اللغة . ٣ - د. ابراهيم أنيس .

٤ - تمام حسين ، العربية معناها ومعناها .

(٣٩) اللهجات في التراث : ٤٠٧

(٤٠) لم يعترف المصريون بهذه القراءات . فزعم الزجاج وابن السراج ان القراءة غلط بين . ورأى سيبويه انها ضروره ، ورد عليهم ابوحيان وقال ان هذه القراءة من القراءات البسيطة . وهي متواترة وكفى انها منقولة عن امام المصريين ابي عمرو بن العلاء . فانه عربي صريح وسامع لفته . وأمام في النحو اللهجات في التراث : ٤٠٦ — ٤٠٧ ونرى ان هذا ايضا من التطور اللغوي عند نعيم . وقائل شرق الجزيرة العربية ، وقد اوضحنا من قبل ان ابا عمرو من نعيم وهو متأثر بقبيلته .
(٤١) اللهجات في التراث : ٢٤١

(٤٢) يرى النحاة ان هذا ليس ادغاماً حقيقياً ، بل هو اختفاء احد المثلين . شرح الشافيه/ ٣ : ٢٤٧ . ونرى ان ادغام المثلين من خصائص نعيم وعدم ادغامها من خصائص أهل الحجاز .

(٤٣) اللهجات في التراث : ٢٢٣ — ٢٢٤

(٤٤) هذا هو الاصطلاح الذي استعمله جليسون Gleason في كتابه علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics / ٢٥٢ ، اما غيره فيستعمل مصطلح الاصوات المتوسطة . ويقصد به الاصوات التي ليست انفجارية أو احتكاكية . فاللام مثلا صوت يتكون بوضع طرف اللسان على اللثة العليا أما جانباً اللسان الأيمن والأيسر فيها غير متطابقين على اللثة بل يسمحان بمرور الهواء بحرية دون حدوث احتكاك كما هو الحال مع الأصوات الاحتكاكية لهذا فاللام ليس صوتاً انفجارياً أو احتكاكياً راجع الأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم أنيس وقد فضلنا مصطلح جليسون لأنه يشير الى الخصائص الفيزيائية .

الفيزيائية لهذه الاصوات ، لانه قسم الاصوات حسب كمية الرنين فيها الى اصوات ترتفع فيها نسبة الرنين ارتفاعاً كبيراً للغاية ، وهذه هي الحركات ، والى اصوات ترتفع فيها نسبة الرنين ارتفاعاً أقل من النسبة السابقة ، وهذه هي الاصوات الرنينية ، والى اصوات تقل فيها نسبة الرنين ، وهذه هي الاصوات المجهورة ، والى اصوات تتقدم فيها نسبة الرنين تماماً ، وهذه هي الاصوات المهموسة .

(٤٥) الكتاب / ٤ : ٤٥٩ تحقيق هارون

(٤٦) شرح الشافيه/ ٣ : ٢٧٤ — ٢٧٥ ، ويسمى الإمام الرضى ذلك اختفاء . ويسميه غيره ادغاماً مجازاً .

(٤٧) اللهجات في التراث : ٥٢٩

(٤٨) نفسه : ٢٧٣

(٤٩) نفسه : ٣٨١ — ٣٨٤

(٥٠) الكتاب/ ٣ : ٥٥١ طبعه هارون

(٥١) نفسه/ ٣ : ٥٤٩ طبعه هارون

(٥٢) اللهجات في التراث : ٢٥٩

(٥٣) شرح الشافيه/ ٢ : ٢٨٢ — ٢٨٤

(٥٤) نفسه/ ٣ : ٨١ هـ

(٥٥) تفسير القرطبي/ ١٢ : ١٢٥

(٥٦) الكتاب/ ٢ : ٢٤٢ طبعه هارون

(٥٧) نفسه/ ٣ : ٢٥٣ طبعه هارون

(٥٨) نفسه/ ٣ : ٢٩٤ طبعه هارون

(٥٩) نفسه/ ٣ : ٢٩٣ — ٢٩٤ طبعه هارون

(٦٠) نفسه/ ٣ : ٣٠٣ طبعه هارون

(٦١) نفسه/ ٣ : ٢٥٥ طبعه هارون

(٦٢) نفسه/ ٣ : ٢٠٦ طبعه هارون

(٦٣) سرحان مصروف بالرغم من انه يحتوى على الالف والنون ، وذلك لانه علم ، وانما يمنع من الصرف الصفات ، وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من قبل من ان المنع من الصرف يرجع الى سبب صوتي صرفي .

(٧٤) الكتاب/ ٣ : ٢١٦ طبعه هارون

(٦٥) هذا يوضح لنا مذهب ابي عمرو في القياس ، فهو يرى ان اللفظ علم لهذا فهو اسم مفعول من أفعل . ومن ثم فوزنه مفعَل . وانه لا يمكن ان يكون مفعَلًا لان مفعَلًا مؤنث أفعل .

ونرى ان هذا اللفظ من الالفاظ المشتركة بين اللغات السامية والمصرية القديمة ، وهو مشتق من

المادة العبرية Maa Shaa ومن المادة العربية مَسَى ، جاء في اللسان : وَمَسَيْتِ الناقه . اذا

سطلوت عليها وأخرجت ولدها : ه اللسان ٢٠ : ٤٨ ه ومشتق من المادة المصرية القديمة Ms

وتعنى ابن ابي زيد ، نحو تحوت مَسَ اى ابن تحوت ، ومع مَسَى اى ابن رع . وهناك رأى اخر يرى

ان هذه المادة تعنى في العبرية : انتشل ، ولما كانت ابنة فرعون قد انتشلت موسى من البحر فانه

يعنى الشخص المنتشل . وعلى هذا يقابل هذا اللفظ ماده مَسَى في العبرية وليس له مقابل في

المصرية القديمة . ولكننا نرجح كما قلنا من قبل انه من المادة المشتركة بين اللغات السامية والمصرية

القديمة وانه يعنى المولود . وصيغه موسى اسم فاعل من الفعل العبري المجرد Maa Shaa ويحتمل

انه دخل العبرية من النبرية مباشرة ، لهذا تتفق مع ابي عمرو في أن اللفظ أعجمي

وتختلف معه في الوزن فهو يرى انه اسم مفعول من أفعل ونحن نرى انه اسم

فاعل من الفعل المجرد العبري . ولا يجوز وزنه في العبرية لانه يخالف في اشتقاقه قوانين الاشتقاق

العربية .

(٦٦) اللهجات في التراث : ٤٨٧

(٦٧) نفسه : ١٨٣

(٦٨) نفسه : ٨٨ — ١٩٩

(٦٩) نفسه : ٤١

(٧٠) نفسه : ٣٠٣

(٧١) نفسه : ٣٠٤ وما يؤيد هذه الظاهرة اللهجية ان حرف المضارعة مكسور في العبرية لا تؤيد رأى ابن

عطية القائل ان حرف المضارعة كسر لكسر العين . راجع : Gesenius, Hebrew, gr.

باب الفعل المضارع .

(٧٢) الكتاب/ ٣ : ٥٨٤ طبعه هارون

(٧٣) نفسه/ ٣ : ٣٤٥

(٧٤) نفسه/ ٣ : ٣٤٧

(٧٥) نفسه/ ٣ : ٣٦١

(٧٦) نفسه/ ٣ : ٤٥٧

(٧٧) نفسه/ ٣ : ٤٧٢

(٧٨) شرح الشافية/ ١ : ٢٢٤ و ٢٢٦

(٧٩) نفسه/ ١ : ٢٣٤

- (٨٠) اللهجات في التراث : ٥٠٣
- (٨١) شرح الشافيه/١ : ١٥٨ هـ
- (٨٢) اللهجات في التراث : ٤٥٦
- (٨٣) شرح الشافيه/١ : ١٢٥
- (٨٤) يُقصد بالدراسات النحوية دراسة تركيب الجملة . والجملة العربية ثلاثة أنواع هي الجملة المثبتة والجملة المنفية والجملة الاستفهامية .
- (٨٥) الكتاب/٢ : ٣٩٣ — ٣٩٧ طبعه هارون
- (٨٦) نفسه/٢ : ١٦١
- (٨٧) نفسه/١ : ٤١٧
- (٨٨) او مصدر . اما ظرف الزمان فيكون خبرا للمصادر فقط
- (٨٩) الكتاب/١ : ٢٨٦ طبعه هارون
- (٩٠) نفسه/٣ : ١٠١ طبعه هارون
- (٩١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية : ٧٥
- (٩٢) د. محمد عبد/اصول النحو العربي : ٧٦ . و د. علي ابوالمكارم/الظواهر التركيبية في النحو العربي : ٢٩٧ — ٢٩٨
- (٩٣) الكتاب/١ : ٤٠٥ طبعه هارون
- (٩٤) نفسه/٢ : ٣١١
- (٩٥) نفسه/٢ : ٢٨٢
- (٩٦) نفسه/١ : ٣٨٧ و ٣٨٨ وشرح الكافي للرضي ٢ : ٣٩٧
- (٩٧) نفسه/٣ : ١٠١
- (٩٨) نفسه/١ : ١٨٥
- (٩٩) انحراف فضلاء البشر : ٣٩٥ .

المراجع

- ١ - المراجع العربية :
- ١ - ابو الطيب اللغوى ، مراتب التحوين
- ٢ - ابن الانبارى ، نزهه الالاء
- ٣ - ابن جنى - المختب فى اوجه القراءات الشاذة
- ٤ - ابن التديم . الفهرست
- ٥ - ابراهيم انيس ، د. ، من اسرار اللغة . والاصوات اللغوية
- ٦ - أحمد مكى الانصارى ، دكتور - يونس البصرى
- ٧ - تمام حسان ، دكتور ، العربية معناها ومبناها
- ٨ - الرضى ، شرح الشافيه ، وشرح الكافيه
- ٩ - الزيدى ، طبقات التحوين واللغويين
- ١٠ - سيويه ، الكتاب ، طبعه عبد السلام هارون
- ١١ - السيوطى ، جلال الدين ، الاشياء والنظائر فى النحو ، طبعه حيدر آباد
- ١٢ - عبد الحميد الشلقانى ، دكتور ، رواية اللغة
- ١٣ - علم الدين الجندى ، دكتور ، اللهجات فى التراث
- ١٤ - على ابو المكارم ، دكتور ، الظواهر التركيبية فى النحو العربي
- ١٥ - القرطبى ، تفسير القرطبى
- ١٦ - كارول بركلمان ، تاريخ الادب العربي
- ١٧ - محمد عيد ، دكتور ، من اصول النحو العربي

- 1 — Gesenius, Hebrew Grammar.
- 2 — Dilmann, Ethiopic Grammar.
- 3 — Von Soden, Akkadischen Grammatik.
- 4 — Gleason, Descriptive Linguistics.

مَرُونَةُ الْإِشْتِقَاقِ

فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

وَدَلَالَتُهُ الْحَضَارِيَّةِ

لِلأَسَازِ / مُحَمَّدٌ رِشَادُ غَزِيلِ

... الأمة العربية التي شرفها الله بحمل رسالة الإسلام ، وتبليغها الى الناس ، أمة لم يكشف النقاب عن حقيقتها بعد ، وذلك بسبب عوامل تاريخية قديمة وحديثة ساعدت على طمس هذه الحقيقة ، وهي عوامل كثيرة ليس هنا مجال بحثها . ولكن كشف حقيقة هذه الأمة أصبح الآن ضرورة لازمة بصرف النظر عن الظروف والملايسات التي طمست حقيقة هذه الامة .

وكشف هذه الحقيقة بمسئولية إسلامية في المقام الأول ، لان فهم الإسلام على الوجه الصحيح يستلزم فهم الأمة التي حملته وبلغته ، وفهم الظروف التي أحاطت بها ، وفهم مناهجها في التفكير والنظر ، وطرائقها في الحياة ، لان القرآن نزل بلغة هذه الأمة ، وعلى أساس من مصطلحاتها ، ولأن شريعة الإسلام قامت على أساس من مناهج هذه الأمة في النظر والاستدلال ، كما قال بذلك سلفنا الصالح ، يقول الإمام الشافعي « وما جهل الناس

واختلفوا إلا بتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان أرسططاليس»^(١) وعلق السيوطي على هذا القول بعد ايراده بقوله «وأشار الشافعي بذلك الى ما حدث في زمن المأمون من القول بخلق القرآن ، ونفى الرؤية ، وغير ذلك من البدع ، وان سببها الجهل بالعربية ... والجامع لجميع ذلك قوله : لسان العرب الجاري عليه نصوص القرآن والسنة وتخريج ما ورد فيها على لسان يونان ومنطق أرسططاليس ، الذي هو في حيز ، ولسان العرب في حيز ، ولم ينزل القرآن ولا أنت السنة الا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاوراة والتخاطب ، والاحتجاج والاستدلال ، لا على مصطلح اليونان ، ولكل قوم لغة واصطلاح»^(٢) من أجل ذلك ذهب جمهور علماء اصول الدين والفقه الى ضرورة اقامة مناهج البحث واستنباط الأحكام على أساس من اصطلاح العرب واسلوبهم في النظر والتفكير ، وعلى هذا الساس أصبحت أبحاث اللغة قسما رئيسيا في جميع مباحث الأصول : الى أن جاء بعض المتأخرين فأنغرفوا عن هذا الاتجاه ، وأرادوا أن يجعلوا من المنطق اليوناني أساسا لمناهج البحث في الإسلام ، وكانت هذه بداية التصدع لأركان الثقافة العربية الإسلامية الشائعة ، وكان من مضاعفات ذلك أن يعتمد الأصوليون المتأخرون على المنطق اليوناني اعتمادا كاملا ، حتى لقد جعلوه أساسا في مباحث الدراسات الأصولية والفقهية ، بما أدى إلى جمود الفكر ، وركاسة الأساليب ، وطلمت الازمة وعمت حين اعتمد النحويون واللغويون هذا المنطق أساسا للدراسات النحوية واللغوية»^(٣) .

وكشف حقيقة الامة العربية هو في المقام الثاني مسئولية علمية لأن مهمة العلم الأساسية هي كشف الحقائق وبيانها باعتبارها أن الحقائق الصحيحة هي الاساس السليم للمعرفة الإنسانية الصحيحة ، ولأن كان الكشف عن حقائق التاريخ الانساني هاما بصرف النظر عن الامم والأجناس فان كشف حقيقة الامة العربية . من الناحية الانسانية الخالصة أولى من غيرها لان دور هذه الامة ومسئوليتها الإنسانية هو أكبر وأخطر الادوار في تاريخ الإنسانية ، لأن المسئولية التي وكلت إليها وهي الهداية ، هي أخطر المسئوليات الانسانية على الإطلاق ، لقد اتجهت الابحاث التاريخية بهوى مغرض بصفة أساسية الى تاريخ الحضارات الغربية من اغريقية ورومانية ومسيحية غربية .. وعلى هامش هذه الحضارات اتجه البحث اتجاهها مغرضا الى الحضارات الهندية والبابلية والمصرية .. وذلك لابرار المظاهر الوثنية التي تمجد الانسان وتوكله حسب مفاهيم الحضارة الغربية الحديثة في دور الانسان وقيمته ، هذا بينما أعرض البحث عامدا عن الحضارة الانسانية الحقيقية التي تتمثل في حقيقة الامة العربية وفي اسهامها الانساني في تحمل التكليف الرباني بتبعاته التي تنوء بحملها الجبال والذي يستهدف من خلال رسالات الإسلام التي تواترت في الامة العربية وختمت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى وضع الانسان في موضعه الصحيح من خلق الله دون افراط او تفريط ، وإلى تحقيق كرامة الانسان من خلال العبودية الحققة للإله الواحد الأحد صاحب الخلق والامر ، والذي خلق الانسان وعلمه البيان ، ونفخ فيه من روحه وفضله على العالمين .

وكشف هذه الحقيقة هو في المقام الثالث مسئولية قومية عربية لان من واجب كل قوم أن يتعرفوا على حقيقة وجودهم من خلال النظر الصحيح الى اصول تاريخهم ، حتى يكون

عملهم من أجل يومهم وغدهم قائما على أساس من الاستمرار التاريخي الوثيق . ومن المؤلم ان تكون غالبية الذين يرفعون شعار القومية العربية من أكثر الناس جهلا بحقيقة هذه الامة وتكوينها ودورها . وان يكون هذا الجهل سببا في الاضطراب والتخبط في ضلالات الجاهليات العرقية الحديثة التي أغرقت العالم بطوفانها واحرقته بنيرانها ، ولو انهم بحثوا لعرفوا ان خصائص الامة العربية لا ترجع — حسب المفهوم العرقي الحديث — الى خصائص عرقي تقوم على الدم او اللون . وانما ترجع في الأصل الى خصائص انسانية هي الله لها أسباب الرقي والتماء والازدهار والعطاء في ظروف بيئية وانسانية وتاريخية استخلصت من الانسان العربي خيرا ما في الإنسان عامة ، وجعلت منه قدوة للناس ومثلا مضروبا على خصوبة الامكانيات الانسانية العامة التي منحها الله لجميع البشر على قدم المساواة ، وذلك حتى يتسابق الناس — كل الناس — على هدى هذه القدوة البشرية في استكشاف خيرا ما في عقولهم وقلوبهم من قدرات وامكانيات ، بما استودعه الله في أصل فطرتهم بحكم خلقهم وتكوينهم ، بتوجه هداية الوحي ، وبمعونة الله تعالى لهم بدعى كنيه ورسله ، وهذا هو ما نفهمه من معنى قوله تعالى « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيدا عليكم .. » البقرة : ١٤٣ .

ولقد كان من أبرز العوامل الكثيرة التي عملت على طمس حقيقة الامة العربية غير ما أشرنا اليه من الغرض والهوى انصراف الباحثين الى التعرف على حقيقة هذه الامة من خلال كتب الاجبار وهي قليلة الغناء لما فيها من قصور واضطراب ، ولضعف قيمتها التاريخية بسبب عدم الاطمئنان الى كثير مما تزويه عن العرب قبل الاسلام ، يضاف الى ذلك القصور والفهم القاصر لنوعية المصادر التاريخية والحضارية ، والذي ينصرف عنه كثير من الباحثين الى الوثائق والمصادر المادية من اثار العمارة او الزراعة او الفنون او النقوش وما شابه ذلك ، والعرب بحكم ظروفهم التاريخية — خاصة عرب الحجاز ونجد — وهم في الاساس بدو رحل لم يكن نشاطهم الحضاري في هذا الباب الذي ارتبط بقيام المجتمعات الزراعية في اودية الانهار ، او بقيام المجتمعات التجارية على شواطئ البحار .

لذلك غفل هؤلاء المؤرخون عن المصادر الحقيقية لهذه الامة والتي تتمثل أساسا في اللغة وهي دليل العقل وبيانه وترجيته .

واللغة أصدق مفتاح للكشف عن حقائق الامم ، ولقد كانت العربية خاصة أصدق اللغات في الكشف عن حقيقة أهلها ، سواء في مفرداتها او تراكيبها او اساليبها او مصطلحاتها او مضامينها .. ولقد حفظ الله تعالى هذه اللغة في كتابه العزيز فحفظ لنا بذلك أوثق المصادر في حقيقة هذه الامة ، كما حفظها في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وأبلغهم ، كما حفظها في كلام أصحابه رضوان الله عليهم وهم الجيل الخالص من العرب الذين يمثلون أصدق تمثيل لخصائص هذه الامة ومناهجها في التفكير وطرائقها في الحياة ، كما حفظها في هذه البقية الباقية من شعر العرب وكلامهم في جاهليتهم بما فيه من علم وحكمة وعقل وخلق وبلاغة وبيان ، ثم في هذه الموسوعة الهائلة من كلام الاعراب التي امتلأت بها معاجم اللغة وكتبها ، والاعراب هم مادة هذه الامة ، وأصلها الدال عليها

وصورتها الناطقة بها .

ولكننا نعرف بأن استخلاص المحققين من هذه المصادر أمر صعب لأن القراءة العربية لهذه المصادر لم تعد متيسرة بعد أن قطعت العجمة والفلسفة ومنطق اليونان عليه الطريق ، حتى أصبحنا حين نقرأ هذه المصادر من وراء هذه الحجب نحرف الكلم عن مواضعه . والتبصير بلغة العرب في العصر الحديث لقطعه قواطع العجمة والفلسفة ومنطق اليونان الذي غلب على العربية لغة وبلاغة ونحو ، وغلب على علوم الاسلام — عند المتأخرين — عقيدة وفقها ، وتسرب حتى الى تفسير كتاب الله ، هذا شأن العالم باللغة ، فما بالك بالمؤرخ الحديث الذي لا يعرف من طرائق النظر التاريخي الا النظر في كتب الاخبار أو معالم الاثار المادية ، وليست له دراية بعلوم العربية والعلوم الإسلامية ، وهى المصادر الحقيقية ذات الحجية التاريخية والحضارية للأمة العربية .. ؟ ! .

إن الذى يريد استعمال المصادر اللغوية للتأريخ العربى عليه أن يتمرس بأساليب هذه اللغة فى مصادرها الأساسية ، وأن يتمرس بالعلوم الإسلامية التى ارتبطت بها . وذلك يحتاج الى اعداد شاق ومران طويل على قراءة النصوص العربية وتبعتها فى مفرداتها وتراكيبها وأساليبها حتى يستخرج منها دلالتها التاريخية والحضارية وذلك يستلزم معايشة هذه اللغة فى مصادرها الاصلية معايشة طويلة تمكن صاحبها من أن يحس بهذه اللغة إحساس أهلها الاولين بها ، وأن يديرها فى عقله ولسانه كما كانوا يديرونها فى عقولهم وألسنتهم ، وأن يقع بها على معانيها الحقيقية فى عقولهم ونفوسهم ، وذلك مطلب عسير ، لأن أساليب التعلم التى حولت اللغة العربية من الدربة والممارسة الى القاعدة المنطقية قد حطمت السليقة العربية فى عقول أهلها ، ثم جاء هجر العربية كلياً أو جزئياً فى مراحل التعلم العلماني الغربي الذين حل محل التعلم الإسلامى العربى فى البلاد العربية ليقضى على البقية الباقية من صلة العرب بلغتهم ، ولتجعلهم يتكلمون لغات اجنبية مختلفة — تركيا . ودلالة — وان كانت مكتوبة — شكلاً — بحروف عربية .

ولئن كنت قد تصدبت لهذا المبحث الوعر فليس معنى هذا انى ادعى لنفسى انها قد تبيأت له على الشروط التى ذكرتها ، فوالله الذى لا اله الا هو ، لصبى من صبيان الأعراب الذين كانوا يلعبون فى مواقع اعراب هذه الامة بوادها ، كان أقدر منى على امتلاك ناصية هذه اللغة والتصرف فيها .. على ان ذلك الاقرار بالعجز لا يجوز ان يصرفنا عن المحاولة فى حدود الممكن ، مع الاجتهاد فى الاستعداد ، لأن هذا العمل من القرائض التى تلزمنا بها مسئوليتنا فى هذه الامة ، ولعل التنبيه الى الطريق يغى أجيالا من الباحثين بالسريه فيه ، ولعل القدر الذى يتاح استكشافه من الحقائق يعين على تصحيح الكثير من الاخطاء والاوهام والأباطيل التى سدت الطريق على التعرف السليم على نوعية هذه الامة وقيمتها ومكانتها .. وعليه فانى أتقدم بمحاولة على هذا الطريق من خلال دراسة الاشتقاق ودلالته ، نعرض بها أسلوباً فى استخدام اللغة كأداة للبحث التاريخي الحضاري .

معنى الاشتقاق :

جاء فى شرح التسهيل : الاشتقاق أخذ صيغة من اخرى مع اتفاقها معنى ومادة

أصلية ، وهيئة تركيب لها ، يُبدل بالثانية على معنى الأصل ، بزيادة مفيدة . لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة ، كضارب من ضرب ، وحَلَرٌ من حَلَر .⁽⁴⁾ طريقته :

وطريق معرفته تقليب تصارييف الكلمة . حتى يرجع منها الى صيغة هي أصل الصنغ دلالة اطراد او حروفاً غالباً ؛ كضَرْبُ قانه دال على مطلق الضرب فقط . أما ضارب . ومضروب ، ويَضْرِبُ واضْرِب ، فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً ، وضَرْبُ الماضي مساو حروفاً وأكثر دلالة ، وكلها مشتركة في « ض ر ب » وفي هيئة تركيبها . وهذا هو الاشتقاق الأصغر المخجُ به ⁽⁵⁾ ، وهذه طريقة البصريين في رد الاشتقاق الى المصدر أما الكوفيون الذين يردون الاشتقاق الى الفعل الماضي فهم يعملون أصل صيغة الاشتقاق هو (ضَرْبُ) بالفتح التي هي الفعل الماضي وليس (ضَرْبُ) بالسكون وهو المصدر .

هناك اشتقاق آخر يسمى الاشتقاق الأكبر ابتدعه أبو الفتح ابن جني وليس معتمداً في اللغة وهو الذي يحتفظ فيه بالمادة دون الهيئة مثل (ق و ل) و (ق و ل ق) ، وقد أهملت العرب هذا النوع من الاشتقاق لذلك فنحن لا نعول عليه ولا ندخله في موضوع بحثنا ، والاشتقاق الأصغر الذي عرفته العرب هو أساس موضوع بحثنا ، وهو الذي بنيت عليه مادة اللغة العربية كلها ، وهو في نفس الوقت يكشف لنا عن المستوى العقلي من خلال مجموعة من العمليات العقلية الكثيرة ذات الدلالة البالغة على الاقتدار والتفوق العقلي مثل : الملاحظة الجمع ، الترتيب ، المقارنة ، الاستنتاج ، الخيال ، التخييل ، دقة الاحساس ، سلامة الادراك ، القدرة على التجريد والمجاز ، وإدراك العلاقات .. وكل هذه العمليات العقلية تقع عليها من خلال دراستنا للاشتقاق الأصغر ، على الصورة العلمية التي تتم بها أدق العمليات العلمية التجريبية .

المنطق اليوناني واللغة العربية

ولكننا لا نستطيع أن نتصور هذه العلاقات إلا اذا نظرنا للاشتقاق نظرة لغوية . مستبعدين جهد الطاقة النظرة المنطقية للغة العربية والا اذا نظرنا للاشتقاق من وجهة نظر تاريخية في ضوء النصوص الموجودة فعلاً ، لا من وجهة نظر منطقية ، فالموازين الصرفية والقواعد النحوية قد وضعت بعد الإسلام متأثرة بالمنطق اليوناني ، ومهما كان من اعتقاد هذه الموازين والقواعد على النصوص ، فقد غلب التصور المنطقي على عقلية الذين وضعوا هذه القواعد ، وأقاموا هذه الموازين .. ولقد أدرك علماء السلف خطر المنطق اليوناني على العربية والإسلام ، ورأوا فيه منطقاً خاصاً بلغة قوم هم اليونان ، وهو يستمد مصطلحاته وتصوراتها من هذه التي تختلف اختلافاً بيناً عن اللغة العربية التي لها منطقها الخاص ، والتي نزل القرآن وجاء الإسلام على أساس من مصطلحاتها ، لذلك رفضه جمهور علماء المسلمين وهاجموه ، يقول ابن تيمية : « يقولون : إن المنطق « ميزان العقلية » ومراعاته « تعصم الذهن عن أن يغلط في فكره » ... وليس الأمر كذلك فإن العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بني آدم من أسباب الإدراك ، لا تقف على ميزان وضعي لشخص معين ، ولا يُقَلَّدُ في العقليات ... وجواهر العقلاء من جميع الأمم يعرفون الحقائق من غير تعلم منهم لوضع

أرسطو ، وهم إذا تدبروا أنفسهم وجدوا أنفسهم تعلم حقائق الاشياء بدون هذه الضمانة
الوضعية ... ثم إن هذه الصناعة — زعموا — انها تفيد تعريف حقائق الاشياء ، ولا تعرف
الا بها ، وكلا هذين غلط » (٦)

ولسنا هنا في مجال استعراض النكبة التي حلت بالعربية والإسلام بسبب المنطق
اليوناني ، وإنما نكتفى فقط فيما يختص من ذلك بموضوعنا ، وسنرى نموذجاً لذلك من
اختلاف الكوفيين والبصريين حول أصل الاشتقاق .

آراء الكوفيين والبصريين في أصل الاشتقاق :

اختلف الكوفيون والبصريون حول أصل الاشتقاق هل هو الفعل أو المصدر ، وهذا
ملخص بأرائهم : (٧)

رأي الكوفيين :

ذهب الكوفيون الى ان أصل الاشتقاق هو الفعل ، واحتجوا لرأيهم بما يأتي :

- ١ — ان المصدر يصح لصحة الفعل ويمثل لاعتلاله والمصدر فرع .
- ٢ — ان الفعل يعمل في المصدر .
- ٣ — ان المصدر يذكر تأكيداً للفعل .
- ٤ — ان المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل .
- ٥ — ان المصدر انما سمي مصدراً لا لصعود الفعل عنه كما يقول البصريون ، وانما لانه
مصدور عنه ، فدل ذلك على أن الفعل أصل والمصدر فرع لأنه تابع له فيما سبق .

رأي البصريين :

وذهب البصريون الى أن أصل الاشتقاق هو المصدر ، واحتجوا لرأيهم بما يأتي :

- ١ — ان المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين .
- ٢ — ان المصدر اسم ، والاسم يقوم بنفسه ويستغنى عن الفعل . أما الفعل فانه لا يقوم
بنفسه ويفتقر الى الاسم .
- ٣ — ان الفعل بصفته يدل على شيئين : الحدث ، والزمان المحصل ، والمصدر يدل
على شيء واحد وهو الحدث .
- ٤ — ان المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل ، والفعل له أمثلة مختلفة .
- ٥ — ان الفعل يدل بصيغته على ما يدل عليه المصدر وليس بالعكس .
- ٦ — ان المصدر لا يجري على سنن في القياس ولو كان مشتقاً من الفعل لما اختلف في
اسماء الفاعلين والمفعولين .

٧ — ان المصدر لو كان مشتقاً من الفعل لدل على ما في الفعل من الحدث والزمان
وعلى معنى ثالث .

٨ — ان المصدر لو كان مشتقاً من الفعل لوجب حذف الهزة في مثل اكرم إكراما ،
كما حذفت في اسم الفاعل والمفعول مكرم ومكرم .

٩ — ان الاصل في تسمية المصدر هو الموضوع الذي يصدر عنه .

وكل هذا دليل على ان المصدر أصل والفعل فرع .

نقد أدلة البصريين والكوفيين :

وأول ما نلاحظه على أدلة الفريقين أنها أدلة مصنوعة صناعة منطقية ، إلا أننا نلاحظ أن أدلة الكوفيين أقل إغراقاً في الصناعة المنطقية من أدلة البصريين الذين كانوا أكثر تأثراً بالمنطق اليوناني من الكوفيين ، ولقد أصبح الكوفيون لأرائهم بحجة قوية لأنها حجة تقوم على الاستقرار لا على المنطق وهي قولهم أن المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل ، وهي حجة تهدم حجة البصريين المنطقية وهي حجته الأساسية والتي تقول بأن المصدر أصل لانه يدل على زمان مطلق ، بينما الفعل يدل على زمان مقيد ، وذلك لأن إطلاق زمان المصدر يجمعه معها بصورة لا تجعله صالحاً للاشتقاق في العربية حسب مفهوم البصريين لعلاقة المصدر بالزمن ، والعرب لا يعرفون هذا النوع من المطلقات المبهمة التي اختصت بها العقليّة الاغريقية وارتبط بها منطقهم وفلسفتهم ارتباطاً أفسد الفكر الاغريقي كما أفسد فكر انساني ارتبط به واعتمد عليه .

المطلق الاغريقي في نظر ابن تيمية :

ولقد تنبه ابن تيمية الى استحالة هذا المطلق الاغريقي وهاجمه هجوما عنيفاً بسبب نتائج السبئية في الفلسفة والدين على السواء ، ونفى ان يكون هناك « وجود مطلق بشرط الاطلاق ، أو بشرط سلب الامور الثبوتية أو لا بشرط مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج وانما يوجد في الذهن ، وهذا مما قرره في منطقهم اليوناني ، وينبأن المطلق بشرط الاطلاق كائنات مطلق بشرط الاطلاق ، وحيوان مطلق بشرط الاطلاق ، وجسم مطلق بشرط الاطلاق ، ووجود مطلق بشرط الاطلاق : لا يكون الا في الازهان دون الأعيان » (٨)

تصحيح مذهب البصريين في الزمن المطلق :

وعليه يمكن القول بأنه هناك زمن مطلق بشرط الاطلاق لأن هذا النوع من الزمن لا وجود لها في الخارج وانما هو موجود في الازهان فقط لأن « المجردات — كما يقول ابن تيمية — هي الكليات التي تجردها النفس عن الأعيان الشخصية .. » (٩) « والمطلقات لا تكون مطلقة الا في الأذهان .. فاذا قدرت في النفس جسماً حساساً متحركاً بالارادة ناطقاً : كان هذا المتصور في الذهن مركباً من هذه الامور ، وان قدرت في النفس حيواناً ناطقاً كان مركباً من هذا وهذا ، وان قدرت حيواناً صاهلاً كان مركباً من هذا وهذا . وان قلت « ان الحقائق الموجودة في الخارج مركبة من هذه الصور الذهنية » كان هذا معلوم القساد بالضرورة . وان قلت « ان هذه مطابقة لها وصادقة عليها » فهذا يكون صحيحاً اذا كان ما في النفس علماً لا جهلاً » (١٠) وعليه فانا نستطيع القول بأن الزمن المطلق لا وجود له الا في الذهن اما في الخارج فالزمن هو هذه الحقيقة المعينة التي تتمثل في الاستمرار والحركة . كذلك يمكن القول بأن المصدر لا يدل على زمان وانما هو موجود ذهني تكون من ملاحظة أعيان الفعل في ا- . رج مثل ضرب بالفتح ويضرب وضارب ومضروب فالصبر وهو الضرب اسم مجرد من هذه الافعال المعينة في الخارج لا اسماً إلا على زمان مطلق ، ومن هنا يجوز الاشتقاق من المصدر كما يجوز الاشتقاق من الفعل لا على اعتبار انه دال على زمان

مطلق وانما على اعتبار انه اسم مجرد من افعال معينة في الخارج ، فيلزم من ذلك ان يكون الفعل هو الاصل المعين للمصدر كما قال الكوفيون وليس العكس .
وعليه يمكن القول بأن الادعاء بأن الفعل وحده هو أصل الاشتقاق أو أن المصدر وحده هو أصل الاشتقاق ، انما هو تحكم محض لا يقوم عليه دليل من واقع اللغة نفسها وهو الواقع الذي سنعرض له بعد حين .

أراء حديثة في أصل الاشتقاق :

بدأ الجدل حول أصل الاشتقاق في العربية مرة أخرى على يد المستشرقين ، وغيرهم من الباحثين العرب ، وهاك ملخص آرائهم في هذه المسألة .

رأى ولفنسون :

ذهب ولفنسون مذهب الكوفيين في القول بأن الاشتقاق لا يكون الا من الفعل وأسس رأيه هذا على دراسة مقارنة في اللغات فقال : « ان من خصائص اللغات السامية أن أغلب الكلمات مشتقة من أصل ثلاثي وثنائي وهذا الاصل فعل يضاف الى أوله أو آخره حرف أو أكثر .

نشأ من اشتقاق الكلمات من أصل هو فعل أن سادت العقلية الفعلية — إذا صح هذا الاستعمال — على اللغات السامية أي أن لأغلب الكلمات في هذه اللغات مظهرا فعليا حتى في الاسماء الجامعة والالفاظ الدخيلة من اللغات الاجنبية ، فقد اخذت هذه الكلمات مظهرا فعليا ايضا . وقد رأى بعض علماء العربية ان المصدر الاسمي هو الاصل الذي يشتق منه أصل كل الكلمات والصيغ ولكن هذا الرأي خطأ — في رأينا — لأنه يجعل أصل الاشتقاق مخالفا لاصله في جميع اخواتها السامية .

وقد تسرب هذا الرأي الى هؤلاء العلماء من الفرس الذين بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الأرية والأصل في الاشتقاق عند الأويين أن يكون من مصدر اسمي .

أما في اللغات السامية فالفعل كل شيء فنه تتكون الجملة ، ولم يخضع الفعل للإسم والضمير بل نجد الضمير مسندا الى الفعل ومرتبطا به ارتباطا وثيقا .

وعلى كل حال فنظرية العقلية في اللغات السامية هي نظريتنا الخاصة إذ لم ينشر اليها أحد من علماء الافرنج » (١١)

نقد فؤاد حسنين لادعاء ولفنسون :

وقد نقد فؤاد حسنين ادعاء ولفنسون بأنه صاحب اكتشاف (النظرية الفعلية) في الاشتقاق العربي فقال « ان هذا الرأي قد شغل العلماء وقتا طويلا فبعضهم أفرد له الابحاث العديدة في مجلات المستشرقين ، والبعض الآخر لم يقنع بذلك فكتب فيه الكتب الكثيرة وكان ذلك في القرن التاسع عشر ، فالنظرية العقلية ليست وليدة القرن العشرين وليست من نتائج قريحتك (يقصد ولفنسون) بل هي ثمار القرن التاسع عشر في اوربا ونتيجة من نتائج أبحاث جمهرة من أكابر مستشرقى المانيا » (١٢)

رأى كرملي وزيدان :

ذهب انستاس كرملي الى القول « بأن الثنائية Bilitteroliome هي

النظرية التي تقول بأن الاصول في العربية — وكذلك في اخواتها السامية — ليست هي الالفاظ ذوات الحروف الثلاثية ، بل ذوات الحرفين اذ من شأن الثلاثيات ان ترد الثنائيات » (١٣) .

وقد دافع جرجي زيدان عن هذه النظرية فقال : « الا لفاظ المانعة (ويقصد بها المحدودة الدلالة) الدالة على معنى في نفسها ، يعود معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية (أحادية المقطع) تحاكي أصواتا طبيعية [نسب ابن جني هذا القول الى بعض علماء اللغة ، فقال وذهب بعضهم الى ان أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعة ، كدوى الريح ، وحنين الرعد ...] (١٤) ، وتشتمل هذه الالفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منها ، واللغويون يردون كلا من الاسم والفعل الى اصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية ، ولا يردون هذه الأصول قابلة الرد الى أقل من ذلك وعندى أنها قابلة للرد ولو بعد العناء » (١٥)

رأى مراد كامل :

أيد مراد كامل رأى كرملي وزيدان بقوله « ان أقدم الأسماء صيغة في اللغات السامية هي الاسماء الثنائية ، وقد حافظت العربية على بنائها الأصلي في كثير منها غير أنها اشتقت من بعضها صيغا جديدة » (١٦) لكنه غير مقتنع بأن الأسماء الثنائية هي وحدها الأصل لذلك يقول « وهناك أسماء ثلاثية أصلية نجدها مشتركة في اللغات السامية وهي على الأخص أسماء الاشياء المادية المنظورة الملموسة منها للحيوان : الفر والذئب والإيل والثور والحمار والكلب

والخنزير والنسر والذباب ، ومنها للنبات : العنب والتوم والقثاء والكون ، ومنها : الأعضاء والجسم والرأس والعين والاذن والأنف والسن والشعر والشفة والظفر والركبة والذنب والقرن واللب والكلية والكتف ، ومنها لغير ذلك : السماء والشمس والارض والحقل والبئر والبيت والعمود والقوس والحبل والإناء .. وهذه الاسماء كلها لم تشتق من الافعال والدليل على ذلك :

١ — انه في كثير منها لا يكاد معناها ان يحتمل الاشتقاق من فعل أصلا ، فمن أى فعل تشتق أسماء كالذئب والقدم والرأس والارض ؟ ولماذا نفترض ان يكون هناك فعل أسبق من هذه الاسماء وأمثالها ؟ .

٢ — ان بعض هذه الأسماء تخالف الافعال التي يحمل معناها الاشتقاق منها مخالفة تامة مثل : الاذن فعلها السمع ، وكذلك العين وفعلها رأى .

٣ — لا نجد صلة بين اوزان هذه الاسماء ومعانيها ، حيث اننا نرى الاسماء المتقاربة في المعنى متقاربة في الوزن نحو : الثور والحمار ، او العين والاذن ، ولو اشتقت من افعال لكان لكل معنى وزن واحد بنيت عليه الاسماء او أوزان قليلة » (١٧)

ويذهب مراد كامل الى ان « بعض الصيغ الرباعية مثل فعلل قديمة جدا في اللغات السامية ومن اوزانه : عكبر وعقرب وأرنب وهي سامية الأصل .. وان كان لا ينبغي ان تكون الباء في عقرب وأرنب علامة الحققت للدلالة على معنى كل منها » (١٨)

كما يذهب الى ان الاشتقاق يقع كذلك من الافعال فيقول « من اسماء الاشياء المادية ما اشتق من الافعال مثال ذلك اسماء الآلة والمكان وهو سامى الأصل . ووزن مفعال للآلة أصله فعال ثم ألحقته به الميم . وفعال أقدم وزن لاسم الآلة في اللغات السامية ومنه : سنان ونطاق ولسان » (١٩)

ثم يذهب في نهاية الامر الى الاشتقاق بالنسبة للعربية بالغ المرونة حيث يقول « وأكثر اللغات السامية أمسكت عن اشتقاق الاسماء الجديدة في زمان قديم جدا إلا على القليل من الاوزان كالصادر والانساب فأصبحت جملة أسمائها محدودة ، لا يزداد عليها إلا القليل في المدة الطويلة ، فاشتقاق الاسماء فيها ميت أو يكاد . وداومت اللغة العربية تشق الاسماء الجديدة الكثيرة على الاوزان المتنوعة . وجار للشاعر ان يرثج استخدامها ، وكانت جملة الاسماء محدودة قابلة للزيادة والقصان في كل وقت ووجد عدد من الأسماء في الواقع وان لم يوجد في الاستعمال ثم جمع اللغويون الكلمات المروية في الشعر عند العرب وضبطوا معانيها » (٢٠)

ومما تجدر ملاحظته أن آراء مراد كامل في الاشتقاق ومرونته هي أدق الآراء انطباقا على حقيقة المادة المعجمية للغة العربية على نحو ما سنعرض له الآن . نظرة معجمية الى مصادر الاشتقاق :

حين ننظر الى المادة اللغوية بعيدا عن جدل النحويين نجد ان أصل الاشتقاق في العربية مرن الى اقصى درجات المرونة ، كما نجد ان الاشتقاق ليس عملية منطقية تنطلق من قواعد تحكمية مجردة ، وإنما هو عملية عقلية علمية تقوم على ملاحظة المناسبة بين المشتق والمشتق منه بصرف النظر عن نوع المشتق . حتى اننا لا نكاد نجد قيادا يمنع العرب من الاشتقاق من أية مادة معجمية ، كما اننا لا نكاد نجد مادة معجمية لم تكن عندهم صالحة كأصل للاشتقاق . سواء أكانت هذه المادة اسما أو فعلا أو حرفا (٢١)

١ — الاشتقاق في العربية يقع في الاسماء والافعال والحروف :

ولسنا نبالغ حين نقول ان تحكمات البصريين والكوفيين في أصل الاشتقاق كانت بلا معنى ولا تمثل واقع اللغة التي لم يعرف أصحابها هذه القواعد المنطقية التي وضعها اللغات وحاولوا صب اللغة في قوالبها ، فنحن نرى أصل الاشتقاق في المادة المعجمية لا يخضع لهذه القواعد ، وإنما يخفى على اساس ملاحظة المناسبة بين المشتق والمشتق منه . سواء أكان المشتق منه اسما أو فعلا أو حرفا . وذلك على النحو الآتي :

١ — الاشتقاق من الاسماء :

في المادة المعجمية لا يخضع الاشتقاق من الاسماء لقاعدة معينة فكل اسم قابل للاشتقاق ، وان كان ذلك لا يعني ان كل اسم يجب ان يشتق منه ، وإنما تلك مسألة متروكة للحاجة وظروف الاستعمال .

أ — الاشتقاق من أسماء العدد وأسماء الأزمنة : فن أسماء العدد : ثنيته أثنيته ثنيا ، صرت معه ثانيا ، وثنيته الشيء بالتثني : جعلته اثنين (المصباح المنير) ومن أسماء الأزمنة : الاصيل : الوقت بعد العصر الى المغرب ، وأصلنا :

دخلنا في الاصيل (لسان العرب)

ب — الاشتقاق من اسماء الاعيان :

١ — الأمكنة : الحرم ، واحرم القوم : دخلوا في الحرم (اللسان) السراب : المسلك في خفية أو الانسراب ، الدخول في السرب (اللسان) الشرق : ناحية طلوع الشمس ، وشرقوا ذهبوا الى الشرق ، او أتوا الشرق (اللسان) .

٢ — أسماء القبائل : قيس قبيلة من مضر : تقيس فلان : اذا تشبه بهم ، وتمسك منهم اما يحلف ، أو جوار ، أو ولاء (اللسان) .

٣ — أسماء الاقارب : الأب : أبوت وأبنت : صرت أبا ، وأبوتُهُ إِبَاوةٌ : صرت له أبا ، ويقال : ما له أب يأبوه : أى يقدوه ويربّه ، وتَأَبَّيتُ أبا : أى اتخذتُ أبا (اللسان) .

٤ — أعضاء الجسم : اشتق العرب من أسماء الاعضاء أفعالا ، اما تصرّحاً أو ضمناً ومن هذه الافعال اشتقوا المصادر وجميع المشتقات ، ومن ذلك :

الابطط : باطن المنكب : وتأبط الشيء : وضعه تحت ابطه (اللسان) .

الأذن : عضو السمع : وأذنه أذنا فهو مأذون : أصحاب أذنه على ما يطرده في الاعضاء ، وأذنه أذنة أى ضرب أذنه . ويقال : أذنت للشيء أذن له أذنا : اذا استمعت له (اللسان) .

ه — من الحيوان : الذئب : من الحيوان المفترس فيه حيث ودعاء وهو شبه الكلب في الجسم : وذئب الرجل ذأبة ، وذئب ، وتذأب : حيث كالذئب خبثا ودعاء . وذئب الرجل ، فرغ من الذئب ، وذأبته : فرغته (اللسان) .

من أشياء مختلفة :

الجيش : الجنود يسرون لحرب أو غيرها : يقال جيش فلان ، أى جنم الجيوش ، واستجاشه : أى طلب منه جيشا (اللسان) .

الحبل : الرباط : وحبل الشيء حبلأ شده بالحبل (اللسان) .

الخطام : كل ما وضع فيه أنف البعير ليقاد به : وخطمه بالخطام يخطمه خطأ ، وخطمه : كلاهما جعله على أنفه ، وكذلك اذا حز أنفه حزاً غير عميق ، ووضع عليه الخطام (اللسان) .

هذا قليل من كثير قصدنا منه التذليل على ان الاشتقاق من الاسماء على اختلافها كثير جدا ، ولا يقع تحت حصر ، ولا يتصور أن تكون هذه الأسماء نفسها مشتقة عن أفعال أو مصادر ، لأنه لا توجد لها موازين ثابتة ، ولا طرق واضحة في الاشتقاق يمكن أن نضع لها أقيسة مطردة ، كما هو الحال في الأسماء المشتقة من المصادر أو الافعال .

وما يقوى ان يكون الاشتقاق قد وقع في الاسماء ابتداء دون ان تكون هذه الاسماء نفسها مشتقة من مصادر أو أفعال ، أن العرب قد عربوا أسماء أعجمية ثم اشتقوا منها مصادر وأفعالا ومشتقا وذلك عندهم كثير جدا ، ولا يعقل أن يكونوا قد اشتقوا من أفعال ومصادر هذه الأسماء في مصابدها الأعجمية .

غاذج للاشتقاق من أسماء أعجمية :

الدَّرْهَم والدَّرْهَم لغتان ، فارسي أو يوناني (٢٢) معرب ملحق ببناء كلامهم ، ورجل مدرهم ولا فعل له : كثير الدراهم . حكاة أبو زيد قال : ولم يقولوا دَرْهَم . قال ابن جني : لكنه إذا وجد اسم المفعول فالفعل حاصل ، ودَرَهَمَتِ الحَبَّازِي : استدارت فصارَت على أشكال الدراهم فعلا وإن كان أعجميا ، قال ابن جني وأما قولهم : دَرَهَمَتِ الحَبَّازِي ، فليس من قولهم : الرَّجُلُ مَدَّرَهُم (اللسان) .

الفلفل : بالضم معروف لا ينبت بأرض العرب وقد كثر مجيئه في كلامهم . وقد فلفل الطعام والشراب .. وثوب مُفْلَل : إذا كانت دارات وشبه مثل استدارة الفلفل وصغره ، وخمر مُفْلَل التي فيه الفلفل ، فهو يحذى اللسان ، وشراب مُفْلَل : أى يلذع لذع الفلفل (اللسان) .

الاشتقاق من الاسم الرباعي :

وقد أجاز النحويون الاشتقاق من الاسم الرباعي ووقعه فيه . يقول جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مالك في كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو (فصل) « انفرد الرباعي بفعل لازم ومتعديا لمعنى كثيرة . وقد يصاغ من اسم رباعي » (٢٣) ويقول سيويه في هذا باب تمثيل ما بنت العرب من بنات الأربعة في الأسماء والصفات وغير مزيد ، وما لحقها من بنات الثلاثة كما لحقها في الفعل ما يأتي : « فالحرف من بنات الأربعة يكون على مثال فَعَّل ، فيكون في الأسماء والصفات ، فالأسماء نحو جعفر ، وعنبر ، وجندل ، والصفة : سَلَّه ، وجَلَّهَم . وعَلَّي ، ورعش ، وسبته ، وعَسَل .

وهذا النحو لأنك لو صيرتهن فعلا كن بمنزلة الأربعة ، فهذا دليل ألا ترى أنك حيث قلت : حَوَّلْتُ ، وَيَبْطَرْتُ ، وسَلَّقَيْتُ أجريتهن مجرى الأربعة » (٢٤)

٢ — الاشتقاق من الحروف :

وقع الاشتقاق في المعاجم من الحروف على اختلافها ، سواء أكانت حروفا للمعاني أو حروفا هجائية :

أ — حروف المعاني : من ذلك :

سوف : كلمة معناها التنفيس والتأخير ، قال سيويه : سوف : كلمة تنفيس فيها لم يكن بعد ألا ترى أنك تقول : سوفته ، إذا قلت له مرة بعد مرة ، سوف افعل (اللسان) ، فأنت ترى أن هذا الحرف قد جاء منه الفعل سَوَّفَ ويمكن تصريفا : يسوِّف : تسويفا وهو مُسَوِّف ...

نعم : قالوا : نَعَمْ الرجل ، إذا قال له نَعَمْ ، ونَعَمْ كقولك بلى ، إلا أن نعم في جواب الواجب ، وهي موقوفة الآخر ، لأنها حرف جاء لمعنى ، وفي التنزيل « هل وجدتم ما وعد

ربكم حقا ؟ قالوا : نعم ، ونعم الرجل : قال له نَعَمْ ، فينعم بذلك بالأ ، وأنتعم له : أى قال له نعم » (اللسان)

ب — حروف الهجاء : من ذلك :
حرف التاء : رجل تَأَناء على قَعْلَال ، وفيه تَأَناء : يتردد في التاء اذا تكلم . والتَأَناء
حكاية الصوت (اللسان) .

حرف الفاء : الفَأَاء على قَعْلَال الذي يكثر ترداد الفاء إذا تكلم ، والفَأَاءة حبة في
اللسان ، وغلبة الفاء على الكلام ، وقد فَأَأ ، ورجل فَأَأاً وفَأَاء (يمد ويقصر) ، وامرأة
فَأَاءة . قال الليث : الفَأَاءة في الكلام كأن الفاء تغلب على اللسان فتقول : فَأَأاً فلان في
كلامه فَأَاءة ، وقال المبرد : الفَأَاءة : التردد في الفاء ، وهو أن يتردد في الفاء إذا تكلم
(اللسان)

الاشتقاق من الأفعال :

لسنا في حاجة الى ذكر أمثلة من الاشتقاق في الفعل فهو أشهر أنواع الاشتقاق ، وقد
ادعى الكوفيون أن الفعل وحده هو أصل الاشتقاق ، وقد غلب رأيهم حتى أصبح هو
القاعدة التي قامت عليها الموازين الصرفية على نحو ما سنرى .
رأينا في أصل الاشتقاق :

واستنادا الى هذا العرض المعجمي يمكننا القول بأن الاشتقاق في العربية هو اشتقاق
شديد المرونة ، بحيث لا يمكن حصره في أصل واحد أو ضبطه في قاعدة ، وهذا الذي
نذهب اليه قد ذهب اليه بعض المحدثين كما سبق ان ذكرنا ، بل قد ذهب اليه القدامى ، فقد
ذكر السيوطي قول طائفة من المتأخرين اللغويين وهو : كل الكلم مشتق ، ونسب ذلك الى
سيبويه والزجاج ^(٢٥) . وهذا لا يكون الا اذا اعتبرنا أن كل الكلم صالح كأصل للاشتقاق .
والذي نراه هو أن الاشتقاق في العربية لا يرجع الى سبب وراء مناسبة المعنى بين المشتق
والمشتق منه ، فكون المشتق منه اسما أو فعلا أو حرفا لا دخل له في عملية الاشتقاق ذاتها ،
فليس هناك أصل وفرع وإنما هناك مشتق ومشتق منه حسب المناسبة ، وكما يقول تمام حسان
« الاشتقاق رد لفظ الى آخر لموافقة اياه في حروفه الأصلية ومناسبته له في المعنى » ^(٢٦) .
الدلالة الحضرية لمرونة الاشتقاق :

ولكن ما الذي تعنيه مرونة الاشتقاق في العربية من الوجهة الحضارية .. ؟
للإجابة على هذا السؤال علينا ان نحلى عقولنا من تضليل المصطلحات الغربية والذي
يتمثل :

أولا : في هذا الفصل التعسفي والغريب بين اللغة وأصحابها .
وثانيا : في التقسيم التعسفي للشعوب الانسانية الى بدائية ومتحضرة .
وثالثا : في تصنيف العرب قبل الاسلام — خاصة عرب الحجاز ونجد — في الشعوب
البداية على أساس من التقسيم التعسفي السابق للشعوب .
ورابعا : في المفاهيم المقاصرة للبداية والحضارة ، والتخلف والتقدم ، والرقى والتأخر ..
انما اذا فعلنا ذلك ، ونجحنا فيه فسوف نهدم حواجز اصطلاحية بيننا وبين الفهم الحقيقي
للشعر والتاريخ والحضارات بوجه عام وبيننا وبين الامة العربية التي حملت أمانة الاسلام
بوجه خاص .

ساعتها سوف تبرز أمام أعيننا القيمة الهائلة للغة العربية لا كأداة للتعبير فقط ، وإنما كقيمة حضارية على نفس الدرجة من الأهمية .

فأما الفصل التسعفي بين اللغة وأصحابها فانا لو نظرنا بعين العقل لا بعين التقليد فسوف يتبين لنا استحالة الفصل . لأن اللغة أى لغة ، إنما هي ترجان لعقول أهلها . وبيان عنها ، ولا نريد ان نخوض في قضية التوقيف والوضع في اللغة ، والتي خاض فيها القدماء ، فذلك حديث طويل ليس هنا مجاله وإنما نقول بأنه قد ثبت بالخبر الصادق عن رب العالمين ان اللغات في اصلها كانت تعلما من الله . قال تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » البقرة : ٣١ ، وقال « خلق الانسان علمه البيان » الرحمن : ٣ ، ٤ .

أما نمو اللغات وتشعبها ، وإزدهارها وتقدمها ، أو ضمورها وإنزوائها . وبمعنى آخر حياتها وموتها . إنما هو رهن بأصحابها وعقولهم وظروفهم ، لهذا ما أدركه علماء اللغات اليوم بالبحث والاستقراء والمقارنة . يقول عبد الواحد وافي « في الامم البدائية الضعيفة التفكير ، المنحطة المدارك تفرز الكلمات الدالة على المحسات والامور الجزئية ، وتندعم أو تنقل الأنفاظ الدالة على المباني الكلية ، وتخلو دلالة المفردات من الدقة والضبط فيكثر فيها الخلط واللبس والإبهام ، وتخلو القواعد أو تكاد من التصريف والاشتقاق وربط عناصر الجملة ، والعبارة بعضها ببعض ، ويضيق من اللغة فلا يتسع لأكثر من ضروريات الحياة . وفي كثير من الامم البدائية ينعكس في اللغة من مظاهر الاضطراب والابهام ما تحتاز به عقليات الناطقين بها من سذاجة وقصور . حتى انها لا تكاد وحدها تبين عن معنى واضح وثيق .. » (٢٧) ، وقدima أدرك ذلك الامام الجليل ابن تيمية في مقارنته لمنطق اليونان وفلسفتهم بلغة العرب والاسلام فقال « ان العقول اذا اتسعت واتسعت تصوراتها اتسعت عباراتها ، واذا ضاقت العقول والعبارات والتصورات كان صاحبها كأنه محبوس العقل واللسان ، وهذا ما يصيب أهل المنطق اليوناني .. » (٢٨)

أما عن تقسيم الشعوب الى بدائية وحضارية فانا نرفض هذا التقسيم أصلا ، لانه مبني على اصل باطل وهو القول بالتطور بالمفهوم الاحادي الحديث والذي يذهب الى ان الانسان مجرد تطور للمادة الحية بمقتضى قوانين ذاتية تترقى بمقتضاها المادة من حالة الى حالة بصورة تلقائية خالصة لا تخضع فيها لاله خالق مدبر ، وينكر هذا المفهوم الخبر الصادق عن رب العالمين والذي يقرر في صورة قاطعة ان آدم عليه السلام هو أبو البشر خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء وهداه الى الحق ...

ونحن لا نرى الخبر الصادق عن الله بتخيلات الملحدين ، ولا يعني ان يكون هذا التقسيم هو الاصل المستقر اليوم في الدراسات التاريخية والحضارية ، لأن هذه الدراسات إنما انطلقت جميعها من مفهوم التطور الذي ينطلق من الايمان بالمادة الخالقة التي نكفر بها ونؤمن دونها بالله صاحب الخلق والأمر .

إننا لنا كمسلمين بناء على تعليم من ربنا منهج خاص في قراءة التاريخ يسير في عكس الاتجاه الذي يسير فيه التطوريون فبما يتعلق بحركة التاريخ وأصل الانسان وحقيقة الادبانيات

ليس هنا مجال بسطه وحسبنا ان نشير الى ان حركة التاريخ ليست هي بالقطع ما قال به اوجست كونت صاحب قانون المراحل الثلاث في التاريخ الانساني . والتي تابعه فيها تلميذه دوركايم ثم شاعت في الدراسات التاريخية والحضارية . ويكفيها هنا تعليق يوسف كرم « يفسر دوركايم المؤسسات والقواعد الاجتماعية طبقا لنظرية التطور . فيبدأ بأبسط الصور ويسمى الجماعات التي تلاحظ عندها الصور بالبدائية ، في حين ان المنهج العلمي يقضى بالقول بأن الحالة المسماة بدائية هي أبسط ما وصل الى علمنا من حالات لأنها الحالة الاولى تاريخيا . إذ قد تكون الانسانية بدأت على حالة عقلية متقدمة ، وقد تكون الجماعات التي نعتبرها الآن بدائية منحدره من جماعات متحضرة زالت عنها الحضارة فالاجتماعيون يعددون البسيط قديما وليس هذا بالضرورة ، ويعتقدون أنهم يؤيدون مذهب التطور وهم إنما يقبلونه مبدئيا » (٢٩)

أما بالنسبة لتصنيف العرب قبل الاسلام في الشعوب البدائية (خاصة عرب الحجاز ونجد) فذلك جهل يجب ان نستعيذ بالله من شره .

ولست اريد هنا أن اتكلم عن حضارات اليمن وحضرموت أو حضارات العراق والشام ومصر فذلك موضوع سبق الى تقريره الغربيون أنفسهم ، انما اتكلم عن عرب الحجاز ونجد او عن الاستماعيليين الذين بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيهم ومنهم ، وبلغهم نزل القرآن ، وبهذه اللغة نحتاج لهم في هذا البحث .

ونقول جهل نستعيذ بالله من شره لانه جهل يؤدي الى خلل في الاعتقاد ، اذ من الثابت بنصوص القرآن والسنة ان هؤلاء العرب أبعد الناس قاطبة عن البدائية حتى بالمفهوم الحديث ، فهؤلاء العرب — كما توازرت بذلك نصوص الكتاب والسنة — هم ابناء اسماعيل ابن ابراهيم عليها السلام أى أبناء أنبياء علماء حكماء ، يعد أبوهم إبراهيم فاصلا في تاريخ البشر عقليا ودينا ، فعل لسانه ظهر كمال العقل الانساني في استدلاله المشهورة التي رواها القرآن الكريم . وسمى الله تعالى هذا الاستدلال حجة على الوثنيين علمه الله إياها قال تعالى « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه .. » وعد الله تعالى هذه الحجة درجات في الفضل الانساني « نرفع درجات من نشاء .. » الأنعام : ٨٣ فأبراهيم عليه السلام هو أكمل البشر عقلا ودينا بعد محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله أمة وحده « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعمه اجتباها وهده الى صراط مستقيم » النحل : ١٢٠/١٢١ .

وقد نص الله على اجتباها ابراهيم عليه السلام واصطفائه والإصطفاء من ذريته فقال « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » آل عمران : ٣٣ .

والرب هم أبناء ابراهيم من اسماعيل عليها السلام ، واسماعيل هذا هو الذي قال الله في وصفه « واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد ، وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » مريم : ٥٤/٥٥ .

أما بالنسبة لمفاهيم البدائية والحضارة ، والتقدم والتخلف ، والرقى والتأخر فان علينا ان

نعرف ان هذه المصطلحات ليست متزيلا من حكم حميد يتحتم علينا التسليم به وإنما هي مصطلحات ورناتها من الفلسفة الاغريقية قديما ومن الفكر الغربي حديثا ، وتحديد هذه المصطلحات يقوم على تصورات تنبثق من واقع المجتمعات الغربية وظروفها ، ولم تأت تحديد هذه المصطلحات نتيجة استقراء حقيقى لانماط الحياة الانسانية ونشاطها ، ولم تأت من دراية كاملة بمحركة التاريخ الانسانى فى ظروفه المختلفة ، كما انها لم تأت من قواعد عامة مطردة تصلح للتطبيق فى كل الظروف ومع كل الشعوب .

ففهوم الرقى الفكرى مثلا فى اصطلاح الغرب القديم ينحصر فى الفلسفة والمتفلسفين والفلسفة فى شكلها النهائى . وان كانت تستند الى جذور فى التفكير الانسانى ، بمنطقها الخاص هى صناعة وضعية خاصة بالاغريق ، وتناسب مع نوع النشاط العقلى الذى أتيح لهم ممارستها ، اما بالنسبة لنا فإن نشاطنا العقلى منذ أقدم العصور قد أخذ اتجاهها خاصا ، وأصبح له نمط خاص تعبر عنه لغة اصطلاحات مختلفة .

ويكفى دلالة على فساد الاصطلاح وخصوصيته ان يكون الفيلسوف الذى عرفه تاريخ الغرب فى هذا الاصطلاح ارقى عقلا من النبى الذى عرفه تاريخنا .. !! ، وهذا مرفوض دينا وعقلا . أما مصطلح التقدم والتخلف الحضارى فيكاد يرتبط فى الاصطلاح لحديث — رغم المحاولات الجارية لتوسيعه — بالتقدم المادى .. ومن الغباء ان نساق وراء تضليل هذا المصطلح فنحاول ان ندافع عن تاريخنا بانه عرف التقدم المادى ، فذلك الدفاع وان كان يمثل حقيقة تاريخية الا انه يؤدى الى نتائج شديدة الخطورة لانه يقدم الابداع المادى على الرقى الاخلاقى الذى يمثل الاساس فى تقدمنا الحضارى ، والذي يعطينا على الغرب المادى ميزة لا تعادلها ميزة اخرى ، ان من شأن الانساق الأعمى وراء هذا المفهوم - ونحن ننبه هنا الى ان لا ننكر قيمة الرقى المادى فى اطار اخلاقى معين ، ولا نقلل من قيمته — يجرنا دون وعى الى احتقار الجانب الاكثر قيمة فى تاريخنا .

اننا اذا طبقنا هذا الاصطلاح بمفهومه المادى على تاريخنا فسوف نسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير الخلق ، ونسلك اصحابه وهم خير جيل من البشر فى عداد المتخلفين حضاريا ، وذلك لانهم عاشوا حياة مادية بسيطة خالية من التكلّف او التعقيد فى المأكل والمشرب والملبس والسكن وطرائق الحياة المختلفة ، مع اننا انطلاقا من مفهومنا الخاص للحضارة نتخذ من هذا المظهر دليلا على سمو الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وعلى نبيلهم وعظيم خلقهم .

اننا بهذا المفهوم لا نسيء الى تاريخ الاسلام وحده وانما نسيء الى تاريخ الانسانية كلها اذ نهدر بذلك قيمة اخلاقية قدرتها واجلستها الانسانية عبر تاريخها وفى جميع عصورها وفى مختلف أديانها وهى قيمة الزهد فى عرض الدنيا وأشياءها ومتاعها وأدواتها لا عن جهل بها ، ولا عن عجز عن استهلاكها ، ولكن ادراكا لقيمتها الحقيقية وهى التغير والزوال ايثارا لما هو أبقى وهذه أعلى مراتب الادراك ، والقدرة على ضبط النفس وهى ارقى مراتب الاخلاق ايضا ..

ان علينا ان نستعيد ثقتنا في انفسنا والتي فقدناها امام ضغط الفكر الغربي والحضارة الغربية ، اننا ان فعلنا ذلك نخلصنا من أسر المصطلحات ، التي استبدت عقولنا لحساب فكر الغرب وحضارته ، هذه المصطلحات التي لا تمثل مقياسا انسانيا شاملا تقاس به الافكار والمعتقدات والحضارات — كما يزعمون — ، وانما تمثل وجهات نظر خاصة للافكار والمعتقدات والحضارات تمثل عقول مبتدعيا ، وقد توافق الحق او تخالفه فيها يتعلق بالآخرين . لو وثقنا في انفسنا لتحررنا ، ولو تحررنا لرأينا الاشياء على حقائقها ، ولعرفنا انفسنا على حقائقها ، ولرأينا هذا العالم الباهر الذي تمثله لغة العرب ، والذي يمثل فكرا وحضارة وخلقا قل ان يوجد لها نظير ... هذا العالم المظهور تماما تحت ركام المصطلحات ، كما تظهر الآثار المادية تحت ركام التراب .

تقدير الباحثين المحدثين لمرونة الاشتقاق في العربية :

فلننظر في ضوء هذه الاعتبارات لقيمة الاشتقاق في العربية كما تعترف بها الدراسات اللغوية المقارنة في العصر الحديث بقول تمام حسان « ان الصيغة التي بنى عليها الاشتقاق او اميزان الصرفي للكلمة يكشف لنا عن خاصية تكاد تنفرد العربية بها ، وتدخل الصيغة في الجدول كما تدخل الامثلة — أي الكلمات التي توزن عليها — فنحن نستطيع ان نصرف الصيغة من غير الاستعانة بأمثلتها ، وهذه خاصية من خواص اللغة العربية ، وربما كانت في اللغات

السامية ايضا ، مثال ذلك :

أنا	افعلت	افعل
نحن	افعلنا	نفعل
أنت	افعلتَ	تفعل
أنتِ	افعلتِ	تفعلن
أنتما	افعلتما	تفعلان
أنتم	افعلتم	تفعلون
أنن	افعلن	تفعلن
هو	افعل	يفعل
هي	افعلت	تفعل
هم	افعلوا	يفعلون
هن	افعلن	يفعلن

ومثل هذا يمكن ان يتم مع كل صيغة من صيغ الافعال ، فتكون نتيجة ذلك تصريفا في داخل (مورفيم) الافعال ، بحسب اختلاف الضمائر الشخصية التي يعبر منها عن (مورفيم) آخر ، هو المتكلم او الخطاب او الغيبة ، مع (مورفيم) الافراد او التثنية او الجمع . واكتفاء الصرف بالصيغة ، كاكتهاء الاصول بالصوت واكتفاء التشكيل بالحرف والمقطع ، هو استكفاء غرضه التحليل ، والا فليست هذه الا مفهومات منهجية ، لا تعبيرات باللغة . ونحن لا نتكلم اصواتا ، ولا حروفا ، (ولا مورفيمات) ، ولا صيغا ، وانما نتكلم جملا

مفيدة مركبة من هذه الاجزاء التحليلية ، التي يعتبر النظر المنهجي مسئولاً عن اكثرها حيث يتغلفها باعتبارها وسائل نفسية ، وادوات لتناول مادة اللغة تناولا يبنى على منهج خاص . فالصيغة جزء من المنهج لا من اللغة نفسها ، انك تقول « خرج محمد بالامس » فتتكلم عن شرط اللغة . ولا تقول « فعل مُقْعَلٌ بِالْفَعْلِ » لأن هذا ليس من اللغة . واللغة العربية محظوظة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية ، لأن هذه الصيغ تصلح لان تستخدم اداة من ادوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق ، وتشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الاساس الذي يمكن به ان تحدد الكلمات . والباحثون في لغات غير لغاتهم جديدة عليهم يعانوا النصب والمشقة في سبيل هذا التحديد . فيحسدون الى كل الوسائل الممكنة يستخدمونها في هذا الغرض ، ويظهر القسر والصف في استخدامها واضحا ، فأما اتخاذ الصيغة الصرفية أداة من أدوات خلق الحدود بين الكلمات في السياق ، فيزة اللغة العربية من كبريات ميزاتها التي تفتخر بها . وتساعد الصيغة في الاعم الاغلب على تحديد الباب ايضا ، ذلك لان معناها الوظيفي هو (المورفيم) و (المورفيم) نفسه تعبير عن الباب ، فكان الباب احد معاني الصيغة غير المباشرة ، ومعنى هذا الكلام اننا اذا اخذنا « فاعل » فسنجد كل ما على مثالها داخلا في باب الفعل الماضي الذي يدل غالبا على المشاركة ، ونقول غالبا احترازا من « سافى » ، فالصيغة هنا دللت على النسب الى قسم من اقسام الكلام ، وهذه ميزة من ميزات اللغة العربية ايضا واعتماد هذه الدلالة هي ما يسميه علماء اللغة بالتحديد الجرامايطي : « Gramatical designation »

المزايا اللغوية هي مزايا عقلية :

ولكن من أين جاءت هذه المزايا اللغوية في الاشتقاق وفي اللغة العربية ، هل هذه المزايا تابعة من اللغة ذاتها ، ولازمة عنها ؟

لو قلنا بذلك لوقمنا فيما يقع فيه الملمحدون في الله ، حين يردون مزايا الطبيعة الى الطبيعة ذاتها ، ويقولون انها لازمة عنها بمقتضى قوانين ذاتية ، ففسروا الماء — كما قال شاعرنا — بعد الجهد بالماء ، وظنوا انهم بذلك قد حلوا معضلة الكون ، وهم لم يزد الامور الاحبالا ، فأثبتوا بذلك خيال عقولهم — وهم يظنون في انفسهم انهم عباقرة الدنيا — ذلك ان اى عاقل سلم عقله من الخيال لا بد وأن يرد الآثار الى (فاعل ، مريد ، عالم ، قادر) ، فان قانوا نحن نقول بالفاعل المريد العالم القادر ، ونقول : هو الطبيعة ، قلنا لهم زدتم الامور خيالاً لانكم قد جعلتم الاثر علة ذاته ، وهذا هو عين الخيال .

ولما كانت اللغة أثراً ليس علة نفسه وليس فعلاً مريداً علماً قادراً يبداهه لزمن من ذلك ان يكون معلولاً لفاعل خارج عنه ، ولما كان العقل المبين كما خلقه الله تعالى هو علة اللغة كما ان الله الفاعل المريد العالم القادر هو علة العالم والانسان ، لزمن من ذلك أن تكون اللغة وآثارها ، معلولة بصانعتها ومبدعها وهو عقل الانسان الذي منحه الله القدرة على الابداع والاختراع ، ولا يعنى هذا مضاهاة قدرة الله بقدرة البشر . تعالى الله عن ذلك ، وانما يعنى القول بأن الله الذي يملك قدرة لا تحدها الحدود قد منح الانسان — فضلا منه وكرما — ان

قدرة محدودة وإرادة محدودة وعلمًا محدودًا ، يستطيع من بواسطتها ان يصنع وان يفعل في حدود هذه القدرة الممنوعة من الله .

ومن ثم ففزية الاشتقاق في اللغة جاءت من مزية العقل الذى تصرف بها . والمزية او المزايا العقلية التى يترجم عنها الاشتقاق في اللغة العربية تتمثل فى مرونة عقلية عظيمة . وطاقة واسعة من الخيال القادر على ادراكه مختلف العلاقات الدقيقة . والمتناسبات المتنوعة بين الاشياء والاشياء ، وبين الاشياء والمعانى ، وبين المعانى والمعانى . ثم مقدرة على التمييز الدقيق بين درجات هذه الفروق ، دون اضطراب او خلط ، ثم استيعابها جميعا فى وقت واحد دون قصور او اعياى ، او ارهاق ، مع ارهاق بالغ فى الحس يلمع ما خفى . وما دق من الفروق والدلالات . والاشارات . هذا الارهاق البالغ فى الحس هو الذى ولد هذه القدرة الهائلة على التجريد ، الذى يحتزل التفاصيل . ويجرد الاشياء من خصوصياتها ليردها جميعا الى اصول عامة مشتركة لا تضعح فيها النسب والابعاد . هذه القدرات هى التى وسعت حدود الاشتقاق الى أبعد مدى ، وفتحت الباب لهذه الصيغ الصيغ المجردة التى لا يحتاج الاشتقاق فيها لكى يتغير المعنى الى أكثر من زيادة : حركة لتعطينا كلمة جديدة مثل : عليم ، وعلم .

أو مادة مثل : طالب وطلب ، او زيادتها معا مثل : ضارب وضرب .

أو نقصان مثل : قرس وقرس ، او نقصان مادة مثل : ثبت وثبات .

أو نقصانها معا مثل : تزا وتزوان ، او نقصان حركة وزيادة مادة مثل : غضبى وغضب .

أو نقص مادة وزيادة حركة مثل : حرم وحرمان ، او تغير حركتين مثل : بطر بظرا .

أو نقصان حركة وزيادة اخرى وحرف مثل : اضرب من الضرب .

أو نقصان مادة وزيادة اخرى مثل : راضع من الرضاعة ... (٣٢)

عن طريق هذه التغيرات البسيطة امكن اشتقاق مئات الألوف من الصيغ . وفتح باب القياس لتستمر العربية فى نموها وازدهارها على نفس الاساس عبر الاجيال والعصور . وفى مختلف الظروف . وعن طريق هذه الامكانيات الهائلة اتسعت العربية للقرآن والاسلام ومختلف العلوم والفنون والصناعات . وما زالت قادرة على ان تتسع أبدا الدهر لكل جديد من المعارف .

وما كان هذا الاتساع فى اللغة الا كما قال ابن تيمية بحق بسبب اتساع عقول أهلها واتساع تصورات هذه العقول .

فاذا جاء اليوم من يشكو من ضيق العربية وعجزها عن استيعاب مصطلحات العلوم والفنون والصناعات الحديثة ، فانا نرد عليه بان هذا المعجز ليس عجزا فى اللغة ، وانما هو عجز فى عقول ابناءها ، نتج عنه ضيق فى اتساع هذه العقول ، وضيق فى اتساع تصوراتها . وذلك بسبب ركون هذه العقول الى الكسل ، وكفها عن الابداع ، واضرابها عن الدرة والمرانة ، وانقارها الى الحياة والحركة ، وانقارها الى الاستقلالية . وركونها الى التقليد الذليل .

نخرج من كل ما سبق الى القول بأن المزية اللغوية في الاشتقاق وغيره من خصائص العربية الباقية ، هي شاهد لا يكذب على عظمة العقلية العربية واتساعها ورفقها وإبداعها ، وهي في نفس الوقت شاهد على ان هذه العقلية قد قطعت قبل الاسلام شوطا طويلا في التقدم والرفق عبر الممارسة والدربة والمران الى ان اكتملت فيها هذه الخصائص ونمت فيها هذه القدرات والملكات على أوقافها واتمها وأبدعها من الحظ المقدور للعقل الانساني .
وعليه نستطيع القول بأن اللغة العربية هي شاهد تاريخي اوثق من كل الشواهد التاريخية على حضارة اهلها ورفق عقولهم ، وعلينا منذ الان ان نبحث عن حضارة الاسماعيليين في هذه الوثائق اللغوية التي هي اكثر دلالة على العقل. من دلالة آثار العمران ، لان اللغة هي البيان ، ولان البيان هو ترجان العقل ، الذي ميز الله به الانسان عن سائر المخلوقات ؟
محمد رشاد محيل

مراجع وردت الإشارة إليها في البحث

- ١ - (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحلیم ، تقى الدين ، أبو العباس (٦٦١ - ٧٢٨) ١ - موافقة صحيح المقول لصريح المعقول - تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، وحامد الفقى - مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م . ٢ - الرد على المنطقتين - ادارة ترجمة السنة - لاهور باكستان ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ٢ - (ولفسون) - اسرائيل - تاريخ اللغات السامية - مطبعة الاعتماد - القاهرة ، ١٩٣٩ .
- ٣ - (كرملى) - انتاس ماري ، الاب - المعجمة العربية على ضوء الثنائية والالسنه السامية - مطبعة الآباء - القدس ، ١٩٣٢ م .
- ٤ - (دكتور) - تمام حسان - مناهج البحث في اللغة - الانجلو المصرية - القاهرة ، ١٩٥٠ م .
- ٥ - (السيوطي) - جلال الدين ، عبد الرحمن (٩١١ هـ) - المزهري في علوم اللغة - الحلبي - القاهرة ، ١٩٤٥ م .
- ٦ - (ابن جنى) - عثمان ، ابو الفتح (٣٩٢ هـ) - الخصائص - الهلال - القاهرة ، ١٩١٣ م .
- ٧ - (الأثيري) - عبد الرحمن ، كمال الدين ، أبو البركات (٥٧٧ هـ) - الانصاف في مسائل الخلاف - لندن ، ١٩١٣ هـ .

- ٨ — عبدالله أمين - الاشتقاق - لجنة التأليف - القاهرة ١٩٥٦
- ٩ — (دكتور) علي سامي النشار ومناهج البحث عند مفكرى الإسلام دار المعارف مصر . ١٩٦٦
- ١٠ — (دكتور) علي عبد الواحد والي — اللغة واجتماع — الحلبي — القاهرة ، ١٩٤٦ م .
- ١١ — (سيويه) عمرو بن عثمان بن منير ، ابو بشر (— ١٨٠ هـ) — كتاب سيويه — الأميرية — القاهرة ، ١٣١٦ هـ .
- ١٢ — (دكتور) فزاد حسنين — تاريخ اللغات السامية — كلية الآداب ، جامعة القاهرة .
- ١٣ — (فندريس) ج — اللغة — تعريب الدواخل والقصاص — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة .
- ١٤ — (ابن فريد) محمد عبد الحسن ، أبو بكر (— ٣٢١ هـ) — جهرة اللغة . حيدر آباد ، ١٣٤٤ هـ .
- ١٥ — (ابن منظور) محمد بن مكرم ، جمال الدين (— ٧١١ هـ) — لسان العرب ، الأميرية — القاهرة ، ١٣٠٠ هـ .
- ١٦ — (الحدادى) موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ، أبو منصور (— ٥٤٠ هـ) — العرب من الكلام الأعجمى — دار الكتب — القاهرة ، ١٣٦١ هـ .

الفينيقيون واسهاماتهم الحضارية

للدكتور حسن عبد العزيز أحمد
أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا - جامعة الرياض

من هم الفينيقيون ؟

لم تكن معلوماتنا عن هذا الشعب العظيم . قبل الاكتشافات الأثرية التي أميط عنها اللثام في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي . سوى أخبار نعرف عليها من كتابات أقوام آخرين مثل الاغريق والرومان وغيرهم من الشعوب الاخرى التي كانت لهم علاقات وصلات مع الفينيقيين .

ولما كان معظم انتاج الفينيقيين الأدبي قد اندثر ولم يبق الا أقل القليل فليس من المستغرب إذن أن نشوه صورة الفينيقيين الى حد كبير في المصادر اليونانية وغيرها . وعلى سبيل المثال يصف المؤرخ اليوناني « بلوتارخ » Plutarch « الفينيقيين بالاستبداد والحق ، وفي القرن الثاني الميلادي نعتهم « أبيان » Appian « اليوناني بأنهم قوم قساة جفاة في حالة قوتهم . واذا ما انتابهم الضعف فهم أذلاء ويتصفون بالخنوع ^(١) . ومن بين الذين كتبوا عن الفينيقيين نجد بعض المتصفين مثل « بومبونيوس الاسباني » Pomponius « الذي وصف الفينيقيين في القرن الأول الميلادي فقال :

« ان الفينيقيين سلالة ذكية ، متفوقون في الحرب والسلام ، وبارعون في الكتابة والأدب والفنون الأخرى والملاحة والمعارك الحربية وفي ادارة امبراطوريتهم » .^(٢١)
وحتى الآن لم نعتز على وثائق فينيقية مكتوبة توضح لنا علاقات الفينيقيين بالشعوب الأخرى مثل المصريين والآشوريين ، أو أن تبين لنا أساليب الفينيقيين التجارية مع جيرانهم ورحلاتهم البحرية والمناطق التي وصلوا اليها ومنجزاتهم الفنية والصناعية .
وهكذا ينبغي علينا كباحثين أن نتعامل مع ما نقرؤه عن الفينيقيين في المصادر المختلفة بشيء من الحذر .

لقد عاش الفينيقيون على الشريط الساحلى الشرقى للبحر الأبيض المتوسط والذي يمتد من طرطوس شمالا حتى جبل الكرمل جنوبا . ول هذه المنطقة أهمية جغرافية كبرى حيث تقع بين مهادين من مهدود الحضارات القديمة ، فالى الجنوب تقع مصر والى الشرق تقع بلاد ما بين النهرين ، وشغلت الرقعة التى عاش فيها الفينيقيون أجزاء من الهلال الخصيب وفلسطين وسوريا ولبنان . وتأثرت نتيجة هذا الموقع بالمؤثرات الثقافية من مصر وبلاد بابل .
ولقد أطلق الانجيل اسم الكتعانيين على السكان الذين كانوا يقطنون هذه الرقعة الساحلية التى شغلها « فينيقيا » . وتاريخ وصول الفينيقيين الى تلك المنطقة غير معروف على وجه التحديد . ولكن الامر المؤكد ان هناك هجرات سامية من شبه الجزيرة العربية ومن منطقة الخليج العربي بالتحديد^(٢٢) قد توالى صوب ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وقد تمت الهجرة السامية الأولى فى سنة ٢٣٥٠ ق.م تقريبا أى منذ أكثر من ثلاثة وأربعين قرنا . وقد اتجهت هذه الهجرة صوب الشمال الى العراق وأسست دولة الأكاديين جنوبى العراق . أما الهجرة الرئيسية الثانية فتتمثل فى تدفق العموريين فى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، وفى نهاية العصر البرونزى اندفع الآراميون صوب بلاد الشام فيما يوصف بالهجرة السامية الرئيسية

الثالثة . ومن المؤكد ان هناك هجرات سامية أخرى حدثت قبل الميجرتين الساميتين الاخيرتين كما تؤكد الادلة الأثرية .

وتشير رسائل تل العمارنة انه فى مستهل القرن الرابع عشر قبل الميلاد اطلق سكان كنعان على أنفسهم الاسم الاكادى « كيناهو Kinahu أو كيناو Kinahu أو كيناهنا Kinahna »^(٢٣) . وتعنى كلمة « كنعان » فى اللغة العبرية « التاجر » وتنطبق هذه الصفة تماما على الفينيقيين .^(٢٤)

وفى حديثنا عن الفينيقيين نتساءل من أين جاكت هذه التسمية التى اشتهر بها هذا الشعب الكنعانى حتى طغت على اسمه الأصيل ؟

نوجز الآراء التى قبلت بصدد تفسير هذه التسمية على النحو التالى :

١ — هناك رأى يرى ان الاغريق اللذين كانت لهم صلة بالفينيقيين فى أواخر الألف الثانية قبل الميلاد هم اللذين أطلقوا هذه التسمية . ويرد ذكر Phoenix « فى أشعار هوميرو ، ويبدو ان هذا الاسم يدل على اللون الأحمر الغامق أو البنى . ثم انتقلت التسمية الى شجرة النخيل Phoenix dactilifeva التى تتميز بثمارها الحمراء . وقد أطلق

الاغريق هذه التسمية على الكتانين لانهم بشر ذوو بشرة بنية .^(٦)

٢ — يعتقد بعض الباحثين ان اسم الفينيقيين قد اشتق من صبغة حمراء أو أرجوانية تستخلص من محاربات أو أسماك بحرية هي Murex Wheelk والتي كانت تستخدم في صيغ الأقمشة الجميلة التي اشتهر الفينيقيون بصيغها .^(٧)

٣ — استخدم الرومان تسمية « بوني Poeni » للدلالة على القرطاجيين وهذه التسمية اشتقاق لاثني من الاسم الاغريقي الاصل Phoenix . وقد كان الرومان يفرقون بين « البونيين » الغربيين و « الفينيقيين » الشرقيين رغم اعترافهم بوحدة أصلها .

٤ — ويرى عبد الحق فاضل ان اسم قينيقيا مشتق من اسم الفينيقيين ، وأن اسم الفينيقيين محور من « بنى كنعان » ويعمل ذلك بأن اللاتين كانوا يسمون الفينيقيين والقرطاجيين Punicus كما تشهد بذلك المعاجم والمأثورات وأن القرطاجيين كانوا يسمون أنفسهم « بنى كنعان » كما تصرح بذلك رنهامه^(٨) عثر عليها في البرازيل ، ومكتوب عليها باللغة القرطاجية عام ١٢٥ ق.م ما ترجمته بالعربية :

« هنا نحن بنى كنعان من فرايم حملنا الحقارة ، أليس حراما أن نحصل هكذا » .

وقد أخذ اللاتين عن الاغريق صيغة التسمية Phoenices بالفاء . ثم نتيجة الاحتكاك المباشر بالفينيقيين — بنى كنعان — وجدوا أن الأصوب أن تنطق بالباء لا الفاء فقالوا

Punicus Poenicus Poeniceus^٩

Poeni و

كيف كون الفينيقيون دولتهم ؟

تتميز سهول ساحل البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، حيث أقام الفينيقيون دولتهم ، بكثرة الكتل الجبلية المفرقة والتي تعوق استمرار الاتصال بين أجزائها ، وقد أدى ذلك الى قيام مجموعة من المدن كانت كل مدينة منها دولة قائمة بذاتها ، ويطلق على هذا النمط من الدول « الدولة المدنية » . وبطبيعة الحال كانت هذه الدول المدنية صغيرة وضعيفة عسكريا وغير مستقرة سياسيا ومرارا الزمن استطاعت بعض المدن القوية أن تفرض سيطرتها على المدن الأقل قوة حتى انتهى الأمر باتحادها .

ولما كانت فينيقيا تواجه البحر من الغرب وتواجه جبالا عالية من الشرق ، فقد اتجه

سكانها نحو البحر يعيشون على أسماكها في بداية الامر ثم اتخذوه سبيلا للتجارة مع الأقطار المطلة عليه حتى برعوا في هذا المجال وساعدتهم على ذلك أمور نذكر بعضها منها : ألفتهم للبحر الذي عاشوا على شواطئه ، ووفرة أخشاب الأرز على الجبال المجاورة لهم مما مكّنهم من استخدامها في صناعة السفن ، وكان لصفاء السماء أثر كبير في استماتة الفينيقيين بالنجم القطبي في أسفارهم .

وقد سعت المدن الفينيقية الى استغلال موارد بيئتها المحيطة بها ، واختلفت عما يسود في مجتمعات الدول المجاورة في انها (أى المدن الفينيقية) كانت مجتمعات حضرية اقتصاديا وسياسيا . وكانت جبلا Gubla (جبال الانجيل وجبيل الحديثة) أول مدينة تظهر في فينيقيا . وقد عرفت جبلا عند الاغريق باسم بيبيلوس Byblos الذى اشتقت منه كلمة Bible « وتعنى كتابا » وذلك لأن مدينة بيبيلوس كانت مركزا لأوراق البردى التى شاع استخدامها آنذاك فى الكتابة .^(٩) وجدير بالذكر ان تشير الى أن مدينة بيبيلوس هى المدينة الوحيدة التى لقيت اهتماما من علماء الآثار وحظيت بعدد من عمليات التنقيب . وقد ظهرت بعد بيبيلوس مدن فينيقية أخرى مثل ارادوس (ارواد الحالية) ثم تلتها صور وصيدا .

علاقات الفينيقيين بجيرانهم :

تؤكد الأدلة الأثرية التى عثر عليها وجود علاقات تجارية بين الفينيقيين وجيرانهم ، فقد ثبت اتصال (جبلا) بمصر القديمة قبل ان يتوحد الوجهان القبلى والبحرى في مملكة واحدة . حيث كان الملوك المحليون يرسلون بعثاتهم الى لبنان للحصول على خشب الارز والتنوب الذى استخدم فى بناء السفن والمعابد والقصور ، وقد وجدت أقدم بقايا شجر الارز فى هرم بناء سفرو منذ أكثر من ٤٥٧٠ سنة (أى حوالى سنة ٢٦٠٠ ق.م) . وقد تم العثور كذلك على بعض الأواني الفخارية الكتناعية فى قبور ترجع لنفس هذه الفترة .^(١٠) وفى مقابل الاخشاب والقمار كان الكتناعيون او الفينيقيون يستوردون من مصر الذهب والبردى وبعض الادوات المعدنية ، واستمرت العلاقات التجارية بين مصر وساحل الشام وازدهرت برا وبحرا بعد ان أصبحت مصر امبراطورية ، وصارت بيبيلوس وصور وصيدا أسواقا هامة ليس فقط لمصر بل وللدول الجزيرة العربية عبر « طريق البخور » . وارتبطت هذه المدن كذلك بمراكز التجارة والصناعة فى منطقة الهلال الخصيب .

ومعروف ان العلاقة التجارية والثقافية بين دول غير متكافئة فى قوتها تؤدي فى النهاية الى سيطرة الدول القوية وبسط نفوذها على الدول الضعيفة وهذا ما حدث بالفعل إذ أن المدن الفينيقية خضعت للنفوذ المصرى . وحينما اجتاحت الهكسوس مصر السفلى سيطروا كذلك على فينيقيا لكن ذلك لم يدم طويلا إذ أن المصريين طردوا الهكسوس واستعادوا فينيقيا التى أصبحت جزءا من امبراطوريتهم .

ويرد فى قوائم غنائم تحتمس الثالث الذى استولى عليها من بلاد الشام ، الاطباق والأواني ، والمضى الذهبية ، والموائد المطعمة بالعاج والأبنوس والذهب ، بما يدل على دالة واضحة على مستوى المعيشة المرتفع الذى كان يتمتع به الفينيقيون .

وفى بداية القرن الرابع عشر ق.م. سيطر الحيثيون والعموريون على فينيقيا ولم يستطع اختنائون فرعون مصر آنذاك من الوقوف فى وجه الحيثيين أو صد هجائهم لانشغاله بدينه الجديد الذى وحد الالهة . وحينما ولى رمسيس الثانى حكم مصر اعاد نفوذها وسيادتها على

فينيقيا ولم يستمر طويلا لان قوة مصر أخذت في الضعف وتقلص نفوذها تدريجيا مما أتاح للمدن الفينيقية في استعادة استقلالها .^(١١)

استقلال فينيقيا وتوسعها الاقليمي : (انظر الخريطة رقم ١)

بعد أن اضمحل نفوذ المصريين والحثيين نعمت المدن ولدة ثلاثة قرون (من ١٢٠٠ ق.م — ٩٠٠ ق.م) بفترة عمها السلم والازدهار والرخاء الاقتصادى . ولقد ساعد على استقرار المدن الفينيقية انها اختارت ملوكا يتكون فى اطار ما يعرف بالحق الالهى مما أكسبهم هبة دينية ونفوذا سياسيا . ولم تكن سلطة هؤلاء الملوك مطلقة بل عرفت هذه المدن مجالس لكبار الشخصيات تضم قباطنة السفن والتجار وعمداء العائلات الارستقراطية . وكان لهذه المجالس آراء يصفى اليها الملوك .

وقد تم فى بعض الفترات ظهور ائتلافات اختيارية بين بعض المدن انبثقت من واقع المصالح الذاتية . وما هو جدير بالذكر أن التنافس التجاري بين المدن والولاء للملك والتفانى فى مراعاة المصالح المحلية لكل مدينة كانت من الامور التى تحول دون ظهور وحدة حقيقية كاملة بين هذه المدن الفينيقية . وقد تضافرت مجموعة من الظروف الطبيعية مع العوامل البشرية السابقة فى بقاء هذه المدن دون ما وحدة جامعة تربط بينها . ومن هذه العوامل كثرة الانهار التى تفصل بين اجزاء فينيقيا المختلفة . والكتل الجبلية التى تعوق الاتصال . ووجود بعض المدن التى اتخذت من الجزر القرية من الساحل مقرا رئيسيا لها . وعلى الرغم من الظروف السابقة فقد استطاعت بعض المدن من فرض اتحاد فيدرالى يجمع بين بقية المدن مثل :

١ — مدينة اوغريت Ugarit (راس شمرا الحالية) فى أواخر السادس عشر ق.م.

٢ — مدينة اردوس وجيلا فى القرن الرابع عشر ق.م.

٣ — مدينة صيدا فى القرن الثالث عشر ق.م.

٤ — مدينة صور فى القرن الحادى عشر ق.م.

ومن أشهر ملوك صور الملك حرام الاول Hiram I (حوالى القرن العاشر ق.م) وكان صديقا زليفا للملك سليمان وهو الذى مد سليمان بالمعاريين وعمال البناء الذين أقاموا معبده فى مدينة القدس وشيدوا بحريته او اسطوله Navy على خليج العقبة فى تل الخليفى .^(١٢)

وقد كان الاشوريون يتطلعون الى السيطرة على فينيقيا منذ اوائل القرن الحادى عشر ق.م . ولكن غزوهم الحقيقى لم يتم الا بعد قرنين من هذا التاريخ حينما تمكن « آشور ناصر بال الثانى » (٨٨٣ — ٨٩٠ ق.م) وابنه « شلمنصر الثالث » (٨٥٨ — ٨٢٤ ق.م) من السيطرة على سوريا . وكان خضوع الفينيقين للغزاة الجدد خضوعا اسميا تجسد فى دفع جزية لهم ، وظل هذا الخضوع الاسمى احيانا والتام فى أحيان أخرى حتى جاك شلمنصر الخامس الذى فرض ضرائب باهظة على اردوس وبيبلوس وصور . ثم خضعت صور « لسنخريب » عام ٧٠١ ق.م وجاء ابنه « اسارهدون » الذى دمر مدينة صور تماما فى عام ٦٢٥ ق.م . وتلا ذلك اكساح « آشور بانيبال » المدينة عام ٦٦٤ ق.م . وهكذا ضاعت آمال الفينيقين فى حكم بلادهم وتبددت احلامهم امام هجمات هذا الجيش القوى . وحينما سقطت نينوى على يد البابليين عام ٦١٢ ق.م . انهارت دولة الاشوريين وظهرت

قوة البابليين الذين رأوا أنهم ورثة الاشوريين في الساحل الفينيقي ، فشنا هجوما على هذه المنطقة بقيادة « نيو خنصر الثاني » واحتلوا بيت المقدس ، لكن مدينة صور قاومت باستسبال لمدة ثلاثة عشر عاما قبل ان تخضع نهائيا للبابليين عام ٥٣٣ ق.م. الذين تمكنوا من بسط نفوذهم على تلك المنطقة . لكن سيطرة البابليين لم تدم طويلا حيث تمكن الفرس من الاستيلاء على ممتلكات البابليين في سوريا وفينيقيا التي قسموها الى ولايات وجعلوا عاصمتها صيدا . وقد استفادت فينيقيا ماديا من هذا الوضع الجديد حيث اتسع مجال تجارتها . وعندما اندلعت الحرب بين الفرس واليونانيين وقف الفينيقيون باخلاص الى جانب الفرس وعاونوهم وزودوهم بسفن من أساطيلهم . وبسبب صلف حكام الولايات من الفرس وارهاق الفينيقيين بالضرائب وبدأت حركات التمرد وقادت مدينة طرابلس اول انتفاضة ضد ظلم الحكم الفارسي وتبعها بقية المدن ، ولكن هذه الانتفاضة لم تدم طويلا اذ استطاع الفرس تدمير صور وصيدا عام ٣٥٠ ق.م. تقريبا . ثم جاء الاسكندرالمقدوني ليضع نهاية للحكم الفارسي الذي دام قرنين من الزمن .

ولقد رحبت المدن الفينيقية (ارادوس وبيبلوس وبيروت وصور) بالحكم اليوناني الا مدينة صيدا التي أثبت أن تخضع للمستعمر كماداتها وصممت على مقاومته ، ولكن ذلك الموقف لم يرض الاسكندر فصمم ان يجعل منها عبرة ومثلا لسائر المدن فحاصرها لمدة سبعة أشهر حتى استسلمت ، وكان ثمن صمودها حيث أباد الاسكندر ثمانية آلاف من سكانها وبيع ثلاثين ألفا منهم كأرقاء .^(١٣)

وبعد وفاة الاسكندر الاكبر اصبحت فينيقيا جزءا من المملكة السورية تحت حكم سلوقس Seleucid ، وفي عام ٦٤ ق.م. حل الحكم الروماني محل الحكم السلوقي وفقدت المدن الفينيقية استقلالها وشخصيتها وذابت في كيان الامبراطورية الرومانية .

أهم اسهامات الفينيقيين الحضارية :

تتمثل أهم الاسهامات الحضارية الفينيقية في المجالات الآتية :

- ١ — ابتكار الحروف الابجدية .
- ٢ — التفوق الملاحي والكشوف الجغرافية .
- ٣ — انشاء المستوطنات والموانئ الساحلية .
- ٤ — المهارة التجارية .
- ٥ — النسيج في مجال صناعات عديدة .
- ٦ — التفوق في مجالات حضارية اخرى .

أولا : ابتكار الحروف الابجدية :

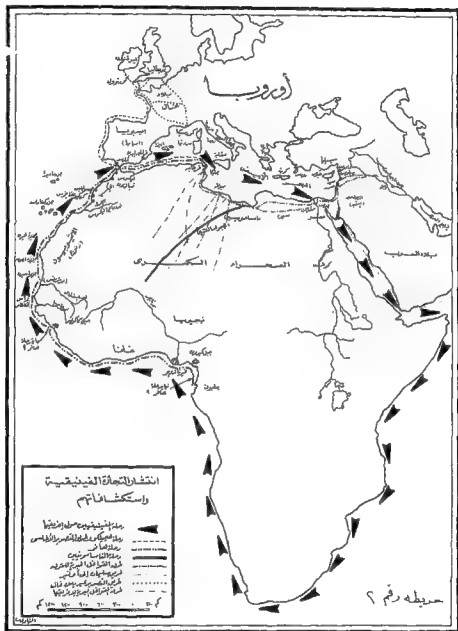
وترد في الانجيل اشارات عن تجارة الفينيقيين الاولى ، وذلك في المعاملات التجارية بين « حرام العظيم » ملك « صور » وبين « داود » و « سليمان » والتي كانت تتكون من شحنات من أشجار الارز مصحوبة بنجارين وبنائين لبناء منزل « لداود » وكذلك « لسليمان » الذي كان يعطى « حرام » مقابل ذلك ألف معيار من القمح وعشرين معيارا من الزيت كل سنة . ثم قام « حرام » بمساعدة « سليمان » بالاهتمام بشؤون تجارة البحر الأحمر . وذلك بتحويله بالسفن والربابة الذين أبحروا الى أوفر Ophir (في الهند ؟) وجلبوا منها الذهب . (٣٢)

وترد اشارات عن شهرة الفينيقيين التجارية في المصادر الاغريقية ابتداء من الالباذة والاديسا فانزلا . ويبدو ان حركة النقل التجاري بين فينيقيا وبلاد اليونان قد تقلصت تماما أثر ازدهار التجارة الاغريقية في القرن الثامن ق.م ، مما أدى الى تناحر بين الدولتين المستعمرتين بلغ أوجه عام ٤٨٠ ق.م ، هزيمة « قرطاجة » على يد الاغريق . وقد لقي الفينيقيون المنافسة الاغريقية أيضا في اسبانيا ولكنهم استطاعوا استعادة نفوذهم بطرد الاغريق من الساحل الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة . (٣٣)

وبالإضافة الى تجارة الفينيقيين في المواد الخام مثل الأخشاب من لبنان والمعادن من الغرب والصبغة الأرجوانية التي اشتهروا بها ، فانهم كانوا يتاجرون أيضا بالبضائع المصنعة مثل الأقمشة والمنتجات الزراعية والأدوات المعدنية بجانب دورهم كوسطاء في بعض الأحيان في نقل البضائع الاغريقية والمصرية . وتشير الى ذلك الخلفات التي عثر عليها في « قرطاجة » من الخاتم والقلائد المصنوعة في مصر والتي وجدت بكيات كبيرة وتنتهي زمينا لفترة حكم الاسرة السادسة والعشرين . ويبدو ان البضائع المصنوعة في مصر قد اخذت نقل بعد نهاية القرن السادس ق.م ، وأخذت تحمل محلها منتجات المصانع الفينيقية في الغرب أو « قرطاجة » نفسها . (٣٤)

ومن المحتمل ان الفينيقيين والاغريق كانوا يتاجرون مع ايطاليا ، لأن وجود بعض البضائع الفينيقية مثل الزجاج والقلائد ، والمصنوعات العاجية الخ .. تدل على وجود صلة بين هؤلاء وبين المستعمرات الاغريقية في ايطاليا . ولأنه من المستبعد أن تكون هذه البضائع قد وصلت على متن السفن الاغريقية او حملها الاتركيون الذين لم تكن لهم صلات تجارية مع مدن الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط ، فيمكن الافتراض بأن الفينيقيين أنفسهم هم الذين أتوا الى هناك . ومعروف أيضا من نص المعاهدة التي وقعت بين « قرطاجة » و « روما » عام ٥٠٩ ق.م ، ان الاولى كانت لها مصالح تجارية في أواسط ايطاليا . وبموجب هذه المعاهدة التي حددت مناطق النفوذ السياسي والتجاري بينهما ، واقتت « قرطاجة » على عدم إلحاق الضرر بمدن رومانية معينة وعدم إقامة قلعة في لايريوم Latium (٣٥)

وكان للفينيقيين صلات تجارية مع دول أخرى .. مثل « أوفر Ophir » (التي لم يجد موقعها بالضبط .. ويرجع انها في الهند) وفي افريقيا عن طريق البحر الاحمر . اما فينيقيو « قرطاجة » فقد أنشأوا صلات تجارية عن طريق البر والبحر مع المناطق الواقعة جنوب



الوصول الى الاراضي الزراعية الغنية في سوريا . وكانت الغابات التي تغطي هذه الجبال مصدرا لأخشاب الأرز والتنوب التي اعتمدت عليها صناعة السفن . ومعروف ان الساحل الفينيقي تكثر به التعاريج مما أتاح قيام الموانئ الجيدة كما كان ضيق الاراضي الزراعية دافعا لهم للاتجاه نحو الصناعة والبحر .

لكل هذه الاسباب ألف الفينيقيون ركوب البحر وقاموا برحلات عديدة واستكشافات مثيرة .

وقد أبحر الفينيقيون في البحر الابيض المتوسط ولكننا لا نستطيع ان نطلق على هذه الرحلات بانها استكشاف وذلك لان طرق الملاحة الرئيسية في هذا البحر كانت معروفة ومطروقة منذ العصر البرونزي ان لم تكن قبل ذلك . ولكي نقف على اسهام الفينيقين في الكشف الجغرافي يجب ان ننظر الى ما وراء هذا البحر .. ومن حسن الحظ ان هناك اشارات وردت في بعض قصص الكتاب القدماء تساعدنا في التعرف على منجزاتهم في هذا المضمار ^(١٦) وهي ثلاث رحلات قاموا بها فالملوخ هيرودوت مثلا يصف لنا كيف استطاعت

فئة من الفينيقيين بإيحاء من فرعون مصر ونحوا الثاني (٦٠٩ = ٥٩٣ ق.م) الإبحار عن طريق البحر الأحمر لندور حول افريقيا في رحلة استغرقت ثلاثة أعوام كانوا خلالها يتوقفون كل عام لزراعة المحاصيل وحصدها للحصول على المؤن الغذائية ثم يعاودون السير ^(١٧) . وهذه القصة لقيت قبولا عند كثير من المعلقين المحدثين وذلك استنادا على الكلام الذي ورد على لسان الرحالة أنفسهم بأنهم عندما كانوا يبحرون حول ليبيا (افريقيا) كان موضع الشمس على يمينهم ^(١٨) .

اما الرحلتان الأخريان فهما : رحلة « هانو Hanno » « الذي ذهب حتي غرب افريقيا ثم رحلة هيملكو Himilco الذي أبحر شمالا حول شبه جزيرة ايبيريا . ولأن اخبار هاتين الرحلتين لم يرد ذكرهما في كتابات « هيرودوت » الذي كتب عن الرحلة حول افريقيا المشار اليها آنفا ، فمن المرجح ان الرحلتين لم تحدثا حينذاك بل حدثتا حوالي عام ٢٥ ق.م أو في وقت لاحق بقليل . ومعرفتنا برحلة « هانو » أكثر من معرفتنا برحلة « هيملكو » لان وصف هانو القصير عن رحلته قد حفظ لنا في ترجمته الاغريقية . في حين ان رحلة « هيملكو » لا نعرف عن تفاصيلها الا ما تضمنه كتاب « Ora Maritima » « للكاتب الجغرافي الروماني « افينوس Avienus » « الذي كتب في القرن الرابع ق.م ويرد ذكر الرحلتين أيضا عند « بلييني الأكبر Pliny » « الذي أبدى شكوكه في صدق رحلة هانو . وقد يوشرت الرحلتان عندما كانت قرطاجة تحاول جاهدة تقوية وتدعيم مصالحها في الغرب خاصة بعد المنافسة الاغريقية التي عاقت تقدمها في بسط نفوذها على الاماكن القريبة منها . وربما كان الغرض من رحلة « هيملكو » هو فتح « طريق القصدير » الغربي لان الكميات المستخرجة من مناجم اسبانيا لم تعد تكفي لسد احتياجات الدولة . ولعدم وجود مصادر اخرى عن هذه الرحلة غير اقتباس « افينوس » لقصة عمرها ثمانية سنة فانا لا نستطيع تعبدد الاماكن التي وصل اليها « هيملكو » في رحلته هذه على وجه الدقة ولا اين انتهت . ولكن

من بعض اسماء الاماكن التي وردت في الكتاب نستطيع ان نستخلص بأن « هيملكو »
 واصل رحلته بدون توقف عبر القنال الانجليزى حتى « كورنول » في جنوب غربي بريطانيا
 محمداً بذلك الطريق للقرطاجة لتشارك في تجارة التصدير البريطانى مع تجار البحر الأبيض
 الآخرين الذين كانوا ينقلونه على الطريق البرى عبر بلاد الغال (فرنسا) . (١٩)
 وليس هناك دليل أنرى مباشر يؤكد اتصال الفينيقيين ببريطانيا في ذلك الوقت مما يؤيد
 قصة « هيملكو » ، ولو أن هناك عدداً من مخلفات أثرية ترجع للعصر الحديدي وجدت في
 كورنول تشير الى وجود اتصالات ايبيرية ، والنقود القرطاجية التي وجدت في بريطانيا تنسب
 الى فترة لاحقة ولا تعنى بالضرورة وجود اتصال مباشر بين البلدين . (٢٠)
 أما بالنسبة لرحلة « هانو » فالوضع يختلف تماماً . فالمخطوطة الوحيدة الباقية لا تتعدى
 عمرها الزمنى القرن العاشر الميلادى ، وتعرضت للتحريف نتيجة النقل الكثير . ورغم ذلك
 فالقصة تعرضت للتعليق من قبل كثير من الكتاب المحدثين لطرافتها والتفاصيل التي اشتملت
 عليها . وقد تقبل معظم الكتاب القصة الاساسية ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في تعريف وتحديد
 الاماكن التي ذكرها « هانو » وفي أقصى نقطة وصل اليها في رحلته . فالقصة تنقصها الدقة
 ومليئة بالتناقضات . وقد قيل في تفسير ذلك بأن « هانو » ربما لجأ الى ذلك للتمويه ولتضليل
 أعداء « قرطاجة » وتخويفهم حتى لا يتبعوا أثره وينافسوه في خيرات البلاد التي
 اكتشفوها . (٢١)

ويجوزى نص القصة كالاتى :

« هذه هي قصة رحلة هانو (ملك القرطاجيين) الطويلة في البلاد اللبية التي تقع فيها
 وراء أعمدة هرقل (جبل طارق) والتي أهداها علي لوحة إلى معبد كرونوس : — (٢٢)

١ — قرر القرطاجيون ان يحرق هانو الى ما وراء أعمدة هرقل ويؤسس مدنا فينيقية —
 لببية . وفعلوا أبعد « هانو » في ٦٠ سفينة وفي رفقة ٣٠٠٠ رجل وامرأة مع كل
 الامدادات واللؤن والضروريات .

٢ — وبعد أن أبحروا فيما وراء الأعمدة لمدة يومين قلنا بإنشاء أول مدينة أطلقنا عليها اسم

« ثيماتيريون Thymiaterion » في روبة وفي أسفلها كان يقع سهل فسيح .

٣ — ومن هناك أبحرنا غربا حتى وصلنا « سولويس Soloeis » وهي عبارة عن

روبة أو قفة جبلية ناتئة تغطيها الاشجار وعليها أنشأنا معبد « بوسيدون Poseidon » .

٤ — ثم وأصلنا الرحلة شرقا لمدة نصف يوم حتى وصلنا بحيرة قريبة من البحر يغطيها

دخل من القصب الطويل تفتت عليها الاقايال وحيوانات أخرى مفترسة .

٥ — وبعد مسيرة يوم واحد من هذه البحيرة أنشأنا مدنا ساحلية تحمل الاسماء الآتية :

« كريكون تايجنوس Krikon Teichos » و « غايت Gyte » و « أكرا Akra » و « مليتا Melitta » و « أرامبيس Arambys » .

٦ — ومن هناك وأصلنا السير حتى وصلنا النهر الكبير « ليكسوس Lixos » الذي

ينبع من لبيا وعلى جانبيه يرعى الرعاة الذين يدعون « الليكسيت Lixitae » قطعانهم ، وقد قضينا فترة معهم وأصبحنا أصدقاء .

٧ — وإلى الداخل من موطن « الليكسيت » يقطن الاثيوبيون غير المضايقين في أرض
تبع بالحيوانات المتوحشة وتحيط بها جبال عظيمة ، ويقول هؤلاء بأن نهر « ليكسوس » ينبع
من هناك ، وأنه يعيش وسط هذه الجبال ساكنو الكهوف Troglodytes : قوم
ذوو مظاهر غريبة ويجرون أسرع من الخيول على حد زعم « الليكسيت » .

٨ — وبمساعدة مترجمين من « الليكسيت » أبحرنا جنوبا على طول الساحل الصحراوي
لمدة يومين ، ثم أبحرنا شرقا لمدة يوم واحد وصلنا جزيرة يحيطها خمسة استاديا (حوالي
٥ كم) وتقع في الطرف الآخر من الخليج وعليها أنشأنا مستوطنا أطلقنا عليه اسم « سيرن
Cerne » ، التي تقع على حسب تقديرننا مقابل قرطاجة مباشرة لان المسافة من قرطاجة
إلى أعمدة هرقل ومن هناك إلى سيرن تبدو متساوية .

٩ — ومن هنا أبحرنا في نهر كبير يسمى « شرتيس Chretes » حتى وصلنا بحيرة
بداخلها ثلاث جزر أكبر مساحة من سيرن . وبعد مسيرة يوم كامل وصلنا إلى نهاية البحيرة ،
وتشرف عليها جبال عالية تزخر باناس متوحشين يلبسون جلود حيوانات متوحشة وقد أخذوا
يرموننا بالحجارة وأفلحوا في طردنا ومنعنا من الارساء على البر .

١٠ — ومن هناك واصلنا الإبحار حتى وصلنا إلى نهر آخر واسع يعج بالتامسح وفرس
البحر ، ثم قفلنا عائدين إلى « سيرن » .

١١ — ومن « سيرن » أبحرنا جنوبا لمدة اثني عشر يوما على مقربة من الساحل الذي كان
يقطنه الاثيوبيون الذين كانوا يهربون منا وكانوا يرطنون بلغة لم يستطع حتى « الليكسيت »
فهمها .

١٢ — وفي آخر يوم ألقينا مراسينا قرب جبال عالية تكسوها أشجار ذات أوراق مبرقشة
ولها رائحة ذكية .

١٣ — وبعد أن أبحرنا حول هذه الجبال لمدة يومين وصلنا خليجا كبيرا يحف به على
الجانبيين سهل تغطيه بالليل نيران صغيرة وكبيرة توقد على مسافات معينة .

١٤ — وبعد أن تزودنا بالماء من هنا أبحرنا لمدة خمسة أيام على طول الساحل حتى
وصلنا خليجا أطلق عليه مترجمونا اسم « القرن الغربي Horn of the West » ،
وكانت به جزيرة كبيرة بها بحيرة مالحة وبداخلها جزيرة أخرى صغيرة رسونا عليها . وأثناء
النهار لم تقع أبصارنا الا على غابات مترامية الأطراف ، وعند الليل رأينا نيرانا تشتعل وسعنا
أصواتا مهمة تصحبها دقات الطبول وعزف الناي . وقد تملكنا الخوف وغادرنا الجزيرة بعد
أن نصحنا العرافون بذلك .

١٥ — ومن هنا أبحرنا بسرعة وطفنا حول ساحل مغمم برائحة البخور المحترقة ، وكانت
انهار الحمم النارية تشق طريها إلى البحر ولم تستطع الاقتراب من اليابسة لشدة الحرارة .

١٦ — وعلى عجل غادرنا ذلك المكان وأبحرنا لمدة أربعة أيام كنا خلالها نرى النيران
وهي تتصاعد في الليل يتوسطها لهيب طويل يكاد يصل عنان السماء ، وعند النهار عرفنا انه
جبل عال يطلق عليه « عجلة الآلهة Chariot of the Gods » .

١٧ — ولقد واصلنا الإبحار على طول ساحل ملتهب ملء بالحمم لمدة ثلاثة أيام حتى

وصلنا خليجا يسمى « القرن الجنوبي Horn of the South » .
 ١٨ — وفي الطرف البعيد من هذا الخليج ظهرت جزيرة في وسطها بحيرة وبدانها
 جزيرة تعج بالمتوحشين كان أكثرهم اناثا ذوات أجسام منقطعة بالشعر عرفها المترجمون
 بالغوريلا . وقد قنا بمطاردتهم ولكننا لم نستطع القبض على الذكور الذين تسلقوا الصخور
 وفروا بعيدين وهم يرموننا بالحجارة . ولكننا استطعنا القبض على ثلاث اناث لأنهن لم
 يقاومن بشراسة . وقد قنا بقتلهن وأتيننا بجلودهن الى قرطاجة . وتوقفنا عن الانبار هنا لنفاذ
 مؤننا .

الى هنا ينتهى نص القصة ...

هناك اتفاق عام حول تحديد ومطابقة المواضيع التي ذكرها « هانو » ليكسوس الذي اتفق
 على أنه « وادي دراع Draa » « جنوبى المغرب . أما « الليكسيت » فيبدو انهم « البربر »
 فى حين ان « الاثيوبيين » زوج كما تعنى كلمة « الثوبيا » فى اللغة الاغريقية . واستخدام
 « الليكسيت » كـ مترجمين يوضح الى حد ما معرفة هؤلاء بالاقاليم الواقعة الى الجنوب من
 منطقتهم . اما تحديد موقع « سيرن » التى أسسها « هانو » على مسافة ثلاثة أيام من نهر
 « ليكسوس » فهو مهم جدا لأنها تمثل أبعد مستوطنة دائمة للفينيقيين على ساحل غرب افريقيا
 ورد ذكره على لسان الكتاب القدماء . وقد افترضت ثلاثة تحديدات لموقع « سيرن » :
 ١ — جزيرة هيرن Heme مقابل الصحراء (الاسبانية سابقا) .
 ٢ — جزيرة ارقوين Arguin على مسافة ٢٠٠ ميل من جزيرة هيرن .
 ٣ — جزيرة غير محددة بدقة قرب دلتا نهر السنغال .

ويتفق معظم المصنفين المحدثين أن نهر « شريتس » هو نهر السنغال . وقد استبعد ان يرجع
 « هانو » الى « هيرن » بعد ان وصل الى نهر السنغال ولذلك يرجع ان يكون موضع « سيرن »
 قرب مصب نهر السنغال ، ونجد بعض التأييد لهذا الرأي فى وصف حركة النقل والتجارة فى
 « سيرن » الذى ورد فى كتابات « سكايلاكس Scylax » الذى تكلم عن « مدينة كبيرة
 كان الفينيقيون يبحرون اليها » . وهذا الوصف ينطبق على مدينة نهرية ... ولا يوجد نهر
 صالح للملاحة قرب جزيرتي « هيرن » و « ارقوين » . وبالإضافة الى ذلك فان هذا الساحل
 الصحراوي المقفر ليس بالمكان الذى تقام فيه مستوطنات لتدعيم علاقات تجارية مع منطقة
 أهلة بالسكان . ويعتقد ان ما فعله « هانو » هو أنه أبحر فى فرع من فروع نهر السنغال فى اتجاه
 المنيع ورجع عن طريق آخر نحو مصبه ووجد النهر يصب بالخامس وأفراس البحر .
 أما التيه الجبلى المكسو بالاشجار فقد يكون « الرأس الأخضر Cape Verde »
 ويمثل الخليج الكبير مصب نهر غامبيا .

ويبد الخلاف بين الكتاب عن آخر نقطة وصل اليها الرحالة هانو : بعضهم يقولون بأنه
 وصل الى « الكميون » أو حتى « جابون » فى حين يحدد آخرون « سيراليون » كآخر نقطة

وصل اليها . وهذا الفريق الأخير يستند فيها ذهب اليه على نقطتين أساسيتين :
الأولى :

قلة الرياح في خليج غينيا والحرارة الشديدة والتيارات العكسية مما يجعل التجديف مرهقا وصعبا خاصة لمسافات طويلة .
والثانية :

التوقيت الزمنية التي يذكرها « هانو » تتناقض مع رحلة طويلة كهذه .
أما الذين يرجحون الرحلة الطويلة (الى الكيرون وجابون) فيستندون في حججهم على
الآتي :

اد جبل « الكيرون » وهو جبل بركاني مرتفع (١٣٣٧٠ قدم) يطابق حسب الوصف
« عجلة الالهة » أكثر من جبل « كاكولما » (٢٩١٠ قدم) في غينيا .^(٢٢)
أما عن النشاطات الفينيقية في استكشاف جزر المحيط الاطلسي فالأدلة عليها قليلة جدا .
ولكننا لا نستبعد ان يكون الفينيقيون على معرفة بجزر « ماديرا » و « كناري » لقربها من
الساحل الافريقي الذي أنشأوا عليها مستوطنات تجارية لهم . والمرجع القديم الوحيد هو رواية
« ديودورس » عن سفينة ضلت طريقها في المحيط الاطلسي بسبب الرياح الشديدة ورسّت
في جزيرة ذات مناخ طيب — ربما تكون « ماديرا » . ويذكر « ديودورس » أيضا كيف أن
الأترسكيين Etruscans حاولوا تأسيس مستوطن لهم هناك ولكن القرطاجيين
منعهم من ذلك .. ولكن لم يثر على مستوطنات فينيقية في جزيرة « ماديرا » حتى
الآن .^(٢٣)

أما جزر « كناري » فهي قريبة جدا من الساحل الافريقي للدرجة اننا لا نستبعد معرفة
الفينيقيين بها ، وان كان بقاء حضارة قبيلة « الجوانش Guanche » كما هي في يدايتها
وتأخرها حتى القرن الخامس عشر الميلادي وبدون أى تغيير يدل على عدم احتكاكهم
بمحضارات أجنبية . ومن المحتمل أيضا ان الفينيقيين وصلوا جزر « الازور » ، فقد عثر فيها في
عام ١٧٤٩ على ثمانية قطع نقود بونية تنتسئ الى القرنين الرابع والثالث م . ولكنها
فقدت .^(٢٤) ولكن يجب ألا نعلق أهمية كبرى على هذه العملات الا من الناحية
الاستكشافية ... فاذا كانت الجزر القريبة من الساحل الافريقي مثل « ماديرا » و « كناري »
خالية من المستوطنات الفينيقية فن المستبعد أن نبحث عن هذه المستوطنات في جزيرة بعيدة
مثل « الازور » .

أما بالنسبة للاستكشافات البرية عبر الصحراء الكبرى فالإشارة الوحيدة لها هي ما ورد
في قصة كاتب يوناني يدعى « الثينوس » (حوالى عام ٢٠٠ ق.م) ذكر بأن قرطاجيا يدعى
« ماغو Mago » عبر الصحراء ثلاث مرات .. بدون ماء !^(٢٥) ورغم ما في القصة من
مبالغات فاننا يجب ان لا نستبعد اغراءات ثروات افريقيا للتجار الفينيقيين واحتمالات تهيؤ
رحلات تجارية عبر الصحراء للحصول على هذه الثروات اما بأنفسهم أو بواسطة وسطاء مثل
الجرمانيين Garamates الذين كانوا يسيطرون المنطقة الحلقية للمدينة طرابلس الحالية .
ويذكر « هيرودوت » أن خمسة ناسمونيين Nasamones قد عبروا الصحراء ووصلوا

مدينة يسكنها زونج أقزام ، ونهرا يجري من الشرق الى الغرب وتكثر فيه القماشع .^(٢٧)
وربما يكون نهر النيجر . وكانت هناك طرق برية تربط بين قرطاجة ومصر .
ويعتبر الفينيقيون أول من أبحروا في المحيط الأطلسي ، وأول من استوطنوا في جزيرة
« سردينيا » وأسسوا بها خمسة مستوطنات وذلك حوالي عام ٨٠٠ ق.م. كما أنهم أول من
استعانوا بالنجم القطبي North Star في الأبحار ليلا مستخدمين جداول المسافات .
وقد أطلق الإغريق ، الذين تعلموا فن الملاحة من الفينيقيين ، على هذا النجم اسم « النجم
الفيثيقي » وقد طور الفينيقيون سفنهم الشراعية حتى تتمكن من الأبحار بعيدا عن الساحل
ولمسافات طويلة في رحلاتهم التجارية .

ثالثا : إنشاء المستوطنات او المستعمرات :

يرجع تأسيس المستعمرات الى فترة الاستقلال الفينيقي . وربما دفع الغزو الاشوري
الفينيقيين الى الاسراع في اقامة المستعمرات بالاجزاء الغربية من حوض البحر الأبيض
المتوسط في محاولة لايجاد مرفأء آمنة وأسواق جديدة . ويبدو ان هذه العملية بدأت حسب
قول « بليني ودبودورس وسيلولوس » في أواخر القرن الثاني عشر ق.م ، على ان الفترة ما
بين القرن العاشر والسابع ق.م هي التي شهدت اقامة معظم المستعمرات^(٢٨) في حوض
البحر الأبيض المتوسط ابتداء من سيلسيا (جنوب تركيا) ومصر عبر اليونان وصقلية الى
جنوب بلاد الغال (فرنسا) واسبانيا وشمال افريقيا وقبرص ومالطة وبرزوا وسردينيا . وما
زال بعض هذه المستعمرات تحمل الاسماء السامية مثل : قادس في اسبانيا (بمعنى حائط)
وبوتيكا (المدينة القديمة) وقرطاجة (المدينة الجديدة) ومالطه (ربما سامية بمعنى مأوى)
وتربط اسطورة يونانية مدينة (كورنث) باله من أصل « صوري » يدعى « ملكارت
Melkarth » « وان زائرا صوريا يدعى « كادموس Cadmus » » (بمعنى القادم
الجديد) أتى بالحروف الالهية وأنشأ « طيبة » ثم واصل سيره للبحث عن اخته « أوروبا »
التي اشتقت القارة اسمها منها .^(٢٩)

وأشهر المستوطنات الغربية هي « قرطاجة » وقد تم تأسيسها حوالي عام ٨١٤ ق.م على يد
مستوطنين من « صور » ، وقد أخذت « قرطاجة » تقوى سياسيا وتجاريا حتى فرضت سيادتها
على جزء كبير من شمال افريقيا وجنوبى اسبانيا ، وأصبحت منافسا خطيرا للمدينة الناشئة
آنذاك روما ، وعندما أخذت « صور » تعاني سياسيا وتجاريا من التوغل الاشورى الزاحف
والتنافس الإغريقي المتزايد ، أخذت قرطاجة دور الحامي للمستعمرات الفينيقية المجاورة لها
وهكذا ازداد نفوذها حتى امتدت امبراطوريتها من ليبيا حتى اسبانيا .
وقد بلغ مجموع المستوطنات الفينيقية خمسين مستوطنة على أقل تقدير ، وتتفاوت هذه
المستوطنات من محطات تجارية صغيرة الى مدن كبيرة مثل قرطاجة وقادس وقرطاجة الجديدة
في اسبانيا ، ولما كان الهدف من وراء تأسيس هذه المستعمرات تجاريا في المقام الأول فان
هذه المستوطنات لم تشهد هجرات على مستوى كبير من الوطن الأم — فينيقيا .

رابعا : مهارة الفينيقيين التجارية :

بدأت تجارة القوافل في الشرق الأدنى — على حسب ما ورد في الانجيل — في وقت مبكر . وكانت تأتي بالمعاج والرقيق والحبوب والماشية والذهب من افرقيا الى آسيا وترجع محملة بالمعادن والمنتجات المعدنية والأقشة الى مصر . وكانت البضائع الخفيفة الوزن تنقل برا على ظهور الدواب بينما كانت الطرق البحرية الساحلية والنهرية تستخدم — كلما سنحت الفرصة — لنقل البضائع الثقيلة مثل الخشب .^(٣٠)

وتوضح النقوش الآشورية سفنا نهرية صغيرة يقودها فينيقيون وهي تفرغ حمولتها من الخشب في بلاد ما بين النهرين . ولكننا لا ندرى كيف وصلت السفن الى هناك وربما تكون الأخشاب قد انقلبت برا من الأجزاء الدنيا من نهر العاصي أو عن طريق البحر الى « طرسوس » (في تركيا) ومنها الى بلاد ما بين النهرين عبر الطريق الرئيسي من آسيا الصغرى .

ويرد ذكر التجار الكنعانيين من « بيلوس » في الكتابات المصرية ابتداء من المملكة القديمة فصاعدا ، وليس من المستبعد ان تكون الملاحة والتجارة والتبادل الفكري قد استمر بين المنطقتين بدون انقطاع حتى استقلال فينقيا . وقد كانت الامبراطوريتان المصرية والآشورية تشجعان هذه التجارة لما يعود عليهما من فوائد اقتصادية ، وما من شك في أن المدن الساحلية قد تركت لتمارس هذه التجارة بحرية وبدون تدخل من هاتين القوتين . ولكن المغامرات البحرية الفينيقية الطويلة لم تبدأ إلا بعد حوالي ١٢٠٠ ق.م . حين انهزم المينيون والما يسينون الذين كانوا يسيطرون على تجارة الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط . ومنذ فترة كانت المدن الساحلية الفينيقية تتحين الفرصة لتتطرق بتجارتها الناشئة الى آفاق جديدة نحو الغرب : فكان بحر ايجه المهزومون كانت لهم صلات تجارية قوية بجنوب إيطاليا وصقلية وجزر البحر التيراني كما ان أخيار ارسابات المعادن الغنية في اسبانيا (حديد وقصدير) وبريتاني وبريطانيا (قصدير) كانت شائعة في ذلك الوقت . وقد أعانهم في اقامة الصلات التجارية الجديدة التجار المايسين الذين استوطنوا في المدن الفينيقية .^(٣١)

ومن المحتمل ان الهجرات الفينيقية الاولى كانت لغرض التجارة أكثر منها للاستيطان والاستعمار . ورغم ان التوغل العبري Hebrews قد أدى الى ازدهار سكاني في هذه المنطقة الساحلية . مما أدى الى هجرة بعض السكان الاصليين من الكنعانيين شمالا نحو المدن الفينيقية فمن المستبعد أن تكون هذه الزيادة السكانية قد جاءت نتيجة لاستيطان المستعمرات الكثيرة التي انشئت في البداية كما تصورها المصادر القديمة . وإذا استثنينا بعض المدن الرئيسية مثل « قرطاجه » و « يوتيكا Utica » و « قادس » فمن المرجح أن معظم تلك المستعمرات الاولى ، خاصة في الغرب ، كانت عبارة عن مرافئ على مسافات معينة من بعضها البعض حيث تلقى السفن مراسيا لفترة لتتوّد بالمؤن ثم تعاود المسير . وعدم وجود بقايا أثرية خاصة بهذه الفترة في هذه المواضع قد يؤيد هذا الكلام .

في مقدمة ما أسهم به الفينيقيون حضاريا ابتكارهم لنظام الحروف الأبجدية الحالي وهم بهذا الابتكار قد اسدوا خدمة جليلة للبشرية جمعاء . ولا يقل هذا الابتكار عن اكتشاف الزراعة أو الثورة الصناعية من حيث أهميته . لقد كان الإنسان في البداية يستخدم صورا ليعبر عن آرائه للآخرين . وطريقة استخدام الصور طريقة مرهقة وبطيئة نشأت مستقلة في عدة أماكن ثم تطورت الى نوع من الكتابة المقطعية والتي تطورت بدورها الى الكتابة الأبجدية التي ظهرت في مصر لأول مرة ، ولكن الأبجدية المصرية (الهيروغليفية) كانت رموزا . وكانت هذه الرموز أربعة وعشرين رمزا كل منها عبارة عن صورة من البيئة المحلية . وقد ظهرت الكتابة الصورية أيضا في سومر وبابل ، وهي ما يعرف بالحروف المسماة وكان على المرء اذا أراد ان يعبر عن نفسه ان يتقن استخدام ٥٦٠ رمزا يمثل كل رمز منها مقطعا . (١٤)

ولما كانت هذه الوسائل التي استخدمها الإنسان في الكتابة بطيئة ومرهقة ولم تكن عملية في التعاملات التجارية ، فقد ابتكر الفينيقيون نظام الأبجدية الحالية . ونحن لا نعرف على وجه الدقة كيف تم ذلك الابتكار وكل ما نعرفه ان التجار الساميين الذين كانوا يتاجرون مع مصر في شبه جزيرة سيناء استطاعوا تطويع الرموز المصرية ، ووصل هذا التطوير الى الفينيقيين الذين ادخلوا عليه الكثير من التعديلات في القرن الثالث عشر ق.م حتى صار نظاما أبجديا يتكون من اثنين وعشرين حرفا بعد حذف الحروف اللينة . (١٥)

واقبس الفينيقيون من المصريين أيضا طريقة الكتابة ورق البردي بجزء من مصنوع من عصارات نباتية ، وكانت هذه الطريقة أجلى وأيسر من طريقة البابليين الذين كانوا يجمعون لوحات من الطين اللين حتى تجف بعد الكتابة وتصعب قوية .

ويدوان الفينيقيين هم أول من نظم حروف الكتابة ورتبها ترتيبا ثابتا وأطلقوا على الحرف الأول « ألف Aleph » « ثور » والفاثي « بيت beth » « منزل أو بيت » وهكذا . واقبس الاغريق الحروف الفينيقية وقلدوا أصواتها وقالوا « ألفا Alpha » « و » « بيتا Beta » . وقد اشتق تعبير أبجدية أو Alphabet من الحروف الأولى وفق تنظيم الفينيقيين .

وهكذا نجد أن نظام الأبجدية اسهام فينيقي لولاه لاختذت الحضارة منحى مختلفا ولما قطعت البشرية هذا الشوط العظيم في مجال العلوم والثقافة .

ثانياً التفوق الملاحي والكشوفات الجغرافية : (انظر الخريطة رقم ٢) .

اتجه الفينيقيون الى البحر لعوامل عديدة منها ان فينيقيا كانت مطوقة بدول قوية من الشمال (الحيثيون) ومن الشرق (الآراميون) ومن الجنوب (الفلسطينيين) وكان الطريق الوحيد المفتوح امامهم هو الاتجاه نحو الغرب الى البحر . كما كانت جبال لبنان العالية التي كانت تحمي المدن الساحلية من هجمات الآراميين كانت ايضا حاجزا يحول بين فينيقيا وبين

الصحراء الكبرى ونيجيريا وربما المناطق الجنوبية من غرب أفريقيا . فقد كانت الصحراء الكبرى آنذاك أقل جفافا وكانت هناك طرق قوافل بين مصر وموريتانيا وبين ساحل البحر الأبيض وبين نيجيريا ، ومن المرجح ان الفينيقيين هم الذين أتوا بمنتجات هذه الرقعة الكبيرة من الذهب والعاج والحيوانات البرية والمستأنسة الى المناطق المتحضرة حول البحر الأبيض المتوسط وربما كان القرطاجيون يستخدمون طريقا داخليا الى مصر يمر عبر واحة سيوه . ويؤيد « هيرودوت » وجود تجارة ساحلية للفينيقيين مع سكان الساحل الغربي لثمال افريقيا تمارس فيها اسلوب المقايضة . وترد بقصة عرضية في كتاب « رحلات Periplus » اغريقي عن تجارة قائمة بين الاثيوبيين والتجار الفينيقيين في ساحل غرب افريقيا الممتد حتى مدينة « سيرن Cerne »^(٣٦) . وهناك بقايا أثرية فينيقية عثر عليها حديثا في المغرب مما يدل على وجود صلات تجارية مع هذه المنطقة .

ويتخبر الفينيقيون أول من وضعوا قوانين للمعاملات التجارية البحرية وقد عرفت باسم Rhodian Law نسبة الى جزيرة رودس ، وينص القانون على أن أية خسارة يكتبها قبطان بحري نتيجة محاولاته لانقاذ سفينته اذا تعرضت للخطر (غرق مثلا) لا بد ان يتقاسمها جميع أصحاب البضائع الذين لهم بضائع في هذه السفينة بنسب معينة . ومثلا اذا اضطر قبطان سفينة لرمي بضاعة أحد التجار في البحر في سبيل انقاذ سفينته من غرق محدد فان خسارة هذا التاجر يتحملها كل التجار الذين لهم بضاعة في السفينة وصاحب السفينة . وكان هذا القانون مطبقا في كل انحاء حوض البحر الأبيض المتوسط ويعرف في القانون البحري الحديث بـ Gross average

العملة الفينيقية :

مع أن استخدام العملة في التجارة بدأ في بلاد الاغريق اثناء القرن السابع ق.م ، وأصبح شائعا في بداية القرن السادس ق.م ، الا ان الفينيقيين لم يهتموا بفكرة استخدام العملة مبكرا رغم ميولهم ونزعاتهم التجارية . فطبيعة تجارتهم وتاريخها وعاداتهم التجارية القديمة وانصالاتهم الكثيرة واحتكاكهم مع اقوام بدائية في معاملاتهم التجارية اكسبتهم مهارة في استخدام اسلوب المقايضة . وحتى عندما كان الفينيقيون خاضعين لسيطرة الفرس لم يقوموا بأية محاولة لصلك عملة لانهم لم يروا فائدة تجنى من ذلك ولان تجارتهم مع بلاد الاغريق كانت قد اضمحلت تماما .

وفي حوالي منتصف القرن الخامس ق.م، ضربت أول عملة فينيقية في « صور » وتعتها « صيدا » و « ارادوس » و « بيلوس » في أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن الرابع ق.م ، وربما يدل على هذا الضعف السياسي الذي أصاب الامبراطورية الفارسية وانبعاث التجارة الفينيقية مع بلاد الاغريق . أما باقي المدن فلم تضرب عملتها حتى الفترة الهلنستية . وقد كانت هذه النقود الفينيقية مصنوعة من الفضة او البرونز ، أما العملة الذهبية السائدة آنذاك فكانت الدارية Daric نسبة الى دارة الفارسي .^(٣٧)

أما المدن الفينيقية في الغرب فقد بدأت سك عملاتها في وقت لاحق . وكانت أول نقود « قرطاجة » تتكون من ذهب على الطريقة الفينيقية ومن دراهم فضية على مقياس عملة يونيكيا ، وقد ضربت هذه النقود في صقلية في نهاية القرن الخامس ق.م عندما كانت « قرطاجة » في حاجة الى نقود لتدفع المرتبات لجندوها . وقد سكّت هذه المجموعة من النقود على الطريقة الفينيقية من ذهب وبرونز والكتروم (مزيج طبيعي من ذهب وفضة) . أما العملات الفضية فقد كانت نادرة حتى أواخر القرن الخامس ق.م حين استولى هملكار Hamilcar على مناجم الفضة الاسبانية . ومنذ نهاية القرن الثالث ق.م سادت النقود البرونزية في « قرطاجة » وانتشرت الى اماكن عديدة حتى بريطانيا والأزور .^(٢٨)

أما المدن الفينيقية الاخرى في الغرب التي كانت تمتلك عملات خاصة بها وذلك قبل القرن الثالث ق.م فتتمثل في « صقلية » التي بدأت في سك عملتها في القرن الخامس ق.م ، وقادس و « أيزا » (القرن الثالث ق.م) ، وكانت « قرطاجة » تملك دار سك في « قرطاجة الجديدة » في اسبانيا وكانت معظم عملاتها من الفضة .

خاصا : النبوغ الصناعي عند الفينيقيين :

أوضح الأكييل وكذلك الحفريات الاثرية أن الكتانين كانوا ، مثل بقية الشعوب السامية يجتفون الزراعة والرعي ، ومن المتوقع ان هؤلاء الكتانين اغلوا صيد الأسماك حرفة عندما استقروا بجانب البحر ، كما أن كثرة الأخشاب الصالحة لعمل السفن في الغابات الجاورة كانت من الاسباب التي أدت الى قيام تجارة بين « بيبولس » ومصر في الأخشاب . وقد عمل الفينيقيون على تطوير صناعات عمليّة قوامها المواد الخام المحلية ثم المواد المستوردة . ومن الصناعات التي نبع فيها الفينيقيون : —

١ — الصناعات الخشبية والحجرية :

كان لوفرة أشجار الأرض في لبنان دور في خلق الفينيقيين صناعة الأدوات المصنوعة من الخشب ، وقد كان الخشب يستخدم بكثرة في بناء المنازل خاصة في الزخارف الداخلية . وكانوا أيضا يبنون منازلهم من الحجارة والأجر والطين .. ولكن المنازل التي تتكون من عدة طوابق كانت تبنى عادة من الأخشاب . وكثير من التوابيت الخشبية التي وجدت في مصر كانت من عمل الفينيقيين .^(٢٩) وكانت الاثاثات الخشبية تعظم بالمعاج وكذلك بعض النماثيل الخشبية ، ولكن معظم هذه الأعمال قد اندثرت مع الزمن . وقد برع الفينيقيون في الأعمال الحجرية كبناء المنازل والمعابد والتوابيت وقد كان لوجود

الأحجار لأعمال البناء أهمية كبرى في اختيار مواقع مستعمراتهم الجديدة ، وكانت أكثر الأحجار استعمالا هي الجيرية والرملية لسهولة نحها . ولكن أحجام القوالب الحجرية كانت غير متناسقة ويتوقف الحجم على الغرض الذي سيستخدم من أجله : ففي بناء الحيطان الحاجزة كانوا يستخدمون قوالب كبيرة غير منحوتة بدقة في حين أن بناء المنازل كان يتطلب أحجاما أصغر منحوتة بدقة وعناية مع استخدام « مونه » من الجير أحيانا .^(١٠)

٢ — صناعة النسيج والصباغة :

لا نعرف على وجه الدقة والتحديد كيف نشأت صناعة النسيج عند الفينيقيين ولا عن الصناعة نفسها لانه لم يعثر على بقايا أقمشة فينيقية في الاماكن الأثرية الفينيقية ولا حتى من مصر التي كانت تزخر بأنواع من الأقمشة المختلفة . ولكننا نرى في نقوش المقابر المصرية أسبوبيين من عناصر سامية يلبسون ثيابا صوفية واسعة وذات ألوان كثيرة وبعضها ملفوفة حول الجسم بعناية . وفي « بوابة البلوات » التي أقامها « شلمنصر الثالث » قرب مدينة « نمرود » في العراق لتسجيل حملاته نرى الفينيقيين وهم يلبسون ثيابا طويلة وملفوفة حول أجسامهم مع قلنسوات ، وبما أن الصور المنحوتة توضح الزي العادي للفينيقيين كالذي نراه في النقوش المصرية فليس بعيد أن تكون تلك الصور تمثل الفينيقيين . ويبدو من هذه النقوش ان الفينيقيين كانوا يفضلون الزي المتقن الصنع ذا الالوان الكثيرة والمطرزة . وحتى في « قرطاجة » احتفظ الفينيقيون وخاصة الرجال ، بزيمهم الشرقي وكان تمسكهم بزيمهم ماثار تعليق الرومان والاغريق ، وكان لبسهم بسيطا في شكله ومنظره ، أما النساء فقد أثرن الازياء الاغريقية .^(١١)

هذا وقد عثر على أدوات الغزل والنسيج في بعض المقابر ، كما أن هناك بعض اشارات عابرة لصناعة النسيج في بعض كتابات. الكتاب القدماء مثل « ديودورس » ويبدو من هذه الاشارات ان هذه الصناعة كانت تتم في المنازل .

أما في الصباغة فقد كان متشرا في أرجاء الممالك الفينيقية ، وكانت « صور » و « صيدا » من أهم مراكز هذه الصناعة . ويبدو انها كانت محسنة عند الفينيقيين الشرقيين ولكن بقايا اصداغ المريق Murex وأوعية الصباغة التي عثرت في الغرب تدل على أن هذه المهنة كانت تمارس هنا أيضا . كما في « دار عسافي Essafi » قرب « رأس بون » في تونس التي كانت مركزا لصناعة الأصباغ وصيد الاسماك . ويمكن أن نعتبر الفينيقيين أول من استخدموا صبغة المريق في صباغ الأقمشة . والطريقة كالآتي : عندما يموت هذا الرخوى ويتعفن يفرز سائلا أصفر اللون يضاف على القماش درجات من اللون تزاوج من الاحمر البوردي الى البنفسجي الغامق ويزداد اللون غمقا عند التعرض لأشعة الشمس . وطريقة عمل الصبغة هي أن يكسر الصدف وتستخرج المادة الداخلية وترمى في الأوعية حيث تتحول الى

سائل . ولأن عملية استخراج الصبغة وعملية صبغ الأقمشة كانت مكلفة فقد كانت الأقمشة الارجوانية غالية لا يقتنيها الا الاثرياء .

٣ — الأعمال المعدنية :

استخدم الحديد فى منطقة ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقى حوالى عام ١٢٠٠ ق.م. عندما كانت « فينيقيا » تتطلع للاستقلال ، ولا يستبعد أن يكون الفينيقيون قد عرفوا الحديد لان الفلسطينيين كانوا يستخدمونه أيضا . ولكن الفينيقيين اشتهروا بمهارتهم فى الاعمال النحاسية والبرونزية والمعادن النفيسة حيث كانوا يستجلبون النحاس من قبرص وبعض البلاد الاسيوية ، والذهب والفضة من أثيوبيا وربما من آسيا الصغرى . وقد كان الطلب على هذه المعادن وكذلك القصدير كبيرا ولذلك سعى الفينيقيون للحصول عليها اينما كانت متوفرة . ورغم انه لم يعثر على بقايا معامل المعادن للآن فى المواضيع الا انه ربما يعثر عليها فى المستقبل . وذلك لأن ذكر مصاهر الحديد والنحاس يرد فى نقوش العمران الجناثرية كما تظهر عليها صور المطارق والمقايض وأدوات أخرى مماثلة كما ان هناك اشارات فى كثير من الكتب القديمة على مهارة هؤلاء العمال الفينيقيين فى هذا المجال .^(٤٣) وكذلك وجدت بعض الادوات المعدنية ومن أبرزها — من الناحية الفنية والمهارة — تلك الاواني المعدنية المزخرفة والى تنتمى للقرن السابع ق.م والى عثر عليها فى « قبرص » و « إتروريا » فى ايطاليا و « نمرود » وفى اليونان . وقد امتاز الفينيقيون فى صنع وتصميم أدوات الزينة المعدنية خاصة من الفضة والذهب ، ونجد أنواعا من العقود والاقراط والقلائد والاساور ليس فى « فينيقيا » و « قبرص » فحسب بل فى « قرطاجه » ، و « سردينيا » . اما أدوات الزينة الذهبية التى وجدت فى اسبانيا فقد ظهر بأنها من صنع فنيين محليين تأثروا بالفينيقيين .^(٤٤) كما وجدت الاواني والأدوات الفخارية وباعداد كبيرة فى كثير من الأماكن الفينيقية .

صناعة الزجاج وصلقه :

عرف الفينيقيون صناعة الزجاج منذ وقت مبكر وبرعوا فيها لدرجة ان « بلبنى » كان يعتقد بأن الزجاج قد تم اختراعه فى « فينيقيا » . واذا كان ذلك صحيحا فلا بد ان نشير الى ما يسمى بـ Gore-made glass أو الزجاج الذى كان يصنع عن طريق النفخ والذى اخترع حوالى الألف الاولى قبل الميلاد . وقد وجدت انواع من المصنوعات الزجاجية فى المواقع الفينيقية مثل القلائد والقبائم والجعل ويعتقد بأنها فينيقية الصنع .^(٤٥) وقد عرفت صناعة الزجاج أيضا فى بلاد الرافدين ومصر ، ولكن زجاج هذين البلدين كان يختلف من حيث الشكل والتفاصيل عن الزجاج الذى كان معروفا ومتداوليا فى منطقة

البحر الأبيض المتوسط . وحتى في مصر فإن هذا النوع من الزجاج لم يكن معروفا في الألف الأولى ق.م إلا في منطقة الدلتا ولذلك يمكن أن ينسب هذا الزجاج إلى الساحل السوري أي « فينيقيا » أو جزيرة « رودس » . وفي الوقت الحاضر لا نستطيع أن نفصل في ذلك .. وإلى أن يثبت في هذا الموضوع فهناك قول « بليتي » المشار إليه بأن الزجاج من اختراع الفينيقيين أما الزجاج البارد Cold-cut glass فقد كان من اختصاص الآشوريين الذين كانوا يستخدمونه في قصورهم منذ القرن الثامن ق.م وشاع استخدامه عند الفرس بعد ذلك بثلاثة قرون ، ولكن هناك اختلافا في الشكل . وبعض الزجاج الذي وجد في إسبانيا يحمل الشكل الفينيقي الخالص الذي نجده في الأدوات المعدنية والحرفية .

الملاحم الأخرى للحضارة الفينيقية :

على الرغم من أن الحضارة الفينيقية هي أساس حضارة سامية إلا أن لها ملامح مميزة تظهر واضحة في دينهم وفنهم وأدبهم .

الديين :

وعمل الفينيقيون الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط أثناء العصر البرونزي عندما كانت الزراعة تمثل المصدر الرئيسي للمعيشة . وكان دينهم يتعلق أساسا بالقوى الطبيعية وعملياتها الغامضة التي كانت تمنحهم النبات والحيوان لأطعمتهم . وكانت ألهتهم آلهة

اخصباب لها ارتباط بالأشجار والحقول والأنهار والنباتات وتم عبادتهم أحيانا في معابد ولكن في الغالب الأهم فوق التلال . وكانت كل مدينة تطلق على رئيس الهة اسم بعل (بمعنى مالك أو سيد) وعلى رفيقته اسم « بعله » (بمعنى عشيقته) وكانت عبادتها تتم سوا . وقد اكتسب « ملكارت » « بعل » مدينة « صور » شعبية كبيرة عندما أخذت المدينة تفوق وتزدهر . أما رئيس الهة مدينة « أوغاريت Ugarit » فكان يعرف بـ « إل El » و « ورفيقته باسم « آلات Elat » ، وكان له ابن يدعى « عليان Aliyan » وابنة باسم « عشتارت Ashtar » .

أما طقوس عبادة الاخصباب فكانت تتضمن البكاء على موتة الهة النبات في الصيف والدعاء له لكي يتغلب على عدوه (الهة الموت Mot) ، ثم الاحتفال ابتهاجا بعودة الحياة للآلهة في فصل الربيع . أما عبادة الاخصباب لـ « تموز » (أدونيس) و « عشتار » التي كانت تأخذ « بيبولس » مركزا لها ، فقد انتشرت إلى « قبرص » و « اليونان » والعالم الروماني . و « عشتار » هي بعلة مدينة « بيبولس » . ومن الطقوس الأخرى التي كانت تمارس حول معبد « عشتار » ما يسمى بالدعارة للقلمة وكذلك قتل الاطفال حديثي الولادة . (٢٥)

يمكس الفن الفينيقي نفس تلك السمات التي تميز بها فن المرحلة الاخيرة من العصر البرونزي في كونه مؤلفاً من عناصر مستمدة من مصادر مختلفة وفي محاولته للتوفيق بين المعتقدات (الدينية) المتعارضة . وكما تحمل الفنون الفينيقية طابع الاقطار التي كانت تتاجر معها فانها أيضاً تركت أثرها وطابعها على فنون هذه البلاد . ومثلاً نجد النفوذ المصري ظاهراً في النقوش العاجية والمجوهرات في حين أن الأوعية المعدنية المنقوشة تعكس نفوذ بلاد ما بين النهرين والاناضول . ولكن هذا لا يعنى ان الفينيقيين كانوا مقلدين فقط ، فقد تجلت عبقريتهم واصالتهم في الاسلوب الجديد والاضافات التي جادت بها قرائح الحرفيين وكانت نتيجتها تلك الاعمال الفنية الرائعة التي تميزوا بها . فقد برع الحرفيون الفينيقيون في اعمال البرونز والنحاس ووصلوا بصناعة الزجاج والعاج الى آفاق جديدة ومستوى رفيع . أما في الاعمال المعدنية فلم يكن لهم نظير ، وفوق هذا فقد اشتهروا بأنهم أول من قاموا بزخرفة اواني الزينة (الزهريات) المعدنية بالزهور الصناعية . وقد تأثر الفن الاغريقي بالفن الفينيقي . ولقد برع الفينيقيون في نحت العاج الذي كان شائعاً في « فينيقيا » وسوريا وكذلك في « قرطاجة » وقد كان الفينيقيون يستوردون سن الفيل من الهند (وبلاد بنت) عبر البحر الاحمر بعد ان نفذ المورد السوري ، في حين ان القرطاجيين كانوا يستوردون ما يحتاجون اليه من العاج من الاقاليم الجنوبية ومن المزارع الخاصة لتربية الافيال التي أنشئت في شمال افريقيا (لغرضي تمويل الجيش بالافيال للاغراض الحربية) . وكان العاج المنقوش يستخدم في زخرفة أو تطعيم الاثاث المنزلية وعمل التماثيل والادوات الصغيرة مثل الامشاط والصدانيق الصغيرة وأدوات الزينة ودبابيس الشعر . وكانت التجارة في هذه الادوات العاجية رابحة جداً . أما الادوات المصنوعة من العظم كانت عادة تستخدم في تزيين الصدانيق الخشبية وادوات الزينة مثل اوعية المرهم وكذلك للتأثيم والاختام .

وقد حفظ الفينيقيون التراث الفني لعصر البرونز من الضياع في العصور المظلمة ونقلوها للغرب ، ونحن مديون لهم بمعرفتنا الحالية عن انتاجات المراكز الحضارية التي سادت في تلك الفترة . وبواسطتهم انتشرت الاشكال الحيوانية Moties الايرانية والاسكانية في اقليم البحر الابيض المتوسط واصبحت تقلد بواسطة اليونانيين والاطاليين .

أما عن أدهم فقد سبقت الإشارة الى اختراعهم للحروف الأبجدية ، أما باقي اعمالهم الأدبية فقد اندثرت الا النذر اليسير منها .

ولأن الزراعة كانت تمثل — خاصة في قرطاجة — قطاعا اقتصاديا مهما عند الفينيقيين فقد اهتم الفينيقيون بالرى وتمرسوا فى هذا الفن قبل ١٥٠٠ ق.م وربما ساعد هؤلاء فى انتشار فن الرى حول الشواطىء الجنوبية للبحر الابيض المتوسط وذلك من خلال رحلاتهم التجارية ومستعمراتهم التى اقيمت هناك .

الخلاصة :

الفينيقيون أمة بحرية عاشت على ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقى منذ القرن الرابع عشر ق.م وقد عرفت بالكنعانيين واطلق اليونانيون على الكنعانيين اسم الفينيقيين من Phoenix الذى يدل على اللون الاحمر .

وقد دفعت الظروف الجغرافية الفينيقيين الى الانحياز نحو البحر الابيض المتوسط حيث نشأت المدن الفينيقية على ساحله وكانت كل مدينة بمثابة دولة وكانت هذه المدن تتحد احيانا فيما بينها مكونة اتحادا فيدراليا تحت زعامة احدى المدن القوية . وفى فترة استقلال فينيقيا من النفوذ الاجنبى توسعت اقليميا وانشأت مستعمرات عديدة فى حوض البحر الابيض منها « قرطاجة » .

ولقد أسهم الفينيقيون اسهامات حضارية كبيرة ، أهمها على الاطلاق ابتكار نظام الابدعية السائد الآن ، ونبوغهم فى فنون الملاحة البحرية حيث أبحروا فى المحيط الاطلسي ، واستعانوا بالنجم القطبي فى اسفارهم ليلا وداروا حول افريقيا وعرفوا ساحلها الغربى . كما اشتهروا بمهارتهم التجارية حيث وضعوا قانونا للمعاملات التجارية كما تفوقوا فى بعض الصناعات كصناعة السفن وصناعة الزجاج والاصباغ والاقشة وصناعة ادوات الزينة العاجية والذهبية .

جهازي

اعداد : ابراهيم يوسف الشلة

الجزيرة العربية

أنتها الأرض التي عاش عليها الوديون وهي الأرض التي
أعطت العراق ومصر والشام العناصر البشرية التي أبنت بها
الحضارات وهي الخليل الذي يروي فيه العلماء طعامهم الشدب.
عن معرفة سمات تلك العناصر البشرية ... التي كانت سببا في
إشباع نور الحضارات في الشرق القديم
إبراهيم يوسف أحمد الشلة

الهوديون

يعتبر الهوديون من القبائل العربية الذين عاشوا وتجولوا في الجزيرة العربية ، وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم . قال تعالى

« والى نهود أخاهم صالحاً ، قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم به غيره »

صدق الله العظيم

وقال تعالى

« ونهود الذين جابوا الصخر بالواد »

صدق الله العظيم

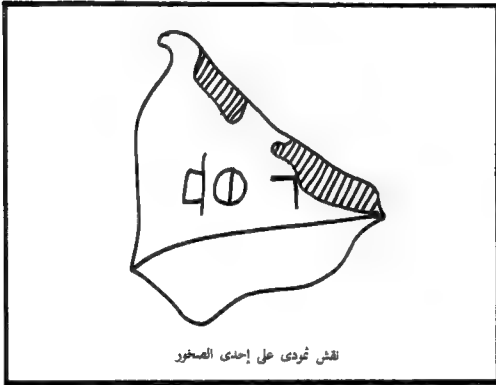
وقد خلفوا لنا القليل من الصخور المنقوشة بكتابتهم ورسومهم التي تنتشر في جنوب وشمال ووسط الجزيرة العربية ، ويمكن القول بأن الهوديين كان لهم الفضل الكثير في معرفة تاريخ وحضارة الجزيرة العربية من خلال ما تركوه لنا من نقوش ورسوم ، وكونوا الإيجدية الهودية ، التي بمعرفتها امكن قراءة وترجمة كتاباتهم ، وبدراسة هذه ثم لقاء الضوء على حضارات الجزيرة العربية خاصة وحضارات أبجديتها الكاملة حلقة بين أبجديات جنوب الجزيرة العربية وشمالها حيث كان للهوديين في الشمال قوة عظيمة ، ونشاط تجاري مزدهر استطاعوا عن طريق نفوذهم ونشاطهم التأثير على حضارات الشمال ، وإذا كانت نقوشهم يعود بعضها الى قرابة ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، فيمكن أن نتصور ما كانت عليه مجتمعاتهم النشطة خاصة وأنهم تجولوا في أرجاء الجزيرة العربية ، لكنهم لم يتركوا لنا آثار قائمة او مدن باقية لهم . فكل ما تركوه هي النقوش والرسوم .

ويقول بعض علماء الآثار والدراسات الشرقية القديمة بان الدوائر البحرية المنتشرة في كافة انحاء الجزيرة هي أماكن تجمعات نهودية ، إلا أن الأدلة الأثرية والتاريخية التي تؤيد ذلك لم تظهر بعد غير ان الآثار الهودية تقترن في بعض المواقع مثل الحناكية شمال حائل الى أكثر من ثمانية آلاف سنة وربما تكون الهودية امتدادا لها .

وكانت النقوش الهودية محل نقاش واهتمام علماء الآثار والدراسات الشرقية خلال الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الرياض هذا العام ١٣٩٩ هـ حيث عرض العالم الاثري أ.ج. دروز في الندوة التسلسل الزمني لحضارات الجزيرة العربية من خلال النقوش التي خلفتها لنا الحضارات القديمة بها ، وذكر بأن الحريشات الهودية التي تتواجد بكثرة هائلة في جميع انحاء عرب الجزيرة العربية هي واحدة من أهم مصادره في تأريخ حضارات الجزيرة وتسلسلها الزمني ذكر فورستر Forster في كتابه الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية

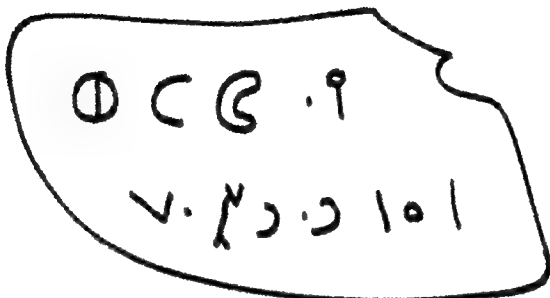
Histovical Geography of Arabia

قبائل ثمودينى Thamudeni أو ثموديتائى Thamuditae هم أكثر القبائل شهرة وهم الذين ذكروا فى الكتب الكلاسيكية وينتمون الى ثمود Thamud الذين كانوا منذ آلاف السنين فى جنوب الجزيرة العربية وطردهم الحميريون وهاجروا الى بلاد الحجاز وانتشروا فى شمال الجزيرة العربية .



Modiana أو Madiana وكانت معظم سواحل البحر الأحمر تحت سيطرتهم وتحكموا فى طرق التجارة وتنظيمها وتوفير الحماية لها وكان لهم قوة كبيرة فى شمال الحجاز والجزيرة العربية وكانوا منتشرين فى معظم تلك المناطق بقوتهم ونفوذهم ويبرهن على ذلك العديد من النقوش الثمودية التى تركوها لنا .

وقد اهتم الجغرافيون الأوربيون بالبحث عن ما خلفته الحضارات القديمة فى الجزيرة العربية ، وقام العديد منهم خلال القرنين السابقين باكتشاف العديد من النقوش الثمودية ، أثبتت لنا تلك النقوش مدى ما كانوا عليه من قوة وتأثير ، وألقت مزيداً من الضوء على حياتهم ومجتمعاتهم .



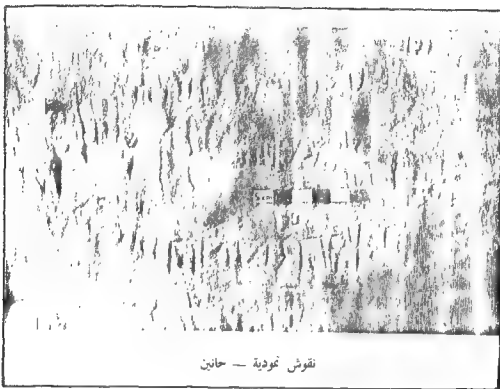
نقش نُقِدَى على جزء من حجر

وذكرت النقوش المسمارية بالعراق ، أن النُوديين الذين يعيشون في الجزيرة العربية يسكنون منطقة تسمى بـ خاجابا Hajappa وذكرت في الانجيل باسم Efa وهذا الاسم مذكور ومُحفوظ على نقوش معبد روافسا .

وذكرت بعض المصادر أن النُوديين اشتركوا في حروب الرومان بقيادة الامبراطور جستنيانوس الذي استخدمهم في بداية القرن السادس الميلادي كفرسان مهرة في جيوشه ، نظراً لما كانوا يتمتعون به من قوة حرية بارعة ومهارة في ركوب الخيل واستخدام أحدث وسائل القتال وقتذاك ، الأمر الذي جعل الاباطرة الرومان يستعينون بهم ، لا كقوات احتياطية أو للامدادات بين صفوف جيوشهم ، لكن استخدموا كقوات من الدرجة الأولى في القتال .

وفي رأيي أن الرومان بعد فشل جيوشهم في الحروب داخل الجزيرة العربية وبسبب عدم كفاءة قواتهم القتالية في الصحراء — حيث كانت معظم حروبهم وانتصاراتهم داخل أوروبا وفي دول البحر الابيض المتوسط — لذلك كانت قواتهم تفتقر الى خبرة طويلة في ضربو الصحراء ، وما قد وصل اليه الجيش الروماني من فشل خلال حملة إيلْيوس جالوس عام ٢٤ قبل الميلاد ، داخل الجزيرة العربية خير دليل على ذلك .

وكان على الرومان العمل على الاستعانة بأمهر الفرسان المدربين على الحروب داخل الجزيرة العربية ، للاستعانة بهم في حروبهم ضد قبائل الشرق ، ووجد أباطرة الرومان في فرسان القبائل النُودية خير معين لهم في حروبهم ، وبذلك يمكن القول بأن النُوديين لم يكونوا



بمجرد تجمعات ازدهرت تجارتهم بل كان لهم من القوة ما جعلهم يسيطرون على اماكن شاسعة شمال وغرب الجزيرة العربية وراى فيهم أباطرة الرومان الأمل على نجاح حملاتهم فى المنطقة . وذكر الكتاب الكلاسيكيون أنهم سيطروا على معظم المنطقة العربية الصحرية Arabia Petraea وهى المنطقة التى تقع شمال غرب الجزيرة العربية . حيث اطلق الكتاب الكلاسيكيون على الجزيرة العربية أسماء ثلاثة :

- | | |
|--------------------|-------------------|
| 1 - Arabia Petraea | العربية الصحرية |
| 2 - Arabia Deserta | العربية الصحراوية |
| 3 - Arabia Telix | العربية السعيدة |

وذكر الكتاب أن النوبيين سيطروا على شمال وغرب الجزيرة وهى المنطقة التى اطلقوا عليها — كما ذكرت من قبل — Arabia Petraea « العربية الصحرية » ذكر ريد W.L. Reed فى كتابه :

Ancient Records From Northern Arabia

وثائق قديمة من شمال الجزيرة العربية أنه تم العثور فى سكاكا على حجرين عليها نقوش



وأول إشارة تاريخية مسجلة تذكر النوبيين ظهرت فى قائمة سرجون II بالعراق ، حيث عثر على قائمة باللغة المسبارية تذكر الملك سرجون فى احدى انتصاراته التى حققها بعد حملاته على الجزيرة العربية وتؤرخ بعام ٧١٥ قبل الميلاد وتقول :

« إن قبائل ثمود وعبيد مرمسان
وخيايا من قبائل العرب سكان البادية
الذين لم يصل خبرهم الى حكمهم ولا عالم
ولم يدفعوا الجزية لأحد قبلي ، كل هذه
الأمم نجلتها باسم آشور إلى »

ذكر فيليبي Philby في كتابه Sheba's Daughters أنه عثر على
حدود الربع الخالي على صخرة ضخمة عليها العديد من النقوش التمودية وقد ذكر برين دو
Brian Doe في كتابه جنوب الجزيرة العربية Southern Arabia ان
المخرشات Graffiti التي توجد وتنتشر بكيات هائلة على الصخور في جنوب
الجزيرة العربية والتي تركها التموديون وتحتوي على العديد من الكتابات التمودية والاشكال
الأمية ، وأنواع عديدة من الحيوانات والنباتات ، كل ذلك يوضح لنا مدى ما وصلوا اليه
من تقدم وازدهار في مجتمعاتهم في جنوب الجزيرة العربية .

ومع أن هناك العديد من الكتابات التمودية بجنوب الجزيرة العربية بحروفها الكثيرة ، إلا
أنها لم تعطينا تطورا واضحا للإبجدية التمودية — كما تبين لنا كتابات الشمال — لكنها في
نفس الوقت أعطينا الشخصية المميزة والمعروفة للكاتب القديم في جنوب الجزيرة العربية .
وأول ترجمة لهذه النقوش المبكرة التي عثر عليها في الجنوب ، قام بها العالم إميل ريدجر
Emik R.Rödiger عام ١٨٣٧ م ، وكذلك العالم فيلهلم H.F. Wilhelm

عام ١٨٤١ م .

وأول نص متكامل نغويا عثر عليه في جنوب الجزيرة نشر بمعرفة العالمة ماريا هيفنر
Maria Höfner عام ١٩٤٣ م ، وقد أكمل دراسة جميع النقوش التمودية التي تم
جمعها من مختلف مناطق الممالك القديمة ، العالم A.F.L. Beeston ، وقد عثر على
مناطق النقوش في منطقة لحج Lahej ومنطقة وادي حضرموت وجميعها تؤكد
وجودهم في الجنوب قبل الميلاد بألاف السنين في مجتمعات ثقافية ومتحضرة .

ذكر موسيل A. Musil في كتابه « شمال الحجاز » Northern Hegaz ان
القبائل التمودية التي هزمها الملك الآشوري سرجون في القرن الثامن قبل الميلاد هي نفس
القبائل التي ذكرها الجغرافيون والمؤرخون اليونان والرومان . وذكر ديودورس الصقلي
Diodorus S. في كتابه « كتاب التاريخ »

Bibliotheca Historica ان القبائل التمودية كانت منتشرة في أماكن عديدة
على الساحل الغربي للجزيرة العربية حيث كونوا مجتمعات كبيرة ومتحضرة تعمل بالتجارة
وذكره بطليموس Ptolemy في كتابه Geography ان التموديين منتشرون في
شمال غرب الجزيرة العربية ووفقا للنقوش التمودية العديدة على معبد رواغا الذي شيد في القرن
الثاني الميلادي — وترك لنا التموديون العديد من النقوش على جدرانهم ، يتبين لنا أن مجتمعات
التموديين كانت منتشرة في جميع مناطق واحة تيماء وخاصة جهة الغرب بالقرب من الطريق

العظيم الذى يوصل من جنوب الجزيرة العربية الى سوريا شىالاً .
وذكر بطليموس Ptolemy ، أنهم سكنوا منطقة مدين Madan أو

ثمودية بالإضافة الى العديد من النقوش التى تركوها لنا فى بلاد نجد وهى نقوش ثمودية ذات الطابع التجدى الذى يختلف عن الطابع الخاص بالنقوش الثمودية فى منطقة تبوك ومنطقة الحجاز فى حائل على جبل ياطب اكتشفت مئات من النقوش الثمودية التى ساعدت على كشف جوانب متعددة فى تاريخ وحضارة الثموديين .

فى منطقة الجوف عثر على عثرشات ثمودية عديدة ذات الطابع الحجازى ، اكتشفها هوبر Huber ويوتنج Euting ، وكذلك نقوش الطوير شمال سكاكا التى نشرها فان دن براندن Van den Branden وكل هذه النقوش تعطيانا معرفة طيبة عن حياة الثموديين .

أعطى ريد Reed فى كتابه السالف الذكر العديد من النقوش الثمودية على الصخور ، وقد أعطى أبجدية كاملة للحروف الثمودية ، وظهر من النصوص الثمودية المتعددة فى شمال ووسط وغرب الجزيرة العربية ، ان الثموديين كان لهم لهجات عديدة ، وقد أورد ريد Reed الأبجدية الخاصة بقبائل منطقة تبوك فى الشمال ووصلت حروفها الى عدد ٢٧ حرف منها أحرف أخذت أشكالاً متعددة مثل :

حرف « م » ظهر له ٦ أشكال مختلفة .

حرف « ش » ظهر له ٥ أشكال مختلفة .

حرف « ف » ظهر له ٥ أشكال مختلفة .

ولم يظهر حرف « ض » فى أبجدية قبائل تبوك أما أبجدية قبائل الحجاز فقد اشتملت على عدد ٢٦ حرف ، من بينها أحرف أخذت أشكالاً متعددة مثل :

حرف « أ » ظهر له ٤ أشكال مختلفة .

حرف « ك » ظهر له ٥ أشكال مختلفة .

وقد ظهر حرف « ض » فى أبجدية الحجاز فى حين اختفت حروف « غ » و « ظ » .
أما أبجدية قبائل نجد فقد اشتملت على عدد ١٧ حرف فقط .

لكن الأمر لم ينته على ما أورده ريد فى الأبجديات الثمودية ، لما زالت رمال المملكة العربية السعودية تفتى فى طبائنها العديد من الأدلة الأثرية التى تؤرخ للثموديين وجبال المملكة ما زالت قمها تحمل العديد من الصخور المنقوشة بالكتابات والنصوص الثمودية التى سوف تعطى المزيد من تطور كتاباتهم ومن ثم الثقافة والفكر .

وقد عرض الأستاذ/ عبد المنعم عبد الحليم سيد خلال الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الرياض هذا العام ١٣٩٩ هـ موضوعاً بعنوان « المظاهر الحضارية فى شبه الجزيرة العربية » وحاول فيه إبراز اللغة الثمودية كفروع من فروع الكتابة السامية ، وتساءل عما إذا كان الاصل المصرى القديم للكتابة السامية الجنوبية « بفرعها نعرني الجنوبي والعربي الشمالي » عن طريق اشتقاق حروف هذه الكتابة من علامات الكتابة البروتوسينائية

Proto-Sinaitic وهل تم ذلك باشتقاق حروف الكتابة العربية الجنوبية السبئية وغيرها « في اليمن من البروتوسينائية ، ثم من العربية الجنوبية اشتقت الكتابة العربية الشمالية « النمودية » وما شابهها ؟ أم كان ذلك الانتقال عن طريق اشتقاق حروف إحدى كتابات الحجاز القديمة التي يسميها بعض الباحثين « النمودية القديمة » — تميزها لها عن النمودية المعروفة — من البروتو سينائية ، ومن النمودية القديمة اشتقت حروف الكتابة العربية الجنوبية ... ؟

كل هذه التساؤلات التي أوردها الاستاذ عبد المتعم عبد الحليم سيد في الندوة ، سوف نجد أجوبتها واضحة من خلال مجهودات إدارة الآثار والمتحف في البحث والتنقيب عن النموديين وباقي شعوب الجزيرة العربية .

ويتضح من خلال ما تم الكشف عنه من كتابات للشموديين ، أن حضارة النموديين كانت أكثر ازدهاراً من المناطق الغربية والشمالية في تبوك والعلا ووادي السرحان والحجاز ، وقد قامت إدارة الآثار والمتاحف بعمل مسح أثرى شامل لتلك المناطق الشمالية وتم العثور على العديد من النقوش النمودية .

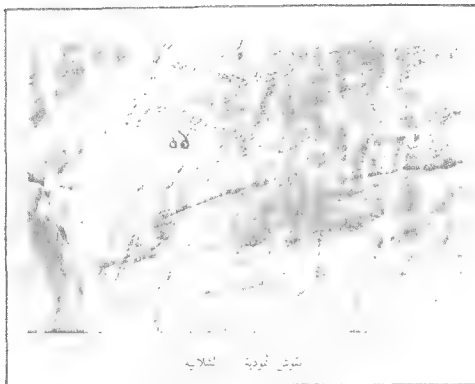
وقد تم الكشف خلال المسح الأثري عام ١٣٩٨ هـ في منطقة جبة على العديد من النقوش النمودية يعود تاريخها الى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد وقد ألقى الاستاذ/أحمد حسين شرف الدين ، خبير اللغات العربية القديمة بإدارة الآثار والمتاحف وقتذاك القى الضوء على تاريخ منطقة جبة التي احتوت على هذه النقوش النمودية ، ويقول في تقريره عن جبة : إن تلك المنطقة كانت مكاناً يستريح فيه رجال القوافل التي تسافر بين نجد ودومة الجندل وكانت هزة الوصل التجارية والعسكرية بين منطقتين هامتين وحيويتين .

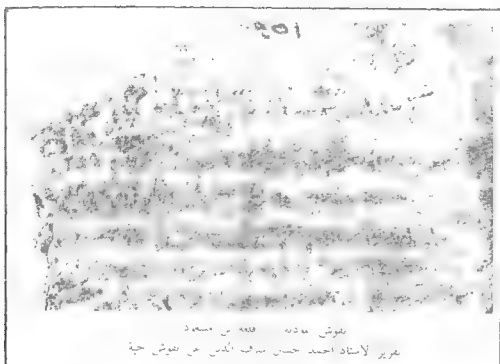
أما في الماضي السحيق فكانت دون شك مركزاً لتجمع بشري زاخريدل على ذلك آلاف النقوش والصور والمخرنشات التي يضمها جبل أم سلمان الذي يبعد عن البلدة من الشمال الى الجنوب بطول ٦ كيلومترات وتعتبر النقوش الكثيرة المنتشرة في أنحاء متعددة من جبل أم سلمان دليلاً واضحاً على وفرة سكان المنطقة في القدم ، كما تعتبر الصور الفنية المخفورة على الصخر والموجودة في موقع الثنايت وأم شداد والفوطة والشلالة والحنكة دليلاً صريحاً على قيام حضارة في هذا المكان كما تمثل المستوى الفني الذي شهدته الجزيرة العربية خلال الألف الثالث قبل الميلاد .

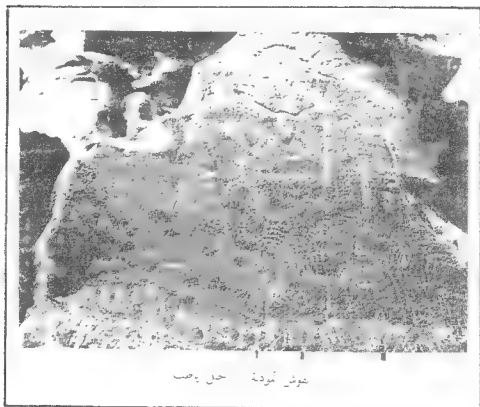
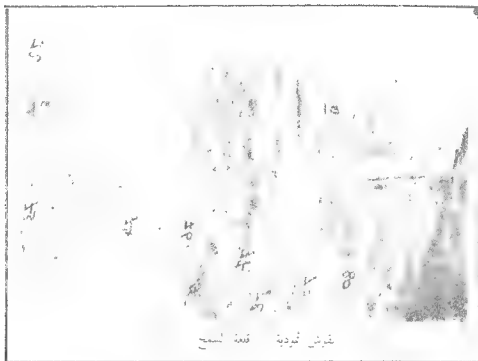
وفي جبة تم العثور على عدد ٣٢٤ نقشاً نمدياً ، وتسم هذه النقوش في جبة وكذلك في حائل بأنها من النوع المعروف بالنمودى التجدى وقليل منها من ذلك النوع المعروف الشائع في المنطقة الشمالية الغربية والمعروف بالنمودى الحجازى ...

وتتميز نقوش جبة لا سيما الموجودة منها في موقع الثنايت بخاصية فريدة في الاسلوب الكتابي وسجل الحفظ ومدلول المحتوى

ويتضح في الخلاصة صورة ما كان عليه النموديون من تقدم فكري وثقافي الى جانب تقدمهم الحضارى .











مراجع البحث

- 1 - Forster,
Historical Geography of Arabia, Duncan and Malcolm, London
- 2 - C.M. Daughy,
Travels in Arabia, Randson House, Newyork, 1921
- 3 - H.ST.J.B. Philiby,
Sheba's Daughters, Methuen and Co, London, 1939
- 4 - A.Musil,
Northrn of Hegaz, Newyork, 1926
- 5 - W.L. Reed, T.V. Winnett,
Ancient Records From North of Arabia, Toronto Press 1970
- 6 - Brian Doe,
Shouthern Arabia, Thames and Hudson, 1971

٧ — جورجى زيدان .

العرب قبل الاسلام ، دار الهلال

٨ — أحمد حسين شرف الدين

تقرير المسح الأثرى عام ١٣٩٨ هـ

إدارة الآثار والمتاحف

المملكة العربية السعودية والجامعة العربية

بقلم : عصام ضيار الدين السيد
الباحث بالدار

إذا كانت الفكرة السائدة حول انشاء الجامعة العربية تقول بأنها خرجت لأول مرة من لندن حينما أعلن بها أنطوني ايدن وزير خارجية حكومة تشرشل اثناء الحرب الكبرى الثانية . فإنه يجب ألا يغيب عن بالنا أن الوحدة العربية كانت حق هدف تسعى الدول العربية لتحقيقه من أجل الوصول الى مطالبها الوطنية . وانه اذا كان الانجليز قد بادروا بطرح فكرة انشاء الجامعة العربية الا ان هذه الجامعة ما كان ولم يكن في وسعها ان تقوم ما لم يعمل العرب بأنفسهم على انشائها (١)

ثم ان هذه الدعوة حقيقة لم تكن اجتهداً شخصياً من ايدن ولا وحياً بهط اليه ليجمع الدول العربية في اطار واحد . فسياسة الاستعمار البريطاني — كما هو معلوم — كانت تقوم على الفترقة بين الاوطان عملاً مبدأ « فرق تسد » . وانما يعترف ايدن على حد تصريحه الصادر في ٢٩ مارس ١٩٤٠ يكون هذه رغبة عربية فقال :

« ان كثيرين من مفكري العرب يرغبون في أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة اكبر من النصيب الذي تتمتع به الان ، وهم يأملون منا المساعدة في تحقيق هذه الوحدة ، لذلك لا يجوز لنا ان نهمل اي دعوة يوجهها اليها اصدقائنا العرب في هذا الصدد ... » .^(٢٢)

اذن فالفكرة عربية في الاساس ، ولكن للدور الضائع للسياسة البريطانية في العالم العربي آنذاك مال بعض ساسة العرب لمساندة بريطانيا لهم في تحقيق هذا الامر . ففي اعقاب تصريح ثان لايدن في البرلمان البريطاني من ان الخطوة الاولى يجب ان يقوم بها العرب انفسهم ، قام مصطفى النحاس رئيس الوزراء المصري امام مجلس الشيوخ المصري ، وأعلن أن على الحكومات العربية التداول فيما بينها وأنه « يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من آمال ، على حده ، ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها في التوفيق والتقريب بين آراء مختلف الحكومات العربية ما استطاعت السبيل الى ذلك ، ثم تدعوهم جميعاً الى مصر في اجتماع ودي لهذا الغرض حتى يبدأ السعى للوحدة العربية من جبهة متحدة بالفعل ، فإذا تم التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد في مصر مؤتمر برئاسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع واتخاذ اللازم من القرارات حتى تتحقق الأغراض التي تنشدها الأمة العربية » .^(٢٣)

والحق يقال ان الملك عبد العزيز آل سعود راودته منذ البداية المخاوف فكان من رأيه أن اقتراح مستر ايدن بانشاء الجامعة العربية انما يثير الشك في نوايا الانجليز . وبينما أثمرت الاتصالات التي دارت بين القاهرة وبقية العواصم العربية على عقد مؤتمر في الاسكندرية في الفترة بين ٢٥ سبتمبر و٧ اكتوبر ١٩٤٤ ، وانتهى المؤتمر بعقد بروتوكول الاسكندرية الذي أعلنت فيه الدول العربية اتفاقها على التعاون والتضامن في نطاق منظمة رسمية تحمل اسم

جامعة الدول العربية ، اذا بالملك عبد العزيز يقرر عدم توقيع بلاده على ميثاق الجامعة الذي تحدده له يوم ٢٢ مارس ١٩٤٥ . وكانت وزارة أحمد ماهر في مصر قد اعقبت وزارة النحاس التي أقيمت فحاولت وزارة ماهر جاهدة اقناع الملك عبد العزيز بالعدول عن موقفه إلا أنه أصّر على رأيه . وتقرر إيفاد عبد الرحمن عزام على رأس بعثة الحج المصرية كأمر للحج ، وكان يشغل وقتها منصب سفير بديوان وزارة الخارجية المصرية ، حتى يتسنى له مقابلة الملك عبد العزيز لمحاولة اقناعه بالموافقة على اشتراك بلاده في ميثاق الجامعة العربية . وتم اللقاء وأعرب الملك عن مخاوفه ازاء نوايا الانجليز فكان رأيه « ان واحداً مثل انتوني ايدن لا يمكن أن يتطوع بالانحياز الى البلاد العربية بانشاء الجامعة إلا اذا كانت بريطانيا تجرى وراء تحقيق بعض المآرب الاستعمارية من انشائها » . فرد عليه عزام بقوله « قد يكون هذا صحيحاً

يا طويل العمر .. ولكن المهم أن يتم إنشاء هذه الجامعة وبعدها يمكن للعرب أن يجعلوا منها أداة تعمل في خدمتهم لا في خدمة بريطانيا . ووافق الملك عبد العزيز أخيراً على اشتراك بلاده في التوقيع على ميثاق الجامعة ولكنه اشترط لذلك تحقيق رغبة المملكة العربية السعودية في أن يكون عزام أميناً عاماً للجامعة حتى تكون الجامعة في خدمة العرب ولا تسير في ركاب سياسة الانجليز .

وبالفعل تم التوقيع على ميثاق الجامعة في ٢٢ مارس ١٩٤٥ حيث تكونت الجامعة من العربية السعودية ومصر وسوريا والعراق وشرق الأردن ولبنان واليمن . واختير عزام أميناً عاماً للجامعة بناء على رغبة الملك عبد العزيز .

ففى الحق كان عزام مؤهلاً لأن تعقد اليه مقاليد رئاسة الجامعة لرصيده الوطنى والقومى فى الكفاح ضد الاستعمار . فضلاً عن أنه كان دبلوماسياً موهوباً وثورياً سياسياً وبرلمانياً متمازاً من خلال تاريخ كفاحه .

وحقيقة كانت مخاوف الملك عبد العزيز فى محلها ، فسرعان ما قدمت الحكومة البريطانية مذكرة احتجاج على ما أسمته « روح الميثاق » . فانكشفت بذلك نواياها فقد تصورت تلك الحكومة أن بوسعها الاعتماد على بعض اعوانها من السياسيين فى تسخير الجامعة العربية لتكون فى خدمتها حيث كان يقود هذا الاتجاه نورى السعيد وفاضل الجبالى وغيرهما . الا ان الاتجاه القومى العربى كان واقفاً بالمرصاد للاتجاه المضاد الذى كان يعمل لحساب الانجليز فى الجامعة فقم الرد على مذكرة الاحتجاج البريطانية بيد عزام .^(٤)

على أية حال سارت الجامعة فى طريقها القومى وظهرت لأول مرة بعد اعلان ميلادها على مسرح الاتصالات السياسية الدولية حينما كلفت عبد الرحمن عزام بالدفاع عن قضايا العرب وعلى رأسها قضية فلسطين أمام الرأى العام فى اوربا .

ولكن ثمة حقيقة تاريخية يجب ألا تغيب عن الأذهان وهى أن الموحى لهذه الفكرة فى

الاساس كان الملك عبد العزيز الذى ظل موالياً إلى أن خرجت إلى حيز التنفيذ .

فالراصد للمقابلة التاريخية التى جمعت الملك عبد العزيز بالرئيس الأمريكى روزفلت على

ظهر الطراد « كونيرى » فى « البحيرات المرة » بقناة السويس قبل ظهر يوم الخميس ٢ ربيع

الأول ١٣٦٤ (١٥ فبراير ١٩٤٥) يلاحظ أن الملك عبد العزيز قد طرح فكرة ارسال وفد

عربى الى كل من امريكا وبريطانيا لتنوير الرأى العام فيها بقضية فلسطين . فرحب الرئيس

روزفلت بالرأى واعتبر الفكرة جيدة للغاية لأنه سلم بأن كثيراً من الناس فى امريكا وانجلترا

يجهلون ذلك .^(٥)

وتبنت الجامعة الفكرة ، وقرقرارها على تفويض عزام بالذهاب الى لندن كى يوقف الرأى

العام فيها وكذلك رجال الحكومة البريطانية فى اسرع وقت ممكن على حقيقة شعور الدول

العربية بعد تكوين الجامعة لا سياً أن دولها أصبحت متضامنة متضهمة لكل المسائل التى تخص

أى دولة منها مع رغبتها فى السلم والوفاق والتعاون الدولى على أن يكون حل الأمور عن طريق

احترام الحقوق والمساواة . فأصبح على عزام مسئولية شرح مشاكل العرب كل على حده .

فكانت مهمته لذلك شائكة فإنه بقدر ما سيتعرض حيناً للهجوم من الصهيونيين فى العاصمة

البريطانية فإنه سيضع السياسة الاستعمارية البريطانية في مأزق من جراء تفجيره لقضايا الاستقلال الوطني وأوضعه النقاط على الحروف بإعلان الموقف العربي الموحد إزاء فلسطين . وكان من الطبيعي ، قبل أن يخل عزام بالعاصمة البريطانية ، أن يتشاور مع أولى الأمور في عدد من عواصم الدول العربية حول مسائل العرب المختلفة بغية الاستئناس بأرائهم وارشاداتهم للقيام بمهمته . فقصداً أولاً المملكة العربية السعودية في ١٥ سبتمبر ١٩٤٥ وبرفقتة الشيخ حافظ وهبه ، ولدى وصوله الى جده تقابل مع بعض رجال الحكومة السعودية . كما قدر له مقابلة وزير امريكا المفوض المستر ادى وكان حديثه في مسائل طرابلس (ليبيا) وسوريا ولبنان وفلسطين حيث أعرب المستر ادى عن عطف أمريكا على أماني البلاد العربية . ثم قصد عزام بعد ذلك الرياض حيث تقابل مع الملك عبد العزيز مقابلات طويلة اليوم التالي من وصوله . وكان الحديث عن القضايا العربية حيث أبدى الملك عبد العزيز كل استعداد فيما يتعلق بمسألة فلسطين فلم يتوان في الإعراب عن الدفاع عن حقوق العرب هناك بكل ما أوتي من قوة . وأن أقل ما تنتظره الأمم العربية في الحال من بريطانيا هو وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين . وكان من الطبيعي ألا يقتصر الأمر على فلسطين وإنما دار الحديث على مسألة استقلال طرابلس وخطة الجامعة نحوها حيث قام عزام باطلاعه على ما تضمنته مذكرة الأمانة العامة ومذكرة الحكومة المصرية . ولما جاءت مسألة سوريا ولبنان أظهر الملك رغبته الشديدة في أن يسود الائتلاف والاتحاد بين أبنائها متفقاً في ذلك مع قرار مجلس الجامعة بمطلب الجلاء عنها ، كما تمنى كل خير لمصر ووجوب حصولها على الاستقلال التام . وتوجه عزام بعد ذلك الى كل من بغداد ودمشق وبيروت وقفل راجعاً إلى مصر بعد أن إطمأن الى وحدة الكلمة العربية ثم قام برحلته في ٢٥ سبتمبر ١٩٤٥ الى لندن والتي استمرت حتى ٢٦ أكتوبر ١٩٤٥ . واجتمع اليه وزراء العرب المفوضين سوريا ولبنان والعراق والسفير المصري والقائم بأعمال المفوضية السعودية فعرض عليهم نتائج مباحثاته في عواصم الدول العربية وما تم الاتفاق عليه من التشاور معهم والاستعانة بهم في مهمته . فتمكن عزام من شرح جميع المشاكل العربية شرحاً وافياً حتى يزول اللبس وسوء الظن لرجال الصحافة وكثير من أعضاء مجلس النواب واللوردات ورجال الأعمال والمهتمين بمسائل الشرق ، كذلك شملت مقابلاته بعض وكلاء وكبار وزارة الخارجية وكبار رجال وزارتي المستعمرات والاستعلامات . هذا فضلاً عن مقابلاته للمستر اتلي رئيس الوزارة البريطانية والمستر بيتش وزير الخارجية والمستر هول وزير المستعمرات . (٦) كما انتزح الفرصة للاتصال بوزراء خارجية الدول الكبرى . (٧)

وفي المؤتمر الصحفي الذي انعقد في ٤ أكتوبر ١٩٤٥ أجاب عزام على الأسئلة التي وجهت اليه عن الجامعة ودورها من أجل فلسطين ، وعما يتوقعه من حكومة العمال للجامعة العربية ، وعن موقف الجامعة من المعاهدة المصرية البريطانية بل وموقفها من استقلال الهند . وفي خضم هذه الأسئلة وجه اليه سؤال ما كر أجاب عليه بأمانة فقبل له هل كل دول الجامعة تتمتع بحكومات ديمقراطية ؟ فرد عزام قائلاً بأن « معظم هذه الدول لديها حكومات

ديمقراطية دستورية مستقلة . وأن تلك التي ليس لديها حكومات برلمانية هما العربية السعودية واليمن . وعلى الرغم من أن العربية السعودية ليس لديها حكومة برلمانية إلا أن لديها نظاماً يتسم بديمقراطية أكثر من أي دولة أخرى نعرفها لأن ملك العربية السعودية من الممكن أن يقترب منه بالذات أي واحد من رعاياه وفي أي وقت ، فهو يستمع ويصغي للمطالب وينفذ إرادة شعبه لأنه على صلة وثيقة بشعبه فليدب مجالس من رؤساء وقادة القبائل . وكما أعلم شخصياً بأنه ليس هناك أي مكان تتخذ فيه القرارات بعد مشورة واسعة كما في العربية السعودية .^(٨)

وعلى عزام على انطباعاته حول جهوده في بريطانيا قائلاً أمام الجامعة العربية « فنياً يتعلق بالدوائر الرسمية في لندن يكاد الانسان يلمس أنها تعطف على الدول العربية انما يتفاوت عطفها على المسألة الصهيونية » . أما مقابلاته لبعض النواب البريطانيين فقال انها « تركت لديه شعوراً غير طيب اذ فيهم المتعصب تعصباً أعمى للفكرة الصهيونية ويعتقدون انهم على حق حين يدافعون عن مذهبهم . على أنه يمكن تغيير شعور هذا الفريق بالعمل على اقناعهم بأن العرب هم الضعفاء وأن مجال الإصلاح والتقدم فسيح في بلادهم والطبقات الفقيرة لديهم تكون الاغلبية . أما اليهود فأقوياء بالعلم والمال والوسائل » . ويرى عزام لتحقيق ذلك وجوب ممارسة الدعاية ودعوة بعض اعضاء مجلس العموم البريطاني بصفة عامة وبعض زعماء حزب العمال بصفة خاصة لزيارة بلاد الشرق الاوسط ، وأن من المستحسن ان تكون الدعوة صادرة عن جامعة الدول العربية .^(٩)

وحينما فرغ عزام من تقديم تقريره عن رحلته الى الجامعة جرت مناقشة من اعضاء الوفود العربية يهتما منها في هذا الصدد ما جرى على لسان وفد المملكة العربية السعودية الذي كان يرأسه الشيخ يوسف ياسين ، وزير الدولة ونائب وزير الخارجية السعودية ، وعضو مستشار المفوضية السعودية بمصر خير الدين الزركلي .

فعلق الشيخ يوسف ياسين بقوله :

« الواقع أن التقرير الذي قدمه عزام بك تقرير قيم وإن مجهوده كان عظيماً وموفقاً . كما أن هذه الرحلة لم يكن مقرراً أن تؤدي الى نتيجة معينة ولم يكن المقصود منها القيام بالمفاوضة ، انما كان المطلوب بيان وجهات نظر الامم العربية في المسائل المتعلقة بها . ونحمد الله سبحانه وتعالى على نجاح هذه الرحلة وتوفيقها حيث ظهرت حقائق كثيرة لمن يجهلها . فهذه الناحية من التقرير هي الناحية التي كانت ترجى للبلاد العربية جميعاً . وبناء عليه أرى أن تكون الظروف مواتية لرحلة أخرى إلى امريكا يقوم بها عزام بك أو أي رجل من رجال الجامعة مؤيداً منها . »

أما فيما يتعلق بموضوع الدعاية فإنه يرى تشكيل لجنة خاصة لكي يستوفى بحثها بشكل مجد مفيد حتى يمكن الوصول الى النتيجة المطلوبة لاسيما وأن مكاتب الدعاية الموجودة بالفعل هي مكاتب مستقلة المطلوب الاستفادة منها بقدر الإمكان ، وأن الأفضل لهذه المكاتب أن تكون مرتبطة بمجهة معينة وأفضل أن تكون لها رابطة جامعة سواء في مصر أو في لندن أو في واشنطن ، وأن اختيار الأعضاء يجب ألا يكون قاصراً على الفلسطينيين وحدهم بل من العرب بصفة عامة . وأكد الشيخ في النهاية أن قضية فلسطين انما هي قضية الامة العربية

بأجمعها (١١).

وحري بنا الإشارة الى تعقيب عزام على مناقشات الأعضاء المثيرة فقد لفت انتباههم الى أن الاتهام بقضية فلسطين يجب ألا ينجب معها الاتهام ببقية القضايا العربية حتى لا تذهب البلاد العربية الأخرى ضحية بجانب فلسطين التي لا أمل لها الا بقوة البلاد العربية المستقلة . حيث أن ما بذله الجامعة ، كجامعة عربية متحدة منذ انشائها ، من جهود لمصلحة قضية

فلسطين لم تبذل لمصلحة استقلال أية دولة عربية أخرى . ثم إن ملوك ورؤساء الدول العربية لم يقصروا في الاعلان عن مرافقتهم لقضية فلسطين ، فعمل الملك عبد العزيز بصراحة للمثل النجديس « انه يوم سعيد ذلك الذي أقتل فيه أنا وأولادى في سبيل تحرير فلسطين » . على أية حال طالب عزام المجتمعين بالعمل على رفع الجامعة العربية الى مستوى هيئة دولية تتناول المسائل الدولية على اسس واسعة وفي افق شامل لأكهئية سياسية موضعية ، فعليها أن تتعاون مع مجلس الأمن الدولي وتتدخل في نظام الامم المتحدة ويكون لها كيان كجامعة دولية ، وحينما يتحقق ذلك فإن مشاكل العرب تكون قابلة للحل . وفي النهاية طالب بوضع تنظيم دعابة عربية ، على ان تكون هذه الدعابة تابعة للجامعة العربية وتكون قسما من اقسامها يعرف اغراض الدول العربية ومشاكلها وأوضاع كل منها ويغذى الدعابة للبلاد العربية في هذه النواحي وغيرها . (١٢)

وعقد مجلس الجامعة الاجتماع الثالث في ٢ ذى الحجة ١٣٦٤ (نوفمبر ١٩٤٥) وبحث في مسألة تنظيم أعمال النشر والصحافة والاذاعة في الجامعة فكانت وجهة نظر المملكة العربية السعودية ، والتي عبر عنها خير الدين الزركلي ، « بأن للمسألة ناحيتين الاولى - الدعابة لفلسطين والثانية الدعابة للجامعة ، فنيا يتعلق بالناحية الاولى قد أنشئ مكتبان للدعابة لفلسطين بقرار من الجامعة ، وللدول الجامعة أن تساعد القائمين بشئون المكتبين وكما لاحظ عزام أن القائمين بهذين المكتبين من الفلسطينيين ويعرفون الشئون الفلسطينية حق المعرفة ويصعب عليهم معرفة غيرها مما يخص البلاد العربية ، ومع ذلك يمكن للحكومات التي تعاونهم أن تحدد لهم المسائل التي لا يجوز لهم ان يتعدوها حتى لا يقعوا في الخطأ . أما الدعابة للجامعة فأخشى أن يكون هذا اللفظ — لفظ الدعابة — كريبا لان وزارات الدعابة لم تظهر إلا في خلال هذه الحرب ... لذلك لا ارى ضرورة لإنشاء مكتب دعابة للجامعة . لان هذه الدعابة يمكن أن تقوم بها عن طريق الصحافة والاذاعة والنشر لا عن طريق الرحلات . ولدينا اكبر مثل على نجاح الرحلات ما قام به عزام بك في رحلته الأخيرة . وأرى ضرورة تقوية مكتب النشر والصحافة فهذا أحسن دعابة ، دون ذكر لفظ دعابة ، بأن تزيد الاعتماد المدرج له في الميزانية على أن تبقى المكاتب المخصصة للدعابة لفلسطين كما هي » . (١٣) وأكد الشيخ يوسف ياسين من جهة أخرى على وجوب قيام العلاقة والارتباط بين المكاتب القائمة بالدعابة لفلسطين في لندن وواشنطن ، والجامعة العربية حتى نجد القوة والتأييد . (١٤)



بيان عن اجتماع ملوك العرب ورؤسائهم وأمراءهم

تشاور أصحاب الجلالة والفضامة والسمو رؤساء دول الجامعة العربية بمثلين باقتضائهم أو بوكلائهم في المؤتمر الخاص الذي عقد في زعماء انشاص في يومى ٢٨ و ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ بدعوة من حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور . وقد حضر حضرة صاحب الفضامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وحضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله ملك شرق الأردن ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وحضرة صاحب الفضامة الشيخ بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سيف الإسلام عبد الله نجل جلالة الإمام يحيى ملك اليمن .

وبعد المناقشة في المسائل العامة والخاصة بالشؤون العربية ، وجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن البلاد العربية المشتركة في جامعة دولهم ترضب رغبة أكيدة في السلم الدائم بينها وبين جميع دول العالم ، وأن عليها أن تبتذل كل ما تستطيع في سبيل تأييد السلم ، وأنهم يرون أن من أعظم الوسائل إلى ذلك التوافق الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتحقيقها .

ثم تداولوا في قضية فلسطين من شتى نواحيها ، فأروا أن قضيتيها ليست قضية خاصة بـعرب فلسطين وحدهم ، بل هي قضية العرب جميعا ، وأن فلسطين عربية يحتم على دول العرب وشعوبها صيانة هويتها ، وأنه ليس في إمكان هذه الدول أن توافق بوجه من الوجوه على أية هجرة جديدة ، وبمطروحات ذلك نقضا صريحا للكتاب الأبيض الذى ارتبط به الشرف البريطانى . ولم يحظ الأمل أن لا يترك صفو حلائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة ، والمولتين الديمقراطيةين الصديقتين من جهة أخرى أى تشبه من جانبها برى إلى إفراز تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين ، حرصا منهم على دوام هذه الصداقة ، وتقديرا لرد نعل ينشأ بسبب ذلك ويضئ إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر في السلم العام .

أما فيما رאו زيادة على ذلك فقد كفوا الأمين السام لجامعة الدول العربية أن يحمل إلى مجلس الجامعة نتائج اجتماعهم ومدلولاتهم وتوجيهاتهم في هذا الشأن لينخذ أنصّل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز على قلوب العرب أجمعين .

ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة ، ووجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن استقلال هذه البلاد أمر طبيعى وعادل ، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لأن مصر والبلاد العربية ، وأن على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برضاة شؤون العرب ومصالحهم أن تنهى الأسباب لهذا الاستقلال ، وأن تتعهد في بادئ الأمر بالرعاية اللازمة لظهور حكومة عربية في تلك البلاد ومعاونتها أدبيا وماديا حتى تستطيع النهوض بمسئوليتها داخلا وخارجا كعضو من أعضاء جامعة الدول العربية .





ثم اقترح بعض أعضاء المؤتمر التشاور في المسألة المصرية ، فبعد المداولة وجدوا أنفسهم متفقين على أن تحقيق مطالب مصر القومية واستكمال سيادتها وجلالة الفوات البريطانية ضئلا لا بد منه ، وأن قضية مصر قضية عامة لهم ، وهم يؤيدون مطالبها الحقة ويستندونها بكل مافي استطاعتهم . وقد سرهم ما سارعت إليه الحكومة البريطانية في تصريحها الذي ألقاه المستر أكل رئيس وزاريتها في مجلس العموم بتاريخ ٧ مايو الذي أعلن فيه عزم حكومته على سحب قواتها البرية والبحرية والحيوية من الأراضي المصرية ، مما كان له أحسن الأثر في نفوسهم ونفوس حكوماتهم وشعوبهم ، والذي يأملون أن تستفتح به الحكومة البريطانية عهدا جديدا في علاقاتها مع مصر الشقيقة ، تلك العلاقات التي يرجون أن تقام على أسس الصداقة والشفقة بين دولتين متساويتين ، وهم يأملون أن في هذه الصداقة والشفقة أكبر أسباب الاستقرار والسلام في هذه الناحية من العالم .

ثم تناولوا شؤون البلاد العربية الأخرى ، وقد عرض عليهم كثير من شكاواها ، فوجدوا أنفسهم متفقين على وجوب السعي لحريتها ، وتركوا بجامعة الدول العربية أن تسمى لتحقيق رغبات أهلها ومشاركتهم في جامعة الدول العربية .

وأخيرا ينتمون فرصة اجتماعهم هذه ليعتروا إخوة متضامنين متعدين . إلى شعوبهم بأطيب التحيات لرعايتهم وسطاعتهم ومجدهم ، ويطلون نقتهم التامة بمستقبل زاهر كريم لا يقي يحاضي العرب المعيد .

ثم فرر أصحاب الجلالة والفضامة والسمو الملكي التوجه بوافر الشكر إلى أخيهام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق على أن هيا لهم هذا الاجتماع التاريخي الذي يرجون للعرب من ورائه خيرا لبلادهم وإعزازا لجامعتهم .

زهران إيتاس في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ (٢٩ مايو سنة ١٩٤٦)



أيها العرب

أقدم إليكم، مع مزيد الفبطة، هذا البيان الذي أذاعته الإمامة العائمة بجامعة الدول العربية عقب انخفاض اجتاع أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم في زهراء إنسان. وليس لي ما أقوله إلا الشكر لله تعالى ثم لجلالة الملك فاروق الذي فكر في «هذا الاجتاع التاريخي ودعا إليه، وإن قضية العرب قد خفأت بهذا الاجتاع وهذا البيان خطوة عظيمة أخرى في سبيل الحق والحرية. وسيبغ العرب دائماً إلى الأمام في طريق تحقيق أهدافهم الإنسانية السامية بسون الله ومشيئته.

حرفي ٦ رجب سنة ١٣٦٥ (٦ يونيو سنة ١٩٤٦)

الأمين الصام
عبد الرحمن عزام

والحق يقال لقد تعددت آراء المجلس بشأن الدعاية ، فرأى يقول بأن تتولى كل دولة بنفسها الدعاية لقضاياها . ورأى آخر يقول بأن تتولى الجامعة في بعض الظروف الدعاية لجميع الدول . إلا أن الاجتماع كان على وجوب الدعاية لفلسطين والاسراع بها . ورؤى في أثناء المناقشة أن تنشأ مؤسسة تابعة للجامعة باسم الدعاية أو الاذاعة أو النشر مع رصد المبالغ اللازمة لها . وقد رأى عزام أن تشكل لجنة من بعض أعضاء المجلس لبحث هذا الموضوع من جميع نواحيه وتقديم تقرير عنه .^(١٤)

وبالفعل خرج المجتمعون بالموافقة العامة على تشكيل لجنة تمثل فيها جميع الدول وذلك : أولاً لوضع نظام في الامانة العامة لشأن ادارة الصحافة والنشر والاذاعة . ثانياً : تنسيق العمل لمكتبى إنجلترا وامريكا العربيين تحت اشراف الجامعة .^(١٥)

وعقدت اللجنة الفرعية جلستها في ٨ نوفمبر ١٩٤٥ وقررت ما يلي :

١ — تكليف بعض الأعضاء بالاتصال ببيئات الأحزاب والجماعات الفلسطينية لتفتق هذه الهيئات على طريقة لتنظيم الدعاية لفلسطين وادارة مكتبها في لندن وواشنطن وعلاقة هذه الدعاية بجماعة الدول العربية وأمانتها العامة . وأوكل صرف المبالغ التي وضعتها الدول العربية بواسطة وزاراتها المفوضين في لندن وواشنطن الى أن يوضع النظام النهائي لهذين المكتبين .

٢ — ان يضاف الى الموازنة مبلغ ٣٠ ألف جنيه سنوياً يوزع على باب الصحافة والنشر والدعاية فيصبح مجموع الموازنة ١٥٠ ألف جنيه .^(١٦)
وأيد الشيخ يوسف ياسين اقتراح حميد فرنجيه ، رئيس الوفد اللبناني لدى الجامعة ، من ضرورة المشاورة مع الهيئات والجماعات الفلسطينية وبالذات في مسألة مقاطعة الواردات القادمة من فلسطين التي يكون اليهود وراعيها .^(١٧)

وقرر المجلس اختيار لجنة للنظر في المقترحات الخاصة بالسياسة العامة للجامعة بالنسبة لفلسطين .^(١٨) ووضعت تلك اللجنة مذكرتها ورأى الأعضاء انها غير كافية . فكلف كل من الشيخ يوسف ياسين (السعودية) ومكرم عبيد (مصر) وأبو شهبلا (لبنان) والأمين العام للجامعة لوضع صيغة جديدة للمذكرة على ضوء ما طرح من آراء واقتراحات . وقدمت المذكرة من جديد وفيها تلفت الحكومات العربية نظر الحكومتين الامريكيتين والبريطانية من خطورة استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين . وتطلب الحكومات العربية أن لا تتخذ الحكومتان الامريكيتين والبريطانية أى قرار يتعلق بالمجرة لفلسطين أو يمس أى تسوية لقضية فلسطين بدون مشاورة الدول العربية وموافقتها . وقرر المجلس الموافقة على المذكرة وتكليف الأمين العام ابلاغها الى كل من الحكومتين الامريكيتين والانجليزية كما طلب من حكومات دول الجامعة ابلاغها بالطرق الدبلوماسية الى الحكومتين المذكورين .^(١٩)

ولا جدال في ان الصهيونية السياسية ومن ورائها من ضللت من يهود العالم قد استغلت العاطفة المتأججة في امريكا نحو العطف على ما أسموه بالقضية الانسانية لليهود فقاموا بشدة كي لا تبدد تلك العاطفة ، وكى لا تنصرف اليهودية العالمية الى التفكير في أمر آخر غير الدولة

اليهودية في فلسطين إذا ما طال الزمن عليها ، لا سيما وانهم قد ضاقوا ذرعاً ببطء بريطانيا نفسها بالرغم من أنها كانت من أشد الدول رعاية لهم بل هي التي اوجدتهم من العدم ووضعت نفسها في خدمتهم ربع قرن فانقلبوا عليها وعقروها ولجأوا الى وسائل من العنف والقسوة لا نظير لها من نسف وتدمير واغتيال .

كل ذلك والجامعة العربية لا تزال في مرحلة النشوء فاصطدمت بوسائل الصهيونية العالمية في الوقت الذي لا تملك فيه الجامعة إلا وسائل محدودة ثم أن احوال الدول العربية زادت الصهيونية غلوا فاعتقدوا بعجز العرب عن مداومة الكفاح بسبب ما كان عليه أهل فلسطين من تفرق وضعف وانصراف الى الحياة اليومية ، وما كان فيه جيرانهم في سوريا ولبنان من مصائب وشور مع فرنسا ، وما انتاب العراق من ارتباك بسبب حربه مع الانجليز ، وما اصبحت به مصر من تصدع في الصفوف واختلاف في الآراء والنزعات . فلم تملك الجامعة العربية حقيقة غير كسب معارك للدعاية الهادئة المنتظمة وبالكلمة الطيبة التي تلقى في اوتانها وظرفها فيتناقلها البرق وتنفذ رغم حصار خصوم الجامعة الى صحف العالم ومحطات اذاعته ونواديه ومجتمعاته . وساعد وجود خمس دول من دول الجامعة ممثلة في كثير من المؤسسات الدولية للأمم المتحدة على تعزيز الحجاب بين العرب ونشر الدعوة التي وجدت الجامعة من اجلها ولم تتدنر وسعا في تميميها .

واضطرت بريطانيا للاستعانة بالجامعة العربية في عام ١٩٤٦ حينما دعت لعقد مؤتمر لحل المسألة الفلسطينية ، وحضره ممثلو الجامعة والأمين العام كما اشترك فيه ممثلو فلسطين . وعلى الرغم من أن تلك المفاوضات لم تنته الى حل عادل الا ان الصهيونية لم ترض على بريطانيا لاشراك الجامعة ، فاشتد لذلك الارهاب الصهيوني . وللأسف لم تفعل بريطانيا ما يجب عليها للقضاء على هذا الارهاب تمهيداً لتسوية المسألة الفلسطينية ، بل اتجهت نحو هيئة الامم المتحدة للتخلص من مسئوليتها والوصول الى مهادنة اليهودية العالمية ومصانعها من غير ان تقع في خصومة مباشرة عنيفة مع جامعة الدول العربية . فانتقلت بذلك المسألة الفلسطينية من الصراع الثلاثي بين العرب والبريطانيين واليهود الى الميدان العالمي في هيئة الامم المتحدة ودخلت في دور جديد .^(٢٠)

والرأصد لموقف العربية السعودية في كل الاحوال فانه يلاحظ أنها طلبت من بقية الدول الاعضاء التدبر في كل أمر بدقة بحيث تكون قرارات المجلس مبنية على الحكمة والواقع حتى يكون القرار نافذاً . وأكدت الحكومة العربية السعودية بأنها لن تتقاعس عن العمل الذي يقرره مجلس الجامعة . وطلبت من الجامعة ضرورة جمع أهل فلسطين على رأى واحد وكلمة واحدة محذرة بعدم جواز اعطاء أهل فلسطين وعدواً خلافاً يقعون بعدها في المهالك ثم يجدوا الجامعة وقد تحلّت عنهم .^(٢١)

وبالفعل خرجت الجامعة باتفاق على وجوب توحيد كلمة عرب فلسطين عن طريق ايجاد « هيئة فلسطينية عربية عليا » تعتمدھا الجامعة العربية ، وتدبير المال اللازم للقضية الفلسطينية عن طريق انشاء صندوقين احدهما خاص بانقاذ الاراضي ويدعى « صندوق انقاذ اراضي

فلسطين» والثاني « صندوق مساعدة عرب فلسطين » . (٢٢)

وطالب الشيخ يوسف ياسين من الأعضاء بوجوب الإسراع في تنفيذ هذا الأمر . (٢٣) لا سيما وقد اقترحت الحكومة العراقية أثناء اجتماع الملك عبد العزيز والملك فاروق أن تصرف الدول العربية مليوناً من الجنيهات لانقاذ أراضي فلسطين . (٢٤)

كما طالب الشيخ يوسف ياسين بأن تضع الحكومات العربية تشريعا يقضى بأن الحركة الصهيونية حركة عدائية ضد هذه الحكومات ثم ادانه كل من يقدم للصهيونية المال أو أية معونة باعتباره مجرماً . وكان الشيخ يقصد بذلك اليهود المتجنسين بجنسية الدولة العربية الموجودين فيها لكونهم يقدمون ٢٥٪ من اموالهم بانتظام للحركة الصهيونية . (٢٥)

تلك مواقف المملكة العربية السعودية في أقل من عامين من قيام الجامعة العربية تخرج منها بمحرص الملك عبد العزيز ، منذ البداية ، على ضرورة أن تكون الجامعة بنى عن المؤثرات الأجنبية لأية دولة كبرى فحينما توجس خيفة من دور بريطانيا في الدعوة لتأسيس الجامعة فإنه فضل التريث عن الاقدام على توقيع بلاده على الميثاق ، وحينما وثق في تحقيق رغبته في ان تكون امانة الجامعة في أيدي أمانة باختيار عبد الرحمن عزام امينا لها لم يتوان في المشاركة بدور حيوى للمملكة على الساحة العربية ، تماما كما هو الحال قبل قيام الجامعة العربية فيذكر له التاريخ أنه أول من دعا لطرح قضايا العرب ، وعلى الأخص فلسطين ، أمام الرأي العام الأوروبى والأمريكى . وحققَت الجامعة العربية هذه الفكرة حينما أوفدت عزام ليعلم العالم قضايا العرب فكان ذلك أول عمل من نوعه على الصعيد العربى .

ففى الحق لم تتردد العربية السعودية في مساندة قضايا العرب من أجل الاستقلال فأعلنت تأييدها لقضايا الاستقلال الوطنى لكل من مصر وليبيا وسوريا ولبنان فضلا عن فلسطين التى نالت النصيب الأوفر فى الجهود وذلك يتضح بجلاء من خلال استقراء محاضر اجتماعات الجامعة العربية التى ان دلت على شيء انما تدل على الموقف الثابت للمملكة فى تأييد ومساندة قضايا العرب من أجل الاستقلال فى المرحلة الأولى لقيام جامعة الدول العربية .

عصام ضياء الدين السيد

- (١) جميل عارف : صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية الجزء الأول ص ٢٦٠ — ٢٦١ .
- (٢) نفس المرجع : ص ٢٦١ .
- (٣) نفس المرجع : ص ٢٦٢ .
- (٤) نفس المرجع : ص ٢٦٣ — ٢٦٦ .
- (٥) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز . الجزء الثالث ص ١١٦٦
- (٦) وثائق الجامعة العربية : تقرير عبد الرحمن عزام (ملحق رقم ١) مضبطة الجلسة الثانية لاجتماعات الجامعة العربية في ٣٠ ذو القعدة ١٣٦٤ (٥ نوفمبر ١٩٤٥) .
- (٧) جميل عارف : المرجع السابق ص ٢٧٩ .
- (٨) وثائق الجامعة العربية : ملحق لمضبطة الجلسة الثانية بعنوان :
Questions answered by Abderrahman Bey Azzam at Press
Conference 4.10.1945.
- (٩) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثانية لاجتماعات الجامعة العربية في ٥ نوفمبر ١٩٤٥ كلمة الأمين العام ص ٣ — ٤ .
- (١٠) نفس المصدر : كلمة الشيخ يوسف ياسين ص ١٠ .
- (١١) نفس المصدر : كلمة الأمين العام ص ١٣ — ١٤ .
- (١٢) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثالثة لاجتماعات الجامعة العربية في ٧ نوفمبر ١٩٤٥ كلمة خير الدين الزركلي ص ٥ .
- (١٣) نفس المصدر : كلمة الشيخ يوسف ياسين ص ١٠ .
- (١٤) نفس المصدر : كلمة رئيس الجلسة جميل مردم وزير سوريا المقوض في مصر ص ٨ .
- (١٥) نفس المصدر : ص ١٠ . والجدير بالذكر ان المكتب العربي في لندن شغل بال عزام ووزراء العرب المفوضين فلقد كان يضم هذا المكتب خمسة موظفين من الفلسطينيين لا يطلقون على أنفسهم فلسطينيين بل عربا لأنهم يفخرون بالتحدث باسم العرب ، وبناء على ذلك سمى المكتب العربي . ونظرا لمهوية الأعضاء الفلسطينيين فإنهم تعرضوا لهجوم اليهود عليهم الذين قالوا ان أعضاء المكتب فلسطينيون لا صفة لهم بالجامعة . فشكى أعضاء المكتب لعزام من عدم وصاية الجامعة العربية على مكتبهم ، ولذلك فضل عزام أن يظهر في المجال شبه تنبئ للمكتب واعتباره مكتبا عربيا له اتصال بالجامعة حتى يكون موضع احترام وتقدير . وأباح لأعضاء المكتب التحدث فقط عن فلسطين دون ما الخوض في المسائل العربية الاخرى لعدم الماهم الكافي بها .
- (١٦) وثائق الجامعة العربية : مضبطة الجلسة الرابعة لاجتماعات الجامعة العربية في ٨ نوفمبر ١٩٤٥ ص ١١
- (١٧) نفس المصدر ص ١١ — ١٢ .
- (١٨) نفس المصدر ص ١١ . وقد تشكلت اللجنة على النحو التالي :
١ — حمدي الباجه جي رئيس وزراء العراق ووزير الخارجية .
٢ — الشيخ يوسف ياسين وزير دولة ونايب وزير الخارجية السعودية .
٣ — حسن بن علي عضو في الوفد اليمني لدى الجامعة .

- ٤ — محمد الشريفي وزير الخارجية الاردنية .
٥ — حبيب أبو شهلا عضو في الوفد اللبناني لدى الجامعة .
٦ — عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة .
(١٩) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الخامسة لاجتماعات الجامعة العربية في ١٠ نوفمبر ١٩٤٥ .
(٢٠) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثالثة (دور الانعقاد العادي السابع) ملحق رقم ٣ في ٦ اكتوبر ١٩٤٧ .
(٢١) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثالثة في ١٠ يونيو ١٩٤٦ بفندق بلودان الكبير (اجتماع غير عادي) كلمة الشيخ يوسف ياسين ص ٥ .
(٢٢) نفس المصدر : ملحق رقم (٣) تقرير اللجنة الداخلية في ١٠ يونيو ١٩٤٦ المرفق مع مضبطة الجلسة الثالثة لاجتماعات الجامعة العربية .
(٢٣) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الخامسة لاجتماعات الجامعة العربية في ١١ يونيو ١٩٤٦ تعقيب الشيخ يوسف ياسين ص ٤ .
(٢٤) نفس المصدر : كلمة حمدي الباجه جي ص ٧ .
(٢٥) نفس المصدر : مضبطة الجلسة السادسة لدور الانعقاد غير العادي لمجلس الجامعة في بلودان ١٢ يونيو ١٩٤٦ .

المسجد الأموي بدمشق

بين الحقيقة والأسطورة

كما جاء في تاريخ دمشق لابن عساکر

للدكتور أحمد رمضان أحمد

طبعة الدار - جامعة عين شمس

ابن عساکر هو أبو القاسم علی بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الملقب ثقه الدين والمعروف بابن عساکر .
ولد الحافظ في دمشق سنة ٤٩٩ هـ . واخذ شيئا من العلم عن أهله وانتفع بصحبة جده أبي الفضل في النحو ، وتفقه في حدائثه على الفقيه أبي الحسن السلمي ^(١) . ومن ثم فقد كان للبيئة التي نشأ فيها الحافظ بن عساکر أثر كبير في اتجاهه نحو العلم ونبوغته فيه . فقد نبت في بيت قضاء وحديث وفقه . كما كان أبوه الحسن بن هبة الله بن الحسين بن عبدالله الشافعي (المتوفى سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م) شيعيا صالحا عدلا وهو رأس بيت معمر بالأئمة والمحدثين ^(٢) والعلماء الذين كان لهم شأن كبير في القرنين السادس والسابع للهجرة . وكان اخوه الأكبر الصائغ هبة الله بن الحسن المتوفى سنة (٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) فقيها ثقة . تفقه بدمشق على أبي الحسن بن المسلم ونصر الله بن محمد . رحل إلى بغداد وتفقه على علمائها . فلما عاد إلى دمشق ، درس بالغزالية والتي وكتب وكان معنيا بصفة خاصة بعلوم القرآن والنحو واللغة . أما اخوه الثاني محمد بن الحسن فقد كان قاضيا وقد تفقه أولاده الستة في علم الحديث ودرسوه .

وكانت أمه من بيت قرشي . وهو بيت عربي عرف بالعلم وينتهي نسبه الى بني أمية . وقد تولى الكثير من أفراد هذا البيت قضاء دمشق مدة طويلة . وقد كان جده لأمه يحيى بن علي بن عبد العزيز المتوفي سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م عالماً بالنحو والعروض الى جانب علمه بالفقه والحديث ، تولى القضاء بدمشق مرة ، وكان ينوب عنه فيه ابنه أبو المعالي ^(٣) . كما تولى خلاله (أبو المعالي محمد بن يحيى - وأبو المكارم سلطان بن يحيى) قضاء دمشق وقد كانا على قدر كبير من العلم . وقد تفقه أبو المكارم على كبار العلماء مثل نجر المقدسي . وارتحل الى العراق ومصر طلباً في الاستماع الى علماء الحديث . كما جلس أبو المكارم بالمسجد الجامع بدمشق للوعظ والارشاد . فقد تحدث عنه ابن عساکر فقال : « انه كان واعظاً طيب الصوت وكان لوعظه في بغداد شأن حتى أن أبا بكر محمد بن القاسم الشهرزوري حين وصل الى دمشق ارسل رسولا يقول اشتقت الى سماع القاضي ابي المكارم لأنني سمعته بالعراق وسأل اباه (اى والد ابن عساکر) حتى أجاب لانه كان قد ترك الوعظ ^(٤) . وكانت اخته (اخت ابن عساکر) زوجة محمد بن علي بن محمد بن الفتح السليمي ، وبيت السليمي بيت علم ووجاهة ، فقد كان لاخته ولدان عالمان هما أبو طالب الحسن وشرف الدين وكانا ممن قرأ عليها ابن عساکر التاريخ فيما بعد ^(٥) .

لقد كان لهذه البيئة التي نبت وترعرع فيها ابن عساکر شأن كبير ، فقد جمع افرادها اطراف العلم واسباب الفضل . ومن ثم فقد وجد فيها الحافظ بن عساکر ما ساعده ورغبة في العلم والمعرفة حتى غدا مؤرخ الشام وحافظ العصر ^(٦) . فلم يكذب يبلغ الحافظ بن عساکر السادسة من عمره حتى اقبل على العلم يرعاه أبوه ويسمعه الصائغ اخوه . ثم اخذ يتردد الحافظ على كبار الشيوخ يومئذ فيقرأ على سبعين بن قيراط ، ويستمع الى أبي القاسم النسب ، وأبي الفرج الصوري ، وقوام بن زياد ، وأبي طاهر الحنائي الذين اخذ عنهم الحديث ، كما انتفع بصحبة جده فاخذ عنه النحو والعربية ثم يشارك في سنة المبكرة كما يشارك الكبار ، كل ذلك وابن عساکر لم يبلغ الحلم بعد . ولم يكنف ابن عساکر بما حصل عليه في هذه السن المبكرة من العلم والمعرفة . بل رحل في صباه الى الشرق رحلة دامت خمس سنين ، فسمع بمكة ، ومنى ، والمدينة ، والكوفة ، وأصبهان القديمة . ومرو ، ونيسابور ، والشاهجان ، وهرات ، وسرخي ، وطوس ، وبسطام ، والري ، وزنجان ، وبلاد كثيرة في العراق وخراسان والجزيرة والشام .

ويبدو أن الحافظ بن عساکر كان قد اكتفى بمن اخذ عنهم من الشيوخ في هذا الجزء من آسيا ولم يتعداها الى افريقية ، فقد بلغ عدد شيوخه ألف وثلاثين شيخاً وثمانين امرأة ونيفاً . ولعل أشهر من أخذ عنهم هو أبو سعد السمعاني الذي كان رفيقه في بعض رحلاته ^(٧) وغدا الحافظ بن عساکر محدث الشام ، ومن اعيان فقهاء الشافعية فقد قال عنه ابن خلكان ^(٨) « كان الحافظ ابن عساکر فخر الشافعية وأمام اهل الحديث في زمانه وحامل لوائهم . فقد غلب عليه الحديث واشتهر به وبالف في طلبه الى ان جمع ما لا يتفق لغيره . فصنف التصانيف المفيدة وكان حسن الكلام على الاحاديث ، محظوظاً في الجمع والتأليف . لم ير الا مشغلاً بعلم وعبادة ، يحاسب نفسه كل لحظة ولم يجتمع في شيوخه ما اجتمع فيه من

لزم طريقة واحدة منذ أربعين سنة وعدم التطلع الى أسباب الدنيا وأعراضه عن المناصب الدينية كالإمامة والخطابة بعد أن عرضنا عليه . فقد كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي قد بنى له دار الحديث النورية فدرس بها الى حين وفاته غير ملتفت الى غيرها ولا متطلع الى زخرف الدنيا .

لقد عاصر الحافظ بن عساكر الملكين نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين الأيوبي واتصل بهما اتصالاً وثيقاً . فقد كانت منزلته منزلة الأستاذ من تلميذه أو الأخ من أخيه . بل ان نور الدين كان السبب في تعجيل الحافظ بتأليف كتابه تاريخ دمشق ولما توفي الحافظ سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م ، شيع ^(١) صلاح الدين الأيوبي جنازته وصلى عليه في ميدان الحسا ، ودفن بمقبرة الباب الصغير الى جانب حجرة معاوية ^(١٠) أما عن تأليف الحافظ بن عساكر فكما يقول ابن خلكان وغيره ممن تناولوا ترجمة حياته وسيرته ، فقد بلغت أربعين مصنفاً ، أجلها (تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وتسمية من حلها أو وردها أو اجتاز بنواحيها) .

وعن هذا المصنف العظيم ننقل ما جاء في ابن خلكان : « ما أظن هذا الرجل (ابن عساكر) الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه . وشرع في الجمع من ذلك الوقت والا فابعد بقصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب » . وأردف ابن خلكان ذلك بقوله « ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا ، الا بعد مسودات ما يكاد يحصرها وله غيره توابف حسنة » أما مصنفاته الاخرى التي خاض عباها ، فهي الحديث والفقه والتاريخ والأخبار والأدب . ولم يكن اعتماده فيها على النقل فقط ، بل كان يستعمل العقل والمنطق ، وفي القليل الذي وصل الينا من مصنفاته برهان على ذلك . وكما قال كرد علي : فقد عني بحل المشاكل يناقش ويجادل بعيداً عن تعصب اهل مذهبه وهو بذلك اقرب الى الاجتهاد منه الى الجُمود والتقليد ، كذلك كان الحافظ بن عساكر مؤرخاً ومحدثاً صادقاً وهما من أعظم الصفات التي تتوفر للمؤرخ الجيد .

ولعل من أهم ما نفعه في دراسته وما سجله في مصنفاته ، رحلاته المتعددة في ديار الاسلام في مطلع شبابه وتلقيه العلم على أئمة العلماء والاختذ عن من اشتهر في الامصار من الرجال ، ولو اضفنا الى ما تقدم ما كان له من حظوة عند الملوك والامراء وما تسر له من الاطلاع على مجاميع ومصنفات ما في خزائهم ومجموعاتهم ، كل ذلك كان حرياً أن يقبل الناس على ما يقول ويكتب .

وقد يكون من المفيد ان ننقل نبذاً مختصرة مما ذكره اصدقاؤه ومعاصره في ترجمة حياته ووصف مؤلفاته ، فقد ذكر السمعاني ^(١١) : إنه كان كثير العلم ، غزير الفضل ، حافظاً متقناً ، ديناً خيراً ، حسن السمعة ، جمع بين معرفة المتن والأسانيد ، متنبهاً محتاطاً ويقول الاصفهاني ^(١٢) : « هو الحافظ الذي تفرد بعلم الحديث والاعتقاد الصحيح ، المنزه عن التشبيه ، الخلي بالتزويه ، المتوحد بالتوحيد ، المظهر شعار الاشعري بالحد الحديث والجديد والابيد السديد » .

والذى يعنينا من مؤلفات شيخنا ابن عساكر البالغ عدد المعروف منها اربعين ، مصنفه عن تاريخ دمشق ، والذى قال عنه العباد فى الجريدة انه يقع فى سبعة كراس ، كل كراسة عشرون ورقة . وقال العباد انه فى خمسمائة وسبعين جزءا والنسخة الجديدة ثمانية جزء . أما عن المدة التى استغرقها ابن عساكر فى تأليف هذا المصنف الضخم فلم يذكرها احد من المؤرخين صراحة ، وان استطاعوا ان يصلوا اليها استنتاجا فقد ذكر ابن خلكان ^(١٣) نقلا عن المنذرى فى تاريخه : ما اظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع فى الجمع من ذلك الوقت . وفى اعتقادنا ان المنذرى على حق فيما ذهب اليه ، ذلك أن اتساع اطراف هذا المصنف وغزارة مادته ، وتنوع ما فيه يؤكد بان الحافظ ابن عساكر قد استغرق فى تأليفه عمره ، ومن ثم فان المنطلق يدعو الى الظن بأنه قد بدأ تأليفه وهو لثى . وقد استطاع صلاح الدين ^(١٤) المنجد ان يحدد بعد الاستقراء والمقارنة التاريخ الذى بدأ فيه كتابة مصنفه (تاريخ دمشق) فقد استشهد فى ذلك بما ذكره رفيقه السمعانى ^(١٥) فى حديثه عن رحلة ابن عساكر الى بلاد العجم اذ قال : « دخل نيسابور قبل شهر (أى ابن عساكر) سمعت معجمه . والجالسة للدينورى وكان قد شرع فى التاريخ الكبير لدمشق وقد لقيه نيسابور اول ما وردتها سنة تسع وعشرين ^(١٦) . وقد دامت رحلته الى العجم الى سنة ثلاثة وثلاثين وخمسمائة ^(١٧) » . واستدل المنجد بما تقدم بان الحافظ ابن عساكر بدأ تاريخه بدمشق قبل رحلته الى خراسان وكان قد بلغ من العمر ثلاثين عاما ، ولما كان أقدم سماع على الحافظ فى النسخة الجديدة المؤلفة فى ثمانين مجلدا سنة ٥٥٩ هـ كما يقول ابنه القاسم ^(١٨) ، ومن ثم نستطيع ان نقدر ان الحافظ سلبخ فى تأليف تاريخه ثلاثين سنة أو أقل قليلا ^(١٩) .

وقد سمي الحافظ بن عساكر مصنفه هذا عن دمشق (تاريخ مدينة دمشق وذكر فصلها وتسمية من حلها من الامائل واجتاز بنواحيها من واردتها واهلها) . وكما سبق ان ذكرنا ان مصنفه هذا يقع فى ثمانين مجلدا وقد تفضل مشكورا اجمع العلمى العربى بدمشق بنشره فى ثمانين مجلدة تشتمل كل منها على عشرة اجزاء من الأصل ، وتبلغ عدد صفحاتها نحو (٩٠٠) صفحة من القطع الكبير ، وقد عهد اجمع بتحقيق الجزء الخاص بفضائل الشام وفتوح الشام عامة وخطط دمشق الى الاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد . أما عن الترجمة لكل من دخلها أو اجتاز بنواحيها من (انبيائها وهدايتها) وخطقاتها وولاتها ولفقاتها وقضايتها وعلمائها ورواتها وقراتها ونحاتها وشعراتها ورواتها الى نخبة من العلماء الافاضل نذكر منهم الاستاذ محمد أحمد دهمان .

وقد رأينا أن تقتصر فى وصفنا وتفنيدنا لهذا المصنف الضخم لابن عساكر على الخلاصة الثانية منه المشتملة على خطط دمشق وذكر مساجدها وكنائسها وأبوابها ودورها وانهارها وأفقيتها . وهو الجزء الذى سنعتمد عليه فى الموضوع الذى سنشارك به فى المؤتمر العالمى لابن عساكر الا وهو (المسجد الاموى بدمشق بين الحقيقة والاسطورة كما جاء فى كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر) .

أما عن الاسباب التى دعتنا الى اختيار هذا الموضوع ، الا وهو المسجد الاموى بين

الحقيقة والاسطورة ، هو كثيرة ما ورد من الاساطير عن هذا المسجد بالذات في كتابات ابن عساكر . ولعل ذلك من أبرز المآخذ على قلتها في كتابات ابن عساكر وفي ذلك يقول كرد على ^(٢٠) : « وقد يؤخذ على ابن عساكر انه جمع في اخبار الفضائل التي في مفتاح تاريخه عن مدينة دمشق كثيرا من الضعيف وكثيرا من الاساطير » ولكن سرعان ما يعود كرد على فيبر منيح ابن عساكر فيقول « وسبب ذلك انه حرص على ان لا يخلى كتابه مما يفيد جميع الطبقات وقد يسرد أشياء لا يعتقدونها فيما نحسب . والعقل يحص ويغني الزعل . وابن عساكر اعلم الناس بالاحاديث الضعيفة والموضوعة . والمؤرخ قد ينقل اخبار اهل النحل والمذاهب من دون ان ينفيها أو يقرها فلا يستدل بذلك على انه يعتقدونها » ثم ينهي كرد على نقده هذا بقوله : « وإي كتاب للمحدثين والاقدمين سلم من نقد ومؤاخذه » . وقد ادرك الحافظ بن عساكر نفسه ، ما قد يكون في الكتاب من مأخذ فقال : « هذا مبلغ علمي وغاية جهدي عما وقع الي وثبت عندي ، فمن وقف فيه على تقصير أو خلل أو عثر فيه على تغيير أو زلل ، فليعذر اخاه ذلك مطولا وليصلح ما يحتاج الى اصلاحه متفضلا » ^(٢١) .

على انني لا أود أن يتبادر الى الذهن انني قد اخترت موضوعي هذا لكي أنقد كتابات ابن عساكر أو أضع قصصه ورواياته واساطيره موضع التنفيذ أو أعرض ما ذكر من أحاديث للعدل والتجريح ، ولكنني أردت أن أعرض لأسلوب كتابة التاريخ والرواية التي كانت سائدة في كتابات مؤرخي المسلمين في تلك الأزمان ، بل وربما كان هذا الأسلوب في ذلك الوقت هو المنهج السوي القويم ، ومن ثم فقد وجب علينا نحن المجلدين من المؤرخين أن نتصدى لتوضيح هذا المنهج والأسلوب فلا نقيمه أو نزئه بمقاييسنا وموازيننا الحديثة حتى لا نغبط حق هؤلاء العظام من المؤرخين اصحاب السبق ونجدهم مما لهم من فضل وعلم استفاد به وما يزال كل من جاء بعدهم من المؤرخين وارثي من معينهم .

وقد أردت باختياري للمسجد الأموي بصفة خاصة من بين الآثار التي ذكرها ابن عساكر بمدينة دمشق ، أن أبين بالدليل المادى ، الفرق بين الحقيقة والاسطورة فيما جاء عنه في كتابات ابن عساكر ، ذلك ان هذا الجامع هو المسجد الوحيد بمدينة دمشق بل وأول مسجد في العالم الاسلامي كله ، الذي ما يزال باقيا على حالته الاولى منذ انشائه سنة ٨٦ هـ حتى الآن .

وإذا أضفنا الى ما تقدم أن ابن عساكر أعطى المسجد الأموي لدمشق اهتماما خاصا ، فقد بدأ به تاريخ مدينة دمشق ، بل كان المسجد بيت القصيد في دمشق فبعد له ستة ابواب ذكر فيها شرفه وفضله ، وقسمة الكنيسة ثم هدمها ، وبناء الجامع وإخياره وما يتصل به ، لتبين السبب الذي من أجله وقع اختياري على الموضوع الذي نحن بسبيل بحثه .

وقبل أن نبدأ بدراسة المسجد الأموي كما جاء في تاريخ ابن عساكر ، كان لا بد لنا ان نقدم له بدراسة موجزة لمدينة دمشق التي لم تحظ مدينة في الاسلام بتاريخها لها بضاهي تاريخها الذي صنفه الحافظ بن عساكر . فقد خصص لها المجلدين الاولى والثانية فيبين فيها تخطيط دمشق وسورها وأبوابها وخطوطها وانهارها ومصابنها ومساجدها وآثارها وفضائلها

وخصائصها . وما يتصل بذلك من تقويمها وتخطيطها .
على أن ابن عساكر لم يكن أول من كتب عن مدينة دمشق . فقد سبقه الى ذلك عدد كبير من المؤرخين الذين كتبوا عن دمشق وخططها ولعل أولهم قاضي دمشق احمد بن

المعلل^(٢٢) المتوفى سنة (٢٨٦) هـ . وإذا كان هذا المؤلف لم يصلنا . إلا أن ابن جبير^(٢٣) قد رآه واطلع عليه ونقل الكثير منه في رحلته ، كما روى ونقل عنه ابن عساكر الكثير من نصوصه في تاريخه عن دمشق وخاصة ما تضمنته عن بناء المسجد الجامع وقصة الكنيسة . كذلك كتب ابن أبي المعاذ^(٢٤) في القرن الرابع الهجري كتابا اسماه تاريخ دمشق . وهذا المصنف ايضا لم يصلنا وإن كان ابن عساكر قد نقل الكثير منه وخاصة فيما كتبه عن خطط دمشق وقرأها المنتشرة في القوطة وأرباضها التي سكنها بنو أمية .

وفي القرن الخامس الهجري صنف على بن محمد العربي المتوفى سنة ٤٤٤ هـ كتابه المعروف باسم فضائل الشام ودمشق ، ولعل أهم ما ذكره الربيع عن المسجد الأموي هو الحق الذي حدث سنة ٤٦١ هـ من قبل جند الفاطميين أثناء الفتن والثورات التي اجتاحت مدينة دمشق في عصر الدولة الفاطمية .

وفي القرن السادس صنف هبة الله بن احمد الاكفاني المتوفى سنة (٥٢٤) هـ كتابا ذيل فيه على تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني سماه تمة تاريخ داريا وتسمية من حدث من أهلها وفيه سجل أثبت فيه آثار دمشق .

وبرغم كثرة المصادر التاريخية التي سبقت الخلفاء بن عساكر والتي كتبت عن تاريخ مدينة دمشق والتي ذكرناها آنفا ، إلا أن ما كتبه ابن عساكر عنها يعتبر جديدا لكل الجدة من حيث الأسلوب والمنهج ، ومن حيث احاطته احاطة تامة بتاريخ هذه المدينة ، ومن ثم فإن كتابه عن تاريخ مدينة دمشق يعتبر أعظم تاريخ ألف عن مدينة .

على أنني لست في مجال التعريف بجميع النواحي التي تناولها الخلفاء بن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ولكنني سأشير فقط إشارة عابرة الى الناحية التي نحن بصدد دراستها من تاريخ دمشق ونعني بها خططها .

ولعل أهم ما تميز به تاريخ الخلفاء بن عساكر والتي تفوق بها عمن سبقه فيمن كتب عن تاريخ دمشق ، أنه تكلم في شيء من الاسهاب عن خطط دمشق فخصص لها المجلة الثانية^(٢٥) هذا عدا ما جاء عن الخطط في ثنايا تراجم الاشخاص الذين ذكرهم . وعلى الرغم من أن هناك بعض المؤرخين الذين كتبوا عن خطط بعض البلدان الإسلامية ، إلا أن كتاباتهم كان يعتبرها كثير من النقص وعدم الترتيب ، اذ كان جلها مبعثرا بين ثنايا موضوعات الكتاب مما جعل الوصول اليها وجمعها عملية شاقة ليس من اليسر الوصول اليها . فضلا نذكر منها الفشيري الذي كتب عن مدينة الرقة^(٢٦) ولم يذكر شيئا عن خططها ، كذلك كتب حمزة السهمي عن مدينة جرجان ولم يتحدث عن خططها الا في باب واحد هو خطط المساجد^(٢٧) .

ولعل المؤرخ الوحيد الذي تناول في شيء من الاسهاب عن خطط بغداد في كتابه عن

تاريخ بغداد هو الخطيب البغدادي ^(٢٨) وأن كان ينقصه الترتيب الذي امتاز به وتفوق على من سبقوه فيه شيخنا المؤرخ الحافظ بن عساكر .
 وما يذكر للحافظ بن عساكر بالفضل والسبق في موضوع عخطط مدينة دمشق . أنه أضاف ابواباً أصيلة لم يروها عن غيره ممن سبقوه . مثل المساجد وباب الانهار والقنى والحمات . أما الابواب المتعلقة بالمسجد الامور بدمشق (موضوع بحثنا) فقد أخذ الكثير منها عن أبين المثل ^(٢٩) .
 وقد رأينا أن نتناول كل باب من الابواب الستة التي خصصها ابن عساكر للحديث عن المسجد الاموي بدمشق لكي نبين الروايات والقصص الحقيقية منها والاسطورية كل على حدة .

الباب الأول

ذكر شرف المسجد الجامع بدمشق وفضله
 وقول من قال انه لا يوجد في الاقطار مثله

لقد أورد الحافظ بن عساكر في شرف المسجد الجامع بدمشق ما جاء في كتاب فضائل الشام ^(٣٠) ودمشق وكذا في عيون التواريخ ما قاله قتادة في تفسير سورة التين ^(٣١) قال :
 أقسم الله تبارك وتعالى بمساجد أربعة قال (والتين) وهو مسجد دمشق والزيتون وهو مسجد بيت المقدس (وطور سين) وهو حيث كلم الله موسى . (والبلد الأمين) وهو مكة .
 ثم يروي الحافظ عن زيد ميسرة ^(٣٢) : أربعة اجبل مقدسة بين يدي الله سبحانه وتعالى : طور زيتا وطور سينا وطور تينا وطور تافانا .
 قال فطور زيتا بيت المقدس وطور سينا طور موسى وطور تينا مسجد دمشق وطور تافانا مكة .

ويذكر الحافظ ايضا عن الحارث ان يزيد كان يقول : اربعة اجبل مقدسة فذكر نحوه .
 وأنبأ عن محمد بن شعيب قال : سمعت عثمان بن ابي عاتكة عن أهل العلم انهم كانوا يقولون (والتين مسجد دمشق) وانهم ادركوا فيه شجرا من تين قبل أن يبينه الوليد .
 ويذكر ايضا عن القاسم بن عثمان الجوعى : سمعت مروان بن محمد يقول في قول الله تبارك وتعالى (والتين والزيتون) قال : التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس .
 على اننا اذا رجعنا الى جمهور المفسرين نجدهم يفتقون على ان ما ورد في سورة التين من قوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سين) وهذا البلد الامين) ، وهي أقسام بباق مباركة شريفة . والتين هو الجبل الذي عليه دمشق والزيتون هو الجبل الذي عليه بيت المقدس ، ويقال للأول طور زينا ، وللثاني طور زيتا لانها منبت التين والزيتون . وطور سينت الجبل الذي كلم الله زينا ، وللثاني طور زيتا لانها منبت التين والزيتون . وطور سينت الجبل الذي كلم الله تعالى الى شأنه ، موسى عليه السلام ، ويقال له طور سيناء ، والبلد الامين هو مكة

والتعاطفات متناسبة في أن المراد منها أماكن محصورة . وقيل المراد بها الشجرتان (٣٣) المروفتان . وقيل التين والزيتون كتابة عن مواضع وليس المقصود هو القسم بالأشجار نفسها وإنما كتبت بها عن مفارستها (٣٤) .

نخرج من مجمل التفاسير التي أوردتها الحافظ بن عساكر . والتفاسير الأخرى التي ذكرناها أن هناك اختلافاً يَبْدُو في التفاسير . وخاصة بالنسبة لآية التين (والتين) . فالبعض قال أنها تعني مسجد دمشق والبعض ذكر أنها تعني جبل طور تينا التي تقع عليه مدينة دمشق . ومن ثم فقط كان على الحافظ ابن عساكر أن يذكر التفسيرين وأن يرجع أحدهما . وهذا يوضح لنا أسلوب ابن عساكر في الكتابة فهو كما قال عنه محمد كرد علي (٣٥) : « أن ابن عساكر ينقل أخبار أهل النحل أو المذهب دون أن يتقيا أو يقرأها ، فلا يستدل بذلك على أنه يعتقدها » . وما يؤخذ على ابن عساكر أن حبه لمسقط رأسه دمشق جعله يسدد في أخبار فضائلها كل ما كتبه ورواه الأقدمون حتى الضعيف ، هذا مع العلم أن ابن عساكر اعلم الناس بالروايات الضعيفة والموضوعة .

ومن الروايات والقصص الأسطورية التي أوردتها الحافظ بن عساكر في شرف الجامع الأموي بدمشق ، نذكر عن يحيى بن اسماعيل عن عبيد الله بن أبي المهاجر قال : (٣٦) « كان خارج باب الساعات (٣٧) صخرة يوضع عليها القران ، لما تقبل منه جاءت نار فأخذته وما لم يتقبل بقي على حاله » . وعن كعب الأحبار : (٣٨) « لينين في دمشق مسجد يبقى بعد

خواب الدنيا أربعين عاماً » . وعن القاسم (٣٩) بن عبد الرحمن قال : « أوحى الله تبارك وتعالى أن هب ظلك وبركته لجبل بيت المقدس (٤٠) قال ففعل . فأوصى الله تبارك وتعالى إليه : أما إذا فعلت فاني سأبني لك في حضنتك بيتاً . قال عبد الرحمن ، قال الوليد في حضنتك أي في وسطه وهو هذا المسجد ، يعني مسجد . أعيد فيه بعد خواب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تذهب الأيام والليالي حتى أرد عليك وبركتك . قال : فهو عند الله تعالى بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع » .

واضح من هذه القصص والروايات أنها أسطورية وليست حقيقية كما أنه واضح أن الحافظ ابن عساكر نقلها على علاقتها دون أن يحصها أو يتفحصها . ولعل السبب في ذلك كما ذكر محمد كرد علي (٤١) : « حرص ابن عساكر الأعمى على كتابة ما يفيد جميع الطبقات ، وقد يسرد أشياء لا يعتقدونها فيما تحب » . وفي اعتقادنا أن ابن عساكر قد تعمد في سرد هذه الأساطير العجيبة الخرافية والخارقة للعادة هو اظهار شرف وتميز المسجد الأموي بدمشق عن باقي مساجد الأمصار الإسلامية .

على أنه ينبغي أن نقرر هنا أن الحافظ بن عساكر لم يكن مبتدعاً لهذا المنهج أو الأسلوب في سرد الأسطورة أو الخرافة ، فإن تدوين الأساطير وكتابة السير (٤٢) بدأ منذ العصر الأموي ، فإن طبيعة المجتمع القبلي في شبه الجزيرة العربية ، وما كان يسوده من مفاخرة الأفراد والقبائل بحسبها ونسبها ، جعل الكثير منهم يحورصون على رواية مفاخرهم ، ومفاخر قبائلهم ومثالب خصومهم ، ويرغم بما في هذه الأخبار والقصص من خرافة ومن خيال

وغموض وعدم الدقة ^(٤٣) ، فإن مؤرخي العصور الوسطى قد نقلوها على علاتها ^(٤٤) ولم يقتصر الأمر على تحريف السيرة أو القصة فحسب . بل إن أئمة الحديث متفقون على أن احاديث كثيرة قد وضعت منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ^(٤٥) . كما كثرت الاحاديث الموضوعة في عهد الفتنة الاولى بعد مقتل عثمان ^(٤٦) . ثم اخذ يزداد وضع الحديث وينمو حتى استفحل الأمر فيما بعد ، فقد اخذ الامويون يرجون بالا حاديث في فضائل عثمان بن عفان وفضائل الامويين وكل ما يمت لهم بصلة ، ليس من حيث الحسب والنسب فحسب ، بل تعدى ذلك الى الاماكن والبقاع مثل مدينة دمشق عاصمتهم ، والمسجد الاموي جامعهم ، والذي نقل الكثير منه شيخنا المؤرخ ابن عساكر في شرف مسجد دمشق .

ومن القصص المثيرة التي يذكرها ابن عساكر في شرف المسجد الاموي ، انه لما امر الوليد بن عبد الملك ^(٤٧) ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبل لوحا من حجر فيه كتاب نقش ، فأثوا به الوليد ، فبعث الى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث الى العبرانيين فلم يستخرجوه . فدل على وهب بن منبه ^(٤٨) ، فبعث اليه ، فلما قدم عليه اخبره بموضع ذلك اللوح ، فوجده في ذلك الحائط فقرأه وهب وكان مكتوبا عليه في النهاية « كتب في زمن سليمان بن داود عليها السلام » .

والقصة في مجملها معقولة مقبولة . إلا أننا نقف عند ذكر ، أن اللوح لم تكن الكتابة المنقوشة عليه اللغة اللاتينية (لغة الدولة الرومانية) ، ولم تكن باللغة العبرية علما بأن اللوح قد كتب عليه انه في زمن سليمان بن داود عليها السلام ، وهو نبي اليهود ولغتهم العبرية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى اذا استعرضنا اللغات الأخرى التي كانت معروفة في عهد وهب ابن منبه ، لوجدنا اللغة البهلوية وهي الفارسية القديمة وكان يعرفها الكثيرون في عهد الوليد ابن عبد الملك ، بل إن بعض الدراهم الفضية التي كانت تصك في فارس في عهد الدولة الاموية كانت ما تزال تحتفظ بصورة ملوك الفرس الساسان وبعض الالفاظ والحروف البهلوية ^(٤٩) . أما اللغات الأخرى فهي الخط المسباري والمسند ، لغة أهل حمير واليمن ، وإن كنا نستبعد أن يكتب بها في زمن سليمان بن داود وفي منطقة دمشق بالذات ، والذي نرجحه في هذه القصة أن يكون ابن منبه نفسه قد أوردها في إحدى كتب المغازي والسير ^(٥٠) التي أشرفنا اليها في (الهامش) ، ثم نقلها عنه المسعودي ^(٥١) وعنه نقل ابن عساكر دون نقد أو تفنيد .

ومن القصص الأسطورية التي لا تقل غرابة عن القصة السالفة الذكر وجود رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق ، والتي اخرجت من تحت ركن من اركان القبة ، وكانت البشارة والشعر على رأسه لم يتغير . وقد وردت هذه القصة في كثير من المصادر التاريخية ^(٥٢) التي سبقت ابن عساكر ، ولكن شيخنا لم يناقشها أو ينفدها . ومنطوق القصة كما جاء عن زيد بن واقد قال : وكلني الوليد على الحال في بناء جامع دمشق فوجدنا فيه مغارة ، فحرفنا الوليد ذلك ، فلما كان الليل وأني وبين يديه الشمع ، فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة واذا فيها صندوق فيه سقط وفي السقط رأس يحيى بن زكريا عليها السلام ، مكتوب

عليه : هذا رأس يحيى بن زكريا ، فامر الوليد فرد الى المكان وقال : اجعلوا العمود الذى فوقه مغيرا من الاعمدة فجعل عليه عمود مسبك (مسلط) ^(٥٣) والرأس .

والذى نود مناقشته فى هذه القصة ، بأى لغة كتب اسم يحيى بن زكريا ، وهل كتب على الصندوق او السقط او الرأس ؟ . ويبدو واضحا من هذه القصة ، الجانب الاسطورى الطريق الذى قصد به تشریف موضع المسجد ، ونحن لا نستبعد كتابة الاسطورة فى عصر الوليد بن عبد الملك . اذ من المعروف ان بداية تدوين الاساطير ، كما ذكر المسعودى ^(٥٤)

وغيره ، كان فى العصر الاموى ، فقد روى ان عبيد ابن شربه ، مولى معاوية بن ابي سفيان الف له (كتاب الملوك واخبار الماضين) . كما روى ان معاوية كان يستمع كل ليلة الى شيء من أخبار العرب وأيامها واخبار العجم وملوكها ، وكان يأتيه غلمان يكتبون على حفظها ويقرأون له مما جاء فيها قصص وروايات الملوك وأساطيرهم وأخبار دولهم ^(٥٥) . وقد سار على نهج معاوية فى حبه لسماع السيرة والقصة والاسطورة ، كل من جاء بعده من ملوك بني أمية عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز ^(٥٦) . وليس من المستبعد أن تكون قصة وجود رأس النبی يحيى بن زكريا من الاساطير التى شاعت فى عهد الوليد بن عبد الملك من قبيل تقديس البقعة التى اقيم عليها المسجد الاموى بدمشق .

ومن الشواهد المادية التى يمكن الاستشهاد بها فى عدم صحة هذه الرواية انه لم يثر على عموده او دعامة مما تقوم عليها اروقة المسجد جميعها ، وكلها ترجع ^(٥٧) الى عصر الوليد بن عبد الملك ، تتميز عن باقى الاساطين والاعمدة .

هذا ولم يذكر ابن فضل الله العمري ^(٥٨) ، وهو من مؤرخى القرن الثامن الهجرى ، وصف جامع دمشق وصفا مسهبا انه وجد عمودا لها وصفا مغايرا لباقى الاعمدة . وهو كما قال عنه أحمد زكي باشا علق كتابه ^(٥٩) : « ان ما أورده مغاير (اى ابن فضل الله العمري عن مسجد دمشق والاقصى من البيانات الفنية المعاصرة والاصطلاحات الهندسية البنائية لم يجر بها قلم كاتب قط ، لا من عرب ولا من عجم ، لا قديما ولا حديثا » . ومما تجلر الاشارة اليه ، انه يوجد الآن فى رواق القبلة فى وسط الرواق الثانى تقريبا ومقصورة معدنية مربعة الشكل يقال لها مشهد يحيى بن زكريا ^(٦٠) ، ورغم دقة ابن فضل الله الفنانية فى وصف الجامع ، الا انه لم يشر الى تلك المقصورة اى اشارة على الاطلاق ، ومن ثم فانا نستطيع القول بأنها انشئت بعد القرن الثامن الهجرى على أقل تقدير .

الباب الثانى

معرفة ما ذكر من الامر الشايع الدائع
من هدم الوليد بقلية كنيسة مريخنا وادخله اياها فى الجامع

تكاد تجمع كل الروايات التى ذكرها ابن عساكر عن هدم الوليد للتصنيف الثانى من كنيسة القديس يوحنا وادخله اياها فى الجامع الاموى بدمشق على النحو التالى : - انه دخل

يوما على الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ابو عبدالله بن المغيرة ^(٦١) بن عبد الملك فرآه مغموما . فقال له : يا أمير المؤمنين ما سبيلك ؟ قال : يا مغيرة ان المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد ، وقد بعثت الى هؤلاء النصارى اصحاب هذه الكنيسة لندخلها في المسجد فأبوا علينا . وقد قطعهم قطاع كثيرة . وبذلت لهم مالا ، فامتنعوا فقال له المغيرة : يا أمير المؤمنين ، لا تقم . قد دخل خالد من باب الشرقي بالسيف . وباب الحجابة دخل منه أبو عبيدة بن الجراح بالأمان . فما سحهم الى اى موضع بلغ السيف . فان يكن لنا فيه حق اخذناه . فقال له : فرجت عنى فقول انت هذا فتولاه . فبلغت المساحة الى تسويق الرمحان (انظر مخطط دمشق القديمة) حتى حاذى القنطرة الكبيرة بأربعة اذرع وكسر بالذراع ^(٦٢) القاسمى ، فاذا باقى الكنيسة قد دخل فى المسجد ، فبعث اليهم فقال لهم : هذا حق قد جعله الله لنا لنصلى فيه ، ولم يصل المسلمون فى غضب ولا ظلم . نأخذ حقنا الذى جعله الله لنا . فقالوا يا أمير المؤمنين قد اقطعنا اربع كنائس . وبذلت لنا من المال كذا وكذا . فإن رأيت يا أمير المؤمنين ان نتفضل علينا به فأقبل . فامتنع عليهم حتى سألوهم وطلبوا اليه . فاعطاهم كنيسة حميد بن ذرة وكنيسة أخرى حيث سوق الجبن وكنيسة مريم وكنيسة المصلية (انظر مخطط دمشق القديمة) .

وقد أثار كثير من المستشرقين ضجة كبيرة حول قسمة كنيسة يوحنا نصيفين واتخاذ المسلمين الجانب الشرقي منها مسجدا لهم ، وادعوا ان النص السالف الذكر والذي جاء فيه ان الكنيسة كان نصفها يقع فى الجزء الذى اخذه عبيدالله بن الجراح صلحا والنصف الآخر اخذه خالد بن الوليد بحد السيف . ولما كانت المعاهدة التى أبرمت بين المسلمين وبين أهل دمشق من المسيحيين تقضى بأن يترك العرب ما اخذ صلحا لأهل البلاد ويستولون فقط على ما أخذ بحد السيف ، انما هو من وضع ابن عساكر ليبر به نقض الوليد للمعاهدة التى كانت ما تزال قائمة يومئذ . بل لقد ذهب المستشرق كانتاني ^(٦٣) Contineau وكذا المستشرق (دوسو) ^(٦٤) Dussaud وسوافاجية ^(٦٥) Sauvaget الى أن هذا الخبر الذى أورده ابن عساكر ذو صبغة اسطورية وأنه من وضع ابن عساكر . وقد ناقش هذا الموضوع صلاح الدين المنجد ^(٦٦) ورد على كثير من ادعاءات المستشرقين يخص بالذكر منهم كانتاني والمانس وهارتمان فاقحمهم بالحجة والبرهان المادى . فذكر ان هذا الخبر قد ذكره عدد كبير من مؤرخي المسلمين قبل ابن عساكر مثل ابن جبير ^(٦٧) فى رحلته والذى نقله عن ابن الملقى . فقد قال فى رحلته : كذلك ذكر ابن الملقى فى تاريخه تاريخنا عنى فيه بتفصيل موضوع بناء الجامع الاموى وقصة الكنيسة . ومن ثم فاننا نستطيع القول بأن النص الذى أورده الحافظ بن عساكر عن بناء المسجد وقصة الكنيسة ، قد سبقه اليه احمد بن الملقى بثلاثة قرون وأنه صحيح لا ريب فيه .

الباب الثالث ما ذكر في بناء المسجد الجامع واختيار بانيه وموضعه على سائر المواضع

ولما اراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق ، استقدم له الصناع والعمال من شتى البلاد الاسلامية التي اشتهرت بصناعة البناء ، وذلك تطبيقا لنظام الالتزام^(٦٩) ، وقوامه في الاسلام التزام اقاليم العالم الاسلامي بتقديم الصناع ، والفنيين ، ومواد الصناعة الى الحكومة المركزية للقيام بما تريده من الاعمال الفنية الجلييلة^(٧٠)

وقد ذكر ابن عساكر عن ابن الملق ، لما اراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق احتاج الى صناع كثيرة ، فكتب الى الطاغية (ملك الروم) : « ان وجهه الى بمائى صانع من صناع الروم ، فاني اريد أن ابني مسجدا لم يبن في مصر قبل ولا يكون بعدى مثله ، فان انت لم تفعل غزوتك بالجيوش وخربت الكنائس في بلدى وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الوها وسائر آثار الروم »^(٧١) . ويضيف ابن فضل الله العمري^(٧٢) ، (اى ملك الروم) « لأن كان ابوك فهمها فاغفل عنها ، انها لو صمة عليه ، ولئن كنت فهمتها وغشيت عن ابيك انها لو صمة عليك ، وانا موجه ما سالت » . فاراد (اى الوليد) ان يجد جوابا فجلس عقلاء الرجال يذكرون ، فقال الفرزدق : انا أجيب ، قال الله تعالى « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » . فسرى عنهم .

ونحن لا نشك في صحة هذه الرواية ولكننا نستبعد الاسلوب العدائي الذي طلب به الوليد من ملك الروم ارسال العمال ، خاصة وانه قد طلب كذلك عمالا من الروم لبناء مسجد المدينة . هذا ونود ان نشير هنا الى أن عمال الروم انما جاءوا لزخرفة المسجد بالفيسفساء^(٧٣) الذين برعوا في صنعه وتخصصوا فيه^(٧٤) . أما باقي عمال البناء فقد وفدوا من مصر والشام ومن العراق وبلاد فارس تطبيقا لنظام الالتزام السالف الإشارة اليه . هذا بالإضافة الى ان كل المؤرخين مثل البلازى^(٧٥) وابن عبد ربه^(٧٦) والابشهى^(٧٧) والبيهقى^(٧٨) وغيرهم ذكروا العلاقات الطيبة بين الدولة الاموية ، وتبادل المصالح بينها ، فقد كانت مصر تصدر القرطاس (الورق) من البردى الى امبراطور الروم بينما كان الروم يصكون للدولة الاموية الدنانير الذهبية ، ومن ثم فاننا نستبعد اسلوب التهديد الذي كتب به الوليد بن عبد الملك رسالته في طلب عمال بناء من الروم .

الباب الرابع كيفية ما رخم وزوق ومعرفة كمية المال الذي عليه أنفق.

تحدث الحافظ بن عساكر عن رخام وتزويق مسجد دمشق . فنقل عن أحمد بن المهمل قوله : « ما لي في مسجد دمشق من رخام شيء . إلا رخامتنا المقام . فإنه يقال أنها من عرش سبأ ، وأما الباقي فكله مرمر » . ويضيف فيقول « أنبأ الحسن بن يحيى قال سمعت أبا جعفر يقول : هاتان الرخامتان اللتان في جانبي المقام من عرش سبأ » ، ويضيف ابن فضل الله العمري ^(٧٩) فيقول : « المقام هو مقصورة الخطابة والرخامتان هما السباقي البراق ولا يدري ما قيمتهما » .

ونلاحظ هنا أن ابن عساكر يعود لسرد الأساطير دون حرج ، فيردد ما جاء في المصادر السابقة عليه من أن بعض الرخام الذي استعمل في زخرفة مسجد دمشق مأخوذ من عرش سبأ ، وهو شيء يصعب معرفته والباته ، وأن كان ليس من المستبعد أن يكون بعض الرخام الذي زخرف به المسجد قد أحضر من مدينة (لاسر) .

هذا وقد أعطانا ابن فضل الله العمري وصفا مفصلا عن رخام مسجد دمشق فيقول : وبمسجد دمشق من الرخام الأبيض وقرمطين من الأبل ، ففيه من الملوك كالفراشي والمنقط والمشحم والأخضر والسباقي غير اللوحين (اللذين قيل أنها من عرش سبأ) شيء كثير : والناس تطلق على كل ذلك اسم الرخام (أي في القرن الثامن الهجري عصر ابن فضل الله العمري) .

أما عن الأموال التي صرفت على بناء مسجد دمشق فقد حرص ابن عساكر على جمع كل الروايات والأخبار التي قبلت في هذا الصدد . فقد أورد حديث الوليد بن مسلم عن احتجاج الأمة على الوليد على تفقاته الباهظة في تزويق المسجد ، ورد الوليد المتعجب على أهل الشام ، إذ قال : « لما أخذ الوليد في بناء المسجد وظهر من تزويقه وبنائه وعظم مؤوته ، تكلم الناس وقالوا : محق بيوت الأموال في نقش الخشب وتزويق الحيطان . فصعد المنبر (الوليد) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قد بلغني مقالكم وليس الأمر على ما ظنتم . إلا واني أمرت بأحصاء ما في بيوت أموالكم فاصبت فيه عطاءكم ست عشرة سنة » . ويضيف ابن فضل الله العمري ^(٨٠) قول الوليد : « يا أهل دمشق اني رأيكم تنفقون بأموالكم وهوائكم وفاكهتكم ورساماتكم فاحسب أن يكون مسجدكم الخامس » .

أما عن الأموال التي انفق على المسجد فيقول ابن عساكر نقلا عن خالد بن تيوك ^(٨١) حدثني شيخ من أهل العلم : أن عبد الملك اشترى العمودين الأخضرين الكبيرين اللذين تحت النسر (أي قبة النسر) من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار . ونقل عن عمرو بن مهاجر ^(٨٢) ، وكان على بيت مال المسلمين في عهد الوليد ، أنهم حسبوا ما انفقوا على مسجد دمشق فكان أربعائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . ومعنى ذلك أن ما أنفق هو (٢٩٠٠٠٠٠) دينار .

الباب الخامس

ذكر ما كان عمر بن عبد العزيز هم برقم رده
على النصارى حين قاموا في طلبه

لقد عرف الخليفة عمر بن عبد العزيز بالعدل والانصاف حتى لقب بخامس الخلفاء الراشدين . من ثم فقد كثرت القصص والروايات الحقيقية والمبالغ فيها بل والتي خرجت عن حد المعقول والمقبول . يروونها عنه . يريدون بها تكريمه ونشر محاسنه كأسوة حسنة يحتذى بها . ورغم ما كان عليه عمر بن عبد العزيز من كرم الاخلاق وما نحل به من عظيم الصفات . الا انه لم يسلم من غمز الناس ولزهم . فقد غضب عليه اهل الشام عندما راوه يريد انصاف النصارى برد ما أخذه المسلمون من كنائسهم التي اضافوها الى مسجد دمشق ^(٨٣) . فقالوا انه انما فعل ذلك من اجل امه النصرانية . ومن المعروف ان امه . أم ولد رومية . وجريا على المنهج والاسلوب الذي اتخذه الحافظ بن عساكر في كتاباته . يورد لنا عددا من القصص والروايات التي احاطت بموضوع طلب النصارى برد ما دخل من كنائسهم في مسجد دمشق . فيذكر عن ابن العلي . عن ابن جابر وغيره : ان النصارى رفعوا الى عمر ابن عبد العزيز ما اخذوا عليه العهد في كنائسهم . لا تهدم ولا تسكن ^(٨٤) . وجاءوا بكتائبهم اليه وكلمهم عمر ورفع ^(٨٥) لهم في الثمن حتى بلغ مائة الف دينار . فأبوا . فكتب عمر على محمد بن سويد الفهري : ان ادفع اليهم كنائسهم الا ان يرضوا بروضاهم . فاعظمه ذلك وأعظم الناس وفيهم يومئذ بقية من اهل الفقه . فشاوهم محمد بن سويد الفهري فقالوا : هذا أمر عظيم . ندفع اليهم مسجدنا وقراءنا فيه وقد أذننا فيه بالصلاة وجمعنا فيه يهدم كنيسة ؟ فقال رجل منهم . ها هنا خصلة : هم كنائس عظام حول مدينتهم . دير مران وباب توما والراهب ^(٨٦) وغيرها احبوا ان نعطيهم كنائسهم . ولا تبقى حول مدينة دمشق كنيسة ولا بالغوطة الا هدمت . وإن شاءوا تركت لهم كل كنيسة بالغوطة . ونسجل لهم بها سجلا وتركوا ما يطلبون . فعرض ذلك عليهم فقالوا : انظرونا ننظر في أمرنا . فتركهم ثلاثا ، فقالوا نحن نأخذ الذي عرضت علينا وتكتب الى الخليفة نخبره اننا قد رضينا بذلك . ويسجل الخليفة من قبله سجلا منشورا بامان على ما في الغوطة من كنيسة من ان تهدم أو تسكن . فكتب الى عمر بن عبد العزيز بذلك فسره وسجل لهم ما في كنائسهم التي خارج مدينة دمشق والغوطة انهم آمنوا ان تحرب أو تسكن واشهدوا لهم شهودا .

ويسجل الحافظ بن عساكر النصوص التي وردت في المراجع التاريخية الخاصة بنزع كل ما له قيمة من مسجد دمشق ليبيعه ورده الى بيت المال وذلك حرصا منه على اموال المسلمين التي يعتقد أنها انفتقت في غير حقها . ولما يؤخذ على الروايات التي سردها ابن عساكر ان

بعضها ضعيف وغير معقول . بل انها تصل الى حد الاسطورة . ومع ذلك لا يرى شيخنا المؤرخ حربا في سردها . وذلك جريا على ما كان متبعاً في عصره . فقد كان المؤرخ ينقل اخبار اهل التحل والمذاهب دون أن ينفجها او يقرها فلا يستدل من ذلك على انه يعتقد بها ^(٨٩) .

ومن هذه الروايات ما ذكره ابن عساكر عن عمرو بن مهاجر ^(٩٠) قال : سمعت عمر ابن عبد العزيز يقول : « رأيت اموالا انفقت في غير حقها . فانا مستدرك ما استدركت منها . فراهه ^(٩١) في بيت المال . عاهد الى ذلك الفسفاء ^(٩٢) والرخام فاقبله واطينه ^(٩٣) . وانزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالا . وانزع تلك البطائن فابع ذلك وادخله بيت المال » ^(٩٤) .

هذه الرواية وإن كانت مقبولة معقولة من حيث المضمون . وهو تكشف عمر بن عبد العزيز وحرصه الشديد على اموال المسلمين ورغبته في انتزاع الاشياء التي يمكن نزاعها من المسجد وردها الى بيت المال . إلا أن تفاصيل الرواية غير مستساعة على الاطلاق . فمن غير المحقول أن يأمر شخص سوى كعمر بن عبد العزيز بتخريب بيت من بيوت الله لكي ينتزع منه القطع الزجاجة منه القطع الزجاجة (الحفدة) التي تعرف بالفسفاء . والتي تكن قيمتها في توصيها على الجدران وليس في قيمتها المادية ^(٩٥) . هذا بالإضافة الى أن نزاعها يغرب الجدران ومن ثم فإن إعادة الجدران يحتاج الى اموال قد لا تنقل كثيرا عن القيمة المادية للفسفاء الزجاجة . ويستمر ابن عساكر في سرد بقية الرواية فيقول : فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتد عليهم (الامر) . فخرج اليه اشرافهم وفيهم خالد القسري فقال لهم : ائذنوا لي حتى اكون انا المتكلم . فاذنوا له . فلما اتوا دير سمعان استأذنوا على عمر . فاذن لهم فلما دخلوا سلموا عليه فقال له خالد : يا امير المؤمنين ! بلغنا انك هممت في مسجدنا بكذا وكذا . قال : رأيت اموالا انفقت في غير حقها وانا مستدرك ما أدركت فراهه الى بيت المال . فقال له : والله ما ذاك لك يا امير المؤمنين . فقال عمر : لمن هو؟ لأملك الكافرة ! وغضب عمر . فقال خالد : ان تلك نصرانية فقد ولدت مؤمنا . فاستحي عمر وقال : صدقت ! لما قولك ما ذاك لي ؟ .

الى هنا والرواية صحيحة ومقبولة ، إلا أن بقيتها التي وردت على لسان خالد القسري . والتي يقول فيها انه كان يفرض على الجنود الذين يأبسون الى غزو بلاد الروم حمل فقير من الفسفاء ، وقدر ذراع مربع من الرخام ، فغير معقول . بل ولم نجد له ما يؤيده في المصادر والمراجع التاريخية التي تناولت الحروب التي قامت بين الدولة الاموية والبيزنطية بالبحث والدراسة سواء القديمة منها او الحديثة . هذا بالإضافة الى أن الفسفاء ليس نبات يزرع فيجده الجندي العربي في النزاع فيحمله ، أو ملقى في الطرقات أو على سطوح الجبال والوديان ، بل هو مجهز خصيصا للبناء الذي سيزخرف ^(٩٦) بالزجاج ، والرخام الملون ، ومن الصدف ، وفي بعض الاحيان من الاحجار النصف كريمة . بل من حبات اللؤلؤ كما هو الحال في قبة الصخرة ، ومسجد دمشق والمسجد الأقصى ^(٩٧) ، كما ان الرخام لم يكن

الواحا ملقاة فيسهل حملها ، بل تقطع من الشاجر حسب الطلب او تؤخذ من الخراب .
فقد رد خالد القسرى على عمر بن عبد العزيز بقوله : انا كنا معشر أهل الشام واخواننا
من أهل مصر والعراق ، نغزو فيفرض على الرجل منا ان يحمل من أرض الروم ققيزا بالصغير
من الفسيفساء وذراعا في ذراع من رخام ، فيحمله أهل العراق وأهل حلب الى حلب ،
ويستأجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل أهل حمص الى حمص فيستأجر على ما حملوه
الى دمشق . ويحمل أهل الشام ومن وراءهم حصتهم الى دمشق . فذاك قولي ما ذاك لك .
فسكت عمر .

أما عن السبب الذى من اجله عدل عمر بن عبد العزيز عن تجديد المسجد مما فيه من
الزخرف والزينة ، وردّه الى بيت المال . فقد سرد الحافظ ابن عساكر ثلاثة انواع من
الروايات بعضها يصل في تفصيله ومضمونه الى حد الاسطورة والبعض الآخر يمكن قبوله
على علته والبعض صحيح معقول .

أما عن النوع الاول من الرواية ، فهو ما ذكره عمرو بن مهاجر قال : ثم جاءه (أى عمر
ابن عبد العزيز) يريد مصر من واليا واليا يخبره ان قاربا ورد عليه من رومية ، فيه عشرة من
الروم عليهم رجل منهم يريدون الوفود الى أمير المؤمنين . فكتب اليه أن وجههم الى وجهه
معه عشرة من المسلمين عليهم من يحسن الكلام بالرومية ، ولا تعلمونهم بذلك حتى يحملوا
الى كلامهم . فساروا حتى نزلوا دمشق ، وخارج باب البريد ^(٩٨) . فسأل الروم رئيس
العشرة من المسلمين ان يستأذن لهم في دخول المسجد ، فاذن لهم ، فروا في الصحن حتى
دخلوا من الباب الذى يواجه القبة ، فكان أول ما استقبلوا المقيم ، ثم رفعوا رؤوسهم الى القبة
فخر رئيسهم مغشيا عليه ، فحمل الى منزله ، فقام ما شاء الله ان يقيم ، ثم افاق فقالوا له
بالرومية ما قصتك ، وما الذى عرض لك حين دخلت هذا المسجد ؟ قال : انا معشر
أهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل ، فلما رأيت ما بنا علمت ان هم مدة سيبلغونها ،
فلذلك اصابني الذى اصابني . فلما قدموا على عمر أخبروه بما سمعوا منه فقال عمر : لا أرى
مسجد دمشق الا غيظا على الكفار ، فترك ما كان همّه به من أمره .

وقبل أن تنتقل الى النوع الثانى من الرواية أود أن أسأل . لماذا أتعب أهل رومية أنفسهم
بالذهاب الى مصر بينا بلاد الشام أقرب اليهم فهي على تخوم بينة الجنتوية ؟ .

أما النوع الثانى من الرواية وهو الذى يمكن قبوله مع شيء من الحذر ، فهي فى مضمونها
تشبه الرواية السابقة ، الا انها تختلف عنها فى أن وفد رومية أتى عمر بن عبد العزيز بدمشق ،
فأرسل معهم عمر من يعرف الرومية وقال : لا تعلموهم انكم تعرفون الرومية واحفظوا ما
يقولون . فلما رفعوا تحت القبة ، لم يفس على رئيسهم كما الحال فى الرواية السابقة وانما قال :

كم للاسلام قالوا مئة سنة . قال تصفرون أمرهم ؟ ما بنى هذا البناء الا ملك عظيم .
وتنتهى الرواية كما انتهت السابقة عليها ، اذ يقول عمر بن عبد العزيز اما اذ هو غاظ العدو
فلده .

أما الرواية الثالثة فهي التي تتفق وشخصية عمر بن عبد العزيز بل يستغنيها العقل ويقرها المنطق . إذ هي تقول : أراد عمر بن عبد العزيز أن يمحو الذهب الذي في المسجد فقبل له أنه إذ جرد لم يكن له ثمن ، فتركه .

الباب السادس

ذكر ما كان في الجامع من القناديل والآلات
ومعرفة ما عمل فيه وفي البلد بأسره من الطلسمات

إن ما أورد هنا شيخنا الحافظ بن عساكر من روايات صحيحة معظمها . إذ أنها تنصل بأشياء مادية بعضها ما يزال باقيا ومحفوظا في خزائن المسجد . ومتاحف الدولة بدمشق ، والبعض الآخر سجله المصورون في مخطوطات صنعت خصيصا لهذه الآلات مثل الساعات المائية التي وجدت في مسجد دمشق والتي نسب إليها بعض أبواب المسجد . ومن أشهر المخطوطات العلمية التي عنت عناية خاصة بالساعات المائية من بين الآلات الميكانيكية الأخرى (كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل) لابن الرزاز^(٩٩) الجزري ، إذ يوجد جزء منه نسخة خطاط مصري اسمه محمد بن أحمد (سنة ٧٥٥ هـ / سنة ١٣٥٤ م) لأحد أمراء سلاطين المماليك البرجية في مصر . محفوظ الآن في متحف الفنون الجميلة في بوسطن بالولايات المتحدة . وقد وضع متن المخطوط بصورة تمثل ساعات مائة^(١٠٠) . كما ظفرت تصاوير هذا المخطوط بعناية كثير من الدارسين وخاصة مجموعة الساعات التي ينطبق أوصافها تماما على وصف الساعات التي جاء ذكرها في روايات ساعات مسجد دمشق . فقد ظهر في رسمها صور حيوانية ورسوم طير كما هو الحال بساعات مسجد دمشق .

فقد ذكر الحافظ بن عساكر عن أبي محمد بن الأكفاني : أنما سمي الجامع القليل^(١٠١) باب الساعات لأنه كان عمل هناك ساعات^(١٠٢) . يعلم بها كل ساعة تغشى من النهار . عليها صورة عصافير وحية وغراب ، فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصاحت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست « فهي إذن من الساعات الدفاعة التي وصفها وصورها ابن الرزاز الجزري .

أما الرواية التي ذكرت عن القنديل البلوري الذي كان موجودا في مسجد دمشق حتى أوائل القرن الثالث الهجري على أكثر تقدير ، فواضح فيها الأسلوب الأسطوري الخالي من الأسانيد أو التحقيق التاريخي ، إذ جاء فيها ، أنه لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبناؤه المسجد^(١٠٣) ، احتفروا موضعا فوجدوا بابا من حجارة مغلقا ، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة على فرس من حجارة في يد التمثال الواحدة الدرة التي كانت في الخراب (أي القنديل البلوري) ويده الأخرى مطبوقة ، فكسرت فإذا فيها جتان . حبة قمح وحية شعير ، فسأل عن ذلك ، فقيل له : لو تركت الكف لم تكسرها ، لم يسوس في هذه البلدة قمح أو شعير .

أما عن الرواية التي تقول بان الخليفة الامين العباسي كان يحب البلورة ^(١٠٤) ، فكتب الى صاحب شرطة دمشق فوجهها اليه . فلما قتل ردها المأمون ليشنع بذلك على الامين فلم نجد لها سندا من مصدر تاريخي يمكن الاعتماد عليه . ولعل الذي قصها احد اتباع المأمون من الفرس أعداء العنصر العربي أتباع الامين .

أما عن قصة الطلائع التي وجدت بمسجد دمشق التي تبقى الجامع من الحشرات الضارة . فهي وإن كانت خرافة واسطورة من حيث الموضوع الا انها حقيقة ثابتة . اذ أن الكثير من مساجدنا في مصر مثل الجامع الازهر ومدرسة السلطان الغوري وغيرها كثير ما زال يحتفظ بالواح حجرية وزخامية عليها كتابة غير مقروءة تشبه حساب الفلك ولغة السحر تعرف بطلاسم الحشرات . فقد ذكر ابو الفضل يحيى بن علي القاضي : « انه ادرك في جامع دمشق قبل حريقه ^(١٠٥) طلسيات لسائر الحشرات معلقة في السقف فوق البطائن مما يلي السبع ^(١٠٦) » وانه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق فلما احترقت الطلسيات وجدت . »

الباب السابع ما ورد في أمر السبع وكيف كان ابتداء الحضور فيه والجمع

ولعل من اهم الحقائق الثابتة التي أوردها شيخنا الحافظ بن عساكر ، والتي لم تذكرها كثير من المصادر التاريخية ، هو ما قيل في امر السبع وما جاء في أمر بداية التدريس في مسجد دمشق . أما المقصود بالسبع ^(١٠٧) فهو السبع من القرآن ، ثم أصبح اسم علم يطلق على المكان الذي يقرأ فيه السبع من المسجد ، ونحدد لنا ابن جبير ^(١٠٨) مكان السبع من مسجد دمشق فيقول : ان موضع السبع في المسجد ، الجهة الشرقية من مقصورة الصحابة ، وأن قراءة السبع لا تتعدى ذلك الموضع متصلا مع جدار القبلة الى الجدار الشرقي . ووقت قراءته كل يوم اثر صلاة الصبح . وقد اوقف كثير من الجيوش على اسباع كثيرة ^(١٠٩) .

أما عن ابتداء الدرس في مسجد دمشق فيقول فقيه الشام الاوزاعي عن حسان ابن عطية : الدراسة ^(١١٠) محدثة ، أحدثها هشام بن اسماعيل الخزومي ^(١١١) في قدمته على عبد الملك فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق ، وعبد الملك في الخضراء فأخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء ، فقرأ هشام بن اسماعيل الخزومي ، فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام ، فقرأ بقراءته مولى له فاستحسن ذلك من يليه من اهل المسجد فقرأ بقراءته . »

يفهم من هذه الرواية ان مسجد دمشق قد اتخذ مكانا للدراسة في عهد عبد الملك ابن

مروان اى قبل توسعته واعادة بنائه فى عهد الوليد بن عبد الملك . وهكذا نستطيع القول بانه اذا كان معاوية بن أبى سفيان ^(١١٢) هو أول من جعل المسجد الجامع يلعب دوراً سياسياً هاماً ، وذلك عندما طلب من جميع الأمراء وعال الاقاليم اقامة مساجد ^(١١٣) جامعة تمثل مسجد الدولة الرسمي وأمرهم بذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة والدعاء له ، ومن ثم أصبح ذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة يكون شارة من شارات الخلافة وان حذف اسمه يعنى خلعه ^(١١٤) . فان مسجد دمشق فى عهد عبد الملك ابن مروان كان أول مسجد رسمى اتخذ مكاناً للدرس . وبعد .

فهذا قليل من كثير مما ذكره وأورده شيخنا المؤرخ الجليل الشأن الحافظ بن عساكر فى الابواب الستة التى خص بها الجامع الاموى فى خطط مدينة دمشق . على انى لا أدعى انى ناقشت أو أوردت جميع ما ذكره أو رواه عنه ، فذلك يحتاج الى مصنف كبير لا يتسع المجال له فى هذه الندوة العالمية . ومن ثم فقد عانيت بمناقشة الظاهر منها والذى يمكن أن يعطى فكرة متكاملة عن اسلوب ابن عساكر ومنهجه الذى هو فى الواقع منيع المؤرخين فى العصور الوسطى . والله الموفق والمعين .

فهرس المصادر والمراجع العربية

- ١ - عبد الكريم بن احمد السمعاني : اخبار رحلة السمعاني المتوفى (سنة ٥٦٢ هـ/ سنة ١١٦٦ م) .
- ٢ - عبد الكريم بن أحمد السمعاني : التجبير (مخطوط) .
- ٣ - محمد بن محمد الاصبهاني : الحزيرد (مخطوط) توفي (سنة ٥٩٧ هـ/ سنة ١٢٠٠ م) .
- ٤ - عبد الرحمن بن على بن الجوزى : المنتظم ت (سنة ٥٩٧ هـ/ سنة ١٢٠٠ م) .
- ٥ - القاسم بن على الشافعى (ابن الحافظ بن عساكر) : معجم الادباء ت (سنة ٦٠٠ هـ/ سنة ١٢٠٣ م) .
- ٦ - : تذكرة الحفاظ .
- ٧ - ياقوت ، بن عبد الله الرومى : معجم الادباء ت (سنة ٦٢٦ هـ/ سنة ١٢٢٨ م) .
- ٨ - ابن التجار ، محمد بن محمود : ذيل تاريخ بغداد (مخطوط) (سنة ٦٤٣ هـ/ سنة ١٢٤٥ م) .

- ٩ - سباط بن الجوزي : مرآة الزمان ت (سنة ٦٥٤ هـ/ سنة ١٢٥٦ م) .
- ١٠ - ابو شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل : الروضتين ت (سنة ٦٦٥ هـ/ سنة ١٢٥٨ م) .
- ١١ - ابن خلكان ، أحمد بن محمد : وفيات الاعيان ت (سنة ٦٨٢ هـ/ سنة ١٢٨٣ م) .
- ١٢ - ابو الفداء ، اسماعيل بن علي : تاريخ أبي الفداء ت (سنة ٧٣٢ هـ/ سنة ١٣٣١ م) .
- ١٣ - الذهبي ، محمد بن احمد : تذكرة الحفاظ ت (سنة ٧٤٨ هـ/ سنة ١٣٤٧ م) .
- ١٤ - الصفدي ، خليل بن اييك : الوافي بالوفيات مخطوط ت (سنة ٧٦٤ هـ/ سنة ١٣٦٢ م) .
- ١٥ - للسبكي ، عبد الوهاب بن علي : طبقات الشافعية ت (سنة ٧٧١ هـ/ سنة ١٣٦٩ م) .
- ١٦ - ابن كثير ، اسماعيل : البداية والنهاية ت (سنة ٧٧٤ هـ/ سنة ١٣٧٢ م) .
- ١٧ - ابن القاضي شهبة ، نقي الدين أحمد بن محمد : طبقات الشافعية (مخطوط) ت (سنة ٨٥١ هـ/ سنة ١٤١٢ م) .
- ١٨ - ابن تفرى بردى ، يوسف : النجوم الزاهرة ت (سنة ٨٧٤ هـ/ سنة ١٤٦٩ م) .
- ١٩ - النعمي ، عبد القادر : تنبيه الطالب ت (سنة ٩٢٧ هـ/ سنة ١٥٢٠ م) .
- ٢٠ - ابن العباد ، عبد الحى : شذرات الذهب ت (سنة ١٠٨٩ هـ/ سنة ١٦٧٨ م) .
- ٢١ - البستاني ، بطرس : دائرة المعارف ت (سنة ١٣٠٠ هـ/ سنة ١٨٨٢ م) .
- ٢٢ - كرد على محمد : كنوز الأجداد .
- ٢٣ - ابن الفقيه الهمداني : البلدان .
- ٢٤ - احمد بن طيفور : تاريخ بغداد (طبع ليبزج سنة ١٩٠٨ م) .
- ٢٥ - محمد احمد دهمان : جبل قاسيون دمشق سنة ١٩٤٦ م .
- ٢٦ - محمد كرد على : خطط الشام دمشق سنة ١٩٢٥ م .
- ٢٧ - ابن جبير : الرحلة ليدن سنة ١٨٥٢ م .
- ٢٨ - اغيب الطبرى : الرياض النضرة فى مناقب العشرة القاهرة (١٣٧٧ هـ) .
- ٢٩ - ابن الحوراني : الزيارات (الاشارات الى اماكن) دمشق (١٣٧٧ هـ) .
- ٣٠ - علي بن ابي بكر الهراوى : الزيارات (الاشارات الى معرفة) دمشق (١٩٥٣ م) .
- ٣١ - ابن الطولوني : الشمعة المضئية فى اخبار القلعة الدمشقية دمشق (سنة ١٣٤٨ هـ) .

- ٣٢ - ابن ابي اصيبعة : عيون الانبياء في طبقات الاطباء - القاهرة .
- ٣٣ - ابن الطولوني : القلائد الجوهريّة في تاريخ الطحالب - دمشق (١٩٤٩ م) .
- ٣٤ - الحسن بن احمد الاربلي : مساجد دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها دمشق (سنة ١٩٤٧ م) .
- ٣٥ - مسجد دمشق : صلاح الدين المنجد دمشق سنة ١٩٤٨ م
- ٣٦ - ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار في ممالك الامصار القاهرة سنة ١٩٢٤ م .
- ٣٧ - ابن واصل الحموي : مفرج الكروب في اخبار بني ايوب القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ٣٨ - عبدالله بن محمد البدرى : نزهة الانام في محاسن الشام القاهرة سنة ١٣٤١ هـ .
- (١) محمد كرد علي : كنوز الاجداد .
- (٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢١٣ .
- (٣) السبكي : ج ٤ ص ٣٢٤ ، شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٤ للماد الاصفهاني .
- (٤) ابن القاضي شيه : طبقات الشافعية (مخطوط) ورقة ٢٠٥ .
- (٥) السمعاني : التيجير (مخطوطة) ورقة ١١٣ .
- (٦) مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر - نشرها صلاح المنجد ص ١٤ .
- (٧) كرد علي : كنوز الاجداد .
- (٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان .
- (٩) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص .
- (١٠) سبط بن الجوزى : الحريدة .
- (١١) عبد الكريم أحمد السمعاني : التيجير وهو مخطوط ذكر فيه اشارات كثيرة الى الحافظ في رحلته واستشهد بأرائه في المحدثين .
- (١٢) الماد الاصفهاني : الحريدة (مخطوط) . لقي الاصفهاني ابن عساكر بدمشق سنة ٥٦٢ هـ وتردد عليه وسمع منه بعض التاريخ وشيئا مما ألفه وقد أنشده الحافظ ابن عساكر شعره .
- (١٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٢ .
- (١٤) صلاح الدين المنجد : تاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٣١ .
- (١٥) القاسم بن علي الشافعي : تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٢٠ .
- (١٦) السمعاني : التيجير ورقة ١٦ .
- (١٧) الماد : الحريدة (مخطوط) ورقة ١٤٧ .
- (١٨) ابو شامة : ذيل الروستين ص ٤٧ .
- (١٩) صلاح المنجد : تاريخ دمشق ص ٣٣ .
- (٢٠) كرد علي : كنوز الاجداد .
- (٢١) ابن عساكر : تاريخ دمشق ج ١ ص ٥ .
- (٢٢) عبد القادر بدران : تهذيب ابن عساكر ج ٢ ص ٩٤ .
- (٢٣) ابن جبير : الرحلة ص ٢٦٣ .
- (٢٤) هو أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن حميد المشهور بابن ابي العجائز .
- (٢٥) قام بتحقيقه الدكتور صلاح الدين المنجد .

- (٢٦) القشيري : تاريخ الرقة (مخطوطة) بالمدرسة الطاهرية .
- (٢٧) حمزة المسهي : تاريخ جرجان ص ١٦ .
- (٢٨) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٦٦ الى ١٢٦ .
- (٢٩) تهذيب التهذيب : ج ١ ص ٨٠ .
- (٣٠) فضائل الشام ودمشق : ص ٣٦ .
- (٣١) فضائل الشام ودمشق : ص ٦١ . عيون التواريخ حوادث سنة ٨٦ هـ .
- (٣٢) المرجع السابق .
- (٣٣) تفسير الالوسي : ج ٣٠ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .
- (٣٤) الامام محمد عبده : ص ١١٨ ، ١١٩ .
- (٣٥) محمد كرد علي : كنوز الاجداد .
- (٣٦) فضائل الشام ودمشق ص ٦٢ ، معجم البلدان لياقوت ص ٥٨٨ .
- (٣٧) انظر الباب السادس في البحث .
- (٣٨) ابن الفقيه : كتاب البلدان .
- (٣٩) فضائل الشام ودمشق ص ٣٨ .
- (٤٠) كمال الدين محمد بن محمد المقدسي : اتحاف الاخصا بفضل المسجد الاقصى (مخطوطة) رقم (٤٠٧) دار الكتب المصرية .
- (٤١) محمد كرد علي : كنوز الاجداد .
- (٤٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٧٣ ، ج ٤ ص ٨٩ ، ج ٥ ص ٧٧ .
- (٤٣) F. Krenk the Two oldest books on Arabic Folklore (in Islamic Culture II)
- (٤٤) زكي محمد حسن : دراسات في الموازنة بين المؤرخين في دار الاسلام والمؤرخين الاوربيين في المصور الوسطى ص ٦ - ٨ (مجلة كلية الآداب ببغداد ج ٢ سنة ١٩٥٧) .
- (٤٥) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ص ٣٨ .
- (٤٦) ابن الاثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٢٣٣ .
- (٤٧) فضائل الشام ودمشق ص ٣٤ .
- (٤٨) يرجع نسب وهب بن منبه الى أسرة فارسية الاصل استقرت في اليمن قبل الاسلام وهو من الرعيلى الاول من كتاب المغازى توفي (سنة ١١٠ هـ/سنة ٧٢٨ م) ، وقد اشتهر وهب بمعرفة اخبار اهل الكتاب من يهود ومسيحيين عن طريق اهل اليمن من اهل الكتاب . وينسب الى وهب بن منبه (كتاب المبتدأ) الذي استغله الثعلبي في كتابه (عرائس المجالس في قصص الانبياء) ويضم الكتاب كثيرا من قصص الانبياء كما ينسب الى وهب (كتاب الملوك المتوحيين من حمير واخبارهم وغير ذلك) وهو التاريخ الخزاني القديم لليمن . (ياقوت : معجم الادباء ج ٧ ص ٢٣٣) .
- (٤٩) Pope A.V : A Survey of Persian Art & An Introduction to Persian Art since the seventh Century.
- (٥٠) يوسف هورقس : المغازى الاول ومؤلفوها (ترجمة حسين نصار - القاهرة ١٩٤٩) .
- (٥١) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ١٥٢ (الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ هـ) .
- (٥٢) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ١٠٧ .
- (٥٣) لعل كلمة (مبسط) التي وردت في المخطوطة وكلمة (مسط) التي صاحبها الدكتور صلاح الدين المنجد في تحقيقه للمخطوط هي (مسمط) اي غير مجوف وهو اصطلاح ميمارى يطلق على الاعمدة ويتجانها الغير مجوفة .

- (٥٤) مروج الذهب ج ٣ ص ١٧٣ .
- (٥٥) F. Krenko : The Two oldest books on Arabic Folklore p. 72
- (٥٦) السعدي : مروج الذهب ج ٤ ص ٨٩ .
- (٥٧) Creswell : Early Muslim Architecture vol I p. 162
- (٥٨) ابن فضل الله العمري : مسالك الايصار في الممالك والامصار ج ١ ص ١٩٠ .
- (٥٩) لقد حقق احمد زكي باشا كتاب ابن فضل الله العمري (سنة ١٩٢٤ م / سنة ١٣٤٢ هـ) اى قبل صدور موسوعة الأستاذ كرزويل عن العبارة الإسلامية التي ظهر الجزء الاول منها الذي يحتوي وصف جامع دمشق في سنة ١٩٣٢ م .
- (٦٠) مدينة دمشق وآثارها - مديرية الآثار بدمشق .
- (٦١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ١٤٥ . فضائل الشام ودمشق ص ٤٠ .
- (٦٢) هناك ثلاثة مقاييس للذراع في العصر الاسلامي - ذراع اليد ويبلغ ٤٨ سنتيمتر . والذراع الحديث (او القاسمي) وهو (٥٧ سم) . والذراع المعاري او المصري وهو (٧٥ سم) (بإسالة : وصف الحرم الملكي) .
- (٦٣) Sauvaget : Esquisse d'une Histoire de la ville de Damas.
- (٦٤) Dussaud : Topographis Historique de la Syrie Antique et Medieval.
- (٦٥) Cantineau : Le Parlers Arabes du Haran (Paris 1946)
- (٦٦) تاريخ مدينة دمشق (تحقيق صلاح الدين المنجد) المجلد الثانية ص ١١ .
- (٦٧) ابن جبير : الرحلة ص ٢٦٤ .
- (٦٨) تهذيب التهذيب : ج ١ ص ٨٠ . مهذب ابن عساكر ج ٢ ص ٩٤ .
- (٦٩) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣٣ .
- (٧٠) اشار البلاذري في كتابه فتوح البلدان : ان الوليد بن عبد الملك كتب الى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة المنورة بأمره يهدم مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم واعاد بنائه . ويحث اليه بمال وفسيغساء ورخام وثمانين صانعا من الروم والقطب . من اهل مصر واهل الشام . فبناء وزاد فيه .
- (٧١) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ١٠٦ .
- (٧٢) مسالك الايصار : ص ١٨٣ .
- (٧٣) H. Lammens : Etudes sur le siecle de Omayyad, p. 93
- Beyrouth (1930)
- (٧٤) لقد أثبتت مارجريت فان يرشم التي تخصصت في دراسة فيفساء قبة الصخرة والمسجد الاموي بان الفسيغساء الموجود بهذين البنايين ، انما صنع بأيدى عال سوريين تعلموا على ايدي الروم . وليس من المستبعد ان يكون معهم قلة من عال الروم (فيفساء قبة الصخرة) .
- (٧٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٤٩ (دار الكتب) .
- (٧٦) ابن عبد ربه : العقد القرئيد ج ١ ص ٢٨٤ .
- (٧٧) الاشبهى : المستطرف في كل من مستطرف ج ٢ ص ٤٧ .
- (٧٨) البيهقي : الخاسن والمساوي ص ٤٩٨ .
- (٧٩) مسالك الايصار ص ١٨٥ .
- (٨٠) مسالك الايصار : ص ١٨٨ .
- (٨١) عيون التواريخ سنة ٨٦ تأليف محمد بن شاكر الكبي .
- (٨٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٥٩٢ ، مسالك الايصار ص ١٨٧ .

- (٨٣) البلادى : فتح البلدان ص ١٢٥ .
 (٨٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ١٥١ .
 (٨٥) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ص ١٩٠ .
 (٨٦) كان محمد بن سويد الفهرى عامل عمر بن عبد العزيز على دمشق (تهذيب التهذيب ج ٩ ص ١٠) .
 (٨٧) مسالك الابصار : ص ١٩٠ .
 (٨٨) انظر غرر دمشق القديمة .
 (٨٩) محمد كرد على : كنوز الاجداد .
 (٩٠) محمد شاكر الكتبي : عيون التواريخ سنة ٨٦ هـ .
 (٩١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ١٥١ .
 (٩٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٥٩٤ .
 (٩٣) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ص ١٩١ .
 (٩٤) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ١٠٨ .
 (٩٥) Margritte Van Berchem, la Aqusa Mosque.
 Talbult Rice : The Byzantine Art p: 75
 (٩٦) Creswell : Early muslim Architecture Vol I p. 119
 (٩٨) انظر غرر دمشق القديمة .
 (٩٩) لقد كلف نور الدين محمد بن قرا أرسلان ، احد سلاطين بنى ارق في ديار بكر ابن الرزاز الجزرى

(سنة ١١٨١ م) ان يكتب مقالا عن مخترعاته من الحيل الميكانيكية ، التى تشتمل على وصف للآلات المختلفة من مضاطعة ورافعة وناقلة ومتحركة ومن اهمها فى ذلك الوقت الساعة المائية والساعة الدقيقة . وقد أتم الجزرى كتابه هذا (سنة ١٢٠٦ م) . وقد تم توضيح متن الكتاب بالصور التى سهلت فهم الآلة كما انها أصبحت سجلا عظميا افادنا فى تفهم شكل تلك الآلات التى اندثرت او التى لا يوجد لها أثر فى المتاحف . (احمد تيمور : التصوير عند العرب ص ٤٢ - ١٨٢ ، جورجى زيدان : القطن الإسلامى ج ٢ ص ٤٣ .

- (١٠٠) زكى حسن : اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية شكل (٨٨٦).
 (١٠١) كان اسم باب الساعات يطلق على الباب القبلى حتى القرن الرابع ، أما فى القرن السادس فقد اطلق اسم باب الساعات على باب جيرون الشرقى كما جاء فى رحلة ابن جبير ص ٢٧١ .
 (١٠٢) يذكر ابن ابي اصيبعة فى كتابه (عيون الابناء فى طبقات الاطباء ج ٢ ص ١٨٤) ان ساعات مسجد دمشق صنعت فى عهد نور الدين زنكى على يد فخر الدين ابن الساعاتى . وكانت تعرف باسم (بكام) اى الساعة للمائة التى وصفها ابن جبير فى رحلته (هامش ص ١٩٨ مسالك الابصار) .

- (١٠٣) مسالك الابصار : ص ١٩٤ .
- (١٠٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ١٤٩ .
- (١٠٥) كان حريق الجامع في نصف شعبان سنة ٤٦١ هـ ، وكان سببه ان امير الجيوش بدر الجمالي ورد من مصر الى دمشق وفي هذه السنة وقع قتال بين المشاركة والمغاربة فغضبوا دارا كانت مجاورة للجامع بالنار فبادرت الى الجامع (مسالك الابصار ص ١٩٨) .
- (١٠٦) انظر باب ذكر ما كان في الجامع من القناديل والآلات ومعركة ما عمل فيه وفي البلد بأسره من الطلسمات .
- (١٠٧) الحسن بن أحمد الاربلي : مساجد دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها ص ٥٨ .
- (١٠٨) الرحلة : ص ٢٩٤ .
- (١٠٩) النعمي : المدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٢٣ - كرد على : خطط الشام ج ٦ ص ٣٥ .
- (١١٠) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ١٥٩ .
- (١١١) كان عامل عبد الملك على المدينة المنورة (البداية والنهاية ج ٩ ص ١٦٠) .
- (١١٢) الزركشي : اعلام المساجد باحكام المساجد ص ٢٧ .
- (١١٣) المقرئ : الخطوط ج ٢ ص ٢٤٦ .
- (١١٤) معاد ماهر : مساجد مصر ج ١ ص ٣١ .

تحفة الأردن الخالدة بأرض الأسماء في (مادبا)

للأستاذ / ردكسي بن زائد العزيمي

تعريف بـ (مادبا) (١)

(مادبا) كلمة سامية . معناها : « مكان طيب » أو « مياه هادئة » وهي مدينة سياحية . احتفظت باسمها هذا منذ أقدم العصور . وتقع جنوبي (عمّان) عاصمة الأردن . بانحراف قليل إلى الغرب . وقد ورد ذكر (مادبا) في نصب (ميشع) ^(٢) يوم أضحت سهولها مسرحاً للحروب دامية .
وقد أصاب (مادبا) دمار تام . يوم استولى عليها (الآشوريون) . في عداد ما استولوا عليه في الأردن . فظلت موهودة من المائة التاسعة قبل الميلاد . إلى المائة الثانية بعد الميلاد . يوم جدد الانباط حياتها .

الأدوار التي مرت بها (مادبا) —

وقد مرّت (مادبا) بأدوار عديدة . فكانت : —
أ — مدينة مؤابية .



- ب — ومن المزاينين - تسلمها الانباط ، الذين اتخذوا (بطرا) — سلع — عاصمة لهم . وقد تكلم اهلها لغة الانباط ، معتزين بعروبتهم .
- ج — وبعد الانباط خضعت لسلطة رومية ، فازدهرت ، وكان فيها دار لسك النقود .
- د — ثم حكمها البيزنطيون .
- ه — ومنهم انتزعها الفرس .
- و — ثم استولى عليها العرب .
- وقد نكبت (مادبا) بزلزال دمرتها ، وأدنتها تحت اطباق الثرى ، وأشهر تلك الزلازل . زلزال سنة ١٠٣٣ للميلاد الذى استمر اربعين يوماً متتالية . (٣) وقد هدم مع (مادبا) كلاً من (اريحا) و (نابلس) واباد سكان هذه المدن ، اباداة تامة . الا من هرب . قبل ان يدرك مدينته واهلها الوأد !
- تحفة الاردن الخالدة خارطة الفسيفساء فى مادبا وكيف اكتشفت زائر (مادبا) لا بد له من أن يزور التحفة الخالدة ، التى عرّ نظيرها فى عالم الآثار . اعنى بها (خارطة الفسيفساء) التى ابقها يد الفنان الاردنى (سليمان) — سليمانوس —
- أما كيف اكتشفت هذه التحفة . فان الدولة العثمانية ، كانت قد وهبت (خربة مادبا) سنة ١٨٨٠ لثلاث عشائر ، هى : —
- أ — عشيرة العزيرات ،
- ب — عشيرة الكرادشة ،

ج — عشيرة المَعَاغِيَّة ، ويسمون أنفسهم اليوم (المعابغة) تفرقاً بينهم وبين المعابية .
احدى فرق عشيرة (الأزابدة) .

وبعد ان اقامت هذه العشائر في كهوف (مادبا) ، حاولت ان تبنى لها مساكن .
ومعابد . فعثر أحد رهبان الروم الارثوذكس سنة ١٨٨٤ على تلك الخارطة . فكتب رسالة
الى بطريرك الروم الارثوذكس في (القدس) - يخبره بامر هذه التحفة النادرة ، التي تشمل
على اسماء مدن في شرقي الاردن ، وفي فلسطين . غير ان تلك الرسالة ، ظلت بلا جواب الى

سنة ١٨٩٠ حيث عثر عليها اتفاقاً . بطريرك الروم الارثوذكس في القدس . المدعو
(جراسيموس) خليفة البطريرك الذي تسلم رسالة الراهب . ولم يجب عنها . وكان البطريرك
(جراسيموس) هذا عجباً للآثار . فانفذ للحال مهندساً الى (مادبا) وأمره بأن يدخل
الخارطة . في بناء كنيسة الروم الارثوذكس التي اختير لها موضع تلك الخارطة . التي سلم
الجزء الكبير منها من غارات الاطفال . الذين كانوا يغيرون على تلك المكعبات ويقتلعونها
ليمارسوا العاهية بها .

وبناء حظ العلم ، ان يزور (مادبا) في تلك السنة احد علماء الآثار . فينشر وصفاً لقسم
صغير من هذه التحفة ، يمثل البحر الميت ، وسفينة . وكتابة مأخوذة عن (بركة يعقوب) .
وقد شهد أربعة من رهبان الروم الارثوذكس . انهم رأوا الخارطة — قبل ان يعث بها
العال — صاحبة ، لكن الحال . دعروا قسماً منها ! ..

أما المهندس الذي ارسله البطريرك للاشراف على بناء الكنيسة . فانه لما انجز البناء . وضم
الخارطة الى صحن الكنيسة . عاد . واخبر البطريرك ان الخارطة . ليست لها تلك القيمة التي
يصفون ! ..

لكن هناك من قال : « انه لم يعثر على الخارطة كاملة . الا عندما كاد العال يهون فرش
الكنيسة بالبلاط . »^(١)

مدير مكتبة دير الروم ينبه على أهمية هذه الخارطة : —

وفي خريف سنة ١٨٩٦ ، زار (مادبا) مدير مكتبة دير الروم الارثوذكس في القدس
المدعو (كليوفاس كريكليس) . وهو يوناني الاصل ومن خريجي (اثنية) وكان مولعاً
بالتاريخ . والآثار . فما أن رأى تلك التحفة . حتى ذهل لقيماتها النادرة الوجود في العالم .
وحزن لما اصابها من دمار . وسارع حالاً . الى نقل ما عليها من الكتابات . وخطط لها رسماً
اولياً نشره سنة ١٨٩٧ .

فكان مقالته والرسم الملتصق به . سبباً للاحتفاظ بما بقي من هذه الخارطة . ولتوجيه
الانظار في عالم الآثار الى تحفة الاردن الخالدة . ودرة (مادبا) الواسطة . ومنذ ذلك
التاريخ ، اخذ علماء الآثار يتوافدون على (مادبا) .

علمان بارزان يدرسان خارطة الفسيفساء المادية :

سمح العلامة (فسان) ^(٥) والعلامة (لاغرانج) ^(٦) بهذه الخارطة فزارا (مادبا) في شباط سنة ١٨٩٧ . وقضيا فيها اربعة ايام ، درسا خلالها الخارطة فخرجا بنتيجة ، هي انها من اعظم الآثار . ثم نشر (لاغرانج) عنها مقالا اضافيا ، ما يزال حتى اليوم مرجعا رئيسا عنها . وفي اذار سنة ١٨٩٧ . بلغ الامر اكااديمية المخطوطات في (باريس) . فاهتمت بالامر . فطبع مقال (لاغرانج) في الخامس والعشرين من اذار سنة ١٨٩٧ طبعة منفردة . ووزع في (باريس) فتوجهت انظار علماء الآثار الى هذه التحفة النادرة . اما (فسان) فانه قد نخدم الآثار . وخدم هذه الخارطة ، بانه قد رسمها . وجعل رؤيتها ميسرة لكل من اراد رؤيتها ، وكان عمله موقظاً لخدمة علماء صنعوا مثل صنيعه ، منهم : —
 أ — العالم (جيرمي ديران)
 ب — والعالم (وستفنون)
 ج — وعالم روسي مجهول .
 وقد استخدم رسومهم ، مؤرخو الخارطة المثلون .

رسم الخارطة بالوانها الطبيعية : —

ثم انبرى لرسم هذه الخارطة بالوانها الطبيعية كل من :
 أ — (بلمر) ب — و (غوته)
 كان ذلك سنة ١٩٠٢ . لكن هذا الرسم الملون لم ينشر الا سنة ١٩٠٦ في عشر صور ،
 بهذا العنوان :
 THE MADABA MOSAIC. I-X

خارطة موزاييك مادبا ^(٧)
 ورسم (ابلمر) و (غوته) أقرب الرسوم شبا بهذه الخارطة .

تحقيق صحة هذه الخارطة وصدقها :

كل ما تقدم ، لم يقنع (فكتور غولد) العالم المحقق . فجاء الى (مادبا) . وحقق في المكان نفسه . صحة ماسبق كله ، في شهر تشرين الاول سنة ١٩٥١ ولعل اهم بحث تناول هذه التحفة الخالدة . بامتياز . تفوق على كل ما سبقه من بحوث . ملأت مجلات الآثار . هو ذلك المقال المسهب . الشامل ، الميثب في معجم الآثار . في ملحق معجم التوراة المنشور

سنة ١٩٥٣ ، وفي كتاب جمل وفقاً على هذه الخارطة سنة ١٩٥٤ (٨)

ماذا نلاحظ عند النظر الأولى إلى هذه الخارطة ؟

ان النظرة الاولى الى هذه الخارطة . تثبت لنا انها قد رحمت مرتين :
أ — المرة الاولى تمت بوحدات من مكعبة من الفسيفساء ثبتت في الاماكن التي عبث بها
محطمو الصور . لانها كانت تشتمل على كائنات حية — مثل البحارين الاربعة ، المسافرين
في البحر الميت . والاسد المهاجم ظلية . في صحراء مؤاب — وقد جري هذا الترميم ما بين
سنة ٧١٧ — سنة ٧٢٠ م .

ب — والترميم الثاني وهو من النوع . الذي غرضه ملء الفراغ . وقد جري
يوم تم اكتشاف هذه التحفة النادرة .
وقد كان حسن الحفظ يخدم الآثار والتاريخ . لان التدمير لم يصب مدناً من (آسيا
الصغرى) ، كما قال بعض علماء الآثار .

واذا نظرنا الى الخارطة ، بوضعها الطبيعي . وجدنا محوراً مدنية (القدس) ووجدنا
الخارطة تنتهي جنوباً بـ (النيل) مع احتمال انه وجد فروع لـ (النيل) وصوره
لـ (الاسكندرية) من هذه الناحية . تصل شمالاً الى (صرفت) — صرفند حالياً —
ويحتمل انها تضم (صيدا) وقد عثر على فسيفساء في احد بيوت (مادبا) ورد فيها اسم
(صرفت) ومعه هذه الكلمات : « صرفت ، الضيعة الطويلة . هناك اقيم الصبي في ذلك
اليوم » (٩) ولا شك في ان هذا الاثر . كان اصلاً في القسم الشمالي من الخارطة . التي لم
يكن في وسع صانعها ان يوسعها جنوباً وشمالاً . اكثر مما صنع . بسبب جدران المعبد الذي
صنعت الخارطة لتجمله ، أما غرباً ، فكنت ترى البحر المتوسط . وقد بقي شيء منه .
والذي ثبت . هو ان القسم الخاص بالاردن من الخارطة . لم يكن يتعدى مدينة الكرك . اذاً
فالخارطة . كانت تحتل حيزاً معيناً من المعبد القديم . فقد قدر طول الخارطة الاصلية باربعة
وعشرين متراً (٢٤) وعرضها بستة امتار (٦) ما عدا اطار الزينة (١٠)

وقد كان اتجاه الخارطة الى الشرق . وفقاً لاتجاه المعابد . بحيث كان يسهل على من ينتجه
الى الشرق . ان يرى الخارطة . ويقرأها . لذلك نرى جميع الابنية المثبتة في هذه الخارطة .
مواجهة لمن يستقبل الشرق .

الخارطة — أصلاً — وضعت للأرض المقدسة ، لذا فإنها كانت تشمل (فلسطين) و (شرقي الأردن) فمن هنا نعلم أنها وضعت في ضوء (التوراة) و (الانجيل) وقد ورد فيها ما يقرب من نصف الأماكن المذكورة في الانجيل ، ولا سيما (انجيل يوحنا) وقدمت لنا معلومات وافية ، عن الأيام البيزنطية ، ومما تمتاز به هذه الخارطة ، ان صانها ، كان يضع اسماء المدن والأماكن القديمة ، والاسماء المعاصرة لصنع الخارطة ، وفوق هذا ، انه يرد في الخارطة — أحياناً — ذكر لما جرى من الحوادث في بعض الأماكن . وفي بعض الصحاري خاصة ، وثبتت نصوصاً — في الغالب — مأخوذة من بركة (يعقوب) و (موسى) وقد خطت الكتابات باللون الأسود ، ما عدا ما ورد منها في الجبال ، فانه خط باللون الأبيض — وكله بمكعبات من الحجر — اما الكتابات المهمة ، فإنها خطت باللون الأحمر . كاسماء المدن الشهيرة مثل (القدس) و (بيت لحم) .

وقد اختيرت المدن الواردة في الخارطة ، اما لكونها مهمة ، واما لوقوع حوادث ذات قيمة تاريخية ، جرت فيها . وأحياناً وردت بعض البلدان لماء الفراغ . لأن رجال الفن في الشرق ، كانوا ينفرون من ابقاء الفراغ في اعمالهم . (HORROR VACUI) ومثلت طبيعة البلاد بجبالها ، وبحارها ، وانهارها ، لما لها من الاهمية ، وأحياناً لماء الفراغ ، ولاحياء الخارطة نفسها زيدت مناظر بشرية ، وصور سفن ، وحيوانات ، وأسماك ، ونباتات .



اسلوب رجل الفن المادي : —

إذا نحن نظرنا الى وضوح الخارطة ، ادركنا ان صاحب الفن ، ومن معه من المساعدين . كانوا عندما صوروا المدن الكبيرة مثل (القدس) وغيرها يعينون لكل واحدة منها مكانها . وكانوا يصورون المدينة قبل تصويرهم للجبال . ولنهر الاردن . وقد اكتفوا — احيانا — بالفسحة الضيقة الباقية لذكر ما ارادوا من الكلام . وحيانا كانوا يهملون الحاق الضيع باسمائها ، كما وقع في ضيع عديدة في السهل الساحلي . وقد جعل صاحب الفن للمدن نسبة امتداد تناسب مقام المدينة . واهميتها . وتقليدا للاغريق ، وللمصريين . ولسكان ما بين النهرين ، ابرزوا المدن كأنها مدن صورت من الطائرة . مجموعة بكل ما فيها من بنايات . ضمن مربع اسود . كما لو انها جعلت زخارف في بساط شرقي .

وقد أظهر المدن الكبرى بميزتها الخاصة . فصور (القدس) و (غزة) بشارعها الرئيس . و (اللد) بساحتها البيضاء . و (بيت جبرين) بعينها المستديرة . و (الكرك) بصخرتها العالية . أما الضيع . فيمتاز بعضها من بعض بعلو السطوح . ولا سيما بتعدد الابراج المرتفعة . فوق سور المدينة . وذلك تقليدا للطراز الاغريقي .^(١١) وفي الخارطة ابنية شتى : — من معابد . معظمها ابنية صغيرة بسطح مائل من الحجر الاحمر . نقلاً عن تصوير الهياكل في الخارطات الرومانية . وفيها حمام غربي (الكرك) ومستنقعات في (الزارة) وفيها ممران في (نهر الاردن) و برج بقرية .

وقد تفوق الفنان الاردني — المادي — في عرضه جمال المناظر الفلسطينية بمختلف الالوان . فصور الجبال سوداً سواداً متواجداً . بحسب سطح الارض . وصور (سبأ) بنوع من الالوان بضاهي اجمل ما صورته الرحالة لمكان . وصور وادي الاردن بلون ابيض .

مشمات الخارطة : —

تشمل الخارطة على معظم البحر الميت — بحيرة لوط — وقسم من البحر المتوسط ، غير ما تقدم ذكره من مدن وجبال . وقد جعل امواجهم تتاوج ، ما بين اللون الازرق ، والبي ، والايض ، كأن زويعه — في يوم عاصف — قد غشت تلك الامواج ، وقد جعل يجري نهر الاردن ونهر النيل مفروشين بهذه الالوان نفسها . وقد اتقن اتقاناً مذهلاً . تصوير وادي الموجب (أرنون) ووادي (الحسا) اللذين يظهران من فوق الصخور . فيجري كل منهما في منبسط اخضر بين الجبال متجهين نحو البحر الميت ، الامر الذي يدل على ان الفنان المادي . صانع هذه التحفة الخالدة ، شديد التعلق بلواء (مادبا) ، وبساتر (موآف) .

اخيرا - نجد في هذه الخارطة صورة لاربعة ملاحين ، في البحر الميت . وصورة اسد . يطارد طيبة في سهول موآب - واربع سمكات في الاردن . كان واحدة منهن تحاول الهرب . وسبع سمكات في النيل . وبعض شجرات النخيل . وحبات بلع حمر . قد سقطن . وغيرها .

عهد الخارطة :

ان الخراب الذي اصاب هذه الخارطة . لم يبق من الكتابات التي عليها ، سوى كلمات لا تستطيع ان تعطينا احكاما جازمة . وهناك هذه الكلمات الباقية : « من شعب مدينة مادبا هذه حبة المسيح » لذلك ترانا مضطرين الى ان نبحث عن كتابات قريبة من هذه الخارطة . لعلها تضع في يدنا دليلا تنكح عليه .

فعل بعد مائة متر من مكان الخارطة ، نجد بئرا . كتبت — في جانبها الغربي — هذه الكلمات : « رُمم في عهد (يوستينانوس) ملك الرومان » وقد تبين لنا . ان زمن الفسيفساء (في مادبا البيزنطية) يتراوح — خاصة ما بين سنة ٥٧٨ م — اي بعد موت (يوستينانوس) بقليل — وسنة ٦٠٨ . فوق هذا ، فان التشابه الذي بين فسيفساء (مادبا) و (جرش) و (ماعين) يوحي بان الخارطة صنعت في اواسط القرن السادس للميلاد ، ولا سيما ان الخارطة تشمل كنيسة (العذراء) في (القدس) — NEA — التي دشنها (يوستينانوس) سنة ٥٤٣ . وهي احدث بناء اشتملت عليه الخارطة .

ثم ان التشابه بين فن الخارطة ، وفن (كنيسة الرسل) في (مادبا) — التي زينها (سلانوس) ، وفرغ منها سنة ٥٧٨ يعطينا دليلا ، على ان (سلانوس) — سلمان — هو صاحب هذه التحفة الخالدة .^(١٢) وقد كان (سلمان) هذا عالما ، مدققا . خبيرا بمنطقة (موآب) و (مادبا) و (مدينة القدس) . ودقة عمله ، تثبت لنا انه كان هائما بفنه ، هياما ، ما بعده من هيام ! .

صانع الخارطة اعتمد على مرجع قديم :

صانع خارطة (مادبا) على ما يبدو ، لم يكن بمعلوماته الشخصية ، بل اعتمد على بعض المصادر ، التي امدته بمعلومات قيمة . لان اوائل الذين درسوا هذه الخارطة لاحظوا ان لها صلة شديدة بكتاب يدعى (الاثرنا ستكون) لمؤلفه (اوسابيوس القيسري)^(١٣) مع الخروج عن رأي مؤلف (الانوما ستكون) اختيرت لها المدن التي على الطرق الرسمية وفاق هذا فان واضع خارطة (مادبا) استعان بخارطة تصويرية تبين للرائر ميرة كل مدينة لدر ميرة مدينة ، في العهد الذي عظممت فيه اهمية الارض المقدسة . لانها تشتمل على الاسماء التي

وردت في التوراة والانجيل مرتبة على الحروف الابجدية - مصحوبة ببعض الوصف . وقد ترجمه واتمه القديس (ابرونيوموس)^(١٤)

قيمة هذه الخارطة : —

لقد مضى على ابحاز الخارطة ثلاثة عشرة نا ، ولم يعثر على شبيه لها ، من اجل هذا احتفظت بمقام فريد ، وقيمة لا تضاهي في تاريخ الخارطات ، لان الماضي لم يترك لنا خارطة لفلسطين . غير خارطة (مادبا) وسوى الخارطة التي . ندعى (TABULA PEUTINGERIANA) التي تمثل طرق الامبراطورية الرومانية ، على رق عرضه ٣٤ سم وطوله ٦ سة امتار . وهذه الخارطة ، يرتقى عهدها ، الى القرن الثالث بعد الميلاد ، وقد وصلت البناعن طريق نسخة استنسخها عنها احد الرهبان ، في القرن الثالث عشر ، وقد عثر على نسخة الراهبذه في أواخر القرن الخامس عشر فسلمها الذي عثر عليها إلى صديق له من رجال الآثار الالمانيين في (اوغسبورغ) واسمه : كونوراد بيوتنجر (CONRAD PEUTINGER) فدعيت الخارطة باسمه ، وهي الان في (فينا)^(١٥)

تسهيلات لدراسة هذه الخارطة : —

- تسهيلات لدراسة هذه الخارطة ، قسمت الى اربعة اقسام : —
- ١ — القسم الشرقي من الخارطة ، يشتمل على نهر الاردن ، والبحر الميت ، وشرقي الاردن .
 - ٢ — القسم الشمالي الشرقي من الخارطة يشتمل على ضواحي اريحا والسامرة .
 - ٣ — القسم الثالث وهو الاوسط ، ويشتمل على ضواحي القدس واللد والبحر الميت .
 - ٤ — القسم الرابع ، يشتمل على الخليل ، والساحل الفلسطيني والنيل .
- وعلينا ان نعلم ان مدينة (القدس) هي محور خارطة (مادبا) ، وقد اعتمد صانع هذه الخارطة على الجهات الاصلية الطبيعية ، ولم يتبع اصطلاح الخارطة المتعارف عليه ، فالجهات هكذا : —

الشرق

الجنوب

الشمال

الغرب

وزائر الاردن ، للاطلاع على آثارها . تعد زيارته محفزة . ان لم يزر (مادبا) ويطلع على تحفها الخالدة .

هوامش ومراجع

- (١) مادبا وضوحيا صفحة ٤ طبعة ١٩٦١ .
- (٢) ميشع هو ملك مؤاب ، وهو الذي هاجمه ملك اسرائيل ويهوذا وادوم من الجنوب . ولما اشتدت عليه الحرب ، اخذ ابنه البكر ، ولي عهده فاصعده محرقة على سور (الكرك) . فارتدعته محاصره . وقد ترك لنا ميشع يصف فيه ايامه — وسكت عن الدل الذي لحقه في بعض المواقع — ولغة هذا النصب حروفه تشبه العبرية وحروفها ، وقد وجد هذا النصب سائح الماني اسمه (كلاين) سنة ١٨٦٨ . وقد اخذعته المستشرق الفرنسي (كلرمون غانو) صورة . وتكن من شراء معظم هذا النصب الموجود الآن في (متحف اللوفر) في (باريس) راجع الصفحة السادسة من تاريخ مادبا وضوحيا . للوقوف على ترجمة الجزء المهم من هذا الاثر .
- (٣) مادبا وضوحيا صفحة ١٣١ .
- (٤) مادبا وضوحيا ص ٥٥/٥٤ .
- (٥) فنان عالم من علماء الآثار من رهبان الدويكان عاش في القدس .
- (٦) لاغرانج من علماء الآثار وهو دوفيكلي ايضا . عاش في القدس .
- (٧) مادبا وضوحيا ص ٥٥ Hlecle Rq : 815-860 T.xApt. Madaba
- (٨) وفي ملحق معجم التوراة سنة ١٩٥٣ O'callaghan 627-704
- (٩) مادبا وضوحيا ص ٥٦ سفر الملوك O'callaghan 702-703 The Madba 77
- (١٠) مادبا وضوحيا ص ٥٦ سفر الملوك
- (١١) تاريخ مادبا وضوحيا ص ٥٨ The Madba 15
- (١٢) تاريخ مادبا وضوحيا ص ٥٩
- (١٣) اوسابيوس القيسري عاش في (فلسطين) سنة ٢٦٠ — ٣٤٠ م وكان متضلعا في العلوم التاريخية . وقد أبقي لنا به كتابه الذي ذكرناه وهو مؤلف ثمين في ما يخص جغرافية الارض المقدسة .
- (١٤) هو (Jérôme) ولد في (ستريدون) - المانيا - قضى زمنا متسكا بالقرب من حلب ثم انتقل الى (بيت لحم) صاحب تفاسير للكتاب المقدس ترجم الى اللاتينية وهو الذي ترجم التوراة والانجيل واعتربت ترجمته هي النص القانوني .
- (١٥) تاريخ مادبا ص ٦٠ .
- ملاحظة : — تاريخ ماد — هو الكتاب المعروف بـ (مادبا وضوحيا) او صفحات من التاريخ الاودني ومن حياة البادية تأليف (سابا) و (القريزي) طبع في القدس سنة ١٩٦١ .
- ملاحظة ثانية : في ال ٢٩ من شهر اذار سنة ١٩٨٠ . يكون قد مرت على انشاء (مادبا) الحديثة - او احياء مادبا مائة سنة تماما .

من خلال هذه الدراسة الكاشفة عن عط الاستقرار وعن الدور الذي يؤديه هذا الاستقرار . نأخذكم عبر صفحات الدارة في دراسة اقليمية لمنطقة تبوك لتعرف أبعاد الواقع الذي عاشته وتعيشه مدينة تبوك . ومن ثم يتعين أن نستخلص النتائج الكاشفة بكل الوضوح عن : —

١ — عبقرية المكان في حضن الارض الصحراء في الشمال الغربي من الجزيرة العربية

٢ — عبقرية الانسان الذي يتشبث بالمكان طلبا للاستقرار ونحدياً للصحراء .

دراسة اقليمية لمنطقة تبوك

ومن خلال هذا الاستخلاص نطل على مدينة تبوك بمثابة ذكية لعبقرية العوامل الحاكمة للتفاعل الايجابي الذي تمخض عن استخدام موقعها الجغرافي الحاكم لحساب الدور الوطني المعين منذ وقت بعيد .

ويكون المطلوب ثانيا ان نتابع خط سير الاحداث الكاشفة للعلاقات الانسانية بكل جوانبها على كل المستويات بين الجزيرة العربية من ناحية والشام ومصر من ناحية اخرى حضاريا واجتماعيا واقتصاديا . لكي نطلع على دورها الوطني الحاكم لحساب كل التحركات صنعت واقامت هذه العلاقات على المدى الزمني الطويل .

٢ - قيمة بعض العوامل التي تؤثر بمصير تبوك عندما تكون مكانه غير ثابتة المستوى .
وبهذا المنطق نطل على مدينة تبوك المعاصرة من خلال متابعة القرار الحسم الذي ثبت مكانها
وجدد حيوية الاستقرار وصولاً الى قمة التفوق في أداء دورها الوطني . وتقيم هذا القرار
النابع من ارادة المملكة العربية السعودية والرامي الى دعم وجودها ومكانتها بين الدول من
ناحية والى تقديم رسالتها العربية والاسلامية من ناحية اخرى . ومن ثم يتعين ان نستخلص
النتائج الكاشفة بكل الوضوح عن : —

١ - قيمة مدينة تبوك من الناحية الجغرافية لحساب الردع ودرء العدوان المباشر على
المملكة وسيادتها المطلقة .

٢ - قيمة موقع مدينة تبوك لحساب الدعم المباشر للقدرة القتالية على الجبهتين الاردنية
والسورية .

ولتكون هذه الدراسة تحليلية وكاشفة لكل هذه النتائج يجب ان تشمل الدراسة عن
مدينة تبوك على الناحية التاريخية والسياسية وعلى معاصرتها لاحداث وسياسة ومنهج نتيجها
المملكة العربية السعودية .

تبوك في التاريخ

شهدت مدينة تبوك اكثر من رحلة اوصلتها للشهرة والمجد حيناً ولعدمها حيناً آخر مما جعل
لها قصة يحكيها لنا التاريخ ليصور لنا كيف كانت لحساب الاستقرار بقدر ما كانت جسراً
للعلاقة بين الناس في جزيرة العرب والشام ومصر بصفة خاصة . ومن خلال صعوبة البقاء في
المجد والشهرة حيناً والوصول الى قاء الانزواء حيناً آخر . ومن خلال الصمود لحساب
الاستقرار في كل حين تستحق بلدة تبوك ان تلفت النظر ويكون من شأن الدراسة ان تنقضي
كل الحقائق الكاشفة لهذه المعاني في كلا الفترتين .

فمدينة تبوك تقع في احضان ارض متميزة على الجبهة السعودية الشمالية في شمال غرب
الجزيرة العربية ويتجلى هذا التميز من حيث شكل السطح العام ومن حيث وفرة المياه الجوفية
وقد جاء اختيار هذا الموقع على سطح تَحاني واسع ومكتشف تمزقه مئاث من الروافد والأخوار
والوديان الفارغة ويعرف هذا الموقع باسم « هضبة الحسم » وتطل على هذا السطح الذي
يحتضن موقع مدينة تبوك من ناحية الغرب ارض الوعره المضرسه المنحدرة من الحافة الجبلية
الانكسارية الاصل والنشأة المعروفة بجبال مدين وجاءت بالتالي وفرة الماء لكي تدعم هذا
الاختيار وتساعد على الحياة في البلدة وتغذي جلدور الاستقرار التثبث بها .

واختيار هذا الموقع كان موفقاً والانصب لكي تفلح مدينة تبوك وبها لها الاستقرار بكل
الافتتاح لاداء وتنفيذ دورها الوطني المنوط بها عسكرياً واقتصادياً . وكان من مزايها هذا الموقع
المناسب ان يكون استراتيجياً بالفعل . ولما لا وهو يكفل للبلدة الحد الاقصى من المنعة والحماية
« نظراً لموقعها » أضف لذلك مراقبتها بكل المرونة للحركة من حولها على محور الشمال وصولاً

الى الشام وعلى محور الجنوب وصولاً الى الحجاز . وان نخدم أهداف هذه الحركة لحساب العلاقات السوية أو غير السوية بين الناس والناس .

وليس غريباً ان يشهد التاريخ لمدينة تبوك وقد شهدت التحركات الانبغائية ووجهتها لحساب التجارة والمصالح المشتركة بين الشام وجزيرة العرب وقت السلم . واستطاعت ايضا ان توجه التحركات الانبغائية لحساب التصدي للعدوان واحباط التحدي عندما تردى العلاقات بين النظامين الحاكمين في جزيرة العرب والشام وقت الحرب . وربما شهد القطاع الذي يحتضن مدينة تبوك ويضع الاستقرار في انسب مكان . أهم وأخطر التحركات منذ زمن سحيق . مثل تلك التي قذفت بموجات بشرية من حين الى حين . تطلب الهجرة والتزوح عن مواطنها في جزيرة العرب هروباً من الشح والتقتير . وتهدف للاستيطان في الشام او مصر طلباً للحياة افضل وأغلب الظن ان هذه الموجات البشرية المتلاحقة لم يكن العدوان في نيتها اصلاً لانها كانت تطلب الحياة وتسعى للتعايش .

وليس من المستغرب ان تكون تبوك نافذة من أهم التوافذ التي تسلت منها قبائل ويطون عربية وقد تحركت هذه القبائل قبل الاسلام تحت تأثير الضغوط الاقتصادية في مواطنها وكانت تبحث عن رحلة ميسرة بأقل قدر من المشقة وان تتطلع حياة افضل في أرض أوفر مطراً وأقل شحاً من مواطنهم في قلب الجزيرة العربية . وقد شهدت تبوك هذه الهجرة في اعقاب الغزو الاسلامي لكل من الشام ومصر . وكانت الهجرة للبحث عن حياة افضل في المواطن الجديده . وكان المرور على محاور الحركة الانسب وصولاً للهدف . وذلك ليستطيع المهاجرون بلوغ غايتهم . ولا شك ان هذه الموجات البشرية تحت تأثير الحافز الديني لنشر الاسلام وتحت تأثير الضغوط الاقتصادي ، قد تداخلت في الناس وانخرطت في صياغة البنية البشرية في كل من الشام ومصر والاقطار التي وصلت اليها هذه الموجات المهاجرة من جزيرة العرب ومن ثم اسهمت في نشر الاسلام بقدر ما استطاعت في بث العروبة وصولاً الى التعريب الحقيقي .

اذن فعلينا ان نتبين كيف عاشت بلدة تبوك وتوطن الاستقرار فيها وهي تغطي صفحة من الارض في مساحات واسعة على سطح هضبة الحسمه .

وفي اعتقاد الأثرين بصفة عامة ان نقصان كمية المطر على هذه الارض . قد بدأ منذ نهاية الدور المطير الثاني في عصر البلايستين الاعلى وفي اعتقادهم ايضا ان الجفاف قد تصاعد بالفعل من بعد زيادة شح المطر زيادة طفيفة في العصر الحجري الحديث : لكي تسيطر الصحراء ويتأتى الشح في جزيرة العرب . وقد دعا الجفاف والشح بالضرورة الى فرض الضغوط الاقتصادي والى تصعيده مع مرور الوقت لكي ينزل الحجم الاكبر من الحياة عن هذه الأرض .

ويطلب الاستيطان في ارض أكثر سخاء . ومع ذلك فان الهجرة والتزوح عن هذه الارض في جزيرة العرب لم تكن ينضب معين الحياة تماماً . ويدوان الحجم الاقل من الحياة قد تشبث بها . وفي اعتقاد الباحثين بصفة عامة ان البعض الاقل الذي تشبث بالارض في جزيرة العرب تصدى للمشقة بالفعل ولجأ فريق منهم الى حياة البداوة طلباً للحياة ، ولجأ

الفريق الآخر الى حياة الاستقرار وتجمع في مواقع مؤهلة طبيعيا لكي تحتويه وتؤمن وجوده . ولم يكن من الغريب ان تجد مدينة تبوك الفرصة لكي تحتوي حصنة من الاستقرار . ولم يكن ايضا من الغريبة ان تتحمل تبوك من خلال موقعها الجغرافي المسئولية لحساب الحياة ونبتها المتضرر بالجفاف ولحساب الحركة وسعيها للتخفيف على التزوح والهجرة .

ويبدو ان موقع بلدة تبوك الجغرافي قد فرض على نخط الاستقرار فيها ان يلعب الدور المنوط بها لحساب الحركة والبدء من حولها وان يتحمل الضغط العدواني الذي تعرفه البداوة والحركة في وقت واحد . ويستوى في ذلك ان يكون الضاغط العدواني نابعا من تحركات فعلية تطلب الحياة في الأرض من حولها او نابعا من تحركات استيطانية تطلب التزوح والحياة فيها وراء جزيرة العرب .

وهنا نريد ان نتابع قصة حياة بلدة تبوك في التاريخ والسياسة وان نتحسس احوال الاستقرار فيها من خلال هذه المرحلة على النحو التالي :

- ١ — مرحلة عتيقة تبدأ من الماضي البعيد السابق لظهور الاسلام .
- ٢ — مرحلة ثانية لظهور الاسلام حول منطقة التواء في المدينة المنورة .
- ٣ — مرحلة معاصرة تصور الاستجابة لارادة التغيير التي تحدد اهداف وتطلعات المملكة العربية السعودية الى ما هو افضل .

تبوك العتيقة

تسم قصة حياة بلدة تبوك في المرحلة العتيقة بقدر كبير من الغموض ولا يكون غريبا ان يعجب هذا الغموض عن البحث معظم التفاصيل الكاشفة لقصة الاستقرار وامكانياته في الموقع الحاكم الذي توجد فيه بلدة تبوك .

وينتصر معظم الباحثين ان موقع بلدة تبوك الجغرافي الحاكم قد استقطب الاستقرار لكي تكون في المرحلة السابقة لظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي . وتلمس هذا البعض المعرفة لها من خلال ما ورد عن ذكرها في ثانيا دراسات بطليموس الجغرافي في وقت سابق للميلاد . وربما عرفت بلدة تبوك آنذاك تحت اسم « نأوا » وقد يأتي اعتقاد بعض الباحثين تحريف ذلك الاسم الحقيقي في وقت لاحق الى « تبوك » .

Thapouc
وبصرف النظر عن مقدار الغموض الذي طوق اخبار هذا الموقع في قلب الصحراء ، يؤكد البحث ان بلدة تبوك كانت لحساب الاستقرار وفي خدمة الحركة وكان من شأن موقعها الجغرافي ان يشهد التقاء الطرق التي تتفرق شيالا الى انحاء الشام . وعبرسيناء الى مصر . او التي تنتشر جنوبا في انحاء جزيرة العرب ، وكأنها كانت في مكان هو اشبه ما يكون بعنق الرجاجة على جبهة الشمال الغربي من جزيرة العرب . ومن هذا المنطق اتخذت بلدة تبوك مكانة في الموقع الحاكم في ارض الحسمه ، وانطلاقا من استراتيجيه الموقع سعت السلطة في جزيرة العرب من ناحية ، وفي الشام من ناحية اخرى للسيطرة على موقع بلدة تبوك .

وبأت على بلدة تبوك ان تدفع ثمن هذا الصراع من أجل السيطرة والتسلط على موقعها وكان المطلوب دائما ان تؤمن السلطة الغالبة منها ذاتها من خلال السيطرة على تبوك وان تحكم شكل وطبيعة واهداف العلاقة بينها وبين السلطة المغلوبة . وكان المطلوب ايضا ان تحمّل الاستقرار في موقع بلدة تبوك وطأة هذا الموقف الصعب والناجم عن الصراع بين السطتين . وان يعمل لحساب السلطة الغالبة ضد السلطة المغلوبة .

وعلى زمن ظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي . كانت سلطة الروم في ارض الشام هي الغالبة . وكان طبعيا ان تسيطر هذه السلطة على بلدة تبوك وان تتخذ منها مركزا متقدما يلعب الدور لحساب سيطرتها وتسلطها .

وما من شك في ان الاسلام قد تحمل مسؤولية جمع الناس من خلال الدعوة الى الله . لتكون امة مؤمنة . وتعمل مسؤولية حيازة الارض لكي تحتوي هذه الامة المؤمنة . وكان طبعيا ان تأخذ دولة الاسلام بسياسة حاسمة تستهدف التصدي للعدوان واجباط التحديات المفروضة عليها من الداخل ومن الخارج لكي تدعم مسؤوليتها العظمى .

— ومن هذا المنطلق استشرت دولة الاسلام بالخطر على الاسلام وعلى وجود الدولة عندما لوحث به السلطة الغالبة على ارض الشام في شكل من اشكال التحدي . وربما تصاعد هذا الخوف من خلال سيطرة نفوذ الروم الغالب على موقع بلدة تبوك الحاكم للتحركات المرنّة من والى جزيرة العرب . ولم تستبعد قيادة دولة الاسلام في المدينة المنورة من ان تصبح بلدة تبوك النافذة التي يطل من خلالها هذا الخطر لكي يفرض عدوانا على الاسلام ويقوض الدولة المظفرة في مهدها .

وعلى هذا كان القرار الحاسم الذي أعلنه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم . وكان القبول بهذا القرار استمراراً للامان المطلق وقد وجه هذا القرار الحاسم الجهاد في سبيل الله الوجهة التي استهدفت غزو تبوك . وكان المطلوب من خلال هذا الغزو أن يأخذ المسلمون بذيّام المبادرة وصولا الى هدفين متكاملين لحساب دولتهم في مواجهة التحدي من خارج جزيرة العرب . ويمثل هذان الهدفان في :

١ — فرض سلطة دولة الاسلام على أرض من صميم جزيرة العرب وتعيد الاستقرار في بلدة تبوك وأعلاء كلمة الاسلام والدعوة الى الله بين أهلها .

٢ — فرض رقابة دولة الاسلام على غومها في موقع جغرافي حاكم يقطع الطريق على الخطر المتربص بالاسلام على ارض الشام . ويؤمن وجود الدولة في مجالها الحيوي . وانطلاقة القوة الاسلامية بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم . الى بلدة تبوك كانت حاسمة . وقد اتخذت الحرب شكلا من أشكال الحرب الوقائية بقصد تحرير الارض والناس . وبالنظر الى المسافة بين المدينة المنورة وبلدة تبوك « ٧٠ كم » فبكل تأكيد كانت المرحلة صعبة وكانت المشقة التي تحملها الجهاد لكي يسقط حاجر المسافة ولكي ينتصر لحساب الدين والدولة هائلة ، وبهذا الانتصار كانت نقطة تحول هامة في تاريخ الاسلام ودولته الفتية من ناحية وفي قصة حياة بلدة تبوك من ناحية اخرى .

- كان من شأن انتصار الاسلام الحاسم في تبوك ان ينهى المرحلة العتيقة من قصة حياتها تماماً وان تبدأ مرحلة أخرى وهي في احضان الاسلام وتعمل بكل الكفاءة لحساب دولته المظفرة . ومن بعد انتصار الاسلام اصبحت بلدة تبوك نقطة انذار مبكر ترقب التحركات المريبة والعادية . لحساب دولة الاسلام . وتحملت المسؤولية بكل الكفاءة عن ارض التخيوم الفاصلة بين سلطة دولة الاسلام الغالبة في جزيرة العرب . وسلطة دولة بيزنطة في الشام ومصر . ومن ثم كانت أول علامة من العلامات التي تنبئ بان دولة الاسلام : —
- ١ — صاحبة السلطة الغالبة على تخومها .
 - ٢ — مهياة لتأكيد وجودها وترسيخ مكانتها في مجتمع الدول .
 - ٣ — تنبياً لتوسيع قاعدتها فيما وراء جزيرة العرب .
- وكانت مسؤولية الاستقرار في بلدة تبوك عندئذ جسيمة واصبح الاستقرار فيها حريصا على الوفاء بالهمة في كل الظروف وعلم كل المستويات .

وتروى القصة التي تحكى سير الاحداث عن غزوة تبوك ان هذا الاسم قد ظهر وشاع استخدامه في وقت متأخر على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . وتشير القصة الى ان الرسول قد طلب من الجند المتقدمين ضمن طلائع الغزو الزاحف اليها . ألا يمسا عين الماء فيها . وقد سبق الى العين رجلان بالفعل . وكانت العين تبيض بشيء من الماء وعندئذ خرج الرجلان عن طاعة الامر وأدخلا في العين سهميهما على امل ان يزيد الماء فيها . وعندما علم الرسول بذلك غضب منها وقال لها : « ما زلتما تبوكانها منذ اليوم » ومن ثم كانت البلدة لتعرف باسم تبوك . هذا ولا يفوتنا ان نذكر انه كان من شأن تحديد خط سكة حديد الحجاز ان يمر ببلدة تبوك لكي يصل الى المدينة المنورة . وقد استفادت مدينة تبوك من تشغيل هذا الخط في : خدمة الحج الى بيت الله ، وخدمة التجارة . وخلق روح المنافسة بينه وبين النقل البحري والتي اكتسبت مرونة من خلال حفر وتشغيل قناة السويس لحساب التجارة الدولية في البحر الأحمر . وقد اثبت تشغيل هذا الخط الحديدي ايجابية بالفعل . وهكذا ظلت مدينة تبوك مزدهرة تنعم بالشهرة والمجد لبعض الوقت حتى كانت اللعبة السياسية التي فرضت عليها دوراً هداماً وتأتي نتائج هذا الدور الهدام من خلال توقيف تشغيل واستخدام خط سكة حديد الحجاز توقيفاً كلياً وترتب على ذلك انخفاض ملحوظ في معدلات الحياة بجميع مجالاتها . وهنا لا ننسى ان نشير الى ان سكان بلدة تبوك لا يتحملون مسؤولية التلاعب بمصيرها وبمكانتها ذلك لانهم لا يملكون بالفعل زمام كل العوامل الحاكمة لحركة المرور بها . ومن ثم كانت مكانة بلدة تبوك دائماً من صنع ارادة القوة أو الدولة التي تمتلك حق استخدام وتنظيم حركة المرور بها .

تبوك المعاصرة :

هذا وكانت رغبة الدولة السعودية حاسمة عندما اتخذت القرار البناء الذي يضع او بعيد بلدة تبوك الى مكانتها الصحيحة وقد بنى هذا القرار الحاسم تأسيساً على رغبة صادقة في دعم وتنمية الاستقرار في بلدة تبوك . وكانت ارادة الدولة السعودية في هذه الحالة الحرص على تحمل المسؤولية لكن تمسك بزمam كل العوامل الحاكمة التي تهيء اسباب النجاح الفعلي لهذا التغيير المطلوب بكل الالحاح لحساب المصلحة العليا .

وهذا المنطق الذي يدعمه حق السيادة اقدمت الدولة السعودية على صنع هذا التغيير وقد يأتي ذلك التغيير من خلال تجهيز بلدة تبوك لكي تكون قاعدة عسكرية كبيرة تتمركز فيها بعض الالوية من القوات المسلحة . وكان المطلوب من الاستقرار في بلدة تبوك ان يستجيب لهذا التغيير ويتحمل المسؤولية كما يلي :

١ - تأمين حدود الدولة من خلال السيطرة الحاسمة على الموقع الحاكم للتحركات البرية لحساب التجارة والحج في الشمال الغربي من المملكة .

٢ - دعم القوة الاردنية السورية ومساندة القدرة القتالية التي تواجه التحدي الصهيوني الجاثم على ارض فلسطين السليبة .

وهكذا بدأت في قصة تبوك مرحلة جديدة تحسباً للانفتاح الاقتصادي الذي تفرضه التنمية الشاملة في المملكة العربية السعودية ، وتعود بلدة تبوك في اطار خطر التنمية لكي تكون مشغولة عن دعم وتأمين حركة المرور على الطرق من خلال جبهة الشمال الغربي من والى المملكة العربية السعودية . وقد أتاح القرار الذي اتخذته ونفذته الدولة السعودية تعديلاً مادياً ومعنوياً . واتخذت بلدة تبوك شكل وسمات البلدة او المدينة الصغيرة ، وقد التزمت الدولة بتنفيذ جميع المشروعات الانمائية الهامة لكي تقوم بالدور الوطني المناط بها لحساب كل الاهداف العسكرية والاقتصادية في المقابل . وكان من شأن النمو الاقتصادي ان يساعد على النمو السكاني :

وقد لوحظ في عملية احصاء عام ١٣٩٤ هـ بالنظر لعملية التقدير في تسجيل البيانات لعام ١٣٨٣ هـ لوحظ ازدياد السكان خلال المدة المحصورة بين التاريجين كما يلي :

سكان اقليم تبوك سبعة امثال .

— مدينة تبوك اثنا عشر مثلاً .

— البادية ثمانية امثال . وما من شك في أن عمليات التنمية قد دعت بالضرورة الى استقطاب السكان وجذبهم في شكل هجرات وافرة لطلب الاستيطان في بلدة تبوك بصفة خاصة . وفي الاقليم الاداري بصفة عامة . وكان من شأن المهاجرين الوافدين ان يشتركوا بكل الجهد في تنفيذ عمليات التنمية لحساب هذا التغيير الى ما هو افضل ويستفيدوا من منافع هذا التغيير اقتصادياً وحضارياً ، واقرن النمو الثاني في بلدة تبوك بقطاع كبير شيدته الدولة ويمثل

هذا القطاع امتدادا متخصصا ومخصصا لحساب الوية الجيش من القوات المسلحة . وعلى هذا فقد سجلت الدولة اهتماما بالخدمات والمرافق لكي تغطي على البلدة حمة العصرية . وذلك كما ارادت وتريد حكومة المملكة العربية السعودية . ومن خلال عمليات التنمية المخططة التي تتولاها الدولة بشكل مباشر أو غير مباشر بدأ التغيير يأخذ مجراه . وتتحمل هيئة التخطيط في المدينة مسئولية متابعة التنفيذ بكل الاهتمام ، ويكون المطلوب منها ايضا ان تحرك التنفيذ تحريكا متوازنا لانجاح البرنامج الزمني ولتحقيق معدلات النمو والتحسين المتوقعة ومن خلال التنفيذ حسب البرنامج الزمني للخطه شهدت بلدة تبوك حصاد هذا التغيير بالفعل وقد تمثل هذا الحصاد الذي انتفع به الاستقرار فيها يلي :

- ١ — فتح وتجهيز الطرق والشوارع المعبرة .
- ٢ — تكامل امتدادات السكن الجديدة متأثرة بالطابع المعصري .
- ٣ — تخصيص الفراغات في مساحات كافية بين الوحدات السكنية لحساب الحدائق والمرافق والخدمات العامة والخاصة توزيعا ثلثية الحاجة .
- ٤ — فتح وتمديد الطرق المعبدة لحساب الحركة والمرور المرن السريع على جبهة الشمال الغربي من المملكة اتصالا بالدول المجاورة مع الاخذ بعين الاعتبار اسقاط حاجز المسافات بين الدول المجاورة من ناحية والموانئ البحرية التي تطل من خلالها على العالم الخارجي من ناحية اخرى . ولئن التزمت الدولة باعداد الطرق فقد التزمت ايضا بانشاء وتجهيز المطار في بلدة تبوك وكان هذا الالتزام منطلقا لحساب الحركة الاكثر سرعة ، وكان المطلوب اشترك النقل الجوي بمحصة مناسبة في دعم مكانة بلدة تبوك لاداء دورها الوطني والرئيسي المنوط بها . وبهذا الجهد الصادق استطاعت الدولة السعودية ان تصدى لعامل المسافة بين مدينة تبوك وسائر انحاء المملكة . وكان استخدام الحركة على الطرق التي أُنحِت عملية التغيير كما ان هذا الاستخدام الناجع قد اسقط حاجز المسافة بينها وبين مراكز النقل الاقتصادية في المملكة . وكان من الطبيعي ان تتداخل قدرات وامكانيات مدينة تبوك الاقتصادية في بنية الاقتصاد الوطني السعودي . تتداخل كلها من غير ان يتضرر التغيير او تتداخل بمنطق العزلة او روح الانطواء .

ومهما يكن من امر فقد أخذت خطة التنمية على عاتقها مسئولية دعم التغيير لحساب التقدم والتحسين في مدينة تبوك . وقد استوعب السكان في مدينة تبوك عمليات التغيير على كل المستويات لحساب هذا التقدم الاقتصادي والاجتماعي والحضاري . وكان المطلوب دائما ضمان الحد الأقصى من التوازن والتزامن بين التقدم في مدينة تبوك من ناحية والتقدم في مدن المملكة من ناحية اخرى . كما كان المطلوب ايضا ان يثبت التقدم والتحسين الذي انتفع به الاستقرار في بلدة تبوك روح ومنطق واردة التغيير لحساب التقدم والتحسين في مناطق الحضر والبادية في الاقليم الظهيري المباشر من حولها ، وقد يخشى من ان يتصدى التأخر للتقدم لكي يعطله جزئيا او يوقفه تماما .

خالد سعيد العريس

بقدر ما انجبت بغداد من علماء تركوا بصماتهم على الادب والتاريخ والفكر الاسلامي بقدر ما كان ابنها الخطيب البغدادي سمة مميزة كبيرة لها .. وشخصية جليلة القدر لم تترك بصماتها فحسب على بغداد ولكن على التاريخ الاسلامي والادب وعلوم الحديث كلها .

والخطيب البغدادي شخصية فذة ومتميزة .. من كافة جوانبها فيكون انه سمع الاحاديث والعلوم المختلفة ولم تتجاوز سنوات عمره اثني عشر عاماً ويقول في ذلك الحافظ ابن كثير: ^(١) « ولد سنة احدى وتسعين وثلاثمائة واول سماعه سنة ثلاث وأربعمائة » .

وكون الخطيب اصبح وهو في هذا العمر يقرأ ويعي ويسمع ويفهم ويسأل فان هذا يدل على ان الله تبارك وتعالى قد هبأه لتلقي العلوم المختلفة وتبينة لكي يكون اسمه من أشهر من كتبوا ودافعوا عن احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .. والدفاع عن احاديث النبي انما هو دفاع عن الدين ..
ومع الخطيب البغدادي .. نتأمل حياته .. وثقافته .. ومؤلفاته .

خطيب بغداد ومحدثها الخطيب البغدادي للأستاذ / معالي عبد الحميد محمود

من هو الخطيب البغدادي

أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي . أبو بكر الخطيب البغدادي أحد مشاهير الحفاظ وصاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات المديدة القيدة له نحو من ستين مصنفاً ويقال بل مائة مصنف .

ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وقبل سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة والاول أشهر وأول سماعه سنة ثلاث وأربعمائة . نشأ ببغداد وتفقّه على يد أبي طالب الطبري وغيره من أصحاب الشيخ أبي حامد الاسفراحي وسمع الخطيب الحديث الكثير ورحل الى البصرة وأصبهان والشام والحجاز .

سمى « الخطيب » لانه كان يخطب بدرب ربحان . وسمع بمكة المكرمة على القاضي ابي عبدالله محمد بن سلامة القضاعي وقام برحلات واسعة لاستكمال دراسته . قرأ صحيح البخاري على كريمة بنت احمد في خمسة ايام . ورجع الى بغداد وحظي عند الوزير ابي القاسم بن مسلمة ^(٢) بمكانة كبيرة .

تجلت غيرة الخطيب على الدين الاسلامي حين زعم اليهود — لعنهم الله — ان معهم كتابا نبويا فيه اسقاط الجزية عنهم وتصدي لهم الوزير ابن مسلمة واحضرهم الخطيب الذي قام رحمه الله بموقف غاية في البراعة والتحليل الصحيح اذ قال خطيب بغداد :

« هذا كذب . فقيل له : وما الدليل على كذبه ؟ فقال الخطيب : لان فيه شهادة معاوية بن ابي سفيان ولم يكن اسلم يوم خيبر وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة وانما اسلم معاوية يوم الفتح . وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس فاعجب الناس ذلك » .

وحين وقع فتنة البساسيري ببغداد واسقط البساسيري وليه ابن المسلمة ٤٥٠ هجرية (١٠٥٨ ميلادية) منعت الحنابلة الخطيب ان يواصل تدريسه بجامع المنصور فذهب الى

دمشق وقبض عليه بتهمة اللواط ولم ينج من عقوبة الموت التي قضى بها عليه والى الفاطميين الا للمكانة التي اضافها عليه علمه (وسنقوم باذن الله بكشف هذه التهمة من اساسها) . فرح الخطيب من دمشق الى بيت المقدس ثم صور فلدينة حلب ولم يتمكن من العودة الى وطنه إلا سنة ٤٦٢ هجرية (١٠٦٩ م) ولفظ انفاسه الاخيرة وصعدت روحه الى بارئها سنة ٤٦٣ هجرية (١٠٧١ ميلادية) .

دعاء الخطيب البغدادي عند زعم

قبل ان نتحدث عن مكانة الخطيب البغدادي يهنا ان نسجل موقفاً للخطيب لتعرف

فيه منه على لجوء الخطيب البغدادي الى الله تعالى ونفيا — في نفس الوقت — عن التهمة التي ألصقت به وهو منها براء — تهمة اللواط — ..
 حدث الموقف حين خرج من بغداد سنة ٤٤٤ هجرية في طريقه الى بيت الله الحرام فيمر على دمشق وصور ثم يصل الى مكة المكرمة ويقضي فريضة الحج ويتجه الى يثرب زمزم فيشرب منه ثلاث شربات، اخذاً بقول رسول الله صلى عليه وسلم :
 « ماء زمزم لما شرب له »

ويسأل الله عز وجل ثلاث حاجات :

الاولى : ان يحدث بتاريخ بغداد ببغداد

الثانية : ان يملئ الحديث بجامع المنصور

الثالثة : ان يدفن عند قبر بشر الحافي

ذلك الدعاء ان دل على شيء فانما يدل على عقل راجح للخطيب البغدادي فهو يلجأ الى الله عز وجل طالباً العلم والكتابة والعلوم والتاريخ وان يكون هذا كله بجامع المنصور حيث ضامنا لنشر حديثه وكتابات وحديثه عن احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم بعد وفاة الخطيب — وهو يعلم انه سيلقى الله الخى الذي لا يموت — يتمنى ان يبنى الله له جواراً حسناً بعد مماته حتى اذا بعث الناس من قبورهم يوم القيامة خرج من قبره فوقه نظره على بشر بن الحارث الحافي وهو رجل لم تدنس نفسه الدنيا .
 وتحقق للخطيب كل الذي طلبه من الله عز وجل ..

مصادر ثقافة الخطيب ونباع اثاره

اعتمد الخطيب البغدادي في ثقافته على شيوخ شتى أخذ منهم العلم وبرع فيه حتى انه بعد فترة وجيزة انطبق عليه المثل القائل « ان التلميذ يتفوق على استاذة » وما يأت هذا كله من فراغ مطلقاً ولكن المتأمل لمصادر ثقافة الخطيب يجد ان الله عز وجل هياً له الاسباب التي جعلته ينهل من العلوم والمعرفة ويصير الى ما صار اليه .

فن الشيوخ الذين أخذ الخطيب منهم العلم

- ابراهيم بن عتيق بن جيش بن محمد أبو اسحاق بن المكي . من علماء النحو .
- ابراهيم بن محمد بن جعفر الباقر حى ابو اسحاق في أهل العلم والمعرفة بالأدب كان يتحلل مذهب ابن جرير الطبري .
- أحمد بن حسن الحيري . أبو بكر . أصولى متكلم محدث .
- أحمد بن الحسين الكسار . أبو نصر راوي سنن النساء .

- أحمد بن عبدالله بن اسحاق المهراني . أبو نعيم . الحافظ صاحب حلية الاولياء .
- أحمد بن محمد بن دوست أبو سعيد النيسابوري .
- شيخ الشيوخ ببغداد .
- أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسين بن المتيم . الواعظ أقدم البغداديين سمعا ممن اخذ منهم الخطيب .
- أحمد بن محمد بن عبدالله بن حفص بن الليل . أبو الماليني الحافظ . طاووس الفقهاء وكان عنده من الكتب الطوال ما لم يكن عند غيره .
- أحمد بن محمد بن غالب . أبو بكر اليرقاني . ذوحظ في علم العربية . عارف بالفقه لم ير الخطيب اثبت منه .
- الحسن بن محمد بن عبدالله بن حسوية . أبو الاصبهاني .
- طاهر بن عبدالله بن طاهر أبو الطيب الطبري . فقيه لم ير أبو اسحاق الشيرازي اكمل اجتادا واشد تحقيقا واجود نظرا منه .
- عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد . أبو نصر بن الصباغ . فقيه . شافعي . صاحب الشامل .
- علي بن يحيى بن جعفر . أبو الحسن بن عبد كويه — محدث . امام جامع اصفهان .
- القاسم بن جعفر بن عبد الواحد . أبو عمر الهاشمي . راوي السنن .
- محمد بن أحمد بن رزقويه . أبو الحسن البراز . محدث كثير السماع والكتابة .

ومن اقوانه الذين حدث عنهم وحملوا عنه

- أبو اسحاق الشيرازي . ابراهيم بن علي الفيروزابادي . فقيه شافعي واول مدرسو في النظامية ببغداد .
- ابن خيرون أبو الفضل . أحمد بن الحسن بن أحمد . حافظ ناقد .
- ابو محمد الكثاني . عند العزيز بن احمد . صوفي حافظ جليل .
- أبو نصر بن كاكولا . علي بن هبة الله بن جعفر . لم يكن ببغداد بعد الخطيب أحفظ منه .
- أبو الحسن الطيوري . المبارك بن عبد الجبار بن أحمد . محدث كبير .
- أبو عبدالله الحميدي الاندلسي . محمد بن فروح بن عبدالله . أحد حافظ عصره .
- المقدسي . نصر بن ابراهيم بن نصر . من كبار الفقهاء الاجلاء .
- وغيرهم كثيرون ..
- وكان نتيجة هذه المصادر الثقافية والعلمية الجلييلة ان اتت الثمرة اشهر مما يريد الخطيب البغدادي نفسه .. فصار الخطيب علما من اعلام بغداد يرفرف في سماء الادب والعلوم

والحديث في التاريخ الاسلامي .
وكانت الفترة التالية لذلك ان تلاميذ الخطيب البغدادي صاروا هم ايضا من يتابع
الثقافة في بغداد ودمشق وصور وحمص واماكن اخرى عديدة .

بلاغة شعر الخطيب

ليس كل من قال شعرا يعد بليغا .. ولكن التأمل في الشعر العربي ذاته والذي قاله
الخطيب يدرك ان خطيب بغداد لم يكن يقل الشعر على عواهنه بل انه ايضا كان فصيحاً
بالادب بليغا وصل الى ما لم يصل اليه اقرانه او شيوخه .
ولنحيا مع ابيات من قصيدة جيدة المطلع حسنة اللفظ عميقة المعنى ذكرها ابن
الجوزي^(٣)

لعمرك ما شجاني رسم دار
ولا أثر الخيام أراق دمعى
ولا ملك الهوى يوما قيادى
ولم أطمعه فىّ وكم قتيل
عرفت فماله بذوى الثصابى
ومنها ايضا
ولم ألك فى الشدائد مستكينا
ولكنى صليب العود عود
أبى النفس لا أختار رزقا
فعر فى لظى باغبه يهوى
وقد ترجمه ابن عساكر^(٤) ترجمة حسنة وأورد له من شعره قوله :

لا يغبطن أخا الدنيا لزخرفها
فالدهر أسرع شيء في نقله
كم شارب عسلا فيه منيته
وكم مقلد سيفاً من قربه ذبحا
ولا للذة عيش عجلت فرحا
وفعله بين للخلق قد وضحا

اتهام باطل للخطيب

يصعب على المرء منا ان يصدق ان انسانا بلغ مثل هذا الشأن الكبير وهذا الانسان لا غبار عليه في دينه بل انه حج الى بيت الله الحرام وكان مدافعا كبيرا عن الاحاديث النبوية وعلوم الدين الاسلامي .. يصعب على المرء منا ان يصدق الاتهامات التي كالمها بعضهم للخطيب البغدادي .

وبرغم ان القول يقول : كلما علا نجم المرء كلما ازداد تعرضا للهجوم من الحاقدين وبرغم ان هذه القول ينطبق على الخطيب الا انه انصافا للحق وضمانا لشرف الكلمة يحسن بنا ان نفند هذه المزاعم التي الصقها البعض بالخطيب البغدادي وسار من ورائه عدد من الكتاب فأوردوا تلك الاتهامات دون محاولة لكشفها او ثباتها .
وكانت تلك الاتهامات تنحصر في شيئين :

١ — اتهامه باللوامة .

٢ — اتهامه بقول الشعر الغير عفيف في حب الغلمان .

وكما قلنا رغبة في تحديد الحقيقة والتعرف على هذه الاتهامات هل هي صحيحة أم لا يحسن بنا ان نعرف هذه الاتهامات ومصادر روايتها كي يمكن بعدها الوصول الى الحقيقة .

حين حل شهر صفر من سنة ٤٥٩ هجرية اضطر الخطيب البغدادي الى مغادرة دمشق على أسوأ ما تكون المغادرة فهو مهدد بالقتل ومعرض للاهانة وذلك انه كان من بين الكتب التي سمعها وقرأها :

كتاب فضائل الصحابة (٥)

وكتاب فضائل العباس (٦)

ودرس الخطيب هذين الكتابين بامعان شديد وعلم الحسين على المعروف بالمقرى الدمشقي وكان شيعيا بالغ التعصب فدرس الخبر الى أمير الجيوش وقال : هو ناصبي (٧) يروى فضائل الصحابة وفضائل العباس في الجامع .

فأمر أمير الجيوش بالقبض عليه .

الى هنا وان سلمنا بصدق هذه الرواية — والخلفيات تؤكد صدقها للتعصب الرهيب في

المذاهب -- فان هذه الحادثة لا تشين الخطيب مطلقا فالفطاحل من المؤلفين والعلماء والكتاب تعرضوا بهذا وغيره كثيرا .

الا ان الواقعة حدثت بعد هذا مباشرة اذ يقول ابن طاهر ^(٨٠) طاعنا في الخطيب : (كان سبب خروج ابي بكر الخطيب من دمشق الى صور انه كان يختلف اليه صبي مليح فتكلم الناس في ذلك وكان أمير البلد واقفيا ^(٩٠) قبلته القصة فجعل ذلك سببا للفتك به) . وقع اتهام الخطيب البغدادي اذن ..

وكما يقال الكذب ساقاه صغيرتان .. وكأن الله يريد ان يكشف الحقيقة اذا باین طاهر نفسه يكشف كذبه الحمقاء وفريته الهابطة فيقول :

(وكان صاحب الشرطة سنيا فقصده الخطيب تلك الليلة مع جماعة ولم يمكنه ان يخالف الأمير فأخذه وقال : قد أمرت فيك كذا وكذا ولا أجد لك حيلة الا أن أعير بك على در الشريف ابن أبي الجن ^(٩١) فاذا حاذيت الباب اقفز وادخل الدار فأرجع الى الأمير بالقصة) .

تلك كانت العبارة بنصها .. ولا يمكن لنا ان يتصور عقلنا ان صاحب الشرطة يغامر بنفسه ويمركزه وعنه في سبيل ان يمهّد سبيل الفرار للخطيب البغدادي .. وان جاز وقبلنا ان صاحب الشرطة اراد ان يغامر بكل شيء وان ييسر الهروب للخطيب .. فماذا يا ترى كان رأى الجماعة التي وافقت صاحب الشرطة في القبض على الخطيب البغدادي ؟؟؟

ان تسلسل الاحداث المنطقية في هذه الرواية يجعلنا لا نأخذ بها كقرائن ثابتة بل يجعلنا نصل الى الصواب الفعلي وهو ان سبب اتهام الخطيب باللوطة مرجعه الاول والاخير هو التعصب المقيت للمذاهب كما يقول بذلك ابن عساكر في كتابه ^(٩١) وكما يقول الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ^(٩٢) بالنص « اتفق يوما أنه قرأ فضائل العباس فثار عليه الروافض وأتباع الفاطميين وأرادوا قتله » .

هذه واحدة .. والواحدة الثانية ان كل المصادر الصحيحة والوثيقة بالتاريخ والأدب لم تذكر ولو شبهة واحدة يمكن ان تدين الخطيب البغدادي .

وعن الاتهام الثاني بذكر الشعر غير العفيف في حب النملان فلم يثبت ان الخطيب البغدادي قال مثل هذه الأشعار .. وان كان الخطيب قد بدرت منه مثل هذه الأشعار فان الكثير قالوا مثل هذا تمرنا على قول الشعر أو نظرفا فيه ^(٩٣)

ولا يستأنا هنا الا ان نستشهد بقول رب العالمين جل وعلا في القرآن الكريم ^(٩٤) « والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . »

برغم المكانة العالية التي وصل اليها الخطيب البغدادي الا انه لم يتطرق اليه الغرور في اى يوم من الايام ولقد كان الخطيب انسانا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان وماتشير اليه من ايماءات .
ولتتعرف على جملة اخلاقه الفاضلة رحمه الله .
وها هي اقوال علماء العصر الذين قالوا ما يمكن ان يبرىء ذمتهم أمام الله عز وجل والتاريخ .

ففي تاريخ دمشق يرد قول على لسان الذهلي : ^(١٥) « انه لم يدرك مثله » .
وفي نفس المصدر نقراً لأبي على البرداني قوله : ^(١٦) « ما رأيت مثله ولا أظن رأى مثل نفسه ولكن التكبر والخيلاء لا يجد ان مثالا منه وقد عرف عن نفسه علو الكعب واكبار الناس فهو متواضع في نفسه وفيما يعتقد فيها وهو اذا سأله أحدهم عند لقائه قائلاً : انتبهى الحفظ الى الدارقطني . أنا أحمد بن علي الخطيب » . والسمعاني ^(١٧) يصف اخلاق الخطيب جملة فيقول : « كان في درجة الكمال والرتبة العليا خلقا وخلقا وهيئة ومنظرا » .
ويتمد التقييم لعلم الخطيب وعمله فيقول ابن ماكولا في تاريخ دمشق : ^(١٨) « كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظا واتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله صلى عليه وسلم وتفنتا في علله وأسانيده وخبراته برواته وناقليه وعلماً بصحيحه وغيره ومفردة ومنكره وسقيمه ومطروحه » .

وهذا الوصف جامع مانع ترى فيه الخطيب قويا في علمه عظيما في تحقيقه وخبرته وهو وصف صدر عن ابن ماكولا وغنى عن القول ان نقول ان ابن ماكولا كان متينا في الحديث عارفا بالخطيب متبعا لكل ما يكتب الخطيب من سمين وغث وفي هذا الرأس الكفاية وعليه الاعتماد .

مؤلفات ومصنفات الخطيب

يرجع الخطيب البغدادي في مؤلفاته التي أخذت جهده الكبير والتي قضى فيها سنوات عمره كلها في كتابة تلك المؤلفات البارعة والمصنفات المفيدة النافعة . ولقد تجلت براعة الخطيب البغدادي في أشهر مؤلفاته « تاريخ بغداد » ^(١٩) ثم ابرز باقي براعته في مؤلفاته عن الحديث النبوي وعلم الحديث والفقه والاصول والكلام والعبادات والائمة والفقهاء والمسلمين والقرآن الكريم وغيرها فجماعت مؤلفات الخطيب البغدادي من كل بستان زهرة .
وبما يؤسف له ويحجب الحزن والأسى ان تلك المؤلفات العديدة والمصنفات المفيدة قد ضاعت وأتمحت فلم يبق منها الا عدة مؤلفات متناثرة هنا وهناك .

ومن تلك الكتب :

- تاريخ بغداد
 - أبطال النكاح
 - اجازة المجهول
 - احاديث مالك
 - الاحتجاج للشافعي
 - أدب الفقيه
 - اذا اقيمت الصلاة
 - اسماء من روى عن مالك
 - أمالي الخطيب
 - البخلاء
 - البسمة من الفاتحة
 - نالى التلخيص
 - التطفيل
 - تقييد العلم
 - تلخيص المتشابه
 - التنبيه والتوقيف
 - الحيل
 - خطبة عائشة
 - القول في علم النجوم
 - كشف الاسرار
 - الرباعيات
 - غنية الملتبس
 - مختصر السنن
 - المسلسلات
 - من حدث ونسى
 - مناقب أحمد بن حنبل
 - مناقب الشافعي
 - المؤلفات والمؤلف
 - الوفيات
- وغيرها من المؤلفات والمصنفات العديدة

حين نريد تقييم الخطيب البغدادي فان الناحية العقلية الصحيحة تفرض علينا ان نسقط من الحساب اقوال اتباع ومؤيدي الخطيب وكذا اقوال خصومه .. ولناخذ عند التقييم بأقوال الناقدین الاجلاء الذين لا هم لهم سوى الحقيقة لا اكثر ولا اقل .

فهذا ابن الاكفاني يقول : ^(٢٠) (كان ثقة ضابطا خلوصا متقنا متيقظا متحررا) . وهذا السمعاني يقول : ^(٢١) (كان ثقة صدوقا متحررا حجة) . ويقول عبد العزيز الكتاني : ^(٢٢) (كان ثقة حافظا متقنا ضابطا) . ويقول عنه ابن ماكولا : ^(٢٣) (كان ابو بكر آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظا واتقاننا وضبطا لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) .

وقد لقبوه بال حافظ .. والحافظ لقب عزيز يقتضى علو الشأن وقد جلد الفقهاء والعلماء عن الحافظ فقال بعضهم « هو من حفظ اربعة آلاف حديث » وقال آخرون « عشرة الاف حديث » وبالقول الاخير أخذ به الإمام الجليل أحمد بن حنبل وصحابة كثيرون من المحدثين . والخطيب امام عصره يقول في ذلك السمعاني : ^(٢٤) « علامة العصر » . وقال ابن النجار : ^(٢٥) « انتهى اليه علم الحديث وحفظه في وقته » . ويكره السمعاني اعجابه بالخطيب فيقول صراحة : ^(٢٦) « كان امام عصره بلا مدافعة وحافظ وقته بلا منازعة » .

ويصل السبكي بوصفه للخطيب الى القمة فيقول : ^(٢٧) « ما طاف سور بغداد على نظيره يروى عن اقصم من نطق بالضاد ولا احاطت جوانبها بمثله وان طفع ماء دجلها وروى عن كل صاد » . ولم ير النقاد مثل الخطيب ويقول في هذا المقام أبو علي البرداني : ^(٢٨) « أما حافظ وقته أبو بكر الخطيب فما رأيت مثله ولا أظنه رأى مثل نفسه » .

ويصفون الخطيب بدارقطني زمانه .. وهذا ثقة شرف ما بعده شرف للخطيب البغدادي فيقول ابن ماكولا : « لم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن الدارقطني من يجري مجراه ولا قام بعده بهذا الشأن سواه » ^(٢٩) . ويقول المؤتمن الساجي : « ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني أحفظ من أبي بكر الخطيب » ^(٣٠) .

ويقول أبو اسحاق الشيرازي : « أبو بكر الخطيب يشبه الدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه » ^(٣١) « وهذا دارقطني عصرنا » ^(٣٢) . والخطيب ختم به الحديث فيقول ابن عساكر : ^(٣٣) (انه ختم به ديوان المحدثين) . ويقول السمعاني : ^(٣٤) (انتهى اليه معرفة علم الحديث وحفظه وختم به الحفاظ) . ويقول أبو الحسن الهمداني : (ومات علم الحديث بوفاته) .

وان كان الخطيب أحد الذين خلعوا الحديث وعلومه فقد استطاع ان يرفع من شأنه الى الاتقان وبذلك استحق ان يعترف بقدره ومكانته وعلو كعبه والاينسى نصيبه من المديح والثناء وكان ذلك فدل على أنه أخلص للعلم اخلاصا لا شك فيه وغدا الخطيب راية كبرى خفاقة في علم الحديث والأدب والتاريخ .

وفاة الخطيب

بعد حياة طويلة اسعده الله فيها بالعلم ورفع مقامه بين الناس وعلا شأنه في التاريخ قاطبة مرض الخطيب في نصف شهر رمضان من سنة ٤٦٣ هجرية وكأنما قد شعر في مرضه هذا بدنو أجله فلم يشأ الا أن ينتم حياته بعمل صالح يودع به الحياة ويزيد من حسناته . كان الخطيب قد صحب معه من الشام ثروة من الثياب والذهب فكتب الى القائم بأمر الله « اني اذا مت يكون مالي لبيت المال » ثم أوصى ان يتصدق بكل ما يخلفه من ثياب وغيرها ووقف جميع كتبه وتصانيفه على المسلمين وسلمها الى أبي الفضل بن خيرون فكان يعيرها فصارت الى ابنه الفضل فاحترقت في داره . (٢٥)

واشتد به المرض ودنا الاجل .. وفي الساعة الرابعة من صبحى يوم الاثنين السابع من ذى الحجة سنة ٤٦٣ هجرية صعدت الروح الى بارئها عز وجل .

جنازة كبيرة لوداع الخطيب الى مثواه الأخير

تأخرت جنازة الخطيب الى اليوم التالى وأخرج بكرة يوم الثلاثاء من حجرته وعبروا بالجنان الى جامع المنصور فى الجانب الغربى للصلاة فيه وكان فى انتظار جنازة القضاة والأشراف والنبلاء والشهود والفقهاء وأهل العلم والصوفية والعامة وخلق عظيم . وتقدم القاضى أبو الحسين ابن المهتدى بالله العزيز فضلى بالناس وكبر عليه اربعا على باب المقصورة ثم حملت جنازته ومعها ذلك الخلق العظيم وبين يدي الجنازة جماعة ينادون :

« هذا الذى كان يدافع عن رسول الله »

« هذا الذى كان ينفى الكذب عن رسول الله »

« هذا الذى كان يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وكان الناس يتبركون بحمل النعش وكان فيمن حمله شيخ الخطيب الامام أبو اسحاق الشيرازى رئيس الشافعية ببغداد وكان عمره آنذاك سبعين عاما .

وتم مواراة جثمان ذلك العملاق العظيم التراب .

وعادت قوافل الناس لأول مرة دون خطيب بغداد .. والقلوب حزينة للامام الذي أحب بغداد فعمقته وتعشق الحديث فوهبه وعطف على المحدثين فأفادهم بشجرة علمه .. وكثر الزائرون لقيمه في الايام التي تلت وفاته وختم على قبره عدة ختمات من القرآن الكريم .

وبعد ٢٢٢

فلنك كانت صورة عن الخطيب البغدادي ابن بغداد .. كان عظيما في حياته عظيما في مماته عظيما في تاريخه الذي تركه يتحدث عنه .. مدافعا عن احاديث النبي صلى الله عليه وسلم فصا الخطيب علما من اعلام الحديث والتاريخ وستظل الاجيال تتدارس حياته ومواقفه الى ان تتوقف الاقلام كلها عن الكتابة .

بقلم
معالي عبد الحميد حموده

المصادر

- ١ — تاريخ بغداد الخطيب البغدادي (مكتبة محافظة الاسكندرية)
- ٢ — الأنساب السمعاني (مكتبة محافظة الاسكندرية)
- ٣ — تاريخ دمشق علي بن الحسن ابن عساكر (مكتبة محافظة الاسكندرية)
- ٤ — وفيات الأعيان ابن خلكان — مصر — المطبعة الميمنية سنة ١٣١٠ « مكتبة محافظة الاسكندرية »
- ٥ — طبقات الشافعية الكبرى السبكي (مكتبة محافظة الاسكندرية)
- ٦ — ارشاد الأريب في معرفة الأديب لياقوت — مطبوعات دار المأمون
- ٧ — تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان — دار المعارف بمصر
- ٨ — الحضارة الاسلامية آدم مزر — ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة
- ٩ — كتاب دول الاسلام الحافظ شمس الدين الذهبي تحقيق فهم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤
- ١٠ — الوسيط في الأدب العربي أحمد الاسكندري ومصطفى عثاني — دار المعارف

١١ — الخطيب البغدادي
 يوسف العش — قدم له أحمد أمين — المكتبة العربية
 في دمشق — ١٩٤٥/٣/١٥ (مكتبة محافظة
 الاسكندرية).

- (١) نبدية ونبدية ١٠٢/١٢ .
- (٢) رئيس رؤساء شرف الوزراء جناح الثوري أبي القاسم علي بن الحسن بن أحمد
 المعروف بأبن مسلمة .
- (٣) في المنتظم .
- (٤) تاريخ دمشق .
- (٥) الامام أحمد بن حنبل .
- (٦) محمد بن أحمد بن رزقويه . أبو الحسن البراز .
- (٧) ابن متعبضا ضد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
- (٨) رجلى أجمعت كل المصادر على كذبه ووقعته وحده على الخطيب البغدادي
- (٩) من الرافضة .
- (١٠) علي بن ابراهيم بن العباس بن أبي الجن .
- (١١) تاريخ دمشق ٣٤٩/٤ .
- (١٢) البداية والنهاية ١٠٢/١٢ .
- (١٣) انظر الوسيط في الأدب العربي .
- (١٤) سورة الشعراء الآيات ٢٢٤/٢٢٦ .
- (١٥) أبو شجاع الذهلي .
- (١٦) ارشاد الأريب في معرفة الأديب لياقوت .

- (١٧) الانساب للسمعاني (الجزء العشرون) .
- (١٨) علي بن هبة الله بن جعفر . أبو نصر بن ماکولا (٤٢٢ — ٤٨٧) لم يكن ببغداد بعد الخطيب أحفظ منه .
- (١٩) سنة ١٣٤٩ هجرية (١٩٣١ ميلادية) على أساس مخطوطة كوبرليلى .
- (٢٠) في ابن حاتم — الاربعين .
- (٢١) في الارشاد .
- (٢٢) تاريخ دمشق .
- (٢٣) المصدر السابق .
- (٢٤) في الارشاد .
- (٢٥) في الوفيات .
- (٢٦) الانساب .
- (٢٧) طبقات الشافعية الكبرى .
- (٢٨) تاريخ دمشق .
- (٢٩) المصدر السابق .
- (٣٠) المصدر السابق .
- (٣١) المصدر السابق .
- (٣٢) المصدر السابق .
- (٣٣) المصدر السابق .
- (٣٤) الارشاد .
- (٣٥) المتظم — الارشاد .
- وذكر السبكي ان بعض مصنفاته احترق بعد موته قبل أن يخرج إلى الناس . وقال الذهبي في تاريخ الاسلام في حوادث سنة ٤٨٣ هجرية ان دار أبي الفضل بن خيرون نهبت في هذه السنة .

أنشأ العلاقات الاجتماعية والتقوم على المطالب

د. يوسف القاضى

لقد خلق الله الانسان وخصه بميزات عقلية ولغوية ليسهل عليه التمتع بما خلق سبحانه وتعالى . وللتفكير بماضيه وحاضره ومستقبله ، ولتشكره على الاله ونعمه التي لا تحصى .

ويولد الطفل أول ما يولد وليس له من الحول والقوة الا ما يساعده على شعوره بالامن والاطمئنان ، وما هو متعلق بطعامه ونظافته . فهو يعتمد على والدیه أو ذويه اعتمادا كليا في رعايته وتوفير أسباب الخناث والقبول والرفق والغذاء والمأوى له . ويندرج الطفل في مدارج النمو على مر الأيام ، فينمو جسديا وعقليا ونفسيا واجتماعيا وينزع للاستقلال رويدا رويدا عن ذويه ليكون لنفسه شخصية متميزة عن غيرها من ابناء جنسه . وهذا ما يسمى بالفروق الفردية .
الفروق الفردية والتقوم :

من المتعارف عليه تربويا ونفسيا أن لكل فرد من الأفراد ميزات وخصائص ومقدرات خاصة لها حدودها التي لا يمكن تجاوزها، وهي كفاءات وخصائص تولد مع الطفل على صورة استعداد يعوزه البروز والنمو والتطور المستمر، وهذا يتطلب تحريضا وتشجيعا وتشويقا من البيئة التي يعيش فيها الطفل وخاصة من الوالدين والعائلة التي ينتمي إليها. فلا بد لنمو هذه الكفاءات والقدرات من تغذية وتنمية شأنها في ذلك شأن الخصائص الجسدية. ومسئولية الوالدين حيال ولدهما النامي تتضمن ضمن ما تتضمنه وجوب مراعاة ما عنده من استعداد وقدرات، فلا يكلفونه ما هو فوق طاقته، ولا ما هو غير معد له ولا مهيا. فلا يوجهانه الى ممارسة أمر لا يملك المقدرات اللازمة لتحقيقه ولا يبيثان له كيا ينهج منهجا لا تتفق خصائصه مع خصائص الفرد وقدراته ومن هنا يمكننا القول ان مسؤولية الوالدين تتضمن العمل على تنمية استعدادات الطفل عن طريق تشجيعها المستمر، وتغذية مواهبه الخاصة به تغذية مستمرة متواصلة لتنمو هذه المواهب وتساعد في تكوين شخصية مستقلة تؤهله ليشق طريقه بنجاح في هذه الحياة. وهذا ليس بالأمر الهين ولا بالسهل المثال، فالأمر يتطلب معرفة ورغبة صادقة، وجهدا وعناية من قبل الوالدين والقائمين على رعايته وتربيته. وما تقدم بنصحه لنا أهمية العلاقات الاجتماعية والعائلية وأثرها على الفرد وعلى سيره ونشاطه بصورة عامة. وهذا ينطبق على الطالب كما ينطبق على غيره ممن يخوضون معترك الحياة على اختلاطها وتنوعها. فقد دلت التجارب التي قام بها عدد من المربين وعلماء النفس أن من أفضل أنواع العلاقات التي تربط بين الوالدين وأطفالهم ما يغلب فيها طابع الحب والمكافأة والاحترام المتبادل، على طابع الحقت والعقاب بحيث يجد ويخفف من أثر العقاب، ويحصره في نطاق مقتضيات الحياة الواقعية من اجتماعية واقتصادية وتربوية. في رجحان كفة الحب والتشجيع والمكافأة على كفة الحقت والغيظ توفير للأمن اللازم لنمو الطفل نموا طبيعيا سويا مقبولا من المجتمع. كما أن في القدر اليسير من العقاب تكمن بذور القلق الذي تتطلبه الحياة الطبيعية الواقعية. فيشب الطفل وهو مهيا بدوره في الحياة على وجه مرضى ومقبول. وهذا يختلف من طفل لطفل. فلا يمكن التعميم ولو كانوا أشقاء.

وكما ان لنوع العلاقات الاجتماعية والعائلية دخلا ملحوظا وأثرا واضحا على حصول بعض الاضطرابات التي يعاني منها بعض الطلبة في المدارس، فان للمدرسة كذلك. وللمادة الدراسية والمناهج، والمدرس، وطريقة التدريس. لها كلها مجتمعة أو منفردة أثارها التي قد تسبب الاضطرابات والبلبله الفكرية لدى الطالب. مما قد يؤدي به الى ترك المدرسة والدراسة بفروه منها، او بعدم نجاحها في ترتيب نشاطات الطفل وتنظيمها وتثبيتها لتتناسب مع متطلبات الفرد الاجتماعية والعقلية والنفسية والجسمية.

مما تقدم نستنتج مدى تأثير العلاقات الاجتماعية والعائلية في توجيه الطالب، وان تفهمها من قبل الوالدين والمدرسة يعتبر واجبا تربويا لانه قد يوفر على الطالب الكثير من الوقت والمجهود ويبعد عنه الكثير من الاضطرابات النفسية والاجتماعية والتربوية التي يعاني منها العديد من الطلاب، والتي يمكن ارجاع اسبابها ومسبباتها الى امور نفسية وتكوينية واجتماعية

وتربوية . فتتضافر جهود المدرسة والمبيت لتوفير الجو المناسب للطلاب من الامور التربوية التي لا غنى عنها لمساعدته في النجاح وتخطي الصعوبات التي تعترض سبيله . فبالإضافة للامور التربوية والاجتماعية التي ذكرت أعلاه والتي لها دخل ملحوظ في تقرير مستقبل الطالب ونجاحه . وهناك الامتحانات الرسمية التي تسبب للطلاب الكثير من الاضطرابات النفسية والعصبية خاصة وان خطورة هذه الاضطرابات قد لا تقف عند فترة معينة من فترات الامتحانات فقط ، بل تعداه الى حياة الطالب ومستقبله .

التقويم والامتحانات المدرسية :

من الأسئلة التي ترد على الالسنه قبل نهاية السنة الدراسية تلك التي تتعلق بالاضطرابات النفسية التي تصيب الطالب خلال ايام الامتحانات المدرسية النهائية الرسمية منها وشبه الرسمية . فالى اي مدى تؤثر تلك الاضطرابات على حياته الطالب في حاضره ومستقبله ؟

كما لا شك فيه أن التفكير في الامتحانات النهائية والاقتراب من مواعيدها يسببان أرقاً وهوماً لكثير من الطلاب حتى المتفوقين منهم ، وخاصة اذا كانت الاهمية المعطاة لهذه الامتحانات والنتيجة المترتبة عليها كبيرة . بحيث تقرر مصير الطالب الدراسي وربما مصيره في الحياة المقبلة .

فمن المتعارف عليه علمياً ان التفكير وثيق الصلة بالانفعال ، والفرد الذي يعاني انفعالا حاداً يتعرض ، في معظم الحالات ، للمعاناة من تورع عصبي وذهني فيصبح والحالة هذه ، غير قادر على التفكير تفكيراً سليماً . فيستحيل عليه ان يتبين الامور على حقيقتها او ان ينظر للامور نظرة موضوعية لا تشترك فيها نوازعه الشخصية او تحرفها عن معانيها وفحواها اضطراباته الانفعالية . فعوامل القشل والنجاح والرهبة من الامتحانات يسبب للطلاب الكثير من الاضطرابات النفسية والعقلية التي تتنازع تفكيره وتنغص عليه حياته في المنزل وفي المدرسة ، وربما بقيت آثارها الى ما بعد انقضاء مدة الامتحانات وظهور النتائج ، وربما تعدتها لتلازمه مدى الحياة .

الاختبارات الشهيرة كـمحاولة للتخفيف من آثار الامتحانات النهائية :

لقد تنبه كثير من المربين والمشرفين على المدارس والتعليم الى اخطار الامتحانات النهائية . فعملوا للتخفيف من شأنها والتقليل من وزنها ، فبدلاً من ان يعملوا من امتحانات نهاية السنة الدراسية المقرر الوحيد لنجاح الطالب او فشله . (وهذا مما يدعو الطالب للتفكير فيها باستمرار والالتقاء بما يدور حوله في حياته العادية ، فتعيق نموه الاجتماعي والنفسي والجسمي) ، جعلوها ، مضافة اليها أعالي السنة كلها معياراً للمعرفة تقدم الطالب ومدى استيعابه وتفهمه للمادة . كما انه أصبح بالإمكان ان يعرف المدرس ، بعد دراسة نتائج أعمال

السنة بالتالي . نجاح طريقته التي يتبعها بالتدريس في حينه . فيعمل على تطويرها حسباً تقتضيه ظروف العمل ليضمن تفهمهم للمعلومات والعمل على توظيف تلك المعلومات للوصول الى الاهداف المرجوة . لذلك فقد اتجه الكثير من المدرسين لاجراء اختبارات اسبوعية او شهرية (دورية) . تضاف الى ملاحظاتهم المستمرة للطلاب داخل الفصل وخارجها مما يمكنهم من معرفة قدرات طلابهم بصورة أحسن وأدق عن ذي قبل . كما انهم اصبح بمقدورهم تقويم طريقة التدريس التي يتبعونها وتعديلها او تطويرها قبل فوات الاوان . (لقد فاتهم فرص كثيرة عندما كانوا ينتظرون الى آخر العام الدراسي او الى آخر الفصل الدراسي لاجراء تقويم للطلاب) .

ومع ان الاختبارات الاسبوعية والشهرية ظلت قاصرة عن تحقيق الهدف المرجو منها . ألا وهو مساعدة الطلاب . والمدرس على تبين طريقة تدريسه والدراسة بصورة عامة الا ان لها فوائد اخرى يمكن استيجازها بما يلي : —

أ — امكانية تعديل وتطوير المادة الدراسية بما يتلاءم وحاجة الطلاب .

ب — امكانية مساعدة الادارة المدرسية في تطوير وتعديل المناهج المدرسية بما يتلاءم وحاجة المجتمع والطلاب والمدرسة .

ج — امكانية مساعدة اولياء امور الطلاب على تفهم نشاطات ابنائهم المدرسية والاجتماعية فترة بعد فترة وبصورة مستمرة . بدلا من الانتظار حتى نهاية العام الدراسي لمعرفة رسوب ابنائهم ونجاحهم .

وبالرغم من المحاولات المتكررة من آثار الامتحانات النهائية . الا أنها لا زالت تعتبر المعيار الذي يقرر مصير الطلاب في كثير من بلدان العالم : ونتيجة لهذا الاعتبار فإن الكثير منهم ينفلون واجباتهم الصحية والاجتماعية التي يستحسن أن يمارسوها كأعضاء نافعين في مجتمع متطور . ينفلون عنها وينغمسون في التفكير المستمر بالامتحانات النهائية فينسون تناول غذائهم بصورة مستمرة ومنظمة مما يسبب لهم هزالا وضعفا جسيما . وهذا الضعف في الجسم يؤثر على التفكير السليم للطلاب . والنتيجة لهذا الهبوط في معظم الحالات . أما انه يكون على شكل تدهور عام وانهايار صحي . او تدمير ونفور من المدرسة والدراسة بشكل عام . ومن ثم التشرد في الازمة . وممارسة اعمال لا طائل من ورائها . ويمكن تخفيض آثار الامتحانات النهائية كما يلي : —

أ — حالات من الأرق وقلة النوم أو صعوبته . وهذا مرده في الغالب للارهاق واختلال نظام النوم مع ما يصاحبه من تراكم الافكار وتشابكها .

ب — طغيان التفكير المستمر في النجاح وتوقع الفشل ونتائجها . وهذا متعلق بالاهمية

المعطاة للامتحانات النهائية . فكلما كانت كبيرة كلما كان التأثير أعمق وأهم .

ج — ضعف عام في الجسم . ومرد هذا الى قلة الاكل وسوء التغذية . وعدم انتظام تناول الوجبات . بالإضافة الى ما تسببه من أرق وسير وتشعب الافكار .

د — كتيبة لما سبق ذكره . فقد تنشأ حالات واضطرابات نفسية ، فتزيد من اضطراب

العقل وتشويشه وتطفى على تصرفات الطالب — فشلها شلا جزئيا او كليا .
هـ — اغفال واجبات اخرى كالواجبات الاجتماعية والصحية والجسمية بصورة عامة .
نستنتج مما سبق ذكره . أن للامتحانات النهائية آثارها المضرّة بمستقبل الطلاب بصورة عامة . فإذا كان لا بد منها ولا يمكن الاستغناء عنها بالمستقبل القريب فانه من المستحسن ان يبيأ الطلاب لها . وكبداية لتهيئة الطلاب نورد لهم بعض النصائح لعلهم يستفيدون من تطبيقها .

نصائح للطلاب :

الهدف من ايراد هذه النصائح هو الاستعانة بها قدر الامكان لتعين الطالب او لتكون ذات نفع له في التغلب على بعض الاضطرابات التي ورد ذكرها . وتمكنه من التصرف بحكمة اثناء ادائها ، مفرضين ان المادة المعطاة هي في مستوى الطالب ومتناوله ، وأن المناهج الدراسية مناسبة وموزونة ومنظمة حسب المستوى . وحسب حاجة الفرد وحاجات المجتمع الذي يعيش فيه ويتعامل معه .

وهذه بعض النصائح : —

- ١ — من المفروض ان يكون الطالب قد قام بدراسة المادة المعطاة له وفهمها على مدار الفصل وعلى دفعات . وهذا يسهل له مراجعة المادة واستذكارها وقت الامتحان النهائي .
أما اذا فاتته فعليه ان يعرف النقاط الهامة في المادة ، ويحاول فهمها فيما تبقى له من الوقت قبل دخول الامتحان النهائي . لأن محاولة فهم المادة كلها ان لم يكن مستحيلا ، فانه من الصعب ان يقوم بذلك في وقت متأخر مثل الوقت الذي يسبق الامتحانات عادة .
- ٢ — تنظم وقت الطلاب هو من الاهمية بمكان في تقرير فشله او نجاحه على ان يشمل التنظيم المخطط الواعي طيلة ايام دراسته ، ويستمر معه في حياته العملية بعد انتهاء الدراسة . وهذا يعني تنظيم وقت الدرس ، ووقت كاف للراحة والاستجمام لاستعادة نشاط قواه العقلية والجسمية . كما انه ينبغي تخصيص وقت كاف للنوم وآخر للأكل ووقت آخر لواجباته الاجتماعية على اختلافها . فالتخطيط الهادف لهذه الامور يجنب الطالب الكثير من الاضطرابات والتشويش الفكري . كما ويمكنه من استعمال وقته استعمالا مفيدا دون ضياع .
- ٣ — ان يتعمد قدر الامكان عن استظهار المادة وحفظها غيبا قدر الامكان ، ويسعى جهده لفهم المادة فهما جيدا متقنا بحيث يتمكن من صياغتها بلغته الخاصة عند الاجابة عليها او مناقشتها واستعمالها ، لان ذلك يثبت المادة في ذهنه لمدة اطول ويمكنه من تطويرها واستعمالها على اشكال مختلفة وحسب الحاجة لتطبيقها في المستقبل .
- ٤ — الاهتمام بتوفير الغذاء والراحة الجسمية للطالب ما امكن ذلك لان تجديد النشاط كما اسلفنا ، بتوفير الغذاء والراحة اللازمة له يعمل على تنشيط مدارك التلميذ الفعلية ويجعله اكثر استعدادا لتقبل معلومات ودراسات اكثر فأكثر ، وبصورة فعالة . والاهمال في ذلك يؤدي العكس .

- ٥ — دخوله قاعة الامتحان بثقة وبصورة عادية ما امكن ذلك .
- ٦ — قراءة كل سؤال بتمعن وروية وتفهم قبل البدء بالاجابة . هذا بالإضافة الى معرفة ما هو المطلوب من السؤال فيحاول ان يجيب عليه فقط . حتى لا يضيع وقته في كتابة اشياء غير مطلوبة . لان الوقت اثن من ان يهدر بدون فائدة ، وخاصة في أوقات الامتحانات النهائية .
- ٧ — بعد قراءة السؤال بتمعن وروية وتفهم ، على الطالب ان يكتب النقاط الرئيسية التي يعتبرها أساسية في الاجابة عن السؤال . ثم يبدأ بعد ذلك بتفصيل تلك النقاط وتوضيحها نقطة بعد اخرى حتى ينتهي منها جميعها .
- ٨ — عند الاجابة عن الاسئلة الطويلة ، التي تسمى اسئلة المقال على الطالب ان يعطى رأيه فيها كتب . لان ذلك يظهر مدى تفهمه للإادة وتمكنه من الاستفادة مما جاء فيها من معلومات ومهارات . فالتربية الحديثة تعتبر المادة وسيلة لبلوغ أغاية أسمى من الحفظ والتسميع — الا وهي النمو المتكامل للتلميذ في النواحي العقلية والنفسية والاجتماعية والجسمية .
- ٩ — على الطالب ان يكتب بلغة صحيحة ومفهومة قدر الامكان ، على ان يكون خطه مقروءا وواضحا — فالاجابة المرئية والمكتوبة بلغة صحيحة توجي لقارئها بأن الطالب صاحب الاجابة ، هو انسان منظم لأفكاره وعمله ، فيزيد ذلك من تقديره . فالقصد من الامتحان عادة هو معرفة نضوج الطالب ونموه ومدى تنظيمه للمعلومات والاستفادة منها . لا ارهاقه او ارباهه ، او كتابة ما سبق ان حفظه من معلومات .
- ١٠ — المحافظة على تسلسل الأفكار اثناء الاجابة ما امكن وربطها ببعضها البعض بحيث تكون وحدة متكاملة . وهذا يكشف عن مدى نضوج الطالب وتفهمه للإادة . وهي من الامور التي تسعى التربية الحديثة اليها وتشجعها .
- ١١ — على الطالب ان يحضر معه لقاعة الامتحان لوازمه والادوات المتعلقة بالامتحان .
- ١٢ — على الطالب ان يدخل قاعة الامتحان وهو قانع بما فهمه من معلومات ، لأن أية محاولة متأخرة لتفهم المعلومات او اضافة معلومات جديدة في الساعات الاخيرة التي تسبق الجلوس للامتحان ، ربما تؤدي لتشويش أفكاره وتربكه بحيث يضيع بعض ما عرفه وفهمه سابقا .
- هذه بعض النصائح اقدمها لطلابنا الاعزاء لعلهم يستفيدون مما ورد فيها حسبما تسمح لهم ظروفهم سائلا المولى أن يأخذ بيدهم لما فيه الخير والصلاح .

د. يوسف القاضي

الكتب

عرض

الشمل

وكتابه
عقدا الجواهر والدر

عرض: يحيى باعالي

من كتب التراث الجيدة التي لا تزال حبيسة الإهمال ... رغم أهميتها ... وعلاقتها الوثيقة بالحياة الثقافية والفكرية في الجزيرة العربية كتاب عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادى عشر للشلي . أحد أعلام القرن الثانى عشر الهجرى . وقد ترجم فيه لعدد كبير من رجال القرن الحادى عشر ومن خلال تلك التراجم أعطى صورة واضحة المعالم للحركة الفكرية في العالم العربى والجزيرة العربية خاصة .

والشلي مؤلف الكتاب هو جمال الدين محمد بن أبى بكر بن أحمد بن أبى بكر بن عبدالله بن أبى بكر بن علوى بن عبدالله بن على بن عبد الله بن علوى الشلي . وهو ينسب الى أسرة الباعلوى التى ينسب اليها جميع السادة الحضارم ، والذى كان لها شأن كبير فى لبلاد الحضرمية ومناطق أخرى من العالم الاسلامى .

وقد ولد الشلي فى مدينة تريم بأواسط حضرموت عام ١٠٣٠ هجرية / ١٦٢١ ميلادية شأ فى أسرة علم وفضل اذ كان والده من العلماء المعترين فى زمانه وترجم له الحبي في خلاصة الأثر .

ومنذ البداية سلك الشلي طريق العلم فما أن بلغ العاشرة حتى كان قد أنهى حفظ القرآن الشريف على : عبد الله بن عمر باغريب ، وفي تلك السنة المبكرة بدأ فى حفظ أهميات المتن من مثل القصيدة الغزالية والاربعين النووية والأجرومية والقطر والملحمة والإرشاد . ثم بدأ فى القراءة على العلماء فى عصره فدرس الفقه والتفسير والحديث والأصول والعربية ، وكان من أبرز من قرأ عليهم فخر الدين أبو بكر بن شهاب الدين وعبد الرحمن بن علوى الفقيه ، ومحمد بن محمد بارضوان وعقيل بن عمران باعمر ، وعمر بن عبد الرحمن بارجا ، وثناء طلبة للعلم فى حضرموت تردد بين مدينتى ضمار وظفار ، ودفعه الشغف بالعلم والحب فى طلب المعرفة الى أن يرحل الى الهند فدرس هناك على جماعة من علمائها ، ولا شك أن رحلته تلك قد وسعت من أفقه وعمقت من ثقافته وأوقفته على حياة جديدة لم يألفها فى بلاده .

ولم يطل مكث الشلي فى الهند طويلا ... فترك ... قاصدا مهبط الوحى ومنبع الاسلام مكة المكرمة التى كانت تعج بالعلماء من محدثين وفقهاء وأصوليين ومفسرين . وينقل عنه الحبي فى خلاصة الأثر من ترجمته لنفسه قوله عند وصوله مكة وتزوله فيها مشيرا الى من أخذ عنهم ودرس عليهم : « ومنهم الشيخ خاتمة الحفاظ أبو مهدي عيسى بن محمد بن محمد الثعالبي الجعفرى المغربى ولازمته مدة أقامته بمكة فأخذت عنه جميع العلوم المذكورة الا الفقه فأرويه عنه بالأجازة ، وسمعت منه الحديث للسلسل بالاولية وسورة الصنف وسند الصحبة والبسنى الخرقه الشريفة والقننى الذكر وأجازنى بجميع مروياته ومنهم العالم العامل المربى المكمل صفى الدين أحمد بن محمد المدنى الشهير بالقشاش قرأت عليه بعض الجامع الصغير فناولنيه بيده وأجازنى بجميع مروياته ، ولقننى الذكر والبسنى الخرقه ، وصافحنى ، ومنهم شيخ الاسلام ، عبد العزيز الزمزمى ، أخذت عنه الفقه وصافحنى وأجازنى بجميع مروياته ، ومؤلفاته ، وقرأت علم الفرائض والحساب على الأولين من الثلاثة وقرأت علم الميقات والحساب بسند الخرقه والصحبة على شيخنا خاتمة المحققين محمد بن محمد بن سلبان المغربى ، وأجازنى وأطعمنى الاسودين بسنده الى سيد المرسلين ، ومنهم السيدان ،

المشهوران في الحرمين ، اماما المشرقين والمغربين الشيخ حمد بن علوي والسيد زين باحسن . أخذت عنها علم التصوف وصحبتهما . والبسائي الخفزة الشريفة وحكائني وصافحائي ولقائني الذكر» .

ومن العلماء الذين أخذ عنهم ودرس عليهم عبدالله باقشير وغيره . وقد قام الشلي بالتدريس في الحرم المكي . وجلس مكان أحد مشائخه وهو علي بن الجبال بعد وفاته . وقد درس عليه خلق كثير . وقد وضع الشلي جملة من المؤلفات لم يطبع منها غير المشرع الروي وما استطعنا حصره من مؤلفاته هي التالية :

- ١ - تاريخ مكة .
- ٢ - رسالة في الاصطلاب .
- ٣ - رسالة في علم الحيات للألة .
- ٤ - رسالة في معرفة اتفاق المطالع واختلافها .
- ٥ - رسالة في معرفة ظل الزوال كل يوم لعرض مكة .
- ٦ - رسالة في المنظر .
- ٧ - السنا الباهر بتكميل النور الساهر في اخبار القرن العاشر .
- ٨ - شرح الايضاح لابن حجر .
- ٩ - شرح جمع الجوامع للسيوطي .
- ١٠ - شرح على مختصر الايضاح لابن حجر .
- ١١ - شرح منطق السيوطي .
- ١٢ - عقد الجواهر والدرر في اخبار القرن الحادي عشر .
- ١٣ - المشرع الروي في مناقب آل باعلوي .
- ١٤ - المنحة المكية شرح التتحفة القدسية في الفرائض .

وفاته :

وقد كانت وفاة الشلي عام ١٠٩٣ هجرية / ١٦٨٢ ميلادية في مكة المكرمة .

× × ×

عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر

يعتبر الكتاب حلقة من حلقات اهتمام المسلمين بالتراجم ، وقد ترجم فيه لعديد من علماء القرن الحادي عشر وكان لعلماء الجزيرة العربية والحجاز خاصة النصيب الأوفر من هذا الكتاب . ويتحدث الشلي عن منهجه في الكتاب في مقدمته فيقول : « أما بعد فإن من التاريخ فوائد جبارا وفرائد تزين بعقودها الانام نغورا واجياد الإسنانة على حوادث الزمان ووقائع الدوران مما فيه عبرة لمن اعتبر وافادة لمن باتى من البشر . . وقد أفادنا السابقون بأخبارهم واطلعونا على آثارهم وفي هذا القرن من أعيان الافاضل ، وأفاضل الاعيان من يتحلى بهم جيد الزمان ، ويزدهى بهم العصر والأوان . فجمعت ما اتفق لى كتابته وظهر من

أخبار هذا القرن الحادى عشر من اهل الديار الحجازية وغيرها من الديار الافاقية .
وضممت الى ذلك فوائد تقريبها العين وجواهر يقول لها البحر من أين . ولا اذكر ما تنفر منه
النفس والعقول . ولا أركب الصعب مع تيسر الدلول ولا اسلك طريق البحر أن رضى مدح
وأن سخط قذح ولا اروع روغان الثعالب أرفع من جانب وأقدح من جانب بل اسلك
مسلك الاعتدال وان كان المترجم من أهل الاعتزال واذكر فى كل ترجمة كل ما ذكره غيرى
من أخباره واجتنى من رياضة يواكر غماره وسميته عقد الجواهر والدرر من اخبار القرن
الحادى عشر .. »

وقد رتب المؤلف التراجم فى كتابه على السنوات ، وابتدأ بعام ١٠٠١ (السنة الأولى بعد
الألف) وأول من تحدث عنه وجيه الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسين
العلوى .

وهو يتحدث عندما يعرض للمترجم له عن نسبه وعلمه ومولده ووفاته وأساتذته ومن
أخذ عنهم وأخذوا عنه وعن مؤلفاته .. ومن الاشخاص الذين ترجم لهم فى كتاب : أبو بكر
الخزرجي ، أبو بكر السقاف ، أبو بكر بن بلفقيه ، الشريف أبو طالب ، أبو نعي عبد
الكريم ، ابراهيم المأموني ، أحمد بن شيخ عديروس ، أحمد المرشدى ، أحمد العمودى ،
أحمد باعتر ، حميد السندى ، زين الدين الترمي ، شيخ بن عمر السقاف ، عبد القادر
الطبرى . عبد القادر بن شيخ عبد روس ، على باشيان ، عمر بن عبد الرحمن باجال
الشريف محسن ، منصور بن بركات ، هاشم الحبشى ، يحيى الاصيلي ، يحيى المنقارى .
يحيى الاحسائى ، يوسف الزفراف وكنموذج للتراجم فى عقود العجيبى المكي الحنفى جامع
الفنون العلمية النافعة والمقدم فيها على اقاربه والحائز قصب السيف فى حفظ نفائس الفوائد
العربية فى زمانه وهو ممن جمع الله له بين العلم والعمل والعقل والرصين . ومزيد المعرفة
والتمكين ، والحفظ المثلث والفصاحة والاستحضار العجيب من كل مشهور وغريب . وله
قدم راسخ فى علوم الحقيقة وسلوك الطريقة والتربية والارشاد ومعرفة جيدة لكلام الشيخ
محيى الدين بن عربى والاستاد ولد سنة خمسين والف بمكة المشرفة ونشأ بها وحفظ القرآن ،
وأخذ عن أكابر علمائها كالعلامة شيخنا زين العابدين الطبرى ، والشيخ على بن الحمال
والعلامة محمد البابلي ، وأخذ بالمدينة عن الشيخ أحمد بن محمد الدجاني القشاشى وتلقن فيه
الذكر ولبس منه الحفرقة وأخذته علوم الطريقة وأحسن تربيته وأخذ عن شيخنا روح الدين
عيسى بن محمد المغربى الجعفرى المالكي وأخذ عن الوافدين الى مكة عن شيخنا محمد بن
محمد العساوى الشافعى الدمشقى والشيخ عبد القادر بن أحمد الغصين الفزى ... وانتفع به
جماعة كثيرون ، وله مصنفات عديدة ورسائل كثيرة منها تاريخ فى الطائف ومدحه جماعة
كثيرة بقصائد عظيمة ..

وتوجد من عقد الجواهر عدة نسخ حالياً فهناك نسخة بمكتبة ذخيرة عبد السلام بجامعة
عليكرة بالهند خطها نسخ معناد ، وهى من القرن الثالث عشر الهجرى وتقع فى ٣٠٨ صفحة
ومسطرتها ٢١ سطرا منها مصورة بمعهد المخطوطات العربية رقها (ف ٣٠٢١) .

وهناك نسخة منه في رامبور أشار اليها بروكلمان (٦٤١/١).
وفي مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة نسخة نفيسة خطها نسخ جيد
بأولها فهرس باسماء المترجم لهم داخل مربعات مذهبة . مع اشارة الى الصفحات والهوامش
بالصفحتين الاولى والثانية فيها زخرفة . وجميع الصفحات مجدولة بالذهب والسواد .
وبعض الكلمات بالحرمة وعلى بعض الهوامش تعليقات . وتقع هذه النسخة في ١٧٧ ورقة
وقد قام بنسخها علي بن ابراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفى الجبتي في رمضان
سنة تسع وتسعين وألف . ومن هذه النسخة صورة في قسم المخطوطات بجامعة الرياض .

محمد بن عبد الله بن محمد البركي	محمد البردجي	محمد ابن المنوفي	محمد بن أبي بكر العبدلي	محمد المراتب
١٦١	١٦٤	١٦٥	١٦٨	١٦١
محمد الكواكبي	محمد قاسم البعري	محمد البرقائي	محمد بن ابراهيم	محمد الموصلي
١٦١	١٦١	١٦٤	١٦٩	١٦٩
الرشيد حسن	الرشيد محمد بن	السلطان محمد بن	السلطان محمد بن	الرشيد محمد بن
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
مصطفى بن محمد	مصطفى الطوسي	مصطفى البابي	مصطفى الزبيدي	مصطفى بن داود
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
مصور بن رشيد	السيد ميرزا	حرف النون	نور الدين الزبدي	نور الله الجبلي
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
حرف الهمزة	حرف الجيم	حرف الالف	حرف الاصل	حرف الجيم
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
حرف النون	حرف الهمزة	حرف الجيم	حرف الاصل	حرف الجيم
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
حرف الهمزة	حرف الجيم	حرف الالف	حرف الاصل	حرف الجيم
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
حرف النون	حرف الهمزة	حرف الجيم	حرف الاصل	حرف الجيم
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
حرف الهمزة	حرف الجيم	حرف الالف	حرف الاصل	حرف الجيم
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
حرف النون	حرف الهمزة	حرف الجيم	حرف الاصل	حرف الجيم
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
حرف الهمزة	حرف الجيم	حرف الالف	حرف الاصل	حرف الجيم
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
حرف النون	حرف الهمزة	حرف الجيم	حرف الاصل	حرف الجيم
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦
حرف الهمزة	حرف الجيم	حرف الالف	حرف الاصل	حرف الجيم
١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦	١٦٦

محمد بن أبي بكر
الرشيد
١٦٦

وقرحة متقادة وقادة . وشيت كنار ثم سارت الفسرا .
 كم حيلة في البحث اظلمت . يشي جواد الفكريها القهقرا .
 ايات فضلك مثل مجدك احكت . وسناسناك نفعه قد سقرا .
 وجاد فكرك كالرماح كراعب . وضيا لك نور قد ازهرا .
 من كنت انت لملك ذا كفا . يزهو عندك رفعة وتكريرا .
 فاسلم ودم غلى عيش ارغل . ما اهتر عصف في الرباض ونورا .
 وكتب اليه ايضا سنة ثلثين والف ماصورة .
 اليوم مثل الحول حين ارك . وجهك والمساحة كالشهر .
 ان انهي ما تجلت به السطور والطور . واشي ما استعبدت النفس .
 وطلعت النفس دعا على عمر الدهور لا ينقص . وابتها بالفت الصراة .
 له جابة ينقص ان يديم على صفات قد ورد الوجود شامة دهرها واحد .
 وقتها وعالم عمرها خاتمة العلم المتفهمين . ما لك زمام البكفة بفضله الميق .
 شيخ اليلوم والمسلمين المجمع الحارم الى خلق والشبه والمقدّم اياها .
 عند الخلق والاهم المشتهر عند العرب والجمع بان ملك من العلم ما حده .
 وجعل العكوف عليه لن احمده فانقاد اليه انقياد الجواد وجرى في .
 ميدانه بحسن السبق والفكر الوفاة عالم الغرب والشرق ومنزل ما يبارك .
 من المسائل بحسن الجمع والفرق الجامع بين رياضي العلم والعمل والمنازع .
 باطن من السيرة من الحوق عوارض العلل كثر العلوم والكشف .
 بحوالد اية الذي ارتوى منه بالعب والرشق صدر الشريعة الغاوش .
 صم النطق بالافتاء والافعال لا يكن صم وصفه بالتفصيل فان الاظناب .
 ضد طوبى ولما حصل على ما قيل . انت الذي وقف الثنا بسوقه .
 وجرى المناد بعروفة قبل الدم . نالته سبي من يجمع المسلمين بهمة .
 الى خلق . ويد يد فخار اهل الوجود سقا صاحب هذا الحق .
 ولا زال مذهب النعمان متحليا بعبود لا شئوا بمطارفه وبروده وان .
 التفت خاطر نذكار وروده والمخلص دعا به حاله كوعده وسبحه .
 فهو يحيى وعافيه ونعم وافيه نرجو من الله دوامها بدوام دعاكم اذ لا .
 شك اننا من جملة منسوبيكم فاسالكم فانك الى صل في هذا الزمان ونوع .

والسبب

ورئيسها المشهور ركوب هذا البيت المنير المعجزة وله نظم حسن منقطع
اما وانقطاع الغصن من هيف القدر وما الحيا والارض من جنه المخلد
واقدر احدا قد ادرى محمد قاه مؤخره وصفا عن الرسم والحد
لما المعجزة العذري والصدق والوفاء وما كان الحد آدم من عهد
التيه بتر اقم الصدق اشده منيم على تلك العصابة والوجد
بان عز اعي والعفاف تخلفا بنعتها قبل السكون الى المهده
وانى يا ذات الجمال تعبدى بدين الهوى الحقن معتقد عندى
ومن حصر الاطلاق كنت فى على يقين باقى مطلق الحبه والوجد
فقلدى به غير البقاء غيبى حضوري وغيبى في عوالمه رشد
وذى به عز وادج سيادى اذا مدعاني من هويت بيا عبدى
فلا تفر من هام في الحب والفرى عليك السلام تسليم الطرده
وان زين العابدين ووالده محمد نجل الزين والصادق الوعد
بصدق خير المصلين وسيله طعنا من الانساب واسطة العقده
ياب عريق الجاه اعظم شافع واكرم من اعلى وجادى يحرك
مرد جميع الكائنات باسرها ومعنى كال الفضل من ذروة المجد
مدى الدهر يا شمس الحافى اشرف مع الال والصبى الايمه في الرشد
وما اقم الصب المسوق بقوله اما وانقطاع الغصن من هيف القدر
ثم فان الصباغ للتفتيش ودواعيه قد سرت في النفوس
ونيم الصبار رسول الارض بطل كلؤلؤ معروض
والشجائر كالزاحير تشدوا كقوس ندى بالناقد
فاجتلى الراح للقد اى يحبر لوى البدر طالعها بشموه
وادرها بدور حان الصافي من مدام عتبه خندرين
عاش وهي الحقيقه عذرا عجز من حديثها في مرسيس
تتلف عيظا فتفق بشرا حين اصبحت تلوح صف كؤوس
فى داء الهم فاعجب لادى جالب الرى مذهب للوس
حدثنا من قبل ان يخلق الكرم حديث التوزيع والتخمس
ناراسي الكلام فخلق نعا لا في حاهامع كل مولد رئيس

وله

والإرشاد وسعة جيدة الكلام الشيخ محمد الدين بن عزلة وإن سناد ولد سيرة
والف مملكة المشرق ونشأ بها وحفظ القرآن وأخذ عن أكا بر علماء كالأعلامة شيخنا
بن عبد العابد بن الطبري والشيخ علي بن الجلال والأعلامة محمد الباقر وأخذ بالمدنية
عن الشيخ أحمد بن محمد الدجاني القشاش وتلقن منه الذكر وليس منه الحقة وأخذ
عنه علوم الطريقة وأحسن تربيته وأخذ عن شيخنا روح الدين عيسى بن محمد
الحزني المحضري المالكي وأخذ عن الروافدين إلى ملة ستم الشيخ محمد بن محمد العبد وك
أن في الدمشقي والشيخ عبد القادر بن أحمد الغصين الغزي والشيخ محمد الماربط
وسيد محمد بن أبي بكر الدلاي الحزني وأجاز عن غالب مشايخه وكنت لم ألتحق على
السيرة لمسي أجازة وكذا الشيخ عبد القادر الصوري الدمشقي أن في وأكيد
محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسين نقيب الأشراف بدمشق وعلم الغريب عبد القادر
ابن عبد القاسم ومن قبله الشيخ أحمد النجدي الزبيدي ويعون الحزني لأنه يروي
بالأجازة عن علمه دمشق بدر الدين محمد بن محمد الغزي أن في عن الحفاظ السبط
وعن الإمام يحيى بن حكيم الطبري عن كلامه جيدة الإمام محمد الدين محمد بن محمد الطبري
ورشيخ الإسلام زكريا ولم أعشاه بأسانيد الشيوع وشك سبل العلم وجلسي المنقذين
في المسجد الحرام والمنعوب به جماعة كثيرين وكلم مصنفات عديدة ورسائل كثيرة مما
تأخر في الطائفة وهذه هي عدة كثيرة بقضايا عظمه منهم تلميذ أحمد بن محمد علي
المدرس المدني عند حقه المتأخر في أصول الحنفية مدحه بتقصيد

بإضافة الأصل للشيخ

من أنباء بني بن محمد الصدوق الذكر ذوالعقل الرابع والف القاه من أحد
أبيه هو عظم الله بحسب ابن كنيه وأريب بن أريب فيمن لطف الشيخ وعلمهم الكلام
على تصنيف عنه المستطوع ويبقى على مد الدهور ولا أن من جليل مصر

محمد بن محمد بن محمد بن محمد
أبراهيم

والسبب الذي اعلى الى اعتلاله وسقوطه باهور يشهد به الخاطره
 يشهد بالآثار التي ابرهنه في الباطن والظاهر غير ان الخاطره عندكم في تأمل البعد وما
 حصله الامام من فتكم ورضه العلم متى بعد فتكم والسبب من بنسب جديا به
 وبني النجاشات منور مع فتشيق النجاشان بان وعا باه فالتدقيق بجمل الخواص
 وبعد فتكم خرافين يقي من الخبايا وكثيره **البرسنة** وتلك من والفتور
 ملكك سورج الرضا عفا في واهاجت سورانك الخ شجائي اغني سراويل بكم السيرة
 طريخ الذي اسير المقداني باخليل وقفة بالمصطفى عند محمد الميرى وذكر الكناه
 فاعطاه وانزلاد وبتا سلمى له لوجيه الفل فريد المعاني مرشد الفضل وابنه من فضاه
 عالم الدين عابد الرجات انما بين لوعة علم الدم وسوءه اليه لطول الزمان
 ابن من الخجين من ذات طوق سلبت النوى غصن الباه وتطبيق الفياق سقوى لما
 تحت خضوعا برها احباني وقلم من الوجيب السبه مثل ما بالباقي من دمل ن
 فوجيش النوى وجن الخفاه وليالي الرضا واسن الدواني ان قصدك ليقا كن قيا دي
 بيد ليس لها من يداني فاجا **بسم** بقو **بسم** يا خليلي بالصفا اسعوا لي
 وبرومل من الاياس عدائي واجل بعض باله في وبتاه حال صبت بتم القلب عاني
 جسم في جباد والقلب منه في فري مرحد ام الحفان فيم زياتنا ولوعا دواها
 شامخ الطوق ساه الاخوان بوقب البع لعلوا اذا صبح اصي بنا سدا الزمان
 على رايه اوسمعه حديثا عن قديم الاخا عظيم المعاني والصق الورق ذي العهد
 الفتي التقي في الزمان مرنجا العارفين الذي قد تالار العوارض العيان
 من عند المفضل المعصوم فلي يسم له الزمان بنياني خص بالعلم والرياسة والوده
 وهذه مواهب الرجات هو كنز تجميع لعلوم قد حواها بغاية اليه تعالى
 وموصد الشريعة للشرع العذب البسط المحي والباله دام فينا صلها ما يرجى
 من مراد ورفعة وامان ما تفتي على الزمان هذا رد واجابة الغم باله وغاني
 الشيخ حسين ابراهيم بن عمر العجمي المكي الحنفى جامع الفنون العلوية
 النافعة والمقدم فيه على اقرانه والجايز قصب المسبق في حفظنا بسيل القوائد
 العونية في من مازنه ومعت جمع الله له بين العلم والعمل والعقل والدين ومنزله
 المعرفه والتميز والحفظ المتين والفضاضة والاسحقا والعجب في كل
 مشهور وغريب وله قدم واسع في علوم الحقيقة وسلوك الطريقة والتميز

موجود بكم المضمون حفظ الله
 وهو الذي ارسله في هذا النسخ
 من مكة الى دمشق كتبت سنة
 هذه النسخة جزء (الصحف) خيرا
 كائنكم اراهم من
 سني الحسيني
 الرضا في مكة

البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر



تأليف: د. محمد السيد غلاب
د. محمد السيد غلاب د. عبد القادر صالح
الأستاذ / محمود شاكر
عرض: محمد كمال جمعة
بقام: دكتور عبد الرحمن حميدة

وردت للدائرة هذه الدراسة للدكتور عبد الرحمن حميدة ونحن نشكر له اهتمامه
بالدائرة وحرصه عليها ، كما نود ان يطلع اساتذة جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية على هذه الملاحظة العلمية ليواكبوا البحث قبل ان للصواب منه وردا بين
الصواب منهم — فقيمة الخطأ تعطي قيمة الصواب .
وكم يكون جميلا من الدكتور الناقد ان يبعث صورة لجامعة الامام محمد بن
سعود الاسلامية ليأخذ الاجابة منهم .

لقد كانت مبادرة طيبة من مجلة الدارة أن قدمت هدية جزيلة الفائدة الى جانب العدد
الثاني من مجلتيه القراء للسنة الخامسة (محرم ١٤٠٠ هـ — ١٩٧٩ م) والذي يحمل شعار
المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول الذي اقامته كلية العلوم الاجتماعية في جامعة الامام محمد بن
سعود الاسلامية في شهر صفر الحثير من عام ١٣٩٩ هـ الموافق شهر كانون الثاني (يناير)
١٩٧٩ م .
والكتاب المذكور هو عرض وتلخيص لكتاب يحمل الاسم نفسه صدر بمناسبة المؤتمر
الأنف الذكر ، ويقع في ثلاثين وسبعائة صفحة عدا المقدمة التي ديجتها يراع الاستاذ الدكتور
فحجي عثمان .

اما الكتاب « الهدية » والذي يعرضه الاستاذ محمد كمال جمعه فيقنع في مائة واثنين وخمسين صفحة من ورق صقيل جيد ويضم بضعة مصورات جغرافية توضيحية .
ومما لا شك فيه ان الاستاذ جمعة بذل جهدا مشكورا في تلخيص الكتاب الاصيل والتعليق عليه واخرجه على شكل كتاب سهل المأخذ يمكن ان يكون في متناول القارئ العادي الذي يود لقاء نظرة على بلاد المسلمين والاقليات المسلمة المبعثرة فوق مختلف بقاع كرتنا الارضية .

غير ان هذا الجهد الفردي لم يكن — ويا للأسف — كافيا لاصدار كتاب وجيز خالٍ من الاخطاء المطبعية والعلمية الكثيرة . والتي يعود بعضها في الواقع للكتاب الاصل الذي اصبح هدفا لانتقادات شتى من خطية وشفوية . بينما يخلص الكتاب « المعروض » بنصيب من هذه الاخطاء العديدة والتي ساعددها في الصفحات القادمة أملا نشر هذه الملاحظات في العدد القادم من مجلة الدارة تعميماً للفائدة وفي سبيل معرفة أفضل للعالم الاسلامي الذي ننشرف جميعا بالانتساب اليه والذي يضم ربع سكان الارض .

الاجراء المطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	١٠	قطنهم	قاعدهم
٢٠	١١	على غير	على غيره
٢١	١٩	مواينها	موائها
٢٥	١٢	القطنطينية	القسطنطينية
٣١	١٨	قشمير	كشمير
٣٧	الأخير	قلقا	مالاقا
٣٩	١٥	بايران الغربية	بايران الغربية
٤١	١٧	قنقاسيا	قفقاسيا
٤٢	في الحارطة	ستاخريول	ستاغروبول
٤٣	١٤	أذربيكستان	أوزبكستان
٤٤	١٧ و ١٩	أذربيكستان	أوزبكستان
٤٧	٢	قازاخشيان	قازاخستان
٤٩	٢	الأوزيك	الأوزبك
٤٩	٧	والأنتيمون	والأنثيمون (الأئمة)
٥٢	١١	سوالن	سواكن
٥٢	الأخير	برنو	برنو

معاوية بن حديج	معاوية بن حديج	١٤	٥٥
قزان	قزان	١٦	٥٥
مروان	مرون	٦	٥٦
الدائمة	الدائمة	١٣	٥٦
فأخذ يثأر	فأخذ يثأر	٥	٥٧
أوراس	ادراس	١٢	٥٧
واد نون	واد تون	٦	٥٩
اودعشت	ادرعشت	١٠	٥٩
القرنين	القرنين	٣	٦١
صواب	خطأ	السطر	صفحة
موقاديشو	موقاديشو	٤	٦١
ضفاف	فنتعات	١٤	٦٢
لمتونة	لمتونة	١٦	٦٢
الفولاني	التدلافي	٥	٦٣
التوكولور (التكارنة)	والمقوكولار	١٦	٦٣
جامبيا (غامبيا)	حامبيا	١٩	٦٣
موريتانيا	موريتانيا	١٢	٦٥
صنغاي	صنغاي	١٧	٦٦
الفولاني	الغلاني	١٩ و ٢٠	٦٦
الفولاني	الغلاني	٢	٦٧
فقيها	فقيها	■	٦٨
اوغا دوغو	وجاد وجاد	٨	٦٨
ايجان	ايدجان	٨	٦٨
اوغادوغو	وجادوجو	١١	٦٨
ايجان	اسيجان	٦	٦٩
سيراليون	سيراليون	١٢	٦٩
البوكسيت	الموكسيت	١٥	٦٩
صادراتها	صادراتها	٨	٧٠
لومية	لدمية	١٢	٧٠
الفولاني	الفولاني	الأخير	٧١
الفولانيين	الغلانيين	٢	٧٢
الفولاني	الغلاني	٧	٧٢
اليوروبا	اليوردبا	٧	٧٢
اليوروبا	اليوردبا	١٢ و ١٣	٧٢

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٧٢	١٤ و ٢٠	الغلانيين	الفولانيين
٧٣	١٠	اليورديا	اليوروبا
٧٣	١١ و ١٥	والغلاني	والفولاني
٧٧	١٠	ودارتور	ودارفور
٨١	١٥	الغلابات	القلابات
٨٢	٦	مراعي	مراع
٨٣	١ و ٣ و ٦	موزنبينق	موزمبيق
٨٣	٤	فقد استطاعت	فقد استطاعت
٨٤	١٨	البانتود	البانتو
٨٥	٥	موروني	موروني
٨٥	١١	رونمو	زوغو
٨٦	١١	العريفة	العريفة
٩٢	٢ و ٣	لكنو	لكنو
٩٣	٤	تزاوجو	تزاوجوا
٩٧	٦	خلقت	خلقت
٩٧	٨	اضطردهم	اضطروهم
٩٧	١٠	لغة مورد	لغة مورو
٩٧	١٤	وصلولو	وصلولو
٩٩	١٦	كاشفر	كاشفر
١٠١	٦ و ٨	كاشفر	كاشفر
١٠١	١٧	كالسو	كانسو
١٠٤	١٩	كبرين	كبرين
١٠٨	٥	عدوا	عدداً
١٠٨	٧	اليونان	اليابان
١٠٩	١١	المائدة	المائدة
١٠٩	١٢	نميكو	نميكتو
صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١٠	الأخير	جايون	جايون (غايون)
١١٠	٤	الغولاني	الفولاني

دبو موني	دبو موني	١٢	١١٠
الفرنسيون	الفونسيون	٥	١١١
ساتومي	ساتومي	١٠	١١١
محمسة (مباشرة)	محمسة	١٨	١١١
يلتقون	يلتقون	٧	١١٢
تازانيا	كينيا	٢١	١١٢
منها	فيها	١٠	١١٣
ستانلي	ستاغي	١٦	١١٦
البعثات التبشيرية	التبشيرية	٣	١١٧
١٣٣٠ هـ	١٣٠ هـ	٥	١١٧
يفدون	يفدون	٦	١١٧
الباتو بالعربية	الباتور العربية	١٣	١١٧
زيمبابوي	زيمبابوي	٨ و ١٣	١٢٢
نجارى	نجارى	١٦	١٢٣
القولغا	الغولي	٥	١٢٤
سلافي	سلافي	١٦	١٢٤
الألبانيين (الألبان)	الألبانيين	١٣	١٢٦
الوليد بن عبد الملك	الوليد بن عبد الملك	١٧	١٢٦
العثمانيون	العثمانيون	٢	١٢٧
سلافية	سلافية	٤	١٢٨
مولداڤيا	مولواڤيا	١٧	١٢٨
البولندية	الهولندية	١	١٣٠
روسيا	ردسيا	٧	١٣٠
الصفحة	السطر	الخطأ	الصفحة

روسيا اسمها	ردسيا اسمها	٧	١٣١
في القرن ١٣ هـ	في القرن ١٣٢ هـ	١٩	١٣١
أوقا	أوتا	٧	١٣٣
تناريا	تناريا	٩ و ١٥	١٣٣
		١٦ و ٢١	
الجوقاش	الجوقاش	٤	١٣٤
تناريا	تناريا	٨ و ١٤	١٣٤
نهر أورال	نهر ادرال	١٩	١٣٤

العثمانيين	الثمانين	٥	١٣٥
قسراً وهم	فسراً وهم	٣	١٣٦
مولدافيا	مولدانيا	١٩	١٣٨
رومانيا	بولنده	٢١	١٣٨
يحيويون	يحيويون	٧	١٣٩
آخن	أصن	١٤	١٤٠
اوروبا	ادريا	١٥	١٤٠
ديترويت	ديتريت	٨	١٤٣
جويانة	جوياتا	١	١٤٧
ترينيداد	ترنداد	٣	١٤٧
سيدني	سلاني	١٣	١٤٧

غموض وتناقض وتخبط

صفحة ١٢ سطر ١٦ « والمملكة مركز » تنظيم الدول الاسلامية » . هذا علماً بأن المملكة المقصودة هي المملكة العربية السعودية » .

صفحة ٢٤ سطر ٩ : « وبلغت قيمة القطاع الزراعي عام ١٣٩٤ هـ مبلغ ٦٨٥ مليون ليرة » ولعل المقصود بذلك قيمة انتاج القطاع الزراعي .

صفحة ٢٨ سطر ١٢ : « ويمثل أحفاد الأيرانيين القدماء الرافدين » .

صفحة ٣٥ سطر ١ : « فقدت الهند تسيطر على ثلثي مساحة كشمير » .

صفحة ٣٨ سطر ٢١ : « بنحو ٦٤٠٠ كم من الطرق الأنجلوية » .

صفحة ٤٢ سطر ٨ : « والغاز الطبيعي من التبع ١٧ ٪ من مجموع انتاجه في الاتحاد السوفيتي » .

صفحة ٤٥ سطر ٢ : « ويمثل الاوزبك (المسلمون) ٢٣ ٪ من جملة السكان ويمثل الروس ١١٩ ٪ وتصل نسبة المسلمين الى ٩٨ ٪ » .

صفحة ٥٩ سطر ١٣ : « كذلك فقد الاسلام من مدن المغرب مع التجار الى بعض المراكز القائمة على حافة الصحراء » .

صفحة ٦٣ سطر ٧ : « ورفض مسلمو القوتاتورد لواء الجهاد لنشر الاسلام » .

صفحة ٧٦ من سطر ٩ : « وحكمها سلطان مسلم حتى آخر الفقرة في سطر ١٦ » .

صفحة ٧٧ سطر ١٤ : « وتعيش القبائل السودانية والمستعرة فتعيش في الشمال الشرقي كما تعيش القبائل المغربية ؟ في المرتفعات الغربية » .

صفحة ٨٣ سطر ١٢ : « ثم خدمت الحكم الاسلامي واقتسمت المنطقة الدول الاستعمارية » .

صفحة ٨٦ سطر ٤ : « ويبلغ عدد المسلمين ٧٢٪ منهم » .
صفحة ١٢٨ سطر ١٧ : « وتلقى السلطات الحاكمة تكاثر المسلمين بشكل كبير » .
صفحة ١٢٩ سطر ٢ : « وفكروا في مشروع شامل لتنصير المسلمين فساروا بصورة
جاذبة ، ولكن مقاومة المسلمين القوية حالت دون إتمامه » .
صفحة ١٣٥ سطر ٨ : « ولما حاول الشيوعيون الاستيلاء عليها قاومهم فلجأ الشيوعيون
إلى حرب التجويع فأهلكوا ما يقرب من ستين ألفا ، وقتلوا مائة ألف ، وقتلوا رهاء خمسين
ألفا . ثم دخلوا معازل المسلمين وهدموا كثيرا من المساجد والمعاهد الدينية . وبدأ عدد
المسلمين يتناقص . ولما انهزم الفيلق القرمي أمام الألمان في الحرب العالمية الثانية واستعاد
الروس الشيوعيون تلك الجهات بعد هزيمة الألمان اتهموا أهلها بأنهم عملاء وقاموا بطمس ما
كان قد بقي من معالم الإسلام فيها ، وقتلوا ما يقرب من نصف مليون ، وعملوا على نقل
الباقى إلى سيبيريا ، وأقاموا الجمهورية ؟ » .
صفحة ١٣٧ سطر ٣ : « وتمسك السكان بدينهم ففتته السلطات الحاكمة إلى سيبيريا ثم
اضطرت إلى إعادته » .

ركافة في التعبير وإخطاء نحوية

ورد في صفحة ١١ سطر ٨ : « وفيها سيدنا إبراهيم قد وضع قواعد بيت الله الحرام » .
وكان من الأفضل أن يقول المؤلف : « وفيها وضع سيدنا إبراهيم عليه السلام قواعد بيت
الله الحرام » .
وفي صفحة ١٦ سطر ١٨ : « والسكان يبلغ الستون منهم نحو ٧٥٪ والباقي شيعة » .
وحبذا لو قال : « وتبلغ نسبة السكان المسلمين الستين منهم نحو ٧٥٪ والباقي من
الشيعة » .
وفي صفحة ٣٢ سطر ٩ : « وعملوا على ممالقة الهندوس ضد المسلمين » وربما كان
المقصود بهذه العبارة القول « وعملوا على محاباة الهندوس على حساب المسلمين » .
صفحة ٣٨ سطر ١٢ : « ويكاد الملاويون والباكستانيون والعرب في ماليزيا أن يكونوا
من أهل السنة » ؟؟

صفحة ٥٤ سطر ٧ : « ثم أعاد جيش بقيادة عبدالله بن سعد للاستيلاء على
طرابلس » .
صفحة ٥٦ سطر ١٤ : « أما عن اقتصاديات البلاد فهناك الزراعة حيث ارتفعت اشجار
الزيتون إلى أكثر من ٣٥ مليون شجرة عام ١٩٧٠ » .
صفحة ٥٧ سطر ٢٠ : « وقد قررت الحكومة تضييق زراعة الكروم » .
صفحة ٦٥ سطر ١٥ : « وثمة طريق آخر أن الإسلام قد وفد مع قوافل التجار » .
صفحة ٦٦ سطر ١٧ : « وولى الماربة ولاية كاكمون ؟ تابعون لهم » .
صفحة ٦٧ سطر ١٤ : « وفيها ثروة غنية حيوانية وأكبر قبائل مالي هي الجبار » والأرجح
أن يقول « وفيها ثروة حيوانية هامة وأكبر قبائل مالي هي الجبارا » .

صفحة ٧٠ سطر ٩ : « ويقدر رصيد الحديد » والصحيح « ويقدر احتياطي الحديد » .

صفحة ٨٤ سطر ٣ : « وعدد سكان زنجبار يقدر بحوالي اربعمائة ألف » .

صفحة ١٠٥ سطر ٦ : « وكان المسلمون قد ابدوا قيام الجمهورية الوطنية السابقة على الحكم الشيوعي » .

صفحة ١١٨ سطر ٤ : « الذين يحتاجهم المدارس الإسلامية خاصة » .

صفحة ١٢٧ سطر ١٦ : « كان الأغلبية في تونس قد تمكنت من فتح مالطة عام ٢٥٦ هـ » .

صفحة ١٣٣ سطر ١٥ : « والتثار لغتهم اصلها تركي ولكنهم اجبروا على التحدث بالروسية » .

اخطاء في المعلومات

في الصفحة ٤ والسطر ٩ وفي « التقديم » وردت عبارة « وشارك في اعداده ثلاثة من الاساتذة المتخصصين في حقل الجغرافيا وهم الدكتور محمد السيد غلاب ، والاساذ محمود شاكر ، والدكتور محمد فتحي عثمان » ، وهكذا أغفل — سهواً — اسم الدكتور حسن عبد القادر صالح الذى ورد اسمه على الغلاف .

في الصفحة ١٣ سطر ٣ يقول المؤلف في معرض كلامه عن الجمهورية العربية اليمنية : « وقد بلغ عدد السكان عام ١٣٩٥ هـ نحو ٤٧١٨٩٣ » وربما كان الأصح لو كتب ان عدد سكان اليمن يفوق عشرة اضعاف هذا الرقم .

وفي الصفحة نفسها سطر ٤ « الا ان الزيديين يبلغون ثلثهم » والحقيقة اكثر من نصفهم .

وفي صفحة ١٥ وسطر ١٧ يقول « وبلغت قيمة الصادرات عام ١٣٩٥ هـ نحو ٦٧٥ مليون دولار وبلغت الواردات نحو ٢٥٠٠ مليون دولار » اي ان صادرات دولة الامارات العربية المتحدة تبلغ حوالي ربع وارداتها ، ويقول في السطر ١٦ « وبلغت القروض التي قدمها صندوق ابو ظبي للانماء للأقطار العربية والإسلامية عام ١٣٩٥ هـ نحو ١٥١ مليون دولار » والسؤال هنا كيف يمكن لدولة ذات ميزان تجاري يشكو من العجز ان تقدم القروض ؟

ويقول في صفحة ١٨ سطر ٤ « وما يدل على نهضة البلاد الحديثة (اي الكويت) ان فيها مملا لكل ١٥ تلميذاً وطبيباً لكل ٨٠ فرداً . وتبدو نسبة الاطباء هذه مذهلة حقاً ، اي ان في الكويت ١٥٠٠ طبيب ، او اكثر من ضعف اطباء سورية التي تحوي من السكان ما يعادل تسعة اضعاف سكان الكويت ، هذا علماً لأن اعل نسبة للأطباء في دول اوربا الغربية مثل النمسا لا تتجاوز طبيباً واحداً لكل ٤٥٠ مواطناً » .

وورد في صفحة ٢٢ السطر الاول « وكانت بريطانيا اثناء انتدابها قد منحت اليهود وعد

بلقور » وهذا خطأ كبير لأن وعد بلقور صدر في خريف عام ١٩١٧ أي قبيل استيلاء الانكليز على فلسطين وقبل فرض نظام الانتداب على دويلات بلاد الشام .

وفي صفحة ٢٦ سطر ٧ يقول : « وبلغت قيمة الصادرات (السورية) في عام ١٣٩٥ هـ نحو ٣٤٤١ مليون ليرة يمثل البترول نسبة ٨٠٪ من قيمتها والحقيقة يمثل القطن ٦٠٪ من قيمة الصادرات ولا يمثل النفط أكثر من ٨٪ من مجمل الصادرات » .
ويذكر في صفحة ٢٧ سطر ٥ « واعتنق زعيمها دين الاسلام الذي أعلن عام ٦٩٩ هـ استقلاله » والحقيقة لقد اعتنق أجداد عبّان الذي ينسب اليه العبّانيون دين الاسلام قبل وصوله الى الاناضول على رأس قبيلته بزمان طويل .

وفي صفحة ٥٨ سطر ١٧ « والمغرب رابع دول العالم في انتاج الكوبالت فبلغ انتاجه ٩٧٨٠٠٠٠ طن عام ١٩٧١ » والواقع ان هذا الرقم مذهل حقاً وغير معقول لأن انتاج المغرب من الكوبالت كان ٤١٠٠ طن عام ١٩٥٧ وارتفع الى ١٦٧٠٠ طن عام ١٩٦٥ وليس من المتصور ان يتجاوز هذا الرقم مقدار ٥٠٠٠٠ طن في عام ١٩٧١ .

وفي صفحة ٦١ سطر ١٣ يقول : « كان الايطاليون قد احتلوا الصومال الشمالي عام ١٨٨٩ » والصحيح ان الانكليز هم الذين احتلوا الصومال الشمالي وليس الطليان .
وفي صفحة ١٣٣ سطر ١٦ « وبلغ سكان تنزانيا (هكلدا) ٣١٥ مليون نسمة » .
وفي صفحة ١٣٥ سطر ٨ « واضطهد التتار المسلمين فطردوا خمسمائة الف منهم » هذا علماً بأن التتار مسلمون .

وفي صفحة ١٣٧ سطر ١٢ « ويسكنون قم جبل القوقاز » وهذا جهل مطبق والصحيح يسكنون الاودية . لان قم الجبال تغطي بالثلوج في معظم ايام السنة ، وبالتالي يستحيل السكن فيها لشدة برودتها .

وفي صفحة ١٣٨ سطر ١ « ولاية الاديجا » والصحيح ولاية « الأديفة » .
وفي صفحة ١٤١ سطر ٤ « فرنسا : فيها يعيش أكثر من اربعمائة الف مسلم » والصحيح يعيش في فرنسا أكثر من مليون ونصف من المسلمين .
صفحة ١٤١ سطر ١٥ « فقد قامت الحكومة الاسبانية بتسليم مسجد قرطبة للمسلمين » وهذا زعم يحتاج الى برهان .

صفحة ١٤٢ سطر ٢ « أسس مسجد في روما العاصمة » والواقع لم يتم بعد تنفيذ هذا المشروع بسبب مقاومة الكثير من الطليان .

حول دراسة في

جغرافية

المملكة العربية السعودية

للدكتور عبد الرحمن صادق الشثري
جامعة الرياض - قسم الجغرافيا

ورد في مجلة الدارة العدد الثاني السنة الخامسة محرم ١٤٠٠ هـ ديسمبر ١٩٧٩ م مقال بعنوان حول دراسة في جغرافية المملكة العربية السعودية « مدينة بريدة » للدكتور محمد السلطان السديس الاستاذ المساعد بجامعة الرياض من الصفحات ١١٤ - ١٣١ . والمقال في الواقع نقد لمقالنا في مجلة الدارة العدد الأول السنة الخامسة ربيع ثاني ١٧٩٩ هـ مارس ١٩٧٩ م يحمل ذلك العنوان .

أود أن أنوه في بداية هذا الرد أنني ممن يؤمنون بضرورة النقد العلمي البناء . ويعتبرونه وسيلة مثلى للبحث عن الحقيقة لا سيما في الحالات التي لا تتاح فيها المناقشة . فبالنقد وحده يستطيع المرء ان يطلع عن بعض الملاحظات التي يصعب تداركها دون ان ينبه اليها شخص آخر . وقد سبق وان أشرت في بعض كتاباتي عن المملكة « بأنني لا أدعي الكمال وأنني أرحب بكل نقد بناء ، وكنت باستمرار أمتنى أن يرد أو يعلق على كتاباتي الاخوة المختصون حتى أستفيد من تعليقاتهم وأنجذب ما ينبغي تجنبه .

ومن هذا المنطلق فاني أشكر الزميل الدكتور محمد السديس على تكبده عناء هذه المهمة ، غير أن الفائدة لم تكتمل بسبب بُعد اختصاصه عن الجغرافيا ، فجاءت جميع ملاحظاته في مجال واحد وهو المجال اللغوي . بالرغم من أنه حاول أن يصنف تعليقاته في فقرات عديدة مثل : أسلوب البحث ، وأمور لغوية ونحوية ، وتحريفات في أسماء الرجال والدقة العلمية في إيراد المعلومات .

لا أنتقص من أهمية المقدرة اللغوية لأي باحث في مجال علمي ، ولا أدعي أن على الباحث أن يوجه جل اهتمامه الى موضوع بحثه فحسب ، ويهمل أداة التعبير عن عمله وهي اللغة ، بل عليه أن يتمكن من تلك الأداة ويعرض موضوعه بلغة سليمة وسلسة وبعيدة عن التعقيد .

ولذلك ففي الوقت الذي اكرر فيه شكري للزميل الدكتور السديس على بعض الملاحظات اللغوية القيمة ، أسجل أنني أخالفه الرأي في بعضها ، غير أن ما يجز في النفس ان معظم المفورات التي اشار اليها لم اكن مسؤولاً عنها لأنها أخطاء مطبعية . لقد رجعت الى إدارة المجلة بعد صدور العدد واتضح لي أن كل هذه الأخطاء مطبعية ووعد رئيس التحرير بتدارك ذلك حيث أن المجلة ليس لها مصصح متفرغ .

لذلك لا أود أن أعد تلك الملاحظات التي أشار اليها الاستاذ الناقد وأطلب في تفصيلها ، باعتبارها أخطاء مطبعية .

غير أنه أبدي - مع الأسف - بعض الملاحظات اللغوية دون وجه حق ، ومن ذلك أنه اعترض في ص ١٢١ س ١١ على استعمال لفظ « العام » مرة بصيغة المذكر ومرتين بصيغة المؤنث في ص ٢٦١ س ٧٠٦،٥ على التوالي . مع العلم أنها كتبت في المرة الاولى بصيغة المذكر لأنها تصف اسماً مذكراً وهو « المخطط العام » ، وكتبت في المرتين الاخرين بصيغة المؤنث لأنها تصف اسماً مؤنثاً في الحالتين هما : « النظافة العامة » و « الصحة العامة » . وطلب الدكتور الناقد في ص ١٢٤ س ٢ استعمال كلمة معبدة بدلاً من كلمة « مزفلته » في حين أن الكلمتين ليستا مترادفتين ، وتتضمن الثانية شيئاً لا تفيده الاولى . فالطريق « المزفلته » هي طريق معبدة وبالإضافة الى ذلك فهي مبنية من الحصى وفضلات البترول « الزفت » . ولا نعلم بالعربية كلمة بمفردها تفيده هذا المعنى . وقد وضعنا كلمة « المزفلته » بين قوسين في أول مرة للدلالة على أنها كلمة معربة وليست عربية .

وأود ان أنوه أن الزميل السديس أبدي تفصيله في مواضع عدة استعمال تعبير أو تركيب بدلا عن آخر ، أخالفه الرأي في بعضها ولا أرى خيراً من استعماله كما ورد في النص . ورغم انني لا أود الخوض في مناقشة هذا الأمر أورد بعض الأمثلة ومن ذلك :

- عدم استساغته استعمال تعبير : « عُرفت بريدة كمحطة في طريق حجاج العراق » .
- واستعمال كلمة « ما عدا » مرتين بينها ثلاثة أسطر .
- واستعمال « أثبتت المنطقة للدولة السعودية ... » بصيغة المبني للمجهول .
- واستعمال « وتتصل شمالاً بغرب بمدينة حائل » .
- واستعمال « الاحتلال التركي - المصري » إشارة الى حملة ابراهيم باشا ابن والي مصر من

قبل الاتراك على نجد . فالتعبير لا يعني تحالفاً تركياً مصرياً في الحملة نقول « احتلال الاتراك والمصريين » .

وليعدني الدكتور السديس إذا قلت أنه جانب الحقيقة تماماً حيناً تجاوزاً في نقده الحدود اللغوية وأبدى ملاحظتين جغرافيتين خاطئتين . لا ألومه على هذا الخطأ لأن الموضوع خارج عن اختصاصه ، ولكن ما كان عليه أن ينحوض فيه . والملاحظتان هما :

أ - لقد اعترض في ص ١٢٢ س ٩ على استعمال تعبير « شرق شمال شرق المدينة المنورة » وهو تعبير يستعمل في الأدب الجغرافي . إذ نستعمل في الجغرافيا أربعة تعابير للدلالة على الجهات الأصلية هي : الشرق والغرب والشمال والجنوب . ونستعمل أربعة تعابير أخرى للدلالة على الجهات الفرعية الواقعة بينها وهي : الشمال الشرقي والجنوب الشرقي والجنوب الغربي والشمال الغربي .

ولكننا إذا أردنا أن نصف مكاناً بأنه يقع في جهة الشمال الشرقي بالنسبة الى مكان آخر غير أنه يقع في اتجاه أقرب للشرق منه للشمال (كما هي الحال فيما ورد في النص) نقول أنه يقع في شرق الشمال الشرقي . وفي حالة ما إذا كان موقعه في اتجاه أقرب للشمال منه للشرق بالنسبة للموقع الأول نقول : إنه يقع في شمال الشمال الشرقي . وهكذا فإننا نستعمل ثمانية اتجاهات إضافية يقع كل اثنين منها على جانبي كل اتجاه فرعي ، مما يزيد الوصف دقة . ب - واعترض في ص ١٢٨ الفقرة ٣ على طريقة تقسيمنا لمنطقة بريدة وعلى إحالة القارئ الى مقال سابق لنا في مجلة الحفجي لاستجلاء طريقة التقسيم ، وذلك في ص ٢٦٤ .

إذا رجعنا فعلاً الى مقالنا في مجلة الحفجي العدد الأول السنة الثامنة ص ١٨ نقرأ تحت العنوان الفرعي « توزيع سكان أمانة القصيم » ما يلي : « ومن أجل دراسة توزيع سكان أمانة القصيم حاولنا تقسيم الأمانة الى عدد من المناطق الجغرافية تضم كل منها عدداً من الأمارات الصغيرة » . هذا يعني بوضوح ان التقسيم كان محاولة من قبلنا وليست نقلاً عن شيء سابق . وأنه يعتمد على العوامل الجغرافية طبيعية كانت أم بشرية لا على عوامل أخرى . ولذلك فلا يفترض ان تطبق حدودها على حدود التقسيمات المألوفة والتي استعملتها أية جهة أخرى حكومية كانت أو غير حكومية ، كوزارة من الوزارات أو مؤسسة حكومية أو أهلية أو شركة استشارية ... الخ . فوزارة الزراعة مثلاً قد تجعل المذهب الواقعة في جنوب عنيزة وبالقرب منها تابعة لبريدة وليس لعنيزة . أما العوامل الجغرافية فتقتضي ان تكون المذهب - جزءاً من منطقة عنيزة ، كما تقتضي ان تكون الرس ورياض الخبراء والكبيرة منطقة واحدة تقع في قطاع واحد من وادي الرمة وفي كلا جانبيه الجنوبي والشالي . وتقتضي ان تكون المنطقة التي تضم عيون الجوى والدغمانية والقوارة (لا الفوارة) منطقة جغرافية واحدة وتقع فيما بين حوضي وادي الرمة ووادي الترمس . أما الفوارة فهي تشكل مع منطقة عقلة في عالية موقع الابانات مع أحواض ، واقدة الشالية وتقع كلها في منطقة الدرع العربي . وقد أحلنا القارئ الى مقالنا في مجلة الحفجي الذي يبحث هذا التقسيم حتى تتضح

العملية لمن يجد غموضاً في النص ويصعب عليه استيعابه . ذلك لاننا لا نود أن نكرر ما بحث في ذلك المقال . فلو تكرم الزميل الناقد وتكلف عناء الرجوع الى مقالنا في الحفجي لوفر على نفسه المكابدة.

لقد أشرنا أن حدود امارات بريدة الفرعية حسبها وردت في جداول نتائج التعداد الزراعي الشامل الذي نشرته وزارة الزراعة عن العام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م تختلف عن الحدود التي افترضناها للمناطق الجغرافية الفرعية التي تتكون منها أمانة بريدة .

وبالرغم من أنه لم ينص صراحة في نشرة وزارة الزراعة على حدود الإمارات الفرعية ولم يرد لها خريطة ، غير أنه تبيّن لنا من تعداد اسماء المواقع أنها تضم كل منطقة الاسياح وبعض المساحات من « منطقة الرس كالبعية » ... الخ . وبكلمات أخرى ان نشرة وزارة الزراعة جعلت اليكيرية مع منطقة بريدة في حين أنها تشكل من وجهة نظر جغرافية جزءاً من منطقة الرس ... وهكذا بالنسبة للمناطق الأخرى .

د. عبد الرحمن الشريف

مطابع دارالجمال للادب
الرياض : تلفون ٤٠٩٥٢٦٨

ملخص الأبحاث
بالإنجليزية

THE PHOENICIANS AND THEIR CONTRIBUTIONS TO WORLD CIVILISATION

The Phoenicians were second to none as explorers and traders. From a precarious foothold on the Levant coast these venturesome people were able to dominate the seas in the first millennium B.C. From their homeland in Phoenicia they spread across the Mediterranean to establish a chain of colonies on its shores and islands, the most important and influential being Carthage. As traders, they carried raw materials and manufactured goods throughout the Mediterranean at least as far north as Britain. As explorers they voyaged round Africa, and sailed to west African coast and north to Cornwall in the British Isles, and thus were instrumental in the diffusion of cultures and the interactions of civilisations, particularly in the Mediterranean basin. Apart from trading, exploration and establishment of colonies, the most enduring contribution of this influential, but little known, civilisation to modern world was development of the alphabet.

northeast of the village of Al-Malqa. Within the past few years, parts of Qa Al-Kharma are being cultivated.

Based on the study of the drainage system of the Qasim region, the following observations emerged.

- 1) There are other important wadis in the area particularly Wadi At-Turmus and Wadi Al-Jarimah.
- 2) Wadi Ar-Rummah and its tributaries constitute the backbone of the drainage system of the Qasim.
- 3) The sabkhahs are part of the drainage system.
- 4) The drainage system is generally oriented towards the east.
- 5) There is a strong correlation between the drainage system and the settlement pattern in the Qasim region.

(1) Ahmed A. Shamekh, Spatial Patterns of Bedouin Settlement in Al-Qasim Region, Saudi Arabia. Lexington: Department of Geography, University of Kentucky, 1975, pp. 57-59.

(2) Mahood Taha Abu AL-Ula, Jughrafiyat Shibh Jazeerat Al-Arab, Juzu 1: Al-Mamlakah Al-Arabiyyah As-Saudiyyah ("Geography of the Arabian Peninsula, Part I: Kingdom of Saudi Arabia") (Cairo: Lajnat Al-Bayan Al-Arabi Press, 1965), p. 81.

(3) Abdulrahman Sharif, Mantiqat Unayzah: Dirasah Iclimiyyah. ("Area of Unayzah: A Regional study.") (Cairo: An-Nahdah al-Arabiyyah Press, 1969, p. 54.

(4) Shaib means the same as wadi (dry river course). but Shaib is usually smaller than wadi.

(5) Jabal Tamaiyah is inaccurately labeled as Jabal Tamariyah in the geographic map of area: U. S. G. S. , Geographic Map of the Wadi Ar-Rimah Quadrangle, Kingdom of Saudi Arabia, Washington, D. C.: 1963, Map I 206 B.

(6) Miheer or Maheer in Arabic means puzzled or confused, and when applied to a river or wadi it refers to sluggishness of the waters near the stream's termination area.

(7) U. S. G. S., "Geological Map of the Wadi Ar-Rimah Quadrangle, Kingdom of Saudi Arabia." (Washington, D. C.: 1963, Map I-206A).

(8) Sabkhat Mushattit is incorrectly labeled as Sabkhat Al-Awsajiyah (Awshaziyah) in the geologic map of the area. Although Sabkat Al-Awsajiyah is accurately located on that map. it was not labeled. Reference to: U. S. G. S., "Geologic Map of Wadi Ar-Rimah...", op. cit.

Rawdat Az-Zughaybiyah is located about ten kilometers east of Unayzah and Wadi Ar-Rummah partially empties its floods here. In addition it receives flood water from small streams in Safra Unayzah to the west. Although the geologic map of the area designated Az-Zughaybiyah as sabkha, there is little saline incrustation.⁷ In fact, the natives of the area do not think of or call it sabkha. To the contrary, it is thought of and called rawdah, or a flat basin of silt and mud soils and covered with vegetation. It has long been cultivated on a small scale, and since 1960 it is farmed extensively on commercial scale using deep-drilled artesian wells for irrigation with good results.

Sabkhat Al-Zughaybiyah is located just east of the village of Al-Awshaziyah and about five kilometers south of Az-Zughaybiyah. Sabkat Al-Awshaziyah and Az-Zughaybiyah occupy similar sites with one important difference. Sabkhat Al-Awshaziyah is fed entirely by floods from the Safra to west and Wadi Ar-Rummah does not reach it. Sabkat Al-Awshaziyah is a true sabkha and the salt content is so high that it is mined for table salt.

The largest of the sabkhas in Qasim is Qa Az-Zulayyim, which like Az-Zughaybiyah receives floods from both Wadi Ar-Rummah and smaller streams from the hills to the west. Qa Az-Zulayyim is located east and northeast of the village of Az-Zulayyim, and the relatively large Shaib Az-Zulayyim empties in this sabkha.

Approximately ten kilometers south of Qa Az-Zulayyim lies Sabkhat Mushattit. It takes its name from Urayq Mushattit, a small narrow vein of sand located on its western side. Like Sabkat Al-Awshaziyah to the west, Sabkhat Mushattit receives floods only from local streams to the west. The name Mushattit is also applied to a small hamlet, as well as to a small wadi: Shaib Mushattit which empties in the sabkha.⁸

In another location in Qasim, in the south, lies Qa Al-Kharma where the floods of the great Wadi Ar-Risha and smaller wadis terminate. This sabkha is located some twenty-five kilometers

the east, Wadi Ar-Risha is joined by Wadi Ash-Shara in the south, Wadi Arjah in the north, and by smaller wadis elsewhere.

Othr Wadis

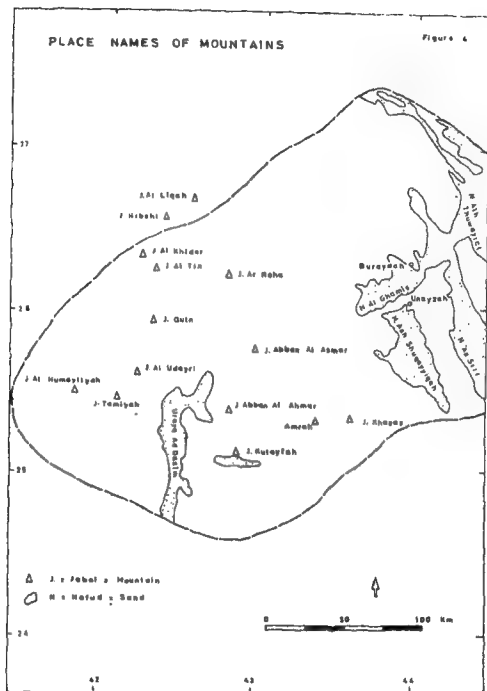
Aside from Wadi Ar-Rumma and its tributaries, the only other wadis of considerable size in Qasim are Wadi At-Turmus, and Wadi Al-Jarimah. Wadi At-Turmus forms the northern boundary of Qasim, and begins in the west (outside Qasim) as Shaib Ai-Uzaym about twenty kilometers south of the village of Al-Uzaym. Other smaller tributaries also come from Jabal Hibshi, Al-Hudoob, and Jabal Aba Al-Liqah and continue eastward as Wadi Al-Chaymar. It proceeds east then northeast as Wadi Al-Turmus and terminates near the recent village of Al-Miheer (Miheer At-Turmus, 27° 20' N and 43° 38' E).⁶ There, it is blocked by the sands of Nazarat Umm Thamayd which is part of Nafud Al-Mazhoor, which in turn forms the western side of Ad-Dahna. The total length of Wadi At-Turmus from southwest to northeast is about 180 kilometers. In its middle and lower course its width averages about four kilometers. The channel of Wadi At-Turmus has a smooth gradient and thus the wadi spread itself widely.

The third largest wadi in Qasim is Wadi Al-Jarimah which straddles the district of Al-Asyah from north to south. It originates near the hamlet of Dheedah and terminates some fifty kilometers to the south, east of the village of Ayn Ibn Fuhayd. Numerous streams descend eastward from Safra Al-Asyah to join Wadi Al-Asyah are located on the western (right) bank of Wadi Al-Jarimah.

Sabkhas (playas)

Of relevance to the description of drainage patterns in Al-Qasim is the presence of sabkha (s), or salt flats and inland playas, which are common in all desert areas. There are five large sabkha areas in Qasim, four of which are located in the eastern part. They are covered with Quaternary deposits of silt, clay, and muddy sand and are usually saline.

Figure 6. 6



23⁰.30.N. and proceeds northward. Two large wadis join Wadi Al-Jarir from the west: Wadi Al-Furdaykhiyah in the south, and Wadi Sahuq in the north. Wadi Sahuq is a large wadi in its own right, and begins in the hills and mountains just east of Harrat Khayber, and several branches join it before it merges with Wadi Al-Turfiyah. Several smaller wadis join Wadi Al-Jarir from the east. Wadi Al-Jarir ends its long journey in the north where it empties in Wadi Ar-Rummah about seventeen kilometers northwest of the village of Al-Lughfiyah.

- (5) Shaib Jarrar originates in the mountains of Abban Al-Ahmar but now stops about eight kilometers south of Wadi Ar-Rummah. The village of Jarrar is located in its upper

course.

- (6) Shaib Ad-Dath also begins in the mountains of Abban Al-Ahmar, and some branches originate in Jabal Al-Luhayb and Jabal Kutayfah. Shaib Ad-Dath runs north leaving the village of Ad-Dath on its right bank. It joins Wadi Ar-Rummah some twenty kilometers north of the village of Ad-

Dath.

- (7) Shaib Al-Khushaiybi begins in Jabal Amrah and proceeds northward leaving the village of Al-Khushaiybi between two of its branches. It empties in Wadi Ar-Rummah at AlQaryiah (The Village).
- (8) Wad Dukhna originates in Jabal Khazaz and the areas south of the town of Dukhnah. It runs north leaving the town of Dukhnah on its left bank and joins Wadi Ar-Rummah near the town of Al-Badaya (Badaya Al-Ulya).
- (9) The great Wadi Ar-Risha used to join Wadi Ar-Rummah in the region near, Unayzah but now is stopped some sixty kilometers to the south by the sands of Nafud Ash-Shuqayyiqah where it empties in Qa Al-Kharma. Wadi Ar-Risha begins south of Riyadh — Hijaz road (near the intersection of 44⁰ E and 24⁰ N) and proceeds northward. It is joined by several wadis from the west and from south to north are: Wadi Tinan (muddy), Wadi Al-Huyayshah, Shaib Audakh, Shaib Al-Athlah, and Shaib Rubaiq. From

the village of Buqay'a Ash-Shamaliyah (Buqay'a North). The village of Waqt is on its banks. Wadi Waqt and Wadi Al-Amudah join together just south of the village of Marghan. About eight kilometers to the south, Wadi Al-Jarayir also joins the main stream; (b) Shaib Al-Jurayir begins in the hills northwest of the village of Al-Jurayir.⁴ The villages of Al-Jurayir and An-Nawmaniyah are located on its course. This tributary joins the main stream (Murghan) midway between the villages of Thadij and Thuwaydij. All these streams join Wadi Ar-rumma fifteen kilometers east of the village of Ata.

- (4) Shaib Subayh begins just east of the village of Al-Batra, and the village of Subauh is located midway its course before it joins Wadi Ar-Rumma.
- (5) Shaib Ad-Dulaymiyah and its western tributary: Shaib Adh-Dheebiyah originate in Sanaf Adh-Dheebiyah and As-Simar (Simar Adh-Dheebiyah) to the north, northeast, and northwest of the town of Adh-Dheebiyah. The town of Ad-Dulaymiyah is located on the eastern bank of this wadi. Shaib Ad-Dulaymiyah is the last major wadi to empty in Wadi Ar-Rumma from the north.

More numerous and powerful tributaries join Wadi Ar-Rumma from the south, and are from west to east as follow:

- (1) Wadi Al-Jifn originates near the village of An-Nuqrah, west of the hamlet of Al-Jifn.
- (2) Wadi al-Humayliyah begins in Jabal Al-Humayliyah and joins Wadi Al-Jifn about five kilometers before they both terminate in Wadi Ar-Rumma some seven kilometers southeast of Aqlat As-Suqur.
- (3) Wadi Ar-Rijlah originates in Jabal Tamaiyh and Jabal Al-Udayri, and joins Wadi Ar-Rumma some thirty kilometers east.⁵
- (4) The longest and largest of all tributaries currently emptying in Wadi Ar-Rumma is the great Wadi Al-Jarir. It originates southwest of Afif (south of Riyadh — Hijaz road) near

Wadi Al-Batin formed a single river which emptied near the Arabian Gulf in Iraq. Thus, Wadi Ar-Rummah after being blocked in the east by Nafud Ath-Thuwayrat reappears eighty kilometers to the northeast as Wadi Al-Ajradi in the southern edge of At-Taysiyah region. After Wadi Al-Ajradi is blocked by the sands of Ad-Dahna it reappears as Wadi Al—Batin. Wadi Al-Batin takes the same general direction of northeast, and forms the boundary of Kuwait and ends

near Basra, Iraq. This ancient river would have had "a total length of 765 miles distributed as follows: 375 miles of Wadi Ar-Rummah at present, 265 miles of Wadi Al-Batin from Ad-Dahna sand to Basra, Iraq, 25 miles of Wadi Al-Ajradi and, 100 miles for parts of the river covered by the sands of Nafud Ath-Thuwayrat and Ad—Dahna."²

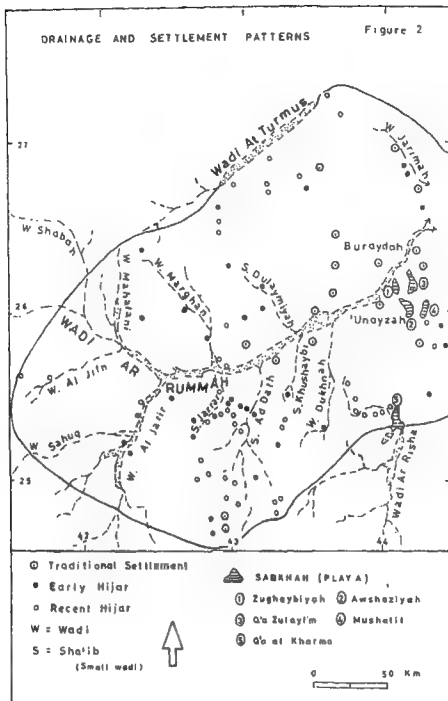
Altogether it is said that more than 300 Wadis large and small join Wadi Ar-Rummah proper.³ Most settlements located on these tributaries are bedouin villages. We are concerned here only with the major tributaries. Four wadis originate in Harrat Khaybar, Harrat Hutaym and hills to their east and join together near the intersection of 26°00 north and 41°00 east to form Wadi Ar-Rummah. They are from south to north as follows: Wadi Al-Makhariq, Wadi Ar-Rummah, Wadi Qahd, and Wadi Asmarah.

Numerous tributaries join Wadi Ar-Rummah from both north and south. The most important northern tributaries arranged from west to east are:

- (1) Wadi Shabah originates east of Harrat Hutaym, but with important tributaries originating in or near Jabal Aja.
- (2) Wadi Al-Mahlany begins in Jabal Hibshi and Jabal Al-Khidar and joins Wadi Ar-Rummah near Aqlat As-Suqur.
- (3) Wadi Marghan consists of four branches: (a) Wadi Al-Jarayir is the largest of the four and originates in Jabal Al-Muwasham and Jabal At-Teen. The town of Al-Fawwarah is located on its western bank; (b) Wadi Al-Amudah begins in Jabal Ar-Raha and surrounding hills. The village of Al-Amudah is on its eastern bank; (c) Wadi Waqt originates in the hills near

DRAINAGE AND SETTLEMENT PATTERNS

Figure 2



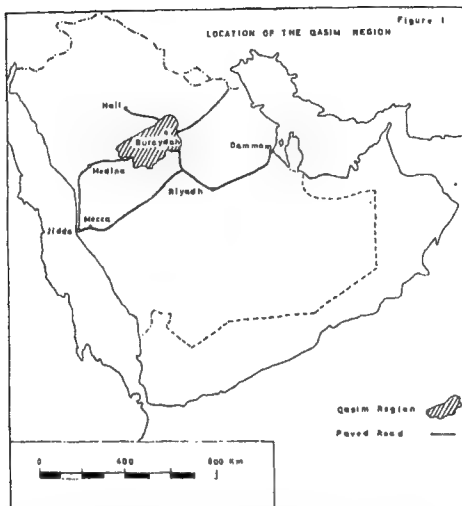
Khaybar, Harrat Hutaym, and the hills and mountains located east of these Harrats (exposed lava beds) which are all located northeast and east of Medina. Other branches originate in Jabal Shammar, southwest of the city of Hail. Wadi Ar-Rummah proceeds east then northeast in conformity with the general trend of the terrain. East of Unayzah, Wadi Ar-Rummah fills the depressions of Rawdat Az-Zughaybiyah and farther east the larger Qa Az-Zulayim.

Wadi Ar-Rummah continues in a northeast course leaving the village of An-Nabqiyah on its right and proceeding for about ten kilometers before it is stopped by the sands of Nafud Ath-Thuwayrat (Figure 2).

As described above, Wadi Ar-Rummah has a total length of 375 miles, most of which lie within the Qasim region. The width of its channel increases towards the east, lower course, and reaches a maximum of twelve kilometers between the towns of Al-Badaya and Riyadh Al-Khabra, and ten kilometers northwest of Unayzah. In its lower course, east of Thadij, Wadi Ar-Rummah averages eight kilometers in width except where it is attacked by sand in Al-Makhnaq east of Al-Badaya (Badaya As-Sufila) where it is 300 meters, and north of Unayzah in Al-Wadi (Wadi Abu Ali) where it is 500 meters wide. Near its termination point, north of An-Nabqiyah in the rough country of Afjat Al-Hisanah. Wadi Ar-Rummah is only about fifty meters in width.

Wadi Ar-Rummah is dry most of the time and floods only once in several years. During the past twenty years it flooded only on four occasions of several days each. It is recorded that one such flooding continued for forty days, which is rare. In January, 1965, Wadi Ar-Rummah flooded and the gauge site near Unayzah recorded some two million cubic meters which were discharged through the Unayzah-Buraydah gap over a period of eight days.

It is generally believed, however, that Wadi Ar-Rummah with its vast drainage system and major tributaries was a real river flowing year-around in past geologic periods when Arabia enjoyed a more humid climate. Moreover, it is believed that Wadi Ar-Rummah and



Wadi Ar-Rummah

The most distinct physical characteristic of Qasim is the great Wadi Ar-Rummah the greatest wadi in Arabia, and drains Qasim as well as large parts of central, northern, and western Najd. The heart of Qasim with its urban and rural areas, as well as most other settlements of Qasim are located on or near Wadi Ar-Rummah and its tributaries.

Wadi Ar-Rummah originates, outside Qasim, in Harrat

**DRAINAGE SYSTEM IN THE QASIM
REGION OF SAUDI ARABIA**

BY

**AHMAED A. SHAMEKH, Ph.D.
CHAIRMAN, GEOGRAPHY DEPARTMENT
UNIVERSITY OF RIYADH
RIYADH, SAUDI ARABIA**

**Accepted for publication in ADDARAH (A periodical issued by KING
ABDUL AZIZ Research Centre in Riyadh) No. 3, Vol. 5, 1979.**

**DRAINAGE SYSTEM IN THE QASIM
REGION OF SAUDI ARABIA**

BY

AHMED A. SHAMEKH, PH. D.

This study describes in detail the drainage pattern of the qasim region. The objective is to give an overview of one particular aspect of the physical geography of the area. The study of the drainage system of an area is an important topic in its own-right. It is more important, however, because the drainage pattern correlates very strongly with the settlement pattern.¹ This is true everywhere, but it is more pronounced in the qasim and other arid regions of the earth.

The Qasim is located in central Saudi Arabia and in the northern part of Najd or Central Province (Figure 1). The qasim is one of the most important parts of the country because of its large population and productive agriculture. The population of the area is over 316,000 people and its area is about 60,000 square kilometers. The density of the population is about 5.3 persons per square kilometer.

The paper will concentrate on wadi Ar-Rummah, the main stream of the area. Other large wadis and salt flats will also be discussed.

A D D A R A H

Notice :

- All Correspondence should be directed to the Editor in- Chief
P. O. Box 2945 — Riyadh
- Articles are arranged technically, regardless of the writers' prestige.
- This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

— Price :

- a) **In Saudi Arabia :**
 - 2 Riyals a copy.
 - 15 Riyals per annum.
- b) **In Arab Countries :**
 - The equivalent of 50 S. piastres a copy.
 - The equivalent of 15 riyals per annum.
- c) **Non Arab Countries**
 - \$1 a copy.
 - \$6 per annum.

ADDARAH

QUARTERLY JOURNAL

by

**King Abdul Aziz Research Centre
Concerned with**

**the Intellectual and Historical Heritage
of the Kingdom and the Islamic World.**

EDITOR IN CHIEF
MOHAMMAD HUSSEIN ZEIDAN

EDITORIAL BOARD

**ABDULLAH BIN KHAMIS
Dr. MANSOUR AL-HAZIMY
ABDULLAH BIN IDRIS
ABDULLAH AL-MAJID**

**FIFTH YEAR
NO : 4**

**RAJAB 1400
JUNE 1980**

**RIYADH
KINGDOM OF SAUDI ARABIA**

**P.O.B. 2945
TEL: 38646**

ADDARAH



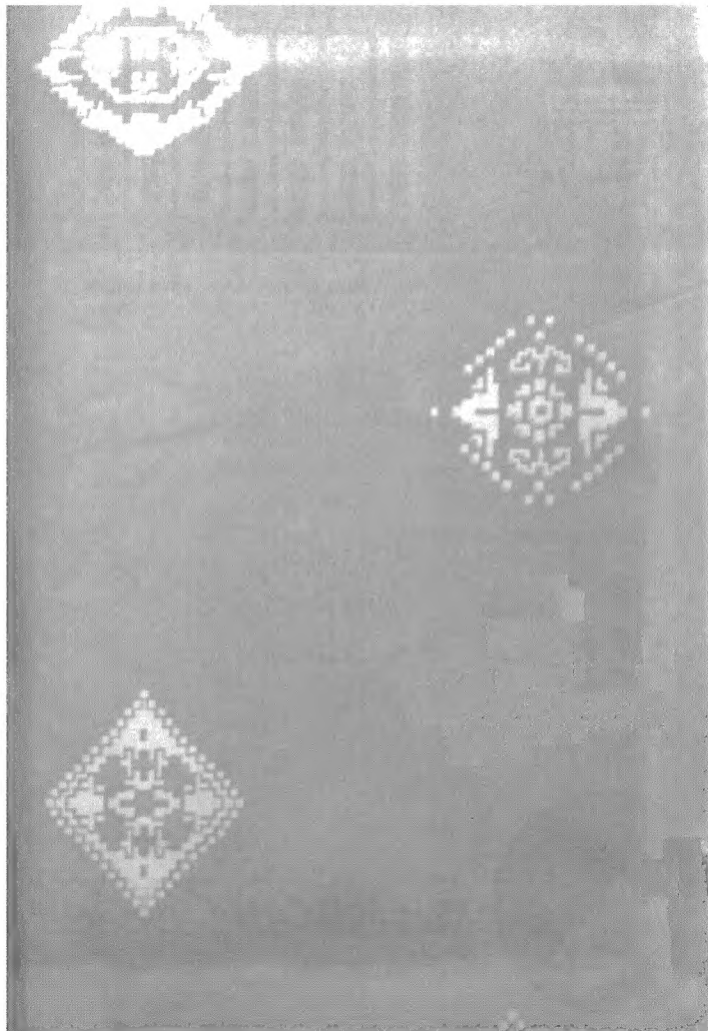
QUARTERLY JOURNAL by KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE
VOLUME 4 (5) 1400 A.H. / 1980 A.D.

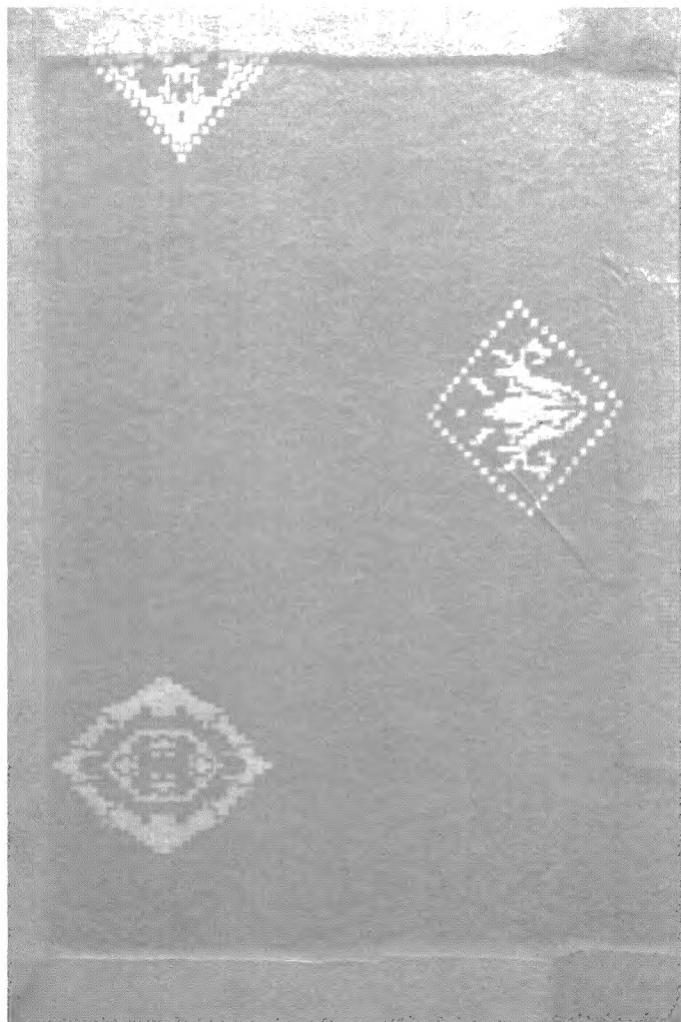
IN THIS ISSUE

DRAINAGE
SYSTEM IN THE
QASIM REGION
OF SAUDI ARABIA

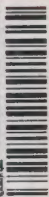
مطابع دار الهلال للاوقفت
الرياض : تلفون ٤٠١٥٢٦٨







Bibliotheca Alexandrina



0530583